﴿الجزء الاول﴾ ١ ﴿المجلد الرابع والعشرون﴾

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب

– قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى «ومنارا» كمنار الطريق –

٣٠ جمادى الاولى ١٣٤١ – ٢٦ الجدي (ص١) سنة ١٣٠١ هش ١٧ يناير ١٩٢٣

فاتحة المجلد الرابع والعشرين



وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً * نحمده بما حمد به نفسه، وأنى للعبد العاجز أن يحصي الثناء على ربه، ونسأله الفضيلة والوسيلة، والدرجة الرفيعة، والمقام المحمود الذى وعده، لصفوة خلقه، وخاتم رسله، الذي بعثه من عرب مضر، للابيض والاحمر، والاسود والاصفر، ليصلح ما فسد من أمر البشر، ويزيل من بينهم فوارق التقاليد والغير، ويجعلهم أمة واحدة، بعقيدة صحيحة مطهرة للعقل، وآداب عالية مزكية للنفس، وعبادة خالصة مصفية للروح، ولغة

فصيحة مرقية للشعور والعلم ، وإلا فبشريعة عادلة تساوي في أحكامها بين الاغنياء والفقراء ، والاقوياء والضعفاء ، والسوقة والملوك ، لا تحابي رئيساً على مرؤوس ، ولا صاحب منصب في دنيا أو دين ، اقامه حجة على جميع البشر ، وجعل أمته شهداء على الامم ، وجعله هو الشهيد على أمته ، اذا انحرفت عن هدايته ، أو قصرت في إقامة شريعته ، (٣٣ : ٤٥ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ٤٦ وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً ٤٧ وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيراً ٤٨ ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا)

وقد بلّغ — بأبي هو وأمي — الدعوة ، واقام الحجة ، وبين المحجة ، فكان المثل الاعلى في الحق والعدل ، والرحمة والفضل ، عانده الجبارون المتكبرون ، واستجاب له الفقراء المستضعفون . فنصر الله الفقر على الغنى والثروة ، والضعف على الشدة والقوة ، بل نصر غنى النفس على غنى المال ، وقوة الحق على قوة الباطل ، وجعل الفوز لجهاد القرآن ، على جهاد السيف والسنان ، فانتظم عصره في سلك دينه ما كان مبعثراً من قبائل العرب ، ودان لخلفائه من بعده أعظم شعوب العجم ، وعم النور جميع الامم ، فأحيا الاسلام العلوم والفنون ، وابتكر حضارة طريفة لم تر مثلها عيون القرون ، جمعت بين العلم والدين ، وألفت بين لذة الجسد والنفس ، ولذة الروح والعقل ، وأقامت ميزان العدل بين المختلفين في الدين والجنس والصفات ، وألغت ما كان من التفاضل والامتياز بين الناس في الانساب والطبقات ، وحصرت الفضل في الايمان

والتقوى وعمل الصالحات (٤ : ١٧٣ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً ١٧٤ فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطاً مستقيما) ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

أما بعد فان المنار يذكر قراءه في فاتحة مجلده الرابع والعشرين، بمثل سنته في فواتح ماغبر من السنين، من العبرة بشؤون الاجتماع والعمران، وتنازع عوامل الصلاح والفساد في الانسان، وما يناسب ذلك من هداية القرآن، حجة الله البالغة بما فيه من آيات العلم والتبيان، المناسبة لكل زمان ومكان، وصفة من هو كل يوم في شان، ذلك بأن المنار انما أنشىء لايقاظ الشرق وتجديد الاسلام، باعادة تكوين الامة، وحياة الملة والدولة، لا لفروع الفقه وأصول الكلام، ولا لجدليات المذاهب الدينية، ولا تأييد العصبيات الجنسية، ولا لنشر ما يجدد في قضايا العلوم ونظريات الفلسفة، أو مخترعات الفنون وعجائب الصناعة، ولا لقصص التاريخ ونوادر الفكاهات، ولا لجوائب الحوادث وأخاديع السياسات، بل كل ما يذكر فيه مما يدخل من هذه الابواب، فانما يولي وجهه شطر ذلك المحراب لان الامة اذا حييت أحيت من العلوم ما كان ميتاً، وأنشرت من الفنون ما كان رميما، واذا ماتت أماتت معها ما كان حيا، ودرست ما كان مدروساً مرويا، وان الغذاء اللطيف قد يزيد الممعود الدوي دوى، والغذاء الخشن يزيد المتمعدد القوي قوى (٢٥ : ٥٠ لقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفوراً ٥١ ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً ٥٢ فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيرا)

ما كل من أعرض عن آيات الله في القرآن ، يستطيع أن يعرض عما يصدقه من آياته في الاكوان ، ومن آياته الماثلة امام الناظرين ، فضيحة هذه المدنية المادية التي فتنت أوربة بها المسلمين ، فقد ظهر لهم ما كان خفياً من فسادها ، وذهب بهيبتها ما كان من الفظائع في حربها ، ومن آياته أن ثلّ عروش دولها المقهورة ، وزلزل أركان دولها المنصورة ، وضعضع ثروتها ، وأوقع الاضطراب في معيشتها . ومن آياته أن نقض غزل عهودها أنكاثا . واجتث شجرة وحدتها اجتثاثا . فبدت خبايا نبائثهم ، وفضحت خبايا خبائثهم . ومن آياته أن أذل جبروت أعظم دولة قاهرة ، بفئة من أضعف دولة مقهورة . فوطيء بها شم معاطسهم ، وطأطأ من إقماح أرؤسهم ، وطأ من من افراط تغطرسهم . حتى جنحت تلك الدولة العاتية المتكبرة ، الى مصالحة تلك الفئة التي كانت تسميها المشرّدة المتمردة . واضطرت الى الرضى بمساواتها في مؤتمر السلم ، بعد أن كانت تستكبر أن توقفها موقف المجرم لسماع الحكم . ومن آياته ان سخر ما بقي من قوة الامة الروسية ، لحفظ ما بقي من استقلال الدولة التركية . بعد ان كانت هي الخطر على استقلالها ، والمجدة في تقطيع أوصالها . ومن آياته أن أبطر الامم الغالبة بمظهر غلبتها وان لم تكن بمحض قوتها ، فأصرت على غيها ، واستمرأت مرعى بغيها ، لتحق عليها كلمة الانتقام من الظالمين ، وتدمير فسقة المسرفين ، (٢٥ : ٢١ لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً * ١٧ : ١٦ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً)

عسى أن يكون الباغون قد بلغوا أوج العلوّ ولم يبق الا الهويّ ،

وأن يكون ما بلغناه هو منتهى الحدور وما ثم الا الرقي ، فان الوقوف في عالم الحياة محال ،وإنا وإياهم لفي انتقال، وإنا كلاًّ منا لعُرضة للغرور فيه والضلال، وان الغرور لمحبطة للعمل، وان الضلال لمدرجة للزلل، وانا ليعوزنا من القوة والبصيرة في بطء الصعود ، فوق ما يعوزهم من الحكمة والروية في سرعة الهبوط ، وانهم لأعلم منا بسنن الله في البشر ، وبأيديهم ما ليس بأيدينا من وسائل الحذر ، وأسباب اتقاء الخطر ، وإنا لا ينبغي لنا ان نغتر بما نرى من تفرق قوتهم ، مع ما نعلم ويعلمون من عدم اجتماع قوتنا ، ولا بما انفصم من عروة وحدتهم ، ولما نوثق عروة وحدتنا. فان عطف بعضهم على بعضنا عطفا سياسيا سلبيا ، فان منا من يواليهم على أمته ولاء إيجابيا . (٢٥ : ٢٠ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون ؟ وكان ربك بصيرا (٢٥) أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا (٢٦) أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ؟ ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا)

قد كان لنا جامعتان سعد سلفنا بالاعتصام بهما، وشقي خلفنا بالتفرق والاختلاف فيهما : جامعة علمية روحية وهي كتاب الله وما بينه من سنة خاتم النبيين ، وجامعة سياسية عملية وهي الامامة العظمى وما بينها من سيرة خلفائه الراشدين ، وهدي السلف الصالحين وهذه متممة للاولى ومنفذة لها ، وان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، تفرقنا في القرآن بالتأويل فذهبنا مذاهب جعلت الملة الواحدة مللا ، وتفرقنا في الامامة بالعصبيات فصارت الامة أمما والدولة دولا ، ثم أعرضنا عن كل من الجامعتين كلتيهما، وبطل الاقتداء بالامامين مع احترام اسميهما أو كلتيهما، فجمد بعضنا

على ظواهر بعض الكتب التقليدية، وفتن بعضنا بالقوانين والنظم الاوربية، وروابط شعوبها الجنسية والوطنية، وآدابها وعاداتها الشخصية والاجتماعية، ومرت القرون وتعاقبت الاجيال. ونحن على هذا الضعف والانحلال والمدعون للامامة العظمى فينا بين معتزل في شاهق جبل، قد ضاقت به الحيل، لا يعرف من أمر من وراءه من المسلمين رفا ولا نكرا ولا يعرفون من أمره نهيا ولا أمرا. وبين ناعم في قصور جنانه، بين قيانه وقيانه، مستبد في سلطانه، عاص لربه مطيع لشيطانه، مفقر لرعيته مغن لاخدانه : مستغن بمدح كذبة الجرائد، وخطباء الفتنة في المساجد، يتلون بين يديه في كل جمعة (يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) غشا للامة وتضليلا، ويسكتون عن قوله تعالى بعده (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) ولسان حال الرعايا يجيبهم بقوله عز وجل (ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا)

كنت كتبت في فاتحة السنة الاولى للمنار، ان من أصول خطته بيان حق الامام على الامة وحقوق الامة على الامام. فلما قرأتها على الناصح الامين مستشيراً بها، اقترح ترميج هذه الكلمة منها، وقال ان المسلمين لم يبق لهم إمام الا القرآن، وان البحث في الخلافة وما يجب على السلطان فتنة للناس، فوافقته على حذف الكلمة، ولكن لم يسعني ترك البحث في المسألة. بل نشرت في المجلد الاول بضع مقالات في فساد حال المسلمين واضمحلالهم بافساد أمرائهم وعلمائهم ومرشديهم، بينت فيها مثار فساد الدنيا والدين، خروج الخلافة عن الاساس الذي أقامه عليه

الاسلام في عهد الراشدين، وكتبت بعد ذلك مقالات في الاصلاح المقترح على مقام الخلافة الاسلامية ، على العلم بانها لم تكن الا اسمية أو وهمية. فكان جزاء المنار على أمثال هذه المباحث الاصلاحية، تحريمه على البلاد العثمانية وتعذيب آل بيتنا في ديار الشام ، وفاقا لما نصح لنا به الاستاذ الامام ، بل هي التي صدت الكثيرين عن المنار ، الذين كانوا يقدسون السلطان عبد الحميد في هذه الديار ، وفي سائر ما استعبد الاجانب من الاقطار ، على حين يعده جميع مسلمي العثمانيين ، أفضل الجهاد لاحياء الدولة والدين ، ولولا الاخلاص لعدونا ذلك النصب الى ذرى المناصب ، والمتربة الى علو المراتب والرواتب ، ولقد دعينا اليها فأبيناها ، وسئلنا الفتنة فما آتيناها ، ولقد سئلها كثيرون فآتوها وما تلبثوا بها الا يسيراً ، (سُنَّةَ اللهِ فِي الذينَ خَلَوْا مِن قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً)

ونحمد الله أن كان من آثار ما أحدثت الحرب العامة من التطور العام أن وضعت هذه المسألة موضع البحث في هذه الايام ، بعد ان دك أحرار الترك هيكل تلك الاوهام التي كانت تشبه معابد الاصنام ، فكان أهم ما يعنى به المنار من خدمة الاسلام ، أن يوفيها حقها من تحقيق أحكامها الشرعية ، وبيان وسائلها العملية ، وموانعها السياسية والاجتماعية ، ليكون الساعون إلى إقامتها على بصيرة من أمرهم فيها ، مهتدين بكتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم (١٧ : ٩ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقومُ ويبشرُ المؤمنينَ الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ٣٣ : ٢١ لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليومَ الآخرَ وذكر اللهَ كثيراً)

ألا إن إقامة الإمامة هي التي تحيي هذه الأمة ؛ ولكن أمرها لا يزال عمة ليس وراءها غمة ، وإنها لترهق حاولها صعوداً ، وتتقحم به كؤداً ، وتجشمه منالا بعيداً ، يركب فيه الشبهة ، ويخبط في ديجوره المشرف؛ وإن أسعد الناس بها لأزهدهم فيها ، وان اطمعهم فيها لاعجزهم عنها، وان أقربهم منها، لأبعدهم عنها ؛ فلا الوسيلة ممهدة ، ولا السبيل معبدة ، وانما كل الفرصة السانحة أن مسكتي الألسنة عنها قد أنطقوها ، وحاظري اجالة الرأي فيها قد أباحوها ، أهل الحرص عليها، يتخبطون فيها ، فوجب على أهل الحقيقة أن يقولوها . وعلى عارفي الطريقة أن يسلكوها ، وعلى حاملي الامانة أن يؤدوها (٣٣ : ٧٠ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً (٧١) يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) منشيء المنار

محمد رشيد آل رضا الحسيني الحسني

﴿ الدعوة الى انتقاد المنار ﴾

فدعونا كل من يطلع على المنار أن يكتب الينا بما يرى فيه من خطأ أو خطل ، مبيناً ذلك بالدليل ، من غير استطراد ولا تطويل ، فانه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتعاون على البر والتقوى ، وقد أمر الله تعالى به في كتابه ، ونحن نعد بأن ننشر ذلك بشرطه ونعترف لكل ذي حق بحقه وليس لنا فيما ننشر هوى فننصر عليه ، ولا منفعة مادية فنحرص على استبقائها، ولا ، جاهة عصبية فنخشى اضاعتها ، بل لا نزال مستهدفين لخسارة المال ، واسخاط جميع مصادر الجاه ، ولكن في سبيل الله (وما عند الله من خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون)

﴿ الملحق الفني التابع لفتوى طهارة الكحول في ج ٩ م ٢٣ ﴾

(بقلم الطبيب العالم الشهير احمد بك عيسى)

الكؤول alcohol كلمة عربية الاصل اصلها كحول وهي المادة الدقيقه اللطيفة التي يتكحل بها وقد اقتبسها الافرنج من اللغة العربية في العصور

الوسطى واطلقوها مجازا على المادة اللطيفة المعروفة ولم يتوصل الباحثون في كيمياء العرب الى الآن الى معرفة الزمن الذي اقتبست فيه ولا الكتاب الذي اقتبست منه واطلقت على هذه المادة ولا أول من اقتبسها وقد كتب في ذلك العالم الكيموي الشهير بريتلوا في كتابه المعنون «كيمياء العصور الوسطى jachisnie au moieu âge والسبب في تسميتها (اسبرتو) هو أن الكحول كانت في الابتداء تستخرج من النبيذ ولذلك كانت تسمى روح النبيذ Espit aie uin فاخذت الكلمة الاولى وعربت (اسبرتو) بمعنى روح والكحول هذه مائع شفاف لا لون له طعمه حامز قارص عطري الرائحة ساطع يلتهب ويغلي على درجة ٧٨ مئوية ووزنه النوعي ٧٩ر. وتستخرج الكحول من تقطير الموائع السكرية والمخمرة ومن المواد السكرية والنشوية على وجه العموم) واذا التهب الكحول استحال الى ماء وكربون واذا خلط بالاحماض الجاويك والكبريتيك والازوتيك والفصفوريك تولد من خلطها موائع اخرى تسمى الاثيرات (جمع إثير)

وللكحول انواع عديدة بحسب عدد جواهر الكربون والايدروجين الموجودة فيه

وتستعمل الكحول مذيبة لكثير من المحضرات الاقرباذينية كالاصباغ مثل صبغة اليود وغيرها كثيرا جدا وتستعمل كذلك في الاطلية والدهون وفي العطور . وهي مطهرة من الظاهر مانعة للعفونة وقابضة تقطع الازفة ولها استعمالات اخرى كثيرة لا يستغنى عنها

﴿ ملحق آخر للصيدلي الشهير محمد علي بك نصوحي ﴾

الكؤول سائل يشبه الماء شفاف خفيف قابل للالتهاب بسرعة سريع التبخر يستحصل عليه بواسطة الانبيق (التقطير) من بمداختمار العنب . والقصب والبلح . والخشب . والبنجر وجميع الاثمار المعروفة في العالم

تستعمل هذه المادة أي الكؤول في اكثر السوائل بل جميعها تقريبا الآن الصفات والخلاصات المستعملة في فن الطب لا يمكن استحضارها الا بواسطة الكؤول

ويستعمل في دهانات اللوسز أي على الاخشاب وفي غالب الروغنات الطبية التي تستعمل للتدليك وللدهان وله منافع عديدة في فن الطب والاقرباذين وكذا الاعطار التي من نوع الكلونيا المعروفة عند القريب والبعيد المتداولة في العالم

فتاوى المنار

استعمال الذهب والفضة

(س١) من صاحب الامضاء ببيروت

حضرة صاحب الفضل والفضيلة مولانا الاستاذ المحترم السيد محمد رشيد افندي رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته — وبعد فاني أرفع لفضيلتكم السؤال الآتي راجيا التكرم بالاجابة عليه ولسيادتكم من الله تعالى جزيل الاجر، ومني عظيم الشكر: جاء في باب الشرب في آنية الذهب بالجزء الثامن من صحيح الامام البخاري رضي الله تعالى عنه من حديث ابن أبي ليلى قال كان حذيفة بن اليمان بالمدائن فاتاه دهقان بقدح من فضة فرماه به فقال اني لم أرمه إلا اني نهيته فلم ينته وان النبي صلى الله عليه وسلم نهانا عن الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة. وفي باب آنية الفضة التالي للباب المذكور من حديث ابن أبي ليلى بطريق غير الطريق الاول قال خرجنا مع حذيفة وذكر النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تشربوا في آنية الذهب والفضة » وفي حديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم من الباب المذكور ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الذي يشرب في آنية الفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم » وفي حديث البراء بن عازب التالي لهذا الحديث قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع الى ان قال ونهانا عن خواتيم الذهب وعن الشرب في الفضة أو قال آنية الفضة اهـ. والمنصوص في مذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه تحريم الفضة مطلقاً على الرجال الا ما استثني من نحو الخاتم وعلى النساء مطلقاً الا للتحلي . وفي الجزء الاول من كتاب الترغيب والترهيب للامام الحافظ زكي الدين بن عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (صحيفة ١٤٤ طبعه أولى سنة ١٣٢٤ بالمطبعة الشرفية) مانصه وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أحب ان يحلق حبيبه حلقة من نار فليحلقه حلقة من ذهب ومن أحب أن يطوق حبيبه طوقا من نار فليطوقه طوقا

من ذهب ومن أحب أن يسور حبيبه بسوار من نار فليسوره بسوار من ذهب ولكن عليكم بالفضة فالعبوا بها » رواه أبو داود باسناد صحيح وقد نقل صاحب الكتاب المذكور عن المحلى الجواب عن الاحاديث التي ورد فيها الوعيد على تحلي النساء بالذهب قبل هذا الحديث ولم يجب عن هذا الحديث المفيد بظاهره إباحة الفضة مطلقاً للرجال ولو في غير الخاتم وللنساء ولو في غير الحلي فتفضلوا حفظكم الله ببيان الجمع بين الاحاديث المذكورة وحديث أبي داود المذكور على فرض مساواته لاحاديث البخاري وببيان دليل تحريم غير الشرب من انواع الاستعمال وببيان وجه تحريم غير الآنية كساعة الجيب وساعة اليد وأسورتها والازرار والانواط ويد العصا والختم ونحو ذلك من أنواع الاستعمال ولفضيلتكم الاجر

عبد الحفيظ ابراهيم اللاذقي الشافعي مذهبا ببيروت

(ج) مذهب الظاهرية نفاة القياس كالامامين داود وابن حزم وكثير من فقهاء الحديث الذين يثبتون القياس ان التحريم الديني لا يثبت بالقياس ولهم في ذلك ادلة بسطناها في التفسير وفي مواضع اخرى من المنار منها حديث « وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » فهؤلاء كلهم يبيحون استعمال الذهب والفضة في غير الاكل والشرب وما ورد من حلية الرجال دون غيرها بقاعدة البراءة الاصلية واصل اباحة الزينة الثابت بنص قوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) الآية ، واستعمال الفضة خاصة بما ذكر من حديث أبي موسى الاشعري وبحديث «ولكن عليكم بالفضة فالعبوا بها لعبا » رواه احمد وكذا أبو داود من حديث أبي هريرة كما تقدم في السؤال . وليس عند الشافعية وغيرهم دليل على تحريم كل استعمال للذهب والفضة في غير حلية النساء وخاتم الفضة للرجل والضبة بشروطها الا القياس، والقياس حجة مختلف فيها بين علماء السلف والخلف وقد بسطنا أدلة المثبتين والنافين وحققنا المسألة في تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم) الآية فليراجعها السائل اذا أحب أن يكون على بصيرة في دينه في أمثال هذه المسألة (١)

(١) تراجع علاوة تفسير الآية ص ١٣٨ ـ ٢٠١ ج ٧ تفسير

وليراجع أيضا تفسير (اليوم أكملت لكم دينكم) وكلاهما في سورة المائدة (١) ولعل قلبه يطمئن حينئذ بأن عقائد الدين وعباداته والمحرمات الدينية إنما تثبت بالنص أو فحواه بشرطه دون القياس، وناهيك بقياس معارض للاصول القطعية ونصوص الكتاب والسنة كتحريم الزينة والطيبات بغير نص يصلح مخصصا لعموم الزينة في آية الاعراف . وانما القياس والاجتهاد في الامور القضائية ونحوها من المعاملات التي لا تحصر جزئياتها وتختلف باختلاف العرف والزمان والمكان ولا سيما السياسي منها ،

ومن التعليلات التي يذكرها بعضهم للتحريم كسر قلوب الفقراء ، ومقتضاها ان الغني يجب ان يكون طعامه ولباسه ومسكنه كالفقير ، وهذا أمر مردود بنصوص الكتاب والسنة ومخالف لكلامهم في النفقات ، ويفضي العمل به الى فساد العمران فراجع تفسير (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) في المجلد ٢٣ المنار

﴿ كتب ابن تيمية وابن القيم والشوكاني والسيد حسن صديق ﴾

(س٢) ومنه ماقولكم رضي الله تعالى عنكم في مؤلفات وفتاوى الشيخ تقي الدين ابي العباس احمد ابن تيمية الحنبلي والشيخ شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي بكر الشهير بابن قيم الجوزية الحنبلي والشيخ محمد بن على الشوكاني اليماني والعلامه السيد ابو الطيب صديق بن حسن بن على بن لطف الله الحسيني القنوجي البخاري هل هي من الكتب المعتمدة المتلقاة كثيرها بالقبول ام هي من الكتب المطروحة التي لا يعول عليها ولا يجوز النقل عنها والافتاء بما فيها ؟ تفضلوا حققوا لنا ذلك فان المطلوب النقل منها وهي موجودة لدينا فقال بعض أهل العصر هذه الكتب لا يعول عليها ولا يلتفت اليها ، بل هي من الكتب غير المعتمدة . تفضلوا افيدونا ولفضيلتكم من الله تعالى جزيل الاجر ومنا عظيم الشكر

(ج) قد سئلنا من عهد قريب عن كتب الشيخين الاولين وأجبنا عنه . ونقول الآن ان كتب هؤلاء العلماء الاعلام من أفضل ما اطلعنا عليه من كتب علماء الاسلام ، من حيث انهم جمعوا بين العلم بالكتاب والسنة رواية ودراية وبين

(١) ص ١٥٤ - ١٦٧ ج ٦ تفسير

الاطلاع على كتب مذاهب علماء الامصار الذين يقلدهم الناس وغيرهم ولم يلتزموا التعصب لامام معين ولا لاهل مذهب بل محصوا الادلة ورجحوا ما كان دليله أقوى . فكتبهم أحق بالاستفادة منها من كتب المقلدين لمذهب معين يتمسكون بأقوال أهله وان خالفت النصوص الصريحة ، والاحاديث الصحيحة وأكثرها خلو من الادلة مطلقا أو أدلة المخالف . وقد طبعت هذه الكتب وقرظها بعض كبار العلماء ولا يزل اهل العلم الصحيح وطلابه يتنافسون فيها وسوقها أروج من غيرها ومنها ما تكرر طبعه. وقد كان نيل الاوطار يباع بجنيهين وهو يساوي الآن بضعة جنيهات وقلما يوجد . وانما ينهى بعض المقلدين للمذاهب المشهورة عنها كما ينهون عن العمل والفتوى بمذاهب الصحابة والتابعين بغير حجة الا ما نذكره قريبا من الاعتذار عن ذلك ،

ولو خرج أحد الائمة الاربعة من قبره ورأى هذه الكتب لفضلها على جميع كتب المقلدين له ، لانها قلما تخالف غيرها الا بترجيح حديث صحيح على ضعيف أو على قياس ، وهذا أصل مذاهبهم كلهم رضي الله عنهم ،ولكن المنتمين الى مذاهبهم اتخذوا أقوالهم وأقوال كبار اصحابهم اصولا في التشريع ودلائل على حكم الله ويوجبون تقليدهم في كل ما روي عنهم وان خالف نصوص الشارع أصولهم التي بنوا عليها مذاهبهم، وكلهم يتبرأ من ذلك .وهذا كتاب مختصر المزني صاحب الامام الشافعي قد افتتحه بعد البسملة بقوله: «اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن ادريس الشافعي لاقربه على من اراده مع إعلاميه نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحتاط لنفسه» لمثل هذا النظر والاحتياط استنبطوا وألفوا وهو ما نقتدي بهم فيه عند النظر في الكتب المسؤل عنها فلا نتبع أصحابها في فهمهم تقليدا بل يستعين بها ككتب الائمة الآخرين على معرفة الراجح في مسائل الخلاف

وقد اعتذر بعض علماء التقليد عن هذا التحكم بحصر العمل والفتوى في مذاهب الأئمة الاربعة عند اهل السنة بان مذاهبهم هي التي دونت واستمر العمل عليها ووسعت مباحث الفروع فيها فاستغني بها عن غيرها من المذاهب المندرسة مع الاعتراف بالاجتهاد لأهلها

وأجبنا عن هذا (أولا) بأن السنة وآثار الصحابة قد نقلت نقلا أصح من نقل المذاهب بالاسانيد التي وضعت لها كتب الجرح والتعديل وعلل الحديث

وشروحه وهي أصل هذه المذاهب كلها بعد القرآن فلماذا لايكون العمل به اهو المقدم على كتب الفقه التي تكثر فيها ادلة الاقيسة والرأي التي اختلف علماء السلف في الاحتجاج بها ولاسيما قياس الشبه ومافيه من مسالك العلة التي يتعذر إثبات شرعيتها. وثم مذاهب أخرى منقولة مدونة و يعمل بها ملايين من المسلمين كمذاهب آل البيت النبوي (وثانيا) بأنهم قالوا ان اختلاف العلماء رحمة للامة فلماذا نضيق باب هذه الرحمة عليها بحصر الاستفادة بواحد نحرم الاستفادة من غيره بتسميته تلفيقا ونخالف السلف الصالح الذين كان عوامهم يستفتون كل عالم يوثق بعلمه

مثال ذلك ان الشافعي واحمد رحمهما الله تعالى كانا شديدي الورع وكانت حضارة الاسلام قد اتسعت في زمانهما ولاسيما في بغداد ومصر مصدر علمهما فكان لهذين الامرين تأثير عظيم في اجتهادهما في مسائل الطهارة والنجاسة على سعة علمهما بالسنة وبما كان عليه الصحابة في عصر التشريع من الضيق وقلة الماء حتى ان مقلديهما يكثر فيهم الحرج والوسواس في الطهارة — فلماذا نحجر على الامة ان تطلع على فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية — الذي قال بعض العلماء في استحضاره لنصوص الكتاب والسنة عند بحثه في كل مسألة كأنها قد كتبت في كفه — وأن تأخذ بما أثبته بعد بيان أدلة المذاهب الاربعة وغيرها من طهارة كل ماء ومائع لم يتغير بالنجاسة التي تصيبه وهو قول طائفة من كبار علماء الصحابة والتابعين وعلماء الامصار المجتهدين كابن مسعود وابن عباس والزهري وابي ثور والظاهرية؟ وهو يميل الى مذهب الامام مالك في مسائل النجاسات ككثير من محققي المذاهب الاخرى ومنهم الغزالي من الشافعية ، ومالك لم يأخذ علمه في أمثال هذه المسائل العملية من الاستنباطات اللفظية فقط بل كان مرشده فيها عمل أهل المدينة من التابعين الذين تلقوا عن الصحابة (رض) وما من مجتهد الا وقد انفرد بمسائل ردها عليه غيره وما زال العلماء المنصفون يعذر بعضهم بعضا في المسائل الخلافية التي لم يجمع عليها أهل الصدر الاول وأولى الجميع بأن يرجح كلامه من لايقول الا بدليل ولايكلف احداً ان يعمل الا بما يظهر له صحة دليله كأصحاب الكتب المسؤل عنها والله قد أرشدنا الى اتباع الاحسن وهو لايعلم الا بالنظر في الادلة

الجامعتان الاسلامية والشرقية

دعوة السيد الأفغاني اليهما — تأثير دعوته بعد جيل كامل في الشعوب الاعجمية — جمود جزيرة العرب واضطراب العراق وسورية — الانكليز مثيرو الفتنة وعليهم تقع تبعتها

كانت فكرة الجامعة الاسلامية خيالا لاح في أذهان بعض رجال السياسة في أوربة فطفقوا يبحثون فيه ، ويصورون لاقوامهم قوادمه وخوافيه ، حتى صار الكثيرون منهم يحسبون أنه حق لا ريب فيه

أثار هذا الخيال في تلك الادمغة كثرة التفكر في تاريخ الشعوب الاسلامية التي أسرعت أوربة في ثل عروشها، واستعباد امرائها وملوكها ، والتمتع بخيرات بلادها ، فان المطلع على ذلك التاريخ الفياض بما كان لها من العزة والبأس في الحرب، والعلم والحكمة وإقامة العدل، جدير بأن يحسب لانتقاضها على المستذلين لها الف حساب، وان استحوذ عليها الجهل ،وحرقت نسيج وحدتها المداوات الجنسية والمذهبية ، فصار بأسها بينها شديداً ، وقيادها للاجانب لينا سلساً، ولئن نبهت مباحث أولئك السياسيين بعض الاذكياء الى هذا الامر العظيم ، فلم يكن في استطاعتها أن تحفز همة أحد من امرائهم ولا من كبراء الهمم والعقول فيهم الى السعي له والدعوة اليه، ولئن وجد أفراد منهم السلطان عبد الحميد أحبوا أن يستفيدوا من حذر الاوربيين منه بإيهامهم إياهم أنهم يعدون له عدته ، ويتخذون له أهبته ، فقد كان من تأثير هذا الايهام مبادرة أولئك الحازمين الى قطع طرقه ، والاسراع بالقضاء الى ما بقي لتلك الشعوب من ذماء الاستقلال ورمقه

إي وربي ، ان الشعوب الاسلامية لم تنجب من بعد الحروب الصليبية رجلا عظيما عالي الهمة، يسعى الى جمع كلمة المسلمين وتوحيد قوامم المتفرقة لدفع عوادي الذل والاستعباد عنهم ، لا بدعوة علمية اجتماعية ، ولا بتأليف قوة عسكرية عصرية ، الا «السيد جمال الدين الحسيني الافغاني» حكيم الشرق ، وحافزه لتحرير نفسه من الرق ، فهو الذي اهتدى بذكائه ونظره البعيد وفكره الوقاد، الى تدارك الاسلام، وانقاذ الشرق من الاستعباد ، بالسعي الى هذا الاتحاد ، فطاف لاجله البلاد ، ونادى به على رؤوس الاشهاد ، فلم تكن دعوته

في عصره صرخة في واد ، أو نفخة في رماد ، بل كان في خلل الرماد وميض نار ، طار شرارها كل مطار، حتى عم بعده الاقطار

ألقى بذور دعوته الاولى بمصر وكانت عنايته فيها موجهة الى إحياء الشعب المصري لتكون مصر مركز الدعوة العامة ، وتكون دولة وادي النيل هي الدولة القوية التي تعتز بها الامة ، وتكون النواة لتنفيذ مذهبه السياسي في اعزاز الاسلام وتقليص ظل الدولة البريطانيـة عن رؤوس المسلمين .

وبعد ن نفي بتأثير الدسائس الانكليزية من مصر بث الدعوة الفعجمية العروة الوثقى وانشأ جريدتها في باريس للدعوة العامة الى الوحدة تحت لواء الخلافة الاسلامية — وكان جل سعيه وعمله فيها وراء الغاية العامة الدفاع عن مسألة مصر عقب الاحتلال ، وقد عني عناية خاصة بجمع الكلمة والتأليف بين الشعبين المتجاورين اللذين نشأ هو وكثير من آبائه وأجداده في بلادهما — أعني الشعب الافغاني والشعب الايراني وقد بينت جريدة العروة الوثقى — التي كانت تتجلى بها آراؤه بقلم مريده وصديقه شيخنا الاستاذ الامام (رحمهما الله تعالى) — الغاية وأشرعت السبيل ، وبينت الوسائل ، وارشدت الى إزالة الموانع ، وكان من رأيه أن تكون مكة المكرمة هي مركز الدعوة

كان لهذه الدعوة تأثير عظيم في العالم الاسلامي حتى كان العقلاء وأهل الرأي من قرائها في الاقطار المختلفة يعتقدون أنها لا تلبث أن تحدث انقلابا عظيما في الشرق — سمعنا هـذا من شيخنا الشيخ حسين الجسر الشهير في طرابلس ، ورواه لنا محمد علي بك المؤيد عن الزعيم الكبير السيد سلمان الكيلاني نقيب بغداد في ذلك العهد . بيد أن مصادرة الدولة البريطانية للجريدة ومنعها من مصر والهند وغيرهما من أقطار المشرق كانت سببا لترك الاستمرار على اصدارها فكان كل ما صدر منها ١٨ عددا . ولكنه لم يترك الدعوة والسعي الى الغاية بل بثها في البلاد الفارسية ثم في القسطنطينية ،

ثم قضى السيد وما قضى منها وطرا، ولم يقم بعده أحد بالدعوة، والسعي لها بمثل تلك القوة، بل ضعفت الرابطة الاسلامية، بما تغلب عليها من العصبية الجنسية، ولا سيما في الشعوب الاعجمية، بيد أن القوي في الضار قد يكون قويا في النافع، فهذه الشعوب التي كانت في غاية التعادي الجنسي ، وكانت قبل ذلك فيما هو أشد منه من التعادي المذهبي — هذا سني وهذا شيعي — ثابت الآن الى رشدها ، وعلمت

كل منها أن الوحدة هي التى تحفظ جنسها ودينها ومذهبها ، فمد كل منها يده الى الآخر يصافحه مصافحة الاخ لاخيه ، ويعاهده معاهدة الولي لوليه ،

تعاقد الترك والفرس والافغان ، وشدوا معاقد حلفهم ببخارى وخيوة وآذربيجان، وبثوا دعاية الولاية والبراءة فى سائر الشعوب الاسلامية في الشرق ، يؤيدها بالمال والرجال مسلمو الهند، بل شدوا أواخي الجامعة الشرقية، بوثنيي الهند ونصارى الروسية البلشفية ، التي سخرها الله لجهاد تأليه الثروة والعظمة الاوربية، والغرض العام لهذه الامم كلها تحرير الشرق من رق الجزيرة البريطانية، التي طمحت باستعبادها له الى منازعة الربوبية ، وما يتلو ذلك من تحرير سائر الشعوب المستضعفة .

كل هذا — والشعب العربي الذي ضعفت رابطته الجنسية بتعالم الاسلام، ووحدته الدينية باختلاف المذاهب وتنازع الحكام ، مصر على تفرقه غافل عما يراد به، حتى في مهد الاسلام من جزيرته، وقد رأى سوء عاقبة ذلك في سلب الاجانب لاستقلال أخصب بلاده ، ومحاولة انشاب براثنه في باقيها ، والاحاطة بها من أطرافها، وهو مع ذلك في غمة من أمره لايدري كيف يخرج منها . وانما الذنب في ذلك على ملوكهم وأمرائهم، الجاهلين بكنه تأثير دسائس أعدائهم، وتسخيرهم لمنع الجامعات الاسلامية والشرقية والعربية جميعا من حيث لا يشعرون، ولكن هذه السياسة الخبيثة ستنتهي بالخيبة . ولن ينقذ الانكليز من سوء عاقبة عداوتها الاسلام، اصطناع بضعة رهط من زعماء العرب بعضهم لبعض عدو، وودهم كله سلبي ، وهم عاجزون عن اقناع شعوبهم بصداقة الانكليز لهم ، مع احتلالها لاخصب بلادهم وإلقائها الفتن بينهم ، ولاهم قانعون بذلك فيقنعوا غيرهم، بل كل واحد منهم يكابر نفسه ويتأول لها ، ويخفي مودته ويتعذر عما ظهر منها. وانما تنقذ الانكليز سياسة أخرى عموا عنها وصموا وقد نصحوا وأنذروا، لاأقول سياسة الصدق والوفاء للعرب بل التحول عن محاولة استعبادهم من حدود برقة الى العراق وعمان ، وقتل الاسلام في مشرق نوره ومواطن حضارته، مع القضاء على بلاد الترك أمنع حصونه وأمضى أسلحته. فان كان الترك قد أفلتوا من الشرك الذي وقع فيه وحيد الدين، فسيفلت العرب مما وقع فيه أمثاله من المخدوعين ، (ولتعلمن نبأه بعد حين)

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾

من مقالات العروة الوثقى في الحث على الجامعة الاسلامية نشر منذ ٤٠ سنة (*

إن للمسلمين شدة في دينهم، وقوة في إيمانهم، وثباتاً على يقينهم، يباهون بها من عداهم من الملل. وإن في عقيدتهم أوثق الاسباب لارتباط بعضهم ببعض ومما رسخ في نفوسهم أن في الايمان بالله وما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم كفالة لسعادة الدارين، ومن حرم الايمان فقد حرم السعادتين، ويشفقون على أحدهم أن مرق من دينه أشد مما يشفقون عليه من الموت والفناء، وهذه الحالة كما هي في علمائهم، متمكنة في عامتهم، حتى لو سمع أي شخص منهم في أي بقعة من بقاع الارض عالما كان أو جاهلا أن واحداً ممن وسم بسمة الاسلام في أي قطر ومن أي جنس صبا عن دينه رأيت من يصل اليه هـذا الخبر في تحرّق وتأسف، يلهج بالحوقلة والاسترجاع، ويعد النازلة من أعظم المصائب على من نزلت به، بل وعلى جميع من يشاركه في دينه، ولو ذكرت مثل هذه الحادثة في تاريخ وقرأها قارئهم بعد مئين من السنين، لا يتمالك قلبه من الاضطراب ودمه من الغليان، ويستفزه الغضب ويدفعه لحكاية ما رأى كأنه يحدث عن غريب، أو يحكي عن عجيب

المسلمون بحكم شريعتهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة على ما يدخل في ولايتهم من البلدان وكلهم مأمور بذلك لا فرق بين قريبهم وبعيدهم، ولا بين المتحدين في الجنس ولا المختلفين فيه وهو فرض عين على كل واحد منهم، ان لم يقم قوم بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع أعظم الآثام. ومن فروضهم في سبيل الحماية وحفظ الولاية بذل الاموال والارواح، وارتكاب كل صعب، واقتحام كل خطب، ولا يباح لهم المسالمة مع من يغالبهم في حال من الاحوال حتى ينالوا الولاية خاصة لهم من دون غيرهم، وبالغت الشريعة في طلب السيادة منهم على من يخالفهم الى حد لو عجز المسلم عن التملص من سلطة غيره، لوجبت عليه الهجرة من دار حربه . وهـذه قواعد مثبتة في الشريعة الاسلامية، يعرفها أهل الحق ولا يغيرمنها تأويلات أهل الاهواء وأعوان الشهوات في كل زمان

*) نشرت في العدد الخامس الذي صدر بباريس في ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٠١

المسلمون يحس كل واحد منهم بهاتف يهتف من بين جنبيه يذكره بما تطالبه به الشريعة وما يفرض عليه الايمان، وهو هاتف الحق الذي بقي له من إلهامات دينه. ومع كل هذا نرى اهل هذا الدين في هذه الايام بعضهم في غفلة عما يلم بالبعض الآخر، ولا يألمون لما يألم له بعضهم، فاهل بلوجستان كانوا يرون حركات الانكليز في افغانستان على مواقع انظارهم ولا يجيش لهم جأش ولم تكن لهم نعرة على اخوانهم، والافغانيون كانوا يشهدون تداخل الانكليز في بلاد فارس ولا يضجرون ولا يتململون. وان جنود الانكليز تضرب في الاراضي المصرية ذهابا وايابا تقتل وتفتك ولا ترى نجدة في نفوس اخوانهم المشرفين على مجاري دمائهم، بل السامعين لخريرها من حلاقيمهم، الذين احمرت احداقهم من مشاهدها بين ايديهم وتحت ارجلهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم

تمسك المسلمين بتلك العقائد واحساسهم بداعية الحق في نفوسهم مع هذه الحالة التي هم عليها مما يقضي بالعجب، ويدعو الى الحيرة ويسوق الى بيان السبب، فخذ مجملا منه: ان الافكار العقلية والعقائد الدينية، وسائر المعلومات والمدركات والوجدانيات النفسية — وان كانت هي الباعثة على الاعمال وعن حكمها تصدر بتقدير العزيز العليم — لكن الاعمال تثبتها وتقويها وتطبعها في الانفس وتطبع الانفس عليها، حتى يصير ما يعبر عنه بالملكة والخلق وتترتب عليه الآثار التي تلائمها

نعم ان الانسان انسان بفكره وعقائده، الا أن ما ينعكس الى مرايا عقله من مشاهد نظره ومدركات حواسه يؤثر فيه أشد التأثير فكل شهود يحدث فكرا، وكل فكر يكون له أثر في داعية، وعن كل داعية ينشأ عمل ثم يعود من العمل الى الفكر ولا ينقطع الفعل والانفعال بين الاعمال والافكار، مادامت الارواح في الاجساد، وكل قبيل هو للآخر عماد

ان للاخوة وسائر نسب القرابة صورة عند العقل، ولا أثر لها في الاعتصاب والالتحام لولا ماتبعث عليه الضرورات، وتلجيء اليه الحاجات، من تعاون الانسباء والعصبة على نيل المنافع، وتضافرهم على دفع المضار، وبعد كرور الايام على المضافرة والمناصرة تأخذ النسبة من القلب مأخذاً يصرفه في آثارها بقية الاجل، ويكون انبساط النفس لعون القريب وغضاضة القلب لما يصيبه من ضيم

أولكبة جاريا مجرى الوجدانيات الطبيعية، كالاحساس بالجوع والعطش والري والشبع، بل اشتبه أمره على بعض الناظرين فعده طبيعياً : فلو أهملت صلة النسب بعد ثبوتها والعلم بها، ولم تدع ضرورات الحياة في وقت من الاوقات الى ما يمكن تلك الصلة ويؤكدها أو وجد صاحب النسب من يظاهره في غير نسبه، أوألجأته ضرورة الى ذلك، ذهب أثر تلك الرابطة النسبية ولم يبق منها الا صورة في العقل تجري مجرى المحفوظات من الروايات والمنقولات . وعلى مثال ماذكرنا في رابطة النسب وهي أقوى رابطة بين البشر يكون الامر في سائر الاعتقادات التي لها أثر في الاجتماع الانساني من حيث ارتباط بعضه ببعض . ان لم يصحب العقد الفكري ملجيء الضرورة أو قوة الداعية الى عمل تنطبع عليه الجارحة وتمرن عليه ويعود أثر تكريره على الفكر حتى يكون هيئة للروح وشكلا من أشكالها فلن يكون منشأ لآثاره، وانما يعد في الصور الصور العقلية له رسم يلوح في الذاكرة عند الالتفات اليه كما قدمنا

بعد تدبر هذه الاصول البينة، والنظر فيها بعين الحكمة، يظهر لك السبب في سكون المسلمين الى ماهم فيه مع شدتهم و دينهم . والعلة في تباطؤهم عن نصرة اخوانهم، وهم أثبت الناس في عقائدهم، فانه لم يبق من جامعة بين المسلمين في الأغلب الا العقيدة الدينية مجردة عما يتبعها من الاعمال، وانقطع التعارف بينهم، وهجر بعضهم بعضا هجراً غير جميل. فالعلماء وهم القائمون على حفظ العقائد وهداية الناس اليها لاتواصل بينهم ولا تراسل، فالعالم التركي في غيبة عن حال العالم الحجازي فضلا عمن يبعد عنهم، والعالم الهندي في غفلة عن شؤون العالم الافغاني وهكذا، بل العلماء من أهل قطر واحد لا ارتباط بينهم، ولا صلة تجمعهم، الا ما يكون بين أفراد الطائفة لدواع خاصة من صداقة أو قرابة بين أحدهم وآخر. أما في هيئتهم الكلية فلا وحدة لهم، بل لا انساب بينهم، وكل ينظر الى نفسه ولا يتجاوزها كأنه كون برأسه

كما كانت هذه الجفوة وذاك الهجران بين العلماء كانت كذلك بين الملوك والسلاطين من المسلمين ؟ اليس بعجيب أن لاتكون سفارة للعثمانيين في مراكش ولا لمراكش عند العثمانيين . اليس بغريب أن لاتكون للدولة العثمانية صلات صحيحة مع الافغانيين وغيرهم من طوائف المسلمين في المشرق ؟

هذا التدابر والتقاطع وارسال الحبال على الغوارب عم المسلمين حتى صح أن يقال لا علاقة بين قوم منهم وقوم، ولا بلد وبلد، الا طفيف من الاحساس بأن بعض الشعوب على دينهم، ويعتقدون مثل اعتقادهم، وربما يتعرفون مواقع أقطارهم بالصدفة اذا التقى بعض ببعض في موسم الحجيج العام. وهذا النوع من الاحساس هو الداعي الى الاسف وانقباض الصدر اذا شعر مسلم بضياع حق مسلم على يد أجنبي عن ملته. لكنه لضعفه لا يبعث على النهوض لمعاضدته

كانت الملة كجسم عظيم قوي البنية صحيح المزاج فنزل به من العوارض ما أضعف الالتئام بين أجزائه فتداعت للتناثر والانحلال، وكاد كل جزء يكون على حدة وتضمحل هيئة الجسم

بدأ هذا الانحلال والضعف في روابط الملة الاسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وقتما قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن يحوزوا شرف العلم والتفقه في الدين والاجتهاد في أصوله وفروعه كما كان الراشدون رضي الله عنهم. كثرت بذلك المذاهب، وتشعب الخلاف من بداية القرن الثالث من الهجرة الى حد لم يسبق له مثيل في دين من الاديان. ثم انثلمت وحدة الخلافة فانقسمت الى أقسام: خلافة عباسية في بغداد وفاطمية في مصر والمغرب وأموية في أطراف الاندلس. تفرقت بهذا كلمة الامة وانشقت عصاها، وانحطت رتبة الخلافة الى وظيفة الملك فسقطت هيبتها من النفوس، وخرج طلاب الملك والسلطان يدأبون اليه من وسائل القوة والشوكة ولا يرعون جانب الخلافة

وزاد الاختلاف شدة وتقطعت الوشائج بينهم بظهور جنكيزخان واولاده، وتيمورلنك وأحفاده. وايقاعهم بالمسلمين قتلا واذلالا، حتى أذهلوهم عن أنفسهم. فتفرق الشمل بالكلية وانفصمت عرى الالتئام بين الملوك والعلماء جميعاً. وانفرد كل بشأنه. وانصرف الى ما يليه. فتبدد الجمع الى آحاده وافترق الناس فرقا كل فرقة تتبع داعياً إما الى ملك أو مذهب. فضعفت آثار العقائد التي كانت تدعو الى الوحدة. وتبعث على اشتباك الوشيجة، وصارما في العقول منها صورا ذهنية تحويها مخازن الخيال، وتلحظها الذاكرة عند عرض ما في خزائن النفس من المعلومات. ولم يبق من آثارها إلا أسف وحسرة يأخذان

بالقلوب عند ماتنزل المصائب ببعض المسلمين بعد أن ينفذ القضاء، ويبلغ الخبر الى المسامع على طول من الزمان . وما هو الا نوع من الحزن على الفائت كما يكون على الاموات من الاقارب لا يدعو الى حركة لتدارك النازلة، ولا دفع الغائلة

وكان من الواجب على العلماء قياماً بحق الوراثة التي شرفوا بها على لسان الشارع أن ينهضوا لاحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذي وقع في الملك بتمكين الاتفاق الذي يدعو اليه الدين، ويجعلوا معاقد هذا الاتفاق في مساجدهم ومدارسهم، حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهبطاً لروح حياة الوحدة، ويصير كل واحد منها كحلقة في سلسلة واحدة اذا اهتز أحد أطرافها اضطرب لهزته الطرف الآخر، ويرتبط العلماء والخطباء والائمة والوعاظ في جميع أنحاء الارض بعضهم ببعض، ويجعلون لهم مراكز في أقطار مختلفة يرجعون اليها في شؤون وحدتهم، ويأخذون بأيدي العامة الى حيث يرشدهم التنزيل وصحيح الاثر ، ويجمعوا أطراف الوشائج الى معقد واحد يكون مركزه في الاقطار المقدسة وأشرفها معهد بيت الله الحرام، حتى يتمكنوا بذلك من شد أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان والقيام بحاجات الامة اذا عرض حادث الخلل، وتطرق الاجانب للتداخل فيها بما يحط من شأنها، ويكون كذلك أدعى لنشر العلوم وتنوير الافهام وصيانة الدين من البدع، فان إحكام الربط انما يكون بتعيين الدرجات العلمية وتحديد الوظائف، فلو أبدع مبدع أمكن بالتواصل بين الطبقات تدارك بدعته ومحوها قبل فشوها بين العامة وليس يخاف على المتبصرين ما يتبع هذا من قوة الامة وعلو كلمتها ، واقتدارها على دفع ما يغشاها من النوازل .

الا أنا نأسف غاية الاسف اذ لم تتوجه خواطر العلماء والعقلاء من المسلمين الى هذه الوسيلة وهي أقرب الوسائل ، وان التفتت اليها في هذه الايام طائفة من أرباب الغيرة ، ورجاؤنا من ملوك المسلمين وعلمائهم من أهل الحمية والحق أن يؤيدوا هذه الفئة، ولا يتوانوا فيما يوحد جمعهم، ويجمع شتيتهم، فقد دارستهم التجارب ببيان لا مزيد عليه . وما هو بالعسير عليهم أن يبثوا الدعاة الى من يبعد عنهم، ويصافحوا بالاكف من هو على مقربة منهم، ويتعرفوا أحوال بعضهم فيما يعود على دينهم وملتهم بفائدة، أو ما يخشى أن يمسها بضرر، ويكونون بهذا العمل الجليل قد أدوا فريضة وطلبوا سعادة، والرمق باق والآمال مقبلة والى الله المصير .

الاحكام الشرعية

﴿ المتعلقة بالخلافة الاسلامية ﴾ (*

٢

تتمة الكلام في الشورى في الاسلام

(ومنها) مارواه الطبراني في الاوسط وابو سعيد في القضاء عن علي قال قلت يا رسول الله ان عرض لي أمر لم ينزل قضاء في أمره ولا سنة كيف تأمرني ؟ قال « تجعلونه شورى بين أهل الفقه والعابدين من المؤمنين ولا تقض فيه برأيك خاصة »

(ومنها) مافي صحيح البخاري عن ابن عباس : وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبابا . وذكر واقعة في رجوع عمر الى قول من يذكره بالقرآن ، وقال : وكان وقافا عند كتاب الله عز وجل — وما في الصحيحين وغيرهما من استشارة عمر في مسألة الوباء لما خرج الى الشام وأخبروه اذ كان في (سرغ) ان الوباء وقع في الشام ، فاستشار المهاجرين الاولين ثم الانصار فاختلفا . ثم طلب من كان هنالك من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فاتفقوا على الرجوع وعدم الدخول على الوباء، فنادى عمر بالناس : اني مصبح على ظهر — (أي مسافر ، والظهر الراحلة) فأصبحوا عليه ، فقال أبو عبيدة : أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها ياأبا عبيدة ؟ نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ، أرأيت لو كانت لك إبل فهبطت واديا له عدوتان احداهما خصبة والاخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ، وان رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ ثم جاء عبد الرحمن بن عوف فأخبره بالحديث المرفوع الموافق لرأي شيوخ قريش

٩ — التولية بالاستخلاف والعهد

اتفق الفقهاء على صحة استخلاف الامام الحق والعهد منه بالخلافة الى من يصح العهد اليه على الشروط المعتبرة فيه [1] أي في الامام الحق ، فالعهد

*) تابع لما في الجزء العاشر م٢٣ (١) آخر ص ٩ من الاحكام السلطانية

والاستخلاف لا يصح الا من امام مستجمع لجميع شروط الامامة لمن هو مثله في ذلك . هذا شرط العهد الى الفرد ، واستدلوا على ذلك باستخلاف أبي بكر لعمر ، وأما العهد الى الجمع وجعله شورى في عدد محصور من أهل الحل والعقد ، فاشترطوا فيه أن تكون الامامة متعينة لاحدهم ، بحيث لا مجال لمنازعة أحد لمن يتفقون عليه منهم ، وهو الموافق لجعل عمر إياها شورى في الستة (رض) قال الماوردي : وانعقد الاجماع عليها أصلا في انعقاد الامامة بالعهد وفي انعقاد البيعة بعدد يتعين فيه الامامة لاحدهم باختيار أهل الحل والعقد اه (آخر ص ١١)

وقد تمسك بهذا أئمة الجور وخلفاء التغلب والمطامع ولم يراعوا فيه ماراعاه من احتجوا بعمله من استشارة أهل الحل والعقد والعلم برضاهم أولا واقناع من كان توقف فيه ، والروايات في هذا معروفة في كتب الحديث ومن أجمعها (كنز العمال) وكتب التاريخ والمناقب — وأي عالم أو عاقل يقيس عهد أبي بكر الى عمر في تحري الحق والعدل والمصلحة — بعد الاستشارة فيه ورضاء أهل الحل والعقد به — على عهد معاوية واستخلافه ليزيد الفاسق الفاجر بقوة الارهاب من جهة ورشوة الزعماء من أخرى ؟ ثم ماتلاه واتبعت فيه سنته السيئة [1] من احتكار أهل الجور والطمع للسلطان، وجعله إرثاً لاولادهم أو لاوليائهم كما يورث المال والمتاع ؟ ألا إن هذه هي أعمال عصبية القوة القاهرة المخالفة لهدي القرآن ، وسنة الاسلام

ذكر الفقيه ابن حجر في التحفة اختصاص الاستخلاف بقسميه (الفردي والجمعي) بالامام الحق واعتماده ثم قال وقد يشكل عليه مافي التواريخ والطبقات من تنفيذ العلماء وغيرهم لعهود بني العباس مع عدم استجماعهم للشروط بل نفذ السلف عهود بني أمية مع انهم كذلك — الا أن يقال هذه وقائع محتملة انهم انما نفذوا ذلك للشوكة وخشية الفتنة لا للعهد بل هو الظاهر اه

وقال الماوردي في العهد المشار اليه في أول هذه المسألة : ويعتبر شروط الامامة في المولى من وقت العهد اليه . وإن كان صغيراً أو فاسقاً وقت العهد وبالغاً عدلا عند موت المولي لم تصح خلافته حتى يستأنف أهل الاختيار

(١) سنذكر بعض الروايات عن المحدثين في استخلاف يزيد بن معاوية

بيعته اه ونقل الحافظ ابن حجر في شرحه لحديث عبادة في المبايعة — وقد تقدم — انه لايجوز عقد الولاية لفاسق ابتداء ، وان الخلاف في الخروج على الفاسق فيما اذا كان عادلا وامامته صحيحة ثم أحدث جوراً اه

وقد علم مما اسلفنا ان العهد والاستخلاف بشروطه متوقف على اقرار اهل الحل والعقد له، واستدلالهم يقتضيه وان لم يصرحوا واما المتغلبون بقوة العصبية فعهدهم واستخلافهم كامامتهم ، وليس حقاً شرعياً لازماً لذاته، بل يجب نبذه كما تجب إزالتها ، واستبدال إمامة شرعية بها، عند الامكان والامان من فتنة اشد ضررا على الامة منها ؛ واذا زالت بتغلب آخر فلا يجب على المسلمين القتال لإعادتها

١٠ — طالب الولاية لا يولى

من هدي الاسلام ان طالب الولاية والامارة لاجل الجاه والثروة لا يولى فقد قال النبي (ص) لرجلين طلبا أن يؤمرهما « لن نستعمل على عملنا من أراده » وفي رواية « اننا لا نولي هذا من سأله ولا من حرص عليه » رواه الشيخان البخاري بهذا اللفظ ومسلم بلفظ « انا والله لا نولي على هذا العمل أحدا سأله ولا أحدا حرص عليه » وفي رواية للامام احمد « إن أخونكم عندنا من يطلبه » فلم يستعن بهما في شيء حتى مات . وسبب هذا المنع القطعي المؤكد بالقسم ان طلاب الولايات ولا سيما أعلاها وهي الامامة والحريصون عليها هم محبو السلطة للعظمة والتمتع والتحكم في الناس وقد ظهر انهم هم الذين أفسدوا أمر هذه الامة وأولهم من الجماعات بنو أمية وان كان فيهم أفراد ، بل منهم رجل الرجال وواحد الآحاد — عمر بن عبد العزيز خامس الراشدين — ولكنه لم يكن حريصاً على الامامة ولو أمكنه لاعادها الى العلويين ،

وذكر الحافظ في شرح الحديث المذكور آنفا كلمة حق في معناه عن المهلب قال : الحرص على الولاية هو السبب في اقتتال الناس عليها حتى سفكت الدماء واستبيحت الاموال والفروج وعظم الفساد في الارض بذلك . وهنالك أحاديث أخرى .

ولو حافظ المسلمون على اصل الشرع الذى قرر في عهد الراشدين في أمر الخلافة لما وقعت تلك الفتن والمفاسد ولعم الاسلام الارض كلها . وقد قال عالم ألماني لشريف حجازي في الآستانة : انه كان ينبغي لنا أن نضع لمعاوية تمثالا

من الذهب في عواصمنا ، لانه لو لم يحول سلطة الخلافة عما وضعها عليه الشرع وجرى عليه الراشدون لملك العرب بلادنا كلها وصيروها اسلامية عربية

١١ — إمامة الضرورة والتغلب بالقوة

اتفق محققو العلماء على أنه لايجوز ان يبايع بالخلافة الا من كان مستجمعا لما ذكروه من شرائطها وخاصة العدالة والكفاءة والقرشية ، فاذا تعذر وجود بعض الشروط تدخل المسألة في حكم الضرورات والضرورات تقدر بقدرها ، فيكون الواجب حينئذ مبايعة من كان مستجمعا لا كثر الشرائط من أهلها ، مع الاجتهاد والسعي لاستجماعها كلها ، قال الكمال بن الهمام في المسايرة : والمتغلب تصح منه هذه الامور للضرورة كما لو لم يوجد قرشي عدل أو وجد ولم يقدر على توليته لغلبة الجورة اه [١] قال هذا ردا على جماعة الحنفية في استدلالهم على عدم اشتراط العدالة في الائمة بقبول بعض الصحابة للولاية والقضاء من ظلمة بني أمية كمروان وصلاتهم معهم ، فراده بالامور — القضاء والامارة والحكم كما قاله شارح المسايرة

وقال السعد في شرح المقاصد : وههنا بحث وهو انه اذا لم يوجد امام على شرائطه وبايع طائفة من أهل الحل والعقد قرشيا فيه بعض الشرائط من غير نفاذ لاحكامه ، وطاعة من العامة لاوامره ، وشوكة بها يتصرف في مصالح العباد ، ويقتدر على النصب والعزل لمن أراد ، هل يكون ذلك إتيانا بالواجب؟ وهل يجب على ذوي الشوكة العظيمة من ملوك الاطراف ، المتصفين بحسن السياسة والعدل والانصاف ، ان يفوضوا اليه الامر بالكلية ، ويكونوا لديه كسائر الرعية ؟ وقد يتمسك بمثل قوله (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) وقوله (ص) « من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية » فان وجوب الطاعة والمعرفة يقتضي الحصول . اه [٢]

وانما فرض ان المبايعين في هذه الصورة بعض أهل الحل والعقد لانه اذا بايعه جميعهم ومنهم الملوك الذين ذكرهم تمت شوكته ونفذ حكمه قطعا ، وهذه الصورة تصدق على بعض خلفاء بني أمية وبني العباس الذين كانت تنقصهم العدالة

(١) ص ٢٧٨ و ٢٧٩ (٢) ص ٢٧٥ ج ٢

أو العلم الاجتهادي، وكان الجمهور يوجبون طاعتهم، ويصححون للضرورة إمامتهم اذا لم تتيسر بيعة أمثل منهم وان كان موجودا ، والمعتمد عند الحنفية ان امامتهم صحيحة مطلقاً لان العلم والعدالة عندهم ليست من شروط الانعقاد كما تقدم في محله . قال الكمال بن الهمام محقق الحنفية في المسايرة تبعا للغزالي : (الاصل العاشر) لو تعذر وجود العلم والعدالة فيمن تصدى للامامة — بأن تغلب عليها جاهل بالاحكام أو فاسق — وكان في صرفه اثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد امامته كي لا نكون كمن يبني قصرا ويهدم مصرا، واذا قضينا بنفوذ قضايا أهل البغي في بلادهم التي غلبوا عليها لمسيس الحاجة فكيف لا نقضي بصحة الامامة عند لزوم الضرر العام بتقدير عدمها . واذا تغلب آخر على ذلك المتغلب وقعد مكانه انعزل الاول وصار الثاني اماماً اه

وقال السعد في شرح المقاصد بعد ذكر شروط الامامة وآخرها النسب القرشي ما نصه : وأما اذا لم يوجد في قريش من يصلح لذلك أو لم يقتدر على نصبه لاستيلاء أهل الباطل وشوكة الظلمة وأرباب الضلالة فلا كلام في جواز تقلد القضاء وتنفيذ الاحكام واقامة الحدود وجميع ما يتعلق بالامام من كل ذي شوكة — كما اذا كان الامام القرشي فاسقاً أو جائراً أو جاهلا فضلا عن أن يكون مجتهداً . وبالجملة مبنى ما ذكر في باب الامامة على الاختيار والاقتدار . وأما عند العجز والاضطرار ، واستيلاء الظلمة والكفار والفجار ، وتسلط الجبابرة الاشرار ، فقد صارت الرئاسة الدنيوية تغلبية ، وبنيت عليها الاحكام الدينية المنوطة بالامام ضرورة ، ولم يعبأ بعدم العلم والعدالة وسائر الشرائط ، والضرورات تبيح المحظورات ، والى الله المشتكى في النائبات ، وهو المرتجى لكشف الملمات ، اه بحروفه [1]

والفرق بين هذه الخلافة وما قبلها بعد كون كل منهما جائزاً للضرورة أن الاولى صدرت من أهل الحل والعقد باختيارهم لمن هو امثل الفاقدين لبعض الشرائط، ولذلك فرضه المحقق التفتازاني قرشيا اذ القرشيون كثيرون دائما. وأما الثانية فصاحبها هو المعتدي على الخلافة بقوة العصبية لا باختيار أهل الحل والعقد له، لعدم وجود من هو أجمع للشرائط منه، فذاك يطاع اختيارا، وهذا يطاع اضطرارا،

(١) ص ٢٧٧ منه

ومعنى هذا ان سلطة التغلب كاكل الميتة ولحم الخنزير عند الضرورة تنفذ بالقهر وتكون أدنى من الفوضى . ومقتضاه انه يجب السعي دائما لازالتها عند الامكان ، ولا يجوز ان توطن الانفس على دوامها ولا أن تجعل كالكرة بين المتغلبين يتقاذفونها ويتلقونها ، كما فعلت الامم التي كانت مظلومة وراضية بالظلم لجهلها بقوتها الكامنة فيها ، وكون قوة ملوكها وامرائها منها ، ألم تر الى من استناروا بالعلم الاجتماعي منها كيف هبت لاسقاط حكوماتها الجائرة وملوكها المستبدين ، وكان آخر من فعل ذلك الشعب التركي ، ولكنه أسقط نوعاً من التغلب بنوع آخر عسى أن يكون خيرا منه ، وانما فعله تقليدا لتلك الامم الابية ، اذ كان جماهير علماء الترك والهند ومصر وغيرها من الاقطار ، يوجبون عليهم طاعة سلاطين بني عثمان ، ماداموا لايظهرون الكفر والردة عن الاسلام ، مهما يكن في طاعتهم من الظلم والفساد ، وخراب البلاد ، وارهاق العباد ، عملا بالمعتمد عند الفقهاء بغير نظر ولا اجتهاد ، وهذا من أسباب اعتقاد الكثير منهم ، أن سلطة الخلافة الشرعية ، تحول دون حفظ الملك والحياة الاستقلالية ، وسنفصل الكلام في هذا بعد وفيما يجب لجعل الحكم شرعياً اسلامياً

١٢ — مايخرج به الخليفة من الامامة

قال الماوردي بعد بيان ما يجب على الامام — وقد تقدم — : واذا قام الامام بما ذكرناه من حقوق الامة فقد ادى حق الله تعالى فيما لهم وعليهم ووجب له عليهم حقان الطاعة والنصرة — مالم يتغير حاله

« والذي يتغير به حاله فيخرج به عن الامامة شيئان أحدهما جرح في عدالته ، والثاني نقص في بدنه ، فأما الجرح في عدالته فهو على ضربين (احدهما) ما تابع فيه الشهوة ، (والثاني) ماتعلق فيه بشبهة ، فأما الاول منهما فتعلق بأفعال الجوارح وهو ارتكابه للمحظورات ، واقدامه على المنكرات ، تحكيما للشهوة وانقياداً للهوى ، فهذا فسق يمنع من انعقاد الامامة ومن استدامتها ، فاذا طرأ على من انعقدت امامته خرج منها ، فلو عاد الى العدالة ، لم يعد الى الامامة ، الا بعقد جديد

« وأما الثاني منهما فمتعلق بالاعتقاد والمتأول بشبهة تعترض فيتأول لها خلاف الحق — فقد اختلف العلماء فيها فذهب فريق منهم الى أنها تمنع من انعقاد الامامة ومن استدامتها ، ويخرج بحدوثه منها . . . الخ (ص ١٦)

(المنار : وبعد تفصيل الخلاف في هذه المسألة وهي الابتداع بالتأول ذكر القسم الثاني مما يمنع من الخلافة وهو نقص البدن فجعله ثلاثة اقسام نقص الحواس ونقص الاعضاء ونقص التصرف وقسمها أيضا الى أقسام واطال في بيان أحكامها والذي تقتضي الحال نقله منه نقص التصرف وقد عقد له فصلا خاصا قال فيه ما نصه)

« وأما نقص التصرف فضربان حجر وقهر ، فاما الحجر فهو ان يستولي عليه من اعوانه من يستبد بتنفيذ الامور من غير تظاهر بمعصية ، ولا مجاهرة بمشاقة ، فلا يمنع ذلك من امامته ، ولا يقدح في صحة ولايته ، ولكن ينظر في أفعال من استولى على اموره ، فان كانت جارية على أحكام الدين ومقتضى العدل جاز اقراره عليها ، تنفيذا لها ، وامضاء لاحكامها ، لئلا يقف من الامور الدينية ما يعود بفساد على الامة . وان كانت أفعاله خارجة عن حكم الدين ومقتضى العدل لم يجز اقراره عليها ، ولزمه أن يستنصر من يقبض يده ، ويزيل تغلبه »

« وأما القهر فهو أن يصير مأسورا في يد عدو قاهر لا يقدر على الخلاص منه فيمنع ذلك عن عقد الامامة له لعجزه عن النظر في أمور المسلمين ، وسواء كان العدو مشركا او مسلماً باغياً ، وللامة فسحة في اختيار من عداه من ذوي القدرة . وان أسر بعد ان عقدت له الامامة فعلى كافة الامة استنقاذه لما اوجبته الامامة من نصرته ، وهو على امامته ما كان مرجو الخلاص مأمول الفكاك ، إما بقتال او فداء »

« فان وقع الاياس منه لم يخل حال من اسره من ان يكونوا مشركين او بغاة المسلمين ، فان كان في اسر المشركين خرج من الامامة لليأس من خلاصه ، واستأنف أهل الاختيار بيعة غيره على الامامة

(وهنا ذكر مسألة عهده بالامامة الى غيره وما يصح منها وما لا يصح ثم قال)

« وان كان مأسورا مع بغاة المسلمين فان كان مرجو الخلاص فهو على امامته ويكون العهد في ولي العهد ثابتاً وان لم يصر إماماً ، وان لم يرج خلاصه لم يخل حال البغاة من احد امرين — إما ان يكونوا نصبوا لانفسهم اماماً او لم

ينصبوا ، فان كانوا فوضى لا امام لهم فالامام المأسور على امامته لان بيعته لهم لازمة ، وطاعته عليهم واجبة ، فصار معهم كمصيره مع اهل العدل ، اذا صار تحت الحجر ، وعلى اهل الاختيار ان يستنيبوا عنه ناظراً يخلفه ان لم يقدر على الاستنابة ، فان قدر عليها كان احق باختيار من يستنيبه منهم . فان خلع المأسور نفسه او مات لم يصر المستناب اماماً لانها نيابة عن موجود فزالت بفقده .

« وان كان اهل البغي قد نصبوا لانفسهم اماماً دخلوا في بيعته ، وانقادوا لطاعته ، فالامام المأسور في ايديهم خارج من الامامة بالاياس من خلاصه ، لانهم قد انحازوا بدار تفرد حكمها عن الجماعة ، وخرجوا بها من الطاعة ، فلم يبق لاهل العدل بهم نصرة ، ولا للمأسور معهم قدرة ، وعلى اهل الاختيار في دار العدل ان يعقدوا الامامة لمن ارتضوه لها ، فان خلص المأسور لم يعد الى الامامة لخروجه منها » اه (ص١٩و٢٠)

ومن المعلوم ان كل هذا التفصيل في الامام الحق المستجمع للشروط القائم بالواجبات واما امامة التغلب فكلها تجري على قاعدة الاضطرار المتقدمة (رقم ١١)

وماذكره من انعزال الامام بالفسق قد اختلف فيه والمشهور الذي حققه الجمهور انه لا يجوز تولية الفاسق ولكن طروء الفسق بعد التولية لا تبطل به الامامة مطلقاً وبعضهم فصل : قال السعد في شرح المقاصد : واذا ثبت الامام بالقهر والغلبة ثم جاء آخر فقهره انعزل وصار القاهر إماما ولا يجوز خلع الامام بلا سبب ، ولو خلعوه لم ينفذ ، وان عزل نفسه فان كان يعجز من القيام بالامر انعزل والا فلا ، ولا ينعزل الامام بالفسق والاغماء وينعزل بالجنون وبالعمى والصمم والخرس وبالمرض الذي ينسيه العلوم . (ص ٢٧٢ ج ٢)

وقد استدل من قال يخلع بالكفر دون المعصية بحديث عبادة بن الصامت في المبايعة عند الشيخين قال : دعانا النبي (ص) فبايعناه فقال فيما اخذ علينا ان بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا واثرة علينا وان لا ننازع الامر اهله « الا ان تروا كفرا بواحاً عندكم من الله فيه برهان »

وقد ذكر الحافظ في شرح قوله « الا أن تروا كفرا بواحا » روايات أخرى بلفظ المعصية والاثم بدل الكفر ثم قال . وفي رواية اسماعيل بن عبدالله عند أحمد

والطبراني والحاكم من روايته عن أبي عبادة « سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ماتنكرون ، وينكرون عليكم ماتعرفون . فلاطاعة لمن عصى الله » وعند أبي بكر بن أبي شيبة من طريق أزهر بن عبدالله عن عبادة رفعه « سيكون عليكم أمراء يأمرونكم بما لاتعرفون ويفعلون ما تنكرون فليس لأولئك عليكم طاعة »

وقال في شرح قوله « عندكم من الله فيه برهان » أي من نص آية أوخبر صحيح لا يحتمل التأويل ، ومقتضاه انه لا يجوز الخروج عليهم مادام فعلهم يحتمل التأويل . قال النووي : المراد بالكفر هنا المعصية ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاة الامور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم الا ان تروا منهم منكراً محققا تعلمونه من قواعد الاسلام فاذا رأيتم ذلك فانكروا عليهم وقولوا بالحق حيثما كنتم اه وقال غيره المراد بالاثم هنا المعصية والكفر فلا يعترض على السلطان الا اذا وقع في الكفر الظاهر . والذي يظهر حمل رواية الكفر على ما اذا كانت المنازعة في الولاية فلا ينازعه بما يقدح في الولاية الا اذا ارتكب الكفر ، وحمل رواية المعصية على ما اذا كانت المنازعة فيما عدا الولاية فاذا لم يقدح في الولاية نازعه في المعصية بأن ينكر عليه برفق ، ويتوصل الى تثبيت الحق له بغير عنف ، ومحل ذلك اذا كان قادرا والله أعلم. ونقل ابن التين عن الداودي قال : الذي عليه العلماء في أمراء الجور انه اذا قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب والا فالواجب الصبر . وعن بعضهم لايجوز عقد الولاية لفاسق ابتداء، فان أحدث جورا بعد ان كان عدلا فاختلفوا في جواز الخروج عليه والصحيح المنع الا ان يكفر فيجب الخروج عليه . اه

وقد تقدم التحقيق في المسألة ونصوص المحققين فيها وملخصه ان أهل الحل والعقد يجب عليهم مقاومة الظلم والجور والانكار على أهله بالفعل ،وازالة سلطانهم الجائر ولو بالقتال اذا ثبت عندهم ان المصلحة في ذلك هي الراجحة والمفسدة هي المرجوحة ، ومنه ازالة شكل السلطة الشخصية الاستبدادية ، كازالة الترك لسلطة آل عثمان منهم ، فقد كانوا على ادعائهم الخلافة الاسلامية جائرين جارين في أكثر أحكامهم على مايسمى في عرف أهل هذا العصر بالملكية المطلقة ، فلذلك بدأ الترك بتقييدهم بالقانون الاساسي تقليدا لامم أوربة ، وسبب

ذلك جهل الذين قاموا بهذا الامر بأحكام الشرع الاسلامي (كمدحت باشا واخوانه) ثم قام الكماليون أخيراً باسقاط هذه الدولة ورفض السلطة الشخصية بجملتها وتفصيلها

١٣ دار العدل ودار الجور والتغلب

دار الاسلام وما يقابلها من دار الحرب معروفان ولها أحكام كثيرة . وقد تكرر فيما نقلناه عن العلماء من أحكام الخلافة ذكر دار العدل وهي دار الاسلام التي نصب فيها الامام الحق ، الذي يقيم ميزان العدل ، تسمى بذلك اذا قوبلت بدار البغي والجور ، وهي ما كان الحكم فيها بتغلب قوة أهل العصبية من المسلمين وعدم مراعاة احكام الامامة الشرعية وشروطها. وأهل دار العدل هم الذين يسمون الجماعة ، وهم الذين يجب على جميع المسلمين اتباعهم واتباع امامهم اختيارا ، وعدم اتباع من يخالفهم الا اضطرارا ، وهذان الداران قد توجدان معا في وقت واحد ، وقد توجد احداها دون الاخرى . ولكل منهما أحكام

أما دار العدل فطاعة الامام فيها في المعروف واجبة شرعا ظاهراً وباطنا ، ولا تجوز مخالفته الا اذا أمر بمعصية لله تعالى ثابتة بنص صريح من الكتاب والسنة دون الاجتهاد والتقليد ، ويجب قتال من خرج عليه من المسلمين أو بغى في بلاده الفساد بالقوة ، كغيره من القتال الواجب شرعا ، وتجب الهجرة من دار الحرب ومن دار البغي الى هذه الدار على من استضعف فيهما فظلم أو منع من اقامة دينه ، وعلى من تحتاج اليهم دار العدل لحفظها ومنعها من الكفار أو البغاة ، ولغير ذلك من المصالح الواجبة لاعزاز الملة ، اذا توقف هذا الواجب على هذه الهجرة . وأما دار البغي والجور فالطاعة فيها ليست قربة واجبة شرعا لذاتها ، بل هي ضرورة تقدر بقدرها وتقدم تفصيل القول فيها ،

ومن الظلم الموجب للهجرة منها على من قدر الى دار العدل ان وجدت حمل المتغلبين من يخضع لهم على القتال لتأييد عصبيتهم والاستيلاء على بعض بلاد المسلمين ، فمن قدر على التفصي من ذلك يجب عليه فأمرها دائما دائر على قاعدة ارتكاب أخف الضررين ، والظاهر ان يفرق بين قتالهم لاهل العدل فلا تباح الطاعة فيه بحال ، وبين قتال غيرهم كأمثالهم من المتغلبين وفيه تفصيل

لا محل لبيانه هنا . وأما الجهاد الشرعي فيجب مع أئمة الجور ، ومنه دفاعهم عن بلادهم اذا اعتدى عليها الكفار

قال رسول الله (ص) « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو الى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية ، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه — وفي رواية يغضب للعصبة ويقاتل للعصبة فليس من أمتي » رواه مسلم والنسائي من حديث أبي هريرة. والعمية بضم العين وكسرها (لغتان) وتشديد الميم وفسروها بالكبر والضلال والمراد بها عظمة القوة والبطش، والتغلب الذي لا يراد به الحق، ولذلك بينه بأنه يغضب للعصبة وهي بالتحريك قوم الرجل الذين يعصبونه ويعتصب بهم أي يقوى ويشتد ، وفي رواية العصبية وهي نسبة الى العصبة

وأنت تعلم أن المتغلبين ما قاموا ولا يقومون الا بالعصبية ، المراد بها عظمة الملك العمية ، لا يقصدون بقتالهم إعلاء كلمة الله ، ولا اقامة ميزان الحق والعدل بين جميع الناس، وما أفسد على هذه الامة أمرها، وأضاع عليها ملكها، الا جعل طاعة هؤلاء الجبارين الباغين واجبة شرعا على الاطلاق، وجعل التغلب أمرا شرعيا كبايعة أهل الاختيار من أولي الامر، وأهل الحل والعقد، للامام الحق،— وجعل عهد كل متغلب باغ الى ولده أو غيره من عصبته ، لاجل حصر السلطان والجبروت في أسرته ، حقا شرعيا واصلا مرعيا لذاته ، وعدم التفرقة بين استخلاف معاوية لولده يزيد الفاسق الفاجر بالرغم من انوف المسلمين ، وبين عهد الصديق الاكبر واستخلافه للامام العادل عمر بن الخطاب ذي المناقب العظيمة بعد مشاورة أهل الحل والعقد فيه واقناعهم به، والعلم بتلقيهم له بالقبول

١٤ — كيف سن التغلب على الخلافة

كان سبب تغلب بني أمية على اهل الحل والعقد من الامة أن قوة الامة الاسلامية الكبرى في عهدهم كانت قد تفرقت في الاقطار التي فتحها المسلمون وانتشر فيها الاسلام بسرعة غريبة وهي مصر وسورية والعراق ، وكان أهل هذه البلاد قد تربوا بمرور الاجيال على الخضوع لحكامهم المستعمرين من الروم

والفرس ، فلما صارت أزمّة أمورهم بيد حكامهم من العرب استخدمهم معاوية الذي سن سنة التغلب السيئة في الاسلام على الخضوع له بجعل الولاة فيهم من صنائعه الذين يؤثرون المال والجاه على هداية الاسلام، واقامة ما جاء به من العدل والمساواة، وصار أكثر أهل الحل والعقد الحائزين للشروط الشرعية محصورين في البلدين المكرمين (مكة المكرمة والمدينة المنورة) وهم ضعفاء بالنسبة الى اهل تلك الاقطار الكبيرة الغنية التي تمول الحجاز وتغذيه

أخذ معاوية البيعة لابنه الفاسق يزيد بالقوة والرشوة ، ولم يلق مقاومة تذكر بالقول أو الفعل الا فى الحجاز، فقد روى البخاري والنسائي وابن أبي حاتم فى تفسيره — واللفظ له — من طرق ان مروان خطب بالمدينة وهو على الحجاز من قبل معاوية فقال ان الله قد أرى أمير المؤمنين فى ولده يزيد رأيا حسنا ، وان يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر ، وفي لفظ سنة أبي بكر وعمر : فقال عبد الرحمن بن أبي بكر : سنة هرقل وقيصر ، ان أبا بكر والله ما جعلها في أحد من ولده الخ وفى رواية سنة كسرى وقيصر ،ان أبا بكر وعمر لم يجعلاها في أولادهما ، ثم حج معاوية ليوطىء لبيعة يزيد فى الحجاز فكلم كبار أهل الحل والعقد أبناء أبي بكر وعمر والزبير فخالفوه وهددوه ان لم يردها شورى في المسلمين ، ولكنه صعد المنبر وزعم انهم سمعوا وأطاعوا وبايعوا يزيد ، وهدد من يكذبه منهم بالقتل . وأخرج الطبراني من طريق محمد بن سعيد بن زمانة ان معاوية لما حضره الموت قال ليزيد قد وطأت لك البلاد ومهدت لك الناس ولست أخاف عليك الا أهل الحجاز فان رابك منهم ريب فوجه اليهم مسلم بن عقبة فاني قد جربته وعرفت نصيحته . قال فلما كان من خلافهم عليه ما كان — دعاه فوجهه فأباحها ثلاثا ، دعاهم الى بيعة يزيد وانهم أعبد له وقن في طاعة الله ومعصيته . وأخرج ابو بكر بن خيثمة بسند صحيح الى جويرية بن اسماء سمعت اشياخ أهل المدينة يتحدثون ان معاوية لما احتضر دعا يزيد فقال له ان لك من أهل المدينة يوما فان فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فاني عرفت نصيحته الخ ذكره الحافظ في الفتح ، أباح عدو الله مدنية الرسول ثلاثة أيام فاستحق هو وجنده اللعنة العامة في قوله صلى الله عليه عند تحريمها كمكة « من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين

لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلا » أي فرضا ولا نفلا — متفق عليه — فكيف بمن استباح فيها الدماء والاعراض والاموال ؟؟

وكان الحسن البصري يقول أفسد أمر الناس اثنان عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف — وذكر مفسدة التحكيم — والمغيرة بن شعبة — وذكر قصته اذ عزله معاوية عن الكوفة فرشاه بالتمهيد لاستخلاف يزيد فأعاده — قال الحسن فمن أجل هذا بايع هؤلاء الناس لابنائهم ولولا ذلك لكانت شورى الى يوم القيامة اه ملخصاً من تاريخ الخلفاء

وهذا الذي قاله الحسن البصري من أئمة التابعين موافق لما قاله ذلك السياسي الالماني لاحد شرفاء الحجاز من أنه لولا معاوية لظلت حكومة الاسلام على أصلها ، ولساد الاسلام أوربة كلها ، وقد تقدم

قد اضطرب أهل الاهواء ومن لاعلم لهم بشيء من حقيقة الاسلام ونشأته الا من أخبار المؤرخين وهي أمشاج لم يكن يميز صحيحها من ضعيفها وحقها من باطلها الا الحفاظ من المحدثين ، فنجد من هؤلاء من يميل الى النواصب أو الخوارج ومن يرجح جانب غلاة الشيعة . وكان أستاذنا الشيخ حسين الجسر ينشد :

من طالع التاريخ مع انه لم يتمسك باعتقاد سليم
أصبح شيعياً والا فقل يخرج عن نهج الهدى المستقيم

ولذلك نجد في المصريين وغيرهم من المنتمين الى مذاهب السنة — على غلو دهمائهم في تعظيم آل البيت — من هو ناصبي يفضل بني أمية على العلويين ، ويزعم أنهم أعزوا الاسلام وأقاموا الدين ، والتحقيق ان فتح الاسلام لكثير من البلاد في أيامهم الذي هو حسنتهم العظيمة كان أمرا اقتضته طبيعة الاسلام والاصلاح الذي جاء به لانقاذ البشر ؛ ولم يكن لغير عمر بن عبد العزيز منهم عمل انفرد به في اقامة الدين نفسه ، ولم يكن لهم عمل في ذلك مختص بدولتهم بحيث يقال انه لولاهم لرجع الاسلام القهقرى في العلم والعمل أو الفتح ، وما كان لهم من عمل حسن في هذه الامور ، فقد كان لمن بعدهم من العباسيين مثله ، وكلاهما تابع في الدين للخلفاء الراشدين لا متبوع ، وأما الامور المدنية التي استتبعت الفتح الاسلامي فلكل من الفريقين فيها عمل ، وانما ميزة الامويين

التي لاتغفر ما سنوه في قاعدة حكومة الاسلام ، فهي انتخابية شورى في أولي الاختيار من أهل الحل والعقد وقد نسخوها بالقاعدة المادية : القوة تغلب الحق ، فهم الذين هدموها ، وتبعهم من بعدهم فيها

ومن اطلع على كتب السنة يعلم أن الله تعالى قد أطلع رسوله (ص) على مستقبل امته ، وان ماوقع كان مما تقتضيه طباع البشر بحسب قدر الله وسنته ؛ وقد اخبر بذلك بعض اصحابه بالتلميح تارة وبالتصريح اخرى ومنهم أبو هريرة الذي روي عنه في الصحاح والسنن والمسانيد عدة أحاديث وآثار في ذلك وانه كان يستعيذ بالله من إمارة الصبيان ومن رأس الستين وهي السنة التي ولي فيها يزيد (وقد مات قبلها) وكان يقول : لو قلت لكم انكم ستحرقون بيت ربكم وتقتلون ابن نبيكم لقلتم لااكذب من أبي هريرة . يعني قتل الحسين وقد وقع بعده . واخرج البخاري وغيره من طريق عمر بن يحيى بن سعيد بن عمرو ابن سعيد بن العاص الاموي — قال اخبرني جدي قال كنت جالسا مع أبي هريرة في مسجد النبي (ص) ومعنا مروان (هو بن الحكم بن أبي العاص وكان أمير المدينة لمعاوية) قال أبو هريرة : سمعت الصادق المصدوق (ص) يقول «هلكة أمتي على أيدي غلمة من قريش» فقال مروان لعنة الله عليهم غلمة ، فقال أبو هريرة لو شئت أن أقول : بني فلان وبني فلان لفعلت . فكنت أخرج مع جدي الى بني مروان حين ملكوا الشام فاذا رآهم غلمانا أحداثا قال لنا عسى هؤلاء أن يكونوا منهم . قلنا أنت أعلم اه وانما أهلكوا الامة بافساد حكومتها الشرعية الاصلاحية ، والا فقد وسعوا ملكها بتغلب العصبية .

قال الحافظ في شرح الحديث قال ابن بطال : وفي هذا الحديث حجة لما تقدم من ترك القيام على السلطان ولو جار لانه (ص) أعلم أبا هريرة بأسماء هؤلاء ولم يأمرهم بالخروج عليهم ، مع اخباره ان هلاك الامة على أيديهم ، لكون الخروج أشد في الهلاك وأقرب الى الاستئصال من طاعتهم ، فاختار أخف المفسدتين ، وأيسر الامرين اه

ونقول ماذكر من القاعدة صواب وماقبله من تطبيق النازلة عليها لا يصح ، فقد قاوم أهل الحجاز فغلبوا على أمرهم ، والصواب ما بيناه من قبل من تفرق جماعة الاسلام العالمة العادلة في الممالك ، وكون من بقي منهم بالحجاز ضعفاء بالنسبة

الى المملكة الاسلاميـة الجديدة ، فلم يكن أمر الخروج ممكناً الا بعصبية كعصبيتهم كما فعل بنو العباس ، وقد مهد أكثر العلماء السبيل للاستبداد والظلم بمثل هذا الاطلاق في الخضوع لاهلهما، وقد تكرر بيان التحقيق فيه

ثم قال الحافظ : يتعجب من لعن مروان الغلمة المذكورين مع ان الظاهر أنهم من ولده ؛ فكأن الله تعالى أجرى ذلك على لسانه ليكون أشد في الحجة لعلهم يتعظون . وقد وردت أحاديث في لعن الحكم والد مروان وما ولد ، أخرجها الطبراني وغيره غالبها فيه مقال وبعضها جيد ، ولعل المراد تخصيص الغلمة المذكورين بذلك اه وقوله من ولده يصدق على الاكثر والا فان يزيد بن معاوية أول من كان يعني أبو هريرة بالغلمة والصبيان ،

وجملة القول ان مرادنا من هذا البحث بيان مفسدة اخراج الخلافة الاسلامية مما وضعها عليه الاسلام، وجعلها تابعة لقوة العصبية والتغلب، فهذه المفسدة هي أصل المفاسد والرزايا التي أصابت المسلمين في دينهم ودنياهم . وقد كررنا ذكرها لتحفظ ولا تنسى .

ومن أغرب الغرائب أن قصر المسلمون عن غيرهم من اهل الملل التي كانوا قد فاقوها في العلم والعمل بأن لم يقم أحد منهم بعمل منظم لاعادة حكم الاسلام كما بدأ، بل رضوا بالتفرق والانقسام، والظلم والاستذلال، من كل من تولى الامر في قطر من اقطارهم، حتى سهل عليهم مثل ذلك من غيرهم . فكانوا كما قلنا في المقصورة

من ساسه الظلم بسوط بأسه   هان عليه الذل من حيث أتى

ومن يهن هان عليه قومه   وماله ودينه الذي ارتضى

أفلم يأتهم نبأ مافعل البابوات ، من تنظيم الجمعيات ، وجمع القناطير من الدنانير لاجل اعادة سلطانهم الديني ؟ ألا اننا قلدنا غيرنا فيما يضر ، ولم نقلد ولا استقللنا فيما ينفع في هذا الامر، ولا يزال فينا من يجد في نبذ ما بقي من قشور سلطان الخلافة الاسلامية بعد ذهاب لبابها ! ، ويظنون ان وجودها هو الذي أضعف ملكنا وانما أضعفه ذهابها . فان ما لا نزال ندعيه منها للمستبدين، كذب على الاسلام والمسلمين ،ولو استمسكنا بعروتها الوثقى لكنا سادة العالمين ، وقد عرف هذا كثير من علماء الاجانب ولم يعرفه أحد من زعمائنا السياسيين .

١٥ — وحدة الخليفة وتعدده

أصل الشرع أن يكون رئيس الحكومة وهو الامام واحدا وهذا أمر اجماعي عند جميع الامم كالمسلمين ، وسببه معروف وهو أن أمر الحكومة أولى من كل أمر عام له شعب كثيرة بأن تكون له جهة وحدة يضبط بها النظام وتتقى الفوضى . قال الكمالان في المسايرة وشرحها [1] (ولا يولى) الامامة (أكثر من واحد) لقوله صلى الله عليه وسلم « اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما » رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ، والامر بقتله محمول كما صرح به العلماء على ما اذا لم يندفع الا بالقتل ، فاذا أصر على الخلاف كان باغياً فاذا لم يندفع الا بالقتل قتل ، والمعنى في امتناع تعدد الامام أنه مناف لمقصود الامامة من اتحاد كلمة أهل الاسلام واندفاع الفتن ، وان التعدد يقتضي لزوم امتثال أحكام متضادة (قال الحجة — حجة الاسلام الغزالي — فان ولي عدد موصوف بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من الاكثر والمخالف باغ يجب رده الى الانقياد الى الحق ، وكلام غيره من أهل السنة اعتبار السبق فقط فالثاني يجب رده) اه ودليل الجمهور نص الحديث

وقال الماوردي (في ص ٧) واذا عقدت الامامة لامامين في بلدين لم تنعقد امامتهما لانه لا يجوز أن يكون للأمة امامان في وقت واحد وان شذ قوم فجوزوه » اهوأقول انما جوزه من جوزه في حال تعذر الوحدة وهذا هو الخلاف الذي نقله العضد في المواقف اذ قال « ولا يجوز العقد لامامين في صقع متضايق الاقطار اما في متسعها بحيث لا يسع الواحد تدبيره فهو محل الاجتهاد » قال شارحه السيد الجرجاني: لوقوع الخلاف. واعتمد الجواز محشيه الفناري وهو من أشهر علماء الروم أو الترك.. وأما في حال امكان الوحدة فلا نعلم ان أحدا من العلماء الذين لعلمهم قيمة قال بجواز التعدد ، وقول من قال بالتعدد للضرورة أقوى من قول الجمهور بامامة المتغلب للضرورة ، اذا كان كل من الامامين أو الائمة مستجمعا للشروط مقيما للعدل ، فان كان في هذه تفرق

---

(١) ص ٢٨٠ وتقدم ان المسايرة للكمال بن الهمام الحنفي واما شرحها المسمى بالمسامرة فهو للكمال بن ابي شريف الشافعي

فهو في غير عدوان ولا عداوة، وفي تلك بغي وجور ربما يفسد الدين والدنيا معا، بل أفسدهما بالفعل .

وقد بسط ترجيح هذا القول السيد صديق حسن خان بهادر في آخر كتابه الروضة الندية [1] قال

« واذا كانت الامامة الاسلامية مختصة بواحد والامور راجعة اليه مربوطة به كما كان في أيام الصحابة والتابعين وتابعيهم فحكم الشرع في الثاني الذي جاء بعد ثبوت ولاية الاول أن يقتل اذا لم يتب عن المنازعة . وأما اذا بايع كل واحد منهما جماعة في وقت واحد فليس أحدهما أولى من الآخر ، بل يجب على أهل الحل والعقد أن يأخذوا على أيديهما حتى يجعل الامر في أحدهما . فان استمرا على التخالف كان على أهل الحل والعقد أن يختاروا منهما من هو أصلح للمسلمين ، ولا تخفى وجوه الترجيح على المتأهلين لذلك

« وأما بعد انتشار الاسلام واتساع رقعته وتباعد أطرافه فمعلوم أنه قد صار في كل قطر أو أقطار [2] الولاية الى امام أو سلطان ، وفي القطر الآخر أو الاقطار كذلك ، ولا ينفذ لبعضهم أمر ولا نهي في غير قطره أو أقطاره التي رجعت الى ولايته — فلا بأس بتعدد الائمة والسلاطين ، وتجب الطاعة لكل واحد منهم بعد البيعة على أهل القطر الذي ينفذ فيه أوامره ونواهيه ، وكذلك صاحب القطر الآخر ، فاذا قام من ينازعه في القطر الذي ثبت فيه ولايته وبايعه أهله كان الحكم فيه أن يقتل اذا لم يتب [3] ولا يجب على أهل القطر الآخر طاعته ولا الدخول تحت ولايته لتباعد الاقطار ، فانه قد لا يبلغ الى ما تباعد منها خبر امامها أو سلطانها ولا يدري من قام منهم أو مات ، فالتكليف بالطاعة والحال هذه تكليف بما لا يطاق ، وهذا معلوم لكل من له اطلاع على أحوال العباد والبلاد ، فان أهل الصين والهند لا يدرون بمن له الولاية في أرض المغرب فضلا عن أن يتمكنوا من طاعته ، وهكذا العكس ، وكذلك

(١) ص ٤١٣ من النسخة المطبوعة بالمطبعة الاميرية بمصر سنة ١٢٩٦

(٢) كان ينبغي حذف هذا الجمع هنا وفيما بعده

(٣) يأتي هنا التفصيل السابق في الامام الحق وامام الضرورة والمتغلبين وداري العدل والجور

أهل ماوراء النهر لايدرون بمن له الولاية في اليمن ، وهكذا العكس ، فاعرف هذا فانه المناسب للقواعد الشرعية ، والمطابق لما تدل عليه الادلة ، ودع عنك مايقال في مخالفته ، فان الفرق بين ما كانت عليه الولاية الاسلامية في أول الاسلام وما هي عليه الآن ، أوضح من شمس النهار ، ومن أنكر ذلك فهو مباهت لايستحق أن يخاطب بالحجة لانه لا يعقلها والله المستعان » اه

هذا أوجه تفصيل قيل في جواز التعدد للضرورة وهو اجتهاد وجيه ويشبهه عند بعض الائمة تعدد الجمعة في البلد الواحد . فالاصل في الشرع أن يجتمع أهل البلد كلهم في مسجد واحد لان للشارع حكمة جلية في الاجتماع فان تعددت فالجمعة للسابق والمتأخر لا يعتد بجمعته . فتى عُلم أنها أقيمت في مسجد لم يجز أن تقام ثانية فيه ولا في غيره من ذلك البلد ومن أقامها كانت صلاتهم باطلة وكانوا آثمين ولا تسقط عنهم صلاة الظهر ، وجوز التعدد للضرورة بقدرها أشد المانعين حظرا له في حال الاختيار

وظاهر كلام الجمهور الذين أطلقوا منع تعدد الامام الحق ، أن المسلمين الذين لا يستطيعون اتباع جماعة المسلمين وإمامهم في دار العدل لبعد الشقة وتعذر المواصلة، يعذرون في تأليف حكومة خاصة بقطرهم ، ويكون حكمهم فيها حكم من أسلموا وتعذرت عليهم الهجرة الى دار الاسلام لنصرة الامام ، ولا تكون دارهم مساوية لدار العدل وجماعة الامامة الذين أقاموا الشرع قبلهم ، بل يجب عليهم اتخاذ الوسائل للالتحاق بها ، وجمع الكلمة ولو باستمداد السلطة منها ، ونصرة إمامها وجماعتها بقتال من يقاتلهم عند الامكان ، كما يجب على الجماعة مثل ذلك لهم في حال الاعتداء عليهم . واذا صح أن يكون حكمهم كحكم من لم يهاجروا الى دار الاسلام ، فالحكم في نصرهم يدخل في قوله تعالى (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ، وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) على القول المختار بأن هذه الآية في الولاية العامة ، لا فيما كان من ولاية التوارث خاصة ،

وجملة القول ان جمهور المسلمين على أن تعدد الامامة الاسلامية غير جائز ، ومقتضاه ان الحكومة الاسلامية التي تتعدد للضرورة ، وتعذر في ترك اتباع الجماعة هي حكومة ضرورة تعتبر مؤقتة وتنفذ أحكامها ولكن لا تكون مساوية

للاولى، وان كانت مستجمعة لشروط الامامة مثلها، وظاهر القول الآخر الذي عدوه شاذاً أنها اذا كانت مستجمعة للشروط كانت امامة صحيحة، وهذا هو التعدد الحقيقي، ولكن لم يختلف اثنان في انها للضرورة، فاذا زالت وجبت الوحدة. ولهذه المسائل أحكام كثيرة لا محل هنا للبحث فيها

ولكن لا بد من البحث في ثبوت هذه الضرورة، فان بعد الشقة بين البلاد، وتعذر المواصلات التي يتوقف عليها تنفيذ الاحكام، مما يختلف باختلاف الزمان والمكان، فلا يصح أن يجعل عذرا دائما لصدع وحدة الاسلام، وقد «تقارب الزمان» في عهدنا هذا مصداقا لما ورد في بعض الاحاديث المنبئة بالاحداث المستترة في ضمائر الغيب، فاتصلت الاقطار النائية بعضها ببعض، في البر والبحر، بالبواخر والسكك الحديدية، ثم بالمراكب الهوائية (الطيارات والمناطيد) التي صارت تنقل البرد والناس مسافة مئات وألوف من الاميال، في ساعة أو ساعات، دع نقل الاخبار بقوة الكهرباء من أول الدنيا الى آخرها في دقائق معدودات، ولو كانت هذه الوسائل في عصر سلفنا لملكوا العالم كله؛ وهو مايطمع به بعض الامم اليوم، وهذه شعوب الشمال في أوربة قد سادت معظم شعوب الجنوب والشرق، و بين الفريقين منتهى ابعاد العمران من الارض.

ولكن المسلمين قصروا في هذه الوسائل، فبعض بلادهم محرومة منها كلها، وما يوجد في بعضها فهم عالة فيه على الافرنج، وان شرعهم يفرضها عليهم فرضاً دينياً من وجوه أهمها أن كثيراً من الفرائض والواجبات تتوقف عليها أو لا تتم الا بها، كحفظ المملكة والدفاع عنها، والاعداد لاعدائها ما نستطيع من قوة كما أمرنا كتابنا، وقد صار هذا من الفرائض العينية علينا، لاستيلائهم على أكثر بلادنا، ويتحقق الوجوب العيني على الرجال والنساء باستيلاء الاعداء على قرية صغيرة منها. دع توقف وحدة السلطة عليه بالخضوع لامام واحد يقيم الحق والعدل فينا، منفذاً به احكام شرعنا

فامام وحدة الامام الواجبة واجبات كثيرة قد فرط فيها المسلمون من قبل، بقبولهم احكام التغلب التي اضاعت جل ما جاء به الاسلام لاصلاح البشر في شكل حكومتهم وصفاتها وغير ذلك، فأي واجب منها اقاموا حتى يطالبوا بهذا الواجب؟

١٦ — وحدة الامامة بوحدة الامة

وحدة الامامة تتبع وحدة الامة، وقد مزقت العصبية الجنسية الشعوب الاسلامية بعد توحيد الاسلام إياها برب واحد، وإله واحد، وكتاب واحد، وشرع واحد، ولسان واحد، فأنى يكون لها امام واحد، وهي ليست امة واحدة؟

لا اقول ان هذا محال في نفسه، وانما اقول انني لا اعرف شعبا من شعوب المسلمين ولا جماعة من جماعاتهم المنظمة تقدره قدره، وتسعى اليه من طريقه، فهم في دركة من الجهل والتخاذل والتفرق المذهبي والتعصب الجنسي وضعف الهمة تقعد بهم عن التسامي الى مثل هذا المثل الاعلى في الكمال الديني والاجتماعي. وحمل البلاد الاسلامية ذات الحكومات المستقلة على الخضوع لرئيس واحد بالقوة العسكرية مما لاسبيل اليه في هذا الزمان ولا سبيل ايضاً الى اقناع حكومات هذه البلاد، باتباع واحد منهم بالرضى والاختيار،

والحكومات المستقلة الآن هي حكومات الترك والفرس والافغان ونجد واليمن العليا وهي النجود وما يتبعها واليمن السفلى والحجاز، وقد استقلت بعض الاقطار الاسلامية التي كانت تابعة لروسية القياصرة كبخاري وخيوه، ولكن استقلالها لم يستقر بعد، على انه قد اعترف به في المعاهدة التركية الافغانية، ومثلهما آذربيجان ودونهما كردستان، وهذه الحكومات الصغيرة تجزم الدولة التركية بأنها ستسودهن وتدغمهن في جامعتها الطورانية. وكذا سائر شعوب القوقاس الاسلامية، ولا توجد حكومة منهم يمكن أن تدعي الخلافة الدينية، فبقي الكلام في الحكومات العربية. والدول الثلاث الاعجمية

فأما أهل اليمن العليا فيعتقدون ان الامامة الشرعية الصحيحة محصورة فيهم منذ ألف سنة ونيف لان أئمتهم ينتخبون انتخاباً شرعيا تراعى فيه جميع الشروط الشرعية التي يشترطها أهل السنة مع زيادة مراعاة مذهبهم الزيدي، وان هذه الزيادة لاتعارض مذهب اهل السنة، وانهم يحكمون بالشرع ويقيمون الحدود. ومذهبهم في الفروع فلما يخالف مذاهب السنة الاربعة ولا سيما مذهب الحنفية. فلا مطمع في اقناعهم باتباع غيرهم، وقد قاتلهم الترك

عدة قرون ولم يستطيعوا ازالة امامتهم ، ولكن جيرانهم من العرب وسائر المسلمين لا يعتدون بامامتهم ، وهم لا يدعون اليها ولا يستعدون لتعميمها : وقد اعترف بصحتها إمام حفاظ السنة وقاضي قضاة مصر وشيخ مشايخ الاسلام في ازهرها لعهده الحافظ احمد بن حجر العسقلاني في شرحه لحديث « لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان » من صحيح البخاري .

وأما السيد الادريسي فهو على كونه حاكما مستقلا . وسيداً علوياً . وفقيهاً أزهرياً ، ومرشداً صوفياً . لم يدع منصب الخلافة فيما نعلم ، ولم يدع رؤساء امارته الى مبايعته بها ، ولكن اهل بيته وجماعته يعتقدون أنه أحق بها من شرفاء الحجاز ، ويلقبونه بالسيد الامام . ولقبه بعضهم بصاحب الجلالة الهاشمية ، وقد نقل لنا الثقات ان الملك حسينا اجتهد في استمالته للاعتراف بالتبعية للحجاز في السياسة الخارجية او بالاسم فقط . فلم يفلح كما انه لم يفلح سعيه لدى الامام يحيى ذلك ، وقد استغرب كل منهما هذا السعي . . . . وبلغنا ان السيد الادريسي كان يفضل الاعتراف بسيادة الترك السياسية على بلاده في الامور الخارجية ، هرباً من دسائس الافرنج وتقوية للروابط الاسلامية

وأما حكومة الحجاز فهي جديدة ولا يعرف لها نظام ثابت وانما ملك الحجاز هو هنالك الحكومة وكل شيء ، وقد بايعه أهل مكة على انه ملك العرب ثم بايعه آخرون من سورية وغيرها بالخلافة وامارة المؤمنين على عهد وجود ولده فيصل فيها قبل اعلان استقلال دمشق ، وذلك كما يبايع أمثالهم في سورية ومصر الخليفة الجديد في الآستانة ، ويظهر أن ولده فيصل ملك العراق وولده عبد الله أمير شرق الاردن مصران على بذل نفوذهما لجعله هو الخليفة ، وأخذ المبايعة له من سورية والعراق عند سنوح الفرصة . وقد نشر في جريدة القبلة مقالات قديمة وحديثة في بطلان خلافة خلفاء الترك في الآستانة وتكفيرهم وتكفير حكومتهم . وقد كان في عمان مسجد متداع فأمر الامير عبد الله بتجديد بنائه فوضع له قاضيه الشيخ سعيد الكرمي تاريخاً في أبيات من الشعر نقشت على لوح من الرخام وضع فوق بابه قال في أولها :

حسين ابن عون من بني مجد عدنان   فصار أمير المؤمنين بلا ثاني
أعاد له حق الخلافة بعد ما   ثوت زمناً بالغصب في آل عثمان

وقد جعل هذا القاضي بناء حسين لما سماه مجد عدنان ، سبباً لصيرورته امير المؤمنين الذي لا ثاني له في بلاد الاسلام ، وهو لم يبن لعدنان مجدا ، ومجد عدنان ليس سبباً للخلافة ، وانما يرضي الناظم بذلك أميره الذى كان ولا يزال يسعى لتحقيق جعل والده خليفة ، ولكنه طعن في امامة يحيى حميد الدين الذى يخطب اميره ووالد اميره الملك وده ، لا في خلافة أعدائه الترك فقط ، ولا يستطيع احد ان يقرن به احدا من شرفاء الحجاز وأمثالهم . ممن يرون أنفسهم أهلا للامامة بأنسابهم فقط فانه على تواتر نسبه الهاشمي العلوي ، وصراحته بخلوه من شوائب الرق غير الشرعي . عالم مجتهد ، شجاع مدبر ، ذو شوكة ومنعة يقدر بهما على حفظ استقلاله ، وقد بويع بالامامة منذ عشرات من السنين ، والمعترفون بامامته يزيدون على عدد اهل الحجاز وكذا على أهل سورية كلها والعراق

ليس من غرضنا هنا مناقشة هؤلاء ولا غيرهم في دعاويهم ولا اغراضهم بل بيان الواقع في البلاد الاسلامية المستقلة وهو أن ملك الحجاز وأولاده يعتقدون أن الخلافة حقهم بنسبهم ومركزهم في الحجاز ، وانهم ينالونه بمساعدة الدولة البريطانية لهم ، وقد قال أحدهم عبدالله أمير شرق الاردن في الاسكندرية إن الخلافة لنا ، ونقلت الجرائد المصرية هذا عنه ورد عليه في بعضها

وأما أهل نجد فحنابلة سلفيون وهم يسمون أميرهم إماماً ولا يسمونه خليفة ولم يبلغني انه يدعي الخلافة العامة ، ولكنهم يعتقدون انه لا يوجد امير مسلم يقيم دين الله كما أنزله غيره ، وأن بلادهم دار العدل وجماعة المسلمين والهجرة اليها واجبة بشروطها . فلا مطمع في اتباعهم لغيرهم . وقد اتهموا بانتحال مذهب جديد نفرمنهم غيرهم ، وهم لا يبالون مايقال فيهم ، ولا يدعون احدا الى اتباعهم ، الا البدو المجاورين لهم ، الذين لا يعرفون من الاسلام عقيدة ولا عملا ، فيدعونهم الى التدين وترك البداوة واتباع حكومتهم الاسلامية التي تقيم شرع الله وحدوده على مذهب امام السنة أحمد بن حنبل

فهذا ملخص مانعلم من حال البلاد العربية المستقلة ، وتركنا ذكر حكومة عمان الاباضية لان نفوذ الانكليز فيها كبير فأهلها لا يهتدون سبيلا الى الارتباط بغيرهم ، ومذهب أكثرهم أباضي فهم من الخوارج الذين لا يقيدهم مذهبهم بشرط

القرشية ، وقد علمت من سلطان مسقط السابق أنه كان يتمنى الارتباط بالدولة العثمانية

وأما الدول الاعجمية المستقلة فالايرانية منها شيعة امامية والامامة عندهم للامام محمد المهدي المنتظر فلا تعترف بامامة أخرى لغيره وانما ترتبط بغيرها من الدول الاسلامية، بنوع المحالفات السياسية

والافغانية سنية وقد اعترفت في المحالفة التي عقدت بينها وبين الحكومة التركية الجديدة في أنقرة بأن الدولة التركية دولة الخلافة، ولكن لم تعترف لها بسيادة ما عليها. بل كانت محالفتها محالفة الند للند

وقد كان نص المادة الثالثة من هذه المحالفة التي وضعت في (أنقرة) قد جعل الدولة الافغانية في مكان التابع من الدولة التركية ، وهذه ترجمته التي نشرت في جريدة الاخبار المصرية لمراسلها في (كابل — عاصمة الافغان)

« تصدق الدولة الافغانية بهذه المناسبة على انها تقتدي بتركيا التي تخدم خدمات جليلة وتحمل علم الخلافة الاسلامية » أي تقر وتعترف بهذه القدوة

وذكر المراسل ان أمير الافغان لم يقبل هذا النص بل غيره « بأن الدولة الافغانية لا تقتدي بالدولة العلية التركية وانما عليها أن تعترف بأنها دولة الخلافة » وقد كان هذا قبل الانقلاب التركي الاخير ، وذكر في بعض الجرائد أن الافغان أنكروا منه جعل الخلافة روحية لا شأن لها في السياسة والاحكام ، واذا آل الامر الى اعترافهم بصحة الخلافة العثمانية التركية شرعاً فلا مندوحة لهم عن اتباع الخليفة لانهم قوم مسلمون مستمسكون بدينهم استمساكا عظيما

ولكن الظاهر ان جميع الذين يعترفون للعثمانيين من الترك بالخلافة ولا يتبعون حكومتهم فانما يعترفون لهم بلقب من ألقاب الشرف، لصاحبه نفوذ معنوي لدى الدول. والا فلا معنى لكون الرجل خليفة المسلمين الا انه امام دينهم ورئيس حكومتهم الذي تجب طاعته عليهم . وتباح دماؤهم في الخروج عليه والاستقلال بالحكم دونه. واما المتغلب الذي لا يطاع الا بالقهر فلا يجوز لغير من قهرهم الاعتراف له بالخلافة، وان من العبث بالاسلام ان تجعل امامته الكبرى مجرد لقب من ألقاب المدح والشرف

هذا وأما البلاد الاسلامية الرازحة تحت أثقال السيطرة الاجنبية كمصر وسائر

أقطار أفريقية الشمالية وسورية والعراق فليس لها من امر حكمها أو حكومة دينها شيء، وليس فيها جماعة تتصرف في ذلك بحل ولا عقد، فلو أن رؤساء الحكومة والشعب في قطر منها — وهم الذين كانوا لولا السلطة الاجنبية أهل الحل والعقد فيها — أرادوا أن يبايعوا خليفة فى بلاد الترك أو العرب مثلا مبايعة صحيحة، وهي ما توجب عليهم أن يكونوا خاضعين لسلطانه، مطيعين في أمورهم العامة لامره ونهيه، ناصرين له على من يقاتله أو يبغي عليه، لما استطاعوا أن يمضوا ذلك وينفذوه بدون اذن الدولة الاجنبية المسيطرة عليهم، وهي لن تأذن وان كانت تدعي انها لا تمارس المسلمين في أمور دينهم، وانها تاركة أمر الخلافة اليهم

وأما الافراد والجماعات الذين ليس لهم رئاسة ولا نفوذ في قيادة الشعب، ولا يستطيعون أن يطيعوا اذا بايعوا، كأن ينفروا اذا استنفروا، وينصروا اذا استنصروا، فقد يسمح لهم في بعض هذه الاقطار أن يقولوا ما شاؤا، وفي بعضها لا يسمح لهم بذلك، ورأي السواد الاعظم من المسلمين في كل قطر من هذه الاقطار مخالف لرأي الدولة المسيطرة عليه، ومن ذلك مبايعة بعض الافراد والجماعات المصرية والهندية للخليفة التركي الجديد، ولو أراد مثل ذلك أهل تونس والجزائر لما أبيح لهم مع علم فرنسة المسيطرة عليهم أن هذه المبايعة لا يترتب عليها اتباعهم لحكومته التركية. وان هذه الحكومة نفسها، غير تابعة لخليفتها، بل هو تابع لها، وموظف عندها وهي التي تحدد عمله ووظيفته.

وصفوة القول ان الشعوب الاسلامية المقهورة بحكم الاجانب ليس لها من أمرها، الا ما يجود به عليها الاجانب القاهرون لها. ولا يمكنها أن تساعد على وحدة الامة، التي تتوقف عليها وحدة الامامة. الا من طريق بث الدعوة وبذل المال، وان الشعوب المستقلة لا مطمع الآن بجمع كلمتها. بترك التعصب لمذاهبها ولجنسيتها، وايجاد خلافة صحيحة قوية توحد حكومتها. وأقرب منه عقد موالاة ودية أو محالفات سياسية عسكرية بينها، وقد بدأ بذلك الاعاجم منها. وأما العربية فقد عز الى اليوم التأليف بينها، فاذا يسره الله تيسر اتفاقها مع غيرها، وكان ذلك تمهيدا للامامة العامة التي تجمع كلمتها كلها.

ومن ذا الذي يطالب باعادة تكوين الامة الاسلامية المنحلة العقد المفككة المفاصل، وباعادة منصب الخلافة الى الموضع الذي وضعه الشارع فيه ؟ أهل الحل والعقد — أهل الحل والعقد. ومن هم وأين هم اليوم ؟

﴿ استدراك أو تصحيح ﴾

كنا عند كتابة ما تقدم تركنا الكلام على الخلافة العثمانية التركية لان أصل السياق فيها، والبحث موجه الى بيان حالة المسلمين وحكوماتهم المستقلة التي لا يمكن تعميم الخلافة بكفالة الترك لها الا باتفاقهن عليها؛ ثم بدا لنا أن نكتب كلمة فيها ليكون بحثنا تاما جامعاً لكل ما تتجلى به المسألة من الجهة الشرعية ومن جهة المصلحة العملية . وهذا نص الكلمة ومحلها في السطر الثالث من ص ٥٥

وأما الدول الاعجمية المستقلة فأولها التركية وكان المشهور أن الخلافة نقلت الى سلاطينها بنزول آخر خلفاء العباسيين عنها للسلطان سليم الذي أسره بمصر وحمله الى الآستانة وتسلسل ذلك فيهم بعد ذلك بالعهد والاستخلاف ، حتى كان من أمرهم في هذه الايام ما كان ، ويقال إن السلطان محمد وحيد الدين المخلوع ما زال يدعي الخلافة التي آلت اليه بنظام الوراثة ، والحق ما بيناه من قبل ، وان الخليفة العباسي الذي أسره السلطان سليم لم يكن يملك الخلافة ولا النزول عنها ولو لاهلها ، ولو كان يملكهما لاشترط في نزوله الحرية والاختيار ولم يكن يملكهما ، ومثله السلطان وحيد الدين الآن ، فلذلك لا يعتد بما توقعه بعضهم من نزوله عنها للملك الحجاز ، واذا كانت خلافة الترك العثمانيين بالتغلب فلا فرق بين اختيار الامير عبد المجيد الآن بعد انقطاع سلسلة العهد والاستخلاف بخلع محمد وحيد الدين أو قبله ، وبين اختيار من قبله عملا بذلك النظام. هذا اذا جعلته حكومة أنقرة خليفة بالمعنى الشرعي المعروف ، ولكنها اخترعت نوعاً جديداً من الحكومة ونوعاً آخر من الخلافة ، ووضعت للاولى قانوناً أساسيا عرفناه ولما تضع للثانية قانوناً لنعلم منه كنهها ، فان كانت خلافة روحية لا سلطان لها في سياسة الامة وحكومتها فهي غير الامامة التي بينا أحكامها ، على أن ما يضعونه لها من النظام إن كان موافقاً للشرع حمدناه ، وان كان مخالفاً له أنكرناه، ولا يضرنا تسمية هذا العمل خلافة فمثله معهود عند أهل الطريق ولا مشاحة في الاصطلاح. وسنبين في كل وقت ما يجب علينا وعليها للاسلام ،

١٧

﴿ أهل الحل والعقد في هذا الزمان ، وما يجب عليهم في أمر الامة ، الامام ﴾

فرغنا مما قصدنا الى بيانه من أحكام الامامة العظمى في الاسلام ، ونقفي عليه ببيان ما يجب من السعي للعمل بهذه الاحكام ، باعادة تكوين الامة ووحدتها . ونصب الامام الحق لها ، الذي بينا في المسألة الثانية أنه واجب عليها شرعاً ، تأثم كلها بتركه ، وتعد حياتها وميتتها جاهلية مع فقده ، فالامة كلها مطالبة به ، وهي صاحبة الامر والشأن فيه كما بيناه في المسألة الرابعة ، وانما يقوم به ممثلوها من أهل الحل والعقد كما حررناه في المسألة الثالثة ، فأهل الحل والعقد هم المطالبون بجميع مصالح الامة العامة ، ومسألة السلطة العليا خاصة

قلنا إن أهل الحل والعقد هم سراة الامة وزعماؤها ورؤساؤها ، الذين تثق بهم في العلوم والاعمال والمصالح التي بها قيام حياتها ، وتتبعهم فيما يقررونه بشأن الديني والدنيوي منها ، وهذا أمر من ضروريات الاجتماع في جميع شعوب البشر ، تتوقف عليه الحياة الاجتماعية المنظمة ، قال شاعرنا العربي :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

واذا صلحت هذه الفئة من الامة صلح حالها وحال حكامها ، واذا فسدت فسدا ، ولذلك كان من مقتضى الاصلاح الاسلامي أن يكون أهل الحل والعقد في الاسلام من أهل العلم الاستقلالي بشريعة الامة ومصالحها السياسية والاجتماعية ، والقضائية والادارية والمالية ، ومن أهل العدالة والرأي والحكمة ، كما بيناه في المسألة الرابعة ، وهي ما يشترط في أهل الاختيار للخليفة

فذكر أهل الحل والعقد قد تكرر في مسائل أحكام الخلافة ولم نجعله عنوانا الا لهذه المسألة التي عقدت للكلام فيهم أنفسهم وأين يوجدون اليوم ، وما يجب عليهم لامتهم في هذا العصر ، فان الحكومات غير الشرعية من أجنبية ووطنية تعنى بافساد زعماء الشعوب التي تستبد في أمرها ، ليكونوا أعوانا لها على استبدادها ، ومن تعجز عن افساده على قومه بالترغيب ثم بالترهيب تكيد له أو تبطش به ، فأهل الحل والعقد من قبل الامة ، قلما يوجدون الا في الامم الحرة ، وأكثر الرؤساء في الامم المقهورة يكونون من قبل حكامها ، وهم

الذين توليهم رئاسة بعض الاعمال والمصالح فيها ، فيكون ما يبدهم من الحل والعقد مستأجراء وقد تمقت الامة بعض رجاله ، وقد يكونون في نظرها من الخونة المستحقين للعقاب ، وقد يوجد فيهم من يكون أهلا الثقة ، وتعرف له الامة ذلك أو تجهله ، واذا سكتت عن إظهار احتقارها ، لصنائع المستبدين فيها ، لتفرقها في وقت الانقياد والدعة ، فانها تظهره في وقت الاجتماع بالاضطراب والثورة ، وقد أظهرت لنا الثورة المصرية في هذه السنين ، كراهة الامة واحتقارها لافراد من رؤساء مصالح الدنيا والدين ، وترئيس أفراد آخرين عليها ، وآية هذه الزعامة المصنوعة المستأجرة للحكومة ان صاحبها اذا خرج من منصبه ، تجد جمهور الامة لا يحفل به ، ولا يعده زعيما له ، وربما أظهر له الاحتقار والاهانة . وقد رأينا الاجانب الغاصبين لبعض بلادنا في هذه السنوات النحسات يقودون بعض هؤلاء الزعماء الذين أفسدوهم على الامة أو رأسوهم عليها الى عواصم بلادهم ويتواطؤن معهم على توطيد سلطتهم فيها ، (أى الامة) ويستخدمون بعضهم في البلاد للاستعانة بهم على استعمارها ، وكذلك كان يفعل السلاطين والامراء ، في استمالة العلماء والوجهاء ، بالرتب والاوسمة والهبات — ثم هب الترك والمصريون يطلبون سلطة الامة بمجالس النواب ، وهذه المجالس بمعنى جماعة اهل الحل والعقد في الاسلام ، الا ان الاسلام يشترط فيهم من العلم والفضل ، مالا يشترطه الافرنج ومقلدتهم في هذا العصر

وقد صار أهل الجمعية الوطنية في انقره أصحاب الحل والعقد بالفعل ، وبالرغم من السلطان الذي ناصبهم فباء بالخزي والعزل ، وحلوا محل مجلس المبعوثين ومجلس الوزراء وشخص السلطان جميعاً ، وقد ذكرني هذا ما قاله لي الغازي احمد مختار باشا في الاستانة لما سألته عن رأيه في الحكومة الدستورية قال : عندنا مجلس وليس عندنا سلطان ، ولا بد من الكفتين في وجود الميزان

واما البلاد المقهورة بالاحتلال الاجنبي كمصر والهند ، فلا مجال فيها لمثل ما فعل الترك ، وانما يظهر فيها فرد بعد فرد ، الى ان تبلغ الامة سن الرشد

ولقد وصل الاستاذ الامام رحمه الله تعالى الى مقام الزعامة في هذه الامة وصيّرته أهل الحل والعقد في الامور الدينية والدنيوية من سياسية وغيرها ،

بل قارب ان يكون زعيم الامة الاسلامية كلها ، ولكن بالقوة لا بالفعل لان الامة لم تكن قد تكونت تكونا يؤهلها للسير في الخطة التي يختطها لها ، ولذلك كان يقول : ياويح الرجل الذي ليس له أمة ، وقد كان أمير بلاده ينهى عنه وينأى عنه ، على انه كان يرجع في المهمات وحل المشكلات اليه ٠

وقد بلغ ربيبه سعد باشا زغلول مقام الزعامة السياسية في هذه السنين التي تكون فيها قومه ، فلما أصدى للعمل بقوة الشعب ، كان جزاؤه النفي بعد النفي ، ويوجد في الهند رجال من المسلمين والهنود رفعتهم احداث الزمان الى مقام الزعامة في الامة ، باظهارها ماهم عليه من الكفاءة وعلو الهمة ، وهم الآن في غيابات السجون ، منهم (غاندهي) عند الهندوس وأبو الكلام ومحمد علي وشوكت علي عند المسلمين ، ويلي هؤلاء جماعاتهم كالوفد المصري عندنا وجمعية الخلافة عندهم

وأما الجماعات القديمة فان هيئة كبار العلماء في الازهر بمصر وفي جامع الفاتح والسليمانية من الاستانة وجامع الزيتونة بتونس ومدرسة ديوبند بالهند فان جمهور الامة يثق بأن حكم الله ماقالوا ، ولكن أكثر المتفرنجين — ومنهم أكثر الحكام والقواد والاحزاب السياسية — فلما يقيمون لاحد منهم وزناً ، الا من كان ذا منصب أو ثروة ، أصاب بها بعض الوجاهة ولا يوجد في علماء أهل السنة مجتمعين ولا منفردين من يبلغ في الزعامة واتباع الشعب له مبلغ مجتهدي علماء الشيعة ، ولا سيما متخرجي النجف منهم ، فأولئك هم الزعماء لاهل مذهبهم حقاً ، ويقال إنهم أفتوا في هذه الآونة بتحريم انتخاب الجمعية الوطنية التي أمرت بها حكومة الملك فيصل لاقرار المعاهدة بين العراق والدولة البريطانية ، فاطاعها البدو والحضر من الشيعة وقد كان ميرزا حسن الشيرازي رحمه الله تعالى أصدر فتوى في تحريم التنباك فخضع لها الشعب الايراني كله ، وتركوا استعمال التنباك وزرعه ، وهو بالنسبة الى صادرات بلادهم كالقطن في القطر المصري ، وكان الذي حمله على اصدار هذه الفتوى موقظ الشرق السيد جمال الدين الافغاني قدس الله روحه بسبب إعطاء حكومة ايران امتيازا بالتنباك لشركة انكليزية ، فاضطرت الحكومة لفسخ الامتياز في مقابلة تعويض للشركة قدره خمسمائة ألف جنيه انكليزي ، ولو لم تفسخ هذه

الشركة لفعلت في ايران ما فعلت شركة الجلود الانكليزية في الهند ، أي لملكت أمتها تلك البلاد وضمتها الى امبراطورية الهند

قلت ان الحكومات المستبدة تجتهد في افساد من يظهر من الزعماء في الشعوب التي تتولى أمرها . على انها تعنى قبل ذلك بالاسباب التي تمنع وجود الزعامة فيها بافساد التعليم ومراقبته ، وقد أبعدوا علماء الدين عن السياسة وعن الحكومة ، فصار أكثر أهلها وأنصارها من الجاهلين بالشريعة ، وتولى هؤلاء أمر التعليم وإعداد عمال الحكومة له ، وانكمش العلماء وأرزوا الى زوايا مساجدهم ، أو جحور بيوتهم ، ولم يطالبوا بحقوقهم ، ولا استعدوا لذلك بما تقتضيه حال الزمان ، وطبيعة العمران ، ولا عرفوا كيف يحفظون مكانتهم من زعامة الامة بتعريفها بحقوقها ، وقيادتها للمطالبة بها ، فأضاعوا حقهم من الحل والعقد فيها ، وتركوها لرؤساء الحكام وللاحزاب والجمعيات السياسية التي يتولى أمرها في الغالب من لا حظ لهم من علوم الدين ، ولا من تربيته التي لا نظام لما بقي منها عند بعض المسلمين ،

فاذا أريد السعي — والحال هذه — لما وجب في الشرع من امامة الحق والعدل العامة ، فلا بد قبل ذلك من السعي لوجود جماعة أهل الحل والعقد المتحلين بالصفات التي اشترطت فيهم كما تقدم في المسألة الخامسة ، فانهم هم أصحاب الحق في نصبه بنيابتهم عن الامة ، وبتأييده في حمل الامة على طاعته ، والمطلوب قبل نصب الامام العام للامة كلها ، أو للبلاد المستقلة منها ، أن تتحد شعوب هذه البلاد ، وترجع عن جعل اختلاف المذاهب والاجناس واللغات ، موانع للوحدة والاتفاق .

وانا نتساءل هنا : هل يوجد في البلاد الاسلامية من أهل الحل والعقد ، من يقدر على النهوض بهذا الامر ؟ واذا لم يكن فيها من لهم هذا النفوذ بالفعل ، أفلا يوجد من له ذلك بالقوة ؟ ثم ألا يمكن للمسلمين وضع نظام لجعل النفوذ بالقوة نفوذاً بالفعل ؟ بلى انه ممكن عسر ، وقوة العزيمة تجعل العسر يسراً ، وقوة العزيمة تتبع قوة الداعية ، ومن ذا الذي يرجى ان يضع النظام ويشرع في العمل ؟ الا أنه حزب الاصلاح الاسلامي المعتدل .

١٨ — حزب الاصلاح الاسلامي المعتدل

قد علم مما تقدم ان العمل لوحدة الامة الاسلامية بقدر الامكان ينحصر اليوم في الشعبين الكبيرين-العربي جرثومة الاسلام. والتركي سيفه الصمصام، وان أمر البلاد العربية المستقلة بيد أئمتها وامرائها فالتأليف بينهم مقدم على كل شيء فيها. ونقول هنا :

ان المتصدرين للزعامة السياسية ومقام الحل والعقد في غير جزيرة العرب من البلاد الاسلامية ازواج ثلاثة — مقلدة الكتب الفقهية المختلفة — ومقلدة القوانين والنظم الاوربية — وحزب الاصلاح الجامع بين الاستقلال في فهم فقه الدين وحكم الشرع الاسلامي وكنه الحضارة الاروبية ، وهذا الحزب هو الذي يمكنه إزالة الشقاق من الامة ، على ما يجب عمله في إحياء منصب الامامة، اذا اشتد أزره ، وكثر ماله ورجاله ، فان موقفه في الوسط يمكنه من جذب المستعدين لتجديد الامة من الطرفين. وهو الحزب الذي سميناه في المقالة الثالثة من مقالات (مدنية القوانين) بحزب الاستاذ الامام ، اذ كان المنار يمهد السبيل لجعل الاستاذ زعيم الاصلاح في جميع بلاد الاسلام ، وانا نعرف أفرادا من هؤلاء المصلحين المعتدلين في الاقطار المختلفة ولا سيما العربية والتركية والهندية ، ونشهد أن مسلمي الهند في جملتهم أرجى لشد ازر هذا الحزب بالمال والرجال ، ولكنهم لا يستطيعون العمل الا باتحاد عقلائهم مع عقلاء سائر الاقطار ، لتكوين جماعة أهل الحل والعقد بما يتفقون عليه من النظام، لاجل قيادة الرأي العام ، ولتكوين مؤتمر عاجل لاجل تقرير ما يتخذ من الوسائل الآن ، فان مسألة الخلافة كانت مسكوتا عنها ، فجعلها الانقلاب التركي الجديد أهم المسائل التي يبحث فيها ، ولولا كثرة التخبط وتضليل الرأي العام بأكثر ما كتب فيها لآثرنا السكوت على القول ، مع السعي الى ما نرى من المصلحة فيها بالعمل، ولكن وجب التمهيد له ببيان الحقائق وان جعلت موضع البحث والمراء ، باختلاف الآراء والاهواء ،وحسبنا أن نذكر حزب الاصلاح بما يمتن له من العقبات ، من حزبي التقاليد والعصبيات ، وبما يجب ان يمد للعمل من القواعد والبينات

١٩ — حزب المتفرنجين

بينا في المقالة الثالثة من مقالات (مدنية القوانين) مرادنا من التفرنج وأهله وان منهم المرتدين المجاهرين بالكفر والمسرين به ، ومدار كهم في حكومة الاسلام وشريعته . ونقول هنا أيضا

ان ملاحدة المتفرنجين يعتقدون أن الدين لا يتفق في هذا العصر مع السياسة والعلم والحضارة ، وأن الدولة التي تتقيد بالدين تقيداً فعليا لا يمكن ان تعز وتقوى وتساوي الدول العزيزة . وهؤلاء كثيرون جدا في المتعلمين في اوربة وفي المدارس التي تدرس فيها اللغات الاوربية والعلوم العصرية ، ورأي أكثرهم أنه يجب أن تكون الحكومة غير دينية . وحزبهم قوي ومنظم في الترك ، وغير منظم في مصر ، وضعيف في مثل سورية والعراق والهند ، ورأيه انه يجب إلغاء منصب الخلافة الاسلامية من الدولة ، واضعاف الدين الاسلامي في الامة ، واتخاذ جميع الوسائل لاستبدال الرابطة الجنسية أو الوطنية ، بالرابطة الدينية الاسلامية ، والترك من هؤلاء أشد خصوم اقامة الامامة الصحيحة في الدولة التركية ،

وقد بثت جمعياتهم الدعوة في الاناضول مهد النعرة الاسلامية ، الى العصبية العمية ، بالاساليب التي لا يشعر الجمهور بالغرض منها وقد أشرنا من قبل الى بعضها فكان لها التأثير المطلوب : كان التركي هنالك اذا سئل عن جنسه قال : مسلم الحمد لله . وبذلك يمتاز من الرومي والارمني . وأما الآن فصار يجيب بأنه ترك . وكان لا يفهم من وجوب الخدمة العسكرية الا طاعة خليفته وسلطانه في الجهاد في سبيل الله ، فبثت فيه فكرة القتال في سبيل الترك ووطن الترك لمجد الترك ، وقد اطلعنا في هذه الايام على قصة (قميص من نار) للكاتبة الاسرائيلية النسب ، التركية السياسة والمذهب ، خالدة أديب وزيرة المعارف في حكومة أنقرة ، وقد أنشأتها لبيان كنه الحركة الوطنية في الاناضول التي أنشئت لمقاومة سلطة الآستانة واخراج اليونان من البلاد وتأمين استقلالها فألفيناها مصورة لما ذكرنا ، لم نر فيها كلمة واحدة تدل على فكرة الجهاد الاسلامي ولا الروح الديني الذي كنا نعهد ،

على أن فريقا من هؤلاء المتفرنجين يرى أن وجود منصب الخلافة في الترك

يمكن الانتفاع به من بعض الوجوه السياسية والادبية وغيرها اذا كانت الخلافة صورية أو روحانية لا سلطان لها في التشريع ولا في التنفيذ، بل ينحصر نفوذها في الدعاية السياسية للدولة من طريق الدين ، كسلطة البابا والبطاركة وجمعيات التبشير ، واكثر هؤلاء من أصحاب العصبية الطورانية ، الذين يتفقون من بعض الوجوه مع طلاب الجامعة الاسلامية ،فانهم يطمعون في تأليف أمة كبيرة من شعوب الشرق الاعجمية المسلمة بجعلهم كلهم تركا لانه ليس لاحد منهم لغة علمية غير مدونة الا الفرس الايرانيون والافغانيون، وكذا لغة الاوردو في مسلمي الهند ، على أن اللغة التركية فاشية في اكثر بلاد ايران، ومن لم يمكن إدغامه في الامة التركية باسم الوحدة الطورانية ورابطة اللغة التركية، فان من الممكن إدغامه فيها بالتبع للخلافة الاسلامية ، ثم يكون أولاد هؤلاء تركا بالتعليم والتربية تبعا للحكومة . وحزب العصبية التركية المحضة، معارض لحزب العصبية الطورانية العامة، اذ يخاف ان يضيع الترك فيها كما ضاعوا في الجامعة العثمانية . أو الاسلامية بزعمه . وليس من غرضنا هنا تحقيق هذه المسائل ولا انتقادها، بل التذكير عما فيها من معارضة الامامة الاسلامية باوجز عبارة ، ولانيأس من اقناع الكثيرين منهم بالجمع بين الجنسية والاسلامية

وهنالك فريق من المتفرنجين — ومنهم بعض المتدينين ، من غيرهم يرون ان إقامة الخلافة الاسلامية وجعل رئيس الدولة هو الامام الحق الذي يقيم الاسلام متعذر في هذا الزمان في دولة مدنية ، فاما ان تكون الخلافة في الدولة التركية اسمية كما كانت في الدولة العثمانية ينتفع بها بقدر الامكان ويتقى شر استبداد الخليفة وتكون الحكومة مطلقة من قيد التزام الشرع في الاحكام التي لا يمكن العمل بها في هذا العصر ، واما أن يستغنى عنها البتة . واستمالة حزب الاصلاح لهؤلاء أيسر من استمالته لغيرهم

٢٠ — حزب حشوية الفقهاء الجامدين

إن جميع علماء الدين واكثر العامة المقلدين لهم يتمنون أن تكون حكومتهم اسلامية محضة، والترك يحتمون ان تكون تابعة لفقه المذهب الحنفي، ومنهم من لا يرى مانعاً من الاخذ في بعض الاحكام بفقه غير الحنفية من

مذاهب أهل السنة ؛ ولا يبالون بما خالف ذلك من مدنية العصر ، ولكن هؤلاء العلماء يعجزون عن جعل قوانين العسكرية والمالية والسياسية مستمدة من الفقه التقليدي ويأبون القول بالاجتهاد المطلق في كل المعاملات الدنيوية ، ولو فوض اليهم أمر الحكومة على أن ينهضوا بها لعجزوا قطعا ، ولما استطاعوا حربا ولا صلحاً ،

طالما بينا في المنار أن تقصير علماء المسلمين في بيان حقيقة الاسلام والدفاع عنه بما تقتضيه حالة هذا العصر هو اكبر أسباب ارتداد كثير من متفرنجة المسلمين عنه ، وأنهم لو بينوه كما يجب لدخل فيه من الافرنج أنفسهم ، اضعاف من يخرج منه بفتنتهم . وان سبب ذلك أو أهم أسبابه أنه ليس للمسلمين امام ولا جماعة تقيم ذلك بنظام ومال كما يفعل امام الكاثوليك (البابا) وجمعيات التبشير في بلاد النصرانية ، على ان السلاطين والامراء واتباعهم قد أفسدوا العلماء وأبطلوا عليهم زعامتهم للامة الا فيما يؤيد ظلمهم واستبدادهم كما ذكرنا آنفا

ولو كان للمسلمين خليفة قائم باعباء الامامة العظمى لما أهمل أمر الدفاع عن الاسلام والدعوة اليه حتى كثر الارتداد عنه ، وغلب على الدولة العثمانية من لا علم لهم به ، أليس من الغريب انني لما وضعت مشروع الدعوة والارشاد للقيام بهذه الفرائض التي هي أول مايجب على إمام المسلمين وجماعتهم لم يوجد في وزراء الدولة ولا رؤسائها من يجرأ على اجازة هذا الاسم ؟ وان الذين استحسنوا المشروع اتفقوا على تسمية جمعيته بجماعة العلم والارشاد؟ ثم إن مستشار الصدارة قال لحقي باشا الصدر الاعظم أمامي : اذا نفذنا هذا المشروع ألا نلقى مقاومة من الدول العظمى ؟ فأجابه : إن لدولة البلغار مدرسة عندنا لتخريج الدعاة الى النصرانية أفتكون دولة الخلافة في عاصمتها دون دولة البلغار حرية في دينها ؟ ولكن هذا الصدر الاعظم لم ينفذ المشروع ولم يساعدنا فيه أدنى مساعدة ، وإنما اغتنمنا فرصة سفره الى ايطالية ومنىر طلعت بك وزير الداخلية وزعيم الاتحادية الى أدرنه لتقرير المشروع رسمياً، وأعانني على ذلك انعقاد مجلس الوكلاء برئاسة شيخ الاسلام موسى كاظم افندي أحد أنصاره فما زلت الح عليه حتى أصدر - رحمه الله - قرارا من المجلس بتنفيذه ، ثم جاء طلعت بك فأفسد الامر

وكان الذي يسمونه السلطان و(الخليفة) في قفصه، مغلوبا على أمره، لا يكاد يصحو من سكره، ولا ترجو المشيخة الاسلامية منه قولا ولا عملا في هذا الامر ولا غيره، ولماذا كان نفوذ مثل طلعت وناظم أغلب عليه من نفوذ شيخ الاسلام وشيوخ دار الفتوى ؟ أليس لعجز هؤلاء الشيوخ وأعوانهم عن ادارة أمور الدولة وعن اظهار كفاية الشريعة، وعن إثبات أصول الاعتقاد والعمل بها بالحجة، ودفع كل ما يرد عليها من شبهة ؟ أليس لأنهم غير متصفين بما اشترطه أئمة الشرع في أهل الحل والعقد، من العلم والسياسة والكفاية والكفاءة ؟

على أن نفوذ علماء الدين في بلاد الترك أقوى منه في مثل سورية ومصر، ولكن خصومهم من المتفرنجين أقوى منهم، وكل من الفريقين يعد الآخر سبب ضعف الدولة، وتقهقر الامة، والحق أن الذنب مشترك بينهما. وأن نصب الامام الحق وجعل الدولة التركية كافلة لمنصب الخلافة، لا يتم الا بجمع حزب الاصلاح لكلمة المسلمين المتفرقة، بجذب اكثر أصحاب النفوذ اليه، حتى تنحصر صفات أهل الحل والعقد فيه، وإنما يكون ذلك بتحويل العلماء منهم عن جمود التقليد وعصبية المذاهب، وكشف شبهات المتفرنجين على الدين والشرع، وبيان الخطأ في عصبية الجنس، فان كان اقناع السواد الاعظم بذلك غير مستطاع الآن، فحسب هذا الحزب من النجاح الرجحان على سائر الاحزاب، واستعداده لذلك بما سنبينه من الاسباب .

إن الاسلام هداية روحية، ورابطة اجتماعية سياسية، فالكامل فيه من كلتا له، والناقص فيه من ضعفت فيه احداهما أو كلتاهما، وقد فقدهما معا الملاحدة من غلاة العصبية الجنسية، فهؤلاء لا علاج لهم، لا عند أنصار الخلافة ولا عند غيرهم، لكن بيان حقيقة الاسلام، وما فيه من الحكم والاحكام، الكافلة لارتقاء معارج المدنية والعمران، مع الخلو من كل ما في المدنية المادية من الشر والفساد، على الوجه الذي سنشير اليه في أبحاثنا هذه — يفل من حدهم، ويوقفهم عند حدهم، بل يهدي من لم يختم على قلبه من أفرادهم، وهو بهداية الكثير من غيرهم أقوم، ونجاح الدعوة فيهم أرجى

حسبنا هذه الاشارة الى ما يجب من السعي لهذا العمل في الترك، وأما الشعب العربي الذي هو أصل الاسلام وأرومته، ولا حياة له الا بلغته، ولا

تم أركانه الا بفريضة الحج التي تؤدى في بلاده، وهو الركن الاجتماعي الوحيد الجامع بين شعوبه، ولا يمكن ان تكون الامامة الصحيحة العامة بمعزل عنه، — فهو شعب كله متدين، ليس في جزيرته إلحاد ولا تفرنج، وانما آفته الجهل بطرق ادارة البلاد وعمرانها، وبالعلوم والفنون التي يتوقف حفظ الاستقلال وعزة الملة عليها، وتمادي الامراء، ودسائس الاعداء، فكل ما يجب له على حزب الاصلاح، اقناع أمرائه بما يجب من الاتحاد، ومساعدتهم على ما يجب من أعداد وسائل القوة والعمران، وها نحن أولاء نذكره بما يجوز نشره من برامج الاعمال. وأساليب الاستدلال (للكلام بقية)

خطاب أحد زعماء النهضة الاسلامية الهندية

الذي قدمه عند محاكمته للمحكمة الانكليزية

ومقدمة مترجمه

في وصف ثورة الهند السياسية السلبية وانتصارها للخلافة والدولة التركية والبلاد العربية (*

المقدمة

إن الجهاد العظيم الذي قامت به الهند المستعبدة منذ خمس سنوات متواليات لصون الخلافة الاسلامية، وحرية البلاد العربية، يكاد يكون فذا في تاريخ العالم لا لانه جهاد بلاد استعبدت استعبادا شديدا، وحكمت بالنار والحديد اجيالا، وصبت على رأسها المصائب تلو المصائب، ودهمتها الدواهي إثر الدواهي بل لان

(*) صاحب الخطاب هو الزعيم الهمام، الاستاذ العلامة الكاتب الخطيب الشيخ أبو الكلام، والمترجم صاحب المقدمة هو الشاب النجيب، وغصن دوحة الاصلاح الرطيب، الشيخ عبد الرزاق المليح الهندي تلميذ دار الدعوة والارشاد بمصر

أصوله جديدة ، وطرق عمله عجيبة ، ومظاهراته سلمية ، وروحه العاملة فيه خالية من كل حقد وشدة ، وليس فيه إلا الإيثار ، وهضم النفس ، وكظم الغيظ ، وتقديم المهج ، وتحمل الشدائد - القائمون به يُقتلون ولا يَقتلون ، يُضربون ولا يَضربون[1] ، يصابون ولا يصيبون ، يقاومون القوة لا بالشدة والبطش ، بل بالصبر والحلم والسلم ، ويحاربون الاستبداد لا بالسيف والرمح ، بل بالإيمان واليقين والثقة بالله ربهم ، فهو جهاد سلمي حقاً ، وحرب روحانية مدنية ، لا شائبة فيها من القوة والغلظة ، بل هو في الحقيقة صحيفة عبر ، وكتاب بصائر لسائر الأمم المستضعفة ، يبين لها أن الفوز والنصر لا يتوقف على بسطة الجسم والقوة المادية ، بل منبعه الحقيقي من القوة المعنوية وروحانية القلوب التي في الصدور ، وهو أول مثال للمقابلة السلمية للقوات المتسلحة القتالة ، وإنه ليهب سلاحاً ماضياً صائباً من الإيمان والصدق للشرق المسكين ، ليحارب به الغرب الجائر المتسلح بالقوات المادية ، فهل يقبله الشرق وينجو به من الخزي والعار ؟

ألا لا يتهمني أحد بأني أبالغ في هذا الجهاد ، أو أهيم بوصفه في وديان الخيال ، أو أتخيل كالشعراء في المحال ، بل أبين كنه الحال ، وأتكلم عن حقيقة وبرهان ، فإنه جهاد زعزع أساس الدولة البريطانية في البلاد ، وتركها في حيرة وارتباك ، فظلت طول هذه المدة مغلولة الأيدي مع ما تملك من القوة والسلاح ، ولم تستطع قهره ومقارعته بما أوتيت من البطش والجلاد ، إذ السلاح يقرع السلاح ، والقوة تصادم القوة ، والمصارع يصرع المصارع ، ولكن هل سمعت سيفاً يقتل روحاً وأنصُرَعة يصرع قلباً ؟ نعم قهرت بريطانية عدوتها المانية ، لأنها كانت أقوى منها وأدهى[2] ، ولكنها ما كان لها أن تقهر هذا الجهاد السلمي ، لأنه ليس أمامها قوة مادية مثلها فتكسرها ، ولا يدفعها كدفعة فتجذبها ، وإنما كل ما هنالك عنق للقتل ،

(١) فيه احتباك أي : يضربون ولا يضربون من يضربهم ، ويضربون ولا يضربون ضاربهم (٢) إنما غلبتها بالدهاء الذي سخرت به أكثر أمم الأرض لمساعدتها وآخرهن الولايات المتحدة الاميركية التي كانت أقوال رئيسها سبب الثورة الالمانية

وقلب للحياة، وجسم للصلب، وروح للبقاء، فما أعجب هذا الجهاد! وما أسلم هذا العراك!

ولقد كان من نتائج هذا الجهاد أن اضطرت بريطانيا على رغم انفها أن تخفف وطأتها عن الاسلام، ولاتصر على اظهار العداوة للخلافة الاسلامية، والتمادي في حماية ربيبتها الدولة اليونانية، فان الحكومة الهندية الانكليزية لما أرسلت بلاغها الرسمي الشهير في فبراير سنة ١٩٢٢ الى الحكومة المركزية في لندن تؤكد فيه المطالب الهندية في مسئلة الخلافة، وتحذرها من سياستها الخرقاء في معاداة الدولة العثمانية والبلاد الاسلامية، تأثر به الرأي العام لانكليزي أيما تأثر، حتى تدحرجت وزارة المستر لويد جورج القاهر لالمانيا، وسقطت سقوطا مخزيا، وكانت قد امتازت بعداوة الاتراك والمسلمين واستعمار البلاد الاسلامية المحتلة باسم الوصاية.

نعم قد تم هذا، ولكن الايام حبلى ولاندري مايكون وراء مؤتمر الصلح، ومهما يكن من الامر فسيظل هذا الجهاد حتى تتحرر البلاد الاسلامية، ويغادر كل جندي محتل أرض الشام وفلسطين والعراق ومصر والقسطنطينية، فتصبح كلها حرة مطلقة من قيودها تحكم نفسها بنفسها كيف تشاء!

وان مما يحزن القلب، ويبكي العين، ان هذه البلاد الاسلامية التي تلتهب الهند غيرة عليها، وتتفانى في حبها، وترخص كل غال وثمين لاجلها، لاتعلم عن هذا الجهاد الا شيئا لايذكر، مع أن سيل المصائب الذي غمر العالم الاسلامي قاطبة كان يجب أن يعرف به المسلمون بعضهم بعضا، ويتعاونوا ويتناصروا ويبحثوا عن خطة مشتركة للنجاة من هذه الورطة، وللفوز والفلاح والحياة في المستقبل.

وهذا الذي دعاني الى أن أقدم الى مسلمي مصر والشام والعراق وسائر البلاد العربية والاسلامية، الخطاب الجليل الذي خاطب به المحكمة الانكليزية زعيم الهند الحلاحل الهمام، الشيخ ابو الكلام احمد، عند ماحوكم فيها، لانه فوق مافيه من البصائر والعبر، يبين مقاصد ذلك الجهاد، وطرق السير فيه بأحسن

بيان — غير أنه لا بد لايضاح كنه هذا الخطاب من بيان وجيز لحركة « اللاتعاون السلمي » التي سببته هذه الواقعة —

﴿ حركة اللاتعاون السلمي في الهند ﴾

قامت حركة هذا الجهاد بعد هدنة الحرب الكبرى مباشرة ، فظلت زمنا محصورة في قيام المظاهرات ، وحشد المحافل ، واجتماع المؤتمرات ، وارسال الوفود الى انكلترة وأوربة ، وغيرها من الطرق السياسية المعهودة . ولما لم تنتج هذه الاعمال شيئا ، تشاورت جمعية الخلافة والجمعية الوطنية الكبرى في وضع خطة للعمل ، ثم أعلنتا في أغسطس سنة ١٩٢٠ « اللاتعاون السلمي » الذي هو داخل تحت الاوامر الشرعية لانه قسم من أقسام ترك الولاء للمحاربين والذي يسمى بالانكليزية Monuiolent Non-co-operation ومعنى (كوابريشن) المساعدة والمشاركة في العمل ، فكان الغرض منه أن تقطع من بريطانيا جميع تلك العلائق التي تساعدها في حكمها واستبدادها وقيامها في البلاد ، لان الهند ليس في وسعها أن تقوم بحركة مسلحة ولانها تريد أن تقدم مثالا عمليا لمقاومة القوة بالطرق السلمية ، فلذا جعل عنوان هذه الحركة أن تكون سلمية بالمرة ، فلا تقابل القوة المادية بقوة مثلها ، بل بالحلم والتضحية والثبات على الحق ، تتعب القوة من الظلم والعسف ، ولا يتعب أصحاب الحق من الصبر والتضحية —

وكانت لائحة عملها كما يلي :

(١) ترد الى الحكومة جميع مناصبها وألقاب شرفها وأوسمتها

(٢) تقاطع جميع مدارسها وكلياتها ، وتؤسس للصبيان المدارس الوطنية ، والشبان يشتغلون بنشر الحركة وترويجها —

(٣) تقاطع جميع المحاكم العدلية ، فلا يذهب اليها المحامون ولا أصحاب الدعاوى ، بل تؤسس المحاكم الوطنية فتفصل فيها الدعاوى على الطرق البسيطة .

(٤) تقاطع إصلاحات الحكومة التي تمن بها على البلاد ، فلا يرشح أحد

نفسه المجالس النيابية ولا ينتخب لها أحد.

(٥) تقاطع البضائع الانكليزية، ولاسيما القماش منها، ويجب على الوطنيين أن يغزلوا القطن بأيديهم، فينسج منه القماش، وهو الذي يستعمله الناس.

(٦) يجب ترك الخدمة العسكرية لان الدولة البريطانية تستعمل الجيش الهندي لاستعباد هذه البلاد وغيرها من البلاد الحرة.

(٧) يجب أخيرا أن يمنع كل مايدفع الى الحكومة من أموال الضرائب وغيرها فلا يؤدى اليها فلس واحد وان سجنت وعذبت.

لا يخفى خطر هذه اللائحة، فانها لم تكن الا دعوة الى الايثار وهضم النفس وتحمل الخسائر والتعرض للنوائب، اذ لايلبيها أحد الا وينفض يده من وسائل معيشته، فينذر نفسه وأهله للضنك والفقر والفاقة، ثم يعرض عن كل ما عند الحكومة من الرتب والمنافع والشرف والفخار، وبعد ذلك يعرض نفسه للحبس والتعذيب وقد يلقى الى القتل والصلب، الا ان البلاد رحبت بها وتقبلتها بقبول حسن، فأخذت جماعات تاركي التعاون تظهر من كل جهة وتعلن هذه الامور وتعمل بها، والحكومة تراها بعينها ولا تعرف كيف تصد تيارها.

﴿ مقاطعة ولي العهد ﴾

ولما رأت الحكومة أن الحركة لا تزال تتقوى وتنتشر وأنها لا تقدر على قهرها لجأت الى الحيل السياسية، فدبر لوالي العام الجديد اللورد ريدنج الداهية الشهير، سياحة لولي عهد انكلترة في البلاد الهندية، ظنا منه أن البلاد لا تأبى استقباله والترحيب بضيفها لان العائلة المالكة تعتبر عندهم فوق المنازعات السياسية، فتضعف الحركة وتعود المياه الى مجاريها —

ولكن سرعان ما خاب أمله، فان الامة ما سمعت بهذه السياحة الا وقررت مقاطعتها، وأعلنت جمعية الخلافة وجمعية العلماء أن هذه السياحة تنوب (عن) الامبراطورية البريطانية التي تحارب الخلافة والبلاد الاسلامية، وتريد استعبادها

واستعمارها ، فلذا لا يجوز لاحد من المسلمين أن يشترك في استقبال ولي العهد ، ولا في الاحتفالات التي تقيمها الحكومة له —

ولقد قامت المنازعات الشديدة في البلاد بعد هذا الاعلان ، فكانت الحكومة من جهة تجد وتكد بجميع وسائلها الكثيرة ومواردها العظيمة لانجاح هذه السياحة ، وفي جهة أخرى كان زعماء البلاد الذين لاحول لهم ولا قوة الا قوة الامة مصرين على مقاطعتها ، وكانت النتيجة مدهشة جداً ، كانت هزيمة شنيعة تسجل في التاريخ على أقوى دول الارض أمام الرأي العام لبلاد ضعيفة الجسم ، قوية الروح ، فلقد رأى نجل أمبراطور الهند بعيني رأسه منظراً مدهشاً ، لم يشاهد مثله من قبل ، وربما لم يخطر في باله ، فانه ما دخل مدينة الا وجد الاسواق فيها معطلة والدكاكين مقفلة ، والابواب موصدة والشوارع مهجورة ، والمدينة كلها في سكون كسكون المقابر ، كأنه لم يكن فيها أحد بالامس او قد شاهد ما شاهده من أبيه الدوق أوف كنوت مثل ذلك في سياحته التي تمت سياحته بسنة ، ووصفه أحد مكاتبي الجرائد في باريس قائلا «ان الهند اليوم مثل ما كانت باريس عند دخول الجيوش الالمانية اياها في حرب السبعين ! » (للكلام بقية)

(وصف استقلال العراق بقلم شاعره معروف افندي الرصافي)

لنا (ملك) وليس له (رعايا) ... و (أوطان) وليس لها (حدود)

(وأجناد) وليس لهم (سلاح) ... و (مملكة) وليس لها (نقود)

و يكفينا من الدولات انا ... تعلق في الديار لنا البنود

و (أنا) بعد ذلك في (افتقار) ... الى ما (الاجنبي) به (يجود)

تسود سياسة (الهندي) فينا ... وأما ابن البلاد فلا (يسود)

اذاً (فالهند) أشرف من (بلادي) ... و (أشرف) من بني قومي (الهنود)

وكم عند الحكومة من (رجال) ... تراهم (سادة) وهم (العبيد)

وليس (الانجليز) (بمنقذينا) ... وان (كتبت) لنا منهم (عهود)

متى شفق (القوي) على (ضعيف) ... وكيف (يعاهد) الخرفان (سيد)

ولكن نحن في يدهم (أسارى) ... وما كتبوه من عهد (قيود)

أما والله (لو كنا قروداً) ... لما رضيت بعيشتنا (القرود)

باب المراسلة والمناظرة

رد على الرسالة الرملية ، فيما سمته العقائد الوهابية

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة استاذنا العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الأغر أرجو نشر مايأتي في المنار بيانا للحقيقة التي أخفاها المحترم صاحب مجلة الاسعاد وصاحبه الاستاذ المحترم الشيخ تاج الدين في حادثة الرمل اذ كتب الثاني رسالة أسماها (الرسالة الرملية في الرد على مروجي بعض العقائد الوهابية في ثغر الاسكندرية) ونشرها صاحب المجلة المذكورة واسماها (الرسالة الجليلة) وعقبها بخبر غير صحيح لم يعزه الى مصدره الحقيقي بل عزاه الى نفسه ليوهم أنه كان حاضرا ويلبس على القراء

وقد نشرت الرسالة المذكورة في عدد ٥ من المجلد ٣ من مجلة الاسعاد — وكتبنا ردا عليها فأبى نشره وطلب غيره خوفا على كرامة الاستاذ المؤلف كما يقول . فكتبنا غيره وأردفناه بمؤاخذته على الخبر الذي نشره غير معزو الى صاحبه طالبين منه نشره ظانين أنه كاصحاب المجلات الحرة التي تنشر مالها وماعليها وترد بالحق كالمنار الذي يطلب كل حين من قرائه أن يوافوه بكل مايرونه منتقدا معززا بالادلة والبراهين — وقد نشر بعضه مبتورا أوله ورد عليه بالباطل الذي طالما لفظ به المقلدون ، وفنده المهتدون. اسعادا لصاحب الرسالة علينا وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أما ملخص الحادثة الرملية فهو أن أئمة المساجد منعوني من إلقاء المواعظ والدروس في المساجد التي احتكروها بالوظائف والمرتبات فاتخذنا مسجدا آخر بنيناه بأيدينا في ملك بعض مريدينا . وصرنا نصلي فيه ونقرأ الدرس بعد العشاء لمن يحضر من الاخوان فاجتمع عندنا خلق كثير وهداهم الله حتى تابوا عن الكبائر التي كانوا منغمسين فيها ليلا ونهارا . فحقد أولئك الائمة وصاروا يفترون علينا الكذب وينبزوننا بالالقاب ويشيعون بين الناس أننا ننكر الوسيلة والشفاعة ونسب الائمة وننكر الوحي ويخطبون في مساجدهم بهذا

ويقسمون بالله جهد أيمانهم ليصدقهم العوام . ثم كتبوا لمشيخة الاسكندرية شكوى عزوا الينا فيها كل هذه المفتريات وختموا كثيرا من العوام عليها زورا وطلبوا من المشيخة ارسال وفد يخطب معهم في الاغراء بنا، وتنفير الناس عنا ولكن المشيخة وفقها الله لم تزد ذلك لما بلغها أننا براء من كل ما نسبوه الينا بشهادة بعض الكبراء وبعض العلماء الذين يعرفوننا حق المعرفة . ولما اكثروا من الشكوى، وأرسلوا وفودهم الى المشيخة تترى كلفت بعضهم بتحقيق المسألة وكان المنتظر من ذلك الوفد المؤلف من ثلاثة من علمائهم أن يحضروا الى محل الحادثة ويجمعوا الائمة الشاكين والمشكو منهم في بيت بعضهم بعيدا عن العامة وفي حفلة خاصة بهم ولكنهم — أرشدهم الله — لم يفعلوا وجاءوا بعد شهر الفوا فيه رسالة ردا على شخص لا وجود له الا في خيالهم ينكر الوسيلة والشفاعة وكرامات الاولياء وما استحسنوه من البدع وجاءوا يوم جمعة في ربيع الاول من سنة ١٣٤٠ في بعض مساجد الظاهرية وبعد صلاة الجمعة قعد القوم واحتشدوا حتى ملاؤا ما هو له من الفضاء والطرقات وقعد أحد الثلاثة الموفدين وهو الاستاذ الشيخ تاج الدين وأخرج رسالته بعد أن نوه الخطباء بفضل الوفد وعلمه وعناية المشيخة بايفاده وأن قوله هو القول الفصل، والدين العدل واسترعوا الاسماع لقراءة الرئيس رسالته فقرأها وأنا حاضر في المسجد لا أقدر أبدي ولا أعيد من كثرة الصياح، وارتفاع الاصوات، وتحرش العوام وكلما هممت برد الباطل اسكتني العوام من حولي ولما قرأ الاستاذ مسألة الشفاعة وأثبتها على الوجه الذي نعتقده استطعت أن أرفع صوتي بالموافقة في بعض المواضع التي لا خلاف فيها ثم انتهى الشيخ ولم يكد حتى قام ثاني الوفد الشيخ شريف وخطب وخصني بالكلام محاملا اذ قال: يافلان اتق الله — يكررها — ولا تفرق الناس ونحو ذلك ثم قام آخر وارتقى المنبر بغير دعوة وصار يحرض الناس ويثير الفتنة يسب ويشتم تصريحا وتلويحا والعلماء حاضرون واكثر العوام والخصوم فقمت من بينهم بعد أن أشهدتهم ورددت عليه وقلت والله انا كنا على الحق ولا زلنا على الحق والله لا نصرن السنة مادمت حيا ان شاء الله، وما كدت أخرج من باب المسجد حتى ابتدرني العوام ضربا ولكما ولم ينقذني من بينهم الا رجال الشرطة وبعض الاخوان

وأما الرسالة فقد احتوت على اثبات الشفاعة التي لم ينكرها أحد ليقال انه رد على من ينكرها وليدخل أو يلصق بها مايسمونه اليوم بالتوسل والمراد دعاء الموتى وسؤالهم قضاء الحاجات وقد بنى اثبات هذه الوسيلة على حياة الاموات في قبورهم وسماعهم من يخاطبهم واستجابة دعائه وردهم عليه السلام واستدل ببعض الأحاديث الضعيفة وبالآية الواردة في حياة الشهداء وحديثين من أحاديث الصحيح في سؤال القبر والزيارة وهي حجة عليهم لالهم لو كانوا منصفين ثم قاس على حياة الشهداء — التي أثبتها القرآن لشهداء الصحابة في بعض الغزوات — حياة جميع من يسمونهم الاولياء وبنى على هذا جواز دعائهم والاستغاثة بهم في تفريج الكروب وقضاء الحاجات لانه لافرق عندهم بين رد الميت السلام على من سلم عليه وبين استجابته الدعاء واجابة سؤال من توجه اليه ولاسيما اذا قدم له هدية من صدقة وقرآن (كذا قال الشيخ تاج الدين) في رسالته وذكر واقعة حال جرت بينه وبين وليه أبي العباس وكفى بها مصورا لعقائد امثاله وهذا نصها نقلا عن مجلة الاسعاد وهو:

«كم من منح ونفحات، ونوال واغاثات، شوهدت بسبب الزيارات والتوسلات، باصحاب هذه المقامات: فما وقع للفقير جامع هذه الكلمات اني اضطررت (تأمل) وقتا الى الانتقال من مسكن الى آخر بمدينة الاسكندرية وكاد الحصول على المطلوب يتعسر أو يتعذر (تأمل) لضيق الجهة التي اريد السكنى بها بسكانها فتوجهت (تأمل) لزيارة سيدي احمد المرسي أبي العباس رضي الله عنه فبعد أن سلمت ووهبت لروحه الكريمة (تأمل) ماتيسر من القرآن توسلت به الى الله تعالى في ذلك المطلوب (تأمل) وشكوت له هذه الضائقة (تأمل) كاني اكلم حيا اشاهده (تأمل) واخاطبه وكان من كلامي له رضي الله عنه هذه العبارة (إن كان لكم كرامات فلم تكن لامثالنا وقد جئنا لتعليم العلم) ثم خرجت فاعترضني بجوار ضريحه أحد كناسي البلدية فسألته عن مسكن فاشار الى دار بهذه الجهة تدعى بدار الحاج علي الخولاني وقرع بابها فنزل صاحبها المذكور باسم الوجه ترى عليه لوائح الاستبشار بالطارق وادخلنا ما أعده للايجار من هذه الدار فقدرت اجرته في نفسي بما يقرب من ضعف ماخصصه لاجرة السكنى فاردت التخلص لذلك ولما ظهر لذلك الرجل حقيقة الامر لم يسعه

إلا القبول بما استطيع فاوقفني تساهله هذا في ريب وحذر من ان يكون بالمسكن عيب خفي على فاستأجرته مشاهرة بدل المسانهة التي هي العادة الغالبة بالمدينة فقبل أيضاً وبعد تمام الاتفاق والتوقيع من الجانبين على الاوراق قال ان سبب هذا الاكرام أني ساعة قرعكم الباب كنت نائما فرأيت أبا العباس واقفا على سطح مقامه يناديني بياعلي إني مرسل اليك من يسكن بدارك فاكرمه فايقظني قرع الباب فاحببت أن أقابل هذا الطارق بنفسي، لعله المرسل من قبل السيد المرسي، فتحققت ما رجوت لاني رأيتك كثيرا بمسجده (تأمل) وعزمت على اكرامك بكل مايمكنني اجابة لهذا الولي الذي لم أره في منامي مدة حياتي غير هذه المرة) قال الشيخ فشكرته الخ،

هذه الحكاية تمثل لنا عقيدة الشيخ الذي يرد على الوهابية وتمثل لنا أيضاً عقيدة صاحب مجلة الاسعاد الذي نصب نفسه لافتاء الناس وكتب على مجلته عنوان اكبر المجلات الاسلامية الاصلاحية . . .

ثم هو يصف هذه الرسالة القبورية بالجليلة راضيا بما فيها ويرد على من قام يدفع عن نفسه تهمة الكذب التي ألصقها به الجاهلون فالاصلاح عند هؤلاء المصلحين تضليل من يهتدي بهدي السلف الصالح، واقناعه بالنظريات والتأويلات لاتباع خرافات القبوريين واصحاب الموالد الخ (عبد الظاهر)

(المنار) قد تكرر تفنيدنا الخرافات الجبت الوثنية فنكتفي هنا بتذكير طلاب الحق بالمسائل الآتية المفصلة في المنار من قبل وهي

(١) ان ما ورد من النصوص في عالم الغيب كحياة الشهداء وسماع أرواح المؤمنين والكفار كلام أهل الدنيا — يجب الايمان بما صح منه كما ورد بلا زيادة ولا نقصان ولا يجري فيه القياس، بل هو مبني على السماع . وهذه مسألة لا خلاف فيها ولكن أدعياء العلم عندنا يدرسون بعض كتب الكلام والاصول لاجل المناقشة في عباراتها استعدادا للامتحان ولا يعقلون منها شيئاً.

(٢) ان هذه مسألة اعتقادية لا تقوم الحجة عليها الا بالادلة القطعية ولو كان الصالحون يقضون حاجات الناس بعد موتهم وكان طلب ذلك مشروعا لبينه الله في كتابه وعلى لسان رسوله (ص) بيانا لا شبهة فيه ولتواتر فعله عن الصحابة والتابعين (رض) ولكن لم يرد فيه نص قطعي ولا خبر صحيح ظني

(٣) ان الرؤى والاحلام لا يثبت بها حكم من أحكام الفروع الشرعية التي يكتفون فيها بالادلة الظنية ، فضلا عن العقائد وأصول الايمان التي يترتب عليها السعادة الابدية أو الشقاء الابدي ، فرجل مشغول الخيال بأمر من الامور تخيله في نومه واقعاً على ما يجب في صورة مطابقة لمقيدته في ميت وافق تخيله الواقع ، هل يثبت بهذا أصل من عقائد الدين أو أي شيء يعتد به شرعا ؟ أو يعد من خوارق العادات ؟ كلا ان مثل هذا يقع كثيرا لاهل كل ملة ولا سيما الوثنيين ، والروايات عن المتقدمين والمتأخرين فيها كثيرة ، ولكن أدعياء العلم عندنا لا يعرفون من أمر العالم ولا من تاريخه شيئاً يعتد به . وان علماء النفس المتأخرين قد أثبتوا أن بعض الناس يشعرون في المنام أو اليقظة ببعض ما تتوجه اليه أنفسهم من الامور وينقلون وقائع كثيرة في ذلك . فلا يبعد على هذا أن تكون نفس صاحب الدار قد شعرت وهو نائم بأن رجلا في مسجد المرسي سيطلب منه ان يسكن في داره فصور له الخيال ان المرسي هو الذي أرسله ويطلب إكرامه . فهل نرتب على هذا المنام الذي تكثر أمثاله في كل أمة وملة ان المرسي سمع دعاء الشيخ اللاجيء اليه واستجاب له وتمثل لصاحب الدار في منامه وأخبره بما أخبره وأمره بما أمره ، ثم نجعل هذا دليلا على شرعية الذهاب الى القبور التي اتخذت مساجد فاستحق متخذوها لعنة الله على لسان خاتم رسله في آخر حياته وندعوهم بان يقضوا حاجاتنا ، خلافا لكتاب ربنا وسنة نبينا وسيره سلفنا الصالح . (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ـ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا)

﴿ أهم أخبار العالم ﴾

إن انباء مؤتمر الصلح بين الشرق والغرب في لوزان ، ما زالت تشيل وتهبط بها كفتا الميزان ، ولن تعتدل حتى يعتدل الفريقان ، والظاهر ان السياسة البريطانية ، قد فازت في هذا الطور على السياسة الفرنسية ، فاذا تم للورد كرزون استمالة الترك فالويل للعرب عامة ، ولمصر خاصة ولن يتم ذلك ان شاء الله ، وانما نرجو أن يتم الصلح على قاعدة الاعتراف بحرية الامم واستقلالها والا فلا سلام في الارض حتى ينتقم الله من الباغين انتقاما آخر يتوبون به اليه من استعباد خلقه

﴿ تقريظ المطبوعات الجديدة ﴾

كان شقيقنا السيد صالح رحمه الله تعالى قد اختص نفسه بتقريظ المطبوعات الجديدة في السنين الاخيرة فكان يأخذ أكثر مايهدي منها الى المنار ويضعه في مكتبه ويتخير للتقريظ ماشاء منها متى شاء ويحيل علينا أقله احيانا. ولم يتيسر لنا بعد وفاته أن نحصي ما ترك تقريظه وإنا جمعنا بعضه فننوه به من غير مراعاة للتأريخ ، ولا لمكانة هذه الكتب والصحف في التقديم والتأخير

﴿ مسند الامام زيد المسمى بالمجموع الفقهي ﴾

قد طبع هذا الكتاب المسمى بهذا الاسم في العام الماضي بمصر سنة ١٣٤٠

الامام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب هو أحد أئمة أهل البيت الاعلام ، عليهم التحية والسلام ، وهو الذي ينتمي اليه الزيدية روى الحديث عن أبيه وأخيه محمد الباقر وأبان بن عثمان بن عفان وعروة بن الزبير وعبد الله بن أبي رافع ، وروى عنه ابناه حسين وعيسى وابن أخيه جعفر الصادق والزهري والاعمش وشعبة وكثيرون منهم أبو خالد عمرو بن خالد الواسطي الذي روى هذا الكتاب الموسوم بالمجموع الفقهي الذي يسمونه مسند الامام زيد أيضاً ، وهذه التسمية ليست على اصطلاح المحدثين فانما الكتاب مجموعة أخبار وآثار مرتبة على أبواب الفقه ككتب السنن ، والاخبار المرفوعة فيه على كثرتها قد رواها بصيغة : حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا أو فعل كذا. ولديهم مجموع آخر يسمى المجموع الحديثي من رواية أبي خالد أيضاً

فأما الامام زيد فلا خلاف بين علماء الحديث وغيرهم في توثيقه وعلمه وفضله وصلاحه ، وهو الذي رفضه غلاة الشيعة لتوليه أبا بكر وعمر رضي الله عنهما إذ قالوا له: تبرأ من أبي بكر وعمر حتى نبايعك . فقال لا أتبرأ منهما ، فقالوا : اذن نرفضك — قال اذهبوا فأنتم الرافضة ، فلزمهم هذا اللقب. وأما أبو خالد الواسطي فقد جرحه في الرواية الامام أحمد ويحيى بن معين وأبو داود والحاكم ويجيب بعض علماء الزيدية عن ذلك بأنه من قبيل طعن أهل كل مذهب في كل

مخالف لمذهبهم — ولا يصدق هذا على أمثال هؤلاء الأئمة فانهم لم يكونوا يحاربون أحداً ولا يتعصبون لمذاهب معينة ولا يتحاملون على أحد في الجرح والتعديل، وقد رووا عن كثير من مخالفيهم في بعض المسائل لما ثبت عندهم عدالتهم، على أن المذهب الذي قيل إنهم يجرحونه لاجله هو مذهب الامام زيد وهم متفقون على عدالته وفضله وللحاكم منهم نزعة تشيع معروفة. وكان أقرب من هذا العذر أن يقولوا إنه انفرد برواية أحاديث لم يروها أحد منهم فظنوا فيه أنه هو الذي وضعها، أو وجدها مكتوبة ولم يسمعها، وقد احتاط البخاري في ذلك فوصفه بأنه يروي المناكير، وهم لم يطعنوا فيه بشيء آخر غير هذه الاحاديث التي لم تعرف عن أحد غيره من رجال طرقهم. وقد أشار بعضهم الى أن جرحه من قبيل أقوال بعض المعاصرين بعضهم في بعض، وما قلنا أقرب الى ذهن المستقل لانه لم يكن ممن يظهر فيهم أنه من أقران من تكلموا فيه.

هذا وإن اكثر أحاديث الكتاب مخرجة في غيره من كتب الحديث المشهورة ومذهب الزيدية أو العترة ليس مبنيا عليه وحده بل هو مبني على الاجتهاد الصحيح وقد أنبتت أرض اليمن في القرون الاخيرة التي مات فيها العلم الاستقلالي في اكثر بلاد الاسلام أئمة لا يستطيع أحد رأى كتبهم أن يماري في اجتهادهم. أو أن يفضل عليهم قريناً من علماء سائر المذاهب في أمصار الاسلام سواء المذاهب المنسوبة الى السنة والمنسوبة الى الشيعة الامامية، ومن يماري في اجتهاد ابن المرتضى وابن الوزير والمقبلي والشوكاني؟ دع الذين جمعوا بين امامة العلم وامامة الحكم كالهادي والناصر ويحيى والمتوكل، وهم يشترطون في الامام الاعظم (خليفه المسلمين) ما يشترط اهل السنة من الاجتهاد في الدين ولذلك بقي الاجتهاد فيهم وسيبقى ان شاء الله تعالى وان ضعف العلم في هذا الزمان

وقد طبق الحافظ ابن حجر على أئمتهم حديث « سيبقى هذا الامر في قريش ما بقي من الناس اثنان » وهو يدل على اعترافه بصحة إمامتهم، وتبعه في ذلك غيره كالقسطلاني فذكره في شرحه للبخاري من غير عزو ولو أنهم كانوا يعنون بالدعوة الى الاسلام والى إقامته في البلاد والقبائل التي درست رسومه فيها من جزيرة العرب وغيرها كما فعل الشيخ محمد عبدالوهاب وخلفائه في نجد وما حولها، لاحيوا الاسلام وعمت إمامتهم جزيرة العرب

كلها ؛ مهما يكن من مقاومة الدولة لهم فيها .

﴿ القصائد والصحائف ﴾ كتابان في مجلد واحد لداعية العصبية العربية أبي الفضل الوليد بن طعمة الشهير وقف هذا العربي الابي الكاتب الشاعر حياته على إحياء العصبية العربية وتجديد مجد العرب وملكهم فأنشأ أولا جريدة سماها (الحمراء) تذكيراً بمجد العرب في الاندلس ثم كان يكتب في جريدة النهضة العربية (وكلتاهما صدرتا في الارجنتين) ولم تكن الصحيفتان قبل احتجابهما تتسعان لمخدرات أفكاره ؛ فكان ينشر شعره ونثره في دواوين خاصة ؛ وقد طبع ديوانه الاول الطبعة الثالثة في (سان باولو — البرازيل) سنة ١٩١٥ وكان في سن الحادية والعشرين ثم طبع في سنة ١٩١٦ مجموعة مقالات أدبية سماها (نفحة الورد) ختمها بمقالة في الدعوة العربية التي تتجلى في مقالات كثيرة منها ، وكان يدعو الى اتحاد النصارى مع المسلمين في القومية العربية على القاعدة التي يدعو اليها السياسيون المستدينون وهي ان الدين لا يمنع من اتفاق المختلفين فيه على مصالحهم الدنيوية المشتركة ، بل قال ان كانت الوحدة العربيه تتوقف على توحيد الدين فهو يدعو أهل ملته النصارى الى الاسلام لاجل تحقيق تلك الوحدة

وأما هذه القصائد والصحائف التي كانت آخر ما نشره من نظمه ونثره فهي اسلامية عربية يدعو فيها الى تجديد مجد الاسلام بالعرب ومجد العرب بالاسلام فقد كتب على طرتها انه « طبعها بنفقته وعنايته لخدمة الدين والامة والوطن » وانه ألفها في سنتي ١٣٣٧ و١٣٣٨ وطبعها في سنة ١٣٣٩ وقد صرح فيها باسلامه وافتتحها بالبسملة ولكنه بنى دعوته على شفا جرف هار ، بنى عليه قصوراً من الخيال ، دونها الحمراء والزهراء ، في البهجة والجمال ، وحصوناً من الاماني دونها الابلق الفرد ، بل جزيرة هيلوجلند . ذلك بأنه اغتر بثورة الحجاز والمملكة العربية فيه ، فطفق يدعو سائر العرب والمسلمين الى مبايعة ملكه ، وهو لا يدري انه قد قيد نفسه بوصاية دولة اذا مرت بيد أو أكلت أو شربت فيه أو دفن أحد من بنيها في أرضه تزعم انه صار ملكا لها وزال كل حق لاهله منه الا ما تمنحه هي لمن تستخدمهم في استعباده — وهو لا يدري كنه استعداد الحجاز وأهله للحكم والملك ، ولا ولا . . . إنما هو أديب عنامر، وشاعر ، وثائر وغيور على أمته ، ولكنه أضاع جواده بوضعه في غير موضعه لعضي أن لا تثنيه خيبة الامل من هذا الطريق على سلوك غيره في جهاده ونصائحه



قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومنارا » كمنار الطريق

٣٠ جمادى الآخرة ١٣٤١ — ٢٧ الدلو (ش ٢) سنة ١٣٠١ هش ١٦ فبراير ١٩٢٣

﴿ فتاوى المنار ﴾

عقود ضمان الحياة والمال من التلف والمكوس وقراءة العامي للحديث

(س ٣ — ٥) من صاحب الامضاء في بيروت

حضرة الاستاذ الفاضل واللوذعي الكامل مولانا السيد محمد رشيد افندي رضا صاحب مجلة المنار الغراء لازال منارا للاسلام، وكهفاً للانام . أتقدم الى موائد علمكم الشريف بالاسئلة الآتية :

رجل ضمن محل تجارته من الحريق في احدى شركات الضمان (السيكورتاه) على مبلغ معين من المال وقدر الله واحترق ذلك المحل فهل يجوز له شرعا مطالبة شركة الضمان بهذا المبلغ ويكون حلالا له أم لا ؟ وهل كل انواع الضمانات ضد الحريق والحياة والغرق والسرقة شرعية يجوز عملها أم لا ؟ وهل الرسوم الجمركية التي تؤخذ على البضائع التجارية هي من المكوس المحرمة التي لا يجوز أخذها ؟ وإذا كانت حراما أيجوز للانسان دفعها ولا يأثم على ذلك أم لا ؟

وهل يجوز للعامي الذي لا يعرف نحواً ولا صرفا أن يقرأ حديث رسول الله صلى

الله عليه وسلم مع اللحن فيه ام لا ؟ تفضلو بينوا لنا ذلك والله يجازيكم على نشر أحكام شرعه أحسن الجزاء السائل

محمد طاهر اللادقي ببيروت

(ج) ١— كل ما في السؤال الاول فهو من المعاملات المالية غير المشروعة في الاسلام فلم يرد بها نص من الشارع، ولم يقررها بالاجتهاد امام عادل، وانما هي من العقود الحادثة عند أولي المدنية المادية في هذا العصر . ومن التزمها في غير دار الاسلام والعدل لزمته شاء أم أبى ، وانما هو مخير في أخذ ما ثبت له دون ما ثبت عليه ، والمؤمن في غير دار الاسلام أن يأكل مال اهلها بعقودهم ورضاهم فهو لا يكلف معهم التزام احكام دار الاسلام التي يلتزمونها ، ولكن عليه ان يحاسب نفسه على اضاعة ماله باختياره فيما له مندوحة عنه ، وليس له ان يخون الحكومة غير الاسلامية بدارها في المكوس المقررة عندها في نظامها ، واما اذا استطاع اسقاطها او تخفيفها بغير السرقة والخيانة فلا بأس .

٢—وأما المكوس في دار الاسلام فقد ورد في السنة مايدل على تحريمها وهو معروف وجماهير الفقهاء يحصرون مال الحكومة الاسلامية بما يذكرونه في كتب الفقه كالغنائم والخراج وزكاة أموال المسلمين وجزية الذميين وما يستخرج من الارض من الدفائن والمعادن . ولكن بعض المحققين بينوا أنه يجوز للامام (العادل) استحداث ضرائب جديدة اذا توقف عليها القيام بأمر الملك، وحاجة الجند

قال الامام الشاطبي في المثال الخامس المصالح المرسلة من كتابه الاعتصام (ص٩٥ج٢) مانصه: « اذا قررنا اماما مطاعا مفتقرا الى تكثير الجنود لسد الثغور وحماية الملك المتسع الاقطار، وخلا بيت المال، وارتفعت حاجات الجند الى مالا يكفيهم (اي بيت المال) فللامام اذا كان عدلا ان يوظف على الاغنياء مايراه كافيا لهم في الحال ، الى ان يظهر[1] مال بيت المال. ثم اليه النظر في توظيف ذلك على الغلات والثمار وغير ذلك . . . (قال) وانما لم ينقل ذلك عن الاولين لاتساع مال بيت

(١) لعله يكثر

المال في زمانهم بخلاف زماننا . فان القضية فيه احرى ، ووجه المصلحة هنا ظاهر فانه لو لم يفعل الامام ذلك النظام ، بطلت شوكة الامام ، وصارت ديارنا عرضة لاستيلاء الكفار ، وانما نظام ذلك كله شوكة الامام بعدله فالذين يحذرون من الدواهي لوتنقطع عنهم الشوكة يستحقرون بالاضافة اليها أموالهم كلها ، فضلا عن اليسير منها » الخ

ونقول إن حاجة الجند في زمن المؤلف رحمه الله وهو من علماء الاندلس في القرن الثامن لاتذكر بالنسبة الى حاجتهم في زماننا هذا الذي تنفق الدول فيه اكثر اموالها في الجندية وحاجها فقد صارت العلوم والفنون والاسلحة البرية والبحرية والجوية فيها اوسع علوم البشر واعمالها . ويتعذر إقامة حكومة اسلامية صحيحة تلتزم احكام فقه لا تكون مراعاة المصالح المرسلة من قواعده . ولا يكون امامها (الخليفة) واهل الشورى لديه اوبعضهم من العلماء المجتهدين في احكام الشرع

٣ — يجوز للعامي ان يطالع كتب السنة للاستفادة منها فان عوام العرب يفهمون كثيرا منها فهما صحيحا . واذا اراد ان يحفظ حديثا ليرويه ويفيد الناس به فعليه ان يعتمد على بعض اهل العلم في ضبط الفاظه وفهم معناه ودرجته في الصحة وما يقابلها

﴿ التصوير واتخاذ الصور والتماثيل ﴾

(س ٩) ومنه

الفاضل الهمام مفتي الانام ، مقتفي أثر سيد الاقوام، السيد محمد رشيد افندي رضا دام بسلام

قال بعض أهل العلم: ان الصورة اذا كانت غير كاملة أعني مشتملة على النصف الاعلى للانسان لا بأس بها ولم أعثر على دليل يجوز ذلك من الكتاب ولا من السنة بل الاحاديث الصحيحة الموجودة تحرم ذلك قطعا وقد ورد عن الرسول (ص) انه قال : « من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ » رواه البخاري ومسلم : وقد ورد في الصحيح . « ان اشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون » او ما معناه وفي كتاب الترغيب والترهيب للشيخ الامام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري

المتوفى سنة ٦٥٦ ما نصه وعن اسامة بن زيد رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه الكآبة فسألته ماله فقال لم يأتني جبريل منذ ثلاث » فاذا جرو كلب بين بيوته فأمر به فقتل فبدا له جبريل عليه السلام فهش اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك لم تأتني فقال « انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا تصاوير » رواه احمد ورواته محتج بهم في الصحيح ورواه الطبراني في الكبير بنحوه اهـ فيؤخذ من ذلك تحريم التصوير مطلقا سواء كان باليد أو بالآلة الفوتغرافية وأيضا التماثيل النحاسية والجبسية وغيرها وقد رأينا للاستاذ الامام مفتي الديار المصرية سابقا المرحوم الشيخ محمد عبده رسما فوتغرافيا لهيئته الكريمة على مانعلمه من طول باعه وكثرة بحثه واطلاعه وغيرته على الدين القويم وسلوكه الطريق المستقيم وتمسكه بالكتاب والسنة وازالته للشبه والبدع فلعل فضيلة الاستاذ الامام قد اطلع على ما غمض عن الافهام بجواز حل ذلك وليس بخاف أن الاحاديث لم تقيد بزمن مخصوص بل هي عامة في جميع الازمان فألتمس من فضيلتكم الجواب بتفصيل ذلك —

محمد طاهر اللادقي

(ج) تكرر بيان حكم التصوير واتخاذ الصور والتماثيل في مجلدات المنار ويجد السائل اختلاف أقوال الفقهاء في المجلدين الرابع عشر والخامس عشر وفي مجلدات اخرى وأما توفية المسألة حقها وتحرير القول في أدلتها والتحقيق فيها فيجده في ج ٥ و ٦ من المجلد العشرين ولا يمكن إعادة نشره لطوله

﴿ بيع الغائب وما ليس بمملوك ﴾

(س٧) ومنه اذا اشترى تاجر بضاعة غير حاضرة من تاجر آخر أو قومسيونجي ودفع له الثمن او عربونا على ان يسلمه إياها بعد شهرين حتى تحضر من محل موردها فباعها المشتري قبل حضورها واستلامها لتاجر آخر وهكذا بيعت لاشخاص كثيرين قبل حضورها فهل هذا البيع مباح شرعي أم لا ؟ وهل يجوز لمن اشترى ان يبيعها بثمنها الاصلي أو بربح أو بخسارة للتاجر أو للقومسيونجي الاول أم لا ؟ تفضلوا ببيان ذلك لا زلتم هادين مهديين وللحق ناصرين م ؟

(ج) بيع البضاعة المملوكة الغائبة جائز شرعا، وكذا بيع ما هو غير مملوك الى أجل اذا عينه بالوصف والقدر المانع للغش وهو الذي يعرف في الشرع بالسلم وله شروط يسأل العلماء عنها من لا يعرفها اذا احتاج اليها ولكن ورد في حديث أبي هريرة عند مسلم مرفوعا « من اشترى طعاما فلا يبعه حتى يكتاله » وفي رواية « حتى يقبضه » وأخرى « حتى يستوفيه » وفي حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا « لا يحل سلف وبيع ولا شرطان في بيع ولا ربح ما لم يضمن ولا بيع ما ليس عندك » رواه احمد وأصحاب السنن الاربعة وصححه الترمذي منهم وكذا ابن خزيمة . وفي الاحتجاج بحديث عمرو هذا خلاف ولكن هذا الحديث عنه قد صرح فيه بالسماع وبذكر جده الاعلى عبد الله بن عمرو فالخلاف فيه ضعيف . والمراد بالسلف فيه القرض اذا بايعه عليه لاجل النقص من الثمن . قال النووي في شرح حديث مسلم المذكور آنفا وما في معناه : وفي هذه الاحاديث النهي عن بيع المبيع حتى يقبضه البائع واختلف العلماء في ذلك فقال الشافعي لا يصح بيع المبيع قبل قبضه سواء كان طعاما أو عقارا او منقولا او نقدا او غيره . وقال عثمان البتي يجوز في كل مبيع وقال ابو حنيفة لا يجوز في كل شيء الا العقار . وقال مالك لا يجوز في الطعام ويجوز فيما سواه ووافقه كثيرون ، وقال آخرون لا يجوز في المكيل والموزون ويجوز فيما سواهما . ثم ذكر ان قول عثمان البتي شاذ . واقول : ان مذهب مالك هو الوسط المعتدل في المسألة اذ اقتصر على منطوق الحديث فان نوطه هذا الحكم بالطعام ليس عبثا فان قوت الامة لا يصح ان تعبث به الحيل التجارية ولا ان يكون من ذرائع الربا الذي حرمه الله فيه وفي النقدين بالاجماع . والله اعلم واحكم

﴿ قتل الرجل امرأته ﴾

(س ٩) من صاحب الامضاء في الكويت

الى استاذنا صاحب المنار ادامه الله

قتل رجل زوجه بلا مسوغ وله بنت قاصر منها افتونا برأيكم في القاتل وما يكون الحكم عليه في مذهب الشافعي لازلتم منارا يستضاء بكم عبد الرحمن النقيب

(ج) جاءنا هذا السؤال فلم نعلم المراد منه فان المتبادر منه أن القتل كان عمدا وحكم القاتل المتعمد معلوم من الشرع بالضرورة بشروطه إذا ثبت شرعا ، فعسى أن يوضح السائل سؤاله ويصرح بالامر الذي يطلب بيان حكمه

الخلافة الاسلامية

(٣)

﴿ ٢١ – مقاصد الناس في الخلافة وما يجب على حزب الاصلاح ﴾

الامور بمقاصدها – ومقاصد الناس في الخلافة مختلفة وقلما يقصد أحد منهم إقامة الخلافة الصحيحة الشرعية التي بينا حقيقتها وأحكامها ، ذلك بأن أكثرهم لايعقلها ، ومن يعقلها من غير الا كثرين يظنون إقامتها متعذرة ، وانه لا مندوحة عن الرضى بخلافة الضرورة ، التي لاتراعى فيها جميع الشروط الشرعية ، ولا جميع ما يجب على الخليفة والجماعة ، ثم هم يختلفون في حد هذه الضرورة لاتساع مجال الرأي والهوى فيه حتى لا يبقى بينهم وبين من لا يعرفون حقيقة هذا المنصب ومنافعه كبير فرق ، ولو عرفها السواد الاعظم لتمنوها ،ولو وضع نظام لاقامتها ودعوا اليه لاجابوا ، وبذلوا في سبيله مااستطاعوا

باحثت كثيراً من خواص المصريين المعممين وغير المعممين في هذه المسألة فألفيتهم متفقين على أن القصد من تأييد الخلافة الجديدة التي ابتدعتها حكومة أنقرة الجمهورية في الاستانة خذلان الدولة البريطانية في دسائسها التي ترمي بها الى جعل هذا المنصب الاسلامي الرفيع آلة في يدها فيما كانت تسعى اليه من اصطناع الملك حسين في مكة والسلطان وحيد الدين في الآستانة وما آل اليه سعيها من الجمع بينهما بعد تهريبها الثاني الى مالطة ، ولم يقصد أحد من المصريين بتأييد الخليفة الجديد بالتهنئة ولا المبايعة أن يكون له على بلادهم حق إمام المسلمين الاعظم على الامة من كون حكومتهم تابعة له وخاضعة لسلطانه فيما يرى فيه المصلحة من نصب أمرائها وحكامها وعزلهم وجباية المال واخذ الجند للجهاد ولا غير ذلك من وظائف الخلافة التي ذكرها علماء الاسلام – وهذا كما ترى غرض سياسي فائدته سلبية والباعث عليه الشعور الاسلامي العام الذي ولده الضغط الاجنبي ومحاولة هذه الدولة لاستعباد الشعوب الاسلامية التي بقي لها بقية من الاستقلال ولا سيما الترك والعرب ،وهو لا يتوقف على وجود الخلافة الصحيحة ولا الامام الحق والجماعة ، بل هو من قبيل المظاهرة السياسية للزعيم السياسي سعد باشا زغلول بل دونها قوة ، لاجل هذا لا يبالون ما كانت

شروط هذه الخلافة وأعمالها ، ومثلهم في ذلك سائر مسلمي أفريقية وأمثالهم من المستذلين للاجانب، على ان هؤلاء يتمنون لويكونون تابعين للدولة التركية ويعلمون ان ذلك متعذر ولكن ساسة المصريين لا يتمنى أحد منهم ذلك

ومسلمو الهند أشد عناية من سائر مسلمي الارض بهذا الامر ، ونصرهم للخلافة التركية إيجابي وسلبي لا سلبي فقط ، ولا يرضون أن تكون خلافة روحانية لاحكم لها ولا سلطان، فاذا تساهلوا في بعض شروطها التي توجبها مذهبهم الذي يتعصبون له أشد التعصب بشبهة الضرورة فلا يتساهلون في أصل موضوعها والمقصد الذي شرعت لاجله وهو اقامة أحكام الشرع الاسلامي في العبادات والمعاملات المدنية والسياسية وغيرها — فهم يحتمون أن يكون الخليفة — وان متغلبا — رئيس الحكومة الاسلامية الاعلى، ثم لا يسألون بعد ذلك أقام أحكام الشرع أم لا ، بدليل ما كان من تعصبهم لعبد الحميد الذي جعل نفسه فوق الشرع والقانون — فكان مستبداً في كل شيء — ثم لمحمد رشاد الذي لم يكن بيده من الامر شيء — وكذا للاتحاديين الذين سلبوه كل شيء — ، ثم لوحيد الدين الى أن فرّ مع الاجانب مغاضبا لقومه ولسائر المسلمين،

فاذا ظل هذا منتهى شوطهم، فلاحياة للخلافة الصحيحة بسعيهم، ولا حاجة الى تأليف حزب أو جمعية غير ماعندهم، ويمكن على هذا ارضاؤهم بالخلافة الروحية بحيلة لفظية، كأن تشترط الحكومة الفعلية على من تسميه خليفة أن يفوض اليها أمر الاحكام كلها أو ما يسمونه الآن في عرف القوانين بالسلطتين التشريعية والتنفيذية . وان كان يعلم هو وسائر الناس ان التفويض الصحيح في الشيء انما يكون ممن يملكه ويكون مختاراً فيه وانه لا يسلبه حق مراقبة المفوض اليه ومؤاخذته ولو بالعزل ، اذا خالف نصوص الشرع أو خرج عن جادّة العدل ، بل هذه المراقبة على الوزراء والامراء والقواد والقضاة واجبة على امام المسلمين وهو مقيد فيها وفيما يترتب عليها بنصوص الشرع ومشاورة أهل الحل والعقد، لا مستبد في الامر

اذا ظل المسلمون على هذه الحالة فلا امامة ولا امام ، وقد أنيَ لهم أن يفقهوا أن جعل ما سموه أحكام الضرورة في خلافة التغلب أصلا ثابتا دائما هو الذي هدم بناء الامامة ، وذهب بسلطة الامة المعبر عنها بالجماعة ، وترتب

عليه تفرق الكلمة، وضعف الدين والدولة ، وظهور البدع على السنة. وقد انقلب الوضع وعم الجهل،حتى صار الالوف من كبراء حكام المسلمين وقوادهم وزعمائهم في دنياهم يظنون في هذا العصر ان منصب الخلافة وغيره من أحكام الاسلام هي سبب ضعف المسلمين وانه لا تقوم لهم بها قائمة ، ولا يكونون مع التزامها أمة عزيزة غنية — والامر بالضد

والعلاج الشافي من هذا الداء ، والدواء المستأصل لهذا الوباء ؛ هو إحياء منصب الامامة ، باعادة سلطة أهل الحل والعقد المعبر عنهم بالجماعة ، لاقامة الحكومة الاسلامية الصحيحة ، التي هي خير حكومة يصلح بها أمر المسلمين بل أمر سائر البشر ، بجمعها بين العدل والمساواة وحفظ المصالح ومنع المفاسد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكفالة القاصرين والعاجزين، وكفاية الفقراء والمساكين من صدقات المسلمين ، ففيها علاج لجميع المفاسد الاجتماعية، في حكومات المدنية المادية ، التى ألجأت الجماعات الكثيرة الى البلشفية والفوضوية

فاذا أقيم بناء حكومة منظمة على هذه الاسس والقواعد لا تلبث بعد ظهور أمرها ، أن تكون قدوة للامم الحرة التى أمرها بيدها ، ولا يستطيع أكابر مجرميها ، أن يمكروا بعد ذلك فيها ، ليصدوها عنها ويفووها .وحينئذ ينجز الله وعده لنا ، كما أنجزه لمن قبلنا ، في قوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم) الآية

فالواجب على حزب الاصلاح الذي نقترحه أن يوجه كل قصده وهمه أولا الى بيان شكل لحكومة الخلافة الاسلامية الاعلى بالنظام اللائق بهذا العصر الذي امتاز بالنظام على سائر العصور ، ثم يحاول اقناع أصحاب النفوذ في البلاد الاسلامية المرجوة لتنفيذه بما فيه من المصالح والمنافع والسعادة، وبتفضيله على جميع أنواع الحكومات في العالم كله ، وبامكان تنفيذه ، ودفع كل ما للمتفرنجين واليائسين من الشبهات على ذلك ، وكل ذلك سهل كما جربنا بأنفسنا ،

٢٢ — علاقة الخلافة بالعرب والترك

ثم ليعلم هذا الحزب ان الفوز في هذا يتوقف على التأليف والتوحيد بين العرب والترك واتفاقهما عليه ولو بالجملة ومراعاة ما قوي في هذا العصر من العصبية

الجنسية مع اتقاء ضررها بقدر الاستطاعة ، وكذا عصبية المذهب عند طائفة الزيدية ، لا لان جمع الكلمة ووحدة الامة من أهم ما يجب من أعمال الخليفة فقط بل لان النجاح المطلوب في هذا الامر يتوقف على تعاون الشعبين عليه . ذلك أن احياء منصب الخلافة الصحيحة، يتوقف على إحياء الدين والشريعة ، وانما يكون هذا بالعلم الاستقلالي في الدين المعبر عنه بالاجتهاد المطلق ، وهو يتوقف على اتقان اللغة العربية، لاجل فهم الكتاب والسنة، فعلاقة هذا المنصب بلغة العرب وبتاريخ العرب وببلاد العرب جلي ظاهر، فثم مهبط الوحي، ومظهر الاسلام الحق، حيث قبلته ومشاعر دينه، وموضع اقامة الركن الاجتماعي العام من أركانه، ولا يمكن أن يماري في هذا من يماري في اشتراط النسب القرشي فيها خلافا لمذاهب السنة كلها أو العلوي الفاطمي خلافا لمذاهب الشيعة وخاصة الزيدية. العرب قوة عظيمة للخلافة ولكنها غير منظمة ولا متحدة كقوة الترك ، والعمل بالشريعة في حكومات جزيرة العرب المستقلة وأهلها أتم وأ كمل منه في بلاد الترك، ولكن هذه الحكومات غير قادرة الآن على اظهار حضارة الاسلام ولا على نشر دعوته الصحيحة على الوجه الذي يحرك الى النظر كما اشترط بعض علماء الكلام والترك أقدر منهم على الاول وأعظم عونا على الثاني اذا قنعوا باقامة الامامة الحق على صراطها المستقيم، فكل من هذين الشعبين يمكن أن يكمل ما ينقص الآخر في ذلك مع استقلال كل منهما في ادارة بلاده وسياستها والسيادة فيها وارتباط كل حكومة مستقلة فيهما — وكذا في غيرهما - بمقام الخلافة مباشرة بالرضى والاختيار خضوعا لحكم الشرع من جهة وانتفاعا بما يمكن من الوحدة الاسلامية في كل وقت بما يناسبه من جهة أخرى

لو اتفق رؤساء حكومة جزيرة العرب على جعل واحد منهم خليفة المسلمين وبايعوه مع علماء بلادهم وقضاتها وقوادها لما كان للترك أدنى وجه لمعارضتهم بخليفة ينصبونه في الآستانة وإن أعطوه حقوق الامامة الشرعية ـ وما هم بفاعلين ـ بل لو اتفق أهل الحجاز وتهامة ونجد أو اكثرهم على مبايعة إمام اليمن المشهود له بالعلم والعدالة والكفاية ، وأعلن هذا أنه يجري على قواعد الاجتهاد في إمامته ويقر أهل كل مذهب على مذهبهم لما استطاع أحد من علماء المسلمين لا العرب ولا العجم أن يطعن في خلافته أو يرجح عليها خلافة أخرى ، الا أن يتبع

أحد هواه فلا يكون لقوله قيمة ، ولا سيما اذا قام هذا الامام بالاصلاح الديني في الحجاز وسائر بلاد العرب ونظم قوى الامامة التنظيم الذي تقتضيه حالة العصر وما هو بعسير ، واذا فات هذه الامامة اعتراف بعض الاقطار الاسلامية بها اليوم فلا يفوتها ذلك غدا بعد بث الدعوة ولو في موسم الحج وحده والدين عون لهم وظهير ، ولكن اكبر مصائب العرب التفرق وحب الرياسة

ومكانة مصر تلي مكانة جزيرة العرب في هذا الامر لو كانت مستقلة وارادت اقامة الخلافة الشرعية الصحيحة ولكن المتفرنجين فيها كالمتفرنجين في الترك يأبى أكثرهم ذلك ويجهل قيمته. والدولة البريطانية عدوة الخلافة والعرب تعارض هذا وذلك بكل قواها ، وقد كان نصرها الترك على محمد علي خوفا من تجدد شباب الاسلام بدولة عربية، وهي تعتقد ان الترك لا يجددون حياة الخلافة الصحيحة أبدا ولا ينشرون دعوة الاسلام، وكان هذا أحد أسباب تأييدها لهم ولخلافتهم في الجملة. وكل ماقيل من أن الانكليز كانوا يسعون لاقامة خلافة عربية في مصر أو الحجاز قبل الحرب الكبرى فهو كذب محض ، ولو فعلت ذلك مصر لاتبعها الحجاز حتما وكذا سورية اذا استطاعتا بل تتمنى هذه الاقطار اتباعها ولو بدون اقامة الخلافة فيها ، ولعل أهل السنة وكثير من الشيعة في العراق لا يأبون هذه الوحدة العربية

يظن بعض الناس أنه ينقص البلاد العربية شيء أهم من هذا الامر السلبي وهو الضعف وفقد الشوكة التي يحمون بها الخلافة ومقام الخلافة ، بله القدرة على ما يقدر عليه الترك من الجهاد والفتح . وهذا الظن باطل فان اليمن وحدها قد حفظت استقلالها ومنصب الامامة فيها أكثر من ألف سنة ، وان الترك قاتلوا أئمة اليمن زهاء أربعة قرون وما استطاعوا القضاء على إمامتهم ولا الاستيلاء على جميع بلادهم ، مع كثرة من ظاهر الترك من أهل البلاد بسبب اختلاف المذهب . ولولا قوة اليمن لاستولى عليها الانكليز من عهد بعيد كما صرح بذلك أحد ولاة عدن منهم امام زعيم عربي حضرمي قال : لو لا هذا الامام الذي عنده نصف مليون مقاتل لو قال لهم ألقوا أنفسكم في النار أطاعوه — لاستولينا على جميع جزيرة العرب بغير قتال يذكر

هذا وان جزيرة العرب لا يخشى عليها من غير الانكليز ، وهؤلاء لا

يحاولون فتحها بالسيف والنار لموانع كثيرة — منها أنهم لا يقاتلون شعباً قويا حربيا بالطبع في بلاد وعرة كثيرة الجبال والاودية خالية من سكك الحديد وسائر أنواع المواصلات ، ومنها أن قتال أهل هذه البلاد كثير النفقات قليل الربح بل لا ربح فيه الا اذا تيسر أخذ البلاد وأنفق على الاصلاح فيها ملايين كثيرة نقداً لاجل الربح نسيئة، وانما يطمعون في الاستيلاء عليها باصطناع أمرائها وكبرائها بالدسائس والدراهم ، والتدخل فيها بحيل التجارة والامتيازات الاقتصادية بالتدريج ، وقد بذلوا في هذه السبيل أموالا عظيمة ولا يزالون يبذلون ولم يستفيدوا به شيئاً ثابتاً يوازيه ولا قدروا أن يصطنعوا به أحداً من أولئك الامراء الا ملك الحجاز وأولاده، ولن يستطيع هؤلاء بعد اليوم أن يعملوا لهم شيئاً لان الامة العربية قد عرفت كنه جنايتهم عليها فدوام استمساك الدولة البريطانية بهم لا يزيدها ويزيدهم الا مقتاً عند العرب وعند سائر المسلمين

بل نقول انه ليس من أصول السياسية البريطانية الفتح بالقوة العسكرية مطلقا، ولم تكن الدولة العثمانية هي المانعة للانكليز من فتح هذه البلاد قبل اليوم، فان الدولة لم تكن تستطيع إرسال جيش اليها الا من طريق البحر ، ومتى كان لها أسطول يقارب أحد الاساطيل البريطانية فيتمكن من ارسال الجند والذخيرة الى اليمن وحماية سواحلها وسائر سواحل الدولة من الانكليز اذا وقعت الحرب بينهما ؟ ولماذا لم تحم مصر أو تخرجهم منها ؟

وأما كون أهل جزيرة العرب لا يستطيعون الجهاد بقصد الفتح كالترك وهو ما فضل به الترك بعض الباحثين معنا في المسألة فيقال فيه ان من فضل الله على جزيرة العرب أنه ليس فيها شعوب أجنبية مختلفة في الجنس أو الدين يتحاكون بالعرب فيغرونها بفتح بلادهم ، وان الترك لا يرون شيئا أسلم لهم في بلادهم من اخراج الشعوب المخالفة لهم في الجنس والدين ليستريحوا من هذا التحاك وغوائله ، ولن يقدموا على قتال أحد من جيرانهم لاجل فتح بلاده — وقد كانت حروبهم في القرون الاخيرة كلها دفاعا للمعتدين أو مقاومة للثائرين، ولم يكن شيء منها لاجل سعة الملك ولا لاجل نشر الدين ، وهم أحوج الناس الى الاستراحة من القتال والانصراف الى عمران بلادهم وما يتوقف عليه من العلوم والفنون ، والطامعون في سعة الملك منهم انما يطمعون في ضم

الشعوب الاسلامية الشرقية اليوم التي يمكنهم أن يجنسوها بجنسيتهم اللغوية كالكرد والجركس والتتار وسائر شعوب الجنس الطوراني . وأما الدعوة الى الاسلام من غير قتال فالعرب أقدر عليها من الترك وهم دعاة بالطبع وقد أسلم الملايين من سكان افريقية وجزائر المحيط الجنوبي بدعوة تجار العرب والدراويش السائحين منهم ، وحرية الاعتقاد في أكثر حكومات هذا العصر تغني خليفة المسلمين عن القتال لحماية الدعوة وحرية الدين كما كان عليه خلفاء العرب من الاولين

إننا على علمنا بما ذكر كله نود أن يتعاون الترك والعرب على إحياء منصب الخلافة وسنذكر ما يمتاز به الترك على العرب في هذا المقام ليعلم ان كلا من الشعبين عاجز بانفراده قوي بأخيه على النهوض باعباء هذا الاصلاح المظيم ، الجدير بأن يغير نظام العالم وينقذ الشرق والغرب من الهلاك . وما نقترحه من وسائل التعاون والاتفاق خاصة بما سيتقرر من الخلافة الصحيحة الدائمة مع السكوت عن التعدد المعروف في الحال الحاضرة في الشعبين ، وذلك بأن يكون الذين يعلمون ويربون ليرشحوا للانتخاب الشرعي بالشورى من بيوتات شرفاء قريش وسادتها ، وان تكفل الدولة التركية هذا الاستعداد وتشرف على جميع شؤونه حتى لا يكون للتنافس فيه بين الشعبين أدنى مجال ، بل حتى يكون احياء هذا المنصب من أكبر أسباب الاتحاد والتعاون بينهما ، واذا شاء الترك حينئذ ان يكون مقام الخليفة في بلادهم فعلى حزب الاصلاح أن يقنع العرب بذلك ، وان كنا نرى ان الاجدر بالقبول الآن ان يكون في منطقة وسطى بين بلاد الشعبين ، على ما سنفصله بعد

والقسمة في مسألة مقام الخليفة ثلاثية وهي اما ان يكون في بلاد العرب أو الحجاز خاصة واما في بلاد الترك أو الآستانة خاصة وإما في منطقة وسطى مشتركة

٢٣ — جعل مركز الخلافة في الحجاز وموانعه

قد علمنا مما تقدم أن بلاد العرب بل جزيرتهم بل الحجاز منها هو أولى بلاد الاسلام بأن يكون موطن الخلافة الاسلامية ، ويزداد هذا ظهوراً ببيان الاصلاح الديني الذي يجب على الخليفة في هذا العصر ، ولكن في الحجاز موانع تحول اليوم دون إمكان وجود الخلافة الصحيحة التي يرجوها المسلمون

فيه حتى في حاله الحاضرة التي لا يرضى أهل قطر اسلامي آخر معها ان يكون تابعا له فكيف اذا أريد أن يسوس بلاد العرب كلها أو يدير شؤون غيرها من البلاد الاسلامية — فكيف اذا أريد أن يكون المثل الاعلى لافضل حكومة لا يرجى اصلاح حال البشر بدونها — واننا نذكر المهم منها — والحال هذه — وهو

(١) ان الملك المتغلب على الحجاز لهذا العهد يعتمد في تأييد ملكه على دولة غير اسلامية مستعبدة لكثير من شعوب المسلمين وطامعة في استعباد غيرهم ولا سيما العرب، وقد أوثق نفسه معها بعقود بل قيود اعترف لها فيها بأن الامة العربية منها بمنزلة القاصر من الوصي وان لها حق تربيتها وحمايتها من الداخل والخارج حتى حق دخول بلاده بالقوة العسكرية لكبح الثورات الداخلية، ومن شاء فليراجع نص هذه الوثائق في المجلد الثالث والعشرين من المنار (ص ٦١٢ — ٦٢٤)

(٢) ان هذا الملك قد لقب نفسه بملك العرب وهو يسعى لان يعترف له بأنه هو الزعيم الاكبر للامة العربية والممثل لجميع حكوماتها المستقلة لتكون كلها موبقة وموثقة ومرهقة بتلك العهود السالبة لاستقلالها على أن كل حكومة من الحكومات العربية المجاورة له أقوى وأصلح من حكومته من كل وجه وغير مقيدة نفسها بعهود سالبة للاستقلال

(٣) إنه قد رضي أن يجعل ولديه رئيسين في بعض البلاد العربية التي استولت عليها الدولة الاجنبية المذكورة تابعين لوزارة الاستعمار في تلك الدولة كالكثير من مستعمراتها التي لها رؤساء وطنيون، فكانوا بذلك أول من دان واعان دولة أجنبية غير مسلمة على استعمار بلاد العرب

(٤) ان حكومته استبدادية شخصية غير مقيدة بشيء فهو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. مثال ذلك ما نسمعه وما نراه في جريدتها المسماة بالقبلة من أخبار المصادرات المالية والغرامات الرسمية وغير ذلك مما لا نعرف له أصلا في الشرع الاسلامي. وأما القوانين الوضعية فهو يحرمها ويكفر العاملين بها !!

(٥) ان هذه الحكومة خصم لكل علم يعين على الاصلاح الديني والدنيوي فهي على كراهتها للعلوم والفنون العصرية حتى تقويم البلدان تمنع

كثيرا من الكتب الشرعية ككتب شيخي الاسلام المصلحين الكبيرين ابن تيمية وابن القيم وغيرهما من الحجاز

(٦) ما ثبت بالدلائل المختلفة من حرص أهل هذا البيت على الخلافة والامارة والملك ولو في ظل الامارة الاجنبية غير الاسلامية وقد سبق في المسألة العاشرة من هذه المباحث ان طالب الولاية لا يولى

(٧) ان اهل هذا البيت فاقدون لاهم شروط الخلافة ولا سيما العلم الشرعي بدليل ما نقرأه في منشورات الملك الرسمية وبلاغات حكومته من الاغلاط اللغوية والآيات القرآنية المحرفة والاحاديث الموضوعة على الرسول (ص) والتفاسير المخالفة للغة ولاجماع المفسرين وغير المفسرين، مع الاصرار على ذلك وعدم تصحيحه الدال على أنه لا يوجد عالم في الحجاز كله يتجرأ على تصحيح آية أو حديث أو حكم شرعي ينشر في جريدتهم التي هي عنوان الجهل . ونسكت عما نعلمه باختبارنا ورواية الصادقين المختبرين أيضا

(٨) ان معظم العالم الاسلامي يمقت حكومة الحجاز الحاضرة واننا نرى الطعن فيها في صحف مصر وتونس والجزائر وجاوه والترك والهند وغيرها على أن أكثر أصحاب هذه الصحف والكاتبين فيها لا يعلمون كل ما نعلم من سوء حالها

(٩) ان الذين يسعون لاحياء منصب الخلافة في الاسلام يرمون به الى ثلاثة أغراض (أحدها) اقامة حكومة الشورى الاسلامية كما شرعها الله لتكون حجة على البشر أجمعين كما تقدم (ثانيها) اعادة مدنية الاسلام بالعلوم والفنون والصناعات التي عليها مدار القوة والعمران — تلك المدنية الجامعة بين نعم الدنيا المادية، وبين الفضائل الدينية الروحية، التي تحل عقد جميع المشكلات الاجتماعية، (ثالثها) الاصلاح الديني بازالة الخرافات والبدع واحياء السنن وجمع الكلمة وشد أواخي الاخوة الاسلامية وسائر الفضائل الانسانية، وليس في حكومة الحجاز استعداد لهذه المقاصد العالية، ولا يرجى أن يرضى البيت الحاكم بالوسائل العلمية والعملية التي يتوقف عليها هذا الاصلاح العظيم

(١٠) ان الحجاز فاقد لما تتوقف عليه إقامة الخلافة من الشوكة والثروة فهو لا قوام له بنفسه فكيف يقوم بأعباء هذا المنصب العظيم ولا يرضى أحد

من مسلمي العرب المجاورين له ان يتبعوا حكومته الاستبدادية الضعيفة فكيف يرضى بذلك غيرهم ؟

٢٤ — إقامة الخلافة في بلاد الترك وموانعها ومرجحاتها

لجعل الخلافة الصحيحة في بلاد الترك موانع ترجع الى أمرين كليين (احدهما) وهو أهمهما ما يخشى من امتناع أكثر الزعماء العسكريين والسياسيين منه لما فيه من توحيد السلطة العامة في شخص الخليفة وما تتوقف عليه الخلافة من إحياء اللغة العربيـة في بلاد الترك — وفروع ذلك وأسبابه معروفة — (وثانيهما) معارضة الامة العربية ولا سيما في الجزيرة وما يتبعها ، ولكن المعارضة لا تكون مؤثرة وثابتة الا اذا جعلت الخلافة صورية كما كانت، أو روحية كما هي الآن. ولعلهم لولا ارادة جعلها مصلحة دعاية (بوربغندة) للدولة التركيـة لما اختاروا لها الآستانة مدينة الفخفخة الباطلة، والعظمة الزائلة التي صارت طرفاً في البلاد الاسلامية ومهددة بحرا وبرا. فاذا كانت لا تصلح ان تكون عاصمة للدولة التركية . فلن تصلح للخلافة الاسلامية بالاولى

واما اذا قبل أولو الامر من الترك أن يحيوا منصب الخلافة الحق فالرجاء في تحقيق أغراضها ومقاصدها الثلاثة يكون أتم وأسرع وتقوم بها الحجة على العرب الا اذا اجتمعت كلمة أمراء الجزيرة على مبايعة واحد منهم وذلك غير منتظر لما تقدم بسطه فيكون الرجحان لمن يؤيده الترك بالاسباب الآتية

(١) ان الترك الآن في موقف وسط بين جمود التقاليد وطموح التفرنج — جمود عرب الجزيرة الذي جعل الدين مانعاً من العلوم والفنون التي ترقى بها حضارة الأمة وثروتها، وعزة الدولة وقوتها — وطموح التفرنج الذي يراد به انتزاع مقومات الامة الاسلامية الدينية والتاريخية ، ومشخصاتها ، واستبدال مقومات أمة أخرى ومشخصاتها بها . وحضارة الاسلام وحكومة الخلافة هي وسط بين الجمود وبين حضارة الافرنج المادية التي تفتك بها ميكروبات الفساد وأوبئة الهلاك ، فهي عرضة للزوال ، فكيف حال من يقلدها تقليداً تأباه طبيعة أمته وعقائدها

(٢) ان ما ظهر من عزم الحكومة التركية الجديدة وحزمها وشجاعتها

وعلو همتها وإقدامها يضمن بفضل الله تعالى نجاحها في إقامه هذا الاصلاح الاسلامي بل الانساني الاعظم باقامة حكومة الخلافة الجامعة بين القوة المادية والفضائل الانسانية المغنية للبشر عن خطر البلشفية والفوضوية لانها كافلة لكل ما تطلبه الاشتراكية المعتدلة من الانصاف والانتصاف من اثرة أرباب رؤوس الأموال . وهي بهذه الصفات أقدر على اتقاء كيد أعداء الاسلام الذين يقاومون الخلافة جهد طاقتهم

(٣) ان الدولة التركية الجديدة هي الدولة الاسلامية التي برعت في فنون الحرب الحديثة ويرجى اذا نجحت فيما تعنى به من الاخذ بوسائل الثروة والعمران ان تمكنها مواردها من الاستغناء عن جلب الاسلحة وغيرها من أدوات الحرب بصنعها في بلادها فتزداد قوة على حفظ حكومتها وبلادها ، وتكون قدوة لجيرانها واستاذا لهم

(٤) ان جعل مقام الخليفة في بلاد الترك أو كفالتهم له يقوي هداية الدين في هذا الشعب الاسلامي الكبير ويحول دون نجاح ملاحدة المتفرنجين وغلاة العصبية الجنسية، في إبانته من جسم الجامعة الاسلامية . فيظل سياجا للاسلام وعضوا رئيسيا في جامعته الفضلى

(٥) لئن كان جهل العرب والترك في الزمن الماضي بمعنى الخلافة ووظائفها — ولاسيما جمعها لكلمة المسلمين — سببا من أسباب تقاطعهما وتدابرهما التي انتهت بسقوط السلطنة العثمانية وباستيلاء الاجانب على قسم كبير من بلاد العرب والتمهيد للاستيلاء على الباقي فان مانسعى اليه الآن سيكون ان شاء الله تعالى أقوى الاسباب لجمع الكلمة والتعاون على احياء علوم الاسلام ومدنيته مع استقلال كل فريق بادارة بلاده مستمدا السلطة من الخليفة الامام المجتهد في علوم الشرع الاسلامي المنتخب بالشورى من أهل الحل والعقد من العرب والترك وغيرهما من الشعوب الاسلامية بمقتضى النظام الذى يوضع لذلك

٢٥ إقامة الخلافة في منطقة وسطى

إنني ضعيف الامل في كل من العرب والترك لا أرى أحدا منهما قد ارتقى الى هذه الدرجة بنفسه ، ولا أرى آية بينة على استعدادهما لما اقترحت من

تعاونهما عليه . ولست ممن يدع لليأس مسربا يسرب فيه الى قلبه ، لهذا أقترح على حزب الاصلاح أن يسعى لاقناع الترك ، ولا بجعل الخلافة في مركز الدولة فان لم يستجيبوا فليساعدوا على جعلها في منطقة وسطى من البلاد التى يكثر فيها فيها العرب والترك والكرد كالموصل المتنازع عليها بين العراق والاناضول وسورية ويضم اليها مثلها من البلاد المتنازع فيها بين سورية والاناضول وتجعل شقة حياد ورابطة وصل معنوي ، في مظهر فصل جغرافي ، فتكون الموصل اسما وافق المسمى . الا فليجربوا ان كانوا مرتابين في عاقبة هذا الامر العظيم وليفوضوا الى حزب الاصلاح وضع النظام لاقامة الامامة العظمى في هذه المنطقة وتنفيذ أحكامها ومناهجها الاصلاحية الاسلامية فيها ، ثم لا يتبعها أحد من البلاد التي حولها الا بطوعه واختياره ، فاذا رضيت الدولة التركية بذلك على ان تكون كافلة له وذائدة عنه فالمرجو أن يرضى العرب والكرد به في هذه المنطقة وما يجاورها ، على ان يتفق الجميع من حولهم على احترامها فلا تعتدي ولا يعتدى عليها . والا وجب السعي لرد الامر الى معدنه ، واقراره في مقره ، بعد ازالة الموانع ، وتهيئة الوسائل . فان بدأ ناقصا ضعيفا ، فسيكمل ويكون قويا ، وقد « بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ ويأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها ـ ولا تزال طائفة من هذه الامة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون ـ كما ثبت في الاحاديث الصحيحة

٢٦ — نموذج من النظم الواجب وضعها للخلافة

أول ما يجب على الحزب الذي يولي وجهه شطر هذا الاصلاح العظيم أن يضع نظاما أساسيا لحكومة الخلافة على أتم الوجوه التي تقتضيها حال العصر في حراسة الدين وسياسة الدولة أو الدول الاسلامية واصلاح الامة ، وبرنامجاً لتنفيذ هذا النظام بالتدرج السريع الذي يدخل في الطاقة وكتابا في الاصول الشرعية للقوانين الاسلامية ، تقوم به الحجة على كل من يزعم عدم صلاحية الشريعة للحضارة والعمران فى هذا العصر

وبعد وضع النظام التام لاقامة الامامة على أساسها وقيامها بوظائفها وأعمالها ، يوضع نظام مؤقت لامامة الضرورة ، ويشرع في تنفيذ النظامين معاً

مثال تفصيلي من هذا الاجمال: تنشأ مدرسة عالية لتخريج المرشحين للامامة العظمى وللاجتهاد في الشرع الذين ينتخب منهم رجال ديوان الخلافة الخاص وأهل القضاء والافتاء وواضعو القوانين العامة ونظم الدعوة الى الاسلام والدفاع عنه، وازالة البدع والخرافات اللاصقة بأهله. ومما يدرس في هذه المدرسة أصول القوانين الدولية وعلم الملل والنحل، وخلاصة تاريخ الامم، وسنن الاجتماع، ونظم الهيئات الدينية كالفاتيكان والبطاركة والاساقفة وجمعيات التبشير الدينية وأعمالها — فتى تخرج من هذه المدرسة في الزمن المعين أفراد مستجمعون لشرائط الخلافة، ومن أهمها العلم الاستقلالي الاجتهادي والعدالة، تزول ضرورة جعل الخليفة جاهلا أو فاسقا

فاذا انتخب أحد المتخرجين في هذه المدرسة انتخابا حرا من قبل أهل الاختيار — الذين يتحرى فيهم أن يكونوا من جميع الاقطار الاسلامية ولاسيما المستقلة منها بموجب النظام الذي تقدم تم بايعه من سائر أهل الحل والعقد من يحصل بهم الثقة التامة للامة كافة قامت الحجة على كل فرد وجماعة أوشعب بأنه هو الامام الحق النائب عن الرسول صلى الله عليه وسلم في اقامة الدين وسياسة الدنيا، وأن طاعته فرض شرعي في كل ما هو غير معصية قطعية ثابتة بنص الكتاب أو السنة الصحيحة من المصالح العامة، ولا تجوز مخالفته في شيء من ذلك باجتهاد يعارض اجتهاده ولا تقليد مجتهد آخر، فان اجتهاده في المصالح العامة مرجح على اجتهاد غيره متى كان من أهل الاجتهاد كما هو الواجب. وانما يتبع كل امرئ اجتهاد نفسه أو فتوى قلبه وراحة وجدانه فيما يختلف فيه اجتهاد العلماء من الامور الشخصية الخاصة به ككون هذا المال حلالا أو حراما. ويجوز لكل مسلم مراجعة الخليفة فيما يخالف فيه النص ولاهل الحل والعقد مراجعته في رأيه واجتهاده الذي يخالف المصلحة العامة. ومثل ما يرجح اجتهاده فيما ذكر مثل حكم الحاكم فانه يرفع الخلاف في المسائل الاجتهادية، ولكن من علم أنه قضي له بغير حقه لا يحل له ديانة أن يأخذه لان علمه بالواقع أرجح من ظن القاضي الذي هو اجتهاده في الحكم أو في تطبيقه على قضية الدعوى كما ورد في الحديث الصحيح، على ان الحنفية يقولون بنفوذ حكم الحاكم في الظاهر والباطن فيحل عندهم ديانة أن تأكل ما حكم لك به القاضي الشرعي وان كنت تعلم أن المال ليس لك

بعد هذا أذكر الحزب بأهم البرامج والنظم التي يتوقف عليها العمل وهي

(١) برنامج المدرسة العليا التي يتخرج فيها الخلفاء والمجتهدون

(٢) « انتخاب الخليفة

(٣) « ديوان الخلافة الاداري والمالي ومجالسه

(ا) مجلس الشورى العامة

(ب) « الافتاء والتصنيفات الدينية والشرعية والنظر في المؤلفات

(ج) « التقليد والتفويض لرؤساء الحكومات والقضاة والمفتين

(د) « المراقبة العامة على الحكومة

(هـ) « الدعوة الى الاسلام والدعاة

(و) « خطابة المساجد والوعظ والارشاد والحسبة

(ز) « الزكاة الشرعية ومصارفها

(ح) « إمارة الحج وخدمة الحرمين الشريفين

(ط) « قلم الرسائل

٢٧ — نهضة المسلمين وتوقفها على الاجتهاد في الشرع

لا أرى من المصلحة أن أنشر كل ما عندي من العلم والرأي التفصيلي في وسائل تجديد الامامة الاسلامية العظمى ومقاصده ومنافعه لانني أخشى أن يستفيد منه اعداء الاسلام ما يكونون أقدر به على قطع الطريق علينا من حيث لا ننتفع نحن به كما يجب . فان استعدادنا لهذا الاصلاح لا يزال ضعيفا جدا : رئم المسلمون للضيم، ورزئوا بالضعف، ورضوا بالخسف ، ولم يبق لشعب منهم همة في خير ولا شر ، حتى كان هذا التطور الجديد في بعض شعوبهم في هذا العصر ، وقد كان جل سببه شدة ضغط الاجانب عليهم ، لا رجوعهم الى هداية دينهم ، ولا العلم بأنهم فقدوا بتركها ، ما كانوا قد أصابوه بهديها ، وانهم لو أقاموا شرعه ، وامتثلوا أمر الله في قوله (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) لما سبقهم أحد الى صنع المدافع والقذائف وسائر أنواع السلاح ، ولا الى بناء الجواري المنشآت في البحر كالاعلام ، والعلوم والفنون التي تتوقف عليها

هذه الاعمال ، ولما فاقهم أحد في فنون الحضارة ، وزينة الدنيا وطيبات المعيشة ، وهم يقرؤن في محكم كتابهم المنزل (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة)

ولوجاءت هذه النهضة بهداية الاسلام — وهو أهل لما هو أرقى منها — لكانوا في المدنية أسرع سيرا ، وأبعد شوطا ، ولما احتاج احياء منصب الخلافة الى سعي ودأب ، ولا لتأليف حزب ، على أن الشعور الاسلامي من اقوى الوسائل المعنوية للنهضة ، وان كان بعض العاملين فيها ليس لهم حظ منه ؛ بل هم حرب له ، بيد أن أكثرهم يعلم أنهم لابد لهم من مراعاته ومداراة اهله لانهم سواد الامة الاعظم الى أن يربوا جيلا جديداً يغرسون في أنفس نشئه الشعور الجنسي المحض ، ويكون هو صاحب الرأي العام في الشعب

هذا ما نعلمه بالخبر ، من أمر النهضة في مصر والترك ، بل قيل لنا أن نهضة الافغان الجديدة تغلب عليها صبغة المدنية لا الصبغة الدينية ، وهم أشد الشعوب الاسلامية الناهضة تديناً ، وأضعفهم تفرنجاً ، وقد يصح أن يقال انهم ليسوا من التفرنج في شيء ، فاننا نعني به الافتتان بتقليد الافرنج في مظاهر حياتهم وعاداتهم وشكل حكوماتهم ، لا العلوم والفنون والصناعات والنظم التي راجت سوقها في هذا العصر عندهم ، بعد أن كنا نحن أحق بها وأهلها ، في قرون طويلة كانوا فيها محرومين منها . وخير ما بلغنا عن الافغان في نهضتهم هذه انهم يعنون باقتباس الفنون الزراعية والصناعية من أوربة دون الفنون الادبية والعلوم القانونية ، فان لهم في آداب الاسلام وشريعته غنى عن ذلك ، ولا سيما اذا سلكوا فيها مسلك العلم الاستقلالي المعبر عنه بالاجتهاد ، فالترقي الاسلامي يتوقف عليه في تجديده مثلما توقف عليه في مبدئه . كما أبدأنا وأعدنا مرارا ولا بد من التكرار الكثير في مثل هذا . ولو كان الافغان متصلين بجزيرة العرب وجعلوا العربية لغتهم الرسمية لكانوا أجدر الشعوب الاسلامية بالسبق الى احياء منصب الخلافة ، على ان الرجاء في تجديدهم مدنية الاسلام في الشرق عظيم ، ولا غرو فموقظ الشرق وقائده في هذا العصر قد خرج من بلادهم

لايمكن للمسلمين أن يجمعوا بين هداية الاسلام وحضارته من حيث هو

دين سيادة وسلطان الا بالاجتهاد في شرعه الواسع المرن ، فترك الاجتهاد هو الذي رد بعضهم الى البداوة التي قضى عليها أو الى ما يقرب منها ، وطوح ببعضهم الى التفرنج والالحاد والسعي الى التفصي من الدين

مثال ذلك أن الترك نصبوا خليفة متقناً لصناعتي التصوير والموسيقى والعزف بالآلات الوترية ، وكل من هذين العملين محرم ومسقط للعدالة في المذاهب الاربعة ،ومن أشدها فيه مذهب الحنفية الذي ينتمي اليه الشعب التركي ، وقد ردت المحكمة الشرعية بمصر شهادة أستاذ موسيقي (موسيقار) من عهد قريب . ولكن لكل من المسألتين تخريجا في الاجتهاد كما سنشير اليه في هذا البحث. وقد سئل الغازي مصطفى كمال باشا في أثناء سياحته الاخيرة في الاناضول عن صنع التماثيل ونصبها في البلاد أليس محرماً شرعاً ؟ ـ وقد روي أنهم سينصبون له تمثالا في أنقرة — فأفتى بأنه غير محرم اليوم كما كان محرماً في أول الاسلام وقرب العهد بالوثنية وجزم بأنه لا بد للامة التركية من الاشتغال بنحت التماثيل لانه من فنون حضارة العصر الضرورية واستشهد أو استدل على حله بما رأى في مصر من التماثيل

وقد أفتى لنفسه وللحكومة في مسألة اختلاط النساء بالرجال، ومشاركتهن لهم في الاعمال، بل سن فيهـا سنـة جديدة اذ عقد له في أزمير على فتاة متفرنجة حضرت مجلس العقد بنفسها ووقفت تجاهه فيـه وسألها القاضي عن رضاها به بعلا فأجابت ، وسجل زواجهما وطفقت بعد تسافر معه بزي الفرسان ، وتقابل معه من يلقى من الرجال ، وقد صرح في مسألة النساء وما سيكون عليه في الامة التركية الجديدة بما لا يرضاه كله رجال الدين والمتدينون ، ولا يزال يسئل عن المشكلات المتعلقة بشؤون الامة الدينية فيفتي برأيه فيخطىء ويصيب. ولا بد في أمثال هذه المسائل من الموقف الوسط بين التقحم الجديد والجمود التليد ، وانما يكون بالاجتهاد دون التقليد .

مصطفى كمال باشا ذكي فصيح ، ولكنه غير أصولي ولا فقيه ، وهو يفتي في أمثـال هذه المسائل الدينيـة ، بمـا أوتي من الجرأة العسكرية ، والادلال بزعامته السياسية . فيقبل منه العوام ، ولا يتجرأ عليه الفقهاء . ولـكن سـير حكومته على هذه السبيل — وهي شعبية اسلامية ،لا يمكن

أن تدوم بتأثير سلطة شخصية، فلابد لها من احدى ثلاث: اما اتباع فقهائهم الحنفية بالجري على الراجح في كتب الفتوى — وهذا مالا يرضاه أحد من طلاب المدنية العصرية الغلاة ولا المعتدلين — واما أن يرفضوا كون الحكومة اسلامية بحجة الفصل بين الدين والسلطنة وهذا ما يتمناه ملاحدة المتفرنجين ولكن لا سبيل اليه فان سواد الامة الاعظم مسلمون وهم أصحاب السلطة وسيكونون لهم الرأي الغالب في الجمعية الوطنية. فلم يبق الا الثالثة وهي سبيل العلم الاستقلالي الاجتهادي الذي نوهنا به فهو الذي يثبت لهذه الحكومة وللعالم كله ان الشريعة الاسلامية اوسع الشرائع واكملها ، وان من أصولها حظر كل ما ثبت ضرره ، وإباحة ما ثبت نفعه ، وإيجاب ما لا بد منه ، وان المحرم فيها بالنص يباح للضرورة ، والمحرم لسدّ ذريعة الفساد يباح للمصلحة الراجحة

٢٨ — أمثلة لحاجة الترك الى الاجتهاد في الشرع

وههنا تأتي مسألة التصوير فهو قد حرم لعلة معروفة وهي سد ذريعة الوثنية ، ومضاهاة خلق الله ، فاذا احتيج اليه لمصلحة راجحة في العلم كتصوير الابدان المساعد على إتقان علوم الطب والجراحة — أو تحقيق المسميات اللغوية من الطير والحيوان لمجرد ضبط اللغة ولما يترتب عليها من المسائل الشرعية كمعرفة ما يؤكل وما لا يؤكل عند من يحرمون اكل السباع المفترسة منها أو المسائل العلمية الكثيرة — لمصالح عسكرية أو إدارية كتصوير الجواسيس والجناة — فكل ذلك يباح شرعا حيث لا شبهة عبادة ، ولا قصد الى مضاهاة خلق الله ، وقد بينا ذلك بالتفصيل في فتاوى المنار [1] ، وهو مما لحه مصطفى كمال باشا فأفتى بالجواز المطلق طردا وعكسا ، وهو مالا يتم مطلقا ، واستدلاله على جواز نصب التماثيل لكبراء الرجال بعمل الحكومة المصرية يشبه استدلاله على صحة سلب السلطة من الخليفة الآن بسلبها من الخلفاء العباسيين — ليس من الدين في شيء ، فان الحكومة المصرية غير مقيدة بالشرع في جميع أعمالها ، ولم يكن نصبها لشيء من هذه التماثيل بفتوى من علماء الازهر ولا غيرهم ، ولو استفتتهم لما أفتوا ، لا لان نصب التماثيل محرم في الاسلام فقط ، بل لان

(١) راجع ص ٢٢٠ — ٢٣٥ و ٢٧٠ — ٢٧٦ م ٢٠

فيه إضاعة كثير من مال الامة في غير مصلحة أيضاً، وهم لا يقبلون شبهة من يدعون أن نصب التماثيل للرجال العظام ينفخ في روح الامة الرغبة في التشبه بهم ، والقيام بعمل أعمالهم ، لانهم يجزمون بأنه لم يخطر في بال مصري قط أن يكون كمحمد علي باشا أو ابراهيم باشا أو سليمان باشا الفرنسي ذوي التماثيل المنصوبة بمصر والاسكندرية ، وبأن التماثيل قد تنصب لمن يكون قدوة سيئة أيضا ، وبأنها من تقليد الافرنج في أمر من أمور زينة مدنيتهم التي تقتضي نفقات عظيمة لا تقدم عليها الا الامم الغنية ذات الثروة الواسعة ، فلو كان مباحا مطلقا في شرعنا لكان الاولى بنا تركه لامرين يرجحان به (أحدهما) الاقتصاد في المال ونحن لا نزال شعوباً فقيرة (وثانيهما) تحامي التقليد لهم فيما هو من مشخصات حضارتهم التي فتنا بها فكانت من أسباب استكبارنا لهم واحتقارنا لانفسنا ، وقد نهانا نبينا (ص) عن التشبه بغيرنا لنكون مستقلين دونهم بل قدوة لهم . وهذه مسألة اجتماعية مهمة فصلنا القول في مضارها مراراً

وقول مصطفى كمال باشا : ان الامة لا بد لها من اتقان صناعة نحت التماثيل . يجاب عنه بأن الامة تاركة لصناعات كثيرة واجبة شرعا وهي كل ما تتوقف عليه المعيشة والقيام بالواجبات الذاتية كالملابس والاسلحة والطيارات والبوارج الحربية وغير ذلك . فلا يصح لتارك الضروريات والحاجيات القانع بأن يكون فيهما عالة على الاجانب أن يهتم بأمر الزينة المحضة ولو لم تكن ضارة في دين ولا دنيا !

وأما مسألة الموسيقى فليس لمحرميها من النصوص الصحيحة مثل أحاديث تحريم التصوير واتخاذ الصور والتماثيل ، بل هي مسألة خلافية . وقد فصلنا في المنار القول في أدلة الذين حظروا سماع الغناء والمعازف (آلات الطرب) من جهة الرواية ومن جهة الدراية والاستنباط وحققنا ان الاصل في المسألة الاباحة وان المحرم منه ما كان ذريعة الى معصية أخرى كمن يغريه السماع بشرب الخمر أو غيره من الفسق وان الاسراف فيه مكروه [1]

وأما مسألة النساء فأحكام الاسلام أعلى الاحكام وأعدلها وأفضلها فيها وأكثر ما يستنكره العقلاء الفضلاء من مسلمات المدن المحجبات فهو من العادات ،

(١) يراجع ص ٣٥ — ٥١ و ١٤١ — ١٤٧ من المجلد التاسع

فاذا كان طلاب تغيير هذه العادات يحكمون الدليل في ترك ما هو ضار منها والاخذ بما هو نافع من غيرها فسيرون الشرع الاسلامي أقوى نصير لهم فيه ، وليس الفصل بين الضار والنافع في هذا وأمثاله بالامر السهل ، بل هو يحتاج الى تدقيق وبحث لاختلاف الآراء فيه باختلاف الاهواء والتربية كما يعلم من المثل الآتي : —

تصدى أحد أساتذة المدارس الاميرية في هذه البلاد لامرأة متزوجة يتصباها وكان من تصبيه لها أن قال لها وهي مارة في الطريق ما معناه : ان جمالها قد حرم عليه نوم الليل ، فقاضاه زوجها الى المحكمة الاهلية طالباً عقابه على تصبي زوجته ومحاولة إفسادها عليه — فحكم قاضي المحكمة الابتدائية ببراءة الاستاذ معللا عمله بأنه من حب الجمال الذي هو من الغرائز المحمودة والاذواق الصحيحة ، فكيف يعد ذنباً يعاقب عليه القانون ؟ ولكن قاضي الاستئناف عدّ عمله ذنباً وحكم عليه بعقوبة

ان تربية مسلمي مصر والترك ـ وأمثالها ـ مذبذبة مضطربة في هذا العصر والتفاوت فيها كبير فمنهم غلاة التفرنج الذين يستحلون الفواحش ويميلون الى الاباحة وهم الاقلون ، ومنهم الجامدون على جميع التقاليد المتيقة خيرها وشرها . ولا سيما اذا كانت منسوبة الى الدين — وإن خطأ — وبين هؤلاء وأولئك أهل القصد والاعتدال من علماء الدين وعلماء الدنيا ـ فيجب أن يحال كل ما يراد من التغيير في عادات الامة على لجان من هؤلاء المعتدلين يبحثون في منافعه ومضاره من كل وجه ويضعون النظام لما يقررون تغييره مراعين فيه سنن الاجتماع باتقاء ضرر الاستعجال والطفرة ، وما يحدثان من الفوضى في الامة والتفاوت العظيم بين أفرادها وجماعاتها ، فان الجيل الحاضر وليد الجيل الماضي ووارثه في غرائزه وافعاله وانفعالاته وعاداته ، بل ينزع به العرق الى الاجيال التي قبله ، فاذا حمل على ترك شيء مما كان عليه من الافعال والعادات فانما يسهل عليه من ذلك ما يوافق الهوى واللذة دون ما يوافق العقل والمصلحة ، ثم إنه لا بد أن يلقى معارضة من فريق كبير من الامة بمقتضى سنن الغريزة ، فان كلا من حب التجديد وحب المحافظة على القديم غريزي في البشر فيظهر هذا في أناس وذاك في آخرين ، بتقدير العليم الحكيم ، والا لكانوا على غرز واحد لا يتغير كالنمل والنحل ، أو

لكانوا كل يوم في جديد لا يثبتون عليه ولا يكون لجيل منهم شبه بجيل آخر

فمن يظن أنه يمكنه أن يميت أمة من الامم بابطال مقوماتها من العقائد والغرائز والاخلاق ومشخصاتها من الآداب والعادات ثم يبعثها خلقاً جديدا في جيل واحد بتغيير في قوانينها وشكل حكومتها ، واقناعها بذلك بالخطب والشعر والجرائد فهو مغرور والحمل عليه بالقوة القاهرة لا يأتي الا بحكومة شخصية قاهرة

ثم ان التغيير ممكن وواقع، وطريقه معروف، وهو ما أرشدنا الله تعالى اليه بقوله (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وتغيير ما بالانفس انما يكون منظما بتعميم التربية والتعليم ، وقد حقق علماء الاجتماع ان التأثير في تغيير حال الشعب لا يتم الا في ثلاثة أجيال . جيل التقليد والمحاكاة — وجيل الخضرمة — وجيل الاستقلال ، وبتمامه يتم تكوين الملكة . ومثل هذا في الشعوب كمثل التعليم الابتدائي والثانوي والعالي للافراد . وقد يشذ بعض الشعوب في بعض الملكات كما يشذ بعض الافراد بذكاء نادر فيبلغ من احكامها في بدايته ما يعجز عن مثله البليد في نهايته . وقد حقق الفليسوف الاجتماعي (غوستاف لوبون) المشهور في كتابه (تطور الامم) ان ملكة الفنون لم تستحكم لامة من أمم الارض في أقل من الثلاثة الاجيال المقررة الا للعرب فهم وحدهم الذين تربت هذه الملكة فيهم فصار لهم مذهب خاص فيها منذ الجيل الاول من مدنيتهم الاسلامية ، فاذاً لا بد من جعل كل تغيير يراد في الامة الى لجان من أهل الاخصاء فيه تدرسه وتمحصه وتقرر فيه مافيه مصلحتها وموافقة شريعتها

وليس بيان هذا من مقصدنا هنا ولكنه استطراد غرضنا منه رد مسألة النساء وأمثالها الى أصل علمي معقول، فان الفوضى فيها ضاربة أطنابها في بلادنا كالبلاد التركية فما يراه بعض الناس ضاراً قطعاً يراه آخرون هو النافع الذي لا بد منه، ومقلدة الافرنج فيه كالجامدين على القديم ليسوا على هدى ولا بصيرة، فان أعقل حكماء الافرنج وأكبر علمائهم غير راضين عن حال النساء عندهم ، وقد حكي لنا عن عاهل ألمانية عند ما زار الاستانة في أيام الحرب أنه لما اطلع على تهتك النساء التركيات وبروزهن للرجال متبرّجات كنساء الافرنج عذل طلعت باشا الصدر الاعظم الاتحادي على ذلك قائلا انه كان لكم من دينكم وازع

للنساء مما نشكو نحن من غوائله الادبية والاقتصادية ونعجز عن تلافيه فكيف تتقمصون منه باختياركم ؟ انكم إذاً لمخطئون

ومما يحسن التذكير به من المسائل التي يتمسك جماهير متفقهة المسلمين فيها بما ينافي ضروريات الحضارة الحاضرة والمصالح العامة زعمهم ان السائل المسمى بالكحول والسبيرتو نجس يحرم استعماله في كل ما يستعمله فيه الاطباء والصيادلة وسائر الصناع الذين يعدونه ضرورياً في صناعتهم ، وقد أفتى جماعة من فقهاء الهند بذلك منذ أشهر ورددنا عليه رداً طويلاً أثبتنا فيه ان هذا السائل طاهر ومطهر طبي ، وأنه من الضروريات التي يجب الانتفاع بها في كثير من الاعمال ، وانه مما عمت البلوى به ، ولكن الاصل في فتاوى أفراد العلماء أن يعمل بها من يقتنع بصحة أدلتها اذا كانت الفتوى مؤيدة بالدليل على طريقة السلف التي نجري عليها في المنار ، ومن يثق بعلم صاحبها أو بكونه على المذهب الذي ينتمي اليه في المقلدين — فهي لا تحل المشكلات العامة بل تبقي الامة مضطربة باختلاف الفتاوى وأقوال العلماء ، وانما يحل المشكلات العامة ويجمع كلمة الامة فيها الامام الاعظم (الخليفة) اذا كان مجتهداً كما تقدم

٢٩ — توقف الاجتهاد في الشرع على اللغة العربية

قد ثبت بما تقدم ان الجمع بين حضارة العصر وفنونه وبين المحافظة على الاسلام لا يتم الا بالاجتهاد في الشرع فكذلك لا يكون الخليفة هو الامام الحق الذي تجب طاعته ويمكنه نشر دعوة الدين والمحافظة عليه ومقاومة البدع وازالة الخلاف بين الامة في المسائل الاجتماعية والمدنية العامة الا اذا كان مجتهدا — والاجتهاد يتوقف على إتقان اللغة العربية وفهم أساليبها وخواص تراكيبها والملكة الراسخة في فنونها ، للتمكن من فهم نصوص الكتاب والسنة وهما في الذروة العليا من هذه اللغة ، وقد عد علماء الاصول من جميع المذاهب معرفة اللغة العربية شرطا مستقلا للاجتهاد مع اشتراط العلم بالكتاب والسنة ، بل صرح بعض أئمة العلماء بأن معرفة هذه اللغة فرض على كل مسلم وان مقلداً — ولولا أن جميع سلف الامة كان على هذا الاعتقاد لما انتشرت العربية في خير القرون في كل قطر انتشر فيه الاسلام من غير مدارس منظمة تديرها الحكومات والجمعيات ،

وهل لذلك من سبب غير الاعتقاد بالوجوب الديني ، ومن الآيات على ذلك إجماع العلماء في كل زمان ومكان على أداء جميع العبادات اللسانية بهذه اللغة كتلاوة القرآن في الصلاة وغيرها وأذكار الصلاة والحج وغيرها حتى انهم لا يزالون يؤدون بها الوعظ من خطبة الجمعة لا الحمدلة والشهادتين والتلاوة والدعاء فقط ، ولكن منهم من يترجمها بعد الصلاة ومن المعلوم من الاسلام بالضرورة أننا متعبدون بتدبر القرآن والاعتبار والاتعاظ بآياته وبفهم تلاوة الصلاة وأذكارها ، وكل ذلك يتوقف على معرفة اللغة العربية ، وتقصير بعض المسلمين في هذا الواجب كتقصيرهم في الواجبات الكثيرة التي أضاعت عليهم دينهم ودنياهم

ليس من غرضنا هنا أن ندعو أعاجم المسلمين الى تعلم اللغة العربية وانما أن نذكر حزب الاصلاح بما لا يجهله اكثر رجاله من العلاقة القوية بين منصب الخلافة وبين اللغة العربية فانه سيجد في اللغة معارضة شديدة، ولكن حجته قوية وهي تعذر حياة الاسلام نفسه والاجتهاد في أحكامه بدونها - وتعذر تعارف المسلمين وجمع كلمتهم بالقدر المستطاع بدونها ، ففي كل قطر يسكنه المسلمون وكل مدينة منه لايزال الاسلام فيها حيا يوجد من اهل العلم بالعربية من يمكن التعارف معهم ونشر مايتقرر لخدمة الدين بسعيهم

ان اللغة رابطة من روابط الجنس وقد حرم الاسلام التعصب للجنس لانه مفرق للامة ذاهب بالاعتصام والوحدة واضع للعداوة موضع الالفة وقد نهى النبي (ص) عن العصبية العمية الجاهلية وتبرأ ممن يدعو اليها أو يقاتل عليها ، وقد كان من اصلاح الاسلام الديني والاجتماعي توحيد اللغة بجعل لغة هذا الدين العام لغة لجميع الاجناس التي تهتدي به ، فهو قد حفظ بها وهي قد حفظت به . فلولاه لتغيرت كما تغير غيرها من اللغات، وكما كان يعروها التغيير من قبله، ولولاها لتباعدت الافهام في فهمه، ولصار أديانا يكفر أهلها بعضهم بعضا ولا يجدون أصلا جامعا يتحاكمون اليه اذا رجعوا الى الحق وتركوا الهوى —

فاللغة العربية ليست خاصة بجيل العرب سلائل يعرب بن قحطان بل هي لغة المسلمين كافة، ولغة شعوب أخرى من غير العرب، وطوائف من العرب غير المسلمين ، وما خدم الاسلام أحد من غير العرب الا بقدر حظهم من لغته، ولم يكن أحد من العرب في النسب يفرق بين سيبويه الفارسي النسب واستاذه الخليل العربي في فضلهما

واجتهادهما في خدمة اللغة، ولا بين البخاري الفارسي واستاذه أحمد بن حنبل العربي في خدمة السنة، بل لم يخطر في بال أحد من سلف الامة ولا خلفها قبل هذا العصر أن يأبى تفضيل كثير من الاعاجم في النسب على بعض أقرانهم وأساتذتهم من العرب فيما امتازوا به من خدمة هذا الدين ولغته، ولا نعرف أحدا من علماء الاعاجم له حظ من خدمة الاسلام وهو يجهل لغته ، ولولا ان ظل علماء الدين في جميع الشعوب الاسلامية مجمعين على التعبد بقراءة القرآن المعجز للبشر بأسلوبه العربي واذكار الصلاة وغيرها بالعربية ومدارسة التفسير والحديث بالعربية لضاع الاسلام منها

ولو ان الدولة العثمانية احيت اللغة العربية فيما فتحته من أوربة لانتشر فيها الاسلام ثم فيما جاورها انتشارا عاما ولقامت فيها مدنية اسلامية كمدنية العرب في الاندلس وكان رسوخها فيها عظيما ، ولكنها لم تفعل ذلك ولم تجعل لغتها التركية لغة علم وفنون بل اعتمدت في حكمها على قوة السيف وحده فكان من غوائل ذلك — وهي كثيرة — ان جميع الشعوب التى خضعت لسيادتها وسلطانها ظلت محافظة على لغاتها حتى المسلمين منهم . فلما تجددت في هذا العصر عصبية اللغة وجعل الترك العثمانيون لغتهم لغة علم أرادوا أن يكرهوا الشعوب الاسلامية في سلطنتهم على ترك لغاتهم الى لغة الدولة فامتنع الجميع عليهم ، وهب أصحاب اللغات غير العلمية المدونة كالالبانيين والكرد والجركس الى تدوين لغاتهم وجعلها لغة علم وفنون كما فعل الترك، وقد حاربت الدولة الالبانيين وهم أعظم حصونها في أوربة لاجل اللغة فاختاروا حربها والخروج من سلطنتها على ترك لغتهم ، ولو رضيت لنفسها لغة الاسلام ودعتهم اليها لما أبوا ، وهذه المسألة هي التي فرقت بين الترك والعرب ذلك التفريق الذي أشرنا الى رزاياه في هذا البحث مرارا، وسعينا لتلافيه قبل تفاقم خطبه فما أفادنا السعي فلاحا، وكيف يعقل ان يرضى العرب استبدال التركية بالعربية التي شرفها الله على جميع اللغات بكتابه المعجز للبشر وحجته عليهم الى يوم القيامة على ما لها من المزايا الاخرى — ونحن نرى التتار أخوة الترك في العرق الطوراني لا يرضون بترك لغتهم واستبدال التركية بها وهي أرقى منها ؟

فنحن الآن تجاه أمر واقع ، ماله من دافع ، وكل ما نطمع فيه أن نتقي ضرره ، ونوفق بين الجامعة الاسلامية والجامعة الجنسية اللغوية بما فصلناه من تعاون العرب والترك على إقامة الخلافة الاسلامية الحق ، فاذا وفق الله لاتمام هذا فهو الذي تيم به الوحدة وما يترتب عليها من سعادة الدنيا والآخرة

وصف ثورة الهند السياسية السلبية

وانتصارها للخلافة والدولة التركية والبلاد العربية (*

(٢)

﴿ نبذ القوانين الجائرة ﴾

قد غاظت هذه الهزيمة الحكومة ، فعزمت على قتل الحركة بالقوة والشدة، ناسية أو جاهلة أنها لاتقتلها بها، بل انما تقويها وتشد أزرها

ان جمعية الخلافة وفروعها كانت نظمت المتطوعين الذين كانوا على محافظتهم على نظام المجالس والمجامع العامة يقومون بخدمات كثيرة للامة فكأنهم كانوا جيشا غير متسلح لها، فأعلنت الحكومة أن جماعتهم هذه غير قانونية فيجب الغاؤها، ثم منعت انعقاد المجالس فحرمت الامة من حرية الاجتماع وحرية اللسان ، وهي من الحقوق الفطرية الطبيعية لكل انسان ، غير أن الحكومة لم تبال بسوء عملها بل حذت حذو من تقدمها من الحكومات المستبدة المنقرضة ، لان التاريخ يعيد نفسه

وقد بدأت الحكومة بتنفيذ هذه القوانين الجائرة (بكلكتا) قبل غيرها من المدن ، لان قدوم البرنس اليها كان قريبا ، ولانها من أعظم المدن الشرقية ، وتكاد أن تكون أوربية لكثرة الاوربيين فيها، فكانت مقاطعة البرنس فيها ثقيلة جداً على الحكومة ، فبادرت باعلان هذه القوانين فيها . ولكن نشر صاحب هذا الخطاب في الوقت نفسه اعلانا ضد الحكومة ، قال فيه: انه يجب على الامة نبذ هذه القوانين نبذا ، و لاقدام من أجلها على السجون أفواجا ، وقرر الامور الآتية .

---

*) تابع لما في الجزء الاول

(١) ان الخضوع لمثل هذه الاحكام الجائرة ، معناه النزول عن الحقوق المدنية والانسانية ، وليس لحكومة أن تمنع المجامع السلمية ، والاعمال الوطنية الجائزة ، فاننا ان نخضع لها خوفا من الحبس والمهانة ، نكون مجرمين أمام ضمائرنا وأمام الانسانية ، فليس على محبي الحرية والحق الا أن يعصوها ، ويوطنوا أنفسهم على جميع المصائب التي تصبها الحكومة على رؤسهم دون أن يخضعوا لها طرفة عين .

(٢) يجب أن يوسع نطاق التطوع ، وأن ينبث المتطوعون في كل شارع وزقاق معلنين للمقاطعة الملكية التي تريد الحكومة أن تجانبها ، واذا منعتهم السلطة لا يطيعونها ، بل يسلمون أنفسهم للاعتقال بدون أدنى كره ولا مقاومة .

(٣) تعقد المجالس والمحافل في جميع المجتمعات العامة ، وكل من يذهب اليها يسلم نفسه للسلطة اذا أرادت القبض عليه —

(٤) كل من يقبض عليه ، يقاطع المحاكم مقاطعة تامة في القول والعمل ، لان الحكومة التي تنوب عنها المحاكم جائرة ومقاطعتها واجبة ، فلا معنى للاعتراف بمحاكمها والسعي للدفاع فيها ، فانها لا تستطيع أن تخالفها وتنصف في حكمها .

(٥) تتوقف هزيمة الحكومة على العدد الذي يدخل منا السجن ، فلنزل الى السجون زرافات زرافات ، حتى تتعب الحكومة من حبسنا ولا نتعب نحن من الاقدام عليه .

وقد لبت الامة الدعوة ، فابتدأت الاعمال الجدية بكل قوة ، وسارع الناس أفواجا الى ادارات التطوع ، وبدأت الاجتماعات العامة ، وأخذ الخطباء يخطبون ويقبحون الحكومة وظلمها وعسفها ، فدهشت الحكومة وظلت في حيرتها أياما لا تدري ما تعمل . لأنها كانت قد وقعت في نفس ذلك الشرك الذي بسطته يدها . فلا هي تقدر على أسر جميع النابذين لاوامرها لان الناس كلهم نبذوها . ولا هي تستطيع غض النظر عنهم . لان هذا يظهر عجزها في تنفيذ قوانينها . غير أنها عزمت أخيرا على الاعتقال والتسجين . ظانة أن الناس سيخافون

من صولتها . ويعودون الى طاعتها . فأخذت تعتقل في (كلكتا) وحدها ألفا من المتطوعين كل يوم . وقد كان المنظر مؤثراً للغاية . فان عصابات المتطوعين كانت تترى ، فكلما اعتقلت واحدة حلت محلها أخرى ،وهكذا الى الليل .

ثم أعلنت هذه القوانين القاسية في طول البلاد وعرضها، فحذت الامة في كل مكان حذو (كلكتا) في مقاومتها. فأخذ الوطنيون يظهرون في كل محل ويعصون القوانين،وأخذت السلطة تقبض عليهم وتسجنهم، فأصبح السجن ألعوبة والرجال أطفالا يلعبون بها .وان القلم ليعجز عن وصف تلك الحمية والغيرة والحماسة التي كانت تشاهد في كل زقاق وشارع وبلد من القطر الهندي العظيم فكان الناس يتنافسون في التصدي للاعتقال والسجن والذين كانوا الا يعتقلون لسبب ما كانوا يتحسرون على أنفسهم حتى الصبيان كانوا يبكون شوقا اليه ويلحون على الشرطة أن تعتقلهم فكم من مئات منهم دخلوا السجون بالحاح شديد وودعتهم أمهاتهم بدموع الفرح ولم يكن المتطوعون وحدهم يقدمون أنفسهم للاعتقال بل كان الالوف من المارة والسوقة اذا رأوهم على هذه الحالة يتحمسون فيتزاحمون ويقولون للشرطة : نحن أيضا منهم فاقبضوا علينا فكان يقبض عليهم ويرسلون الى السجون —

ولم يمض على هذه الحالة اسبوع الا بدت علائم الملل والفتور والهزيمة على وجه الحكومة لان السجون على كثرتها وسعتها كانت قد امتلأت وكذلك جميع تلك الابنية التي استخدمت لهذا الغرض واختل النظام والضبط في السجون وعجزت الحكومة ع تهيئة الطعام والشراب للمسجونين الوطنيين، فاضطرت الى أن تخلي سبيل ألوف منهم . فباب السجن كان يفتح وينادي المنادي فيهم « من كان منكم يريد الذهاب فليذهب » ولكنهم كانوا يأبون الذهاب،فيحملون على الاكتاف ويلقون وراء الباب،فيذهبون الى الاسواق فيعصون الاوامر فيؤسرون فيرجعون الى السجن حيث كانوا قبل ساعات. فلما رأت الحكومة ذلك امتنعت من ارسالهم الى السجون فكانت تعتقلهم نهارا وتطلقهم ليلا من مراكز الشرطة غير أنهم بمجرد خروجهم يعودون الى عملهم القديم

ضجرت الحكومة من هذه الحالة ضجرا شديدا ، وأيقنت أن النار لا تخمد مادام الزعماء على حريتهم ، فمدت يدها اليهم ، وهم قد كانوا مستعدين لاجابة دعوتها من أول يوم ، معتقدين أنه لا بد لتقوية الحركة وتكميل العمل من سجنهم أنفسهم ، فألقي القبض على صاحب الخطاب في ١٠ ديسمبر سنة ٩٢١ فذهب الى السجن بوجه ضاحك ، وثغر باسم .

وقد كان حفظه الله أعلن قبل أسره بساعات في بلاغ الى الامة أنه سيقبض عليه ، ففي تلك الساعة يبتلي عزمها وثباتها ، وقد جاءت تلك الساعة ورأت الحكومة أن تلك الحركة أصبحت أقوى وأشد من قبل ، حتى بلغ عدد المسجونين خمسين ألفا :

ولم يمض على أسره أسبوعان الا وقد وجدت الحكومة نفسها عاجزة ومنهزمة أمام هذه الحركة ، فاضطرت الى أن تجنح للسلم ، فأعلن الوالي العام في (كلكته) لوفد من حزب الاعتدال أن الحكومة ترغب في الصلح ، وترحب بهدنة تعقد له ، فهي تمسك يدها عن القبض والاسر وتطلق سراح جميع المسجونين ، ويمسك الزعماء عن أعمالهم ، بدون أن يعترف أحد من الفريقين بالغلبة والانكسار ، فيجتمعان في مؤتمر ، ويتشاوران في الامر ، ويكون لكل منهما حرية العمل اذا لم ينجح المؤتمر . وفي هذا الوقت نفسه أعلن أن الحكومة الهندية لا تألو جهدا في تقديم مطالب الهند في مسئلة الخلافة الى الحكومة المركزية . وهي مستعدة أيضا لكل عمل مستطاع في المستقبل - (وقد أرسلت الحكومة بعد هذا الاعلان بلاغها الشهير بامضاء الوالي العام وجميع ولاة المقاطعات الى انكلترا وهو الذي وقع الخلاف في نشره بين اللورد كرزن والمستر مانتغو القائم بأعمال الوزارة الهندية إذ ذاك . فاضطر الثاني الى أن يستعفي من خدمته)

فلما دعيت جمعية الخلافة والجمعية الوطنية الكبرى الى هذه الدعوة ، قبلتها وأعلنت الهدنة . وقدمت الشروط الاساسية للمؤتمر المقترح . وكان الشرط الاول منها أن تقبل حكومة لندرة المركزية كل ما يقرره المؤتمر غير أن الحكومة لم تقبل هذا الشرط فعاد الحال كما كان .

(صاحب الخطاب)

أما صاحب الخطاب العالم العلامة الشيخ أبو الكلام أحمد فمن المؤسسين للنهضة الجديدة الاسلامية في الهند — أقول من المؤسسين لانه لا يرضيه أن يقال هو المؤسس لها — فانه الى سنة ١٩١٢ لم تكن في مسلمي الهند أي حركة عامة نافذة قوية للاصلاح الديني ولا السياسي ، فكانوا في الدين على جمود وتقليد ومحدثات، وأما السياسة فلم يكن لهم فيها شأن فكانوا يجتنبونها ويخافون منها كأنها حية تنهشهم، معتقدين أن الاستقلال يضرّ بهم ويمكن الهندوس منهم، فبينما هم في هذه الظلمات إذ قام فيهم تلك السنة صاحب الخطاب فصاح بأعلى صوته « اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد ! » فأما الدين فقد دعا فيه الى التوحيد الخالص والتمسك بالكتاب والسنة ونبذ التقليد والبدع والخرافات، وتطهير الاعمال والعقائد من المحدثات. قال : ان الدين ما كان عليه الرسول وأصحابه والسلف الصالح من أمته لا ما قاله فلان وفلان، وان القرآن مهيمن على الكتب السماوية والعلوم البشرية فلا تشوهوا وجهه باليونانيات ولا بتخريفات المتفرنجين. ففتح باب الاجتهاد وفسر القرآن بأسلوب بديع ونزهه عن كل الترهات. واستنبط منه ومن سنة الرسول كل ما يحتاجه المسلمون في دينهم ودنياهم

وأما السياسة فقد دعا فيها الى الحرية التامة واستقلال البلاد والاتحاد مع أبناء الوطن ومقاومة الاجانب المسيطرين بغير حق . فقامت عليه القيامة من كل جهة وصوّب المعارضون اليه نبالهم وبسطت الحكومة له شركها ولكن لم توقفه العراقيل في طريقه، ولا صدته الموانع عن عمله، فمازال يلقي الخطب الرنانة ويحبر المقالات الحماسية ويقرع أسماعهم ببلاغته الشهيرة ويوقظ قلوبهم بمواعظه البالغة وينفخ في أجسادهم الميتة روح الدين والحرية حتى انتبهوا من رقدتهم وهبوا من نومتهم ، وهرعوا الى الداعي ملبين دعوته ومجيبين نداءه، وكل هذا في خلال بضع سنوات المدة التي لا تكاد أن تصدق، وكانت لسان دعوته مجلة « الهلال » الاسبوعية خالدة الذكر

ويمكن تلخيص بعض مهمات دعوة الهلال الاجتماعية والسياسية في المواد الآتية:

(١) أن العبودية سواء كانت للاجانب أو الغاصبين من الامة نفسها لا تجتمع مع الاسلام، وأن السعي للحرية والاستقلال وتحمل الشدائد والمصائب والاغتباط بالموت في سبيله – كل ذلك واجب على المسلمين ووراثة ملية ورثوها عن أجدادهم العظام فهم إما أن يعيشوا أحراراً أو يموتو كراماً، وليس بين هذا وذاك من سبيل في الاسلام، لان شريعته ما دامت لاتبيح استبداد الولاة من المسلمين أنفسهم فكيف تبيح لهم أن يعيشوا خاضعين لظلم الاجانب واستبدادهم؟ والمسلم الذي يقنع ويرضى بهذه العيشة لا ريب في حرمانه من روح الحياة الاسلامية

(٢) على مسلمي الهند واجبان: اسلامي ووطني فالواجب الاسلامي يطالبهم أن لا يحصروا نظرهم في حدود أرضهم فان جنسية الاسلام مطلقة من قيود الوطن والنسل وشاملة لجميع المصطبغين بالصبغة الاسلامية حيثما وجدوا ومن أي أمة كانوا فيجب عليهم أن يعينوا اخوانهم المسلمين خارج الهند وينصروهم ويخففوا مصائبهم عنهم وأما الواجب الوطني فهو أن يتحدوا مع أبناء وطنهم ويرخصوا نفوسهم في جهاد الحرية والاستقلال لبلادهم

(٣) إن الدول الغربية لا تهدد الاسلام والمسلمين فقط بل الشرق بأسره فيجب على الامم الشرقية أن تتحد وتتفق لصون حريتها وحياتها من الغرب

(٤) ان الدولة العثمانية هي البقية الباقية من الدول الاسلامية فيجب على مسلمي العالم كلهم أن يساعدوها وينصروها ويرجعوا حقها وصيانتها على مقاصدهم الوطنية لانها المركز الملي والسياسي لهم ولا حياة للفروع بدون الأصل.

(٥) اللغة العربية هي اللغة الملية للمسلمين كافة والوسيلة الوحيدة للتعارف والاتحاد بينهم وإن من العلل الجوهرية للانحطاط الاجتماعي والديني انقراض الخلافة العربية وهجران اللغة العربية وشيوع العجمية والفلسفة اليونانية بينهم فيجب عليهم إحياء اللغة العربية الصحيحة وتعلمها حتى تصبح عامة بينهم

(واني أريد أن أقول هاهنا كلمة في «المسألة العربية» فان كثيرا من

اخواننا العرب يعتقدون أن مسلمي الهند يرجحون الترك عليهم ويكرهون استقلالهم مع أن الامر ليس كذلك فهذا زعيم مسلمي الهند وقائدهم الا كبر ما زال يلح على الدولة أن تمنح للولايات العربية الحكم الاداري فقد صرح به في جميع مذكراته التي بعثها الى المرحوم طلعت بك وزير الداخلية اذ ذاك والتي ناولها أحمد رضا بك الشهير ثم الدكتور عدنان بك مندوب حكومة أنقرة في الاستانة الآن عند قدومهما الى الهند نعم إن مسلمي الهند ما كانوا يحبون أن يفترق الترك والعرب خوفا من انحلال الدولة الاسلامية وسقوط العرب في يد المستعمرين من الاجانب وقد وقع ما كانوا يخشونه فثار الشريف و . . . فالى الله المشتكى !)

ولما ابتدأت الحرب الكبرى أصبحت الهند في حالة تشبه حالة الاحكام العرفية وأخذت الحكومة تسجن وتعتقل كل من ارتابت فيه غير أن صاحبنا ظل على حريته وثباته يقول ما كان يقوله ويقبح الظلم والاستبداد كعادته لم يخفه عفريت الحرب ولم ترعبه السلطة العسكرية ثم لما بدأ الخلاف بين الدولة العلية والحلفاء وحجزت بريطانيا البارجتين العثمانية « رشادية وعثمان اول » وخشي نشوب الحرب بينهما قام في ذلك الوقت العصيب أيضا بكل جرأة وشجاعة يظهر أفكاره وآراءه في مقالاته وخطبه وقد نبه رجال الحكومة شفهيا أن الحرب مع الدولة العثمانية يؤلب المسلمين على بريطانيا ويقع مسلمو الهند في موقف حرج فلا يكون أمامهم الا أن يكونوا مع الاسلام أو مع بريطانيا فيجب عليها أن تسلم بمطالب تركيا ولا تدعها تنضم الى المانيا فاذا فعلت ذلك يبذل مسلمو الهند جهدهم في منع الدولة من أن تكون مع المانيا فاما أن تبقى على الحياد واما أن تكون بجانب الحلفاء غير أن الحكومة لم تصغ الى نصحه ونشبت الحرب بين الدولة والاتحاديين فنشرت الحكومة البريطانية في أول اكتوبر سنة ١٩١٤ علانا في الهند قالت فيه ان الدولة البريطانية وحلفاءها قد اضطروا الى دفع الهجوم العثماني ولكن ليثق مسلمو الهند أننا لانهاجم تركيا ولا نقوم بعمل عدائي ضد البلاد الاسلامية المقدسة

وقد نشر حفظه الله مقالة شهيرة بعنوان « القارعة » فصل فيها ما كان يراه

مسلمو الهند أحسن تفصيل ثم تحادث مع اللورد كارماركل والي بنغالة الاسبق في نفس هذا الموضوع وكانت خلاصة حديثه معه وما كتبه في مقالته كما يلي :

(١) ان من المصائب علينا ان تقع الحرب بين الدولتين البريطانية والعثمانية التي يعدها جميع مسلمي العالم صاحبة الخلافة الاسلامية وآخر دولهم وأن مسلمي الهند يجب عليهم شرعا أن يكونوا مع الخلافة ويطيعوا أوامرها ويبذلوا وسعهم لنصرها وحمايتها فيجب على الحكومة أن تعلم هذه الحقيقة ولا تنخدع بأقوال المنافقين الذين يخدعونها ويتملقون لها

(٢) ان اكثر ما يستطيع مسلموا الهند أن يفعلوه لبريطانيا هو أن يبقوا على الحياد ولا يتخذوا خطة عدائية لها ولكن هذا انما يكون اذا :

(أ) تركتهم بريطانية على هذه الحالة فلم تطالبهم بمساعدة مادية ولا معنوية

(ب) لا يكره جندي مسلم على أن يذهب الى ميادين القتال

(ج) لا يهاجم الحلفاء البلاد الاسلامية بل يعلنون اعلانا مؤكدا بأن الحرب لا تغير الحدود الحالية للدولة الاسلامية ويضمنون استقلال الدولة العثمانية

(٣) وان لم تقبل الحكومة البريطانية هذا فمسلمو الهند يضطرون الى فرضهم الديني فيفعلون كل ما في وسعهم لحفظ الخلافة والبلاد الاسلامية لان هجوم الاجانب عليها يوجد حالة النفير العام فيجب على جميع مسلمي العالم شرقا وغربا أن يهبوا للدفاع عنها

فلما رأت الحكومة أن حضرته متصلب في أفكاره ومصر على أعماله وأنها لا تستطيع استمالته اليها بالترغيبات ولا تخويفه بالتهديدات كما فعلت بالآخرين أقفلت أولا جريدته ثم نفته من مقاطعة كلكتا مستقره ثم بعد ستة شهر سجنته في معتقله ولم تخل سبيله الا بعد الهدنة في يناير سنة ١٩٢٠

ولكنه بمجرد خروجه من معتقله أنهمك في إنهاض هذه الحركة الجديدة للخلافة والدعوة اليها ولم يسترح يوما واحدا — وها نحن أولاء نراه بعد سنتين قد سلم نفسه الى السجن ثانية فهو الآن بين جدرانه المربعة ثاويا ، وفي حجرة ضيقة منه قائما ، فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيرا

الشفاعة الشرعية والتوسل الى الله

بالاعمال و بالذوات والاشخاص

من فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (*

(الوجه الثاني)[1] الدعاء له والعمل له سبب لحصول مقصود العبد فهو كالتوسل بدعاء الرسول والصالحين من امته . وقد تقدم أن الدعاء اما أن يكون اقساما به أو تسببا به، فان قوله: «بحق الصالحين» إن كان إقساما عليه فلا يقسم على الله الا بصفاته. وان كان تسببا فهو تسبب لما جعله سبحانه سببا وهو دعاؤه وعبادته. فهذا كله يشبه بعضه بعضا وليس في شيء من ذلك دعاء له بمخلوق ولا عمل صالح منا. فاذا قال القائل أسألك بحق الانبياء والملائكة والصالحين فان كان يقسم بذلك فلا يجوز أن يقول وحق الملائكة وحق الانبياء وحق الصالحين ولا يقول لغيره أقسمت عليك بحق هؤلاء فاذا لم يجز أن يحلف به ولا يقسم، فكيف يقسم على الخالق به؟ وان كان لا يقسم به فليس في ذوات هؤلاء سبب يوجب حصول مقصوده لكن لا بد من سبب منه كالايمان بالانبياء والملائكة ، أو منهم كدعائهم لنا — لكن كثير من الناس تعودوا ذلك كما تعودوا الحلف بهم حتى يقول أحدهم : وحقك على الله وحق هذه الشيبة على الله . وفي الحلية لابي نعيم أن داود عليه السلام قال: يارب بحق آبائي عليك ابراهيم واسحق و يعقوب ، فأوحى الله اليه « يا داود أي حق لآبائك علي؟ » وهذا وان لم يكن من الادلة الشرعية فقد مضت السنة أن الحي يطلب منه الدعاء كما يطلب منه سائر ما يقدر عليه . واما الغائب والميت فلا يطلب منه شيء .

وتحقيق هذا الامر أن التوسل به والتوجه اليه و به لفظ فيه اجمال واشتراك بحسب الاصطلاح، فمعناه في لغة الصحابة أن يطلب منه الدعاء والشفاعة فيكونون

(*) تابع لما نشر في الجزء التاسع ص ٦٨١ م ٢٣

(١) أي من وجهي ترجيح المعنى الذي حمل عليه حديث دعاء الخارج الى الصلاة

متوسلين ومتوجهين بدعائه وشفاعته ودعاؤه وشفاعته من أعظم الوسائل عند الله.
وأما في لغة كثير من الناس أن يسأل بذلك ويقسم عليه بذلك والله تعالى لا يقسم عليه بشيء من المخلوقات بل لا يقسم بها بحال فلا يقال أقسمت عليك يارب بملائكتك ونحو ذلك بل انما يقسم بالله وأسمائه وصفاته. فيقال «أسألك بأن لك الحمد، لا إله الا أنت المنان، بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ياحي ياقيوم، وأسألك بأنك أنت الله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك» الحديث كما جاءت به السنة. واما أن يسأل الله ويقسم عليه بمخلوقاته فهذا لا أصل له في دين الاسلام. وقوله[١] اللهم اني اسألك بمعاقد العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك وجدك الاعلى وكلماتك التامة — مع أن في جواز الدعاء به قولين للعلماء فجوزه أبو يوسف وغيره ومنع منه أبو حنيفة وأمثال ذلك[٢] — فينبغي للخلق أن يدعوا بالادعية المشروعة التي جاء بها الكتاب والسنة فان ذلك لا ريب في فضله وحسنه فانه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقا، وهو أجمع وأنفع، وأسلم وأقرب الى الاجابة

وأما ما يذكره بعض العامة من قوله صلى الله عليه وسلم «اذا كانت لكم الى الله حاجة فاسألوا الله بجاهي فان جاهي عند الله عظيم» فهذا الحديث لم يروه أحد من أهل العلم ولا هو في شيء من كتب الحديث والمشروع الصلاة عليه في كل دعاء. ولهذا لما ذكر العلماء الدعاء في الاستسقاء وغيره ذكروا الامر بالصلاة عليه، ولم يذكروا فيما يشرع للمسلمين في هذا الحال التوسل به كما لم يذكر أحد من العلماء دعاء غير الله والاستغاثة به في حال من الاحوال، وان كان بينهما فرق فدعاء غير الله كفر بخلاف قول القائل اني أسألك بجاه فلان الصالح فان هذا لم يبلغنا عن أحد من السلف انه كان يدعو به

(١) في كتاب «الوسيلة» وكذلك قوله الخ عطفا على الدعاء الذي قبله وليس فيه العبارة المقحمة هنا بين الدعاء بن (٢) اي من الادعية

ورأيت في فتاوى الفقيه الشيخ أبي محمد بن عبد السلام انه لا يجوز ذلك في حق غير النبي صلى الله عليه وسلم [١] ثم رأيت عن أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهما من العلماء انهم قالوا : لا يجوز الاقسام على الله بأحد من الانبياء . ورأيت في كلام الامام احمد انه في النبي صلى الله عليه وسلم لكن هذا قد يخرج على احدى الروايتين عنه في جواز الحلف به [٢]

وأما الصلاة عليه فقد دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع قال الله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي . يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وفي الصحيح عنه انه قال « من صلى عليّ مرة صلى الله عليه عشرا »

وفي المسند أن رجلا قال : يارسول الله أجعل عليك ثلث صلواتي قال « يكفيك الله ثلث أمرك » فقال : « أجعل عليك نصف صلاتي » قال « اذاً يكفيك الله ثلثي أمرك » فقال أجعل صلاتي كلها عليك فقال « اذاً يكفيك الله ما أهمك من أمور دنياك وآخرتك » وقد ذكر العلماء وأئمة الدين الادعية المشروعة وأعرضوا عن الادعية المبتدعة فينبغي اتباع ذلك

والمراتب في هذا الباب ثلاثة (أحدها) الدعاء لغير الله سواء كان المدعو حيا أو ميتا وسواء كان من الانبياء عليهم السلام وغيرهم فيقال ياسيدي فلان أغثني ! وأنا مستجير بك ونحو ذلك ، فهذا هو الشرك بالله . والمستغيث بالمخلوقات قد يقضي الشيطان حاجته أو بعضها . وقد يتمثل له في صورة الذي استغاث به فيظن أن ذلك كرامة لمن استغاث به وانما هو شيطان أضله وأغواه لما أشرك بالله كما يتكلم الشيطان في الاصنام وفي المصروع وغير ذلك . ومثل هذا واقع كثيرا في زماننا وغيره وأعرف من ذلك ما يطول وصفه في قوم استغاثوا بي أو بغيري وذكروا أنه أتى شخص على صورتي أو صورة غيري وقضى حوائجهم فظنوا أن ذلك من بركة لاستغاثة (بي) أو بغيري وانما هو شيطان أضلهم وأغواهم وهذا هو أصل عبادة الاصنام واتخاذ الشركاء مع

«٢» في كتاب التوسل والوسيلة تقييد هذا بقوله : ان صح حديث الاعمى
«١» من قوله (ثم رأيت عن ابي حنيفة) الى هنا ليس في سياق كتاب الوسيلة

الله تعالى في الصدر الاول من القرون الماضية كما ثبت ذلك فهذا شرك بالله نعوذ بالله من ذلك

(الثاني) أن يقال للميت أو الغائب من الانبياء والصالحين: أدع الله لي وادع لنا ربك ونحو ذلك فهذا مما لا يستريب عالم أنه غير جائز. وانه من البدع التي لم يفعلها أحد من سلف الامة وأئمتها. وان كان السلام على أهل القبور جائزاً ومخاطبتهم جائزة كما كان صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه اذا زاروا القبور أن يقول قائلهم «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، وإنا ان شاء الله بكم لاحقون» وقال ابن عبد البر ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال« ما من رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام »

وفي سنن أبي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال«ما من رجل مسلم سلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام » لكن ليس من المشروع أن يطلب من الاموات شيئاً. وفي الامام مالك[١] أن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما كان يقول : السلام عليك يارسول الله السلام عليك ياأبا بكر السلام عليك ياأبه، ثم ينصرف . وكذلك أنس بن مالك وغيره من الصحابة رضي الله عنهم، نقل عنهم السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا أرادوا الدعاء استقبلوا القبلة يدعون الله تعالى لايدعون وهم مستقبلو القبر الشريف . وان كان قد وقع في ذلك بعض الطوائف من الفقهاء والمتصوفة ومن العامة ممن لا اعتبار بهم فانه لم يذهب الى ذلك امام متبع في قوله ولا من له في الامة لسان صدق . بل قد تنازع العلماء في السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو حنيفة يستقبل القبلة ويستدبر القبر .وقال مالك والشافعي بل يستقبل القبر وعند الدعاء يستقبل القبلة ويستدبر القبر ، ويجعل القبر عن يساره أو يمينه وهو الصحيح إذ لامحذور في ذلك

(الثالث) أن يقول: أسألك بجاه فلان عندك أو بحرمته ونحو ذلك . فهو الذي تقدم عن أبي محمد انه أفتى بانه لايجوز في غير النبي صلى الله عليه وسلم[٢] . وافتى

(١) كذا بالاصل ولعلها وفي (موطأ الامام مالك الخ)

(٢) اي معلقا له على صحة حديث الاعمى

أبو حنيفة وأبو يوسف وغيرهما انه لايجوز في حق أحد من الانبياء فكيف بغيرهم. وان كان بعض المشايخ المبتدعين يحتج بما يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «اذا أعيتكم الامور فعليكم بأهل القبور» اوقال «فاستغيثوا بأهل القبور» فهذا الحديث كذب مفترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم باجماع العارفين بحديثه لم يروه أحد من العلماء ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المتمدة

وقد قال تعالى (وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده) الآية وهذا مما يعلم بالاضطرار في دين الاسلام أنه غير مشروع . وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عما هو أقرب من ذلك من اتخاذ القبور مساجد ونحو ذلك و لعن على ذلك من فعله تحذيراً من الفتنة باليهود فان ذلك هو أصل عبادة الاصنام أيضا فان ودا وسواعا و يغوث ويعوق ونسرا كانوا قوما صالحين في قوم نوح عليه الصلاة والسلام فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم اتخذوا الاصنام على صورهم كما ذكر ذلك ابن عباس وغيره من العلماء[1] فمن فهم معنى قوله (اياك نعبد واياك نستعين) عرف أنه لا يعين على العبادة الاعانة المطلقة الا الله وحده

وقد يستغاث بالمخلوق فيما يقدر عليه وكذلك الاستعانة لا تكون الا بالله والتوكل لا يكون الا على الله . وما النصر الا من عند الله . فالنصر المطلق وهو خلق ما يغلب به العدو فلا يقدر عليه الا سبحانه . وفي هذا القدر كفاية لمن هداه الله تعالى والله تعالى أعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا انتهى (*)

---

(١) الاثر في صحيح البخاري

(*) ملحوظة: نشرنا هذه الرسالة أوالفتوى عن مجموعة مخطوطة جاءتنا من بغداد وفي أثناء الطبع وجدنا فيها مواضع محرفة فراجعنا (كتاب التوسل والوسيلة) الذي سبق لنا نشره فوجدناها فيه بعبارة أوسع وأوضح سالمة من التحريف فتراجع فيه (ص ١٠٣)

﴿ انتداب العرب في سويسرة ﴾

في القرون الوسطى

(١)

طرفة تاريخية من قلم الامير شكيب أرسلان الشهير

يظهر أنه من جملة الممالك الاوربية التي انبسطت اليها يد الاستيلاء العربي وخفق فوق ربوعها علم الفتح الاسلامي في القرون الوسطى هي بلاد سويسرة هذه البقعة الجميلة النضيرة التي تراها جنة خضراء، صيفاوشتاء والتي هي من أوربة بمثابة الكبد من الجسد

كنت أعلم أن العرب بعد أن فتحوا اسبانية استولوا على جنوبي فرنسا وتمكنوا من أواسطها ونزلوا بر ايطالية واكتسحوا رومة(١) فضلا عن استيلائهم على صقلية وسردانية وغيرهما من الجزر ولكن الى سنة ١٩١٩ تاريخ ورودي سويسرة لم اكن أعلم شيئا عن وصول العرب الى نفس سويسرة مع بقائهم فيها مستقلين بعدة من القلاع والبقاع نحوا من مائة سنة وبلوغهم بحيرة كونستانز الشهيرة من جنوبي ألمانيا

وأول من نبه فكري الى هذا الحادث العظيم من ما جريات الفتح العربي الاوربي هو الاستاذ هس المستشرق السويسري الذي أقام مدة بمصر وعرف كثيرين من كبراء المصريين والذي يمت الينا بحبل صداقة اكيدة كانت بينه وبين استاذنا الامام المرحوم الشيخ محمد عبده — برد الله ثراه . فأول اجتماعي مع المستشرق المشار اليه أطلعني على تاريخ وجود العرب بسويسرة محررا باللغة الالمانية بقلم مؤلف اسمه (فرديناند كلر) مطبوعا في مدينة زوريخ سنة ١٨٥٦ وبعد ذلك استقريت هذا الموضوع فوقع في يدي كتاب ممتع جليل عنوانه تاريخ غارات

(١) لاندري ما يريد الكاتب من اكتساح رومية احقيقة هو ام مجاز؟ فالعرب لم يفتحوها ولا سلبوها وهو اوسع منا اطلاعا على التاريخ

المسلمين على فرنسة وسافواي وبيامون وسويسرة للمسيو (رينو) الفرنساوي وكتب أخرى ظهر من اجمعها ومن آثار العرب الباقية ومن الاسماء العربية التي تركوها في البلاد ومن المسكوكات العربية التي لا تزال محفوظة انه كان للعرب دولة وصولة في بلاد سويسرة وانهم لبثوا فيها حقبا (الحقب بضم فسكون نحو ثمانين سنة أو اكثر) كان حافلا بالوقائع والنوادر شأنهم في كل محل دخلوه أيام كان العرب عربا والناس ناسا ....

وملخص هذه التواريخ وهو من أغرب ما جاء في حوادث الدهر أن عشرين عربيا كانوا راكبين في سفينة من سواحل اسبانية ضلت بهم الطريق وما زالت تتقاذفهم الامواج حتى رمت بهم على شاطيء خليج (سان تروبس) في جهات جينوة فخرجوا الى البر وتوغلوا بين القرى يقتلون ويأسرون واتخذوا لهم حصنا في أدغال جبل (موروس) وصاروا يشنون الغارات ويأوون اليه بالغنائم. وقيل بل ركب ٢٠ عربيا من لصوص البحر من ساحل الاندلس قاصدين سواحل بروفانس (جنوبي فرنسا) فأخذتهم الريح الى خليج غريمو أو خليج سان تروبس فخرجوا ولم يشعر بهم أحد ورأوا حول ذلك الخليج غابة ملتفة أشبة حولها سلسلة جبال فأغاروا على أقرب قرية من محل نزولهم وقتلوا أهلها وانتشروا في الناحية وألقوا الرعب في القلوب وكان الموقع مساعدا لهم بطبيعة الارض من الاشراف على البحر ثم من الغاب المشتبك ثم الجبال الشامخة فحكموا في تلك الجهات واستولوا على طرقها وقبضوا على مضايقها، وألقت هي اليهم بمقاليدها. وكان هذا الحادث نحو سنة ٨٩١ مسيحية

ولا يجب أن نأخذ كلام مؤرخي الافرنج هذا على علاته من جهة كون غزاة هؤلاء العشرين عربيا هي لصوصية صرفة وعيثانا بحتا وانهم انما جاءوا للنهب والغصب فهذه شنشنة مؤرخي أوربا بازاء حوادث كثيرة في تاريخ الاسلام مع أن الواقع قد يكون خلاف ذلك وقد دلت الآثار وقامت الادلة ونهضت البراهين على أن اكثر أغراض العرب في مغازيهم في صدر الاسلام انما كان اعلاء

كلمة الله ونشر عقيدة التوحيد وانهم كانوا يرون أنفسهم هداة لاجباة ، وكانوا يستبسلون في الحروب استبسالا ويبيعون أنفسهم من الله ابتغاء الجنة فقط ويجدون ذلك فرضا عليهم على حين أن الغبي أو الغريب الجاهل للحقائق البعيد عن اكتناه أسرار هذه المغازي وما كان يجيش في صدور أهلها كان يتوهم أنها بأجمعها فتوحات دنيوية لاجل السلب والكسب، والنهي والامر، وليس التوهم بعبرة، فقد يكون هؤلاء العشرون غازيا الذين أبحروا من ساحل اسبانية الى ساحل ايطالية هم ممن نصبوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله ورفع راية التوحيد ونشر كلمته بين أهالي هاتيك الارضين راكبين لذلك لجج البحار، ومتوقلين عقاب الاوعار، استزادة من ثواب الله، ورغبة في الشهادة في سبيل الله، وربما كان بين هؤلاء العشرين مجاهدا العالم والفاضل، والفقيه والمحدث، والشاعر والمترسل، والسائس المحنك، والقائد البصير المجرب

وبرهان ذلك واضح كالشمس من كون ٢٠ رجلا لا يقتحمون مثل هذه الغمرة، ولا يلقون بأنفسهم في بر لا آخر له، وهم عصبة كهذه قليلة ، ان لم يكونوا من ذوي النفوس العالية، والطباع الزاكية، ولم تكن بين جنوبهم أرواح تتطال الى ماهو أعلى من حطام الدنيا الفانية . وليست قصة اللصوصية هذه التي تجدها في أكثر تواريخ الافرنج - حاشا النقاد المدققين الذين ابتدأوا ينبهون الافكار في هذه الايام - بدليل على كون هؤلاء العشرين غازيا انما جاؤا عابثين مفسدين قاصدين الغنيمة المادية ولا سيما وانك تراهم من جهة أخرى يعترفون بأنهم ما استقرت قدمهم في ذلك الساحل حتى شادوا الحصون، واستنبطوا العيون، وامتهدوا الحزون، ونحتوا الصخور، وأثروا آثار عمارة أثيلة لاتزال منها بقايا ناطقة بفضلهم الى يومنا هذا، مما يوافقنا كل عاقل منصف انها ليست أعمال لصوص ولا حكايات دعار، وانما هي آثار أمجاد أنجاد، وقروم أجواد ، من أعاظم الرجال، وخيرة الابطال

وقد يكونون علموا بما كان عليه أهل تلك الديار يومئذ من الجهل والخمول والانحطاط في المعارف والاخلاق « فانتدبوا » لاصلاح أمورهم و « للاخذ بيدهم

في معترك الحياة » كما هي لغة الاستعمار لآن مما هو ثابت فعلا بكون شرذمة كهذه أصلها ٢ رجلا تتمكن من نواصي تلك الديار، ولا تسود أولئك الاقوام من البحر المتوسط الى بحيرة (كونستانز) التي هي كبد اوربة — إلا وهي أرقى جدا من أهلها. ولولا الفرق البعيد في درجات المدنية ما ساد هذا القليل على ذلك الكثير، لا بل لم تظهر هذه النقطة على ذلك الغدير ،

قالوا ولما رأى هؤلاء المشرون رجلا ما أصابوا من الغنم في هذه الغزاة أرسلوا الى أسبانية فوافاهم ١٠٠ رجل آخرون من ذؤبان الرجال، ومن يعتمد عليهم في مثل هذه الاحوال، فاشتدت بعد ذلك وطأتهم وصالوا على جميع هاتيك الجهات يثخنون في أهلها و يضربون عليهم الجزية و يقتدون من يشاؤن منهم بخزام الذلة والصغار وساعدهم على ذلك ما كان فيه أهالي تلك الانحاء من اختلاف الكلمة وتفرق الاهواء،فكان بعضهم يستعين بهم على بعض [1] فعصفت ريحهم في هاتيك الآفاق، وصاروا ينصرون بالرعب،واصبح الفرد الواحد منهم لا يبالي أن يلاقي ألفا فما مضت بضع سنوات حتى صار لهم عدد من الابراج والقلاع أهمها في الجبال المسماة فرا كسينا توم Fraxinatum أو فرا كسينه ولا تزال من بقايا آثارهم فيها أبنية ماثلة و بيوت منحوتة في الجبال ،وآبار محفورة في الصخور

قال المؤرخ (رينو) السابق الذكر وكان ذلك في اواخر القرن التاسع للمسيح. ثم وصلوا الى سلسلة جبال الالب الشهيرة، وسنة ٩٠٦ اجازوا مضايق دوفينه وجبل سينس واستولوا على نوفالس في حدود البيامون ونهبوا الاديرة التي هناك وشردوا الرهبان وأثخنوا في الاهلين فاجتمع هؤلاء عليهم وأحاطوا بهم وأخذوهم أسارى وشدوا أوثقتهم ووضعوهم فى دير مار اندراوس فحطم هؤلاء الاسرى القيود

(١) المنار : وهكذا تفعل العرب اليوم كان المئة بعد العشرة يحتلون قلب أوربة و يعيشون فيها أعزة وتستعين بهم أمم الفرنجة بعضها على بعض وهم اليوم مئة مليون ولكنهم أذلة فى بلادهم و يستعين بعضهم على بعض بالاجانب كما يفعل ملك الحجاز واولاده

وأفلتوا وانقضوا على أعدائهم فهزموهم وأحرقوا الدير وقسما من المدينة وما زالوا يعيثون ويشنون الغارات حتى انقطعت الطرق بين فرنسة وإيطالية، ثم يقول رينو ان العرب استولوا على مقاطعة فالي وزحفوا الى قلب بلاد الغريزون وصاقبوا بحيرة جنيف وتقدموا الى بلاد الجورة في سويسرة Garu وكانت سويسرة حينئذ من مملكة بورغنيه ففرت أم الملك كوراد الى برج منفرد في نيوشاتل (احدى ولايات سويسرة اليوم) ولما ضاق ذرع الاهالي جميعا بهؤلاء العرب لاسيما أهل بروفنس وسويسرة وايطالية ثار هوغ كونت (١) بروفانس وعزم ن يتولى كبر هذه المسئلة ويطرد العرب من تلك الديار ويستولي على معقلهم الاشم في فراكسينه والمرسى الذي لهم في خليجها فاستنجد هوغ صهره صاحب القسطنطينية ليمده بالاسطول وبالنار الاغريقية فحصر الاسطول وهاجم العرب من البحر بينما الاهالي يهاجمونه من البر وضاق بالعرب الخناق فاعتصموا بالجبال وأعيا أمرهم هوغ فلم يلبث أن صالحهم ولا سيما بعد أن رأى خصمه برنجر قام ينازعه الملك فاستقر أمر هؤلاء وجعلوا يحرثون الارض ويبنون ويغرسون وتزوجوا بنساء من البلاد وبقوا قابضين على جبال الالب لاسيما ممر «سان برنار» (الشهير الى الآن) وأقامت منهم فئة بمدينة نيس وفيها حارة باسمهم الى هذا اليوم

وفي سنة ٩٦٠ تمكن الاهالي من طرد العرب من سان برنار بعد معركة شديدة وسنة ٩٦٥ أجلوا عن «غرنوبل» وعن وادي «غريزي فودان» وبعد ذلك اجتمعت عليهم جيوش عظيمة من كل صوب وهزموهم وقتلوا كثرهم وتنصر بعضهم وبظن أن فلهم فر الى افريقية وأسبانية وقد بقيت لهم قرى تنصر أهلها ومن أبى منهم النصرانية صاروا عبيدا يشتغلون في أراضي الاديرة وكان سقوط حصن فراكسينة سنة ٩٧٥ بعد ن أقاموا به أكثر من ٨٠ سنة

وسمعت من بعض من يعرف أمور سويسرة انه يوجد الى اليوم قريتان في مقاطعة فالي Valeé يركب أهلها الخيول بسروج عربية ولهم عادات كثيرة خاصة بهم وهم لا يتزوجون من سائر الاهالي ولا يصاهرونهم   لها بقية

(١) والعرب يقولون قونه

كتاب من الخرافات الى الحقيقة

٧

(٧٠) اعتنى المسلمون قديما بالرياضة البدنية اعتناء زائدا ، لأن العقل الصحيح لا يكون إلا في الجسم الصحيح ، ولذلك كانوا يعلمون الشبان فن الفروسية والرماية والسباحة اتباعا للحديث الشريف القائل « علموا أولادكم السباحة والرماية » [١] « وعليكم بالرمي فانه خير لهوكم » [٢] و« الرمي خيرما لهوتم به » [٣]

ليتأمل العاقل نتيجة دين يأمر بتوسيع دائرة المعارف وتزييد أسباب الثروة وتقوية البدن وفن (الحرب) وهذه الاركان الثلاثة متصل بعضها ببعض كما لصقت محاسن الاخلاق بالتحاب والتواد ، هل يقف أمام قوم هذا منهاجهم مهما قل عددهم وعديدهم أعظم امبراطورية ؟

(٧١) الرحمة للصغير واحترام الكبير كان خلقا راسخا لانه (ص) قال « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا » [٤]

(٧٢) الاقتصاد كان أساساً للمعاملات المالية وفي الحديث « ما عال من اقتصد » [٥]

(٧٣) الشح وكان مذموماً جدا ، وجاء في الحديث الشريف « ما محق الاسلام محق الشح شيء » [٦]

(٧٤) السخاء كان أمرا ممدوحا جدا ، قال (ص « أقيلوا السخي زلته فان الله آخذ بيده كلما عثر » [٧]

من لا يعرف أن أبا بكر وعثمان رضي الله عنهما سمحا بثروتهما لاجل استكمال وسائل الحرب ؟

«١» رواه ابن منده في المعرفة والديلمي في مسند الفردوس بسند حسن

«٢» الطبراني في الاوسط عن سعد بسند صحيح «٣» الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر

«٤» احمد والترمذي والحاكم عن عبد الله بن عمر بسند صحيح

«٥» احمد عن ابن مسعود بسند حسن «٦» أبو يعلى عن أنس باسناد حسن «٧» الخرائطي في مكارم الاخلاق عن ابن عباس باسناد صحيح

(٧٥) أما البخل فكان فى أقصى درجات المعيبات والمذمومات . لقوله (ص) فيه « خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق »[١]

(٧٦) حرية الوجدان وحرمة المساكن وصيانة الملك بأنواعه ولا سيما الكتب والرسائل وأمثالها من الحريات السياسية التى طالما افتخر بها الاوربيون وقد كانت من جملة ما جاءنا به نبينا قبل ألف سنة وكسور. قال الله تعالى (لكم دينكم ولي دين) (لا إكراه فى الدين) . وقال رسوله « من اطلع فى بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم أن يفقؤا عينه »[٢] وقال الله (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) وقال (ص) « من اطلع فى كتاب أخيه بغير أمره فكأنما اطلع في النار »[٣] وقصارى القول لو اعتنى علماؤنا باستخراج أمثال هذه الاحاديث لوجدوا فيها من الوثائق ما هو كاف لابطال كل دعوى اتهم بها الدين الحنيف .

ومما يوجب الاسف أن المصائب التي حلت بالمسلمين كأنها لم تكف لفتح عيونهم لتحري أوامر هذا الدين المبين التي تقتضي أن يكون متموه في طليعة العلماء والاغنياء والاقوياء والامراء . واعصاه !

(٧٧) ان التهيؤ للخصم ومقابلة قوته بالقوة من أسس الاسلام لذلك قال الله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) فهل للمسلمين بعد هذا أن يكلوا الامور لمشيئة الله تعالى ويعطلوا قواهم وأوامر القرآن ويعدوا ذلك من الاسلام ؟

(٧٨) أرشد (ص) الى حسن اختيار الموظفين بقوله « لكل شيء آفة تفسده وآفة هذا الدين ولاة السوء »[٤] فهل يحل بعد هذا أن يقبل الوالي المسلم الشفاعات لاجل توسيد الامور العامة لغير أهلها

(٧٩) كانوا يعتنون بكل ما يزيد الثروة العمومية ولا سيما تربية الغنم لانه (ص) قال « اتخذ الغنم فانها بركة »[٥] وغير خاف على أحد ما للغنم من المكانة الاقتصادية في عصرنا . ليتنبه الكسالى.

«١» البخاري في الادب المفرد والترمذي بسند صحيح «٢» احمد ومسلم من حديث أبي هريرة «٣» الطبراني في الكبير عن ابن عباس

«٤» رواه الحارث من حديث ابن مسعود وصححوه «٥» الطبراني والخطيب عن ام هانيء وابن ماجه بلفظ « اتخذي »

(٨٠) كانوا يضعون الشيء في محله ويتباعدون عن الاسراف والتبذير استرشادا بقوله (ص) « أفضل الدنانير دينار ينفقه الرجل على عياله ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله ودينار ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل الله عز وجل » [١] وهذا يدل على أنه لم يكن من المعروف في عصره (ص) تخصيص الثروة لاناس كسالى يناموون على ظهورهم تاركين العمل وعادين هذا عبادة

(٨١) كان العمل والجد ممدوحا والكسل مذموماً لقوله (ص) « من بات كالا من عمله بات مغفورا له » [٢]

(٨٢) أشد ما اعتنت به الديانة الاحمدية الصناعة والتجارة لانه(ص)قال « أطيب الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور » [٣]

(٨٣) كان الفقر مكروها مستعاذا منه وانما يطلب الصبر عليه وكان (ص) يقول « أعوذ بالله من الفقر والعيلة ومن أن تظلموا أو تظلموا » [٤] و«اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم » [٥] إن أبا بكر كان تاجرا غنيا . وكذلك ذو النورين . واكتسب طلحة والزبير ثروة هائلة من التجارة .

(٨٤) ما كان أحد في أوائل الاسلام ينكمش في زاوية أو تكية ليأكل ويشرب من ثمرة جد غيره باسم العبادة . لانه (ص) قال « استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك » [٦]

لذلك كان كل واحد يشتغل بعمل من الاعمال حسب قدرته العقلية والبدنية

(٨٥) الحراثة كانت محترمة جدا وقد أمرنا بها سيدنا (ص) بقوله « احرثوا فان الحرث مبارك واكثروا فيه من الجماجم » [٧]

(٨٦) الحياة الاستقلالية كانت أساس عمل كل فرد . لانه (ص) قال

«١» احمد ومسلم واصحاب السنن ما عدا ابا داود عن ثوبان

« ٢ » ابن عساكر عن انس بسند صحيح « ٣ » احمد والطبراني والحاكم عن رافع بن خديج والطبراني عن ابن عمر وهو حديث صحيح

(٤) الحاكم في المستدرك بلفظ « تعوذوا بالله ... — وآخره — وان تظلم او تظلم »

(٥) ابو داود والنسائي وابن ماجه » (٦) البزار والطبراني والبيهقي عن ابن عباس وهو صحيح (٧) ابو داود في مراسيله عن علي بن الحسين مرسلا

« خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ولم يكن كلا على الناس »[1] لذلك كان كل يسعى لئلا يكون حملا ثقيلا على المسلمين — شأن البطالين والكسالى اليوم .

(٨٧) الاتجار في الاقطار وجلب ما يحتاجه الناس كان من الامور الممدوحة . والاحتكار كان من الامور المذمومة جاء في الحديث « الجالب الى سوقنا كالمجاهد في سبيل الله والمحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله »[2]

هنا أدعو القاري الكريم لان يطالع بحث التجارة الخارجية وبحث الاحتكار في كتب الاقتصاد السياسي ليرى علو معنى هذا الحديث .

(٨٨) التبذير وعمل الاشياء التي لا فائدة منها كانت مجهولة عندهم . لان النبي (ص) « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج »[3]

من هنا يفهم أن انتشار الترب وزيارتها ليس من الاسلامية في شيء . وقد انتقلت هذه الخرافة لديننا الصافي النقي من أساطير الهنود القديمة .

اذاً إتلاف شيء من الزاد وإيقاد الشموع على القبور موجب للمنة فأين المتأملون ؟

(٨٩) في القرون الوسطى كان للنصارى في محلات مختلفة صوامع ينقطعون للعبادة فيها . فنهانا نبينا عن ذلك « لا رهبانية في الاسلام » . لان الله أمرنا بالعمل إذ قال (وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم)

(٩٠) ان ذبح القرابين والضحايا على القبور ممنوع في دين الاسلام لانه جاء في الحديث « لا عقر في الاسلام »[4]

(٩١) النذر لغير الله ليس مشرعا لقوله (ص) « لا وفاء لنذر في معصية الله »[5]

(٩٢) تعليق بعض الاشياء على الاولاد وغيرهم لدفع النظرة أو استكتاب النسخ لاجل محبة الازواج لزوجاتهم من أمور الشرك نعوذ بالله لقوله (ص) « إن الرقى والتمائم والتولة شرك »[6] ليتنبه الغافلون ! المبذرون .

---

(١) الخطيب عن انس بسند صحيح (٢) الحاكم عن اليسع بن المغيرة مرسلا (٣) ابو داود والترمذي والنسائي والحاكم عن ابن عباس بسند صحيح وليس سبب اللعن التبذير بل ان هذا العمل من العبادات الوثنية (٤) رواه أبو داود عن أنس (٥) احمد عن جابر بسند حسن ، والنذور للموتى منها ما هو من أعمال الشرك ولا فائدة في شيء من هذه النذور وانما يستخرج بها من مال البخيل كما ورد في حديث آخر (٦) احمد وابو داود وابن ماجه والحاكم عن ابن مسعود وهو صحيح

(٩٣) نهى النبي (ص) لمن ربط القلب بالمشعوذين وقال « من تعلق شيئاً وكل له »[1] والنتيجة الحرمان .

(٩٤) نهى كذلك عن مراجعة العرافين الذين يبتزون أموال الناس بدعوى الاخبار عن الغيب ، قال « من أتى عرافا فسأله عن شيء لم يقبل له صلاة أربعين يوما »[2] ولان الله تعالى قال في كتابه الكريم آمراً نبيه أن يبلغ الامة . (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول اني ملك) .

فما قول ضعاف العقول الذين يطلبون علم الغيب من العرافين بعد ما جاء في هذه الآية الكريمة ما نرى من الصراحة ؟

(٩٥) نهى (ص) عن التشاؤم من الاسم أو من صوت الطير وعن الرمل وعد ذلك وثنية فقال « العيافة والطير والطرق من الجبت »[3]

(٩٦) وكذلك عد التطير شركاً فقال « الطيرة شرك »[4]

(٩٧) كانوا لا يتشاءمون من طير الطائر ولا يعتمدون على أقوال الكهنة والسحرة . لانه (ص) أخرج من يفعل ذلك من الجمعية الاسلامية اذ قال « ليس منا من تطير ولا من تطير له أو تكهن أو تكهن له أو تسحر أو سحر »[5]

(٩٨) الحسد والنميمة والكهانة كانت بمنزلة واحدة لانه جاء في الحديث الشريف « ليس مني ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه »[6] أين من يعتبر ؟

(٩٩) لا واسطة بين العبد والمعبود في دين احمد . وكل فرد مسؤول عن عمله لان الله تعالى قال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أما يعمله أو يتخذه بعض الجهلة من الوسطاء لله تعالى فهو مأخوذ من الامم السابقة وتقليد (للاغراء) من النصارى و (للبراهمة) عند الهنود القدماء و (لموبذ) عند الزردشتيين وللكاهن عند الكلدان . وما لهذا مكان في دين الاسلام .

(١٠٠) ان الله غني عن أية واسطة بينه وبين عبده . لانه قال في كتابه

(١) احمد والترمذي والحاكم وحسنوه (٢) احمد ومسلم عن بعض امهات المؤمنين (٣) ابو داود عن قبيصة وهو صحيح (٤) احمد والبخاري في الادب المفرد واصحاب السنن عن ابن مسعود (٥) الطبراني في الكبير عن عمران بن حصين وهو حسن (٦) رواه أيضا عن عبد الله بن بسر

الكريم (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) .

وأما بناء القبور الفخمة والمزينة واتخاذها ملجأ لقضاء الحاجات فهو ليس من الاسلام في شيء . ولكنه تقليد للنصارى والهنود والايرانيين كما سيجيء تفصيل دخول هذه الخرافات في تعاليم الاسلام .

(١٠١) الغيبة كانت مستكرهة جدا . لان الله قال (ولا يغتب بعضكم بعضاً . أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ؟ (والاحاديث في تحريمها كثيرة)

ليتنبه الاغنياء الذين يقضون أوقاتهم باغتياب الناس والسبحة في أيديهم

(١٠٢) لم يعتن الدين الاسلامي بشيء كما اعتنى بالعلم . وقد جاء في الحديث « طلب العلم ساعة خير من قيام ليلة ، طلب العلم يوماً خير من صيام ثلاثة أشهر »[1] وقال أيضاً « العلم أفضل من العبادة وملاك الدين الورع »[2] و« فضل العلم أحب الي من فضل العبادة »[3] و « أفلح من رزق علما »[4]

(١٠٣) الحرية الشخصية والاستقلال الذاتي من أهم قواعد الدين الحنيف وحفظا لكرامة البشر جاء في القرآن الكريم (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر)

فان كان جل جلاله ينهى نبيه عن السيطرة ، فهل يكون هناك دين يكفل الحرية أزيد من دين الاسلام ؟ وسنبحث في مقابلة الاسلام بغيره في هذه المسألة بحثا خاصا (لها بقية) حسني عبد الهادي

« ١ » الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس « ٢ » الخطيب وابن عبد البر في كتاب العلم « ٣ » الطبراني في الاوسط والحاكم عن حذيفة والثاني عن سعد وتتمته « وخير دينكم الورع » وهو صحيح « ٤ » البخاري في التاريخ والبيهقي في الشعب بلفظ « افلح من رزق لبا » اي عقلا

أحوال العالم الاسلامي

« مؤتمر الصلح بين الترك وأوربة في لوزان »

عرف الترك كيف يعاملون أوربة في هـذا المؤتمر معاملة الامثال ، ويدلون إدلال المنتصر في القتال ، وعرف من لم يكن يعرف من العالم ان أوربة المادية لا تحترم الا القوة ، ولا تذل الا للقوة ، ولا تعترف بحق لغير القوة ، وقد جلبت الدول الكبرى الى لوزان أمماً كثيرة من الشرق والغرب جعلتها عوناً لها على الترك ، فالأرمن طلبوا وطناً قومياً في بلاد الاناضول ، كالوطن الذي تؤسسه انكلترة لليهود في فلسطين من بلاد العرب ، وشرذمة من بقايا الاشوريين والكلدانيين يطلبون وطناً قومياً في العراق ، وأوربة هي التي تؤيد هؤلاء وأولئك لانهم نصارى بالمساومة بهم ، ونصارى الشرق مازالوا شر آلة في يد دول الاستعمار المادية تستعملها للتفريق بين سكان البلاد التي تطمع فيها وتلقي بينهم وبين الاكثرين من أبناء وطنهم العداوة والبغضاء ، باسم المسيحية التي تأمر بمحبة الاعداء (!!) وتمنيهم بالسعادة والملك اذا خانوا أوطانهم في خدمتها ، وهم أهون عليها من نعالها ، ودماؤهم أرخص لديها من غسالة أرجلها ، والا فليؤسسوا الوطن القومي الذي وعدوا الارمن ومنوهم به حتى حملوهم بالتغرير والتضليل على خيانة دولتهم العثمانية التي كانوا أنعم وأعز فيها من جميع شعوبها حتى اضطرت الى البطش بهم . عرف العالم كله كنه مسيحية دول الاستعمار وغيرتها على المسيحيين بعد تبرؤهم من الارمن كما تبرأ الشيطان ممن أغراه بالكفر . وكان القبط أعقل نصارى الشرق فاتفقوا مع المسلمين ولم يقعوا في الفخ الذي كان يراد به تضحيتهم — فمتى يعقل من يدعون أنهم أذكى البشر وأحذقهم وأدهاهم ويفيقون من سكر تعصبهم ؟

كان الوفد التركي في لوزان أدهى الوفود وأحزمها ، فما زال يخضخض وفود الدول العظمى ويمخضها حتى لم يترك لاتحادها عليه مع البلقان قيمة واضطرها الى تساهل

لم يسبق له نظير في معاملتها للترك في المؤتمرات السابقة منذ عدوا دولة أوربية ، وداس في لوزان كل ما كان من عظمة هذه الدول وجبروتها وكبريائها في فرسايل ، وسيفر ، وسان ريمو ، ثم انه لم يقبل المعاهدة التي حررت وقيل انها منتهى ما يمكن من التساهل والسخاء الحاتمي مع الترك . بل حملها الى المجلس الوطني في أنقرة ليرى رأيه فيها ، وقد غلب الدهاء البريطاني الذكاء الفرنسي في هذا المؤتمر فتحول الترك بعده عن فرنسة وتقربوا من بريطانية ، وطفقت جرائدهم — وقد سكتت عن الطعن في الانكليز — تطعن في فرنسة وتمدها أكبر خصومهم فجعلت تبجح فرنسة بصداقة الاسلام مدة سنتين هباء منثوراً .

الوفود العربية في المؤتمر :

كان للجنة المؤتمر السوري الفلسطيني وفد في جنيف عند اجتماع جمعية الامم فيها ثم انتقل الى جنوى عند انعقاد المؤتمر الاقتصادي فيها — فكان هذا الوفد أسبق الوفود القومية غير الدولية الى لوزان عند الشروع في عقد مؤتمر الصلح فيه وكان رئيس هذا الوفد الامير شكيب أرسلان وهو لحسن الحظ صديق للترك قديم يعرفه كبراؤهم وخواصهم . ثم ذهب وفد من فلسطين واتحد بهذا الوفد ، وذهب وفدان من مصر واتحدا هنالك أيضاً . واجتهد السوريون والمصريون في استمالة الترك ومطالبة وفدهم بالاعتراف باستقلال القطرين وسائر البلاد العربية عملا بالميثاق الوطني التركي . وكان الغرض أن يقترح جعل ذلك في معاهدة الصلح ، وبأن يتوسل الى مؤتمر الصلح بقبول عرض مطالبهما له رسمياً فلم ينجحا في هذا ولا ذاك . وكل ما كان ان عصمت باشا رئيس الوفد التركي صرح بالاعتراف بأن الترك قد تركوا لمصر والولايات العربية العثمانية أمر تقرير مصيرها واستقلالها وكانت فائدة ذلك أمام الدولتين المحتلتين لهذه البلاد انهما تحولتا عن طمعهما بأن ينص في معاهدة الصلح على تقرير الحالة الحاضرة في مصر والانتداب في سورية وفلسطين والعراق وقنعتا بأن تحدد بلاد الدولة التركية تحديداً يخرج منها

سورية والعراق، بله افريقية العثمانية ، وفائدة هذا سلبية محضة. وههنا وقع الخلاف في ولاية الموصل فالترك يعدونها من بلادهم التي حددوها في الميثاق الوطني ، وقد ناقشهم الوفد البريطاني في ذلك باسم دولته الوصية (المنتدبة) على العراق وأقرها على ذلك الملك فيصل ووالده الملك حسين — وانما جعلتهما ملكين لمثل هذا التأييد الذي هو لازم الحماية والتابعية

هذا وان كلا منهما قد أرسل مندوبا الى لندن ولوزان ، فكانا في لوزان تحت تصرف لورد كرزون قولا وعملا ، ولما اعترف عصمت باشا باستقلال البلاد العربية وذكر منها الحجاز بسعي الامير شكيب أرسلان ، بادر مندوب الملك حسين بتطيير النبأ الى مولاه بالبرق ليوهمه ان هذا كان بعض ثمرات سعيه . ثم بلغ شركة روتر ان عصمت باشا ذكر في ضمن اعترافه أن الملك حسينا رئيس الامة العربية وأكبر زعمائها الممثل لها فطيرت هذه الفرية في الاقطار لتكون توطئة وتمهيدا لتنفيذ المشروع الذي تعده وزارة المستعمرات البريطانية للبلاد العربية . وان عقل عصمت باشا ليربأ به أن يفتات على الامة العربية بالصدق فكيف يفتات بالكذب

كيد السياسة البريطانية للبلاد العربية

لم تنجح وزارة المستعمرات البريطانية النجاح التام باقناع دافعي الضرائب من البريطانيين وممثليهم في مجلس النواب بأن نصبهم الامير فيصلا ملكا على العراق والامير عبد الله على شرق الاردن يضمن للدولة البريطانية استعمار فلسطين والعراق بدون نفقة كثيرة ترهق دافعي الضرائب عسرا ، ويؤسس لدولتهم أمبراطورية عربية جديدة تفيض على الخزينة تبرا ، وعلى المستعمر السكسوني عسلا وخمرا ، ورأت هذه الوزارة في عهد المحافظين – الذين هم أشد قومهم جشعا وحرصا على الاستعمار ، وضراوة باستعباد الاحرار –ان الترك مصرون على انتزاع الموصل من ملك العراق ، وان استيلاءهم على الموصل يمكنهم من الاستيلاء على بغداد في

كل وقت بكل سهولة ، وان عرب العراق كغيرهم يفضلون الترك على البريطانيين بعد أن بلوهم وعرفوا إفكهم وخداعهم ، وذاقوا مرارة جبروتهم وظلمهم ، فلا يمكن أن يحاربوا الترك معهم أو تحت قيادتهم ، لاجل أن تكون العراق مستعمرة هندية لهم . ومن البديهي ان بريطانية لا تستطيع قتال الترك في العراق وحدها ، وضلع العرب معهم عليها ، ولو تصدت لذلك لقامت عليها الاحزاب البريطانية بأمرها ، وخشي أن يمتنعوا من بذل مئات الملايين من الذهب والرجال، في هذه المقامرة التي تجر وراءها الخزي والنكال ، وشدةوطأة المقاطعة في الهند ، وشبوب نيران الثورة في فلسطين ومصر ، — ورأت هذه الوزارة أيضاً أن بعض الجرائد والاحزاب وكبار الساسة من الانكليز يطالبون الحكومة بالجلاء عن العراق وفلسطين من قبل الاستهداف لهذه الاخطار — ورأت أن جعل فلسطين مملكة يهودية فاصلة بين مصر وسائر بلاد العرب ليست من الهنات الهينات ، وانها قد صارت من المسائل الاسلامية العامة . فالهند قد وضعت استقلال فلسطين وسائر البلاد العربية في برنامجها، وإمام اليمن على عزلته قد احتج بها عليها ، وكاد أهل اليمن يجلون اليهود من بلادهم لاجلها ، حتى ان حكومة عدن البريطانية أجابت اليمن بأن مسألة احتلال فلسطين عرضية موقتة وأنهم سيتركونها لاهلها بعد بضع سنين ريثما تستقر الاحوال ! وهذا الجواب من أسلوب الحكيم فانهم إنما يعنون باستقرار الاحوال حل مشكلات الكون الكبرى وتوطيد سلطانهم حيث وضعوا أقدامهم

رأت وزارة المستعمرات كل هذا وأكثر منه مما نعلم ومما لا نعلم فرجحت إحداث تغيير جديد في شكل ادارة البلاد العربية وتجديد الضغائن والبغضاء بين العرب والترك قطعا لطريق الجامعة الاسلامية، قبل أن يستيقظ جمهور الشعب العربي من رقاده، ويثوب الجمهور المخدوع منه الى رشاده، ويدوس الزعماء المتجرين به وبلاده ، وهي مراقبة لما حدث من تحول العراق عن فيصل وعدم انخداعه بالمعاهدة ، وفلسطين عن عبد الله ، وانه لما عاد من زيارتهم في أوربة لم يزره ولا هنأه من أهلها أحد ، على ما بثه وبثته أجراؤه من الدعاية (البروبغندة) في شأن رحلته

وفوائدها المنتظرة (؟) كما أنها عالمة بما كان من فشل حسين في محاولة استمالة الامامين يحيى والادريسي ، وليس لهم أحد يعتمدون عليه من كبراء الامة العربية غير أهل هذا البيت الذي هو رئيسه — لا رئيس العرب — يطالبها باسم العرب — لا باسمه — بانجاز ما وعدته من تأليف مملكة عربية بقوتها وتحت وصايتها وحمايتها ، بشرط أن يكون هو رئيسها، تمتد من البحر الاحمر الى حدود الاناضول وتحتل هي ولاية البصرة منها وتقدم لسائر الولايات المستشارين والموظفين الذين يديرون شؤونها

مشروع الشكل الجديد لاستعمار البلاد العربية

فالمشروع الذي تدرسه وزارة المستعمرات مبني على التوفيق بين مقاصد معاهدة سايكس بيكو ووعود (السر هنري مكماهون) للملك حسين في أثناء ما دار بينهما من المكاتبات التي عرفها قراء المنار في المجلد السابق منه (م ٢٣) . ولما كان هذا التوفيق لا يتم الا بتوقيف فرنسة عليه، واقناعها بجعل داخلية سورية داخلة في المملكة العربية الشريفية ، والقناعة الموقتة بجعلها منطقة نفوذ فرنسية، وحصر الانتداب المباشر المؤيد بالاحتلال العسكري في المنطقة الساحلية كما تقنع انكلترة بجعل العراق منطقة نفوذ بريطانية وحصر الحكم الاحتلالي المباشر في ولاية البصرة — لما كان الامر كذلك كاشفت وزارة الخارجية البريطانية حكومة الجمهورية الفرنسية بعزمها معتمدة في اقناعها على التخويف من استيلاء الترك على سورية والعراق والقيام بحركة الجامعة الاسلامية التي يمتد خطرها الى شمال أفريقية الفرنسي فيفسده على وليه أمره كما يفسد الهند ومصر على الدولة البريطانية — وكانوا قد مهدوا السبيل لذلك بتدريب الامير عبدالله على استمالة فرنسة الى شخصه قبل سفره الى لندن وفي أثناء وجوده في أوربة . ومن حججهم التي قويت بعد اعراض الترك عن فرنسة في أواخر العهد بمؤتمر لوزان أن أسرة الملك حسين هي الاسرة الوحيدة التي أشربت دون غيرها من البيوتات

العربية بغض الترك والحقد عليهم . وكان الغرض من هذا السعي أن يجعل الامير عبد الله ملكا على شرقي الاردن وولاية دمشق وحلب ما عدا سواحل حلب وما ألحق من ولاية دمشق بلبنان الكبير، وبذلك يسهل حمل أهل هذه البلاد واهل العراق على مبايعة الملك حسين بالخلافة، فينشق العالم الاسلامي فيها وتستحكم العداوة بين الترك والعرب ويتيسر للدولتين ضرب أحدهما بالآخر عند الحاجة الى ذلك . وتدوم لهما السيطرة على البلاد العربية

وقد درست وزارة خارجية فرنسة هذا المشروع فترجح عندها عدم الثقة بهؤلاء الحجازيين صنائع الانكليز الذين لا تأمن فرنسة اغراءهم باخراجها من سورية عند سنوح الفرصة وارادة الانكليز ذلك ، وقيل انها كانت تدرس معه مشروعا آخر مضاداً له وهو جعل هذه البلاد تحت سيادة الترك إذا رضوا بأن تكون مناطق نفوذ لهم وللانكليز وبذلك يقضون على النهضة العربية ويكتفون أخطارها ولكنها لما تقرر هذا ولا ذاك

ولما شعر الناس في سورية بهذه المفاوضات والمباحث، انبرى أصحاب الاطماع يتزلفون الى حيث يتخذ كل منهم له يدا يستغلها عند تنفيذ المشروع المنتظر ولهجت بذلك جرائد سورية ومصر منذ بضعة أشهر فكانت شقشقة هدرت وتلتها أخرى ثم قرتا في سورية وكذبتهما الحكومة المحتلة وان لم يصدق كل الناس تكذيبها في وقتها

وأما الدولة البريطانية فلا تزال تدرس المشروع وقد توسل أعوانها في العراق بطلب الترك الموصل الى تنفير العراقيين منهم من حيث أظهرت هي الميل الى إنجاز الوعد باستقلالهم والاستعداد للجلاء عن بغداد لولا أن قام الملك فيصل يستغيث بها أن لا تفعل وشهد وفده لديهم أو صنيعتهم عنده (جعفر باشا العسكري) بأن خروجهم من العراق نكبة ما بعدها نكبة (١) وهل هذه الشهادة الا شهادة عليه وعلى مولاه الملك فيصل بما يفهمه كل أحد (؟) وهل يخفى على الاكمه ان هذه الدولة اذا لم تخرج في مثل هذه الفرصة من العراق فلن تخرج منه بعد ذهابها

الا بانقلاب جديد في العالم تزلزل به الارض زلزالها ، وتخرج أثقالها ، ويتقوض صرح الامبراطورية البريطانية كلها ؟ وان يكون هذا بعمل العراق بل لن يكون للعراق عمل في الوجود بعد استقرار السيطرة البريطانية عليه الا زرع القطن للمعامل الانكليزية واستخراج البترول لها وما أشبه ذلك ، وماذا يهم فيصل وآل فيصل اذا شقي العراق واستعبد وهو متمتع فيه بلقب الملك وأبهته ونعمته وفخفخته ؟ ألم يكن يسعى لمثل ذلك في سورية وكان كل الخلاف بينه وبين الوطنيين عليه ؟ بلى وقد ظهروا عليه حين أعلنوا الاستقلال واضطروا الى اكتفاء شر سعيه للوصاية الاجنبية بجعله ملكا عليهم حتى اذا ما ألح عليه الجنرال غورو باعلان الوصاية الفرنسية أجاب بالقبول، قبل أن يوجه اليه الجنرال الانذار المعلوم ، وهذا أمر لم نعلمه الا من عهد قريب . ولذلك لا نستبعد الآن أن يكون الانذار عن تواطؤ بينهما ليتخذه فيصل ذريعة الى اقناع المؤتمر السوري العام وسائر زعماء البلاد بقبول الوصاية التي بذل جهده قبل ذلك في اقناعهم بها فأبوا — ويؤيد هذا انتظاره الاحتلال الفرنسي في ضواحي دمشق حتى اذا ماتم عاد الى قصره ليقوم بأمر الملك تحت وصايته وظله (؟؟) ولو رضي الفرنسيس أن يبقى فيصل في دمشق لرضي هو بمحاولة اسلاس البلاد لهم بدون نفقة تذكر كما فعل أخوه للانكليز في شرق الاردن ولكان هذا شراً للبلاد لا خيراً لها ، ولو أن الانكليز جعلوا هذا ملكا على فلسطين كلها لكان تنفيذ الوصاية والوطن القومي لليهود أقرب منالا وأقل نفقة ، ولكن الله نجى فلسطين من هذه النكبة لانه أراد أن ينفخ فيها روح القومية والوحدة الصحيحة ، فلولا هذا الاتحاد بين عرب فلسطين المسلمين والمسيحيين لحكمنا على هذه البلاد حكما محزنا مخزيا ، وقد كان من فوائد هذا الاتحاد واليقظة أن علم الشعب الفلسطيني كله ما كان خفيا الا على أفراد منه وهو ان الامير عبد الله الحجازي صنيعة الانكليز كأبيه وأخيه وانهم موطنون أنفسهم على أن يكونوا ملوكا في دائرة الامبراطورية البريطانية المرنة كسلطان زنجبار ونظام حيدر آباد وراجا كشمير وأمثالهم، أما وقد عرفت حقيقتهم فقد صاروا عاجزين « عن تسليم البضاعة »

نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبأنه لا يمكن أن يتفق الانكليز مع هؤلاء الملوك الحجازيين الا على استعمار البلاد العربية واستعمار الشعب العربي وان كل تغيير يجددانه في البلاد العربية تجارب بريطانية كالتجارب التي نراها في مصر، فيجب على الامة العربية أن لاتثق بشيء يجري بين الفريقين، عملا بالحديث الصحيح « لايلدغ المؤمن من جحر مرتين »

نبأ عن النهضة الافغانية * وكونها دينية مدنية

ألم مراسل جريدة الاخبار المصرية في الآستانة بمدينة (رومية) عاصمة الدولة الايطالية في طريقه الى (لوزان) وزار فيها السردار عظيم الله خان سفير الدولة الافغانية فيها فوجده في دار السفارة يقرأ القرآن العظيم وبعد أن تعارفا دار بينهما الحديث الآتي وكان المراسل سائلا والسفير مجيبا

الافغان وإيطاليا

س — هل أسست الحكومة الايطالية سفارة لها في (كابل) مقابل السفارة الافغانية التي تأسست في (روما) ؟

ج — أجل لقد أسست الحكومة الايطالية سفارة لها في (كابل) وعينت الماركيز (بيترثو) سفيرا لها لدى جلالة أمير الافغان . وقد تم الاتفاق بين شركة أفغانية وشركة إيطالية على مد خط أوتوموبيل بين (كابل) و (بشاور) الى مدة ١٢ سنة بحيث يكون ٦٠ في المئة من رأس المال إيطاليا و ٤٠ في المئة أفغانيا،

س — هل عقدت أو تفاوض الحكومة الافغانية لعقد معاهدات أو اتفاقات سياسية أو اقتصادية مع إيطاليا ؟

ج — اني لم أصل الى عاصمة ايطاليا الا منذ أيام قلائل . بيد أننا سنسعى لعقد معاهدات تجارية مع ايطاليا لان لدينا مواد كثيرة يمكننا تصديرها الى البلاد الايطالية ومن هذه المواد الصوف وجلود استراخان ، والسجاجيد

والفواكه الجافة وبعض المعادن كالذهب والفضة والحديد و (الزنك) والنحاس والكبريت وبعض الاحجار الكريمة كالزمرد والياقوت والماس وغير ذلك

وهنا دعا دولة السفير تابعه وأمره أن يحضر نماذج المعادن الافغانية فأطاع التابع وأحضر عددا من العلب فتحها السفير وألقى ما فيها على جريدة فرشها على المكتب وأرانا أنواع الحديد والرصاص والزنك والنحاس والذهب والفضة. وقد كان من بينها ما هو خام وما هو نقي. ثم إنه فتح العلب التي تحتوي على الاحجار الكريمة وأرانا أنواع الياقوت والزمرد والماس والزبرجد مقدما لنا بعض التفصيلات عن المناجم التي تحتوي هذه المعادن، قائلا: ان من بينها ما لا يستطيع العالم بأسره ان يستنفده. وقد قضينا نحو نصف ساعة في فحص هذه المعادن والاحجار ولما انتهينا من فحصها عدنا الى حديثنا فسألنا دولته

السياسة الافغانية في الغرب والشرق

س — ما اساس السياسة الغربية التي تتبعها الحكومة الافغانية ؟

ج — « الصلح والمسالمة. لقد كانت بلاد الافغان موصدة الابواب الى حين اعلان استقلالها . والآن تتعارف الافغان مع جميع الدول وستزداد بهم تعرفا كل يوم. لا تريد الافغان ان تنازع احدا وانما تريد ترقية بلادها »

وقد كان المعنى الذي استخرجناه من اقوال دولة السفير ان اساس السياسة الغربية التي تتبعها الافغان هي المسالمة الرامية الى الاستفادة من الغرب في استثمار المنابع الطبيعية الافغانية واعلاء شأن البلاد الافغانية عرفانا واقتصادا

س — اذن ما قواعد السياسة الشرقية التي تتبعها الحكومة الافغانية؟

ج — الاخاء وقد كان من احدث مظاهر هذا الاخاء تلك البرقية التي ارسلها جلالة امير الافغان الى ملك انكلترة طالبا فيها معاملة تركيا في دائرة الحق والعدل. وقد ارسلت الحكومة الافغانية برقيات في هذا المعنى لحكومتي فرنسا وايطاليا،

س — ما رايكم في مؤتمر لوزان ؟

ج — اننا لا ننتظر الا صلحا عادلا مرضيا.

س — فاذا لم تقبل الدول تحقيق الميثاق الوطني التركي واضطرت تركيا الى مواصلة جهادها فماذا يكون موقف البلاد الافغانية نحو تركيا ؟

ج — موقف البلاد الافغانية ازاء هذه الحالة مصرح به في المعاهدة التركية الافغانية

س — لماذا لا تتأسس العلاقات السياسية بين مصر والافغان؟

ج — نحن نريد أن نؤسس مع مصر كل علاقة . وقد مر « الجناب الاعلى محمود طرزي بك » سفير الدولة الافغانية في باريس بمصر خلال سيره الى مقر وظيفته وقابل الكثيرين من رجال مصر فأكرموا وفادته ولبث هنالك مدة . واذا قبلت مصر فنحن مستعدون في الحال لتأسيس جميع العلاقات السياسية .

س — كيف شعور الافغانيين نحو اخوانهم المصريين ؟

ج — لا فرق بين الاتراك والمصريين في نظرنا ، نحب كليهما حبا جما . ونحن نتلقى أخبار مصر دائما ونتتبعها بكل شوق . وبغيتنا تأسيس جميع الروابط مع جميع الشعوب الاسلامية وعلى الاخص الشعب المصري .

مبادىء التربية في بلاد الافغان

س — اسمح لي يا دولة السفير أن أسألكم بعض أسئلة ليست سياسية . هل تتكرمون علي ببيان مبادىء التربية التي تقبلتموها لتربية أبنائكم ؟

ج — هي مبادىء التربية الاسلامية الصحيحة . وهل هناك مبادىء أشرف وأعلى من مبادىء التربية الاسلامية ؟ ان الدين الاسلامي دين الفطرة ، دين الفضيلة ، دين العزة ، دين المدنية ، دين الحق والحقيقة . فكيف لا تكون مبادئه أساس التربية في البلاد الاسلامية ؟ نحن على أتم يقين أن كل نجاح وكل فلاح نفوز به في معترك الحياة ، انما نفوز به بفضل اعتصامنا بمبادىء ديننا المبين . فاذا ما أرخينا حبل الاعتصام أخذنا في التقهقر ، والانحطاط والاضمحلال . تلك حياة المسلمين أعدل شاهد على أنهم قد ارتفع شأنهم كما رفعوا شأن العالم معهم لما

كانوا متعصبين بالدين الاسلامي. لكنهم لما أهملوا دينهم اجتمعت عليهم المصائب ولم يستطيعوا مقاومتها. فكيف يكون الامر على هذا المنوال ولا نتخذ مبادئ التربية الاسلامية أساسا لتربيتنا. أزيد على ذلك أننا نهتم في بلادنا بترقية معارفنا على هذا الاساس، اكثر من اهتمامنا بأي شيء. والجميع من جلالة الامير الى أصغر صغير يبذلون كل جهد لترقية المعارف. ويعقب ذلك في الاهمية الحربية، ثم الداخلية. وقد أرسلنا الى أوربا عددا من الطلاب كما تعلمون ونحن نبذل قصارى الجهد لان يكونوا متمسكين بمبادىء الدين الحنيف معتصمين بحبل الله، حتى يتمكنوا من خدمة شعبهم أعظم الخدم.

التشريع والآداب في الافغان

س — ما منابع التشريع في بلاد الافغان؟

ج — منبع التشريع هو الشريعة الغراء. نستمد جميع قوانيننا منها. وكلنا يراعي هذه القوانين. وليس جلالة الامير غير مسؤول. بل هو مسؤول ويدعى الى المحاكمة اذا حدث خلاف بينه وبين أحد رعاياه. فالكل تحت حكم القانون المستمد من الشريعة السمحة بلا استثناء. حكومتنا حكومة شرعية، قانونها الاساسي أحكام الشرع

س — هل تطبق المبادىء الاجتماعية في الحياة الافغانية؟

ج — تطبق تمام التطبيق. ومن آثار ذلك أن الاشربة الكحولية لا تدخل في بلادنا أصلا. أجل، لا تدخل هذه الاشربة الروحية في بلادنا ولا تخرج منها. كذلك لا تدخل الآفات العصرية في بلادنا. وسياجنا الحصين، الذي يمنع دخولها في بلادنا هو ايماننا قبل كل شيء. ولن تجد امرأة عاهرة واحدة بين نساء الافغان. بلادنا والحمد لله طاهرة مطهرة، بلاد اسلامية بكل معنى الكلمة، وكل من يجرأ على خرق هذه المبادىء يلاقي عقابه الصارم في الحال

جلالة أمير الافغان

س — نسمع عن جلالة أمير الافغان كثيرا من المناقب التي نتلقاها بكل احترام وفخار . فهل لدولتكم أن تزيدونا بيانا ؟

ج — أشرح لكم كيف يقضي جلالة الامير يومه . ينتبه جلالة الامير من نومه مبكرا ويكون على رأس عمله قبل نظاره وقبل موظفي حكومته. ويشتغل مع نظاره الى الظهر حيث يتناول غداءه معهم ثم يعود بعد برهة الى العمل حتى المساء وهنالك يتريض نحو ساعتين بركوب الخيل أو المشي أو غير ذلك ثم يتناول عشاءه ويعود الى عمله حتى بعد منتصف الليل . ولهذ يلوح على جلالته آثار التعب دائما. هكذا يقضي جلالته أيام أسبوعه ولا يستريح الا أيام الجمعة. لا يتناول جلالته أي مرتب من خزانة الشعب بل يعيش من دخله الخاص معيشة بسيطة لا تفترق عن معيشة أفقر رعاياه . ولا شك أن مثل هذه الحياة تكون خالية من جميع مظاهر الابهة والعظمة الخاوية . وجلالته رجل عمل لا رجل مظاهر . وقد كان أحسن أسوة لامته للسعي والكد في سبيل ترقية البلاد اها الحديث

قال المراسل: الحق أن دولة عظيم الله خان رجل كبير من كل وجهة . فهو — عدا كونه رجل عمل ورجل دولة — رجل اسلام يشعر بعزة دينه أسمى شعور . ولذلك تراه في عاصمة ايطاليا يرتدي ملابسه التي يرتديها في عاصمة دولته ولا يستبدل بطربوشه قبعة . أي انه رجل يمثل دينه ودولته على السواء اه

(المنار) قد نشرت الصحف العامة مقالات أخرى عن الافغان واميرهم متعددة المصادر متفقة المعنى مصدقة لما قلناه فى هذه الامة مرارا آخرها ما في بحث الخلافة المستفيض وهو أن هذا الشعب هو الجامع بين صلابة الدين التى في بلاد نجد وبين الاخذ بأساليب المدنية والعمران السالمة من أخطار ومفاسد المدنية المادية الافرنجية السارية في مصر وبلاد الترك وأمثالها . ولا نرى في كلام السفير الافغاني في ايطالية مبالغة الا في قوله ان معيشة الامير لاتفترق عن معيشة أفقر رعاياه

﴿ تقريظ المطبوعات ﴾

﴿ الفطرة ﴾ جريدة عربية اسبوعية تصدر في (بونس أيرس) عاصمة (الارجنتين) صاحبها الكاتب الفاضل العاقل السيد محمود محمد سلوم وغايتها ارشاد قرائها الى الوحدة والمدنية الراقية بسنن الله تعالى في الفطرة ، ويدخل فيها هداية دين الفطرة (الاسلام) ولذلك نرى مقالاتها الارشادية متوجة بآيات الذكر الحكيم وممزوجة بها أيضاً على المنهاج الذي أشرعه أستاذانا حكيما الاسلام وموقظا الشرق في العروة الوثقى وسلكنا جادته بالمنار ، وقد خلفت في ذلك جريدة الارجنتين التي ساءنا احتجابها . وأهم ما ننتقده منها ما انتقدنا من تلك وهو كثرة الغلط في الآيات القرآنية والاحاديث ، وتلافيه أن يراجع الكاتب او المصحح تلك الآيات في المصحف الشريف قبل طبعها ، وان يستعين على ذلك بمعاجمه ككتاب (فتح الرحمن) او كتاب (مفتاح كنوز القرآن) ويراجع الاحاديث في معاجمها واشهرها كتاب الجامع الصغير وكنوز الحقائق المطبوع على حواشيه

ولنضرب لذلك مثلا مقالا[1] عقدته الجريدة في عددها ١٢ بعنوان (انصر اخاك ظالماً او مظلوماً) لانكار كون هذه الجملة حديثاً نبوياً صيانة لمقام النبوة المعصوم من الامر بنصر الظالم . وقد اخطأ كاتب المقالة في انكار الحديث كما اخطأ في اكثر الآيات التي اوردها في المقالة

بنى انكاره للحديث على قاعدة صحيحة وهي ان من علامة الحديث الموضوع مخالفته للقطعي كالقرآن وغيره من أصول الدين وفروعه القطعية ومنها تحريم الظلم وازالته لا اقراره ومساعدة اهله عليه ، ولكن تحكيم هذه القاعدة في الحديث كتحكيمها في قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة) بانكار ان يكون من القرآن للقطع بأن القرآن يأمر بالصلاة ولا يمكن الجمع بين الامر بالشيء والنهي عنه . ومن علم ان هذا النهي مقيد بقوله تعالى (وانتم سكارى) لا ينكره . كما ان العالم بأن النبي (ص) فسر في هذا الحديث نصر الظالم بحجزه عن الظلم كما رواه احمد والبخاري والترمذي عن انس — ورده عن ظلمه كما رواه الدارمي وابن عساكر عن جابر بن عبد الله — لا ينكره

(١) كتب هذا التقريظ منذ أشهر عقب وصول العدد ١٢ من الجريدة

وقد ظن الكاتب ان هذا تأويل من بعض العلماء والصواب انه تتمة الحديث وفي رواية عن عائشة «ان كان مظلوماً نخذ له بحقه. وان كان ظالماً فخذ له من نفسه»

ومن الغلط في الآيات قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الخ جعل فيها «اذ» مكان «ان» ومنها قوله تعالى (١١ : ١٤ ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) حذف من وسطها (وما لكم من دون الله من أولياء) ومنها قوله تعالى (٤ : ١٣٤ — يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين) زاد فيها كلمة بالحق ومنها قوله تعالى(٩: ٦ وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) أورده هكذا: وان استجارك أحد من المشركين فأجره حتى يبلغ مأمنه .

وفيها من الخطأ في الحديث — متنه وتصحيحه قول الكاتب: ورد في الحديث الصحيح قول الرسول الامين «خذوا كلامي فاعرضوه على القرآن فما كان منه وفقا فهو شرع والا فهو رد» وهو مروي بلفظ آخر وغير صحيح السند ومعارض بالصحاح ، قال عبد الرحمن بن مهدي أحد أقران الامام مالك : الزنادقة والخوارج وضعوا حديث «ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله فان وافق كتاب الله فأنا قلته وان خالف فلم أقله» وقال الشافعي ما رواه احد ممن يثبت حديثه في شيء صغير ولا كبير . وزعم بعضهم أنهم عرضوه على مثل قوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فخالفه . والصواب أن ليس كل ما روي من الحديث موافقاً لكتاب الله فهو صحيح فمن الاحاديث الموافقة للقرآن ما لا يصح سنده بل ما هو موضوع . وأما ما خالف القرآن مخالفة صحيحة فيستحيل أن يكون النبي (ص) قاله

وقد علمنا أن صاحب هذه الجريدة من طائفة العلويين المعروفين بالنصيرية فسرنا ذلك أضعاف ما كان يسرنا لو كان من طائفة أخرى لان هذه الطائفة أشد الفرق الاسلامية تقصيرا في العلم ولم أر أحدا من أفرادها في بلادنا متعلما بصيراً بأمور العصر الا شابين أحدهما كان عضواً معنا في المؤتمر السوري العام بدمشق والثاني أديب شاعر له على حداثة سنه ذوق في الشعر وأسلوب جيد سيكون بهما من أشهر شعراء الوطن ، وأرجو أن يكون فيها كثيرون خيرا

منهما . وانى أرى في هذه الجريدة أن بعض الجالية في الارجنتين يهدونها الى بعض القارئين في الوطن فعسى أن تكون خير وسيلة الى اصلاح حال الطائفة وترغيبها في العلم والوحدة الملية من جهة والوطنية من جهة أخرى . فان الدسائس الاجنبيــة تدب عقاربها في القوم والوساوس الشيطانية تفعل في أذهانهم فعلها تقول لهم : انكم لستم مسلمين بل أنتم أصحاب دين مستقل يجب ان تكون لكم دولة مستقلة . ... ولكن قصارى هذا الاستقلال التفريق والضعف الذي يذهب باستقلال الوطن كله

وأما مسألة الدين الاسلامي ومكانهم منه فسيجليها العلم لمن لا يعرفها فتعلم هذه البطون العربية العريقة ان مجوس الفرس هم الذين أسسوا الجمعيات الباطنية للقضاء على ملك العرب بتفريقهم في الدين الذي جمع كلمتهم وآتاهم ذلك الملك العظيم لاجل انقاذ وطنهم منهم وإعادة ملك كسرى ودين (زردشت) وقد كانت دسائسهم من اسباب اضعاف العرب واذهاب ملكهم ولكن الاسلام ظل هو الحاكم لبلاد الاكاسرة الى اليوم

﴿ محاضرات الفلسفة العامة وتاريخها والفلسفة العربية وعلم الاخلاق ﴾

في الجامعة المصرية

قد طبع منذ عامين أو أكثر ما ألقاه الاستاذ (الكونت دي جلارزا) الاسباني من هذه المحاضرات في الجامعة المصرية في ثلاثة أجزاء جمعت في كتاب واحد نافت صفحاته على ٢٥٠ وجعل ثمنه ثمانون قرشاً صحيحاً، فمن يقرأه من طلاب الفلسفة كان كأنه واظب على تلك الدروس في تلك السنة، وكان هذا الكتاب مما ادخرت لاقرأه فأكتب عنه بعد القراءة فحالت الضروريات دون ذلك بل ضاق الوقت عنها

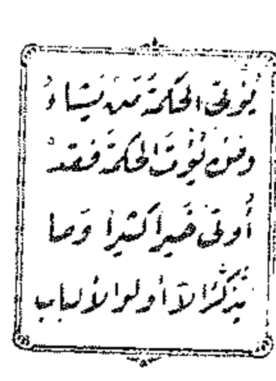
﴿ أسرار المراهقة في الفتى ﴾ « وهي محاورات دارت بين أب طبيب وابنه تبحث في شؤون دور البلوغ في الفتى وفي أهمية وظائف أعضاء التناسل وكيفية الاحتفاظ بها سليمة ونصائح قيمة عليها تتوقف صحة الابدان ونضارة العمران » تأليف الدكتور شخاشيري الطبيب والجراح في المستشفى الانكليزي بمصر القديمة —

جرى العرف العام على عد كل ما يتعلق بشؤون داعية التناسل من بدء الاستعداد الطبيعي لها الى غاية حصول ثمرتها من الامور السرية التي يخل إذاعتها والتحدث عنها بالآداب ويرمى صاحبه بالمجون والخلاعة ، فقلما يسمع الفتى كلمة من أهله أو أصحابه عن معنى بلوغ الحلم إلا ما يتلقاه طالب علم الفقه الاسلامي من أحكام غسل الجنابة وبناء على هذا العرف سمي هذا الكتاب الذي بين مؤلفه موضوعه بأسرار المراهقة — وجرى فيه على تعريف المراهقين بما سيجدونه في أنفسهم من شؤون هذا الطور الجديد بأسلوب علمي طبي نزيه ، ولكن تلك الآداب قد طوي بساطها في هذا العصر عند اكثر أهل هذه البلاد وأمثالها فصار أعمق الاسرار فيها اجهر اقلما يجهله فتى أو فتاة إلا في بيوت قليلة ، والكتاب يفيد هؤلاء وغيرهم لان الذين يعرفون أسرار المراهقة والبلوغ يعرفونها من المجان والفساق المقاربين لهم في السن أعني أنهم يعرفون منها ما تضر معرفته والكتاب يرشدهم الى ما يتقون به هذا الضرر فلا يستغنى عن مثله منهم أحد، وقد طبع على ورق جيد في ٦٨ صفحة القطع الصغير وهو يطلب من مؤلفه ومن مكتبة المنار بمصر وثمنه خمسة قروش واجرة البريد قرش واحد

﴿ القول المفيد * في أدلة الاجتهاد والتقليد ﴾ للامام المجتهد القاضي محمد بن علي الشوكاني قال في أوله « طلب مني بعض المحققين من أهل العلم أن أجمع له بحثا يشتمل على تحقيق الحق في التقليد أجائز هو أم لا على وجه لا يبقى بعده شك ولا يقبل عنده تشكيك ولما كان هذا السائل من العلماء المبرزين كان جوابه على نمط علم المناظرة » وقد طبع هذا الكتاب في العام الماضي فبلغت صفحاته زهاء الستين من قطع المنار وصححه وعلق عليه بعض الفوائد صديقنا الشيخ محمد منير السلفي من علماء الازهر . ولكن بقي فيه غلط كثير لعل سببه رداءة النسخة التي طبع عنها ، وهذا لا يمنع الاستفادة من الكتاب فنحث جميع المشتغلين بعلم الدين الصحيح بالنية الشرعية الصحيحة أن يطالعوه ، وسننقل نبذة منه في جزء آخر ان شاء الله تعالى وثمن النسخة منه ثلاثة قروش وهو يطلب من مكتبة المنار بمصر

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب





قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومنارا » كمنار الطريق

٣٠ رجب ١٣٤١ ـ ٢٧ الحوت (ش٣) سنة١٣٠١ هش١٨ مارس١٩٢٣

فتاوى المنار

﴿ الاكراه على الطلاق معلقا عقب عقد النكاح ﴾

(س٩) من صاحب الامضاء في (سمبس — جاوه)

حضرة العلامة الاكبر ، الذي هو حجة الاسلام في هذا العصر ، مولاي الاستاذ (السيد محمد رشيد رضا) صاحب مجلة المنار الأغر ، حفظه الله تعالى

السلام عليكم تحية مباركة طيبة . وبعد فاني أرجو كل الرجاء أن تتفضلوا علي بالجواب عما يأتي :

قد جرت عادة في بلدنا وفي سائر بلاد جاوه وملايو من زمن بعيد الى اليوم أن كل عاقد للنكاح من قاض أو حاكم يلقن كل زوج عقد له النكاح عقبه تعليق الطلاق بما اذا غاب عنها ولم يترك لها نفقة ولم ينفق عليها في غيبته مدة ستة أشهر مثلا وهي غير ناشز فاذا لم ترض بذلك واشتكت أمرها الى الحاكم وثبتت دعواها ببينة وقبلها طلقت طلقة واحدة .

وغير ذلك من التعاليق التي تناسب حال كل بلد من هذه البلاد ، والتعليق الذي جرينا عليه في بلدنا وطالبنا كل زوج عقدنا له بالتلفظ به هو بأمر ملكنا (السلطان) وكذا في سائر تلك البلاد بأمر أولياء أمورهم

ثم إني رأيت في هذه الايام أن لا حاجة لنا الى هذا التعليق فان في مذهب الشافعي رحمه الله بابا واسعا في فسخ النكاح . والغرض من التعليق هو التفريق بين المرء وزوجه بموجب تعليقه . وقبل كتابة هذا الكتاب سألت نفراً من المشتغلين بعقد الانكحة عن التعليق هل هو سنة أو مكروه أو . . . أو . . . وما فائدته ؟ فلم أجد في أجوبتهم الا استحسان التعليق ، حتى غلا بعضهم فيه وقال يجب على الامة أن تطيع أمر السلطان به وانه يصح ولو مع الاكراه عليه لانه اكراه بحق ،

قلت لا يصح التعليق مع الاكراه فانه اكراه بغير حق وانما تجب طاعة السلطان في المعروف كما ورد في الحديث « انما الطاعة في المعروف » ولا يكون الشيء واجبا الا اذا كان له مستند من الادلة الشرعية وهي الكتاب والسنة والاجماع والقياس يبين كونه واجبا، وهل لهذا التعليق مستند من هذه الادلة ؟ بل قلت ان مثل التعليق الذي جرينا عليه بدعة مكروهة ان لم أقل انها حرام فان الاسلام لم يأمرنا بتحليف الزوج بالطلاق ليقوم بالحقوق الزوجية . وأما اذا كان الزوج بنفسه يعلق طلاق زوجته بأي شيء كان فقد قال في شرح الروض « تعليقه جائز »

نعم إني قرأت في هذه الايام في كتاب باللغة الملاوية للسيد عثمان بن عقيل اسمه « القوانين الشرعية » قوله فيه ما تعريبه (انما يستحسن تعليق الطلاق بعد عقد النكاح لتذكير الزوج بالمحافظة على حق زوجته من المعاشرة بالمعروف كما أمر الله به في كتابه (وعاشروهن بالمعروف) اه وها أنذا أنقل التعليق المستعمل في بتاوى بنص العربي من الكتاب المذكور وهو :

« أما بعد عقد النكاح فأقول في تعليق طلاق زوجتي فلانة بنت فلان بأحد هذه الافعال الثلاثة الآتية حالة كوني أحث على نفسي (؟) أن لا أفعل شيئا منها وهي : كلما لم أنفق على زوجتي فلانة بنت فلان النفقة الواجبة علي شرعا مدة شهر واحد ولم ترض بذلك وشكت أمرها بنفسها أو بوكيلها عنها وكالة شرعية الى (؟) عند راد اكام (المحكمة الشرعية) وأثبتت هي أو وكيلها دعواها بذلك عند (راد اكام) وطلبت طلاقها بنفسها أو بواسطة وكيلها منها فهي طالقة من عقدي (؟) طلقة واحدة . كلما غبت عن زوجتي فلانة بنت فلان في سفر البر أو في البلد ستة أشهر أو في سفر البحر سنة واحدة ولم ترض بذلك وشكت أمرها بنفسها أو بواسطة وكيلها عنها وكالة شرعية الى (؟) عند (راد اكام) وأثبتت هي أو وكيلها دعواها بذلك عند (راد اكام) وطلبت طلاقها بنفسها أو بواسطة وكيلها منها فهي طالقة من عقدي طلقة واحدة . كلما ضربت زوجتي فلانة بنت فلان ضربا موجعا غير لائق في الشرع ولم ترض بذلك وشكت أمرها بنفسها أو بواسطة وكيلها عنها وكالة شرعية الى عند

(راد آكام) وأثبتت هي أو وكيلها دعواها عند (راد كام) وطلبت هي طلاقها بنفسها أو بواسطة وكيلها منها فهي طالقة من عقدي طلقة واحدة اه بالحروف

ما تقولون في هذا التعليق فهل يستحسن شرعا أم لا ؟ انني أقول انما استحسنوا التعليق وأغلقوا باب الفسخ لانهم اضطربوا في فهم أقوال العلماء المختلفة فيه كقول بعضهم لا يجوز فسخ عقد من غاب غيبة منقطعة وجهل حاله يسارا وإعسارا وبعضهم قال بجوازه . فهم لا يتجرؤن على ترجيح قول على آخر من تلك الاقوال لانهم قالوا انهم ليسوا من أهل الترجيح . هذا والمرجو أن تبينوا لنا سريعا الحق في ذلك فيكون جوابكم هو الفصل بين الحق والباطل ؟ الامضاء

سمبس ٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٤١ م . ب . ع

(ج) إكراه الناس على تطليق أزواجهم عقب العقد عليهن طلاقا معلقا على ما ذكر أو غيره بدعة قبيحة لم ينقل عن حكومة من حكومات السلف ولا الخلف ، ولم يبلغنا عن غير مسلمي جاوه ، ولا ندري متى ابتدعتها ومن زينها لها . فلعل السائل يبين لنا هذا ان كان يعلمه . وهل عثمان بن عقيل أول من وضع لها هذه الصيغ الدالة على ما كان عليه من الجهل بالشرع وباللغة العربية التي لا يمكن فهم الشرع بدون إتقانها كما هو عهدنا بكل ما اطلعنا عليه من كتبه أم كانت قبل ذلك ؟ . ومن الغريب أن يحجم علماؤهم وحكامهم المسلمون عن ترجيح قول للفقهاء على آخر كل منهما صحيح عنهم . وأن لا يروا بأسا في ابتداع أمر لم يقل به أحد منهم . فان قولهم بجواز تعليق الطلاق أمر غير إكراه كل أحد عليه وما يقصدون به من القيام بحقوق الزوجة قد يفضي الى كثرة التفرقة بين الزوجين وتخريب البيوت

ويمكننا أن نستغني عن محاولة اقناعهم بما هو الغرض الصحيح الذي يريدونه من هذه البدعة وهو رفع الضرر عن الزوجة بما قررته الدولة العثمانية من أحكام فسخ النكاح والتفريق بين الزوجين على مخالفته لمذهب الحنفية الذي هو المذهب الرسمي لها وهو :

مواد فسخ النكاح في محاكم الدولة العثمانية

المادة ١٢٢ — اذا اطلعت الزوجة بعد النكاح على وجود علة في الزوج من العلل التي لا يمكن المقام معها بلا ضرر أو حدثت به أخيرا هكذا علة فللزوجة أن تراجع الحاكم وتطلب فسخ نكاحها منه . فان كان يؤمل زوال تلك العلة يؤجل الحاكم الفسخ سنة فاذا لم تزل العلة في خلال هذه المدة وكان الزوج غير راض بالطلاق والزوجة مصرة على طلبه يحكم الحاكم بالفسخ . أما وجود عيب كالعمى والعرج في الزوج فلا يوجب التفريق

المادة ١٢٣ — اذا جن الزوج بعد عقد النكاح وراجعت الزوجة الحاكم طالبة تفريقها يؤجل الحاكم التفريق لمدة سنة . فاذا لم تزل الجنة في هذه المدة وكانت الزوجة مصرة يحكم الحاكم بالتفريق .

المادة ١٢٤ — خيار الزوجة غير فوري في الاحوال التي لها بها الخيار فلها[1] أن تؤخر الدعوى أو تتركها بعد مدة بعد اقامتها .

المادة ١٢٥ — اذا جدد الطرفان العقد بعد التفريق وفقا للمواد السابقة فليس للزوجة حق الخيار في الزواج الثاني

المادة ١٢٦ — اذا اختفى الزوج أو سافر الى محل بعد مدة السفر أو أقل منها ثم غاب وانقطعت أخباره وأصبح تحصيل النفقة منه متعذرا وطلبت الزوجة التفريق يحكم الحاكم بالتفريق بينهما بعد بذل الجهد في البحث والتحري .

المادة ١٢٧ — اذا راجعت الزوجة التي غاب زوجها الحاكم وكان زوجها ترك لها مالا من جنس النفقة وطلبت منه التفريق يجري الحاكم التحقيقات بحق ذلك الشخص فاذا يئس من الوقوف على خبر حياته أو مماته يؤجل الامر أربع سنوات اعتبارا من تاريخ اليأس فاذا لم يقف على خبر عن الزوج المفقود وكانت الزوجة مصرة على طلبها يفرق الحاكم بينهما . واذا كان الزوج غائبا في دار

(١) لها ذلك بشرط أن لا تظهر منها أمارة من أمارات الرضا بالعيب كما مر في المادة (١٢٠) اهـ من حاشية الاصل

لحرب يفرق الحاكم بينهما بعد مرور سنة اعتبارا من رجوع الفريقين المتحاربين وأسراهم إلى بلادهم وعلى كلتا الحالتين فالزوجة تعتد عدة الوفاة اعتبارا من تاريخ الحكم

المادة ١٢٨ — اذا تزوجت المرأة التي حكم بتفريقها وفقا للمواد السابقة بشخص آخر ثم ظهر الزوج الاول فلا ينفسح النكاح الاخير.

المادة ١٢٩ — اذا تزوجت الزوجة التي حكم بوفاة زوجها ثم تحققت حياة الزوج الاول لا ينفسخ النكاح الثاني.

المادة ١٣٠ — اذا ظهر بين الزوجين نزاع وشقاق وراجع أحدهما الحاكم يعين حكما من أهل الزوج وحكما من أهل الزوجة واذا لم يجد حكما من أهلهما أو وجد ولكن لم تتوفر فيهما الاوصاف اللازمة يعين من غير أهلهما من يراه مناسبا. فالمجلس العائلي الذي يتألف على هذه الصورة يصغى الى شكاوى الطرفين ومدافعاتهم ويدقق فيها ويبذل جهده لاصلاح ذات بينهما فاذا لم يمكن الاصلاح وكان الذنب على الزوج يفرق بينهما واذا كان على الزوجة يخالعها (١) على كامل المهر أو على قسم منه. فاذا لم يتفق الحكمان يعين الحاكم (هيأة حكمية) أخرى من أهليهما حائزة للاوصاف اللازمة أو حكما ثالثا من غير أهليهما ويكون حكم هؤلاء قطعيا وغير قابل للاعتراض. اه

﴿ التهويش على المصلي وهل منه الخطبة وتكبير العيد ﴾

(س ١٠) من صاحب الامضاء في دمياط

فضيلة الاستاذ الامام الرشيد صاحب المنار

السلام عليكم يافضيلة الاستاذ ورحمة الله وبركاته تحية من عند الله مباركة طيبة وبعد:

(١) أثبتت السنة الصحيحة سنية التكبير دبر كل صلاة في أيام الاعياد كما أنه ثبت بها عدم التشويش على المصلي سواء كان هذا التشويش بالصلاة أو بالذكر أو بالدعاء أو بقراءة القرآن

فما قول فضيلتكم في هذا التكبير عند إتمام صلاة رجل مسبوق تخلف عن

(١) الخلع هو تطليق الزوج زوجته عقابا [illegible]

الجماعة بركعة أو أكثر هل يعدّ التكبير إذا تشويشاً على المصلي أم لا ؟ أفتونا مأجورين جعلك الله حجة للاسلام والمسلمين آمين

وما قولكم يافضيلة الاستاذ في خطبته صلى الله عليه وسلم وقد أمر من جلس قبل أن يصلي ركعتين تحية المسجد بأن يصلي ركعتين خفيفتين فهلا كانت الخطبة إذاً تعد تشويشا عليه . ونرجو أن لا تحرمونا من الرد بوجه السرعة سواء بالمنار المضيء أو بخطاب خصوصي باسمنا هدانا الله بكم اليه ؟

حسن محمد فايد

وكيل جمعية الاعتصام بهدي الاسلام بدمياط

(ج) لم يثبت بالسنة الصحيحة سنية التكبير دبر كل صلاة في يومي العيد وأيام التشريق ولكنه مأثور عن بعض الصحابة وزاد فيه الناس : الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، الى آخر ماهو معروف

وأما ايذاء المصلي برفع الصوت عنده ولو بذكر غير متعين ففي السنة ما يدل عليه وهو متفق عليه عند العلماء . ولايدخل فيه رفع الصوت المتعين شرعا كصوت الخطيب والمؤذن بين يديه يوم الجمعة اذا اتفق وجود من يصلي بالقرب منهما كواقعة السؤال الثابتة في حديث الصحيحين والسنن لانه لا يعد إيذاء المصلي ولا شاغلا له عن الله تعالى أو يقال انه يرجح اذا عد الامران متعارضين لانه الاصل والشعار المطلوب لذاته في وقت أدائه وفائدته عامة لجماعة المسلمين والصلاة وقتئذ مصلحة خاصة بفرد أو أفراد من المقصرين وهي خلاف الاصل حتى قال بعض الفقهاء بأن حديث أمر النبي (ص) من دخل المسجد وهو يخطب بأن يصلي ركعتين خاص بذلك الرجل لا عام ، ومن ذهب أنه عام على الاصل قالوا يخفف فيهما بالاقتصار على الواجبات التي لا تصح الصلاة بدونها ليسمع الخطبة ، والصواب انه عام إذ ورد الامر به في حديث الصحيحين وبتخفيف الركعتين

ولمن أثبت التكبير برفع الصوت عقب الصلوات في العيدين وأيام التشريق أن يقول فيه مثل ذلك أي انه شعار الوقت والمتأخر في الصلاة مقصر فلا يرجح ترك التهويش عليه بمنع الشعار أن يؤدى في وقته كالخطبة والاذان بين يدي الخطيب قبلها

الخلافة الاسلامية

(٤)

٣٠ـ الاشتراع الاسلامي والخلافة

نريد بالاشتراع مايعبر عنه عندنا بالاستنباط والاجتهاد، وفي عرف هذا العصر بالتشريع وهو وضع الاحكام التي تحتاج اليها الحكومة لاقامة العدل بين الناس وحفظ الامن والنظام وصيانة البلاد ومصالح الامة وسد ذرائع الفساد فيها . وهذه الاحكام تختلف باختلاف الزمان والمكان وأحوال الناس الدينية والمدنية كما قال الامام العادل عمر بن عبد العزيز (رض) تحدث للناس أقضية بحسب ماأحدثوا من الفجور ، أي وغيره من المفاسد والمصالح والمضار والمنافع . فالاحكام تختلف وان كان الغرض منها واحداً وهو ماذكرنا آنفاً من إقامة العدل الخ

لا يقوم أمر حكومة مدنية بدون اشتراع ، ولا ترتقي أمة في معارج العمران بدون حكومة يكفل نظامها اشتراع عادل يناسب حالتها التي وضعها فيها تاريخها الماضي ، ويسلك لها السبل والفجاج للعمران الراقي ، ولا يصلح لامة من الامم شرع أمة أخرى مخالفة لها في مقوّماتها ومشخصاتها وتاريخها ، كما أنه لا يصلح للغة من اللغات قواعد لغة أخرى في صيغ كلمها وأحكام تأليفها ، إلا اذا أرادت أمة أن تندغم في أمة أخرى وتتحد بها فتكونا أمة واحدة كما اتحدت شعوب كثيرة بالاسلام فكانت أمة واحدة ذات شريعة واحدة ، وأما الشعوب التي تقتبس شرائع شعوب أخرى بغير تصرف ولا اجتهاد فيها تحوله به الى ما يلائم عقائدها وآدابها ومصالحها التي كان الشعب بها شعبا مستقلا بنفسه فانها لا تلبث أن تزداد فساداً واضطراباً ، ويضعف فيها التماسك والاستقلال الشعبي فيكون مانعاً من الاستقلال السياسي وما يتبعه . فشرع الامة عنوان مجدها وشرفها . وروح حياتها ونمائها ، واعجب ما مني به بعض الشعوب الاسلامية ان ترك شريعة له ذات اصل ثابت في الحق وقواعد كافلة للعدل والمساواة واستبدل بها قوانين شعوب اخرى هي دونها فأصبحوا ولا

امام لهم في حياتهم الاشتراعية من أنفسهم بل هم يقتدون فيها بافراد من الاعاجم يقلدونهم بما خسروا به اهم مقومات امتهم واعظم مظهر من مظاهر شرفهم ، وهو الاشتراع

لا تتسع هذه الخلاصة التي نكتبها في هذا البحث لبيان أنواع الحكومات الغابرة والحاضرة وشأنها في الاشتراع ومكان المسلمين فيه ، وانما نقول إن صحفنا العربية تصرح في هذا العهد آنا بعد آخر بأن أحدث أصول التشريع هو أنه حق للامة ، ويظن هؤلاء الذين يكتبون هذا وأكثر من يقرءون كلامهم أن هذا الاصل من وضع الافرنج ، وان الاسلام لا تشريع فيه للبشر لان شريعته مستمدة من القرآن ، والاحكام المدنية والسياسية فيه قليلة محدودة — ومن السنة والزيادة فيها على ما في القرآن قليلة ومناسبة لحال المسلمين في أول الاسلام دون سائر الازمنة ولا سيما زماننا هذا — وان الاجماع والاجتهاد على استنادهما الى الكتاب والسنة قد انقطعا وأقفلت أبوابهما باعتراف جماهير علماء السنة في جميع الاقطار الاسلامية — وأن هذا هو السبب في تقهقر الحكومات الاسلامية المتمسكة بالشريعة الدينية ، واضطرار الحكومتين المدنيتين الوحيدتين التركية والمصرية الى استبدال بعض القوانين الافرنجية بالشريعة الاسلامية تقليداً ثم تشريعاً

ذلك ظن الذين يجهلون أصول الشريعة الاسلامية وأساس الاشتراع فيها الذين لا يفرقون بين الاصطلاح الفقهي والاصطلاح العصري في التشريع فيعمي عليهم الحقيقة اختلاف الاصطلاح : ذلك بأن اسم الدين والشرع قد يستعملان استعمال المترادف وان كان بينهما عموم وخصوص فانهم كثيراً ما يخصون الشرع بالاحكام القضائية أو العملية دون أصول العقائد والحكم والآداب التي هي قواعد الدين ، المتعلقة بصلاح المعاش والمعاد ، ولذلك جعلوا الفقه قسمين عبادات ومعاملات ، والفقهاء يفرقون فيها بين الديانة والقضاء . يقولون يجوز هذا قضاء لا ديانة . وتسمى الاحكام العملية دينا باعتبار أنها يدان بها الله تعالى فتتبع اذعانا لامره ونهيه . وبهذا الاعتبار تطلق كلمة الشارع على الله تعالى ، وأطلقت على النبي (ص) بأنه مبلغ الشرع ومبينه ، ومن العلماء من قال إن الله تعالى أذن له أن يشرع ، والجمهور على أنه مبلغ ومبين لما نزل عليه من الوحي وان الوحي أعم من القرآن

والتحقيق أن هذا كله خاص بأمر الدين وهو ما شرع ليتقرب به الى الله تعالى من العبادات ، وترك الفواحش والمنكرات ومراعاة الحق والعدل في المعاملات تزكية للنفس واعدادا لها لحياة الآخرة . ومنها ما في المعاملات من معنى الدين كاحترام أنفس الناس وأعراضهم وأموالهم والنصح لهم وترك الاثم والبغي والعدوان والغش والخيانة وأكل أموال الناس بالباطل . وأما ما عدا ذلك من نظام الادارة والقضاء والسياسة والجباية وتدبير الحرب مما لا دخل للتعبد والزلفى الى الله في فروعه بعد حسن النية فيه فقد كان الرسول (ص) في زمنه مشترعا فيه باجتهاده مأمورا من الله بمشاورة الامة فيه ولا سيما أولي الامر من أفرادها الذين هم محل ثقتها في مصالحها العامة وممثلو إرادتها من العلماء والزعماء والقواد، وهو كذلك مفوض من بعده الى هؤلاء أنفسهم، ويخلفه لتمثيل الوحدة من يختارونه اماما لهم وخليفة له

والدليل على هذا من الكتاب قوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) وقوله (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) الآية وقوله (واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ومن السنة ما صح عنه من ان أمته لا تجتمع على ضلالة وما كان يجعله (ص) موضع الشورى من أمور الحرب وغيرها من المصالح الدنيوية — وما أذن فيه من الاجتهاد والرأي عند فقد النص من الكتاب وعدم السنة المتبعة، والحديث فيه مشهور — ومن آثار الخلفاء الراشدين المهديين ما كانوا يستشيرون فيه أهل العلم والرأي من أمور الادارة والقضاء والحرب أيضا وما وضعوه من الدواوين والخراج وغير ذلك مما لم يرد به نص في الكتاب والسنة — ومن أصول الفقه حجية إجماع الامة، واجتهاد الائمة — فكل هذا مما يسمى في عرف علم الحقوق والقانون تشريعاً — وهو ميدان المجتهدين الواسع ، وجرى عليه العمل في خير القرون

فثبت بهذا أن للاسلام اشتراعا مأذونا به من الله تعالى وأنه مفوض الى الامة يقره أهل العلم والرأي والزعامة فيها بالشورى بينهم . وأن السلطة في الحقيقة للامة فاذا أمكن استفتاؤها في أمر وأجمعت عليه فلا مندوحة عنه، وليس للخليفة — دع من دونه من الحكام — أن ينقض إجماعها ولا أن

يخالفه، ولا أن يخالف نوابها وممثليها من أهل الحل والعقد أيضا. واتفاق هؤلاء اذا كانوا محصورين يسمى إجماعا عند علماء الاصول بشرط أن يكونوا من اهل العلم الاجتهادي. وأما اذا اختلفوا فالواجب رد ما تنازعوا فيه الى الاصلين الاساسيين وهما الكتاب والسنة والعمل بما يؤيده الدليل منهما أومن احدهما، لقوله تعالى بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول واولي الامر (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا) أي أحسن عاقبة ومآلا مما عداه، ومنه العمل برأي الاكثر في تشريع قوانين اوربة ومقلديها فشرعنا مخالف لها في هذه المسألة، ومن وجوه كونه خيرا من غيره واحسن عاقبة ان النزاع بين الامة يزول بتحكيم الكتاب والسنة فيه، وتطيب نفوس جميع نواب الامة بما يظهر رجحانه بالدليل، ولا يبقى للاضغان والنزاع مجال بينهم. وقد تقدم إثبات سلطة الامة وتمثيل اهل الحل والعقد لها في أول هذه المباحث (رقم ٣و٤) بقدر الحاجة العارضة. واما تفصيل القول في هذا وذلك فيراجع فيه تفسير (اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم) في الجزء الخامس من تفسير المنار

الاشتراع — او التشريع او الاستنباط — ضرورة من ضرورات الاجتماع البشري، ومن قواعد الشرع الاسلامي ان الضرورة لها احكام منها انها تبيح ما حرمه الله تعالى باذنه في قوله بعد بيان محرمات الطعام (إلا ما اضطررتم اليه) منها نفي الحرج والعسر من الدين، وانتفاؤهما من قسم المعاملات أولى من انتفائهما من قسم العبادات التي يعقل ان يكون فيها ضرب من المشقة لتربية النفس وتزكيتها إذ لا تكمل تربية بدون احتمال مشقة وجهد. ويسهل هذا الاحتمال نية القربة وابتغاء المثوبة فيه، وليس في المعاملات شيء من معنى التدين الا ماذكرنا آنفا، والغرض منه حفظ الانفس والاموال والاعراض ان يعتدى عليها بغير حق، فمن لم يردعه عن ذلك خوف عقوبة الحكام في الدنيا يردعه خوف عذاب الله في الآخرة انكان مؤمنا به وبما جاء به رسوله (ص)

فتبين بهذا ان للاشتراع المدني والجنائي والسياسي والعسكري دلائل كثيرة منها قواعد الضرورات ونفي ومنع الضرر والضرار — فلولم ينص في القرآن على أن امور المؤمنين العامة شورى بينهم — ولولم يوجب طاعة اولي الامر بالتبع لطاعة الله

وطاعة الرسول ولولم يفرض على الامة رد هذه الامور اليهم ويفوض اليهم امر استنباط احكامها — ولولم يقر النبي (ص) معاذا على الاجتهاد والرأي فيما يعرض عليه من القضايا التي لا نص عليها في كتاب الله ولم تمض فيها سنة من رسوله[1] لولم يرد هذا كله ومافي معناه لكفت الضرورة اصلا شرعيا للاستنباط الذي يسمى في عرف هذا العصر بالتشريع . ووراء هذا وذاك عمل الامة في صدر الاسلام وخير القرون وكذا ما بعدها من القرون الوسطى التى خرجت فيها الخلافة الكافلة للامور العامة عن منهج العلم الاستقلالي فزالا معا لتلازمهما

الخلافة مناط الوحدة، ومصدر الاشتراع، وسلك النظام، وكفالة تنفيذ الاحكام، واركانها اهل الحل والعقد رجال الشورى، ورئيسهم الامام الاعظم ، ويشترط فيهم كلهم أن يكونوا اهلا للاشتراع، المعبر عنه في اصولنا بالاجتهاد والاستنباط ، وقد كان اول فساد طرأ على نظام الخلافة وصدع في اركانها جعلها وراثية في اهل الغلب والعصبية، واول تقصير رزيء به المسلمون عدم وضع نظام ينضبط به قيامها بما يجب من امر الامة ، على القواعد التى هدى اليها الكتاب والسنة ، واول خلل نشأ عن هذا وذاك تفلت الخلفاء من سيطرة اهل الحل والعقد الذين يمثلون الامة ، واعتمادهم على اهل عصبية القوة ، التى كان من اهم اصلاح الاسلام لامور البشر ازالتها ، فصار صلاح الامة وفسادها تابعاً بذلك لصلاح الخليفة واعوانه اهل عصبيته، لا لممثلي الامة ومحل ثقتها من اهل العلم والراي فيها ، والغيرة والحدب عليها

ثم ترتب على ذلك شعور الخلفاء بالاستغناء عن العلم أو عدم شعورهم بالحاجة اليه وترك التمتع باللذات اشتغالا به لتحصيل رتبة الاجتهاد فيه ، ورأوا أنه يمكنهم الاستعانة بالعلماء الذين يتقلدون مناصب الوزارة والقضاء والافتاء وغيرهما من الاعمال التي يحتاج فيها الى استنباط الاحكام — فتركوا العلم ثم جهلوا قيمة العلماء فصاروا يقلدون الجاهلين من أمثالهم للاعمال، ووجدوا فيهم من يفتي بعدم اشتراط العلم الاستقلالي (الاجتهاد) في إمام المسلمين ولا في القاضي

(١) رواه احمد وأبو داود والترمذي مرسلا ويؤيده ماأسنده البخاري من حديث عمرو بن العاص وتابعه عليه أبو هريرة وأبو سلمة (رض) « اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد فاخطأ فله اجر »

لامكان استعانتهما بالمفتي الذي لا يكون الا مجتهداً ، ثم عم الجهل فصاروا يستفتون الجاهلين (أي غير المجتهدين) أمثالهم، ثم أذاع هؤلاء الجاهلون الذين احتكروا مناصب الدولة وأموالها أن الاجتهاد قد أقفل بابه، وتعذر تحصيله، وأوجبوا على أنفسهم وعلى الامة تقليد أفراد معينين من العلماء والانتساب اليهم ، ثم صاروا يقلدون كل من ينتمي اليهم مع الاجماع على امتناع تقليد المقلد — فضاع علم الاحكام ، وفقدت ملكة الاشتراع والاستنباط بالتدريج، والامة لا تشعر، فلما صار أمر الحكومة في أيدي الجاهلين ضاعت الشريعة والاشتراع واختل نظام الامة وانحل أمرها وتضعضع ملكها، وقع كل ذلك بترك اصول الاسلام وفروعه والجاهلون يحسبون انه وقع باتباع تعاليمه !!

قال القاضي أبو علي محسن التنوخي[1] في كتابه (جامع التواريخ) حدثني أبو الحسين بن عباس قال : كان أول ما انحل من سياسة الملك فيما شاهدناه من أيام بني العباس - القضاء - فان ابن الفرات (الوزير المشهور) وضع منه وأدخل فيه قوما بالزمانات[2] لا علم لهم ولا أبوة فيهم فما مضت الا سنوات حتى ابتدأت تتضع ويتقلدها كل من ليس لها بأهل حتى بلغت في سنة نيف وثلاثين وثلاث مئة الى أن تقلد وزارة المتقي أبو العباس الاصفهاني الكاتب وكان في غاية سقوط المروءة والرقاعة — (الى أن قال) وتلا سقوط الوزارة اتضاع الخلافة وبلغ صيورها الى ما نشاهد فانحلت دولة بني العباس بانحلال القضاء ، وكان أول ماوضع ابن الفرات من القضاء تقليده إياه أبا أمية الاخوص الغلاني البصري — وذكر أنه إنما قلده لموعدة وعدها إياه اذ أوى اليه واختفى عنده في أيام محنته

وأقول ان ابن الفرات كان من أقدر الوزراء وأعلمهم بشؤون الملك والسياسة وكان حسن السيرة وانما جرأه على مثل هذا جهل الخليفة وانصرافه الى اللهو واللعب ثم التلذذ بالاسراف في اللذات فانه ولي وله ثلاث عشرة سنة . قال الحافظ الذهبي : اختل أمر النظام كثيرا في أيام المقتدر بصغره . يعني ان الخلل قد

(١) المتوفى سنة ٣٨٤ (٢) هذا نص النسخة المطبوعة حديثا. ومن معاني الزمانة في اللغة المحبة وهو قد ولي أبا الاخوص القضاء محبة ومكافأة على معروف كما نص عليه الكتاب ،

طرأ قبله من أيام المتوكل بن المعتصم اذ كان قد اشتد عيث الترك الذين استكثر منهم المعتصم وجعلهم عدة الخلافة وسياجها فكانوا هم الذين د كوا بنيانهـا وهدموا أركانها. والعلة الاولى لهذا كله بدعة ولاية العهـد التي استدلوا عليها باستخلاف أبي بكر لعمر (رض) فجعلتها القوة حقاً لـكل خليفة وان كان متغلباً لا يعد من أئمة الحق ، و لم يراع ما راعاه ابو بكر من استشارة أهل الحل والعقد ، وقد بينا بطلان هذا في المسألة التاسعة من هذا البحث

فعلم بهذا القول الوجيز أن التساهل في بعض شروط الخلافة التي عليهـا مدارها — وهي العـلم الاستقلالي والعدالة والشورى في نصب الامام وفي تصرفه — قد كان معلولاً للتغلب وعلة لفقد الاشتراع — الاستنباط — الذي لايقوم أمر الدولة ولا يطرد ارتقاؤها ولا حفظها بدونه — فكان هـذا علة لضعف الدولة، وكان ضعف الدولة علة لضعف الامة ، اذا صارت تابعة للدولة لا متبوعة ، وكان فساد أمرها معاً علة لتغيرات كثيرة في الاحوال الاجتماعية وشؤون المعيشة تقتضي أحكاما شرعية أخرى غير التي كان الأمر عليها قبلها، او تعود الامامة الحق الي اصلها.

ونحمد الله ان ظهر لاركان الدولة التركية التي تنحل منصب الخلافة ان الدولة العثمانية كانت فاسدة وانها لم تكن بعد دعوى الخلافة خيرا من قبلها، بل لم تلبث ان دب اليها الخلل والضعف بالتدريج في كل من أمور الدين والدنيا حتى صار كثير من نابتتها المتفرنجين يصرحون بأن الاسلام هو الذي جنى عليها وان حكم الخلافة هو الفاسد الذي لا يمكن صلاح حالها معه، فتسنى لنا ان نبين لها وللعالم الاسلامي الذي كان اكثره مفتونا بها انها لم تكن قائمة على اصول الشريعة في الخلافة، وأن نبين حقيقة الخلافة وشكل الحكومة الاسلامية الحق وخطأ جمهور اعضاء المجلس الوطني الكبير في رأيهم وعملهم فيها، ونثبت بالدلائل ان اصول الحكومة الاسلامية ارقى من اصول سائر حكومات الامم، بجمعها بين دفع المفاسد وحفظ المصالح المادية، وبين الحق والعدل والفضائل التي يتهذب بها البشر وتكمل الانسانية ، وأن ندعو هذه الامة التركية الاسلامية الى اقامة حكومة الاسلام كما أمر الله ورسوله وخلفاؤه الراشدون خير أمة أخرجت للناس ولو كره المتفرنجون (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة وان الله سميع عليم)

٣١ــ مابين الاشتراع وحال الامة من تباين وتوافق

وضع الاسلام قواعد عامة لانواع المعاملات الدنيوية راعى فيها هداية الدين وتقييد حكومته بالتزام الفضائل واجتناب الرذائل ، فلم يجعل ما فوض الى أولي الامر فيها من الاستنباط — الاشتراع — مطلقا من كل قيد لئلا يجنوا على آداب الامة خطأ في الاجتهاد، أو اتباعا للهوى اذا غلب عليهم الفساد، فحرم الربا الذي كان فاشياً في الجاهلية، لما فيه من القسوة والبخل والطمع الذي يحمل على استغلال ضرورة المحتاج، كما حرم الغش والخيانة، وجعل الامة متكافلة بما أوجب من النفقة على القريب، والزكاة لازالة ضرورة الفقير والمسكين، ولغير ذلك من المصالح العامة ، وجعل لكل امرأة كافلا يقوم بأمرها من زوج أو قريب؛ والا فالامام الاعظم أو نائبه، لئلا تضطر الى ما يشق عليها القيام به من الكسب مع قيامها بوظائفها الخاصة بها من الحمل والوضع والرضاعة وتربية الاطفال — فيكون اضطرارها الى الحياة الاستقلالية سبباً لقلة النسل ولغير ذلك من المفاسد

وقد كان من تأثير ضعف الدين في الشعوب الاسلامية وحكوماتها أن ترك كل منهما مراعاة ما يجب عليه من تلك القواعد والتزام أحكامها فترتب على ذلك احتياج كل منهما الى ارتكاب بعض المحظورات كالربا إما اضطرارا وإما اختيارا ترجح فيه المصلحة على المفسدة رجحانا ظاهرا

هذا الاحتياج الذي يدفع صاحبه الى ارتكاب المحرم اذا لم يجد له مخرجا لا يعرض في الاقراض كما يعرض في الاقتراض ، فكان من أثره أن المسلمين لم يجدوا من يقرضهم الا من غيرهم، إما من اهل ذمتهم وإما من الاجانب عنهم، كالمعاهدين الذين يكونون في بعض الاحيان حربيين ، وهذه مفسدة أخرى . هي ذهاب ثروة المسلمين الى غيرهم ، وناهيك بذهابها الى أعدائهم ، وحاجتهم اليهم في أهم مصالحهم ،

ثم إن توسع الفقهاء في مسائل الربا وادخالهم فيها ما لم يكن معروفا في عصر الوحي — وتضييق أكثرهم في أحكام العقود المالية — واستحداث الامم التي يتعاملون معها لانواع كثيرة من العقود والمعاملات — وترقي العلوم

الاقتصادية والاعمال المالية الى درجة قضت بتفوق متبعي قواعدها ونظمها على غيرهم في الثروة والقوة والسيادة — كل أولئك كان دافعاً في صدور المسلمين ورافعاً لغيرهم عليهم حتى في ديارهم ، بل هو أظهر العلل لسلب جل ملكهم منهم، و السيطرة عليهم فيما بقي لهم شيء من السيادة فيه ، ولاعتقاد أكثر الذين يعرفون أحوال هذه الامم العزيزة في علومها وأعمالها ويجهلون أصول الاسلام — ان الاسلام نفسه علة ضعف المسلمين بما في شرعه من الجمود على أحكام عتيقة مالية واجتماعية توجب فقر ملتزميها وكل ما يجره الفقر في الامم من الذل والضعف وفقد الملك

بدأت بضرب المسألة المالية مثلا لما طرأ على كثير من البلاد الاسلامية من تأثير ترك العمل باحكام الشريعة الغراء ، اذ كان المال قوام حياة الامم والدول في كل زمان ، وصار له من الشأن في هذا الزمان مالم يكن له من قبل ولا سيما عصر النبي (ص) الذي كانت فيه الامة قليلة الحاجات ، وغير مرتبطة في حياتها بمعاملات الامم الاخرى، ولكن عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم قد انزل في ذلك العصر قوله (ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما) فارشدنا به الى مكانة المال من حياة الامم ونظام أمرها وكونها لاتقوم الا به ، وحثنا على المحافظة عليه، وعدم تمكين السفهاء من التصرف فيما هو ملك لهم منه، كما أمرنا في آيات اخرى بالاقتصاد ونهانا عن الاسراف والتبذير، وذمه كما ذم القمار غول الثروة بما أفاد تحريمها وتحريم القمار بانواعه في الدين؛ فهل يمكن أن يقال إن مقتضى شرع هذا الدين أن يكون اهله فقراء؟ وأن يكون ما به قيام معاشهم وعزة امتهم ودولتهم في أيدي الطامعين فيهم من الامم الاخرى؟ واذا كان هذا مخالفا لهدي هذا الدين فما بال المشتغلين بعلم الشرع فيه أجهل أهل بلادهم بالفنون المالية، وما يرتبط بها من الامور السياسية ، ولا يجعلون هذه الفنون مما يتدارسونه في مدارسهم الدينية؟ السبب لهذا انه ليس لهم حكومة اسلامية تطلبه منهم لتكون احكامها وميزانيتها موافقة لحكم الشرع

واضرب لهم مثلا آخر ميل بعض المسلمين في مصر والترك الى التعاليم الاشتراكية بل قيامهم بتأليف الاحزاب لها والدعوة اليها ، وسواء كان ذلك

افتتانا بتقليد الفرنجة أو شعورا بما يشعر به الاشتراكيون في أوربة من تأثير اثرة ارباب الاموال على العمال وغيرهم من اهل الاملاق ـ فلو كانت الشريعة الاسلامية نافذة الاحكام ، والهداية التي يتبعها الخواص والعوام ، لما شعر بالحاجة الى التعاليم الاشتراكية احد من اهلها ، بل لرأى الاشتراكيون من الامم الاخرى انه يجب حل المسألة الاجتماعية بها ، ولكان ذلك سببا لاهتداء كثير منهم الى الاسلام ودعوتهم اليه

ومالي لا اذكر من المثل في هذا المقام دعوة كثير من النساء والرجال في مثل هذه البلاد الى تربية المراة تربية استقلالية تساوي بها الرجل في كل شيء حتى لايكون قيما عليها في شيء . سبق الاسلام جميع الملل الى المساواة بين الرجال والنساء في الشؤون الزوجية الا هذه الدرجة بقوله تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ، وهي الرياسة التي بينها في قوله (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم) فجعل سببها تفضيلهم عليهن بالقوه على الكسب والحماية والدفاع ، وما فرض لهن عليهم من المهر والنفقة . افرايت لو ان افراد المسلمين وحكامهم أقاموا هذه الشريعة فساوى الرجال النساء بانفسهم في كل شيء ما عدا رياسة المنزل وكذا الرياسة العامة كالامامة العظمى وإمامة الصلاة، وكرموهن كما اوصاهن الرسول(ص) أكانت النساء تشعر بالحاجة الى اعداد انفسهن للكسب وغيره من اعمال الرجال الشاقة ؟ أم يفضلن ان يعشن في هناء وراحة يتمتعن من كسب الرجال في ظل كفايتهم وكفالة الشريعة الذي تنفذها حكومتهم بما لا يتمتع به الرجال انفسهم ؟ فان المرأة تأكل من كسب الرجل ما يأكل وهي المدبرة لامر مأكله ، ولكنها تفضله بما تلبس من الحلل وما تتزين به من الحلي . فان كان ثم غبن فالرجل هو المغبون

وجملة القول في هذا المقام أن ترك العمل والحكم بالشريعة في بعض المسائل يفضي الى ترك بعض آخر منها أو يفضي الى جعله متعذرا اذ يصير مفسدة بعد ان كان في الاصل عين المصلحة ، ثم يؤثر ذلك في افكار الامة واخلاقها وعاداتها، حتى تنقلب بتغيير عظيم في مقوماتها ومشخصاتها. فالشر والخير والباطل والحق كل منها يقوي جنسه ويؤيده ، وقد فقدت الامة الاسلامية ما يصونها من ذلك التدهور والهوي ، وينصب لها معارج الرقي، ويستنبط لها من الاحكام

في كل زمن ما يليق بحالها ، مبنيا على قواعد الشريعة الهادية لهم الى كمالها ،

ذلك بأن الاستنباط (الاشتراع) الذي أذن به لاولي الامر من المسلمين قد فقد بفقد جماعتهم ، وزوال الامامة الحق المنفذة لاستنباطهم ، كما علم ذلك من المسائل ٣ و ٤ و ٥ و ١٧ من هذا البحث ، ومن بقي يشتغل بعلم الاحكام الشرعية الاسلامية فقصارى أمر جمهورهم مدارسة الكتب التي ألفت للازمنة الماضية التي كانت دار الاسلام فيها ذات استقلال ومنعة وبيت مال غني كاف لكفالة المعوزين والغارمين وغير ذلك من النفقات الشرعية — فهؤلاء لا يستطيعون أن يفتوا بما يخرج عن قواعد مصنفي تلك الكتب لتلك الازمنة ولحكوماتها التي كانت تلتزم العمل بها ، بل قرروا فيما وضعوه من الشروط للافتاء أن يلتزموا فروع كتب معينة لا يتعدونها ، لان تعديها ضرب من الاجتهاد ولو في المذهب ، وقد قرروا منعه كالاجتهاد المطلق

ومنتهى ما يرجى من توسعتهم على الحكومة التي تريد العمل بأحكام الشريعة أن يستخرجوا لها بعض الفروع الموافقة للمصلحة العامة في هذا الزمان من كتب المذاهب المعتمدة — فان الذين حرموا عليهم الاجتهاد والاستنباط من أصول الشريعة والاقتباس من مصباحها مباشرة قد أوجبوا عليهم تقليد مذاهب معينة * كما قال صاحب جوهرة التوحيد * فواجب تقليد حبر منهم * يعني الائمة المشهورين في الفقه ، فاعتمدوا هذا التحريم والتحليل ممن ليس بأهله. وانما أباحوا تقليد غير الاربعة من المجتهدين للعالم بذلك في خاصة نفسه ، دون الافتاء به لغيره ، كما قال بعضهم

وجائز تقليد غير الاربعة في غير إفتاء وفي هذا سعة

مثال هذه التوسعة في أصول المعاملات أن القاعدة عند اكثر الفقهاء المشهورين أن الاصل في العقود البطلان فلا يصح منها الا ما دل الشرع على على صحته وذهب آخرون الى أن الاصل فيها الصحة الا ما دل الكتاب أو السنة على بطلانه ، لقوله تعالى في أول سورة المائدة وهي آخر ما نزل من السور (يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) والعقود ما يتعاقد الناس عليه ، فهذا المذهب أقوى دليلا ، وأقوم قيلا ، وأهدى سبيلا ، بما فيه من التوسعة على الناس وهو الذي رجحه المحققون من الحنابلة

ألم ترأنه لما شاءت الحكومتان العثمانية والمصرية أن تخرجا عن مذهب الحنفية في بعض أحكام النكاح والطلاق وفسخ النكاح في بعض الاحوال وتأخذا فيها بما تقرر في المذاهب الاخرى لباها شيوخ الفقه ووضعوا لهما قوانين في هذه الابواب مقتبسا بعضها من المذاهب الثلاثة الاخرى ولعلهما لو شاءتا الاخذ في بعض الاحكام بأقوال غير علماء المذاهب الاربعة من الصحابة والتابعين وأئمة العترة لما أبوا مواتاتهما، فان الجمود على مذهب معين لم يكن الا تحقيقاً لرغبة الأمراء والسلاطين ، والاسترزاق من الاوقاف التي زمامها بأيديهم ، فالذنب فيه مشترك بينهم وبين الفقهاء الذين رأوا فيه منفعة لهم . وأما الذى لا يجرأ عليه هؤلاء المتفقهة فهو الاستنباط من الكتاب والسنة ، وقواعدهما العامة ككون الضرورات تبيح المحظورات ، وكون ماحرم لسد الذريعة يباح للمصلحة الراجحة . وان نص أئمتهم على هذه القواعد لان هذا عندهم من الاجتهاد الممنوع

والحق أن العلم الاستقلالي (الاجتهاد) لم ينقطع ولن ينقطع من هذه الامة المحمدية والا لبطلت حجة الله على الخلق بفقد حملتها والدعاة اليها والذابين عنها ، ولما صح من خبر المعصوم من عدم اجتماعها على ضلالة، ومن انه لا يزال فيها طائفة ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله ، ولكن هؤلاء العلماء المستقلين كانوا ينتسبون في كل عصر من اعصار غلبة الجهل الى المذاهب التي نشأوا عليها قبل الاجتهاد لسببين (احدهما) انهم لم يكونوا يجدون رزقا يتمكنون به من الانقطاع للعلم الا من الاوقاف المحبوسة على المشتغلين بهذه المذاهب فيضطرون الى تدريس كتبها والتصنيف فيها ليحل لهم الاكل مما وقف على أهلها (وثانيهما) ان الملوك والحكام وأعوانهم من المقلدين كانوا وما زالوا حربا للعلم الاجتهادي الذي يفتضحون به، ويظهر جهلهم وضلالهم بظهوره، فاذا وجدت حكومة اسلامية جريئة كالحكومة التركية الحاضرة تحيي العلم الاجتهادي فانها تجد منذ الآن سدادا من عوز لما تحتاج اليه من الاحكام والتعليم في المدرسة الاجتهادية التي اقترحنا انشاءها في المسألة (رقم ٢٦) على ان مقلدة المذاهب لا تكاد تطلب الحكومة منهم شيئا الا وتجد فيهم من يفتيها ولو بالتأويل والخروج من صحيح المذهب

اذاً لا يمكن خروج الامة الاسلامية من جحر الضب الذي دخلت فيه الا بالاجتهاد ووجود المجتهدين وما يلزمه من وجود الاجماع الاصولي الذي هو احدى الحجج عند الجمهور وان شئت قلت هو ركن الاشتراع الركين الذي لا يمكن أن ترتقي أمة ولا ينتظم امر حكومة بدونه كما قلنا في صدر هذه المسألة ، بل وجود الامامة الحق يتوقف على هذا الاجتهاد كما علم مما تقدم. وان اجتماع المجتهدين في هذا العصر ممهد السبيل موطأ الاكناف لامكان العلم بهم ودعوتهم الى الاجتماع في مكان واحد اوعرض المسائل عليهم أينما وجدوا، وهذا لم يكن ممكنا في عصر أبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد ومن بعدهم ولذلك قال بعض المحققين : ان العلم بالاجماع ان وجد غير ممكن

٣٢ — تأثير الامامة في اصلاح العالم الاسلامي

العالم الاسلامي في غمة من امر دينه وأحكام شريعته ، تتنازعه أهواء حكامه المختلفي الاديان والمآرب ، وآراء علمائه ومرشديه المختلفي المذاهب والمشارب ، ومساورة اعدائه في دينه ودنياه ، وليس له مصدر هداية عامة متفق عليه فيرجع اليه فيما عمي عليه ، وكلما ظهر فيه مصلح هب أهل الاهواء المفسدون يصدون عنه ، ويطعنون في دينه وعلمه ، ولا علاج لهذه المفاسد والضلالات إلا إحياء منصب الامامة ، وإقامة الامام الحق المستجمع للشروط الشرعية ، الذي يقوم مع أهل الحل والعقد بأعباء الخلافة النبوية ، فانه هو الذي يذعن كل مسلم لوجوب طاعته فيما يصدر عنه من أمور الاصلاح العامة بقدر الاستطاعة، ويرجح ارشاده على إرشاد غيره في الامور الخاصة ، اذ يكون اجدر ببيانها بالحجة الواضحة، فاذا لم تكن الامامة كذلك كان حكم الشرع فيها أنها سلطة تغلب ، ولا تجب طاعة المتغلب شرعا ولو فيما وافق الشرع الا على من هو متغلب عليهم، فقد كان السلطان عبد الحميد يدعي الخلافة ولما لم يكن مستجمعاً لشروطها ولا قائما بواجباتها لم يكن مسلمو الافغان واليمن ونجـد والمغرب الاقصى يؤمنون بصحة خلافته ، ولا يعتقدون وجوب طاعته ، فيجعلوا حكوماتهم تابعة لدولته. بل لم يكن أهل مصر الذين كانوا تحت سيادته السياسية معترفين بخلافته يقبلون أن يكون له عليهم أمر ولا نهي ، وانما كان اعترافهم أمرا صوريا معنويا

يتوكئون عليه في مقاومة السيطرة البريطانية عليهم ، كما هو شأنهم وشأن أمثالهم في الاعتراف بالخلافة الاسمية الحديثة في الآستانة على ما بيناه في موضعه من هذا البحث، وهذه الخلافة الحديثة لا تبلغ درجة التغلب فان الذين ابتدعوها لم يجعلوها ذات أمر ولا نهي في حكومتهم

وأما اذا نفذ ما اقترحناه وبينا طريقه من اقامة الامامة الحق ، ولو في بقعة صغيرة من الارض ، فان جميع العالم الاسلامي يذعن لها اذعانا نفسيا منشؤه العقيدة الدينية ، ولا نجد حكومة من الحكومات الاسلامية مجالا للطعن فيها ، ولا يكون لاحد من المصطنعين للاجانب سبيل لانكارها ، وحينئذ يسعى كل شعب اسلامي للاعتصام بها ، فالشعب الذي لا يستطيع أن يتبع حكومة الامام الحق لقهر دولة قوية له يجتهد ويتحرى أن يتبع جماعة المسلمين وامامهم كما أمره الله ورسوله فيما لا سيطرة لحكومته عليه فيه من نظام التربية الدينية والتعليم الاسلامي والاحكام الشخصية، بل قد تضطر كل حكومة مسيطرة على شعب اسلامي أو اكثر أن تستميله بقدر ما ترى فيه من الوحدة والرأي العام بموادة خليفة نبيه والسماح له بأن يتلقى الارشاد الديني من قبله كما هو شأن الكاثوليك مع البابا

ولعل هذا بعض ما يقصد اليه الترك من إيجاد خليفة روحاني كالبابا والبطاركة عند النصارى ، ولكن المسألة دينية شرعية يجب فيها الاتباع ، ولا يمكن أن تنجح بالمواضعة والابتداع ، وان كان يود ذلك الكثيرون ممن يقدمون السياسة على الدين ، وقد جهل هذا بعض الذين أظهروا استحسان عمل الترك وتجاهله بعض آخر أو غفل عنه ، وظن كل منهم ان هذا كاف في حصول ما يرغبون فيه من نكاية اعداء الاسلام وغيظهم ، وشد ازر الشعب التركي ومؤازرته عليهم، وذلك ظن الجاهلين بشؤون العالم وسياسة الدول ودرجة اختبارها كما نبينه في المسألة التالية

لعلنا من ادرى الناس بما يترتب على اقامة الامامة الحق من الاصلاح في العالم الاسلامي بما لنا من الاختبار ، وكثرة ما يرد علينا من الرسائل والمسائل من الاقطار ، ومن احدثها سؤال ورد من قطر اسلامي عن اقل ما يكون به الانسان الجاهل الاعجمي مسلما لان اهله اجهل واضل من مسلمي (بنكوك

— سيام) الذي وصف لنا سوء حالهم من سألنا عن صحة اسلامهم ونشرناه في المنار من قبل . وقد بقي عند كل منهما بقية ممن يدعي العلم يحفظون من مذهب الامام الشافعي (رض) احكاماً اجتهادية يحتمون على الناس العمل بها في صلاة الجمعة وغيرها فأدى ذلك الى ترك صلاة الجمعة فترك صلاة الجماعة من بعضهم بل الى ترك الصلاة ممن يعسر عليهم حفظ الفاتحة وتجويدها باخراج الحروف من مخارجها وتشديد المشدد منها ولا سيما الياء في (إياك نعبد وإياك نستعين) فان تخفيف المشدد فيها مبطل للصلاة عند الشافعية

ومن احدثها سؤال بعض اهل العلم في جاوه عن حكم ما جروا عليه بأمر حكامهم المسلمين من إلزام كل من يتزوج بأن يطلق المرأة التي يعقد عليها عقب العقد طلاقا معلقا على التقصير في النفقة عليها او ضربها او على الغيبة عنها وتركها بغير نفقة بالصفة التي يرى القارئ بيانها في باب الفتوى من المنار

ان كثيرا من اهل العلم الساعين لاصلاح حال المسلمين في الاقطار المختلفة يعملون بما ننشر في المنار من الحقائق الدينية بالادلة التفصيلية ، ويسألنا بعضهم عما يعرض عليه مما لم يرحكمه فيه . ويجد هؤلاء وامثالهم معارضين في بعض البلاد من مقلدة بعض المذاهب لما يخالف مذهبهم ، ولكنهم لا يعنون بنشر مذاهبهم وحمل الناس عليها ، بل يتركونهم فوضى في امر دينهم لا يبالون بتركهم للفرائض ولا باقترافهم لكبائر المعاصي ، وانما يهتمون بمعارضة بعض المسائل التي تخالف مذهبهم كصلاة الجمعة بما دون اربعين رجلا حرا بالغا مقيما في داخل سور البلد لا يظعن عنها ، وان ادت هذه المعارضة الى ترك الجمعة البتة ، فاذا صار للمسلمين امام وجماعة من اهل العلم الاجتهادي والعدالة يستمد منهما دعاة الاصلاح العلم والارشاد ، فانه لا يلبث ان يعم ذلك مسلمي جميع البلاد

وقد سبق لنا ان اقترحنا في المجلد الاول من المنار ضروبا من الاصلاح على مقام الخلافة الاسلامية الرسمي — وان كانت خلافة تغلب — لان بلادنا كانت خاضعة لحكمه ، ونود أن يقوم بالحق بقدر طاقته ، فكان جزاؤنا على مثل هذا الاقتراح منع المنار أن يدخل البلاد العثمانية ، وإيذاء اهلنا واصدقائنا في الديار السورية

ولا غرو فذلك الخليفة نفسه كان جاهلا بأصول الدين وفروعه وبما يصلح به حال المسلمين ويفسد ، واعوانه جهلاء واصحاب اهواء ، فهم لا يبلغونه امثال

تلك الاقتراحات ، واذا ذكروها له شوهوها ، وجعلوا حقها باطلا، وصلاحها فسادا ، وهو يصدقهم ، ولا يطمئن لخبر غيرهم ، وفاقد الشيء لايعطيه

وجملة القول ان الجهل الغالب على اكثر المسلمين والتعصب المذهبي المفرق للكلمة بين المتعلمين للدين منهم لا يمكن تلافي ضررهما في زمن قصير الا باقامة خلافة النبوة على وجهها الذي لا يسهل على احد ان يماري فيه مراء ظاهرا ، ويكفي ان يعتقد صحتها السواد الاعظم من المسلمين لموافقتها لمذاهبهم وهم المنتمون الى مذاهب أهل السنة والزيدية من الشيعة والاباضية من بقايا الخوارج ، وهؤلاء اذا كانوا لا يشترطون في الامام ما يشترطه أهل السنة والزيدية من النسب فهم لايشترطون عدمه ، ومالنا لانتحرى فيه المذهب الذى يستلزم غيره كاستلزام مذهب الزيدية لمذهب السنة والخوارج استلزام الاخص للاعم والمقيد للمطلق ؟

ان هذا هو القول الحق الذى تقوم به المصلحة الاسلامية العامة وما عداه مما يقبله أتباع كل ناعق بباعث السياسة الحاضرة فهو غثاء ، وسيذهب جفاء ، ومنه يعلم أن ماقررته حكومة أنقرة باطل في نفسه ، ولا يفيد العالم الاسلامي أقل فائدة، بل قد كان سببا منذ الآن لشقاق في الشعب التركي الذى يرجح جمهوره الهداية الاسلامية، على نظريات القوانين والتقاليد الافرنجية ، فان في مجلس الجمعية الوطنية حزبا كبيرا يرى أن المصلحة تقضي بوضع الخليفة في الموضع الذي وضعته فيه الشريعة بأن يكون هو رئيس الحكومة والمنفذ للاحكام. نعم ان حزب الغازي مصطفى كمال باشا المصر على رفض كل سلطة شخصية في الحكومة التركية العليا سواء كانت باسم الخلافة أو غيرها هو صاحب القلب في المجلس الحاضر ولكن سبب ذلك تأثير هذا الرجل وحزبه من قواد الجيش في الانفس بما لهم من المنة في انقاذ الدولة من الخطر — لا أن هذا هو رأي الامة التركية ، ولو استفتيت الامة استفتاء حرا لخالفت هذا الحزب في هذه المسألة . هذا هو الحق

وسيعلم العالم الاسلامي أننا قد قمنا بهذا البيان بما أمر نا الله تعالى به من التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، وبالنصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم ، فيرجع الى رأينا من يخالفه اليوم كما رجعوا الى رأينا في السلطان عبد الحميد ثم في جمعية الاتحاد والترقي . والعاقبة للمتقين .

وصف ثورة الهند السياسية السلبية

وانتصارها للخلافة والدولة التركية والبلاد العربية (*

(٣)

وانه لتقل أمثلة تلك الجرأة والشهامة والشجاعة التي أبداها طول هذه المدة ، فانه ما زال قبل سجنه يدعو الحكومة الى القبض عليه بمخالفتها ونبذ طاعتها فما حذرت عملا من الاعمال الوطنية الا وبادر الى اعادته صائحا « ان كان هذا العمل جناية وذنبا عند الحكومة ، فها أنا ذا فاعله ، فلتعاقبني ! » ولكنها ما زالت تغض الطرف عنه وتهاب جانبه ، لانها تعلم أن الامة كلها معه، وأن التعدي عليه يزيد الطين بلة — غير أنها اضطرت أن تسجنه أخيرا للائحة سنتها وليس في وسعها سحب قوانينها المعلنة ولا أن تسكت عن نابذيها —

﴿ المحاكمة والخطاب ﴾

ان خطاب هذا الزعيم سيسجل في تاريخ الحرية والجهاد للامم ، إذ هو آية عظيمة من آيات الصدع بالحق وتشنيع الباطل وتقبيح الاستبداد ، ومثل عال للجرأة والشجاعة والثبات على الحق كالجبال الراسيات ، ولا سيما الامور الآتية منها، التي تستحق الاعتبار والتدبر فيها ، وهي :

(١) ان تاريخ الجهاد الوطني في كل البلاد يروي لنا أن الناس كانوا بادىء ذي بدء يجاهرون بمقاومة القوات المستبدة والحكومات الجائرة ، بكل جرأة وشجاعة، حتى اذا أخذتهم الحكومة وأرادت معاقبتهم ، يجتهدون في تبرئة أنفسهم ، فاما أن يقولوا عن أعمالهم إنها كانت قانونية ، لاجئين الى تلك القوانين التي

*) تابع لما في الجزء الاول

شهدوا بجورها وظلمها، واما أن يأولوا أعمالهم بتأويلات تخفف جنايتهم في نظر المعاقبين ، والناس عامة لا يرون في ذلك بأسا ، فيجوزونها قائلين إن هذه سياسة وخدعة و « الحرب خدعة » فلا بأس أن يحافظ الانسان على نفسه ، ويدفع عنها شر الاعداء بكل ما أمكن ، ولكن صاحب الخطاب سلك مسلكا آخر ، فصرح في خطابه بأنه ليس من الحق والصدق أن ينكر الانسان أمرا صحيحا وحقيقة ظاهرة ، فان الحكومة كانت أخذت عليه أنه ينفر الناس عنها ويقول في خطبه إنها ظالمة جائرة ، ويحرضهم على مقاومتها ومحاربتها ، فلم ينكر شيئا من هذا ، بل اعترف به جميعا بكل جرأة وصراحة ، بل قال اكثر مما نسب اليه —

(٢) قال في خطابه إن النزاع قد قام بين الحق والباطل ، وان الباطل سيفعل ما كان يفعله أمس بالحق وأصحابه ، فيجب على أولئك الذين رفعوا أصواتهم في حماية الحق مع علمهم بقوة الباطل وشدة شكيمته أن يتحملوا بدون أدنى وجل ولا اضطراب تلك النتائج التي لا مناص منها في هذه السبيل ، وان كانوا يشكون ويتململون فليس لهم أن يدخلوا في هذه المعمعة الخطرة

(٣) قد صرح أمام القضاة بكل ما كان يصرح به أمام الامة بدون أدنى خشية ولا وهن في ساعة كانت حياته بيدهم وكل كلمة من أفواههم كانت كافية للقضاء عليه ، غير أنه لثباته في ايمانه ورسوخه في التوكل على الله وحده ، لم يبال بهذا الخطر العظيم المحدق به ، بل احتقره وآثر الحق على نفسه وحياته !

(٤) ان العبرة الكبيرة التي أوجه نظر المطالعين اليها هي أن الامة والجماعة تتأثر من الاسوة العملية اكثر من الخطب والمواعظ ، فانها عند ما ترى أمام أعينها الامثلة الصادقة للشجاعة والحرية والاستقامة وعدم الخوف ، يتجدد فيها هذا الروح ، فعلى زعماء الامم وأبطالها أن يقدموا أمثلة لايثارهم وثباتهم كهذا المثل والا فلا طائل تحت بلاغة الخطابة واعادة الدعاوي والالفاظ .

﴿ الى أخواننا في الشام، والعراق، ومصر، وسائر البلاد الاسلامية ﴾

اخواني: ان هذه نبذة يسيرة من تلك المساعي التي تبذلها الهند لصون الخلافة الاسلامية واستقلال بلادكم الاسلامية والعربية، على معارضة الموانع الآتية:

(١) ان الهند تبعد عن هاتيكم البلاد بعداً شاسعاً وتحول بينهما البحار الزاخرات.

(٢) ان أهل الهند لا يضرهم احتلال هاتيكم البلدان واستعمارها ضراً مادياً، ولا ينفعهم استقلالها نفعاً شخصياً، بل ان مصالحهم المحلية، ومقاصدهم الوطنية، تقتضي الاعراض عن غيرهم، والسعي لاستقلالهم أنفسهم.

(٣) إنهم فوق هذا يئنون تحت نير الاستعباد، ويقاسون الشدائد بيد الاستبداد، وان الدولة التي تملكهم نفس تلك الدولة التي حاربت بلادكم وتريد الاستيلاء عليها، فسعيهم ضدها محفوف بالاخطار، ومجلبة للاهوال.

بيد أنهم لمجرد واجبهم الانساني والشرقي، وأكبر منهما واجب الاخوة الاسلامية وحماية المظلوم، لم يستطيعوا القرار في راحتهم وبيوتهم، بل اضطروا الى منازلة أقوى دول الارض لاجلكم ولحرية بلادكم!

أفليس في هذا عبرة وموعظة لكم، أهل البلاد الاسلامية والعربية؟

البلاد التي:

(١) حريتها واستقلالها وحياتها وشرفها القومي والوطني في معرض الهلاك

(٢) هي لم تكن مستعبدة لاُوربا، بل كانت لها حكومة اسلامية شرقية ومهما تكن سيئاتها كثيرة، فهي على كل حال كانت حكومة قومية واسلامية، وظلمها وغدرها وميلها كان أحسن وأولى من عبودية الاجانب.

(٣) هي نفسها كانت في الحرب فريقاً محاربا، وكان الشرع والعقل يوجبان عليها أن تغض النظر عن مصائبها الداخلية وتحارب العدو الخارجي وتدفع شره ولكنها ماذا فعلت؟

ان التاريخ سيقص قصتها بكل خجل وحياء؟ فانها لم تكتف بالقعود عن

أداء فرضها الديني والوطني والانساني ، بل واسوأتاه ! كثير من أبنائها انضموا الى العدو ، فساعدوه على مطامعه ، وكانوا سبباً لانكسار آخر الدول الاسلامية وانقراضها ، حتى ان رجلا قرشياً هاشمياً قاد جيوش الحلفاء الى «بيت المقدس» فنزعه من اخوان دينه وسلمه الى أعدائه !

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ان كان في القلب اسلام وإيمان !

أفلم يأت الى الآن وقت قمع المطامع الشخصية والاهواء الباطلة ؟ أفليس هذا أوان الرجوع الى الله ، ورتق ما فتق ، وسد ثلمة الاسلام ، واتحاد الكلمة ، والذود عن البلاد الاسلامية والعربية ؟ أفلم يأن للمسلمين أن يعودوا الى رشدهم ، ويصلحوا ما أفسدته أيديهم ؟ «أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أومرتين ، ثم لا يتوبون ولاهم يذكرون ؟»

ان مسلمي الهند ليسوا بمجانين حتى يرغبوا في أن يكون أهل بلاد العرب والشام عبيداً للأتراك ، ولكن ليس معنى التحرير من ربقة الترك ، العبودية لبريطانية وفرنسة باسم الوصاية أو الحماية ، فيجب على اخواننا أن يفهموا هذه الحقيقة .

انه لا يمكن لامة أن تصون حريتها ما لم تكن وراءها قوة عسكرية ، والاتراك مهما تكن سيئاتهم وذنوبهم ، فالحقيقة التاريخية أن قوتهم العسكرية هي التي حافظت الى الآن على الاجزاء الباقية من البلاد الاسلامية وردت عنها كيد الاعداء . وأن العراق والشام ان نالتا اليوم الحرية التامة ، لا تستطيعان المحافظة عليها لفقدان قوة عسكرية منظمة منهما ، فاذاً لا مناص لهما ولغيرهما من البلدان الاسلامية من أن تتحد وتتفق وترتبط بقوة مركزية ، مع حفظ حريتها المحلية واستقلالها الداخلي ، والا فلا نجاة لها من الحلفاء .

ان الحرية الوطنية انما تصونها وتضمنها القوة ، لا الوعود ، والعهود والمعاهدات ، والمؤتمرات ، فان الغرب لا يبالي بشيء منها بل انما يهاب القوة ، والقوة وحدها تجعله يحترمها — فعلى أهل البلاد الاسلامية أن يتحدوا ويتعاونوا ويتناصروا ويرتبطوا بالقوة المركزية الاسلامية ، ثم ليعملوا لطرد الاعداء من أوطانهم ان أحبوا

بلائحة (اللاتعاون السلمي) الهندية بعد أن يجعلوها ملائمة لحالتهم الاجتماعية والسياسية [1]

﴿ مجلة المنار الغراء ﴾

خصصت مجلة (المنار) الغراء بنشر هذا الخطاب لأنها الخليقة بمثله لأياديها البيضاء في الاصلاح الديني وقدحها المعلى في النهضة الاسلامية الحديثة، فانها لا تزال تجاهد جهادا عظيما منذ ربع قرن لاحياء المسلمين، وتقاوم الاستبداد والقهر والجمود والتقليد من زمن بعيد، بل انها أول صوت ارتفع على بعد أجيال كثيرة لاعلاء كلمة الحق، وأعظم منار رفع للهداية الى الصراط السوي، فانها هي التي قد مزقت ظلمات التقليد التي كانت محيطة بالمسلمين، وبصرتهم سبيل الاسلام ودين الحق التي كانت عميت عليهم، ولم يكن هديها محصوراً في البلاد العربية، بل شمل العالم الاسلامي كله، فانه كثيرا ما استفاد منها، وتنور بأفكارها، وان صاحب هذا الخطاب — الذي وضعنا له هذه المقدمة — لا يزال يعترف لها ويعدها أصح دعوة اصلاحية ظهرت بين المسلمين في القرون الاخيرة . اه (عبد الرزاق)

---

(١) ان ما ذكره الكاتب في هذه المسئلة مبني على النظريات العامة المجملة التي يهتم بها كل مسلم بقدر غيرته الاسلامية ويتمنى ما يقترحه مسلمو الهند من توحيد القوة الاسلامية بقدر رسوخ التوحيد بالله في قلبه، ولكن بين النظريات والعمل عقبات لا عقبة واحدة أهمها أن الهاتم من اتحاد العرب مع الترك مشترك بين الفريقين والعرب أقرب الى الترك منهم اليهم، مع أن المجاورين لهم منهم ليس أمرهم في ايديهم، وأن سبب هذه العقبات كلها وعلة عللها العصبية الجنسية التي استحدثها الترك لجعل السلطة — التشريعية والتنفيذية — تركية لا اسلامية، ويعبرون عنها « بالحاكمية الملية » ويعنون بالملية النسبة الى ملة الترك . ويشترطون أن تكون لغة التابع لدولتهم هي التركية دون سواها . وكان من أصول برنامجهم إسقاط دولة آل عثمان و إزالة سلطة الخلافة من الدولة لتحقيق الحاكمية الملية التركية — وقد فعلوا عندما تمهدت السبيل — فالعرب لا يأبون الاتحاد بالترك عند الامكان على قواعد الشريعة الاسلامية العربية مع محافظة العرب على لغة الشريعة والقرآن وحرية الترك في لغتهم — فعلى اخواننا الهنود — وغيرهم من أهل الغيرة أن يضعوا لهذه الوحدة النظام الذي نساعدهم عليه بتمالنا الحافل في الخلافة الاسلامية ونحن نعتقد ان السواد الاعظم من العرب يوافقون عليه و يسبقون الترك الى تنفيذه بالرغم من دسائس الاجانب وأعوانهم من الحجازيين

﴿ انتداب العرب في سويسرة ﴾

في القرون الوسطى

طرفة تاريخية من قلم الامير شكيب ارسلان الشهير

(٢)

أما المؤرخ (يود براند) الذي نقل عنه (فرديناندكلر) الالماني فقد جاءت رواياته مطابقة لروايات المسيو رينو وقد وصف خوارق شجاعة تلك الشرذمة العربية وما بلغوه من الفتح والاستيلاء والتبسط في البلاد وكيف كانوا يجوبونها طولا وعرضا ويوقعون بكل من ناوأهم أو وقف في وجههم وينهبون الاديار والكنائس وقصور الامراء. ومن رأيه أن هؤلاء الغزاة من العرب لم يكن غرضهم في تلك النواحي التوسع في الملك ولا استعباد الاهالي بل الاجتهاد في جمع الذهب والنفائس ووضعها في حصن (فراكسينه) حتى اذا ضاق بهم الامر أو أدبر بهم طالع الحرب خلصوا بها الى سفنهم التي كانت دائما راسية في مرفأ « سان تروبس » وقصدوا اسبانية. ومن رأيه ورأي غيره أن الخليفة في اسبانية لم يكن عنده علم بغزو هؤلاء الصعاليك ولا بما اعتزموه من الاستيلاء على جبال الالب والايغال في ايطالية وسويسرة وانها غزاة قام بها هؤلاء الذؤبان من أنفسهم

ثم انه يوجد في دير « نوفالس » تحت جبل « سنيس »

تاريخ جولة هؤلاء العرب في سنة ٩٠٦ ويقال انه قبل هذه السنة انصبت بلايا ورزايا على مقاطعات «بورغوند» و«سميلكة» وجبال الالب الايطالية لان العرب المذكورين تسلقوا جبل «سنيس» وانفتحت أمامهم «سافواي» وسويسرة وكان دير «نوفالس» من أغنى الاديار وأعظمها فلما سمع الرهبان بقدوم العرب جمعوا كل ما عندهم من الاموال والنفائس والكتب وحملوها الى « تورينو » لتكون في حرز حريز فقبل أن ساروا بها وصل العرب واستولوا عليها واقتحموا الدير ووضعوا النار في الكنيسة وأسروا بعض الرهابين . قال: وفي تلك الآونة كانت

جميع البلاد الممتدة من نهر « البو » Po الى نهر الرون Rhone « والبروفانس » Pruvence و « البيامون Pièmont و « الدوفينه Rdaufhine ومونتفرات » montgerrat و « ترانتازه Tarntaisa مجالا لغارات العرب ومشهد الوقائع غزوهم واجتياحهم

وكان الاشراف والاساقفة اذا أرادوا المرور من هناك الى رومية مضطرين أن يؤدوا فدية عن أنفسهم ليسمح لهم العرب بالجواز والا وقفوا تحت خطر القتال وطالما كانوا يفدون أنفسهم بأشياء ذات قيمة من ذخائر الاديار

وزعم هذا المؤرخ أن العرب لم يقتصروا على نهب المال الصامت والصائت بل تجاوزوه الى سبي الاهالي رجالا ونساء واسترقاقهم (كما كان الافرنج أنفسهم يفعلون مع العرب) وكان اذا قتل أحد الاهالي واحدا من العرب أخشوا الانتقام من قوم القاتل وأضرموا النار في جميع البلد (على طريقة الدول المتمدنة . . . . . اليوم يرمي القنابر من الطيارات على القرى وقتل أي من صادفت فيها من رجال ونساء وأطفال عقابا لمقاوم من أهالي تلك القرى أو عابر سبيل فيها، هذا لعمرك نظير ذاك حذو القذة بالقذة الا أن عمل أولئك الصعاليك من العرب وهو أصغر يسمونه عيثا وتخريبا وعمل الدول المتمدنة هذه . . . . . مع كونه أفظع وأكبر يسمونه اصلاحا وتمدينا . . . .)

وكان السكان يهيمون زرافات ووحدانا ويأوون الى الكهوف والغابات ويعتصمون بالجبال لاجل النجاة بأرواحهم من عادية العرب وطالما سعى أناس في جمع كلمة الملوك والامراء على قتال هؤلاء ففشلت مساعيهم بما كان من اختلاف الكلمة . بل كنت ترى أحيانا بعض الرؤساء يستظهرون بالعرب على أبناء جلدتهم . أخبر فلودوارد Floduord في تاريخه أن العرب سنة ٩٢١ قتلوا قافلة من الانكليز كانوا حاجين الى رومة بالقاء الصخور عليهم من أعالي الجبال وبعد سنتين من ذلك التاريخ أهلكوا قافلة أخرى في جبال الالب وفي سنة ٩٢٩ اضطر الحجج الى الرجوع أدراجه . قالوا ولا يعلمون تماما في أي مضايق

الالب وقعت هذه الحوادث هل في ممار الالب بين سويسرة وايطالية أو في ممارّه بين فرنسة وايطالية ؟ ولكن يرجح أن الانكليز الذين كانو يحجون رومة كانوا يختارون ممر سان برنار . ثم لم يتفق المؤرخون على تعيين الزمن الذي وقعت فيه سان برنار في قبضة العرب وانما محقق وجود هذا الحادث في القرن العاشر ويرجح بعضهم أنه في نحو سنة ٩٤٠ تساق العرب سان برنار من جهة وادي الرون حيث يوجد هنالك في كهف عظيم دير « اغونوم» Ogaunaum المؤسس على اسم القديس موريسيوس ففي ذلك العام سطا العرب على ذلك الدير ونهبو ما فيه من الامتعة والذخائر وأحرقوه فجاء القديس أريك أسقف أوغسبرغ عن طريق (بورغوند) لاخذ عظام الشهداء ونقلها الى أوغسبرج فلم يجد شيئا . وذكر فلوداورد أن جماعة من حجاج الانكليز والفرنسيين كانوا قاصدين رومة ٩٤٠ فصادفوا العرب فرجعوا بعد أن فقدوا كثيرا من رفاقهم . وان راهبا اسمه رودلف من رهبان سان موريتز وجه خطابا الى الملك لودفيك الرابع يذكره فيه بالاعمال العظيمة التي قام بها سلاطين جرمانية في المحافظة على هذه الجهات ويستعديه على العرب ويستمده لاماطة معرتهم وترميم ماخربوه من قبور القديسين

وبعد أن غزا العرب نواحي بحيرة جنيف ظهروا في مضايق جبال الالب الشرقية وملكوها ويقول فلودوارد أنهم غزوا المانيا وقطعوا الطرق على حجاج الالمان واجتاحوا وادي الرين ونواحي شور وان الوثائق التي تثبت وصول العرب الى وادي الرين تنبئ بأن الدوق الالماني هرمان المسمى كونت شورفالسن Graf uon Churvallechen التمس من عاهل المانيا يومئذ عام ٩٤٠ أن يعوض أسقف شور مما نهبه العرب من ديار أسقفيته فأهدى القيصر ذلك الاسقف كنيستين هما كنيسة بلوندنز وكنيسة سان مارتين على شرط انه بعد وفاة الاسقف يعود ريع أوقاف الاولى على أساقفة شور وريع الثانية على دير الراهبات في رازيس

وان مما يحير العقول كيف اقتحمت عصابة قليلة من صعاليك العرب ثلاث

الاخطار وصعدت تلك الجبال جبال الالب وعبرت شاطئ بحيرة لانغ وكومر الى أن ظهرت على حدود ألمانية ؟ فقد ثبت أنهم مع قلة عددهم كانوا أوتواجرأة خارقة للعادة وكان الخوف منهم قد تمكن من القلوب جميعها . ولقد تحقق كونهم جاسوا خلال أودية منابع الرين وجهات الشور وكانت مغاور الجبال مكامن لهم وكانوا يقعدون المسافرين بالمراصد من المهاوي العميقة ويتخذون لانفسهم أبراجا يعتصمون بها في الشدائد

ثم ورد في تاريخ كلر خبر قيام هوغ صاحب بروفانس لحرب العرب المذكورين وعزمه على فتح حصنهم في فرا كسينة وذلك أنه بعد عقد الصلح مع ألبزيكوس خصمه الذي كان ينازعه على مملكة لومباردية استنجد ملك الروم بالقسطنطينية ليمده بالاسطول فبعث به وأحرق مراكب العرب في خليج سان تروبيس بينما كان هوغ يهاجم حصونهم في جبل فرا كسينة وكان مقصد (هوغ) أن يمحو وجود تلك الديار ويخلص من شرهم ولكن فاجأه ما لم يكن في حسبانه وهو أن (بيرانجر Pérengar) المطالب بعرش لومباردية نذر على (هوغ) وجاذبه الحبل فغضب هوغ وأصر على قهره وأخذه أسيرا وقتله أو سمل عينه ففر (بيرانجر) من لومباردية الى (هرمان) أمير (شفابن) فأجاره وقدمه الى (أوتو) قيصر ألمانية فأكرم هذا مثواه ووعده خيرا ، فلما علم (هوغ) بذلك سُقط في يده وأرسل الى القيصر بالالطاف والهدايا ليصرفه عن مساعدة (بيرانجر) ثم صالح العرب وسرح الاسطول اليوناني وأطلق للعرب حريتهم وأمنهم بشرط أن يجعلوا سكناهم في الجبال الفاصلة بين ايطاليا و(شفابن Chavvaben) وأن يحجزوا بين عساكر (بيرانجر) وجبال الالب . وظاهر جلي أن العرب نالوا بهذه المعاهدة حق احتلال جميع معابر الالب وشعابها وجلاء نفس (هوغ) عن بقعتهم — أو منطقة احتلالهم — ولكن هذا غير صريح . وقد اتخذ العرب هذه المعاهدة سلاحا وانتفعوا بها أعظم الانتفاع وقاموا بتنفيذها بتمامها حتى أن بيرانجر في عودته

الى ايطالية لم يجرأ أن يمر بجبال الالب بل جاء من طريق جبال التيرول فتعرض من جراء جبنه هذه الى هجاء الشاعر المؤرخ (بود براند) الذي كان في عصره

ومنذ عقد العرب هذا الوفاق شعروا أنهم أصبحوا السادة المالكين لمعابر الالب وضربوا رسوما على القوافل المارة فكل من لم يؤد لهم الرسم أوثقوه أسيرا الى أن يدفع

ثم امتد غزو العرب الى نواحي (سارغانز Sargans) وتورغنبورغ Toggenburg وأبنزل وقد ذكر ذلك مؤرخ اسمه ايكيهارد في كتاب وجد في دير القديس غالن فقال :

ان طبيعة العرب وطور معيشتهم البرية كانا مما جعل التغلب عليهم في غاية الصعوبة ولقد تمادت جرأتهم الى ايام فالتا Valta وبينما كان الاهالي يومئذ محتفلين بعيد ديي رافعين الصلبان طائفين بها اذ أقبل العرب من جهة بارينيغ Parenegg ورموا الجماهير بالمقاليع ولكن الشهم الهمام فالتا لم يترك هذا الجرم بدون جزاء بل جمع جموعه ودهم قطاع الطرق بجيشه المكون من العبيد والعملة وغيرهم وكلهم مسلحون بالحراب والمناجل والفؤوس وقد كبس على العرب بياتا وهم نائمون فقتل بعضا وأسر بعضا وفر الباقون الى الجبال لا يلوون على شيء وسيق الاسرى الى الدير فأبوا أن يأكلوا ويشربوا حتى ماتوا جوعا (اذاً ليس الايرلانديون هم الذين اخترعوا هذا النوع من الانتحار)[١] ولم تعرف مدة اقامة العرب بشرقي سويسرة الا أنه ثبت كونهم وجدوا هناك في القرن العاشر . وفي سنة ٩٥٤ التي انكسر فيها العرب في دير القديس (غالن) هذا انكسر لهم جيش آخر في حرب (المجار) وذلك بفضل شجاعة الملك كونراد فون بورغوند فانه استأصل منهم طائفة عظيمة لكنهم بقوا قابضين على معابر الالب الغربية

قال المؤرخ ايكيهارد من رهبان دير القديس غالن: ان العرب تمكنوا تماما في داخل جنوبي أوروبا وكان من جملة الخطط التي رسموها لانفسهم أن يتزوجوا

(١) المنار هؤلاء مسبوقون أيضا ففي أخبار سنة ٢٩٣ من كتاب تجارب الامم

من بنات اهل البلاد وأن يتوطنوا بها على شرط أن لا يؤدوا مالا كثيرا لملك القطر الذي يكونون فيه ،واما الوادي الذي انتجعوه لتأسيس هذه المستعمرة العربية التي قصدوا أن يتعاطوا فيها الفلاحة ويستقروا هادئين فلا يعلم هل هو وادي فاليس Vallis أو وادي فال من سافوا أم غيرهما

وسنة ٩٥٤ كانت سنة نحس على سويسرة الشرقية لان المجار من جهة الشمال والعرب من الجنوب كانوا قد اكتسحوا البلاد

وفي — ٢٢ يوليو ٩٧٣ كان القديس (ما جلوس) من (كاوني) عائدا من (بافيا) الى (بو رغو ند) ومعه قافلة عظيمة لان الناس الذين كانوا يريدون العبور ظنوا أن التحاقهم به قد يحميهم من غارة العرب فوصلوا الى قرية في جبل سان برنار واذا العرب انقضوا عليهم وأوثقوهم ولم ينج القديس نفسه من الوثاق بل صفدوه بالحديد ثم أحضروا له طعاما على عادة العرب لحما وخبزا يابسا فأبى أن يطعم شيئا وقال لهم انني لم اتعود اكل هذا الخبز فقام أحدهم وغسل يديه وعجن دقيقا وخبزه وقدمه للقديس بكل احترام فرضي هذا من عمله وصلى وأكل .

ومما يروي أولئك المؤرخون أيضا أن أحد العرب أراد أن يقطع غصن شجرة ليتخذ منه محجنا فلما أراد أن يتطاول الى الشجرة كان تحتها انجيل شريف من أمتعة القافلة فأراد أن يدوس عليه فانتهره اصحابه وصاحوا به : ويل لك كيف تطأ برجلك كتاب نبي مقدس ؟ وذلك أن العرب يحترمون الانبياء ويقولون إن محمدا (ص) هو النبي الذي وعد بمجيئه المسيح (ص)

هذا — وقد أذن العرب للقديس ماجلوس أن يكتب الى بلدته كلوني بطلب فدية يفك بها نفسه ورفاقه فلما ورد الصريخ قامت قيامتهم وأضجوا وأعولوا وعلا نحيبهم فجمعوا وعفشوا (جمعوا ومنه قول العامة العفش للامتعة) من ذخائر الأديار والكنائس كل ما قدروا وأرسلوا به لفداء القديس ورفاقه فبلغ مجموع الفدية ألف رطل من الفضة أصاب كل واحد من العرب رطلا . الا أن هذه الحادثة هاجت عليهم البلدان بأسرها وصمم الاكثرون على التخلص من معرتهم

واشتهر في ذلك زعيم اسمه (بربو) من أهل (سيسترون Sistron) فتألب الاهالي عليهم بزعامة هذا الرجل وأجلوهم عن تلك الناحية الى (دوفينه Dauphine) ومنها الى بروفانس وهناك غزاهم غليوم أحد أمراء بروفانس بجيش كبير الى مقرهم الاصلي فراكسينة وبعد حصار شديد افتتح الحصن عنوة وفر العرب منه لائذين بالحراج والجبال فمنهم من وقع في اليد فقتل ومنهم من تنصر لينجو برقبته وتقاسم جيش بروفانس أسلابهم وهكذا انتهت من هناك دولتهم وشالت نعامتهم ولله الامر من قبل ومن بعد

(له تتمة في آثار العرب بسويسرة)

أقدم كتاب في العالم أثر مصري

منذ ٥٥٠٠ سنة

نشر أولا في جريدة الاهرام

عثر أحد الفلاحين على أوراق بردية وهو يحفر مقبرة بناحية ذراع أبي النجا بطيبة فباعها للعالم الاثري الفرنسي بريس دافين الذي أذاعها سنة ١٨٤٧ ثم قدمها هدية لدار الكتب الاهلية بباريس ولذلك اشتهرت بورقة بريس البردية وهي أقدم كتاب في العالم لانها كتبت منذ ٥٥٠٠ سنة وقد كانت كتب الاولين كلها من هذا النوع وهي تشتمل على ١٨ صحيفة مكتوبة بالخط الهراطيقي بالحبر الاحمر والاسود متضمنة نصائح ومواعظ وحكم وضعها رجلان الاول يدعى قاقمنه وهو وزير الملك حوني من الاسرة الثالثة والثاني يدعى فتاح حتب وهو وزير الملك أسي من الاسرة الخامسة كتبها وله من العمر ١١٠ سنوات اقتبسها من السلف، وجعلها موعظة للخلف؛ ولذا قال لابنه « اذا سمعت هذه الحكم السامية عمرت طويلا، وبلغت أوج الكمال، وتدرجت الى معالي العلا والمجد

ثم اعتنى بترجمتها من اللغة المصرية القديمة الى الفرنسية العالمان شاباس دفيري وباللاتينية العالم لوث وبالالمانية العلامة بروكش باشا وبالانكليزية

الاثري المسترجن ومن هؤلاء نقلتها الى العربية

وقد وجدت هذه النصائح مكررة وغير مرتبة فلخصتها واقتصرت فيها على فرائد الفوائد

ولاهمية هذه النصائح الدرية اعتنى بها الانكليز اعتناء عظيما حتى قرروها في برنامج الدراسة للاطفال فأكسبتهم المبادىء الشريفة التي أشربتها قلوبهم في الصغر فسادوا العالم وقادوا الامم وذلك بفضل اتباعهم مناهج أجدادنا العظام التي دونوها لنا، وكنزوها لاجلنا، فكان نفعها لغيرنا، وياحبذا لو اهتدينا اليها، واقتدينا بها فنحن أحق بها

﴿ نصائح قاقمنا ﴾

الحكيم المصري القديم

(١) اسلك طريق الاستقامة لئلا ينزل عليك غضب الله

(٢) إحذر أن تكون عنيدا في الخصام فتستوجب عقاب الله

(٣) الابن الذي ينكر الجميل يحزن والديه

(٤) متى كان الانسان خبيرا بأحوال الدنيا سهل عليه قيادة ذريته

(٥) ان قليل الادب ابليد ومذموم

(٦) اذا دعيت الى وليمة وقدم لك من أطايب الطعام الذي تشتهيه فلا تبادر الى تناوله لئلا يعتبرك الناس شرها، واعلم أن جرعة ماء تروي الظمأ ولقمة خبز تغذي الجسم

(٧) احفظ هذه النصائح واعمل بها تكن سعيدا ومحمودا بين الناس

﴿ أمثال فتاح حتب ﴾

الحكيم المصري القديم

(١) ان التعرف بأعاظم الناس نفحة من نفحات الله

(٢) لا توقع الفزع في قلوب البشر لئلا يضربك الرب بعصا انتقامه

(٣) اذا شئت أن تعيش من مال الظلم أو تغتني منه نزع الرب نعمته منك وجعلك فقيرا

(٤) ان الله يعز من يشاء ويذل من يشاء لان بيده مقاليد الامور فمن العبث التعرض لارادته تعالى

(٥) اذا كنت عاقلا فرب ابنك حسبما يرضى الله تعالى واذا شب على مثالك وجد في عمله فأحسن معاملته واعتن به . أما اذا طاش وساء سلوكه فهذب أخلاقه وأبعده عن الاشرار لئلا يستخف بأمرك

(٦) ان تدبير الخلق بيد الله الذي يحب خلقه

(٧) اذا نلت الرفعة بعد الضعة وحزت الثروة بعد الفاقة فلا تدخر الاموال بمنع الحقوق عن أهلها فانك أمين على نعم الله والامين يؤدي أمانته واعلم أن جميع ما وصل اليك سينتقل منك الى غيرك ولا يبقى فيه لك الا الذكر

(٨) ما أعظم الانسان الذي يهتدي الى الحق والى الصراط المستقيم

(٩) من خالف الشرائع والقوانين نال شر الجزاء

(١٠) لا ينجو الاثيم من النار في الحياة الآخرة

(١١) الا ان حدود العدالة لثابتة وغير قابلة التغيير

(١٢) اذا دعاك كبير الى الطعام فاقبل ما يقدمه لك ولا تطل نظرك اليه ولا تبادره بالحديث قبل أن يسألك لانك تجهل ما يخالف مشربه بل تكلم عند ما يسألك فحينئذ يعجبه كلامك

(١٣) اذا كلفك كبير حاجة فأنجزها له حسب رغبته

(١٤) اذا تعرفت برجل رفيع المقام فلا تتعاظم عليه بل احترمه لمركزه

(١٥) اذا جلست في مجلس رئيسك فعليك بالكمال والصمت ولا تتفوق في الكلام لئلا يعارضك من هو اكبر منك نفوذا واكثر منك خبرة واعلم أن من الجهل أن تتكلم في مواضيع شتى في آن واحد

(١٦) لا تعق كبيرا عن عمله متى رأيته مشغولا فانه عدو لمن يعوق أعماله

(١٧) لا تخن من ائتمنك تزدد شرفا ويعمر بيتك

(١٨) من الحمق أن يتشاجر المرؤوس مع رئيسه فان الانسان لا يعيش عيشة راضية الا اذا كان مهذبا لطيفا ظريفا

(١٩) اذا دخلت بيت غيرك فاحذر من الميل الى نسائه فكم أناس تهافتوا على هذه اللذة القصيرة التي تمر كالحلم فأودت بهم الى المخاطر والمهالك واعلم أن بيت الزاني للخراب والزاني نفسه فاقد الرشد وهالك وممقوت عند الله والناس ومخالف للشرائع والنواميس [1]

(٢٠) اذا كنت عاقلا فدبر منزلك وحب زوجتك التي هي شريكتك في حياتك وقم لها بالمؤونة لتحسن لك المعونة وأحضر لها الطيب وأدخل عليها السرور ولا تكن شديدا معها اذ باللين تملك قلبها وقم بمطالبها الحق (أو بالمعروف) ليدوم معها صفاؤك ويستمر هناؤك.

(٢١) لا تعجب بعلمك لان العلم بحر لا يصل الى آخره متبحر مهما خاض فيه وسبح واعلم أن الحكمة أغلى من الزمرد لان الزمرد تجده الفعلة في الصخور بخلاف الحكمة فانها نادرة الوجود

(٢٢) لا تترك التحلي بحلية العلم ودماثة الاخلاق

(٢٣) اذا كنت زعيم قوم فنفذ سلطتك المخولة لك وكن كاملا في جميع أعمالك ليذكرك الخلف ولا تسرف في المواهب والنعم التي تقود الى الكبرياء وتؤدي الى الكسل

(٢٤) اذا كنت قاضيا فكن لين الجانب مع المتقاضين ولا تجعل أحدهم يتردد في كلامه ولا تنهره ودعه يتكلم بحرية لكي يعبر عن مظلمته بصراحة واذا لم تنصفه يكون سببا لسوء سمعتك فحسن الاصغاء أفضل طريقة لكشف الحقيقة

(٢٥) ليكن أمرك ونهيك لحسن الادارة، لا لاظهار الرياسة والامارة.

---

(١) هذا موافق لقوله تعالى (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا)

(٢٦) لا تستبد لئلا تضل

(٢٧) لا تكن يابساً فتكسر ولا ليناً فتعصر

(٢٨) اذا شئت أن تطاع، فسل ما يستطاع

(٢٩) اذا حكمت بين الناس فاسلك طريق العدل ولا تتحيز لفريق دون آخر والا نسبوك للجور والعسف

(٣٠) اذا عفوت عمن أساء اليك فاجتنبه واجعله ينسى اساءته اليك حتى لا يذكرها مرة ثانية

(٣١) بقدر الكد تكتسب الثروة فمن جد في طلبها أنجح الله مسعاه

(٣٢) اجتهد دائما في عملك ولا تترك فرصة اليوم للغد، فمن جد وجد

(٣٣) اذا كنت منتظما في حياتك صرت غنيا وحسنت سمعتك، وتحسنت صحتك، وطار صيتك، وملكت حاجتك، أما الذي ينقاد لشهواته فانه يصير ذميا سمجا وعدوا لنفسه

(٣٤) اذا وقفت أمام الحاكم فاخفض جناحك واحن رأسك ولا تعارضه وجاوبه بوداعة لينجذب قلبه اليك

(٣٥) اذا فاه أخوك بالشر فازجره لتكون خيرا منه

(٣٦) اصغ لكلام غيرك فان السكوت من ذهب

(٣٧) لا تحتقر فقيرا، واذا زارك فلا تتركه سدى لئلا تخذله، ولا تغضبه ولا تحتقر رأيه فان هذا ليس من شيم الكرام

(٣٨) احذر من تحريف الحقيقة بين الناس لئلا تزرع الشقاق بينهم

(٣٩) لا تخبر أحدا بما صرح به لك غيرك لئلا يبغضك الناس

(٤٠) من ساءت سيرته ضل الصراط المستقيم

(٤١) اذا كنت في مجتمع فاسلك دائما حسب قوانينه

(٤٢) اذا عاشرت قوما فاجذب قلوبهم اليك

(٤٣) ليكن كلامك دائما سديدا مفيدا

فانه داء دفين لا دواء له والمتصف به قليل الحظ لان الطامع مجلبة الشحناء والشقاق بين الاهل والاقارب وهو سبب كل الشرور والرذائل . أما القناعة فهي أساس النجاح والفلاح ومصدر الخير والبر

(٤٥) لا تفرط في الكلام ولا تصغ الى البذاءة لانها صادرة عن التهيج والغيظ، واذا أسرف أحد أمامك في الكلام فأطرق رأسك الى الارض لترشده بذلك الى طريق الحكمة

(٤٦) من يلقي بنفسه في متاعب الدنيا ويستغرق فيها كل أوقاته لا يجد لذة في حياته

(٤٧) من يعكف طول نهاره على شهواته ضاعت مصالح بيته

(٤٨) اذا شئت أن تعرف طباع صديقك فلا تسأل عنه أحداً بل استنتج ذلك بانفرادك معه في المحادثة المرة بعد المرة ولا تغضبه ومتى أخبرك عن أصل ماضيه عرفت جميع أخلاقه واذا فاتحك الحديث فسايره ولا تدعه يحترس في حديثه، وإياك أن تقاطعه في الحديث أو تزدريه وبهذا يمكنك أن تستطلع جميع أحواله

(٤٩) كن بشوشا ما دمت حيا

(٥٠) من زرع الشقاق بين الناس عاش حزينا لا يصحبه أحد

(٥١) من طابت سريرته، حمدت سيرته

(٥٢) متى كبر الانسان في السن عادت اليه حالة صغره فيعمش بصره (١) وينقص سمعه ويصمت فمه ويسخف كلامه ويظلم عقله وتضعف ذاكرته وتخور قواه وتقف حركة قلبه وترق عظامه ويهزل جسمه ويفقد ذوقه وشمه . حقا ان الشيخوخة آفة الانسانية

أنطون زكري
بالمتحف المصري

(١) العمش توصف به العين ومعناه كثرة تحلل الدمع منها ويلزمه ضعف البصر الذي هو العشى . يقال عمش الرجل (كرضي) وعمشت عينه فهو أعمش أعشى

أهل الصفة

(وأباطيل بعض المتصوفة فيهم وفي الاولياء وأصنافهم والدعاوى فيهم)

لشيخ الاسلام أحمد تقي الدين بن تيمية قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مسألة﴾ ما تقول السادة العلماء أئمة الدين رضي الله عنهم في أهل الصفة كم كانوا؟ وهل كانوا بمكة أو بالمدينة؟ وأين موضعهم الذي كانوا يقيمون به؟ وهل كانوا مقيمين بأجمعهم لا يخرجون الا خروج حاجة أو كان منهم من يقعد بالصفة ومنهم من يتسبب في القوت؟ وما كان تسببهم هل يعملون بأبدانهم أم يشحذون بالزنبيل؟

وما قول العلماء وفقهم الله تعالى فيمن يعتقد أن أهل الصفة قاتلوا المؤمنين مع المشركين؟ وفيمن يعتقد أن اهل الصفة أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ومن الستة الباقين من العشرة وأفضل من جميع الصحابة؟ وهل كان فيهم أحد من العشرة؟ وهل كان أحد في ذلك العصر ينذر لاهل الصفة؟ وهل تواجدوا على دف أو شبابة أو كان لهم حاد ينشد لهم أشعارا ويتحركون عليها بالتصدية ويتواجدون؟

وما قول العلماء في قوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) هل هي عامة أم مخصوصة بأهل الصفة رضي الله عنهم؟ وهل هذا الحديث الذي يرويه كثير من العوام ويقولون إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما من جماعة يجتمعون الا وفيهم ولي لله لا الناس تعرفه ولا الولي يعرف أنه ولي» وهل تخفى حالة الاولياء أو طرقهم على أهل العلم أو غيرهم؟ ولماذا سمي الولي وليا؟ وما الفقراء الذين يسبقون الاغنياء الى الجنة والفقراء الذين أوصى الله عليهم في كلامه وذكرهم خاتم أنبيائه ورسله وسيد خلقه محمد صلى الله عليه وسلم في سنته؟ هل هم الذين لا يملكون كفايتهم أهل الفاقة والحاجة أم

لا؟ والحديث المروي في الابدال هل هو صحيح أم مقطوع؟ وهل الابدال مخصوص بالشام أم حيث تكون شعائر الاسلام قائمة بالكتاب والسنة يكون بها الابدال بالشام وغيره من الاقاليم؟ وهل صحيح أن الولي يكون قاعدا في جماعة ويغيب جسده

وما قول السادة العلماء في هذه الاسماء التي تسمى بها أقوام من المنسوبين الى الدين والفضيلة ويقولون هذا غوث الاغواث وهذا قطب الاقطاب وهذا قطب العالم وهذا القطب الكبير وهذا خاتم الاولياء ؟

وأيضا فما قول العلماء في هؤلاء القلندرية الذين يحلقون ذقونهم ما هم؟ ومن أي الطوائف يحسبون ؟ وما قولكم في اعتقادهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعم شيخهم قلندر عنبا وكلمه بلسان العجم؟ وهل يحل لمسلم يؤمن بالله تعالى أن يدور في الاسواق والقرى ويقول من عنده نذر للشيخ فلان أو لقبره؟ وهل يأثم من يساعده أم لا؟ وما تقولون فيمن يقول ان الست نفيسة هي باب الحوائج الى الله تعالى وانها خفيرة مصر ؟ وما تقولون فيمن يقول ان بعض المشايخ اذا قام لسماع المكاء والتصدية يحضره رجال الغيب وينشق السقف والحيطان وتنزل الملائكة ترقص معهم أو عليهم وفيهم من يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضر معهم ؟ وماذا يجب على من يعتقد هذا الاعتقاد؟ وما صفة رجال الغيب وما قول من يقول انه من خفراء التتار ؟ وهل يكون للتتار خفراء أم لا؟ واذا كانوا فهل يغلب حال هؤلاء خفراء الكفار كحال خفراء أمة النبي صلى الله عليه وسلم

وهل هذه المشاهد المسماة باسم أمير المؤمنين علي وولده الحسين رضي الله عنهما صحيحة أم مكذوبة؟ وأين ثبت قبر علي بن عم رسول الله ؟ والمسؤول من احسان علماء الاصول كشف هذه الاعتقادات والدعاوى والاحوال كشفا شافيا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

والحالة هذه أفتونا مأجورين أثابكم الله

أجاب: رضي الله عنه وأرضاه آمين .

الحمد لله رب العالمين: أما الصفة التي ينسب اليها أهل الصفة من أصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم فكانت في مؤخر مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في شمال المسجد بالمدينة النبوية كان يأوي اليها من فقراء المسلمين من ليس له اهل ولا مكان يأوي اليه. وذلك أن الله سبحانه وتعالى لما أمر نبيه والمؤمنين أن يهاجروا الى المدينة النبوية حين آمن به من آمن من أكابر أهل المدينة من الاوس والخزرج و بايعهم بيعة العقبة عند منى وصار المؤمنين دار عز ومنعة جعل المؤمنون من أهل مكة وغيرهم يهاجرون الى المدينة وكان المؤمنون السابقون بها صنفين المهاجرين الذين هاجروا اليها من بلادهم والانصار الذين هم اهل المدينة وكان من لم يهاجر من الاعراب وغيرهم من المسلمين لهم حكم آخر، وآخرون كانوا ممنوعين من الهجرة لمنع أكابرهم لهم بالقيد والحبس، وآخرون كانوا مقيمين بين ظهراني الكفار المستظهرين عليهم وكل هذه الاصناف مذكورة في القرآن وحكمهم باق الى يوم القيامة في أشباههم ونظرائهم قال الله تعالى (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آوو ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا. وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم و بينهم ميثاق والله بما تعملون بصير * والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير * والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) فهذا في السابقين

ثم ذكر من اتبعهم الى يوم القيامة فقال (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم) وقال تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) الآية وذكر في السورة الاعراب المؤمنين وذكر المنافقين من اهل المدينة وممن حولها. وقال تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم؟ قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا * الا المستضعفين

من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم* وكان الله غفورا رحيما)

فلما كان المؤمنون يهاجرون الى المدينة النبوية كان فيهم من ينزل على الانصار بأهله أو بغير أهله لان المبايعة كانت على أن يؤووهم ويواسوهم . وكان في بعض الاوقات اذا قدم المهاجر اقترع الانصار على من ينزل منهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد حالف بين المهاجرين والانصار وآخى بينهم. ثم صار المهاجرون يكثرون بعد ذلك شيئا بعد شيء فان الاسلام صار ينتشر والناس يدخلون فيه والنبي صلى الله عليه وسلم يغزو الكفار تارة بنفسه وتارة بسراياه فيسلم خلق تارة ظاهرا وباطنا وتارة ظاهرا فقط ويكثر المهاجرون، الى المدينة من الاغنياء والفقراء والآهلين والعزاب . فكان من لم يتيسر له مكان يأوي اليه يأوي الى تلك الصفة التي في المسجد . ولم يكن جميع أهل الصفة يجتمعون في وقت واحد بل منهم من يتأهل أو ينتقل الى مكان آخر يتيسر له ويجيء ناس بعد ناس وكانوا تارة يكثرون وتارة يقلون . فتارة يكونون عشرة أوأقل وتارة يكونون عشرين وثلاثين وأكثر وتارة يكونون ستين وسبعين

وأما جملة من آوي الى الصفة مع تفرقهم فقد قيل كانوا نحو أربعمائة من الصحابة وقد قيل كانوا أكثر من ذلك. جمع أسماءهم الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ولم يعرف كل واحد منهم في كتاب تاريخ أهل الصفة (١) وكان معتنيا بجمع أخبار النساك والصوفية والآثار التي يستندون اليها والكلمات المأثورة عنهم وجمع أخبار زهاد السلف وأخبار جميع من بلغه انه كان من أهل الصفة وكم بلغوا . والصوفية المستأخرون بعد القرون الثلاثة (١). وجمع أيضا في الابواب مثل حقائق التفسير ومثل أبواب التصوف الجارية على أبواب الفقه ومثل كلامهم في التوحيد والمعرفة والمحبة ومسألة السماع وغير ذلك من الاحوال وغير ذلك من الابواب.

---

(١) هذا التاريخ لابي عبد الرحمن محمد السلمي المذكور المتوفى سنة ٤١٢

وفيما جمعه فوائد كثيرة ومنافع جليلة وهو في نفسه رجل من أهل الخير والدين والصلاح والفضل . وما يرويه من الآثار فيه من الصحيح شيء كثير ويروي أحيانا آثارا ضعيفة بل موضوعة يعلم انها كذب

وقد تكلم بعض حفاظ الحديث في سماعه وكان البيهقي اذا روى عنه يقول حدثنا أبوعبدالرحمن من أصل سماعه وما يظن به و بأمثاله ان شاء الله تعالى تعمد الكذب(١) لكن لعدم الحفظ والاتقان يدخل عليهم الخطأ في الرواية فان النساك والعباد منهم من هو متقن في الحديث مثل ثابت البناني والفضيل بن عياض وأمثالهم ومنهم من قد يقع في بعض حديثه غلط وضعف مثل مالك بن دينار وفرقد السنجي ونحوهما

وكذلك مايؤثره أبو عبد الرحمن عن بعض المتكلمين في الطريق أو ينتصر له من الاقوال والاحوال فيه من الهدى والعلم شيء كثير . وفيه أحيانا من الخطأ أشياء و بعض ذلك يكون عن اجتهاد سائغ، بعضه باطل قطعا مصدره مثل ماذكر في حقائق التفسير قطعة كبيرة عن جعفر الصادق وغيره من الآثار الموضوعة وذكر عن بعض طائفة أنواعا من الاشارات التي بعضها أمثال حسنة واستدلالات مناسبة و بعضها من نوع الباطل واللغو. والذي جمعه الشيخ أبوعبدالرحمن في تاريخ أهل الصفة وأخبار زهاد السلف وطبقات الصوفية يستفاد منه فوائد جليلة و يجتنب ما فيه من الروايات الباطلة و يتوقف فيما فيه من الروايات الضعيفة . وهكذا كثير من أهل الروايات ومن أهل الآراء والاذواق من الفقهاء والزهاد والمتكلمة وغيرهم يؤخذ فيما يأثرونه عمن قبلهم وفيما يذكرونه معتقدين له شيء كثير وأمر

---

(١) المنار: ذكر الحافظ في لسان الميزان السلمي هذا ووصفه بانه شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم وانه عني بالحديث ورجاله وقال: تكلموا فيه وليس بعمدة بل قال ابن القطان : كان يضع الاحاديث للصوفية وان الحاكم قال كان كثير السماع والحديث متقنا فيه من بيت الحديث والزهد والتصوف . (قال) وقال السراج: مثله ان شاء الله لا يتعمد الكذب ونسبه الى الوهم .

عظيم من الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسوله . ويوجد أحيانا عندهم من جنس الآراء والاذواق الفاسدة أو المحتملة شيء كثير، ومن له من الامة لسان صدق عام بحيث يثنى عليه ويحمد في جماهير أجناس الامة فهؤلاء هم أئمة الهدى ومصابيح الدجى وغلطهم قليل بالنسبة الى صوابهم وعامته من موارد الاجتهاد التي يعذرون بها وهم الذين يتبعون العلم والعدل فهم بعداء عن الجهل والظلم وعن اتباع الظن وما تهوى الانفس

﴿ فصل وأما حال أهل الصفة ﴾ هم وغيرهم من فقراء المسلمين (الذين) لم يكونوا في الصفة أو كانوا يكونون بها بعض الاوقات - فكما وصفهم الله تعالى في كتابه حيث بين مستحقي الصدقة منهم ومستحقي الفيء . فقال (إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير) الى قوله (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا) وقال في أهل الفيء (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون)

وكان فقراء المسلمين من أهل الصفة وغيرهم يكتسبون عند امكان الاكتساب الذي لا يصدهم عما هو أوجب أو أحب الى الله من الكسب وأما اذا أحصروا في سبيل الله عن الكسب فكانوا يقدمون ما هو أقرب الى الله ورسوله

وكان اهل الصفة ضيف الاسلام يبعث اليهم النبي صلى الله عليه وسلم بما يكون عنده فان الغالب كان عليهم الحاجة لا يقوم ما يقدرون عليه من الكسب بما يحتاجون اليه من الرزق

واما المسألة فكانوا فيها كما أدبهم النبي صلى الله عليه وسلم حرمها على المستغني عنها وأباح منها أن يسأل الرجل حقه مثل أن يسأل ذا السلطان أن يعطيه حقه من مال الله أو يسأل اذا كان لا بد سائلا الصالحين الموسرين اذا احتاج الى ذلك ونهى خواص أصحابه عن المسألة مطلقا حتى كان السوط يسقط من يد أحدهم

فلا يقول لاحد ناولني اياه. وهذا الباب فيه أحاديث وتفصيل وكلام للعلماء لا يسعه هذا الكتاب مثل قوله (ص) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه «ما أتاك من هذا المال وأنت غير سائل له ولا مشرف فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك(١) . ومثل قوله : من يستغن يغنه الله، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، ما أعطى أحد عطاء خيرا أوسع من الصبر (٢). ومثل قوله : من سأل الناس وله مايغنيه جاءت مسألته خدوشا أو خموشا اوكدوشا في وجهه (٣). وقوله : لان يأخذ احدكم حبله فيذهب فيحتطب خير له من ان يسأل الناس اعطوه او منعوه»(٤) الى غير ذلك من الاحاديث

واما الجائز منها فمثل ما اخبر الله عز وجل عن موسى والخضر انهما اتيا اهل قرية استطعما اهلها . ومثل قوله «لا تحل المسألة الا لذي الم موجع او غرم مفظع او فقر مدقع . ومثل قوله لقبيصة بن مخارق الهلالي «يا قبيصة لا تحل المسألة الا لثلاثة ، رجل اصابته جائحة اجتاحت ماله فسأل حتي يجد سدادا من عيش او قواما من عيش ثم يمسك ، ورجل يحمل حمالة فيسأل حتى يجد حمالته ثم يمسك

(١) المنار . الحديث في الصحيحين وغيرهما ولفظ البخاري في كتاب الاحكام: عن عبدالله بن عمر قال سمعت عمر يقول كان رسول الله (ص) يعطيني العطاء فأقول اعطه أفقر اليه مني ، حتى أعطاني مرة فقلت اعطه من هو افقر اليه مني فقال « خذه فتموله وتصدق به فما جاءك من هذا المال وانت غير مشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك » وله في كتاب الزكاة : اذا جاءك بدل فما جاءك ولفظ مسلم «خذه فتموله أو تصدق به وما جاءك » الخ وزاد في آخره قال سالم : فمن اجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل احدا شيئا ولا يرد شيئا اعطيه

(٢) هو في الصحيحين أيضا على اختلاف في ألفاظه وأوله «مايكون عندي من مال فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله الخ (٣) رواه أحمد وأصحاب السنن وفيه زيادة تحدد الغنى بخمسين درهما وفي سنده حكيم بن جبير ضعيف وتكلم فيه شعبة من أجل هذا الحديث، ومعنى الخموش والخدوش والكدوش واحد (٤) روياه ايضا واللفظ للبخاري

وما سوى ذلك من المسألة فانما هو سحت اكله صاحبه سحتا (١)

ولم يكن في الصحابة لا أهل الصفة ولا غيرهم من يتخذ مسألة الناس والالحاف في المسألة بالكدية والمشاحذة - لا بالزنبيل ولا غيره - صناعة وحرفة بحيث لا يبتغي الرزق الا بذلك . كما لم يكن في الصحابة ايضا اهل فضول من الاموال لا يؤدون الزكاة ولا ينفقون اموالهم في سبيل الله ولا يعطون في النوائب بل هذان الصنفان الظالمان المصران على الظلم الظاهر من مانعي الحقوق الواجبة والمعتدين حدود الله في اخذ اموال الناس كانا معدومين في الصحابة المثنى عليهم

(فصل) من توهم أن أحدا من الصحابة أهل الصفة أو غيرهم أو التابعين أو تابع التابعين قاتل مع الكفار أو قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم أو اصحابه أو انهم كانوا يستحلون ذلك أو أنه يجوز ذلك فهذا ضال غاو بل كافر يجب أن يستتاب من ذلك فان تاب والا قتل (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)

بل كان اهل الصفة ونحوهم كالقراء الذين قنت النبي صلى الله عليه وسلم يدعو على قتلتهم هم من أعظم الصحابة ايمانا وجهادا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرا لله ورسوله كما أخبر الله عنهم بقوله (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) وقال (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب

(١) لفظ الحديث في صحيح مسلم « ياقبيصة ان المسألة لا تحل الا لاحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش — ورجل أصابته فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش - أو قال سدادا من عيش - فما سواهن من المسألة ياقبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتا »

الزراع ليغيظ بهم الكفار) وقال (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) (لها بقية)

من الخرافات الى الحقيقة

(٨)

فوز روح زردشت على روح الاسلام

من المجربات أنه اذا تأصلت عقيدة ما في نفس فرد أو جماعة يتعذر على معتقدها أو على غيره ازالتها . فان اتفق أن نزعت هذه العقيدة فلا بد أن يبقى لها آثار في النفس تظهر بين آونة وأخرى . بالرغم من الجهد الذي يبذله صاحب العقيدة ليتناساها . هذا شأن العقائد الدينية : فان ضم اليها عقيدة قومية وامتزجت العقيدتان يتعذر حينئذ ازالة هذه العقيدة المزدوجة . أضرب مثلا هؤلاء الايرانيين أرادوا التأليف بين حاجاتهم الروحية وبين موجبات تقاليدهم التاريخية وبين مقتضيات الدين الاسلامي فلم يفلحوا . لماذا ؟ لان (زردشت) ولد في ايران ونشر مذهباً ملائما لروح الفرس وموافقا لتقاليدهم التاريخية ، فرسخ هذا الدين في أنفسهم ، لانه جاء موافقا لحاجاتهم الروحية حتى ان ملك ذلك العصر (كشتاسب) ووزراءه وسائر الطبقات أقبلوا على دين (زردشت) إقبال العاشق المشتاق . لان روح البلاد كانت تطلب وصايا (زردشت) . فكان معبرا عما في ضميرها

ثم ان العرب ضربوا دولة الفرس في القادسية ضربة زلزلوا بها أركانها ، وقوضوا عمود خيمتها . الا أن روح ايران بقيت بمعزل عن تلك الضربة . ولم تتبدل لان تبديلها محال : حتى ان احكام الاسلام المنطقية العلوية ، لم تستطع فتح الروح الايرانية . لان هذه الروح كانت قد اعتادت وألفت عقائداً مشاجا مركبة ممزوجة بالخيالات والاوهام ، فلم تكن أسس الدين الاسلامي البسيطة لتحل محل تلك الاسس المركبة . روح الايراني كانت تطلب أحيانا عبادات

مقرونة بمظاهر العظمة والفخفخة وأحيانا بمظاهر الحزن المشعشم المعظم ، فلذلك كانوا يرون قواعد الدين الاسلامي كالشيء اليابس غير المرن . وهذا ما تأباه أرواحهم ، وتنبو عنه أذواقهم

الدين والحكومة كانا يرتكزان على قاعدة واحدة عند الفرس . فلما سقطت الحكومة سقط الدين معها ، لان سقوط القاعدة يقتضي سقوط ما بني عليها ،

ان اعادة دين (زردشت) كانت في نظر الايرانيين اسهل وأسلم من التوسل لاعادة عرش كسرى . ولكن اعادته تتوقف بالطبع على إضعاف الدين الذي حل محله . لذلك صمموا على الامور الآتية

(١) زلزلة قواعد الاسلام
(٢) إدخال تقاليد الفرس في سويداء قلبه
(٣) إحداث مذاهب جديدة
(٤) ابتداع طرق مستحدثة

والقصد من ذلك كله اضاعة جوهر الاسلام الساذج بين هذه المركبات أو إلباسه ثوب (زردشت) السابغ الفضفاض على الاقل ، حتى اذا ما عثرت رجلاه بأذيال هذا الثوب ووقع أو ضعفت مشيته تمهدت لهم السبيل لنصب عرش كسرى

لذلك يجد المدقق منا في حوادث التاريخ أن جميع الفرق الضالة ولدت في ايران . وان الخرافات والبدع السيئة جاءت من ايران . لان الاحكام الاسلامية البسيطة لم تستطع تطويع النفس الفارسية التي اعتادت الانحناء تحت أثقال التقاليد القديمة

هذا هو السبب الايجابي . وهنالك سبب معنوي أيضا ، وهو أن الايراني قضى عمره وهو يئن تحت استعباد السلالات المالكة . لانه كان يتدحرج بين استبداد آل (البيشداديين) و (الاشكانيين) و (الكيسانيين) و (الساسانيين) وكل شعب وقع في نيران الاستبداد تطلب روحه دائما مبعثا لانينها وبث شكواها وهذه المظاهر التخييلية التي يحتفل بها الايرانيون في أيام مخصوصة هي مبعث الاسى الذي يجتمع فيه ما يفيض من دموعهم ففي تلك الاجتماعات والاحتفالات يفرغ كل امرىء آلامه ويخرج منها بدون آلام

ذلك ياسيدي القاريء : سر مآتم المحرم التي يبكي فيها الايرانيون الحسين

السبط رضي الله تعالى عنه. واذا اعتاد الروح عملا وصار له ملكة فانه يصدر عنه دائما لا يعيقه عنه عائق مهما يكن قويا . ولا شأن للمظاهر والاشكال عند الروح وانما الشأن عنده للادراك والشعور الذي يبعث على العمل ، فثم شعور يحرك داعية البكاء وسيان أبكي على كسرى أم على الحسين رضي الله عنه . باعث البكاء أساسي — وصورة المأتم فرع عنه [1]

روح الايراني يريد أن يرى رجلا جالسا على عرش الملك بكل عظمة وفخامة، يريد أن يحصر حق التعظيم فيه وفي ورثته . لان هذا المعنى تبوأ ورسخ في سويداء قلب الشعب وأمسى روحا ثانيا له ، يريد أن يرى آمرا كبيرا ذا أبهة وبهجة يأمر وينهي متأبها متألها — لاعبدا متواضعا — ومن تحته أمة تأتمر وتطيع وتخضع. وأنى يجدهذا في الاسلام؟ الاسلام حرم الاستبداد والتعظم والكبرياء، ونسخ توارث الامر والنهي. وجعل الخلافة تابعة للشورى. وكان الخليفة كآحاد الناس بعيدا عن العظمة وعن الفخفخة . لذلك أحدثوا مسألة (الامامة المعصومة) لتقوم مقام الكسروية المقدسة ، فيتوارد [illegible]ة عروش الاكاسرة، فاستمانوا بني هاشم لا لاجلاسهم على عرش الخلافة . بل لاجلاس أحفاد اسماعيل الشاه على عرش كسرى

ان عقل الايراني ما كان يقدر أن يفهم معنى أصول انتخاب الرئيس السياسي من الناس . وكان انتخاب الخلفاء الراشدين الاربعة في نظره من أغرب الغرائب لان (زردشت) غرس في قلبه فكرة توارث الرئاسة والعظمة

(١) كان الروح الايراني يريد أن يبكي على (زردشت) وكسرى فبكى على الحسين. والروح البريطاني يريد أن يبكي على طريق الهند فبكى على ملك بني هاشم. روح الاولين من الفرس رأى بني أمية حاجزا فكسره وأقام مقامه دولة فارسية : دولة الشاه اسماعيل الصفوي . وكذلك الروح الاوربي رأى الاتراك حائلا دون مرامه فازاله ولكن من أقام مقامه؟ السر برسي كوكس في العراق والسر هربرت صموبل في فلسطين وغورو في الشام

الاوربيون والايرانيون سلكوا طريقا واحدا وعملوا عملا واحدا وعيون العرب مغمضة عن مشاهدة التاريخ . وان نصحهم عارف بالامر يصمون الآذان ويقابلونه بالافتراء والبهتان . رب اهد قومي فانهم لا يعلمون (المترجم)

والجلال . لذلك كانوا يتعجبون من ترجيح أحد على علي كرم الله وجهه لان الفضل الذاتي كان في نظرهم شيئا غريبا . ولا سيما وأولاد سيدنا علي رضي الله عنهم أسباط لرسول صلى الله عليه وسلم - وهذا هو سر تولد مسألة (الامامة) فانها من مقتضيات روح ايران. ولما كان الحسين رضي الله عنه قد تزوج احدى عقائل بيت الملك في ايران من أسرة (الساسانيين) كان الفرس يعلقون أهمية كبرى على هذه النقطة

كانت روح الايراني تطلب (خداوند) أي رئيسا إلهيا لتنقاد له وتطيعه طاعة وجدانية وتمتثل أوامره بغير بحث ولا مراجعة . وأنى لها في الاسلام مثل ذلك وأكبر خليفة يقول علنا (أيها الناس من رأى منكم فيّ اعوجاجا فليقوّمه) فيجاب من آحاد الناس بكل بساطة (لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا)[1] الايراني ماكان يمكن أن يفهم هذا . وروحه يأبى قبوله . وانما يريد (خداوند) أي رئيسا الهيا يأمر فيطاع بلا نقد وبلا اعتراض. الايراني ينشرح صدره ان قتل أو كسر أو سمم احدا امتثالا لامر (الخداوند) وتكفي أدنى اشارة منه ليطيع بكل سرور . وهذا السرور لا بد له من (خداوند) . اذاً ما العمل والاسلام يأبى ذلك ؟ وجدوا فكرة إحداث (امام يورث) أقصر طريق لما نووا . وهكذا فعلوا

من قرأ روح أبي مسلم من أفعاله يتضح له صدق ما نقول وللقارىء الكريم البيان

أمر الامام (ابراهيم) أبا مسلم الخراساني أن يقتل كل من اشتبه في اخلاصه وان كان ولداً لا يتجاوز طوله خمسة أشبار . فامتثل أبو مسلم هذا الامر بدون تردد لانه صدر من (خداوند) أي من امام. ومجموع من قتل أبو مسلم

(١) المنار : ليس كل ما في الاسلام ولا أهمه قول هذا الخليفة وهو عمر، بل قيد الله تعالى طاعة خاتم رسله في آية المبايعة بالمعروف فقال (ولا يعصينك في معروف) مع العلم بأنه لا يامر الا بالمعروف . وصح عنه انه كان يقول «انما الطاعة في المعروف» وما في معناه، وقال ابو بكر في خطبته الاولى عقب مبايعته قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فاذا استقمت فاعينوني، واذا زغت فقوموني وعلى هذا جرى الخلفاء الراشدون كلهم

على الشبهة ستمائة ألف مسلم . ولقدصور المؤرخ ابن الاثير هذه الفواجع تصويرا تاما حتى إن (أبا سلمة الخلال) الذي أحرز عنوان (وزير آل محمد) لم يقدر أن يصون دم نفسه من قانون الشبهة لان أبا مسلم كان يتلقى أوامر مثل (الخداوند) الامام ابراهيم كأمر آلهي .

وياليت الامر بقي مسوقا بروح الايرانيين وحدهم بل ان روح سورية المقتبسة من روح الروم زاد الامر اضطرابا وتهويشا، إذ من المعلوم أن بعض الجنود السورية والعراقية أغريت يوم (صفين) بعدم الطاعة لعلي كرم الله وجهه ولمعاوية أيضا . وهذه الديمقراطية الواسمة ليست الامن بقايا أفكار — بيزانس — فتشوشت أفكار العرب بين هذا الجزر الايراني والمد الرومي . (وكان العربي من القديم قانعا بالانكماش في جزيرته ولا يحلو له الا ما عنده فلا يعرف ما عند غيره . والسياسة هي معرفة المتغير ومعاملته حسبما علم من أحواله) وأوضح دليل على عقلية الايرانيين ما عمله اهل بلدة (راوند) من توابع أصفهان يوم جاءوا لمقابلة الامام المنصور اذ نادوه (يا خداوند) أي الهنا لان كلمتي امام وخداوند في نظر الفرس لا يتجزآن وعند ماعدلوا عن تسمية المنصور اماما لم تستطع الروح الفارسية أن تعيش بدون امام. ففتشت عليه واستمرت تفتش حتى وجدته ولكن من وجدت ؟ وجدت أبا مسلم الخراساني وادعت بأن الالوهية حلت فيه : أي في قاتل ستمائة ألف مسلم

لا يتعجب العاقل من اسناد الايرانيين الالوهية لابي مسلم. لانه والحق يقال بطل من ابطال التاريخ وسياسي هائل وهو ليس اكثر من إيراني وطني متغال ولكن العجب كل العجب تقديس غير الايرانيين له. والاحزاب التي ألفت لذلك

حزب الرزامية

ان قانون الشبهة الذي أحدثه الامام ابراهيم لم يستثن أبا مسلم بل طبقه الخليفة المنصور عليه بالذات وعلى ذلك اجتمع بعض الفرس وبسطاء العرب وأعلنوا امامة أبي مسلم على رءوس الاشهاد. وسموا جمعيتهم باسم حزابي. ثم أعلن (رزام بن شاقو) مؤسس الحزب الرزامي ألوهية أبي مسلم . وقبل الناس ألوهية ابي مسلم الذي صار اماما قبل مدة وجيزة . حتى إن بعض الحزابين ما كان

يصدق أن أبا مسلم يموت . بل كانوا يعتقدون بأنه سيظهر يوما ما ويملأ العالم عدلا وبعضهم كان يقول إنه مات وان الامامة انتقلت الى بنته

ما هذه العقائد وما هذه الاقوال؟ ان هي الا بقايا دين (زردشت) وبمدة قليلة كثر هذا الحزب

جميع هذه الخرافات ليست من ديننا في شيء ان هي إلا خرافات ، وما أبو مسلم الا سياسي تام وامامته وألوهيته وقدسيته شيء موهوم خيالي

حزب المبيضة

ثم ظهر كاتب أبي مسلم المقنع فالتف حوله الخراسانيون الذين كانت أجسامهم مسلمة وأرواحهم أسيرة عقائد (بوذا) و (زردشت) اسم المقنع (هاشم بن حاكم) وكان يغطي وجهه لقبحه ولذلك سمي المقنع

رأى المقنع بحرانا في أفكار الخراسانيين . رآهم مسلمين ولكن قواعد الاسلام الساذجة لم توافق مشربهم ، وطلب الرجوع الى دين زردشت صعب ، وكذلك الاكتفاء بالاسلام بل هو عنده أصعب ، ولذلك عزم على صبغ الاسلامية بصبغة زردشتيه ، وهذا يحتاج لجسارة ومهارة وبما أن هذا كان خصيصا بالعلوم الطبيعية أخذ يقدم لهم قوانينها وقواميسها كمعجزات . فصدقوه واتبعوه كانت أعماله معطوفة على هدم بناء العرب السياسي والديني معاً . لذلك توسل باحياء عقيدة التناسخ التي اكتست ثوبا هنديا وآخر مصريا وثالثا يونانيا وثوبا رابعاً ايرانيا : ولكنه زاد على أثوابها ثوباً خامساً اسلاميا . وللقاريء الكريم ما كان يقول هذا المقنع :

ان الله تجلى في باديء الامر في وجود آدم ثم انتقل الى نوح ثم الى ابراهيم ومن بعده الى موسى ثم الى محمد عليهم السلام . ومن بعده الى علي كرم الله وجهه ثم الى محمد بن الحنفية وفي النهاية حل في أبي مسلم الخراساني ومن بعده انتقل الى وجود المقنع . إن هذه العقيدة القديمة وجد من استأنس بها في ايران وسورية ومصر والهند . والتف حوله عدد ليس بالقليل . حتى إن الخليفة المهدي اضطر لان يسوق عليه ثلاثة جيوش وكان الغالب في الثلاث المعارك المقنع فهذا الظفر اطلق لسان الفرس وطفقوا يلهجون بايران واستقلالها ، عندئذ جم

الخليفة المهدي جندا كثيفا وارسله لحربه فغلب في هذه المرة وقتل المقنع في مدينة (كسن) ولكن الخرافات التي نشرها بين المسلمين لم تمت

وأما سبب تسميتهم المبيضة فهوأنهم كانوا يلبسون لباسا أبيض

الزنادقة أو المحمرة

هم من اتباع المقنع ايضاً . وكانوا يسمون المحمرة لانهم كانوا يلبسون لباسا احمر(١) لقد أضر المحمرة بالاسلام أضرارا ابلغ من اضرار المبيضة وادخلوا فيه خرافات اكثر منهم واتعبوا العرب والمسلمين اتعابا دامت احقابا طويلة .

قبل الاسلام بقرنين ونصف ظهر في ايران رجل اسمه (مزدك) ونشر مذهبا جديدا فيها . ومن مقتضيات هذا المذهب اهمال كل قانون وكل نظام وحل جميع الروابط الادبية . وفتح الباب على مصراعيه لكل شهوة بشرية، بذل الاكاسرة جل المستطاع لقمع هذا المذهب ولكنهم لم يفلحوا لان الاشتراك بثروة الاغنياء وبالنساء الجميلات كان يجذب الشبان من جميع الاطراف اليه ، وانتشر هذا المذهب حتى انه لم يبق هنالك أثر للقانون والنظام وللحق وللادب وللحياء، وعدكل شيء يوافق تسكين الشهوة البشرية مباحا بل مشروعا

وفي خلافة المهدي بدا هذا المذهب ينتشر بين المسلمين ولكن بلباس اسلامي بذل الخليفة المشار اليه كل ما يمكنه لمحوه ، وسالت الدماء كالانهار ولكن بدون جدوى ، بل ظل ينتشر في خراسان والعراق انتشاراً سريعاً

ومن الغريب ان جميع المذاهب التي كان الايرانيون ينشرونها بعد الاسلام هي مقتبسة مما كان يجري في الهند وايران ولكن كانوا يبدلون اسم مؤسسها القديم ويضعون عليها اسم احد اولاد سيدنا علي رضي الله عنه ، ولم يوجد حزب أضر باخلاق المسلمين اكثر من هذا الحزب لانهم لم يكتفوا باباحة النساء والاولاد بينهم بل طفقوا يخطفون اولاد النساء الحسان من الاسواق وبهذا الشكل اتعبوا الخليفة المهدي وحكومته تعباً ما وراءه تعب

المترجم

نابلس حسني عبدالهادي

---

(١) رجع الناس في هذا العصر الى جعل الملابس الملونة بلون خاص شعارا للاحزاب والجمعيات كالقميص الاسود لحزب الفاشستي في ايطاليه.

منشور عام

﴿ في المسألة العربية العامة والفلسطينية خاصة ﴾

ان النهضة الوطنية الفلسطينية في مدينة نيويرك العظمى قد عقدت اجتماعا عاما بعد ما اتصل بها من تصديق عصبة الامم على الوصايات وقررت باجماع الاصوات إصدار هذا النداء لكل الجمعيات والمؤتمرات السورية والفلسطينية ولجميع السلطات العربية، لتقرر الجمعيات خطة دفاعية عامة، تجاه مالحق بالبلاد من الاذى والعبودية. على أن يحتوي على المواد الآتية :

أولا — ان الحلفاء قد خاضوا غمرات الحرب واتخذوا لانفسهم مبدأ تحرير الشعوب المستضعفة كما صرحوا بلسان وزرائهم في أثناء الحرب العظمى وبعدها وكما صرح المستر ولسن في خطبه وفي مواده الاربع عشرة . فاستنادا على هذا المبدإ ووفقا للمعاهدة المربوطة بين جلالة الملك حسين الاول وبين بريطانيا العظمى سنة ١٩١٥ بلسان العميد البريطاني بمصر السر هنري مكماهون ووفقا للرسائل المتبادلة بين الحكومة الحجازية والانكليزية قد ساعد العرب الحلفاء منذ سنة ١٩١٦ بدخولهم الحرب واعلانهم الثورة ضد الحكومة العثمانية [1]

ولم يكن حق العرب في الاستقلال يقتصر على الوعود والمعاهدات الدولية ولا على نظام عصبة الامم ولا على مواد الرئيس ولسن الاربعة عشرة بل على ما للعرب السوريين من تراث المجد والوطنية ، وما فطروا عليه من التقاليد وماهم عليه من الكفاءة السياسية والادارية ، كما يدل على ذلك وجود نواب العرب في الندوة العثمانية في العهد العثماني ، وادارة كثير منهم مناصب رفيعة من سياسية وعسكرية ، وادارية وعلمية ، مما يجعل للعرب حقا أكيدا فوق ما لهم من الحق الطبيعي في الاستقلال والحرية . غير ان الحلفاء قد ساروا فعلا على طريقة الاستعمار

(١) المنار. ان ماذكر من الرسائل بين الحجاز والانكليز وما سماه معاهدة هو خزي للعرب خدعوا به فيجب أن يردوه على صاحب الحجاز ولا يعترفوا به لانه يعدهم بالصراحة قاصرين تحت حجر الانكليز أفما آن لهم أن يدركوا ويعقلوا ؟

واضطهاد الشعوب ونفع الذات . فوعدت الحكومة الانكليزية اليهود بكتاب حجي أرسله المستر بلفور الى اللورد روتشلد في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ بوطن قومي في فلسطين ، وتواطأ المسيو كليمانصو والمستر لويد جورج بعد الحرب على اتفاق سايكس بيكو ، فتقسمت البلاد السورية الى أجزاء ولحق بها من الضرر والحيف والظلم والجور والعبودية مالم نكن نتوقعه فهدمت بذلك جميع المبادئ التي افتخر الحلفاء باتخاذها مبدأ لهم ورموا بالعهود والوعود التي ربطوها مع العرب عرض الحائط

والاغرب من ذلك أن عصبة الامم التي ولدتها المبادىء الديموقراطية الحديثة والتي لها السلطة في رؤية عهود الوصايات والتي من جملة وظائفها حماية الاقوام المستضعفة كما خولها هذا الحق عهد الجمعية الموقع عليه في فرسايل في ٢٨ يونيو سنة ١٩١٩ قد صمت آذانها عن سماع صوتنا الممزوج بحلاوة الحق ، وتغاضت عن كل المساوىء التي يقترفها الاوصياء في بلادنا فصدقت بلا تردد بعد جلسة سرية عهود الوصايات ، اللهم الا العراق ، وبذلك تحقق الرأي القائل ان عصبة الامم لم تكن الا للتوفيق بين الروح القومية الجديدة ، والسياسة الاستعمارية القديمة

ولما كان العرب قد فشلوا في جميع الاعمال السياسية الخارجية ولم يلاقوا من الاوربيين الا تصلفا كلما ازدادوا تقربا اليهم وجب عليهم أن يحصروا أعمالهم في بلادهم وفيما يهمهم من أمرها من حيث هي بلاد عربية أو بلاد دينية مقدسة مع المثابرة في الجهاد سياسيا واقتصاديا وعمليا

ثانيا — ان القضية العربية كانت في بدء نشأتها جامعة لكل الاقطار العربية من سورية (شمالية وجنوبية) وعراقية وحجازية وكانت الوعود التي يستندعليها العرب تتضمن كل هذه الاقطار حتى اشترك في الجيش العربي أناس من مختلفي الاقطار والامصار من سائر بلاد العرب ، غير ان الدول الاستعمارية الاجنبية قد جزأت بلادنا وفككت أوصالها وجعلت لكل قطر منها قضية تختلف عن قضية القطر الآخر من حيث طريقة الحل وارتباطها بحكومة خاصة تأييدا لسياستهم في تفريق كلمة العرب ليعسر بذلك حل القضايا العربية التي هي متمم بعضها لبعض

وفضلا عن ان القضية العربية قد ابتدأت شاملة جامعة فان موقع بلاد العرب الجغرافي من حيث فقدان الحواجز الطبيعية بينها وافتقار كل قطر الى آخر لاختلاف تربته وموارده مما يزيد الترابط الطبيعي بين العرب بالنظر لجامعة اللغة والعنصر ومما يجعلنا نؤكد ان هذه القضية المتحدة سياسيا واقتصاديا يجب أن يشترك فى حلها العرب كلهم و يتعاونوا على درء الخطر في كل الاقطار كما كان في بدء الحركة العربية سنة ١٩١٥ ولما كانت الامة العربية قد امتشقت حسامها لتأييد استقلالها فالنهضة ترى ان الوسيلة الاولى التي يجب أن يتخذها الفلسطينيون هي نشر الدعوة في بلاد العرب كلها لتعاون على درء العبودية عنا ، على أن يكون مبدأ التعاون وسيلة لاستقلال البلاد عن طريق الجامعة العربية . وبذلك يجب على العرب مقاومة الصهيونية والاجانب المستعمرين على السواء كما يقاومهم الفلسطينيون فيما لو كانوا منفردين . فلهذا تحبذ النهضة اجماع الرأي على طريقة هذا الجهاد السياسي الفعلي وينظر الى تقوية هذا الجهاد بالطرائق العملية الواجبة التى يقر عليها الرأي

ثالثا — مقاطعة اليهود ، على أن يباح لهم ما عدا الاراضي « أي الاموال المنقولة فقط » ويحرم الشراء منهم . وتأييدا لذلك فالنهضة تهتم الآن بمشروع تأسيس بنك في فلسطين لتكون المقاومة على أساس اقتصادي علمي عملي ليستفيد المزارع والتاجر ولكي لا تضر المقاطعة بالوطن . وهنا لا يسعنا الا أن نصرح أن فشل هذا المشروع ونجاحه يتوقف على أهل البلاد ، فاذا لم ير المهاجرون الذين يعملون في سبيل القضية كل ما يمكن عمله اقداما من أهل البلاد على شراء الاسهم فالمشروع سيبقى في طي الخفاء كما ان ذلك يدل على ان أهل البلاد لا يفقهون للطرق الوطنية الحقيقية معنى . نحن لانرى ان الجهاد الاقتصادي هو بتحبير المقالات على أعمدة الجرائد بل بالعمل ، وهذا المشروع هو أعظم العمل فائدة من هذه الوجهة

رابعا — نشر الدعوة بين جميع العامة في المدن والقرى إما بتأسيس النوادي واما بالقاء الخطب والمواعظ في أوقات معينة لاضاءة الاقطار بنور المعرفة و بالقضية

الوطنية وبالاضرار التي تنجم عن بيع الاراضي وبتصوير العبودية التي تلحق بالاهالي ، وللجوامع والكنائس في هذا العمل قسط وافر .

خامسا — من أهم الاسباب القويمة لحفظ كيان أمتنا وحصولنا على أمانينا الوطنية انتشار العلم . فعلى كل رجل أن يرسل ابنه الى المدارس لطلب العلم وعلى الاخص المدارس الوطنية لانها تولد في النفوس غريزة الوطنية الصحيحة .

سادسا — تتخذ النهضة ما تضمنته البنود السالفة مبدأ لها في جهادها المقبل راجية من كل جمعية أو سلطة عربية إبداء أيّ اقتراح يتعلق بالعمل الاساسي للنهضة . كما أننا نرغب في مراسلتنا لاتخاذ الطرق الفعالة المشتركة للحصول على أمانينا الحقة .

الخاتمة — قد أدرك العرب بعد أن حلب الدهر شطريهم ورأوا من صنوف العذاب ما رأوا ان وقت الاحتجاج والصراخ قد مضى ، وان الطريقة الوحيدة لوصولنا الى حقنا وبلوغ أمانينا الوطنية هي أن نكون أقوياء وكما ان الضعف فينا سبب في اضطهادنا وامتهان كرامتنا العربية فالقوة ستكون سببا حقيقيا في ايصالنا الى ما نبتغي من الحرية والاستقلال فما مضى بنا من العبر السياسية والتجارب الزمنية علمنا ان ضعف العرب في تفرقهم وتشتيت شملهم ولولا ذلك لما رأينا الاجنبي أصبحا تلعب في مقدرات الامة العربية ، فكفى فيما سبق عبرة لنا وان لنا أن نحيي الاستقلال والحرية بقلوب مرتبطة معتمدين على أنفسنا في هذا الجهاد الشريف

لتحي فلسطين عربية حرة . لتحي سورية متحدة . لتحي الجامعة العربية

النهضة الوطنية الفلسطينية . نيويرك

نظمي عنتباوي . النابلسي

وفاة عالم عربي علوي

كتب الينا صديقنا العالم الرحالة الشهير السيد محمد بن عقيل من المكلا ما يأتي:

وصل الي تلغراف من حيدر آباد وتأخر بعدن لعدم الراكب ووصل بالامس وفيه الاعلام بوفاة عالم المشرق ، البدر المشرق ، المناضل عن النبي الامين ، والانزع البطين ، والآل الميامين ، وعدو النواصب أجمعين ، شيخنا السيد أبي بكر بن عبد الرحمن بن محمد بن شهاب الدين باعلوي - رحمه الله رحمة الابرار ، وألحقه بمن أحبهم وألحقنا بهم في عاقبته ، وعظم فيه الاجر وأحسن الخلف ، وانا لله وانا اليه راجعون توفي ليلة الجمعة قبيل العشاء الساعة ٧ زوالية : ٩ الجاري في حيدر آباد الدكن ودفن بعد صلاة الجمعة . وكانت ولادته سنة ١٢٦٢ ويجمعها حروف

(أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين باعلوي

٢٣١ ٢٥ ٤٠٥ ٥٢ ٤٠٣ ١١٩

وله مصنفات في الاصلين ، والفقه ، والانساب ، والحساب ، والطبيعيات ، والادب ، والمنطق ، وغير ذلك فتاوى جمة . وديوان شعر ، وقد نشر في الجرائد كثير من قصائده وبآخر النصائح الكافية له قصيدتان ، وأرسلت اليكم عددا منها ، وأظن أن أخانا السيد عبد الله دحلان يكتب له ترجمة ، وقد أفظعني نعيه (ولله الامر من قبل ومن بعد) وفيه خلف عن كل هالك وهو المستعان .

في ٢٤ جمادى الاولى سنة ١٣٤١

(المنار) نعزي صديقنا الكاتب وسائر السلالة العلوية والبلاد الحضرمية والهندية والامة العربية عن هذا العالم المتفنن الذي خدم العلم واللغة العربية بكتبه الكثيرة وبتدريسه وتعليمه وبتصحيحه لكثير من مطبوعات (مطبعة دائرة المعارف النظامية) في حيدر آباد الدكن موطن إقامته ومما بلغنا من ترجمته انه هو الذي جدد الدعوة الى موالاة آل البيت ومعاداة أعدائهم في القديم والحديث فراجت في علوية الحضارمة

المتمرين في جزائر جاوه وماجاورها خلافيها أناس غلوا لا يرضاه الفقيد ولا تلامذه المعتدلون حتى وجد فيهم من ضل بنزغات الباطنية التي دسوها في الشيعة ، لم يقفوا عند حد ما كانت به الشيعة شيعة ، ونشروا في ذلك رسائل عديدة ، فنهد لهم آخرون يردون عليهم ، وعظم الشقاق بين جوالي العرب في تلك البلاد من الافراد والجماعات ، وطفق بعضهم يطعن في بعض ، وقد كان المسلمون هنالك متفقين على تكريم السادة العلويين وتفضيلهم على غيرهم وان كان يفوقهم علما وتقوى فصار لهم بعد ذلك أعداء وخصوم أقوياء . ولم تقف لهذه الدعوة على فائدة توازي ذلك أو ترجح عليه . فعسى أن يشرح لنا صديقنا السيد عبد الله دحلان في ترجمة الفقيد الكريم تغمده الله برحمته أو في مقال خاص فقد كثرت علينا الرسائل من الفريقين المتنازعين ونحن معرضون عنها لاننا نكره الشقاق والتنازع ونتحرى أن نكتب ما نرجو به إصلاح ذات البين ، وهو يتوقف على معرفة كنه الحال بين الفريقين

تقريظ المطبوعات

﴿ المرأة في التاريخ والشرائع ﴾ — هو « كتاب مصور فيه ٢٧ رسما يبحث في تطور المرأة في التاريخ منذ عهد البشر البدائي حتى الآن حيث تبوأت كراسي مجالس الامم : فيدخل في ذلك الكلام عن المصرية القديمة والبابلية والاشورية والصينية واليابانية واليونانية والرومانية والفينيقية ولا سيما العربية قبل الاسلام وبعده . ويختم الكتاب في الكلام عن تطور شأن المرأة في التمدن الحديث في الغرب وفي الشرق الادنى خاصة ملما بتاريخ مسألة الحقوق النسائية — فهو اذا يكاد يكون بما فيه من أحكام الشرائع تاريخا عاما »

مؤلف هذا الكتاب صديقنا البحاثة محمد جميل بك بيهم من سروات بيروت وقد ذكر في مقدمته أن الباعث له على تأليفه ما يراه من تطور شأن

النساء في الشرق تبعاً لتأثير حضارة الغرب فيه واكتساحه لاخلاقه وتقاليده وآدابه فأحب أن ينبه الامة العربية أن لا تؤخذ في هذا على غرة وأن ينشط الكتاب للتأليف في هذا الموضوع ويمهد السبيل لعقد رأي عام في مسألة المرأة

طبع الكتاب في بيروت سنة ١٣٣٩ وقد نظرت في بعض فصوله نظرة عجلى فأعجبني طريقة البحث فيه ونظام التأليف، ثم أمسكته بالقرب مني راجيا أن أجد فرصة أطالعه فيها بالدقة التي تمكنني من نقده فلم أظفر بها. ولكني أشهد له بما علمت من النظرة الاجمالية أنه من الكتب الجديرة بالمطالعة والاعتبار والنقد. وصفحاته ٢٧٠ ونيف ما عدا الصور والرسوم. وثمن النسخة منه عشرون قرشا. ويطلب من مكتبة المنار بمصر

﴿ تهذيب الالفاظ العامية ﴾ اللغة العامية المستعملة في مصر وغيرها من البلاد الافريقية والآسيوية العربية هي اللغة العربية طرأ عليها التحريف والتصحيف، وترك الاعراب في التركيب والتأليف، ودخل فيها ألفاظ من لغات الشعوب المخالطة والمجاورة لاهلها ممن دخل في الاسلام كالفرس والترك والبربر ثم من الافرنج. وان في هذه العامية كثيرا من فرائد اللغة المهجورة يتحاماها الكتاب والمؤلفون في اللغة الصحيحة المعربة لغفلتهم أو لجهلهم بأنها من اللغة، وقد يكونون في أشد الحاجة اليها ولا سيما المترجمين لبعض الكتب الاعجمية منهم — فلهذا عني بعض علماء اللغة قديما وحديثا ببيان الدخيل والمولد وتمييز العربي الصحيح من ألفاظ العامة من الدخيل ورد المصحف أو المحرف الى أصله. وأجمع ما كتب في هذا العصر وأوسعه وأنفعه فيما نعلم كتاب (تهذيب الالفاظ العامية) للاستاذ الشيخ محمد علي الدسوقي خريج دار العلوم المصرية والمدرس في المدارس الاميرية. وقد نفدت الطبعة الاولى منه فأعاد النظر فيه وصحح ما كان قد ظهر له من خطأ فيه وزاد فيه زيادة صالحة ثم طبعه ١٣٣٨ طبعة ثانية بلغت صفحاتها ٣١٨ صفحة

وقد وضع للكتاب مقدمة في أدواء العربية العامية وأدويتها التي ترجع بها الى أصلها — وهي اللحن ودواؤه النحو والتحريف ودواؤه بيان أصله ورده

اليه — والدخيل ودواؤه يتوقف على تأليف مجمع لغوي . . . وانتقل الى بحث التعريب فأطال الكلام فيه وما يتعلق به ولا سيما التعريب من اللغات الافرنجية الذي كثر الجدال وعظم الخلاف فيه في المجمع اللغوي الذي ألف بمصر وفي غيره ويلي ذلك فصول في الوسائل العملية لتعميم اللغة الصحيحة ونسخ العامية بها سماها الادوية العامة . وفصول أخرى من تاريخ اللغة بحث فيها في تهذيبها وأدوار تنقيحها قبل الاسلام و بعده وفي الاعراض « التي ظهرت عن داء التحريف » وهي عشرة وفي بعض اللهجات الموروثة عن العرب. هذه جملة مباحث المقدمة وأما مباحث الكتاب فقد جعلها في جداول مقسمة الى أقسام

(الاول) ما تنطق به العامة صحيحا و يظن أنه عامي

(الثاني) المحرف بالحركات والاوزان

(الثالث) المصحف بالحروف ويتبعه مباحث المهموز والممدود والمشدد والمخفف واللازم والمتعدي وما تزيد فيه العامة وما تنقص منه وما تقلبه وماتستعمله من النحت والجمع والافراد والنسب، أي ما تخالف فيه العربية الفصيحة من ذلك وغيره ويليه المولد والفرق بينه و بين المصنوع

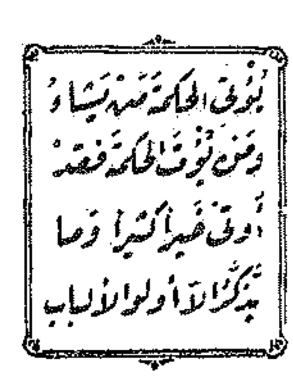
(والقسم الرابع) في سرد الكلمات العامية ومرادفاتها العربية في أثاث المنزل ومتاعه وماعونه وهو مرتب على حروف المعجم

ولا يحتاج القارىء بعد هذا البيان الوجيز لمباحث هذا الكتاب الى شهادة له بأنه جدير بأن يسمى تأليفا جديداً مفيدا وانه جدير بعناية علماء اللغة العربية والساعين لاحيائها . وانه ينبغي لاهل الاقطار العربية الاخرى في المشرق والمغرب أن يحصوا من ألفاظ عوام بلادهم ما أحصاه المؤلف

﴿ مذكرات غليوم الثاني ﴾ شرع الكاتبان محب الدين افندي الخطيب وأسعد افندي داغر في ترجمة هذه المذكرات وطبعها في أجزاء صغيرة كالمجلات وسيكون الكتاب بعد تمامه ٢٠٠ صفحة وثمنه خمسة قروش . وقد صدر العدد الاول منه في ٥٢ صفحة وهو ربعه ولكن جعل ثمنه ٤ قروش وقد طبع بالمطبعة السلفية على ورق جيد و يطلب من مكتبتها ومن سائر المكاتب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب





قال عليه الصلاة والسلام «إن للإسلام صوى "ومنارا" كمنار الطريق»

٢٩ شعبان ١٣٤١ — ٢٥ الحمل (د١) سنة ١٣٠١ هـ ش ١٦ ابريل ١٩٢٣

الخلافة الاسلامية

٥

٣٣ - كراهة غير المسلمين لحكومة الخلافة

قد يقول قائل : ان غير المسلمين في البلاد التي توصف بالاسلامية (نسبة الى السواد الاعظم من أهلها) يكرهون أن تؤسس حكومة الخلافة فيها ولا سيما النصارى الذين يرون أن ضعف النفوذ والتشريع والآداب والتقاليد الاسلامية في كل بلد اسلامي انما يكون بقوة نفوذ الافرنج وتشريعهم وآدابهم وتقاليدهم — وكذا لغاتهم — وبذلك تكون مقومات الامة ومشخصاتها أقرب الى النصرانية منها الى الاسلام ومن لم يؤمن بالعقيدة النصرانية والوصايا الانجيلية بمحبة الاعداء وكراهة الغنى وادارة الخد الايسر لمن يضربه على خده الايمن فانه قد يكون أشد استمساكا بالنصرانية الاجتماعية السياسية من أقوى المؤمنين بالانجيل ايمانا . فتلك النصرانية المزورة التي تنسب اليها المدنية المادية الاوربية هي مثار التعصب والكراهة لكل ماهو اسلامي لا نصرانية الانجيل الزاهدة المتواضعة الخاشعة ذات الايثار الذي يسمونه « انكار الذات »

واذا كان أمثالهم من متفرنجة المسلمين يكرهون الحكومة الدينية ويعارضون في احياء منصب الخلافة أفلا يكون متفرنجة النصارى أولى؟ واذا كان الامر كذلك فكيف نعود الى تجديد حكومة دينية يكرهها كثير من رعاياها وينفرون منها؟

الجواب عن هذا يحتاج الى تفصيل نكتفي بالضروري منه فنقول : اذا صح مايعزى الى من ذكر من أهل الوطن بمقتضى العاطفة وتأثير التربية، فان من يمحص الحقيقة وينظر اليها بعين المصلحة سواء كان منهم أو من غيرهم فانهم يحكمون فيها حكما آخر

ان حكومة الخلافة اسلامية مدنية قائمة على أساس العدل والمساواة الا أن لغير المسلمين فيها من الحرية الشخصية ماليس للمرتد والمنافق من المسلمين، فهؤلاء يريدون أن يكون الاسلام رابطة جنسية أدبية حرة بحيث يكون لهم في حكومته جميع حقوق المسلمين الشرعية والعرفية والقانونية وان

صرحوا بأنهم لا يدينون الله بالايمان بعقيدته ، ولا باقامة أركانه وشعائره ، وهم يعلمون ان الحكومة الاسلامية لا تعطيهم شيئاً من ذلك ، حتى ان المرأة اذا علمت من زوجها أنه ارتد عن الاسلام حرم عليها أن تقيم معه وتستمر على عصمته ، وأحكام المرتدين معروفة فأمرهم أغلظ من أمر الوثنيين دع الكتابيين الذين تحل ذبائحهم والتزوج بالمحصنات من نسائهم ، ولا تعاقب الحكومة الاسلامية غير المسلمين على شيء يحل لهم في دينهم - وان لم يكن حلالا في الاسلام - الا ما فيه إيذاء لغيرهم ، بل لا تحاسبهم على شيء من أعمالهم الشخصية التي لا تضر المسلمين ولا غيرهم من رعيتها وان خالفت دينهم ، ولكنها تحاسب المسلمين وتعاقبهم على المعاصي بالحدود وأنواع التعزير كالتوبيخ والحبس ، وذلك ان من أصول الاسلام حفظ الآداب والفضائل ومنع الفواحش والمنكرات . وقد وصف الله المسلمين بقوله (الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وقال فيهم (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) وأحكام الردة والحسبة في الاسلام معروفة

فعلم بهذا ان ملاحدة المسلمين وفساقهم المستهترين اجدر أن يكونوا أشد كراهة لاقامة أحكام الشريعة من غير المسلمين لانها تكلفهم ما لا تكلف غيرهم وتؤاخذهم مالا تؤاخذه به . وقد اقترح بعض هؤلاء الملاحدة على جماعة المؤتمر السوري العام الذي عقد في دمشق أن يقرروا جعل الحكومة السورية غير دينية ، ولا أذكر أن أحدا من الاعضاء النصارى وافق على الاقتراح بل صرح بعضهم برده كأكثر المسلمين . واقترح في ذلك المؤتمر أن تقيد مادة الحرية الشخصية من القانون الاساسي بقيد عدم الاخلال بالآداب العامة فرد هذا الاقتراح بعض هؤلاء الموصوفين بالمسلمين وصرح بعضهم بتعليل الرد بانه يترتب عليه أن يجوز للشرطة منع الرجل من الجلوس مع امرأة في ملهى من الملاهي أو مقهى من المقاهي العامة لمعاقرة الخمرة (؟؟) وقد كان رد هذا الاقتراح أقبح خزي صدر من ذلك المؤتمر وان علل الرد بعضهم بالاستغناء عن قيد الآداب العامة بقيد القوانين التي يمكن أن ينص فيها على ذلك القيد ، وخدع بعض أهل الدين والادب بذلك وما كان ينبغي لهم أن يخدعوا ، بل اقول ان أكثر النصارى من أعضاء ذلك

المؤتمر كانوا أقرب الى المسلمين المستمسكين بأحكام الاسلام منهم الى المتفلتين من الدين ، وان كانوا يتقربون اليهم وينتصرون لهم فيما يوافق أهواءهم من مخالفة هداية الدين العامة

وقد ثبت بالتجارب أن غير المتدينين اذا اختلفوا لاسباب سياسية أو غيرها فانهم يكونون أشد عداوة وقسوة بعضهم على بعض من المتدينين بالفعل من الفريقين — فالمتدين وان شذ يكون أقرب الى الرحمة من المادي — واعتبر ذلك بما وقع من القسوة في هذه الحرب البلقانية العامة بين الاوربيين أنفسهم وبين من غلبت عليهم تربيتهم من الارمن والروم والترك

وأضرب مثلا آخر الدكتور برتكالوس الرومي قال لجماعة من السوريين كانوا يظهرون الابتهاج والسرور بالدستور العثماني عقب اعلانه : ان حكم الشريعة الاسلامية خير لنا معشر النصارى من حكم الدستور الذي يسلبنا كثيراً مما أعطتنا الشريعة من الامتيازات ، ويحملنا ما أعفتنا من التكليفات. وأيد كلامه اشتداد العداء بين الترك وبين الروم والارمن وغيرهما بعد الدستور الذي ترتب عليه سلب هؤلاء كثيرا مما كان لهم منذ كان الحكم بالشرع وحده

واني أعقب على هذا القول بأن أشد ما يتبرم به متفرنجة الترك من أحكام الشريعة هو ما أعطته من الحرية الواسعة لغير المسلمين في بلاد الاسلام ، ويرون انه لولاها لصارت هذه البلاد ملة واحدة كبلاد أوربة التي لم يكن فيها شيء من هذه الحرية ، ولاستراحت من العداوات والفتن التي أثارها عليهم نصارى الروملي فالاناضول بدسائس أوربة حتى كانت سبب انحلال السلطنة العثمانية — هذا رأيهم ، ومن الغريب ان كثيرا من نصارى بلادنا المتفرنجين يوافقونهم على هذه النظرية ويقولون ياليت المسلمين أكرهوا اجدادنا على الاسلام في أزمنة الفتح والقوة ، اذاً كنا في اوطاننا امة واحدة ذات ملة واحدة فنسلم من شقاء هذا الشقاق والفتن المخربة للبلاد

لا مجال في هذا المقام لتحرير القول في هذه المسألة ، وليس من الصعب بيان خطأ من يظن أن معاملة نصارى الدولة بعدل الشريعة الاسلامية وحريتها هو الذي ألبهم عليها ولا اثبات ان الذي ألبهم ثم أثارهم هو جهل رجال الدولة وغفلتهم عن دسائس أوربة في هذه الشعوب وما بثوا في مدارسها وكنائسها !، وانما غرضنا

من ذكرها ان الشريعة الاسلامية خير للنصارى في بلاد اكثر اهلها مسلمون من حكومة مدنية لا يتقيد اهلها بأصول هذه الشريعة — كما كانوا في عهد الخلفاء من العرب — فان الفرق الحقيقي بين الحكومتين هو ان الاكثرية المسلمة لايحل لها ان تتبع هواها في التشريع الديني ولا في التنفيذ بما يعد ظلما للاقلية غير المسلمة لان الله تعالى حرم الظلم تحريماً مطلقاً لاهوادة فيه ولاعذر ، واوجب العدل إيجاباً مطلقاً عاما لامحاباة فيه ، وحذر تحذيراً خاصاً من ترك العدل في حالة الكراهة والبغض من اي فريق كان بقوله تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا. إعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) اي ولا يحملنكم بغض قوم لكم او بغضكم لهم — قال بعض المفسرين اي الكفار ، والصواب انه اعم — على أن لا تعدلوا فيهم بل اعدلوا فيهم كغيرهم — وحذف المعمول دليل العموم — اي اعدلوا عدلا مطلقاً عاماً في المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والصديق والعدو ، الخ وقال في آية اخرى (ياايها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ، ان يكن غنيا او فقيرا فالله أولى بهما، فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وإن تلوُوا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً) اي كونوا قائمين بالعدل في الاحكام وغيرها على اكمل وجه — كما تدل عليه صيغة المبالغة — شهداء لله في إثبات الحق ، وما كان لله لايميز فيه المؤمن نفسه ولا والديه واقرب الناس اليه على غيره، لان هذا التمييز إيثار لنفسه اولقريبه على ربه الذي جعل الشهادة له سبحانه ، ولا يفرق فيه بين الغني والفقير بأن يحابي الغني طمعاً في نواله او الفقير رحمة به، وقفى على هذا الامر بالنهي عن ضده وهو اتباع هوى النفس، كراهة للعدل وبحظر اللي والتحريف للشهادة او الاعراض عنها او عن الحكم بالحق، وتهدد فاعل ذلك وتوعده بأنه خبير بأمره لايخفى عليه منه شيء — دع ما ورد في الاحاديث النبوية من الوصية بأهل العهد والذمة خاصة ، ولولا ذلك لفعلت الحكومات الاسلامية القوية بالمخالفين لهم ما فعل غيرهم من إبادة بعض وإجلاء آخرين عن ديارهم أو إكراههم على الاسلام ، او سن قوانين استثنائية لقهرهم وإذلالهم ، وفي التاريخ العثماني ان السلطان سليمان استفتى شيخ الاسلام ابا السعود العمادي الدمشقي الاصل في اكراه النصارى على الاسلام او الجلاء فأبى ان يفتيه وبين له ان الشريعة

لا تبيح ذلك فأذعن، وكان يريد ان يفعل بهم كما فعلت الدولة الاسبانية بمسلمي الاندلس

وثم فرق آخر بين الشرع الاسلامي والاشتراع البشري الذي لا تتقيد حكومته بالدين هو في مصلحة غير المسلمين أيضا، وهو أن كل مسلم يعتقد أن الحكم الشرعي حكم الهي وان طاعته قربة وزلفى عند الله يثاب عليها في الآخرة ، وعصيانه عصيان لله تعالى يعاقب عليه فيها ، سواء حكم به الحاكم عليه أم لا ، ولكن حكم الحاكم يرفع خلاف المذاهب، فتكون طاعته ضربة لازب . وهذا ضمان لغير المسلم الوازع فيه نفسي ولا ضمان مثله للمسلم من غيره ،

(فان قيل) كل ذي دين يحاسب نفسه (أو ضميره) على مايعتقده من حق عليه.
(قلنا) هذا عام مشترك ومانحن فيه أخص منه، وهو احترام الحكم الشرعي ووجوب طاعة الحاكم اذا حكم عليه سواء اعتقد صحته أم لم يعتقد — وان أمن عقاب الحكومة في التفصي منه بالحيلة

وجملة القول أنه ليس في الشريعة ظلم لغير المسلم يعذر به على كراهتها وهي تساوي بين أضعف ذمي أو معاهد وبين الخليفة الاعظم في موقف القضاء وتقرير الحقوق ،والشواهد على هذا في عصر الخلافة الراشدة وما بعدها متعددة
واننا نصرح بكل قوة بأن العدل العام المطلق لم يوجد الا في الاسلام

ولا نعرف لهم مطعنا في هذه المساواة الا مسألة رد شهادة غير المسلم على المسلم . وهي مسألة لا يقوم دليل على إطلاق القول فيها . بل لها مخرج من الكتاب والسنة واصول الشريعة. فقد قال تعالى في سورة المائدة وهي من آخر ما نزل من القرآن ليس فيها حكم منسوخ (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم) الآية — المتبادر الذى عليه جمهور السلف والخلف أن المراد بغيركم غير المخاطبين بالآية وهم المسلمون وخصه بعض العلماء بأهل الكتاب ولا دليل على هذا التخصيص، وقيده بعضهم بمثل الحالة التي نزلت فيها الآية بناء على أن الاصل في شهادة غير المسلم العدل أن ترد لقوله تعالى (وأشهدوا ذوي عدل منكم)

وقد بينا ضعف الاستدلال بهذه الآية على ماذكر في تفسير آية المائدة بتفصيل منه ان هذا في الامر بالاشهاد في مسألة المطلقات المعتدات من المسلمات لا في

الشهادة مطلقا ولا في كل اشهاد ، وقد قال تعالى في الاشهاد على الاموال (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) ولم يقيد هذا الاشهاد بالعدول من المؤمنين كما قيده في المسألة الخاصة بالنساء المسلمات ، وبينا ضعف حمل المطلق على المقيد في الآيتين مع اختلاف موضوعهما ، والفرق بين الاشهاد والشهادة ، كما بينا ضعف القول بأن غير المسلم لا يكون عدلا بدليل القرآن اذ جاء فيه (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وقوله (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده اليك) كما بينا ضعفه بدليل سيرة البشر المعلومة بالاختبار والعقل وهو أنه لم توجد أمة من الامم جردت من الصدق والعدالة بحيث لا يصدق أحد من أهلها ، وبينا أيضاً سبب تفضيل الفقهاء للمسلم على غيره في في الشهادة من أربعة أوجه أهمها ما كان عليه المسلمون الاولون من التقوى والصدق وعدم المحاباة عملا بوصايا الدين التي تقدم بعض الآيات فيها آنفا ، وما اتفق عليه المؤرخون في مقابلة ذلك من غلبة فساد الاخلاق على الامم الاخرى التي فتح المسلمون بلادها

وفي اصول الشريعة مستند آخر لشهادة غير المسلم وهو دخولها في عموم البينة اذا ثبت عند القاضي صدقه فيها فان البينة في اللغة كل ما يتبين به الحق وقد فصل المحقق ابن القيم هذا المعنى في كتابه (إعلام الموقعين) ونشرنا ذلك في المنار وبينا انه يدخل في عموم البينة كل ما تجدد في هذا العصر من أنواع الجرائم كأثر خطوط الاصابع على الاشياء مثلا. ومن أراد التفصيل فعليه بالمنار وتفسيره

فلم يبق بعد هذا البيان على إجماله من عذر لغير المسلمين اذا كرهوا إحياء الشريعة الاسلامية العادلة لمحض التعصب الاعمى أو لتفضيل تشريع الاجانب على تشريع من يشاركهم في وطنهم. وليس من الحق ولا من العدل أن تكلف أمة ترك منقبة التشريع الفضلى، ومثل هذه الحكومة المثلى ، إرضاء لفئة قليلة لا مصلحة لها في تركها وانما تكرهها لمحض التعصب على السواد الاعظم من أهل وطنها ، وناهيك بما تأرث من الاضغان بين مسلمي الاناضول والروم والارمن الذين خرجوا على الترك في زمن محنتهم ، وساعدوا أعداءهم عليهم في حربهم ،

وموضوع الكلام في إقامة الخلافة في هذه البلاد التركية فاذا رضي الترك بذلك وعاملوا هؤلاء الجناة البغاة بعدل الشريعة ورحمتها فلا يعقل أن يكرهوا

ذلك أو يفضلوا عليه غيره ان كانوا يعقلون، وانما أخشى أن يكون هذا الامر نفسه مما ينفر كثيرا من الترك عن إقامة الشريعة التي تحرم ان يتبعوا الهوى في معاملة أقوام أولئك الجناة القساة الذين خربوا ديارهم بالنار والبارود وهم يرونها بأعينهم أكواما من الرماد والانقاض

وهذه حكومات جزيرة العرب إسلامية محضة ليس فيها قوانين وضعية ولا تشريع أوربي، وأقدمها حكومة أئمة اليمن وهنالك كثير من اليهود وهم راضون من حكومة الامامة الشرعية لم يشكوا منها ظلما ولا هضما، ولا يفضلون عليها حكومة أخرى؛ ولو سرى اليهم سم السياسة الاستعمارية من طريق التعليم أو غيره لافسدوهم على حكومتهم، واثاروهم عليها لطلب وطن قومي لهم في البلاد. ولو عدم نافثو السم بالمساعدة على ذلك حبا في الانسانية أي حبا بافساد الانسانية واثارة البغضاء بين المختلفين في الدين والجنس أو اللغة بعضهم على بعض ليتمكنوا هم من استعباد الجميع. (فاعتبروا يا أولي الابصار)

٣٤ ــ الخلافة ودول الاستعمار

من البديهي[١] أن إقامة الخلافة الاسلامية يسوء رجال دول الاستعمار، وانهم قد يقاومونها بكل ما أوتوا من حول وقوة، وأحرصهم على ذلك الدولة البريطانية، ولا أجهل ممن يظنون أنها كانت تسعى قبل الحرب لجعل الخلافة في الامة العربية، الا الذين يظنون اليوم أنها تود اليوم تأسيس دولة أو دول عربية ولو كانت تريد هذا من قبل لكان أقرب طرقه مساعدة أئمة اليمن المجاورين لها في منطقة عدن على الترك بالسلاح والمال لتنظيم جيشهم والاستيلاء على الحجاز، فان حكومة الامامة في اليمن قوية عادلة قديمة راسخة يرجع تاريخها الى القرن الثالث من الهجرة، وقد حاربتها الدولة العثمانية زهاء أربعة قرون لاسقاطها فعجزت عن ذلك، ولكن الحكومة البريطانية كانت لها بالمرصاد، وما زالت تكيد لها، وتسعى بالدسائس والفتن للتدخل في شؤونها، والتوسل بذلك للاستيلاء عليها، ولم تستطع ذلك ولن يجعل الله لها عليها سبيلا

(١) اننا نختار ما اختاره علماء المعقول من قدمائنا في النسبة الى البديهة والطبيعة والغريزة على الفاظها كالسليقة الذي ثبت سماعا

وقد اشتهر لدى الخاص والعام أن الدولة البريطانية، كانت ظهيرة الخلافة العثمانية التركية ، وما ذلك الا لعلمها أنها صورية ، وانها هي التى تنتفع باظهار صداقتها، وكان رجال هذه الدولة الداهيــة أعلم الناس بأن هذه الدولة قد دب في جسمها الانحلال ، وأنها سائرة في طريق الفناء والزوال ، وانما كانوا يحاولون أن تبقى حصناً بين القيصرية الروسية المخيفة بسرعة تكونها ونموّها وبين البحر الابيض المتوسط ، على شرط أن تكون قوة هذا الحصن بما وراءه من المساعدة البريطانية لا بنفسه . وقد بينا هذا في المنار من قبل ، وان الغازي احمد مختار باشا وافقنا على أن قاعدة الدولة البريطانية في السياسة العثمانية: ان لا تموت الدولة ولا تحيا، وبينا أيضاً أن هذه القاعدة قد تغيرت بما كان بين الدولتين البريطانية والروسية على مسائل الشرق، واقتسامهما بلاد ايران قبل الحرب، وأنها تجنح الى إقامة خلافة عربية صورية تكون آلة بيدها الا بعــد الحرب العامة والتمكن من خداع شريف مكة وتسخيره لمساعدتها ، ونحمد الله أن جعلنا من أسباب خيبة هذا السعي حتى لم يتم لها

قد عنيت الدولة البريطانية منذ أول زمن هذه الحرب بالبحث في مسألة الخلافة وطفق رجالها يستطلعون علماء المسلمين وزعماءهم في مصر والسودان والهند وغيرها آراءهم فيها ليكونوا على بصيرة فيما يريدونه من إبطال تأثير إعلان الخليفة العثماني الجهاد الديني بدعوى بطلان صحة خلافته من جهة وبدعوى أن هذه الحرب لا شأن للدين فيها من جهة اخرى ، وقد وجد من منافقي الهند من كتب لهم رسالة باللغة الانكليزية في ذلك وأرسلها الينا ناشرها لنترجمها بالعربية وننشرها في المنار فعجبنا من جهله ونفاقه ، ولو لا المراقبة الشديدة على الصحف عامة والمنار خاصة في تلك الايام لرددنا عليها . وقد اطلعنا على ما كتبه بعض علماء مصر لهم في الخلافة وهو نقل عبارة شرح المقاصد وعبارات أخرى في معناها وعلمنا ان بعض العلماء كتب لهم بعض الحقائق فيها

وقد دارت بيننا وبين بعض رجالهم مناقشات في المسألة العربية اقتضت أن نكتب لهم مذكرات في تخطئة سياستهم فيها بينا في المذكرة الاولى منها التي قدمناها لهم في أوائل سنة ١٩١٥ أن أكثر مسلمي الارض متمسكون بالدولة العثمانية وخليفتها لانها أقوى الحكومات الاسلامية وانهم يخافون أن يزول

بزوالها حكم الاسلام من الارض، وان هذا اعظم شأنا عندهم من بقاء المعاهد المقدسة سليمة مصونة. بل بينا لهم أيضاً أن اعلانها الجهاد شرعي وان سبب ضعف تأثيره في مثل مصر هو الاعتقاد بأنها منتصرة مع حلفائها فلا تحتاج الى مساعدة . . .

وعدت الى بحث الخلافة في آخر مذكرة منها وهي التي أرسلتها الى الوزير لويد جورج في منتصف سنة ١٩١٩ فقلت في بيان ما يرضي المسلمين من انكلترة «ان الوزير قد علم أن الاعتراف باستقلال الحجاز وتسمية أمير مكة ملكا لم يكن له ذلك التأثير الذي كان الانكليز يتوقعونه من قلوب المسلمين — ذلك بأن بلاد الحجاز أفقر البلاد الاسلامية وأضعفها في كل شيء، وهي موطن عبادة، لا ملك وسيادة ؛ ولم يكن المسلمون مضطربين من الخوف على المساجد المقدسة أن تهدم أو يمنع الناس من الصلاة فيها والحج اليها وزيارتها، بل الاضطراب الاعظم على السلطة الاسلامية التي يعتقدون أن لا بقاء للاسلام بدونها، والحرص على بقائها ممزوج بدم كل مسلم وعصبه ، فهو لا يرى دينه باقياً الا بوجود دولة اسلامية مستقلة قوية قادرة بذاتها على تنفيذ أحكام شرعه بغير معارض ولا سيطرة اجنبية ، وهذا هو السبب في تعلق أكثر مسلمي الارض بمحبة دولة الترك واعتبارهم إياها هي الدولة الممثلة لخلافة النبوة، مع فقد سلاطينهم لما عدا القوة والاستقلال من شروطها الخاصة ، ولولا ذلك لاعترفوا بخلافة امام اليمن لشرف نسبه وعلمه بالشرع واستجماعه لغير ذلك من شروط الخلافة ، ذلك بأن الشروط تعد ثانوية بالنسبة الى اصل المطلوب ، مثال ذلك أن الحكومة المصرية تشترط في مستخدميها أن يكونوا مصريي الجنس عارفين باللغة العربية حاملين لشهادات مخصوصة — ولكنها عند ما تحتاج الى مستخدم فني ممن لا يوجد مصري يعرفه تترك اشتراط ذلك فيه لانه انما يقدم المستوفي للشروط على غيره اذا كان قادرا على أصل العمل المطلوب» اهـ المراد هنا من مذكرتنا الى لويد جورج

وكان الغرض من هذا أن لا يغتروا بما يسمعون من عدم استجماع الخليفة التركي لشروط الخلافة، ولا بما كانوا يرمون اليه من جعل شريف مكة خليفة

بعد اعترافه لهم بأن مكان الامة العربية من انكلترة مكان القاصر بالطفولية أو العته من الوصي ورضاه بحمايتهم له ولها ، وقد صرحنا للوزير في هذه المذكرة بأن الذي يرضي العالم الاسلامي من دولته ترك الشعوب الاسلامية العربية والتركية والفارسية أحرارا مستقلين في بلادهم وبقاء مسألة الخلافة على ما هي عليه الى ان يمكن تأليف مؤتمر اسلامي عام لحل مشكلتها، وقد بينا فيها ايضا أن هذه الدولة مستهدفة لعداوة الشرق كله بالتبع لعداوة العالم الاسلامي فلا يغرنها ضعف المسلمين وتفرقهم فتحتقر عداوتهم مع كونهم مئات الملايين فانهم لن يكونوا أضعف من « ميكروبات » الاوبئة. وسننشر هذه المذكرة في الوقت المناسب

لم يبال هذا الوزير بنصح هذه المذكرة فاستمر على سياسة القضاء على دولة الترك واستعباد العرب حتى خذله الله وخذله قومه وأسقطوا وزارته، ولكن بقي أشد أنصاره في الوزارة التي خلفتها وهو لورد كرزون التي هو أشد تعصبا وعداوة للمسلمين منه فلذلك لم يتغير من سياسة الدولة شيء في المسألة الاسلامية الاما اضطرت اليه من عاملة الدولة التركية الجديدة بعد تنكيلها بالجيش اليوناني الذي أغرته وزارة لويد جورج بالقضاء على مابقي للترك من القوة في الاناضول، فأثبتت بذلك أنها لا تلين الا للقوة، وأما الحق والعدل والوفاء بالعهود والوعود فلها في قاموس سياستها معان أخرى غير ما يعرفه سائر البشر في لغاتهم

٣٥ — الخلافة وتهمة الجامعة الاسلامية

ان السبب الاول لكون الدولة البريطانية هي الخصم الاكبر الاشد الاقوى من خصوم الخلافة الاسلامية هو أنها تخشى أن تتجدد بها حياة الاسلام وتتحقق فكرة الجامعة الاسلامية فيحول ذلك دون استعبادها الشرق كله. وقد نشرنا في مجلدات المنار أقوالا كثيرة للساسة الاوروبيين في هذه المسألة من أهمها مانشرناه في المجلد العاشر سنة ١٣٢٥ من رأي كرومر في تقريره السنوي عن مصر والسودان سنة ١٩٠٦ فيها واهمه قوله

« المقصود من الجامعة الاسلامية بوجه الاجمال اجتماع المسلمين في العالم كله على تحدي قوات الدول المسيحية ومقاومتها ، فاذا نظر اليها من هذا الوجه وجب على كل الامم الاوربية التي لها مصالح سياسية في الشرق أن تراقب

هذه الحركة مراقبة دقيقة لانها يمكن أن تؤدي الى حوادث متفرقة فتضرم فيها نيران التعصب الديني في جهات مختلفة من العالم . . . . . »

ثم ذكر ان للجامعة الاسلامية معاني أخرى أهم من المعنى الاصلي وهى (أولها) في مصر الخضوع للسلطان وترويج مقاصده . . . .

(وثانيها) استلزامها لتهييج الاحقاد الجنسية والدينية الا فيما ندر . . . .

(وثالثها) السعي في اصلاح أمر الاسلام على النهج الاسلامي(!!) وبعبارة أخرى السعي في القرن العشرين لاعادة مبادىء وضعت منذ ألف سنة هدى لهيئة اجتماعية في حالة الفطرة والسذاجة » وذكر أن عيب هذه المبادىء والسنن والشرائع هو المناقضة لآراء أهل هذا العصر في علاقة الرجال بالنساء وأمرا ثالثاً قال انه « أهم من ذلك كله وهو أفراغ القوانين المدنية والجنائية والملية في قالب واحد لا يقبل تغييراً ولا تحويراً (قال) وهذا ما وقف تقدم البلدان التي دان أهلها بدين الاسلام»

ثم قفى على تحذير الاوربيين من الجامعة الاسلامية بتحذيرهم من الجامعة الوطنية لئلا تتجلبب بها الاولى « التي هى اعظم الحركات المتقهقرة »

رددنا على لورد كرومر في كل هذه المسائل ردا مسهبا ورد غيرنا عليه أيضاً، وفي هذه المباحث ما فيها من تفنيد كلامه، وغرضنا هنا أن نبين شدة اهتمام الانكليز بمقاومة الجامعة الاسلامية بكل معنى من معانيها ، وتحريضهم جميع الاوربيين وجميع النصارى عليها وعلى من يتصدى لها ، وتخويف المسلمين منها

ولقد كان من إرهاب أوربة للشعوب الاسلامية وحكوماتها أن جعلتها تخاف وتحذر كل ما يكرهه الاوربيون منها وتظهر الرغبة في كل ما يدعونها اليه وجروا على ذلك حتى صار الكثيرون منهم يعتقدون ان ما يستحسنه لهم هؤلاء الطامعون فيهم هو الحسن، وما يستقبحونه منهم هو القبيح ، اذ تربوا على ذلك، ولم يجدوا أحداً يبين لهم الحقائق ـ وكان هذا عونا لهم على سلب استقلال هؤلاء المخدوعين والمرهبين في بعض البلاد وغلبة نفوذهم على نفوذ الحكومة في بلاد أخرى كمصر والدولة العثمانية، واستحوذ الجبن والخور على رجال الحكومات في هذه البلاد حتى ان أركان الدولة العثمانية لم يتجرؤا على الاذن لنا بانشاء مدرسة اسلامية في عاصمتها باسم (دار الدعوة والارشاد) كما تقدم ، ولم

يكونوا كلهم يجهلون ماذكرت بل قال لي شيخ الاسلام حسني أفندي رحمه الله تعالى : ان عندنا قاعدة مطردة في الافرنج هي أن كل ما يرغبوننا فيه فهو ضار بنا وكل ما ينفروننا عنه فهو نافع لنا . وانما هو جبن بعض الرؤساء وفساد عقائد بعض . وما الجبن الاغشاوة من الوهم على عين البصيرة انقشعت عن ترك الاناضول ، فرأوا أنهم بعد انكسارهم في الحرب العامة ، وفقدهم لتلك الممالك الواسعة ، أعز وأقوى مما كانوا عليه منذ مائتي سنة ، إذ كانت البلاد فيها تنتقص من أطرافها ، ونفوذ الاجانب في عاصمة الدولة فوق نفوذ خليفتها وسلطانها .

لهذا السبب ينوط الرجاء بحكومة الاناضول ألوف الالوف من المسلمين أن تحيي منصب الخلافة وتجدد به مجد الاسلام وشريعته الغراء التي يرجى أن يتجدد باحيائها مجد الانسانية ، ويدخل البشر في عصر جديد ينجون به من مفاسد المدنية المادية ، التي تهدد العمران الاوربي بالزوال

أنا لا أتصور أن يكون الرعب من معارضة دول أوربة الاستعمارية هو الذي يمنع الترك من اقامة الخلافة الاسلامية . فان هذا شكل حكومتنا ، ومقتضى ديننا ، وطالما صرحت هذه الدول بعد الحرب بأنها لا تفتات على المسلمين في أمر الخلافة . وأما الجامعة الاسلامية التي يخافونها فهي مسألة أخرى . ولكل دولة لها رعايا من المسلمين أن تسوسهم بالطريقة التي تراها أحفظ لمصلحتها ، ثم لن يكون الافرنج هم الذين يمنعون إقامة الخلافة ولكن الذي يخشى أن يمنعها انما هم المتفرنجون دون غيرهم وقد شرحنا ذلك من قبل

من المعقول في السياسة أن يطعن المستعمرون للبلاد الاسلامية في جامعة دينية يظنون أنها قد تفضي الى انتقاض أهل هذه البلاد عليهم ، ويخافون أن تكون الخلافة الحق سببا لتحقق هذه الجامعة ، وأن يطعنوا في الشريعة الاسلامية وينفروا المسلمين منها لاجل ذلك ، كما يطعن فيها دعاة النصرانية لهذه العلة والطمع في تنصير المسلمين ، وهذا الخوف من اقامة الخلافة يكون على أشده اذا كان الباعث على اقامتها السياسة المحضة التي يستحل أصحابها كل عمل لاجل مصلحتهم ، وقد يكون دون ذلك اذا كان الباعث دينيا محضا وهو اقامة حكم الاسلام كما شرعه الله تعالى ، وليس من شروطها أن يتبعها جميع المسلمين ، ونحن نعلم أن هذا متعذر غير مستطاع في هذا الزمان ، وتكليف غير المستطاع

ممنوع في الاسلام (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) بل نحن نرى الرأي الغالب في بعض البلاد يأبى إحياء الخلافة حتى اننا نجتهد في اقناع الحكومة التركية الحاضرة به ونشك في قبولها ، فان زعيمها وصاحب النفوذ الاعلى في أقوى أحزابها يصرّح في خطبه بأن السلطة في هذه الحكومة للامة التي يمثلها المجلس الوطني الكبير بلا شرط ولا قيد وانه لا يمكن أن يكون لشخص معين نفوذ فيها مهما يكن لقبه — أي خليفة سمي أو سلطانا —

لما أذاع الاتحاديون عزمهم على انشاء مدرسة جامعة اسلامية في المدينة المنورة وابتداع سجل لطلاب الشفاعة النبوية فيها وقالت الجرائد وغير الجرائد أن مرادهم بذلك احياء الجامعة الاسلامية — كتبت مقالة في هذا الموضوع نشرتها في المجلد السابع عشر من المنار(سنة ١٣٣) قلت فيها نصه :

«وأما رأيي الذي أنصح به للدولة، فهو أن تصدي رجالها السياسيين لتحريك أوتار الجامعة الاسلامية يضر الدولة كثيرا ولا ينفعها الا قليلا ، ويوشك أن تكون هذه الاقوال التي قيلت في هذه المسألة — على قلة تأثيرها — من اسباب ما نراه من شدة تحامل اوربة عليها ، وا كتفي في هذا المقام بالمثل الذي يكرره الامام الغزالي «كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة»

«ومرادي من هذا انه يجب عليها احد امرين :

(الاول) ان تؤسس حكومة اسلامية ، خالية من التقاليد والقوانين الافرنجية ، الا ما كان من النظام ، الذي يتفق مع الشرع ولا يختلف باختلاف الاقوام ، وتعطي مقام الخلافة حقه من احياء دعوة الاسلام ، واقامة الحدود وحرية اهل الاديان ، ولا يعجزها حينئذ أن ترضي غير المسلمين من رعاياها الذين ليس لهم اهواء سياسية ، ولا ضلع مع الدول الاجنبية ، بل يكون ارضاؤهم اسهل عليها منه الآن ان شاءته . ولو كان لي رجاء في اصغائها الى هذا الرأي ، او جعله محل النظر والبحث ، لبينت ذلك بالتفصيل ، ولاوردت ما أعلمه من المشكلات والعقبات التي تعترض في طريق تنفيذه من داخلية وخارجية مع بيان المخرج منها ، ثم ما يترتب عليه من تجديد حياة الدولة وكونه هو المنجي لها من الخطر، وان تراءى لكثير من الناس أنه هو المسرع بالخطر، ظنا منهم أن أوربة تعجل بالاجهاز على الدولة اذا علمت أنها شرعت بنهضة اسلامية،

لعلمها بأن هذه هي حياتها الحقيقية، وكون حياتها بهذا هو ما يصرح به بعض أحرار الاوربيين وان خوف منه بالتمويه والايهام أكثر السياسيين

(الثاني) أن تدع كل ما عدا الامور الرسمية المعهودة لديها من أمور الدين الى الجمعيات الدينية الحرة ، والافراد الذين يدفعهم استعدادهم الى هذه الخدمة ، ولها أن تساعد ما يستحق المساعدة من هذه الاعمال بالحماية ، وكذا بالاعانة المالية من أوقاف المسلمين الخيرية (اذا كانت تريد بقاء الاوقاف العامة في يدها ولم تجب طلاب الاصلاح الى جعل اوقاف كل ولاية في أيدي أهلها) مع بقائها بمعزل عن السياسة وأهلها . ولو لا أن هذا هو رأيي لما اشترطت على رجال الدولة وجمعية الاتحاد إذ عرضت عليهم مشروع الدعوة والارشاد أن يكون في يد جماعة حرة، لاعلاقة لها بالسياسة ، وأن لا تخصص لها اعانة من خزينة الدولة ، بل تكون نفقاتها مما تجمعه هي من الاعانات بأنواعها ومما تعطاه من أوقاف المسلمين الخيرية . (فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله ، إن الله بصير بالعباد) اه

هذا ما كتبناه في ذلك الوقت وقد شرحنا آراء الافرنج في الجامعة الاسلامية وما فيها من الاوهام وما ينبغي للمسلمين مرارا ، في مجلدات المنار

٣٦ - شهادة لوردين للشريعة الاسلامية

ما كل من يتكلم في الاسلام وشريعته من الافرنج يتكلم عن علم صحيح وما كل من لديه علم يقول ما يعتقد فان منهم من تنطقه السياسة بما تريه من مصلحة دولته ، ومنهم المتعصب الذي لا يبحث عن شيء من امر الاسلام الا ما يمكن الطعن فيه لتشكيك المسلمين في دينهم أو لتحريض أعدائهم عليهم . وقد وجد فيهم من قال الحق في الاسلام وشريعته في أحوال اقتضت ذلك

من هؤلاء لورد كرومر الذي طعن الشريعة تلك الطعنة النجلاء التي أقامت مصر وأقعدتها قد اضطر الى انصافها وتقييد ما أطلقه من الطعن فيها بما لا ينكره احد من عقلاء المسلمين، كما أنصفها بكلمة قالها مرة للاستاذ الامام ونشرنا هذا وذاك في مجلد المنار العاشر إذ كان هو بمصر ، فقد قلت في سياق الرد على طعنته ان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى حدثني أنه كان يكلمه مرة في

مسألة اصلاح المحاكم الشرعية في إبان اهتمام الشعب والحكومة بها واعتراض بعض العلماء على اصلاحها ، فأقام له الدلائل على أن الاسلام يدعو الى كل اصلاح ، ويناسب كل زمان ، فقال له اللورد ما ترجمته :

« أتصدق يا استاذ أني أعتقد أن ديناً اوجد مدنية جديدة وقامت به دول عظيمة لا يكون اساسه العدل ؟ هذا محال ، ولكنني اعلم ان هذه المقاومات (اي لاصلاح المحاكم) امور (إكليركية) » اي تقاليد لرجال الدين الاسلامي كتقاليد الكنيسة عند النصارى

هذه الكلمة حملتني على ارسال كتاب الى اللورد هذا نصه :

القاهرة في ٢٠ ربيع الاول سنة ١٣٢٥

جناب اللورد المعظم

أحييك بما يليق بمكانتك ، وان لم يسبق لي شرف المعرفة لحضرتك ، وأرجو أن تمن علي ببضع دقائق من وقتك الثمين تجيبني فيها عن السؤال الآتي الذي يهمني من حيث أنا صاحب مجلة إسلامية تدافع عن الدين وتبحث في فلسفته وهو :

هل عنيت بما قلت في تقريرك الاخير عن الحكم بالشريعة الاسلامية «التي وضعت منذ أكثر من ألف سنة» الدين الاسلامي نفسه الذي هو عبارة عن القرآن الحكيم والسنة النبوية ؟ أم عنيت بذلك الفقه الاسلامي الذي وضعه الفقهاء ؟ فان كنت تعني الثاني فهو من وضع البشر وقد مزجت فيه آراؤهم بما يأخذونه عن الاول وخطأ فيه بعضهم بعضاً وقد ترك حكام المسلمين أنفسهم العمل بكثير منه ولطلاب الاصلاح من المسلمين انتقاد على كثير من تلك الآراء في كل مذهب . وان كنت تعني الاول فهذا العاجز مستعد لان يبين لجنابكم أن معظم ما جاء في الدين نفسه من الاحكام القضائية والسياسية هو من القواعد العامة — وهي توافق مصلحة البشر في كل زمان ومكان لان اساسها درء المفاسد وجلب المصالح بحكم الشورى — وما فيه من الاحكام الجزئية (وهو مقابل المعظم) راجع الى ذلك . وأختم رقيمي مودعا لجنابكم بالتحية والاحترام

منشيء المنار بمصر

محمد رشيد رضا

وقد أجابنا بالكتاب الآتي بنصه العربي موقعا ومؤرخا بخطه الافرنجي وهو

كتاب لورد كرومر الى صاحب المنار

حضرة صاحب الفضيلة العلامة الشيخ رشيد رضا صاحب جريدة المنار

جوابا على خطابكم اقول اني عنيت بما كتبت مجموع القوانين الاسلامية التي تسمونها الفقه لانها هي التي تجري عليها الاحكام ولم اعن الدين الاسلامي نفسه ولذلك قلت في هذا التقرير الاخير وفي غيره بوجوب مساعدة الحزب الاسلامي الذي يطلب الاصلاح ويسير مع المدنية من غير ان يمس اصول الدين . ولعل العبارة التي كتبتها بتقريري كانت موجزة فلم تؤد المراد تماما واقبلوا ياحضرة الاستاذ احترامي الفائق

في ٤ مايو سنة ١٩٠٧ كرومر

كلمة لورد كتشنر للسيد الزهراوي

زار السيد عبد الحميد الزهراوي عقب تعيينه عضواً في مجلس الاعيان العثماني مصر ونزل ضيفا عند صديقه صاحب المنار ، وزار لورد كتشنر العميد البريطاني في ذلك الوقت بايعاز وكنت معه فكان مما قاله له اللورد باللغة العربية: [1] « ان الدولة العثمانية لا تصلح بالقوانين التي تقتبسها منا — معشر الاوربيين — ونحن ما صلحت لنا هذه القوانين الا بعد تربية تدريجية في عدة قرون كنا نغير فيها ونبدل بحسب اختلاف الاحوال ، وان عندكم شريعة عادلة موافقة لعقائدكم ولاحوالكم الاجتماعية ، فالواجب على الدولة ان تعمل بها وتترك قوانين اوربة فتقيم العدل وتحفظ الامن وتستغل بلادها الخصبة ، وعندي انها لا تصلح بغير هذا »

هذا الكلام حق وان جاز على قائله الجهل والخطأ فيما يظن انه لا يصلح لنا من قوانين اوربة ونحن نعلم ان كل ما لديهم من حق وعدل في ذلك فشريعتنا قد سبقت الى تقريره كما علم مما تقدم ولتفصيل ذلك مقام آخر

(١) نشرنا هذا في ص ٧٧ م ١٧ من المنار

أهل الصفة

(وأباطيل بعض المتصوفة فيهم وفي الاولياء وأصنافهم والدعاوى فيهم)

لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية قدس سره

تابع لما قبله

وقد غزا النبي صلى الله عليه وسلم غزوات متعددة وكان القتال منها في تسع مغاز مثل بدر ، وأحد ، والخندق ، وخيبر ، وحنين ، وانكسر المسلمون يوم أحد وانهزموا ثم عادوا يوم حنين ونصرهم الله ببدر وهم أذلة ، وحصروا في الخندق حتى دفع الله عنهم أولئك الاعداء وفي جميع المواطن (كان) يكون المؤمنون من أهل الصفة وغيرهم مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يقاتلوا مع الكفار قط

ومما يظن هذا ويقوله من الضلال والمنافقين قسمان (قسم منافقون) وان أظهروا الاسلام وكان في بعضهم زهادة وعبادة يظنون أن الى الله طريقا غير الايمان بالرسول ومتابعته وان من أولياء الله من يستغني عن متابعة الرسول كاستغناء الخضر عن اتباع موسى وفي هؤلاء من يفضل شيخه أو عالمه أو ملكه على النبي صلى الله عليه وسلم اما تفضيلا مطلقا أو في بعض صفات الكمال وهؤلاء منافقون كفار يجب قتلهم بعد قيام الحجة عليهم فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى جميع الثقلين انسهم وجنهم ، زهادهم وملوكهم وموسى عليه السلام انما بعث الى قومه لم يكن مبعوثا الى الخضر ولا كان يجب على الخضر اتباعه بل قال له اني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه . وأنت على علم من الله تعالى علمكه الله لا أعلمه . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة» وقال الله تعالى (يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات و الارض) وقال تعالى (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا

(والقسم الثاني) من يشاهد ربوبية الله تعالى لعباده التي عمت جميع البرايا ويظن أن دين الله الموافقة للقدر سواء كان ذلك في عبادة الاوثان واتخاذ الشركاء

والشفعاء من دونه وسواء كان فيه الايمان بكتبه ورسله والاعراض عنهم والكفر بهم. وهؤلاء يسوون بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبين المفسدين في الارض وبين المتقين والفجار، ويجعلون المسلمين كالمجرمين ويجعلون الايمان والتقوى والعمل الصالح بمنزلة الكفر والفسوق والعصيان وأهل الجنة كأهل النار وأولياء الله كأعداء الله، وربما جعلوا هذا من باب الرضا بالقضاء وربما جعلوه التوحيد والحقيقة، بنوا على أنه توحيد الربوبية الذي يقر به المشركون وأنه الحقيقة الكونية . وهؤلاء يعبدون الله على حرف فان أصابهم خير اطمأنوا به وان أصابتهم فتنة انقلبوا على وجوههم خسروا الدنيا والآخرة. وغايتهم يتوسعون في ذلك حتى يجعلوا قتال الكفرة قتالا لله وحتى يجعلوا أعيان الكفار والفجار والاوثان من نفس الله وذاته، ويقولون ما في الوجود غيره ولا سواه، بمعنى أن المخلوق هو الخالق والمصنوع هو الصانع ، وقد يقولون (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) ويقولون (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) الى نحو ذلك من الاقوال والافعال التي هي شر من مقالات اليهود والنصارى بل ومن مقالات المشركين والمجوس وسائر الكفار من جنس مقالة فرعون والدجال ونحوهما ممن ينكر الصانع الخالق البارىء رب العالمين أو يقولون إنه هو أو إنه حل فيه

وهؤلاء كفار بأصل الاسلام ، وهو شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فان التوحيد الواجب أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا فلا نجعل له ندا في ألوهيته ولا شريكا ولا شفيعا. فأما توحيد الربوبية وهو الاقرار بأنه خالق كل شيء فهذا قد قاله المشركون الذين قال الله فيهم (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) قال ابن عباس تسألهم من خلق السموات والارض ؟ فيقولون «الله» وهم يعبدون غيره. وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله قل فأنى تسحرون)

فالكفار المشركون مقرون بأن الله خالق السموات والارض وليس في جميع الكفار من جعل لله شريكا مساويا له في ذاته وصفاته وأفعاله، هذا لم يقله أحد قط لا من المجوس الثنوية ولا من أهل التثليث ولا من الصابئة المشركين الذين يعبدون الكواكب والملائكة ولا من عباد الانبياء والصالحين ولا من عباد التماثيل والقبور وغيرهم فان جميع هؤلاء وان كانوا كفارا مشركين متنوعين في الشرك فهم يقرون بالرب الحق الذي ليس له مثل في ذاته وصفاته وجميع أفعاله ولكنهم مع هذا مشركون به في الوهيته بأن يعبدوا معه آلهة أخرى يتخذونها شركاء أو شفعاء — أو في ربوبيته بان يجعلوا غيره رب الكائنات دونه مع اعترافهم بانه رب ذلك الرب وخالق ذلك الخالق

وقد أرسل الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب بالتوحيد الذي هو عبادة الله وحده لاشريك له كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ؟) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقال تعالى (يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم * وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون)

وقد قالت الرسل كلهم مثل نوح وهود وصالح وغيرهم (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) فكل الرسل دعوا الى عبادة الله وحده لاشريك له والى طاعتهم والايمان بالرسل هو الاصل الثاني من أصلي الاسلام فمن لم يؤمن بأن هذا (١) رسول الله الى جميع العالمين وانه يجب على جميع الخلق متابعته وان الحلال ما أحله والحرام ما حرمه والدين ماشرعه فهو كافر مثل هؤلاء المنافقين، ونحوهم من يجوز الخروج عن دينه وشريعته وطاعته اما عموما واما خصوصا ويجوز اعانة الكفار والفجار على افساد دينه وشريعته ويحتجون بما يفترونه أن اهل الصفة قاتلوه وانهم قالوا نحن مع الله من كان

(١) المناسب ان يقال : بان محمدا (ص)

مع الله كنا معه يريدون بذلك الحقيقة الكونية دون الامر والحقيقة الدينية ويحتج بمثل هذا من ينصر الكفار والفجار ويخفرهم بهمته وقلبه وتوجهه من ذوي الفقر، ويعتقدون مع هذا أنهم من أولياء الله وان الخروج عن الشريعة المحمدية سائغ لهم، وكل هذا ضلال وباطل وان كان لاصحابه زهد وعبادة فهم في العبادة مثل أوليائهم في الاجناد، فان المرء على دين خليله والمرء مع من أحب هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم

وقد جعل الله المؤمنين بعضهم اولياء بعض والكافرين بعضهم أولياء بعض، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال المارقين من الاسلام مع عبادتهم العظيمة الذين قال فيهم « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد » وهؤلاء قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لما خرجوا عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وفارقوا جماعة المسلمين، فكيف بمن يعتقد أن المؤمنين كانوا يقاتلون النبي صلى الله عليه وسلم

ومثل هذا ما يرويه بعض هؤلاء المفترين ان اهل الصفة سمعوا ما خاطب الله به رسوله ليلة المعراج وان الله أمره أن لا يعلم به أحداً فلما أصبح وجدهم يتحدثون به فأنكر ذلك فقال الله له أنا أمرتك أن لا تعلم به احدا لكن أنا الله أعلمتهم الى أمثال هذه الاكاذيب التي هي من اعظم الكفر وهي كذب واضح فان اهل الصفة لم يكونوا الا بالمدينة ولم يكن بمكة اهل صفة والمعراج إنما كان من مكة كما قال سبحانه وتعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله) ومما يشبه هذا من بعض الوجوه رواية بعضهم عن عمر رضي الله عنه انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحدث هو وأبو بكر وكنت كالزنجي بينهما . وهذا من الافك المختلق، ثم إنهم مع هذا يجعلون عمر الذي سمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم وصديقه وهو أفضل الخلق بعد الصديق لم يفهم ذلك الكلام بل كان كالزنجي ويدعون أنهم هم سمعوه وعرفوه، ثم كل منهم يفسره بما يدعيه من الضلالات

الكفرية التي يزعم أنها علم الاسرار والحقائق إما الاتحاد وإما تعطيل الشرائع ونحو ذلك مثلا ما يدعي النصيرية والاسماعيلية والقرمطية والباطنية الثنوية والحاكمية وغيرهم — من الضلالات المخالفة لدين الاسلام ماينسبونه الى علي بن أبي طالب أو جعفر الصادق أو غيرهما من أهل البيت كالبطاقة والهفت والجدول والجفر وملحمة بن عقب وغير ذلك من الاكاذيب المفتراة باتفاق جميع أهل المعرفة وكل هذا باطل، فانه لما كان لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم به اتصال النسب والقرابة ، والاولياء والصالحين منهم ومن غيرهم به اتصال الموالاة والمتابعة ، صار كثير ممن يخالف دينه وشريعته وسنته يموه باطله ويزخرفه بما يفتريه على أهل بيته وأهل موالاته ومتابعته وصار كثير من الناس يغلو إما في قوم من هؤلاء أو من هؤلاء حتى يتخذهم آلهة أو يقدم ما يضاف اليهم على شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وسنته وحتى يخالف كتاب الله وسنة رسوله وما اتفق عليه السلف الطيب من أهل بيته ومن أهل الموالاة له والمتابعة وهذا كثير في أهل الضلال

﴿ فصل ﴾ وأما تفضيل أهل الصفة على العشرة وغيرهم فخطأ وضلال بل خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر كما تواتر ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب موقوفا ومرفوعا وكما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الامة وأئمة العلم والسنة وبعدهما عثمان وعلي وكذلك سائر أهل الشورى مثل طلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وهؤلاء مع أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الامة ومع سعيد بن زيد هم العشرة المشهود لهم بالجنة وقد قال الله تعالى في كتابه (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) ففضل السابقين قبل فتح الحديبية الى الجهاد بأنفسهم وأموالهم على التابعين بعدهم وقال الله تعالى (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) وقال تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان)

وقد ثبت في فضل البدريين ما تميزوا به على غيرهم وهؤلاء الذين فضلهم

الله ورسوله فمنهم من هو من اهل الصفة، والعشرة لم يكن فيهم من هو من اهل الصفة الا سعد بن أبي وقاص فقد قيل انه اقام بالصفة مرة، واما اكابر المهاجرين والانصار مثل الخلفاء الاربعة ومثل سعد بن معاذ واسيد بن الحضير وعباد بن بشر وابي ايوب الانصاري ومعاذ بن جبل وابي بن كعب ونحوهم لم يكونوا من اهل الصفة بل عامة اهل الصفة انما كانوا من فقراء المهاجرين، والانصار كانوا في ديارهم ولم يكن احد ينذر لاهل الصفة ولا لغيرهم

﴿ فصل ﴾ واما سماع المكاء والتصدية وهو الاجتماع لسماع القصائد الربانية سواء كان بكف او بقضيب او بدف او كان مع ذلك شبابة فهذا لم يفعله احد من الصحابة لا من اهل الصفة ولا من غيرهم ولا من التابعين بل القرون الثلاثة المفضلة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم « خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» لم يكن فيهم أحد يجتمع على هذا السماع لا في الحجاز ولا في الشام ولا في اليمن ولا في العراق ولا مصر ولا خراسان ولا المغرب

وانما كان السماع الذين يجتمعون عليه سماع القرآن وهو الذي كان الصحابة من أهل الصفه وغيرهم يجتمعون عليه فكان أصحاب محمد اذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم يقرأ والباقي يستمعون وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أهل الصفة وفيهم قاريء يقرأ فجلس معهم، وكان عمر بن الخطاب يقول لابي موسى ياأبا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون وكل من نقل أنهم كان لهم حاد ينشد القصائد الربانية بصلاح القلوب أو انهم لما أنشد بعض القصائد تواجدوا على ذلك أو انهم مزقوا ثيابهم أو أن قائدا أنشدهم

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقي
الا الطبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقي

أو أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال «ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم » أنشدوا شعرا وتواجدوا عليه فكل هذا وأمثاله كذب مفترى وكذب مختلق باتفاق أهل الآفاق من أهل العلم وأهل الايمان لا ينازع في ذلك

الا جاهل ضال وان كان قد ذكر في بعض الكتب شيء من ذلك فكله كذب باتفاق أهل العلم والايمان

﴿ فصل ﴾ وأما قوله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) فهي عامة فيمن تناوله هذا الوصف مثل الذين يصلون الفجر والعصر في جماعة فانهم يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه سواء كانوا من اهل الصفة أو غيرهم. أمر الله نبيه بالصبر مع عباد الله الصالحين الذين يريدون وجهه وأن لا تعدو عيناه عنهم (تريد زينة الحياة الدنيا) وهذه الآية في الكهف وهي سورة مكية وكذلك الآية التي هي في سورة الانعام (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين)

وقد روي أن هاتين الآيتين نزلتا في المؤمنين المستضعفين لما طلب المستكبرون أن يبعدهم النبي صلى الله عليه وسلم فنهاه الله تعالى عن طرد من يريد وجهه وان كان مستضعفا ثم أمره بالصبر معهم وكان ذلك قبل الهجرة الى المدينة وقبل وجود الصفة لكن هي متناولة لكل من كان بهذا الوصف من اهل الصفة وغيرهم

والمقصود بذلك أن يكون مع المؤمنين المتقين الذين هم اولياء الله وان كانوا فقراء ضعفاء فلا يتقدم أحد عند الله تعالى بسلطانه وماله ولا بذله وفقره وانما يتقدم عنده بالايمان والعمل الصالح فنهى الله سبحانه وتعالى أن يطاع(١) أهل الرئاسة والمال الذين يريدون ابعاد من كان ضعيفا أو فقيرا وأمره أن لا يطرد من كان منهم يريد وجهه وأن يصبر نفسه معهم في الجماعة التي أمر فيها بالاجتماع بهم كصلاة الفجر والعصر ولا يطيع أمر الغافلين عن ذكر الله المتبعين لاهوائهم

(لها بقية)

(١) لعل الاصل : فنهى الله سبحانه وتعالى نبيه ان يطيع الخ بدليل ما عطف عليه من قوله : وامره الخ

الخطاب

الذي خاطب به المحكمة الانكليزية العالم العلامة الاستاذ أبو الكلام

إني قد كنت عازما على أن لا أقدم الى المحكمة بيانا ما، لانها مكان لا رجاء لنا فيه، ولا طلب منه، ولا شكوى اليه، وإنما هي كمنعرج الطريق الى المنزل لا بد من قطعه للسابل، ولذا نقف فيه وقفة على كره منا، والا لدخلنا السجن توا

إن الجمعية الوطنية وجمعية الخلافة وجمعية العلماء قد أبحن تقديم بيان الى الحاكم، لا للدفاع بل لاعلام الامة بالحقيقة، بيد أني ما برحت أشير على الناس بان يؤثروا الصمت على الكلام، وأن يقاطعوا الحاكم مقاطعة تامة. وذلك لاني أرى أن كل من يقدم بيانا لدحض التهمة وكشف الحق — وإن كان قصده به اعلام الجمهور — لا يسلم من الظنة، اذ يجوز أن يكون في نفسه أدنى هوى للتخلص من العقاب، أو في أعماق قلبه أقل رجاء في عدل الحاكم. مع أن سبيل « تارك التعاون » مستقيم نير، لا ينبغي أن توسخه الظنون والشبهات.

اليأس التام من العدل

إن « اللاتعاون » نتيجة لليأس التام من الحالة الحاضرة، وهذا اليأس هو الذي ألجأ الامة الى أن تغيرها، وتستبدل غيرها بها، فكأن من يقاطع الحكومة ويأبى معاونتها، يعلن بانه يئس من عدلها وحبها الحق، وأنه لا يعترف بها بل يعدها حكومة غاصبة جائرة وغير شرعية، ولهذا يود إسقاطها وتحطيمها. أفبعد هذا يرجع القهقري فينتظر منها أن تنصفه كحكومة عادلة صالحة للبقاء والدوام ؟

وان غضضنا الطرف عن هذه الحقيقة الثابتة، فان السعي للتبرئة من التهمة ليس الا فعلا عبثا وانكاراً للحقائق. اذ كل بصير يعلم أنه لا رجاء في الحاكم أن تنصف وتعدل في الحالة الحاضرة، لا لان رجالها لا يحبون العدل، بل لانها سائرة على نظام لا يستطيع معه حاكم أن ينصف أولئك الذين لا تريد الحكومة نفسها أن تنصفهم

واني ههنا أصرح بان خطاب « اللاتعاون » ليس مع الافراد والآحاد ، بل مع الحكومة ونظامها ومبادئها

موقف أصحاب الحق أمام المحاكم والقضاة !

إن هذه الحالة مثل سائر حالات عصرنا ليست بفذة ، فالتاريخ شاهد على أنه كلما طغت القوات الحاكمة ورفعت السلاح في وجه الحرية والحق ، كانت المحاكم آلات مسخرة بأيديها تفتك بها كيف تشاء ، وليس هذا بعجيب ، فان المحاكم تملك قوة قضائية ، وتلك القوة يمكن استعمالها في العدل والظلم على سواء ، فهي في يد الحكومة العادلة أعظم وسيلة لاقامة العدل والحق . وبيد الحكومات الجائرة أفظع آلة للانتقام والجور ومقاومة الحق والاصلاح

والتاريخ يدلنا على ان قاعات المحاكم كانت مسارح للفظاعة والظلم بعد ميادين القتال ، فكما أهريقت الدماء البريئة في ساحات الحروب ، حوكمت النفوس الزكية في ايوانات المحاكم ، فشنقت وصلبت وقتلت والقت في غياهب السجون . وليس هنالك عصبة صالحة محبة للحق من الانبياء والحكماء والعلماء والصالحين ، إلا ونراها واقفة كالجناة والمجرمين في قاعات المحاكم امام القضاة . نعم ان كر الايام ومر العشي قد محا كثيرا من مساوىء العهد القديم . فلا يوجد الآن شيء من المحاكم الرومية للقرن الثاني المسيحي. ولاجمعيات التفتيش السرية (Jnquisifon) التي كانت في القرون المتوسطة. ولكني لااستطيع الاعتراف بان عصرنا هذا قد نجا من تلك العوامل النفسية التي كانت تعمل في تلك المحاكم — حقا ان تلك الابنية التي كانت مكامن للاسرار الرهيبة قد دكت دكا . ولكن من ذا الذي يقدر ان يقلب تلك القلوب التي تكمن فيها الاسرار المخيفة لحب الذات والظلم ؟

مقام عجيب ولكنه عظيم !

ان جدول مظالم المحاكم وفظائعها طويل عريض — تلك المظالم التي لم يفرغ

التاريخ الى الآن من البكاء منها - فنرى فيه اسم المسيح (ص) الانسان الكامل الذي اوقف مع اللصوص في محكمة اجنبية . وسقراط الحكيم الذي اضطر الى شرب كأس السم ، لانه كان اصدق رجل في بلاده . وكذا فلورنس غيليلو الذي لم يكذب مشاهداته العلمية لانها كانت جناية في عين القضاة والحاكم — وصفت المسيح بالانسان الكامل لاني اعتقد انه انسان . ولكن الملايين من الناس يعتقدون انه فوق هذا — اذن ما اعجب قفص الجناة ! وما اعظم شأنه ! إنه موقف للصنفين معاً : الابرار والاشرار ! حتى انه كان لائقا بهذا الوجود العظيم !

حمداً وشكراً

واني اذ أتدبر التاريخ العظيم لهذا الموقف ، وأراني قد شرفت بالوقوف فيه ، يسبح روحي بحمد الله ويلهج لساني بشكره من غير قصد مني ، وهو وحده يعلم ما أجده من الجذل والابتهاج ، اذ أحسبني في هذا القفص محسوداً للملوك والسلاطين العظام ، فاين لهم في قصورهم المريحة تلك المسرة والراحة التي يرقص لها قلبي في صدري ؟ وياليت الانسان الغافل والعاكف على هواه ، يشعر بنفحة منها ! واني أقول حقا إنه لو أدركها الناس لتمنوا المثول في هذا المكان ، ولنذروا النذور لاجله !

لم أخاطب المحكمة ؟

إني كنت عازما على السكوت في المحكمة ولما أحضرت فيها ورأيت الحكومة تقدم في اثبات جريمتي الخطبتين اللتين ألقيتا في بعض مجامع (كلكتا) وهما لا يحتويان على جميع الامور التي ما زلت أكررها في جميع خطبي ورسائلي ومقالاتي التي تعدو الحصر ، واني ان قدمت كانت انفع لمقصدها — علمت انها عاجزة حتى عن تهيئة ذلك المستند الذي يعتبر في هذه الايام كافيا لانزال العقاب . مع شدة رغبتها وحرصها على سجني — فغيرت قصدي وقلت ان العلة التي كانت مانعة من الكلام أصبحت موجبة له . فأردت أن أثبت بلساني

الامر الذي لا تستطيع الحكومة اثباته مع علمها به وشدة رغبتها في اثباته — واني أعلم ان قوانين المحاكم لا توجبه علي ، ولا تضطرني الى الاعتراف به من تلقاء نفسي . ولكن قانون الحقيقة فوق هذه القوانين الوضعية . وهو الذي يسوقني الى ما سأقوله . اذ ليس من الحق أن نذر شيئا مستورا . لان الخصم لا يستطيع اثباته

الاعتراف بالجناية

ان الاستبداد الذي ابتليت به الهند نوع من ذلك الاستبداد الذي يصيب الامم في طور ضعفها ووهنها . وهو من طبعه يبغض الحركة الوطنية والحرية والمطالبة بالحقوق بغضا شديدا . لانه يعلم أنها اذا نجحت سقطت قوته الظالمة وامحى وجوده الفاحش ، وما من وجود يحب سقوط نفسه وزواله مهما يكن زواله ضروريا في عين الحق والانصاف ، فالتدافع بين الحرية والاستبداد «تنازع البقاء» و«تزاحم في الحياة» كل من الفريقين يجد ويكد للفوز والبقاء : الامة تريد أن تنال حقها المغصوب ، والاستبداد يأبى عليها ولا يريد التزحزح عن مقامه ، ولا تثريب عليه ، لانه — وان كان وجوده خلافا للحق — يدافع عن نفسه وحياته ، وليس لنا أن ننكر مقتضيات الطبيعة ، فكما يسعى الخير لبقائه ، يسعى الشر أيضا ، ومهما يكن ملوما في نفسه لا يلام على رغبته في الحياة

وقد بدأ التزاحم في الهند بين هاتين القوتين : الحرية والاستبداد — فليس ببدع أن تكون الحرية والمطالبة بالحقوق جناية في عين الاستبداد . وأن يكون محاربو وجوده الباطل جناة وأئمة وأهلا للعقاب الشديد — فمادام الامر كذلك فاني أعلن على مسمع من المحكمة والحكومة بانني أنا قد ارتكبت هذه الجناية ارتكابا واقترفتها اقترافا . وان كانت الحكومة لا تعلم — وهي لتعلم — فلتعلم الآن أني من اولئك الجناة الذين بذروا بذور هذه الجناية في قلوب أمتهم . ووقفوا حياتهم على سقيها وتنميتها وتثميرها . بل اني ولا فخر — أول مسلم في الهند دعا أمته من اثني عشرة سنة الى هذه الجناية دعوة عامة ، وحول وجهتها في خلال ثلاث سنوات عن العبودية التي كانت الحكومة زينتها لها الى الحرية

التي قد أشرقت شمسها الآن ولن تنكسف أبدا . فإن كنت آثما في زعمها فلتعاقبني بما تشاء . فها أناذا معترف بالجناية بصدر رحب ولسان طلق غير جزع منها ولا نادم عليها . لأن هذا ما كنت أتوقعه وأعرفه من قبل !

وإني لا أنتظر من الحكومة إلا الغلظة والقسوة لأني وإن ألفيتها تدعي العصمة من الخطأ والزلل ولا تعترف بذنوبها . أعلم أنها ما ادعت أبدا أنها مثل المسيح في لينه وحنانه . فإذن كيف أنتظر منها أن تقبل أعداءها وتحبهم كأصدقائها ؟ واعلم أنها لا تعاملهم إلا بتلك المعاملة التي نراها منها الآن . والتي ما زال الاستبداد يختارها لمحق الحرية والحق وخنق أصحابه وحماته - فالشدة والغلظة من الحكومة شيء طبيعي لا ينبغي لنا أن نشكو أو نعجب منه . بل على كل من الحزبين أن يعملا على مكانتهما حتى يفصل الله بينهما وهو خير الفاصلين

(ثم قال بعد هذا انه لم يقبض عليه لأجل الخطبتين اللتين قدمتا في المحكمة بل ليخلو للحكومة جو كلكتا . كيلا يقاطع احتفال ولي عهد انكلترة عند قدومه اليها . وتضعف الحركة الوطنية والاسلامية . ثم ذكر أشد ما في الخطبتين وهو ما يلي) :

أشد ما في الخطبتين

« ان الحكومة التي تأسست على الظلم لظالمة وهي إما أن تتوب من ذنوبها وفظائعها وتخضع للحق وأما أن تزول من الوجود ! »

أيها الناس ! إن كنتم تتألمون لاخوانكم الذين قبض عليهم فعلى كل منكم أن يبت في نفسه الآن : هل هو راض بأن تظل هذه الحكومة قائمة في بلادنا كما كانت عند القبض على اخواننا ؟

اذا كنتم تريدون تحرير بلادكم من رق العبودية فطريقته واحدة وهي أن لا تدعوا فرصة لأعدائكم الماكرين لاستعمال أسلحتهم القتالة التي عندهم بغير حساب . . .

إن بعض الناس يظن أن الخطيب اذا فاه بمثل هذه الاقوال يحتاط لنفسه ، والا فانه بالحقيقة لا يقصد بها شيئا ، ولكني أيها الاخوان أعتقد أنه ليس فيكم أحد يحسب أولئك الذين يتعبون لاجلكم خوافين من السجن أو الاعتقال ، أو مخاصين لهذه الحكومة الظالمة في نفسها وقوتها بقولهم ان أعمالنا يجب أن تكون بالامن والنظام — لا ، لا ، ان هذا لا يتصور أبداً ، بل الحق الذي لامراء فيه أنهم يقولون ذلك لانهم يرون نجاحكم متوقفا على الامن والنظام اذ أنتم لا تملكون تلك الآلات الجهنمية التي تتسلح بها هذه الحكومة ، وانما الاسلحه التي لديكم هي الايمان والضمير وقوة التضحية — فاستعملوها في وجهها تنجحون ، والا فلا نجاح لكم بالاسلحة المادية »

أيها الناس ! ان كنتم تريدون أن تعرقلوا الحكومة برهة من الزمان فطرقه كثيرة ، ولو كنت لا سمح الله من المحبين للحكومة لبحث بها ودعوتكم اليها ولكن الذي أريده منكم هو (الحرب الحرب) الحرب التي لاتنتهي في يوم واحد بل تمتد الى يوم الفصل ، وما أدراكم مايوم الفصل؟ اليوم الذي إما أن تمحى فيه هذه الحكومة الجائرة واما ان تفني ثلاثمائة مليون من النفوس البشرية !

الاعتراف فوق الاعتراف

ان كانت هذه التصريحات (جناية) فانى معترف أن قلبي قد اشتغل بها ولساني نطق بها وانى أنا الذى صرحت بها أمام عشرات الالوف من الناس ، ليس في هاتين الخطبتين فقط بل في خطب أكثر من أن تعد وتحصى ، بل ما برحت أقول أكبر وأشد منها، ذلك بانى أعتقد أن الصدع بها واجب علي ولن يمنعني من أداء الواجب كونه معاقبا عليه بقانون ١٢٤ من القوانين الهندية (١) بل اني لاجدني الآن مدفوعا الى التصريح بها أمام المحكمة ولا أزال قائلا بها

(١) أن مادة ١٢٤ هذه مثل المادة ١٥١ من القوانين المصرية الخاصة بالذين يحرضون على كراهية الحكومة باي واسطة من وسائط النشر أو الصور أو الكلام أو الخطابة الخ (المترجم)

مادام لساني بين أسناني ، وروحي في جثماني - وإن لم أفعل ذلك أكن ظالما لنفسي وعاصيا عند الله وعند الناس أجمعين !

الحكومة الحاضرة « ظالمة ! »

نعم أني قلت « ان الحكومه الحاضرة ظالمة » وان لم أقل هـذا فماذا اقول يا ترى ؟ وأيم الله اني لاعجب كيف يطلب مني أن أسمي شيئا بغير اسمه وأن أدعو الاسود بالا بيض ؟

ان ما قلته هو اهون ما يجب ان يقال في هـذا الباب ، اذ لا اعـلم حقيقة ملفوظة اخف منه

لا ريب أني ما زلت اقول انه ليس الا ان تتوب الحكومة من آثامها وتغير خطتها وترجع عن ظلمها فان لم تستطعه فبعـداً لها وسحقا ! وليت شعري ماذا يقال غير هذا ؟ الشر اما ان يصلح واما ان يزول ، وهل بينهما طريق آخر ؟ ان هذه الحقيقة قديمة العهـد طويلة العمر لا يضاهيها في الكبر الا الجبال والبحار واني ما دمت اعتقد ان هـذه الحكومة من اولها الى آخرها شر على شر فكيف استطيع ان ادعو لها واقول : دومي ولا تصلحي

لماذا أعتقد هذا ؟

لماذا اعتقده انا وملايين من ابناء وطني واخوان ديني ؟ الجواب اصبح الآن واضحا جليا حتي يصح ان يعبر عنه بقول الشاعر الانجليزي (ملتون) : انه بعد الشمس اوضح شيء واجلى محسوس . على اني اصرح هنا بأني اعتقد ذلك لاني هندي ولاني مسلم ولاني انسان

الحكم الشخصي ظلم بالذات

اني أعتقد أن الحرية حق طبيعي لكل انسان ولكل أمة ، فطرة الله التي فطر الناس عليها - وليس لشخص أو حكومة أن تستعبد عباد الله وتتخذهم خولا - وسم الاستعباد والرق بأي اسم شئت ، غير أنه على كل حال استعباد ورق ،

ومشيئة الله وناموسه بمقته وبنفيه ، واني لاجله لا أعرف بالحكومة الهندية الهندية ، بل أعدها حكومة غير شرعية ، لانها مستبدة طاغية ، استعبدت البلاد وقهرت العباد ، داست الشرائع وخانت المواثيق ، ليسخطها الشعب ويمجدها الحق ، فهي معدومة في نظر الامة وان كانت موجودة بقوة السلاح ، وأرى واجباتي الدينية والوطنية والانسانية تطالبني بأن أحرر بني جلدتي من رقها وعبوديتها الشائنة .

ولا يقاطع كلامي « بالاصلاحات الادارية » و « الترقي التدريجي » كلمات خططتها الحكومة وزخرفتها لتخادع به البله والحمقى — أما أنا فلا أخدع بها ، إذ الحرية في اعتقادي حق طبيعي للانسان ، وليس لاحد أن يحدد ويقسم في تأدية الحقوق ، وان مثل الذي يقول ان أمة تنال حريتها تدريجا كمثل الذي يقول للدائن يرد اليك الدين أقساطا قسطا ، نعم ان لم يستطع أخذه دفعة واحدة يضطر الى قبوله بالاقساط ، ولكن لا يسقط به حق الاخذ مرة واحدة

« الاصلاحات » وما هي « الاصلاحات » وان هي الا كما قال الفيلسوف الروسي تولستوي : « أن أبيح للمسجونين انتخاب سجانهم بالاصوات ، فانهم لا يصيرون به أحرارا »

الحكومة الحاضرة حسنة أو قبيحة ؟ سؤال ثانوي ، أما السؤال الاساسي فهو : هل وجودها حق وشرعي ؟ فاني أعتقد ان مثل هذه الحكومة الاجنبية المتسلطة ، باعتبار أصل خلقتها غير شرعية ، لان نفس وجودها ظلم وشر ، فهي لو لم ترتكب جميع تلك الفظائع التي ارتكبتها بهذه الكثرة ، لكانت في اعتقادي ظالمة وجائرة ، ويكفي لقبحها وشناعتها أنها موجودة — نعم نعترف بحسناتها ان كانت لها حسنات ، ولكن يظل وجودها على كل حال ظلما وغير شرعي — ومثاله أن لو تسلط أحد على بيتنا وأدارها إدارة حسنة وعمل أعمالا صالحة ، فانه بهذه الحسنات لا يصير تسلطه حقا وشرعيا .

— ان الشر يصح أن ينعت ويقسم بالكم والكيف ، فتقول « كم هو وكيف

هو ؟ » ولكن لا يصح نعته وتقسيمه بالحسن والقبيح ، فلا تقول « أحسن هو أم قبيح ؟ » ثم يقال « سرقة قبيحة » و « سرقة أقبح » ولكن لا يقال « سرقة حسنة » و « سرقة قبيحة » وهكذا الاستبداد ، فاني لا أستطيع أن أتصوره حسنا وشرعيا في حال من الاحوال ، لانه بذاته ووجوده قبيح وشر وغير شرعي نعم ربما يوجد نوع من الاستبداد أخف وطأة وأقل ظلما وأكثر لينا من غيره ، ولكن الاستبداد الذي دهم الهند لم يقف عند قبحه الخلقي ، بل ما زال يكتسب السيئات فوق السيئات ، والمنكرات تلو المنكرات ، ظلمات بعضها فوق بعض ، فاذن كيف لا يعلن ظلمه ولا يشهر قبحه ، ولا يشدد النكير عليه ؟ للكلام بقية

انتداب العرب في سويسرة

في القرون الوسطى

طرفة تاريخية من قلم الامير شكيب ارسلان الشهير

٣

آثار العرب في سويسرة

لم تزل للعرب آثار كثيرة في سويسرة منها برج الشارازين (لا يخفى أن لفظة سارازين كان يطلقها الافرنج على المسلمين في القرون الوسطى واختلفوا كثيرا في أصل هذه الكلمة وكيفية اشتقاقها وقرأت في رحلة ابن بطوطة أن الملك الرومي الذي كان في القسطنطينية سأله هل ألت سرا كنوا ؟ قال وهذا اللفظ معناه المسلم بلغتهم) وهو برج بقرب بلدة فيفاي بجوار (مونترو) من مقاطعة (الوزان) ، ومما ينسب اليهم مغارة وكهف في جهات لوسانس .

وقال بعض المؤرخين ممن نقل عنه كارد من المحقق أن عصابات العرب زحفت الى (الجورة) وبحيرة نيف وانه لم يوجد من مؤرخينا من يذكر دخولهم

الى روراسيه) وكانت كتبنا صامتة عن ذلك — فالتواتر ورواية الاخلاف عن الاسلاف متصلة بالسند تقومان مقام ذلك ، وكثيرمن أسماء هذه البلاد تدل على وقوع هذه الغزاة

وعلى نصف ساعة من دفليه في الجبل من جهة الشمال الغربي على مقربة من الطريق الروماني المؤدي من دليمون الى آجوا يوجد مضيق بين جندلين اسمه كهف (السارازين) . وشيوخ دفليه يروون عن آبائهم واجدادهم خلفا عن سلف أن هذا المكان كانت أقامت فيه شرذمة من (السارازين) كانوا يوردون جمالهم (يظهر أنه أينما تكون العرب تكون الجمال ولو في قلب أوربا) ماء سورن بقرب كورتتل — وهذا اسم طريق روماني مهجور الآن ثم على أحد صخور غار السارازين عدد ٢٣ منقور نقرا غريبا بأرقام عربية ولا يعرف السبب في نقر هذا العدد خاصة لانقطاع سند التواتر وعدم وجود تاريخ لذلك وانما المعروف أن العرب كانوا مقيمين هناك دركا . ثم انه بقرب روسميزون تجاه جبل شبوت يوجد طريق اسمه طريق السارازين

ثم انه يوجد في بلاد البيامون ووادي ساس في الجبل طريقان أحدهما يمر من فوركنتل مخترقا ممر أنترونه والثاني يمر من مونتومورو أي جبل المورو — وهو المسلم المغربي في عرف الافرنج — وكل من المضيقين كان الى سنه ١٤٤٠ يقال له الممر القديم ويقول فرديناند كار نقلا عن المؤرخين انه مما لا يجوز أن ننساه أن المعاهدة التي عقدها الملك هوغ كونت بروفانس مع العرب كان من جملة شروطها سد جميع المضايق والثنايا الا ثنية سان برنار فقط ، فلذلك ترى هناك محلا اسمه « الماجل » وهو بدون شك محطة بريدية ، ونجد في وادي ساس مكانا يسمى « ألالاين » وهو « العين » وهناك ماء على الطريق في أعلى الوادي كما أن في شرقي الوادي عين ماء اسمها Eicnapl أي عين الالب

وفي غربي وادي ساس محل اسمه ميشابل وهو حسبما يظن الاستاذ هيتسيغ محرف عن « مشبل » أي اللبوة التي معها اشبالها بدليل أن هناك غربي

مرسيميلون جبلا اسمه جبل الاسد . ونحن نظن أن الاسم هو مشابل كما يلفظونه الآن لامشبل ، وهو جمع مشبل اسم مكان كقولك مأسدة ، أو هو مشابيل جمع مشبول ، ومكان مشبول كثير الاشبال

ومن أكثر الاشياء في تلك الجهات التي جال فيها العرب اسم « مورو » الذي هو كما تقدم اسم المغربي عند الافرنج لان الرومان كانوا يسمون المغرب الاقصى «موريتانيه » فمن ذلك جبل مورو الذي عند فراكسينة وعليه قصر من آثار العرب ويوجد ممر اسمه موروباس في ناحية ماكوغناغه في البيامول . كذلك في وادي يقال له وادي انزا (ولعله وادي العنزة) محل يقال له «سيما دلمورو» أي قنة المغربي وهو الى الشمال من بريسبنون وفي جبل سان برنارغر بي الدير الشهير قنة شاهقة اسمها مونتمور

وما عليه اسم « سارازين » شيء لا يكاد يحصى ، ذكر المسيو ادوارد كارك في تاريخ ولاية «فرانش كونته « بفرنسة أن الاسماء المضافة الى سارازين كثيرة في تلك الولاية قال : عندنا خمسة كهوف يسمى كل واحد منها بكهف السارازين وجسران اسم كل منهما جسر السارازين . وثلاثة قصور كل منها يقال له قصر السارازين . وطريقان كل منها منسوب الى السارازين . وسد طاحون منسوب الى السارازين . وواد صغير يسمونه وادي السارازين . وجندلان كبيران كل منها يقال له صخر السارازين . وباب يرفع ويخفض من آثار السارازين ، وقرية اسمها ساراز . وهناك أيضا حائط السارازين ومعسكر السارازين الخ وأمثال هذه الاسماء يجدها الانسان في مقاطعة بريس وفي الليونه فمن ليون الى حدود فرنسة الجنوبية تكثر الابواب التي ترفع وتحط امام القلاع وكلها منسوبة الى السرازين

ويقول هؤلاء المؤرخون الذين أثرنا عنهم ما تقدم من تاريخ العرب في سويسرة انه كان للعرب قدرة بالغة على البناء وتشييد الابراج وتحصينها وإحكام اقفالها وقد تركوا آثارا بديعة مدهشة ففي ايطاليـة وغربي سويسرة لاتزال جدران كثيرة مبنية بالحجارة الكبرى من بناء العرب ، وفي كل بناء تركوه ظهر أنهم أهل هندسة وقوة حيلة يعجب بها كل من تأملها فتركوا بهذه الآثار ذكرا عظيما بين الاهالي

ثم انه قد وجدت في سويسرة مسكوكات كثيرة عربية واكثرها من مسكوكات الاسلام في افريقية منها ضرب سنة ١٦٩ للهجرة ومنها ضرب ١٨٢ للهجرة وأكثرها من عصر هرون الرشيد وقسم منها مضروب في القيروان ، ويظن أن اكثر هذه النقود وصلت الى سويسرة بواسطة النورمانديين وكذلك وجدت في بلدة فودون من سويسرة مسكوكات منها من سنة ١٧٠ للهجرة مضروب في افريقية ومنها ضرب اسماعيل بن احمد في أيام الخليفة المعتضد سنة ٢٨٣ للهجرة ومنها ضرب في بغداد سنة ٣٦٢ هجرية مكتوب على بعضها من الوجه الواحد « لا إله الا الله وحده لا شريك له . ركن الدولة أبو علي بويه . ومن الوجه الآخر : باسم الله قد ضرب هذا الدرهم في مدينة السلام عام ثلاث مائة وأربع وستين . ووجد على بعضها : محمد رسول الله ، الطائع لله الملك العادل عضد الدولة أبو شجاع . ويظن أن هذه المسكوكات وصلت بواسطة الحروب الصليبية أو عن طريق التجارة

ومما وجد من آثار العرب في سويسرة ثوب حريري مطرز في دير بقرب (شور) يستعمله القسوس في القداس عليه كتابات عربية مطرزة بالقصب ولا شك انه قبل أن يصير ثوبا كنسيا كان خلعة ملوكية أو حلة لاحد الامراء وقد أتى المسيو سلفستر دوساسي في كتابه المنتخب من تآليف العرب في الصفحة ٣٠٥ على بحث دقيق يتعلق بهذه المنسوجات العربية الفاخرة فقال ما ترجمته

« عرفنا منسوجات كثيرة من هذا النوع الذي يسميه ابن خلدون بالطراز منها المعطف الذي كان يلبسه قياصرة ألمانية عند تتويجهم فهذا الرداء عليه كتابات عربية منسوجة بخيوط ذهبية وقد قرأها وترجمها المسيو تيشسن فظهر انه نسج في بلرم في دولة الملك روجر (والعرب يقولون رجار) سنة ٥٢٨ هجرية أي ١١٣٣ ميلادية ونجزم بانه في أيام رجار لان الكتابات ليس فيها شيء من آثار الدين الاسلامي . ومنها قطعة حريرية مطرزة بالذهب محفوظة في خزانة ذخائر كنيسة (نوتردام) الكبرى بباريز بديعة الصنع مكتوب عليها اسم الخليفة الحاكم بامر الله المتوفى سنة ٤١١ للهجرة . ثم قطعة ثالثة شبيهة في النفاسة بالثانية وجدت في ضريح

بدير سان جرمان المروج عليها كامتان عربيتان مكررتان مرارا . كذلك في مؤلف ظهر على آثار بلرم باللغة الايطالية طبع في نابلي سنة ١٨١٤ مذكورة كتابة عربية وجدت على اكمام القميص الذي وجد في ضريح الامبراطور فريد ريك الثاني المتوفى في ١٣ ديسمبر سنة ١٢٥٠ كذلك يذكر المسيو (دومور) سجادة عليها كتابة عربية نسجت في مصر في زمان الخليفة المستعلي بالله وذلك يكون بين سنة ١٠٩٤ و ٩١ وسنة ١١٠١ للميلاد وهذه السجادة هي في خزانة آثار الفاتيكان الآن (أي في زمان دساسي وهذا عاش بين سنة ١٧٥٨ وسنة ١٨٣٨)

قد نقلنا كثيرا من هذا التاريخ عن المسيو رينو الفرنسي وهو من المستشرقين المشهورين كان عضوا المجمع الملكي للآثار والآداب وأحد حفظة الكتب الشرقية المخطوطة في مكتبة باريز الملوكية وتأليفه المسمى غارات العرب في جنوبي فرنسة وفي البيامون (شمالي ايطالية) وفي سويسرة طبع بباريز سنة ١٨٣٦ وقد طالعنا منه نسخة في مكتبة منيخ عاصمة الباڤيار وذلك سنة ١٩٢٠

وأما المؤرخ الالماني الذي اعتمد عليه (فرديناند كلر) فهو (ليودبراند) المؤرخ الشهير القديم العهد ولد سنة ٩٢٢ في لومباردية من أصل شريف ونشأ في بلاط الملك هوغ المار الذكر في بافيار سنة ٩٤٥ وعندما نفي الملك هوغ دخل (ليودبراند) في خدمة (برانجر) خلفه وقد سفر لبرانجر هذا الى ملك القسطنطينية وكانت وفاته سنة ٩٧٠ والف كتابين باللاتينية أحدهما اسمه «معالي الامبراطور أوتون الكبير » والثاني اسمه « سياحتي الى القسطنطينية » ملاه هزؤا بدولة بيزنطية وصنف كتابا اسمه « الانتقام » كله نكات ونوادر على أبناء عصره . وفي زمانه كانت وقائع العرب في سويسرة

هذا ما اتصل اليه علمنا من تاريخ اقامة العرب بسويسرة ، أو بالاحرى « انتداب » العرب لادارة تلك البلاد في القرن العاشر . فان قيل انك تعرض بما تسميه دول الحلفاء اليوم انتدابا على سورية وفلسطين والعراق وهذا لا يشبه ذاك أجبنا انه لا يوجد أدنى فرق بين الانتدابين ، فاذا كان العرب سفكوا دماء بسويسر

فهو ولا شك أقل جدا مما سفكه الحلفاء في سورية والعراق واذا كان أخذوا جماعة بثأر واحد فالحلفاء لم يتوقفوا دقيقة واحدة عن تدمير قرى بتمامها ورمي القنابر الديناميتية على النساء والاطفال والعاجزين وحصد رؤوس الالوف لاجل الانتقام من عمل رجل واحد أو عصابة مؤلفة من بضعة رجال وان قيل ان العرب في سويسرة سلبوا ونهبوا فهل اذا تأمل المنصف ادارة الحلفاء في البلاد الشرقية التي احتلوها وما جمعوه منها من الذهب وما وزعوا من الاوراق المالية بدون ضمان وما حملوا الاهلين من المغارم وما استأثروا لانفسهم من معادن البلاد وأصناف مرافقها يجد شيئا غير السلب والنهب ؟ وزد على ذلك شيئاوهو أن العرب لم يخدعوا أهل سويسرة في القرون الوسطى بقولهم انهم حلفاؤهم وانهم إنما جاؤهم لتحريرهم من رق الاجانب حتى اذا انكشف الغطاء عرفوا انها خدعة وظهرت الذئاب من تحت أصواف الحملان كلا كان عمل العرب في سويسرة أشرف وأبعد عن اللؤم ولم يكونوا مع ذلك دولا عظاما بل شرذمة صعاليك لا يعيبهم مايعيب الدول العظام (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)

شكيب أرسلان

في ١٥ ابريل سنة ١٩٢٢

(المنار) إننا نود لو يكون للقراء من العبرة بهذه الاثارة من تاريخهم ماهو في نظرنا أهم من المقارنة التي ختمها بها الامير الكاتب مراعاة لمقتضى الحال . وهي المقارنة بين أحوال الامة في طور حياتها واقبالها ، وطور ضعفها وادبارها . تتقاذف الامواج برهط من صعاليك العرب لا يتجاوز عددهم أصابع اليدين فتلقيهم بسواحل بلاد لا يشاركهم أهلها في لغة ولا دين، ولا تربطهم معرفة ولا عهد، فيكون من أمرهم وأمر شراذم تتبعهم ما استخرجه لنا الكاتب من أسفار تواريخهم من عزة ومنعة ، وتمكن في الارض، وقتال أو اجارة للامراء والملوك، وفرض الضرائب والمكوس ، واقامة للصروح والحصون ، — ثم يكون من أمر هذه الامة أن يذل ألوف الالوف منهم في عقر دارهم ، ويسلمون قيادهم فيها لاعدائهم

باختيارهم ، حتى يكون من مثل أمير الحجاز تلك البلاد المقدسة التي تحترمها الدول الكبرى ولا تدنو منها بسوء أن يقترح باختياره على الدولة الانكليزية أن تنتزع البلاد العربية حتى المقدسة من الترك وتجعلها تحت حمايتها - وأن يكون هذا الاقتراح في الوقت الذي كانت فيه هذه الدولة تتوقع محو اسمها من الدول العظمى بقوة الحلف الالماني التركي حتى لو أجمع العرب أمرهم واقترحوا عليها الاعتراف باستقلالهم المطلق ومساعدتهم عليه ولو في مقابلة عدم مساعدة الترك عليها - فضلا عن مساعدتها على الترك - لقبلوا شاكرين (فاعتبروا يا أولي الابصار)

باب المراسلة والمناظرة

جاءتنا الرسالة الآتية في مسالة تسويد النبي (ص) في العبادات المشروعة ومسالة التوسل فننشرها مع الوعد بنشر ما يجيئنا من رد عليها تراعى فيه آداب المناظرة

(إماطة اللثام ، عما علق بأذهان بعض المنتسبين الى العلم من الاوهام)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله الهادين المرشدين « أما بعد » فانا نحرر هذه الرسالة قياما بما أوجبه « الدين النصيحة » في الكشف عن مسألتين خلط فيهما بعض من ينتسب للعلم (الاولى) راجعة الى الاحكام (والثانية) راجعة الى العقائد

موضوع الاولى (تسويد) النبي صلى الله عليه وسلم وقضاؤنا فيها أن من أتى بها في الصلاة أو في الاذان أو في دعاء مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم على أن تكون من شرع الله ودينه فهو مبتدع ، وفي الاوليين مبطلة لهما ، وفي الثالث مكروهة كراهة تحريم وقد رأينا أن نجري على ما كان عليه المهتدون الاولون في الارشاد فنقدم الادلة على هذه الامور الثلاثة . التسويد في الصلاة

وما بعدها تطبيقاً للفروع على الاصول وان كانت أحوال المناظرة وقوانينها تقضي على المثبت بإقامتها لا علينا كما هو معروف عند الاصوليين وسواهم ان المثبت لامر هو المدعي المطالب بإقامة الادلة على دعواه أما النافي فيكفي أن يقول لم يرد ونحوه فنقول :

إن مرجع الاحكام الى واحد من أربعة أمور أو خمسة على الخلاف في الاستحسان والمصالح المرسلة (١) كتاب الله (٢) صحيح السنة أو حسنها أو ضعيفها فيما يتبع العبادة المعروفة عندهم بفضائل الاعمال الخالي عن ورود شيء فيه من النوعين الاولين (٣) الاجماع بأنواعه ولا سيما الثابت عن الصحابة (٤) القياس الصحيح فيما لا نص فيه « دع الاستحسان والمصالح المرسلة » أما الكتاب فلا تعرض لها فيه اذ لم يذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم الا مجردا عنها وأما السنة فهي نافية لها لان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم المذكورة بعد التشهد على اختلاف الروايات فيها حال تعليم النبي صلى الله عليه وسلم اياها للصحابة خالية من تسويده ، وكل من الاذان والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم توقيفي ثابت بعد كلماته ولم يذهب أحد من الاربعة ولا غيرهم من علماء المسلمين متقدميهم ومتأخريهم الى جواز ذكرها في الاذان ولا في الاقامة ، وأما بعد التشهد فالكثيرون أو الاكثرون على عدم جوازها كما سيأتي بيانه بعد متصلا

لا يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم تركها تواضعا — فانها لو وجبت أو شرعت ولو استحبابا أو جوازا لوجب على النبي (ص) تبليغها أو جاز والا لم يؤد وظيفة البلاغ كما أمره الله تعالى بقوله (بلغ ما أنزل اليك من ربك) الآية خصوصا وانه في مقام البيان بعد سؤال الصحابة (رض) عن كيفية الصلاة عليه المشروعة بقوله (ان الله وملائكته) الآية . رواه مسلم وغيره . وايضاً فهي منافية لقوله (ص) « صلوا كما رأيتموني أصلي » رواه البخاري ولقد فهموا رضي الله عنهم ما أراده ونعم ما فهموا ، ولذلك امتنعوا عن الاتيان بها ولو كانت غير مبطلة فضلا عن كونها مندوبة كما يزعم البعيد عن معنى كونه (ص) مشرعا وكونهم ممتثلين كاملهم

الاتيان بها وهم أفضل الامة وأ كثرها أدبا وقدرة لمن بعدهم الى يوم القيامة وان اتفاقهم على عدم الاتيان بها من غير انكار أحد منهم على أحد مع ماهو معروف عنهم من اكباره (ص) واجلاله لهو أبلغ اجماع على عدم الاتيان هذا وقد روى النسائي عن عبد الله بن الشخير (رض) انه قال انطلقت في وفد من بنى عامر الى رسول الله (ص) فقلنا أنت سيدنا فقال رسول الله (ص) « السيد الله » قلنا وأعظمنا وأفضلنا قال «قولوا بقولكم أو بعض قولكم أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي رفعني الله عز وجل » فهذا الحديث صريح في نفيها من وجهين الاول دلالة الفحوى فانها أحدى طرق القصر وذلك قوله السيد الله فانها جملة معرفة الطرفين مفيدة للحصر ولهذا وقع الرد بها في القرآن ردا على الحصر بانما في قوله تعالى: ألا إنهم هم المفسدون » رداً لقولهم (انما نحن مصلحون) وأمثال هذا كثير : الوجه الثاني بالمنطوق وهو قوله (ص) ما أحب أن ترفعوني الخ ومنزلته بالحصر « محمد رسول الله »وقوله (وما محمد الا رسول) وأمثال هذا

فقد تبين من هذا أن كلا من الكتاب والسنة والاجماع يمنع الاتيان بها ولا يجترىء مسلم على القول بان الصحابة (رض) اجتمعوا على منكر وهو ترك شيء من الدين؛ وبهديهم اهتدى التابعون لهم باحسان فمن بعدهم حتى دب الفساد في المسلمين ، وغلبت الاهواء على أئمة الدين ، فجاؤا بالاستحسان والمصالح المرسلة فزلزلوا سلطان الدين من النفوس (١) حتى صار لا يسمع الا قول فلان وفلان وصار الدين وضعا فكريا لا وضعاً الهيآ

وأما القياس فهو بنفيها أشبه وان لم تكن اليه حاجة بعد النصوص لانه انما يستدل به فيما لانص فيه وقد قدمنا النصوص من الكتاب والسنة والاجماع .

(١) المنار : ان مراعاة المصالح المرسلة في الاحكام الشرعية قال بها الامام مالك وهو عنده خاصة بالمعاملات القضائية والسياسية دون العبادات التى جعل مدار اثباتها علي الاتباع المحض وهو الحق

ومع ذلك فهو قاطع في نفيها وانورد على ذلك بعض الامثلة : لايجهل أحد أن أفضل ماينطق به اللسان هو القرآن الكريم وقد أجمعوا على أنه لو أتى به في ركوعه أو سجوده كان مخالفا للسنة وقد روى مسلم في صحيحه ان رسول الله (ص) رفع سجف حجرته في مرضه الذي مات فيه فاشرف على الصحابة وهم متأهبون للصلاة فقال « نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجداً » ولا يقال انه نهى عنه لاطالة الركوع والسجود لان كثيره وقليله سواء في النهي ولانه لو أطالهما بالتسبيح بقدر سورة البقرة ولاسيما في النوافل لما بطلت صلاته، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قرأ في ركعة واحدة البقرة ثم النساء ثم آل عمران ثم كان سجوده قريباً من ركوعه المذكور » رواه مسلم . فالسيادة التي ليست بذكر ولم ترد في شيء مما تقدم من الادلة اولى بالمنع

مثال آخر : قال الامام النووي في شرحه حديث كيفية تعليم النبي (ص) للصحابة (رض) أن يصلوا عليه ما حاصله : ان قول القائل في الصلاة ورحمت وبارك وتحنن أو بعدها غير جائز وان وردت في حديث غريب لان العبادة لايؤخذ فيها الا بالحديث الصحيح أو الحسن الخالي عن علة كالغرابة ونحوها اه

فالسيادة أولى بالمنع لعدم ورودها ولا في حديث موضوع بل ورد النهي عنها كما تقدم في حديث النسائي فهي إحداث محض في الدين (١) مردودة على محدثها،

---

(١) صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد (ص) وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار »

وقد عرف الامام الشافعي رضي الله عنه البدعة بما نصه (ماأحدث وخالف كتابا أو سنة أو اجماعا أو أثراً فهو البدعة الضالة) وقد بينا أن تسوية النبي (ص) في الصلاة والأذان والدعاء المأثور لم يرد في واحد من الاربعة التي ذكرها الشافعي في تعريف البدعة اه من حاشية الاصل

عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة، يشهد بذلك قوله صلى الله عليه وسلم «من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد — وفي رواية. من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» مسلم عن عائشة (١)

هذا مايتعلق بها من حيث الاصول الاربعة المعول عليها . ولنرجع اليها من حيث الفروع فنقول : مذهب الشافعي أن كل كلام أجنبي أي غير مشروع مبطل للصلاة ولو حرفا مفهما أو حرفين وان لم يفهما . وقد تبين مما تقدم أنها كلام أجنبي بالمعنى المذكور والقول بالبطلان ليس بدعا منا بل هو قول المحقق الطوسي من أئمة الشافعية وقد نقل هذا العلامة الكردي المدني في حاشيته على شرح ابن حجر الهيتمي قال ماملخصه : اختلف في تسويد النبي (ص) عقب التشهد فقيل بجوازه تأدبا وقيل بكراهته وقيل بحرمته وقال الطوسي من أئمتنا انها مبطلة . قال الكردي بعد هذا ولعل الطوسي غلط اه وقد تبين مما تقدم أنه الحق وأما تغليطه اياه فهو مبني على ماقدمه من جوازها تأدبا وعلى ماقاله بعض المتأخرين من الشافعية وهم شذوذ بالنسبة الى المتقدمين لان القول بجوازها تأدبا يؤدي الى رفع الادب عن الصحابة والتابعين لهم باحسان وهو مالايجترىء على القول به ذودين

هذا ولم يقل بجوازها أحد من الائمة الاربعة ولم ينقل عن أحد من أصحابهم القول بالجواز . هذا مايتعلق بها من حيث الفروع والاصول . وان فيه لمقنعا لمريد الحق المنصف

مسألة التوسل

والمسألة الثانية من الرسالة موضوعها ما ادعاه بعض من انتمى الى العلم من سنية التوسل مرتكنا فيه على حديثين أحدهما «اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك» الثاني ما ورد في تفسير الكلمات التي تلقت آدم أو تلقاها في قوله تعالى

(١) اللفظ الثاني انفرد به مسلم ورواه أحمد أيضا وأما الاول فمتفق عليه

(فتلقى آدم) الآية وانا نتكلم على كل من الحديثين ثم نفصل المسألة من حيث المنقول فيها عن الائمة بالايجاز فنقول في شرح الحديث الاول * وخير مافسرته بالوارد * جاء من حديث معاذ عند مسلم ماملخصه « ان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وان حقهم عليه اذا هم فعلوا ذلك الا يعذبهم » فمعنى حق السائلين أي العابدين المخلصين في عبادتهم كما يؤخذ من الحديث هو أن تشملهم رحمته وحينئذ يرجع معنى الحديث الى ان رسول الله (ص) سأل الله أن يدخله في رحمته لانه خير عابد مخلص بصفة من صفاته الذاتية وهي الرحمة المبينة في حديث « ان رحمتي سبقت غضبي » وسؤال الله بصفة من صفاته لا شيء فيه وليس هو توسلا بذات مخلوق أو عمله بل هو سؤال بجزاء على عمل الانسان نفسه في مقابلة عمله كما يوضحه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث معاذ « اذاهم فعلوا ذلك » فاذا كان معنى الحديث ماقدمناه لم يدل على سنية مازعم من التوسل ولا على جوازه. وانا ننقل عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم خصوصا أئمة المذاهب الاربعة وأصحابهم عدم الجواز

رأي أبي حنيفة واصحابه

قال ابو حنيفة واصحابه لايجوز أن يسأل بمخلوق ولايقول أحد أسألك بحق أنبيائك . قال ابو الحسين القدوري في كتابه الكبير في الفقه المسمى بشرح الكرخي بعد أن ذكر ما تقدم ما نصه : وقد ذكر هذا غير واحد من أصحاب أبي حنيفة قال بشر بن الوليد حدثنا أبو يوسف عن أبي حنيفة انه قال لاينبغي لاحد أن يدعو الله الا به ، وقال أبو يوسف اكره أن يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام وقال القدوري المسألة بخلقه لاتجوز لانه لاحق للخلق على الخالق فلا تجوز وفاقا وما يقول فيه ابو حنيفة وأصحابه أكره كذا هو عند محمد حرام وعند أبي حنيفة وأبي يوسف الى الحرام أقرب ، وجانب التحريم عليه أغلب

رأي الشافعية

في فتاوى أبي محمد العز بن عبد السلام مانصه: لايجوز سؤال الله بشيء من مخلوقاته لا الانبياء ولا غيرهم: ثم قال: وأتوقف في جوازه بنبينا (ص) لأني لا أعرف صحة الحديث فيه، والحديث الذي يشير اليه هو « توسلوا بجاهي فان جاهي عند الله عظيم »(١) حديث باطل باتفاق الحفاظ، ونقل ابن القيم ان الدعاء عند القبر والصلاة عنده والتمسح به لانه قبر فلان الصالح بدع منكرة باتفاق أئمة المسلمين . وان ماينقله بعض الجهلة من دعاء الشافعي عند قبر أبي حنيفة كذب ظاهر اه: ونقل الثوري عن الشافعي مانصه أكره أن يعظم مخلوق واصطلاحه في مثل هذه العبارة معروف وهو التحريم، ولم ينقل عن مالك وأحمد في المسألة شيء سوى السلام على النبي (ص) وصاحبيه (رض) لمن وجد عند القبر، بل نقلت موافقتهما لغيرهما من الائمة كما تقدم عن القدوري وابن القيم اه الكلام على أحد الحديثين

وأما على الثاني فقد قال السيوطي في تفسير الكلمات من قوله تعالى: (فتلقى آدم من ربه كلمات) الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أذنب آدم الذنب الذي أذنبه رفع رأسه فقال . أسألك بحق محمد الاغفرت لي، فأوحى الله اليه ومن محمد؟ فقال . تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله، فعلمت انه ليس أحد أعظم قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله اليه يا آدم انه آخر النبيين من ذريتك لولاه ماخلقتك » رواه الطبراني وابو نعيم والبيهقي وابن عساكر والحاكم وانفرد الاخير بتصحيحه اه يرويه جميعهم عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن أبيه عن جده عن عمر

---

(١) المنار الذي نجزم به ان سلطان العلماء لايخفى عليه أن هذا الحديث موضوع وانه انما عني حديث الاعمى والرواية التي تدل على ماذكر من رواياته ضعيفة كما حققه شيخ الاسلام في كتاب التوسل والوسيلة

ابن الخطاب يرفعه ولم يتابع السيوطي عليه أحد من المفسرين بالمأثور كابن جرير والحافظ ابن كثير وغيرهم ولو شئنا أن ننقل أقوال أولئك العلماء في تفسير الآية لاحتجنا الى عدة أوراق ولكن نكتفي بأنهم أهملوا ما قال السيوطي — واسناد الحديث في الطبراني الصغير هكذا : عن محمد بن داود بن اسلم الصوفي المصري عن احمد بن سعيد المدني الفهري عن عبد الله بن اسماعيل المدني عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب قال الطبراني لا يروى عن عمر الا بهذا الاسناد تفرد به احمد بن سعيد اه

«ملحوظة» (اتفق المحققون العلماء على عدم الاحتجاج بالحديث اذا روي بالعنعنة المحضة (١) كالاسناد الذي من هنا اذ لم يصرح بلفظ التحديث أو الاخبار أو السماع من طريق أخرى وقد صرح الطبراني انه لا يروى الا بهذا الاسناد كما تقدم عنه)

قال البيهقي (وهو أحد روايته . تفرد به عبد الرحمن اه) يريد بذلك انه شاذ كما أراد الطبراني باحمد بن سعيد وقال بعضهم تعليقا على تصحيح الحاكم ليس كل ما صححه الحاكم مقبولا وقال المدارسي في هذا الحديث بخصوصه في كتابه (كشف الاحوال في نقد الرجال) إن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف بالاتفاق وقال العلامة احمد بن ناصر التميمي في كتابه (تقريب التهذيب) جوابا لسائل سأله عن تصحيح الحاكم لهذا الحديث انه من رواية عبد الرحمن بن زيد: يعني ليس بصحيح وقال احمد بن حنبل : عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ضعيف وقال يحيى بن معين . ليس حديثه بشيء . وضعفه علي بن المديني جدا وهو امام الحفاظ في عصره صاحب تآليف عديدة في الجرح والتعديل ؛ وقال ابو داود صاحب السنن أولاد زيد بن اسلم كلهم ضعيف وقال النسائي من أصحاب السنن ضعيف وقال ابن عبد الحكم سمعت الشافعي يقول . ذكر رجل لمالك حديثا فقال من حدثك فذكر اسنادا منقطعا فقال مالك اذهب الى عبد الرحمن بن

(١) المنار : لا يصح هذا على اطلاقه بل هو مقيد بعنعنة المدلسين

زيد يحدثك عن أبيه عن جده عن نوح (ومالك هو لامام الجليل) وقال أبو زرعة أحد الحفاظ الذين يروي عنهم البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب السنن في شأن عبد الرحمن انه ضعيف ، وقال ابو حاتم الحافظ المعروف : ليس عبد الرحمن ابن زيد بقوي في الحديث كان في نفسه صالحا وفي الحديث واهيا اه

وقال ابن حبان كان يقلب الاخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل واسناد الموقوف فاستحق الترك اه

وقال ابن سعد صاحب الطبقات في شأنه ، كان كثير الحديث ضعيفا جدا اه وقال ابن خزيمة ، ليس عبد الرحمن ممن يحتج أهل العلم بحديثه اه وقال الحاكم وابو نعيم وهو الراوي للحديث روى عن أبيه أحاديث موضوعة اه وقال الحافظ بن الجوزي الناقد للاحاديث أجمعوا على ضعفه اه

فهذا الحديث الذي يتمسك به جهلة المرتدين في جواز التوسل قد بينا شأنه وأقوال العلماء فيه وكان يصح لهم ذلك لو لم يعارضه اتفاق المسلمين كما نقلناه عن الائمة على عدم جواز التوسل فضلا عن سنيته نسأل الله التوفيق والاهتداء بما جاء عن خير الامة والمهديين بسنته والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه آمين

تحريرا بالعلاقه في ٤ شوال سنة ١٣٤٠ ه احمد عطيه قوره



ذكرى رينان في الجامعة المصرية

محاضرة الشيخ مصطفى عبد الرازق في رينان والافغاني)

رينان كاتب بليغ من كتاب الفرنسيس وملاحدتهم اشتهر اسمه في مصر وبعض البلاد العربية الاخرى بخطاب (محاضرة) موضوعه (الاسلام والعلم) وجه به قوة فصاحته وبلاغته الخلابة الى الطعن في الدين الاسلامي والامة العربية لينقض بها ماشاده علماء فرنسة الفلاسفة الاعلام وغيرهم من التاريخ المجيد للعرب والاسلام، وفي مقدمتهم الفيلسوف الاجتماعي الكبير (غوستاف لوبون) صاحب كتاب (حضارة العرب) الذي سارت بذكره الركبان والعلامة (سديو) الشهير صاحب كتاب (تاريخ العرب) ولكنه تكلم بجهل وتكلموا بعلم

وقد كان من مثار العجب للناس ان الجامعة المصرية أقامت حفلة حافلة لذكرى رينان بمناسبة انقضاء قرن من عهد ولادته وحاروا في استنباط الباعث لاساتذة الجامعة على اختيار هذا الملحد الطاعن في دين الاسلام وفي المسيحية أيضاً للاشادة بذكره واعلاء قدره على عدم حفظ أي منقبة له نفع بها البشر فأصاب هذه البلاد وهذه الامة حظ منها يستحق بها ذلك عليها ؟ والعهد قريب باحتفال فرنسة وغيرها بذكرى عالم من علمائها بل من أكبر علماء الارض ومكتشفيهم نفع البشر كلهم بعلمه واكتشافاته وهو (باستور) الشهير فلماذا لم تحتفل الجامعة باحياء ذكره، واعلاء قدره؟

وقد كان الدكتور طه حسين أحد مدرسي الجامعة المصرية ينشر في هذه الاثناء التي وقع فيها الاحتفال بذكرى (رينان)مقالات في جريدة السياسة يحاول فيها إثبات انتشار الارتياب في الدين الاسلامي والالحاد والفسق عنه في أهل القرن الثاني والثالث للهجرة الاسلامية في بلاد الحضارة العربية كالعراق بل في الحجاز أيضاً، ويستدل على ذلك بشبهات كشبهات رينان ، كما أخبرنا الثقات الذين رد بعضهم عليه

وفي اثر ذلك نشر في الجرائد إعلان يبشر الناس بأن الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق سيلقي في الجامعة المصرية محاضرة موضوعها(الفيلسوف

رينان وجمال الدين الافغاني) فظننا نحن وأمثالنا أنه يريد بهذه المحاضرة أن يمحو سيئة ذلك الاحتفال بالاشادة بفضل فيلسوف الاسلام السيد الحسيني سليل البضعة النبوية الطاهرة الذي اشتهر عنه أنه رد على محاضرة رينان في وقتها بما هدم بنيانها ، وقوض أركانها ، وقد أممنا دار الجامعة في مساء اليوم الثاني من شعبان (٢٠ مارس) مع الكثيرين لسماع محاضرته ، فلما سمعناها دهشنا وخاب أملنا ، فخرجنا من دار الجامعة الى دار جريدة الاهرام لموعد اجتماع مجلس ادارة نقابة الصحافة فيها فخف بنا كثيرون ممن خرج معنا من الازهريين وغيرهم فرأيناهم مستائين مما سمعوا كارهين له ، فذكرنا لهم بعض ما في الخطاب من الخطأ والخطل والضعف في المحاضرة فتمنوا لو يكتب فوعدناهم بذلك وقد كتبنا في تلك الليلة العجالة التالية لجريدة الاهرام :

﴿ محاضرة الشيخ مصطفى عبد الرازق ﴾

(موسيو رينان وجمال الدين)

نظرة عجلى

حضرت هذه المحاضرة في الجامعة المصرية وكنت قد سمعت من شيخنا الاستاذ الامام كلمة مجملة عن رد السيد علي رينان فهمت منها ما سأذكره بعد

كنت أظن أن سأسمع ما قاله رينان في الاسلام مفصلا وان يكون فيه شبهات ومطاعن دقيقة تحتاج الى حجج جمال الدين وقوة عارضته فخاب ظني

وكنت انتظر أن اسمع تتمة المحاضرة المعلن عنها في الصحف وهي ما كان بين رينان ومحمد عبده لارى هل أسمع عنه ضد ما أعلم منه عن نفسه، كما سمعت ضد ما أعلم منه عن استاذه ؟ ولكن الاستاذ صاحب المحاضرة أطال في المقدمة فضاق الوقت المعين عن الخاتمة ، وهي على ما أظن رد الشيخ محمد عبده على رينان

طعن رينان في الاسلام بأنه عدو العلم والعقل وطعن في العرب بان عقولهم قاصرة بطبعها غير مستعدة لفهم الفلسفة وما وراء الطبيعة وكل ماذكر في المحاضرة من تلخيص كلامه يدل على انه لم يكن يعرف من أصول الاسلام شيئا الا بعض

كلام دعاة النصرانية في الجزائر ورجال السياسة الفرنسية فيها وناهيك باخلاص الفريقين والتحقيق والصدق منهم (؟) فمن تحقيق الفريق الاول مايعرفه قراء العربية من كتاب (الاسلام للكونت دي كاستري) الذي ترجمه بالعربية المرحوم احمد فتحي باشا زغلول فان فيه من العقائد المنسوبة الى الاسلام مالم يخطر في بال احد من البشر لم يطلع على مفترياته . ومن تحقيق الفريق الآخر تفضيل البربر على العرب في العلم والمدنية ، ودليلهم على ذلك أن أصلهم من برابرة الشمال الاوربيين لا من همج الساميين ، وقد اضطر الى تجهيلهم الفيلسوف لاجتماعي بحق (غوستاف لو بون) احد أفراد علماء الفرنسيس الذين انصفوا العرب حق الانصاف على علم صحيح بالتاريخ

ومن هذا الباب ثناء رينان على جمال الدين وعلى قومه الافغان بانهم من الارومة الآرية ذات العقل الراقي المستعد للفلسفة العليا التي تستعصي على عقول العرب وعلل بذلك ما زعمه من عدم استمساك هذا الشعب بالاسلام . والحق الواقع القطعي الدال على مبلغ جهل رينان هو أن السيد جمال الدين هو الفيلسوف الوحيد الذي خرج من الافغان وهو من صميم العرب من سلالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وان الشعب الافغاني هو أشد الشعوب الاسلامية اعتصاما بدين الاسلام وتعصباً له ، لعله لايفوقه في هذا أو يساويه فيه الا عرب نجد فاذا كان السيد جمال الدين غير متدين كما تراءى لعقل رينان فقد نقضت قاعدته في العرب وفي الافغان جميعا ، فما هذه الفلسفة؟ واذا كان هذا مبلغ علمه بهذا الشعب الحاضر ، فما القول بعلمه بالشعب العربي لاندلسي الغابر، اذ فضح نفسه فيما قاله عنه شر فضيحة

على أننا لانثق بما نقل الينا الاستاذ صاحب المحاضرة من كلام فيلسوفي الغرب والشرق — على رأيه — فان السيد جمال الدين كتب رده على رينان بالعربية — كما قال — وترجم لجريدة الديبا بالفرنسية . ونقل من الفرنسية الى الالمانية، ومنها الى العربية فهل حفظ الاصل مع كثرة النقل من لغة الى لغة الى أخرى؟

نقل الينا قبل هذا كلام من قول رينان في الامام الغزالي وجدناه غلطا مخالفا لما في كتبه المشهورة كتهافت الفلاسفة وأحياء علوم الدين وهو لم يعتوره من تعدد الترجمة ما أصاب رد السيد جمال الدين

ملخص ما ذكر في المحاضرة من رد السيد الافغاني على الفيلسوف الفرنسي انه وافقه على كون الاسلام عدو العلم والعقل كسائر الاديان وخالفه في طعنه في العرب . ولكن الاستاذ صاحب المحاضرة نقل عن السيد كلمة وجيزة مجملة فيما عزاه رينان الى الاسلام هل هو من تأثير الدين نفسه أم هو تأثير فهم الناس له واختلاف الشعوب في فهمه ؟ خرجت هذه الكلمة بصوت غير جهوري فلم تعها كل اذن . ولا فكر فيها كل سامع . ولعل كل مافي الرد من التسليم باضطهاد الاسلام للعلم وعداوته للعقل مبني على هذه الكلمة

ههنا أذكر كلمة الاستاذ الامام عن رأي استاذه السيد جمال الدين في الدين والعلم ، وهي ان الاسلام دين العقل والحكمة والفلسفة الصحيحة وانه لولا تأثير هدايته لما انتقل العرب من الامية الى أعلى مما كان عليه جميع البشر في كل علم وكل فن وكل نظام وكل عمران في مدة جيل واحد حتى سادوا الفرس والروم والاوربيين وغيرهم ، وهل يعقل ان تلك الشراذم التي خرجت من جزيرة العرب حفاة عراة لا يعرفون من العلم شيئا غير القرآن ولم يكن كل واحد منهم يحفظه كله يمكن أن تدوخ كل هذه الامم وتسودها وتسوسها من ساحل المحيط الاطلسي الى الشرق الاقصى وتخضعها لدينها ولغتها بالسيف ؟ ؟

ولكن المسلمين ابتدعوا في الاسلام بدعا كثيرة لم يمكن تداركها بسبب فساد نظام الخلافة واخراجها عن أصلها الذي يشترط فيه العلم الاستقلالي والعدالة وبهذا الابتداع الذي صار اسلام القرآن فيه غير اسلام المنتسبين اليه أضاعوا العلم به ثم عادوا كل علم حتى صاروا الى ما كان يسعى السيد لتلافيه وتداركه ، فكانه يقول لرينان كل ماذكرت من عداوة الاسلام للعلم مما تكثر الشواهد عليه في التاريخ — وان كانت قليلة في عهد الاسلام بالنسبة الى غيره من الاديان

فهو الاسلام الذي فهمه خطأ اولئك الذين عادوا العلم والعقل والحضارة لا اسلام القرآن الذي يخاطب العقل ويرفع شأن العلم في آيات كثيرة ويبين أن لله سننا في الكون قام بها نظامه وان هذه السنن لاتبديل لها ولا تحويل

من الكلمات المأثورة عن السيد جمال الدين ان القرآن وحده كاف لرفع البشر الى أرقى مقام من العلم والعرفان والفضائل والحضارة، لو أن شعبا وجده على صخرة في جزيرة بالبحر ولم ير غيره، وليس معنى هذا أن فيه مسائل جميع العلوم والفنون التي يرقى بها البشر وانما معناه انه يصلح العقول والانفس ويدفعها بهدايته الى طلب هذا الكمال

وكتب الي صديقي الشيخ عبد القادر المغربي من الاستانة أيام كان السيد فيها انه زاره فكان مما سمعه منه أنه ليس بين اوربا و بين القرآن من حجاب يمنعهم من الاهتداء به الا نحن معاشر المسلمين. قال: انه رفع كفيه ووضعهما أمام وجهه وفرج بين أصابعه وقال: ينظرون الينا من خلال القرآن هكذا فيرون وراءه شعوبا قد فشا فيها الجهل والفقر والكسل و.. و.. فيقولون لولا أن تعاليمه باطلة لما كان اتباعه بهذه الدركة من الانحطاط، فاذا أردنا أن نهديهم الى الاسلام فلنقنعهم أولا أننا لسنا مسلمين

وقد سألت الاستاذ الامام: هل وفى السيد بما وعد به من كتابة كتاب يثبت فيه ان المدنية الفاضلة التي مات الحكماء بحسرة من فقدها لاتختط في العالم الا بالدين الاسلامي؟ فقال لا أعلم أنه كتب شيئا بهذا العنوان ولكنه كتب كتابا أو قال رسالة فارسية في العدالة العامة أثبت فيها هذه القضية ولا أعلم مافعل الله بهذا الكتاب أو الرسالة (الشك مني)

ومن أراد أن يعرف رأي السيد في تأثير الاسلام في اصلاح البشر فليقرأ مقالات العروة الوثقى الاجتماعية في الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام، وأما موضوع الاسلام والعلم فقد فصله الاستاذ الامام في كتاب الاسلام والنصرانية تفصيلا. وسأعود الى هذا الموضوع فأوفيه حقه في المنار إن شاء الله تعالى

فعلم من هذا أن الذي يتفق مع ما كتبه السيد جمال الدين أو أملاه في حقيقة الاسلام وكونه دين الحكمة والعقل والمدنية هو أنه قد وافق على أن الاسلام الممزوج بالبدع هو ذلك الذي اضطهد بعض اهله رجال العلم كما كان يقول في مجالسه بمصر عند رده على بعض آراء الاشعري في الكسب والجبر والتحسين والتقبيح العقليين : ان دين الاشعري في المسألة كذا وان إله الاشعري قادر مريد — غير حكيم

ويحب الملحد ان يكون عظماء الرجال ملاحدة مثله واذا كان من منتحلي الفلسفه والعلم والباحثين في الادلة يظن ان من عرف بالعقل والعلم والحكمة لا يمكن ان يكون ذا دين. وهذا ماكان يحمل بعض الناس على القول بأن جمال الدين ومحمد عبده غير متدينين .

وقد كان يسألني بعض من يعرفون مني الصدق : هل الاستاذ الامام متدين بالفعل اعتقادا وعملا ؟ بل كثيرا ما سألني مثل هذا السؤال عن نفسي من يحسنون الظن بي ويعدونني من (المتنورين) مثلهم ، وآخر من سألني هذا السؤال عن نفسي أديب في حضرة جماعة من المسلمين والمسيحيين منهم سليم افندي سركيس الكاتب المشهور ، وموضوع السؤال الايمان بالبعث والحياة الاخرى بعد الموت ، وقد أجبتهم بما أزال استبعادهم للبعث وصورهلهم بصورة تتفق مع العلوم والفنون العصرية ولا سيما الكيمياء حتى اعترفوا بذلك

ان الملحد يحكم على غيره بالالحاد بأدنى شبهة وقد حدثني الدكتور شميل أنه سأل السيد جمال الدين عن الدليل على وجود الله تعالى — قال فشرع يذكر لي قواعد كلامية في استحالة الترجيح بغير مرجح والممكن والواجب لم افهمها فعلمت أنه شاك ولا يستطيع أن يقيم برهانا علميا واضحا ، والذنب على الدكتور شميل الذي كان خالي الذهن من تلك الاصول والقواعد العقلية التي اعتمد عليها متكلمو الاسلام في المسائل الالهية — فظن أن السيد يقول مالا يفهم لانه هو لم يفهم ما قاله السيد

أرى في هذا البلد أفراداً يعنون في هذه الايام بافساد عقائد المسلمين وبجرئتهم على الكفر وعلى الفسق أيضاً (١) حتى زعم بعضهم أن أكثر المسلمين كانوا كذلك في القرن الثاني للهجرة مرتابين في الدين وفاسقين عنه بدليل مايوجد عنه في بعض كتب الخلاعة والاخبار من حكاية مايؤثر في ذلك عن بعض الافراد من الشعراء والمغنين والمخنثين، على ان رواة هذه الاخبار لا يوثق بهم وأين هم من كتب المحدثين الثقاة وتراجم العلماء والصلحاء الذين ملأوا الدنيا علماً وفضلا وقدوة صالحة؟ إنهم لا يستطيعون قراءة أمثال هذه الكتب ولا تصديق مؤلفيها، (ولكل وجهة هو موليها)

وأما نحن فاننا لا نقبل الا رواية الثقاة العدول وننصح للناس أن يعرضوا عن اللغو والفضول، وروايات من لا يوثق بعدالتهم، ولا سيما اذا كانت مخالفة للروايات الصحيحة التي تعارضها، وعلماء نقد الحديث يردون رواية العدل المعروف بالصدق اذا خالفت روايات الثقاة الاثبات المعروفة فآراء حكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني مدونة في رده على الدهريين وفي مقالات العروة الوثقى وغيرها برواية الثقاة وقد طبعت في عصره وتلقاها الالوف ومئات الالوف في الشرق والغرب فهل يصح أن نردها بجمل مقتضبة منقولة عمن لا يوثق بهم بعد مرورها من مضيق لغات مختلفة تعودنا أن نسمع من أهلها الاختلاق علينا في ديننا وتاريخنا وسياستنا ؟ كلا انه لو صح مافعلوه فيها عن السيد جمال الدين لكانت دليلا على جهله فيما نعلم أنه من أعلم الناس به، وعلى تناقضه وعلى كذبه ونفاقه. ولو كان ذلك — أجل الله قدره — لما صح أن يكون قدوة لاحد، وفات على دعاة الالحاد أن يتخذوه قدوة فيه للناس، كيف وهو الذي أحيا النهضة العلمية والسياسية في الاسلام. رحمه الله وبرأه من تهم أعداء الاديان، كرينان ومقلدة رينان، ونحن انما نهتدي بقوله تعالى (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله واولئك هم الالباب)

(١) تساءل الناس في الجرائد عن هؤلاء الافراد وهم غير محصورين وليس لنا ان نطعن في تدين فرد معين منهم الا بدليل لا يحتمل التأويل والمحاضرة التي نرد عليها ليست كذلك على ضررها في هذا الباب، وتأييدها لهؤلاء الافراد

كلمة المنار في المحاضرة

(١)

كتبنا كلمتنا العجلى للاهرام عقب حضور المحاضرة بحافز التأثير السيء الذي كان لها في نفسنا وفي أنفس الجمهور كما علمنا ، كما أن احد أساتذة الجامعة جاء الاهرام في تلك الليلة بكلمة أثنى فيها على المحاضرة و زعم أن الجمهور تلقاها بالقبول والارتياح . . . ورغب الى رئيس تحريرها أن ينشرها في الجريدة على أن تكون باسمها ففعل ، ثم استكتبوا رضا توفيق بك الملقب بالفيلسوف التركي مقالة في الثناء على المحاضرة وتحبيذ موضوعها والتنويه بأمر الجامعة المصرية وأساتذتها ونشروها

ونحن وعدنا في كلمتنا العجلى أن نعود الى الموضوع فنجليه في المنار — والمنار أجدر به — لاجل أن نكتب ما نرى فيه الفائدة بعد قراءة المحاضرة لعلمنا بأن ستنشر في جريدة السياسة التي كانت خصصت بعض صفحاتها لنشر أمثالها ، فلما قرأناها ظهر لنا ما كان خفي علينا عند سماعها ، وأوله افتتاحها بتدقيق البحث في تاريخ اخراج السيد جمال الدين من مصر واعتقاله في الهند ومجيئه الى باريس فقد أطال فيها بما لم ينشر كله في صحيفة السياسة اذ لم يكن مكتوباً ، وكان هو أول ما تبرم به السامعون ونكروه فانهم لم يحضروا لاجل سماع تاريخ السيد في اسفاره وتحرير القول في تاريخها ونرى أن نقسم القول في المنار الى بيان ما ظهر لنا من غرض الاستاذ الشيخ مصطفى من المحاضرة فالدفاع عما رمى به السيد جمال الدين فتفنيد مطاعن رينان الجهلية

الغرض من المحاضرة

كنا نظن أن الاستاذ الذي درس العلم الاسلامي في الجامع الازهر و بعض العلم الاوربي في باريس أراد بعد احتفال الجامعة المصرية برينان، الذي لم يعرف في هذه البلاد الا بما اشتهر من طعنه في الاسلام — أن يقوم بما هو جدير به

من تلخيص رأي رينان في الاسلام وتلخيص رد السيد جمال الدين عليه والزيادة عليه بما يعن له ، وختم الكلام بخلاصة الموضوع الذي هو (الاسلام مع العلم والفلسفة) ذلك ما كنا نوده وما كان يظنه الكثيرون

فكانت خلاصة المحاضرة أن السيد جمال الدين الذي اشتهر في العالم الاسلامي كله بأنه حكيم الاسلام وموقظ شعوبه والداعية الى تجديد مجده وإعزاز دولته بهدي الدين وعدو الالحاد وصاحب تلك الحملة المصورة على أهله في رده على الدهريين — قد كان ما كان من أمره في ذلك محصوراً في حياته قبل أن يذهب الى اوربة — بل الى باريس — وانما كان لغرض سياسي وانه بعد وصوله الى مدينة الكفر والالحاد واجتماعه برينان وأمثاله في أوائل سنة ١٨٨٣ قد تطور فكره في أقل من ثلاث سنين ، فمرق من الدين ، واعتقد أنه عدو للعلم والعقل والمدنية ، حتى انه قبل بكل تعظيم وارتياح طعن رينان في الاسلام ، وعظمه وأثنى عليه من جرائه أطيب الثناء على ما سنبينه بالاجمال من بطلانه وسخفه الذي لا يخفى على طالب علم بله حكيم الاسلام ، ومكمل تربية الاستاذ الامام (؟)

بهذا أجاب الاستاذ الشيخ مصطفى عن المقارنة بين رد السيد على رينان سنة ١٨٨٣ وبين سائر محرراته حتى رده على الدهريين الذي كتبه سنة ١٨٨١ — وهذا سر ذلك التدقيق التاريخي الذي أشرنا اليه في فاتحة هذه الكلمة ولكن المعروف من تاريخ السيد الحكيم ومن محرراته في سنة ١٨٨٣ وما بعدها انه لم يزدد بعد اقامته في أوربة وباريس خاصة الا استمساكا بعروة الاسلام الوثقى ودفاعا عنه ودعوة الى النهضه الاسلامية المدنية بهدايته العالية . وخلاصة المحاضرة أن فيلسوفي الشرق والغرب قد اتفقا على اثبات عداوة الدين للعلم والعقل وحرية الفكر لافرق بين الاسلام وغيره

علمنا أن صاحب المحاضرة كان يبحث منذ سنين عن آثار السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده فهل كل هذا التعب كان لاجل هذه النتيجة ، المستنبطه من تلك المقدمات غير المسلمة ؟

الدفاع عن السيد جمال الدين

اننا نرى التعارض تاما بين هذا الرد الذي استخرجه لنا صاحب هذه المحاضرة من ترجمة المانية عن ترجمة فرنسية لم يرها عن أصل عربي مفقود وبين سيرة السيد ومكتوباته وما روى الثقات عنه من أول عمره الى آخره حيث كان في الاستانة يختلف اليه العلماء والكتاب والاذكياء الذين لقينا كثيراً منهم ، فاي الامرين نرجح ؟

لدينا رجل معروف مشهور روى لنا عنه آراءه وأفكاره كثير من العلماء والفضلاء من أقطار مختلفة عاشروه وتلقوا عنه ، منهم من توفي كالاستاذ الامام والاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان والاستاذ ابراهيم اللقاني الذين كان أقرب الناس اليه ، وألصقهم به وأكثرهم استفادة منه ، ومنهم الاحياء كالاستاذ الشيخ بخيت والاستاذ ابراهيم بك الهلباوي، ومنهم آخرون من أهل سورية والاستانة وغيرها من الاقطار كالامير شكيب ارسلان والشيخ طاهر الكيال والشيخ عبد القادر المغربي، وله آثار مخطوطة ومطبوعة في عصره أشهرها رسالة الرد على الدهريين وجريدة العروة الوثقى التي نشرها بباريس سنة ١٨٨٤

كل ذلك متفق في تعريف الرجل الينا أو تعريفنا به ، ويعارضه تلخيص بالعربية عن ترجمة المانية لترجمة فرنسية لرده بالعربية على رينان — فيه ابهام التلخيص واحتمال الخطأ فيه — وعدم الثقة بمطابقة الترجمة الالمانية للفرنسية والترجمة الفرنسية للاصل العربي الذي كتبه السيد ردا على رينان، فاذا هو بهذه الظلمات الثلاث أقرب الى التأييد منه الى الرد والمشهور انه رد، على أننا فهمنا منه غير مافهمه صاحب المحاضرة

فأي هذين الامرين المتعارضين نرجح ؟ أفهمنا المؤيد بالآثار المخطوطات والمطبوعات، وبروايات الثقات الاثبات أم فهمه المعارض بكل ما ذكرنا الذي تعلوه تلك الظلمات الثلاث اننا نرى أهل الفرق المختلفين في اصول الدين الواحد

منهم على مذهبه بنصوص من كتاب ذلك الدين الالهي وكذلك المختلفون في الفروع قد يرد بعضهم على بعض بنصوص الكتاب وأقوال الرسل عليهم السلام. بل نرى أهل دين يستدلون بكتاب غير كتابهم على خلاف ما اجمع عليه المؤمنون بذلك الكتاب، كما ألف بعض دعاة النصرانية كتابا استدل فيه بآيات من القرآن على أن التوراة والانجيل اللذين بأيدي أهل الكتاب حق كما أنزلهما الله وأنه لاتحريف فيهما ولا تبديل . وانه يجب العمل بهما بعد الاسلام ! !

اننا نجد فيما لخصه الاستاذ صاحب المحاضرة من رد السيد جمال الدين على رينان جملا متفرقة تخالف جملا أخرى منهـا وتحول دون صحة النتيجة التي استنبطها من مجموع الرد وقد يؤيدها في ذلك جملة من تلخيص رد رينان على السيد

أول مالخصه من رد السيد قوله :

« تشتمل محاضرة الموسيو رينان على نقطتين أساسيتين فقد حاول هـذا المفكر العظيم أن يبرهن على أن الديانة الاسلامية كانت بما لها من نشأة خاصة تناهض العلم وان الامة العربية غير صالحة بطبيعتها لعلوم ماوراء الطبيعة ولا للفلسفة

« ويظهر ان الموسيو رينان يقول ان هذه النبتة الصالحة ذبلت في أيدي المسلمين كما يذبل النبات تلفحه ريح الصحراء الساخنة »

« وان المرء ليتساءل بعد أن يقرأ المحاضرة عن آخرها : أصدر هـذا الشر عن الديانة الاسلامية نفسها ؟ أم كان منشؤه الصورة التي انتشرت بها الديانة الاسلامية في العالم ؟ أم ان أخلاق الشعوب التي أعتنقت هذا الدين أو حملت على اعتناقه بالقوة — وعاداتها ومواهبها الطبيعية — هي جميعا مصدر ذلك ؟

« ولا ريب (١) أن الوقت المخصص لرينان قد حال دون اجلائه هـذه النقطة » أه بحروفه فيؤخذ من هذه الجملة أو الجمل أمور :

(أحدها) — أن السيد صرح بان رينان حاول أن يبرهن على نظريته في

(١) الظاهر أن هذه الجملة استئناف بياني فواو العطف في أولها غلط

الاسلام ، لا أنه برهن، ومعنى حاوله طلبه بحيلة كما بينه الزمخشري في أساس البلاغة وإنما يلجأ الى الحيلة العاجز

(ثانيا) — أنه حاول ذلك بأخذه من نشأة هذا الدين الخاصة وكون العرب الذين نزل كتابه بلغتهم غير مستعدين للعلم والفلسفة — لا من طبيعته وتعاليمه

(ثالثها) — أن الاسلام نفسه نبتة صالحة — أو العلوم — فالعبارة محتملة، وأنها ذبلت في أيدي المسلمين وتصوحت كما يتصوح النبات الغض تلفحه ريح السموم

ومعنى هذا على الوجه الثاني ان العلوم وجدت في عهد الاسلام ثم ذبلت ، وهذا حق فالتاريخ يشهد ان العرب هم الذين أحيوا العلم والفلسفة بعد ان أخرجهم الاسلام من أميتهم ، وانها انما ذبلت بعد ضعف دولهم ، ثم جفت ويبست بعد زوال تلك الدول ، وسيأتي تفصيل ذلك

(رابعها) — قوله : ان المرء ليتساءل بعد أن يقرأ المحاضرة عن آخرها

أصدر هذا الشر عن الديانة الاسلامية نفسها ؟ أم كان منشؤه الصورة التي انتشرت بها الديانة الاسلامية الخ ما تقدم

والذي يتفق مع سيرة السيد مجملة ومفصلة بل الذي نقل عنه صراحة هو ان أسلام القرآن أكمل هداية للبشر وأنه كافل للمدنية الفاضلة التي مات الفلاسفة والحكماء في حسرة من فقدها وعدم اهتداء السبيل اليها ، وان المسلمين لم يقوموا بكل ما أرشد اليه الاسلام من كل وجه، وانهم جنوا على دينهم حتى نفروا الناس منه في القرون الاخيرة، وقد نقلنا في الكلمة العجلى بعض ماروى لنا الثقات عنه في آخر عمره في الاستانة أي بعد التطور الذي استنبطه الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق فكان منشأ أغلاطه . ومما يؤثر عنه وسمعه منه الكثيرون : أن القرآن لايزال بكرا لم يفسره احد حق تفسيره ، وان فيه من الهداية ما يناسب كل عصر، وان المسلمين أخذوا من هدايته المدنية في كل عصر بقدر استعدادهم وأحوالهم الاجتماعية، ولولا ما سنشير اليه من الصدمات التاريخية لبلغوا به الكمال المدني كما بلغوا الكمال الديني — يؤيد فهمنا هذا ما نقله الاستاذ صاحب المحاضرة

من رد رينان على السيد جمال الدين قبل خاتمتها وهو قوله :

« ويلوح لي أن الشيخ جمال الدين قد زودني بطائفة من الآراء الهامة(١) تعينني على نظريتي الاساسية وهي أن الاسلام في النصف الاول من وجوده لم يحل دون استقرار الحركة العلمية في الاراضي الاسلامية . ولكن في النصف الثاني خنق الحركة العلمية وهي في حظيرته فكان هذا من سوء حظه » أه

أضف الى هذا إطناب السيد في تفنيد رأي رينان في العرب — واستنتج منهما أنه يعني بالنصف الاول عصر الدول العربية المحضة قبل تغلب الاعاجم على خلفاء العرب من ترك وفرس — وبهذا تعلم أن السيد قد هدم محاضرة رينان ونسفها نسفا برقة ولطف ، كالماء تخلل أساس بناء بني على شفا جرف هار فانهار به ، وان كل ماوافقه عليه هو أن المسلمين قد وجد منهم كغيرهم في نشأة الاسلام الاعجمية في النصف الثاني من حياته ماخنق الحركة العلمية ، فكل ما أسنده الى الاسلام موافقا لرينان يراد به الاسلام الاعجمي المشوه بالبدع ، لا الاسلام العربي المنصوص في القرآن والسنن ، والا كان كلامه متناقضا ، ولا وجه لدفع التناقض الذي يصان عنه كلام العقلاء الا ماذكرنا

شرح الشيخ محمد عبده لرد الافغاني على رينان

إني أستطيع أن أشرح لك أيها القارىء هذا الحكم ولكنك غني عن شرحي بشرح أكبر تلاميذ السيد جمال الدين ومريديه وأعلم الناس بآرائه والمطلع على رده على رينان بنصه ، فهو قد شرح هذا الرد بكتاب حافل ، تتزين به الخزائن والمحافل، الا وهو (كتاب الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية)

أورد في هذا الكتاب بضعة من أصول الاسلام هي نصوص جلية وبراهين قطعية، على كونه دين العلم والعقل والمدنية، ثم ذكر خلاصة تاريخية لمؤرخي الاسلام والافرنج عن الدول العربية ، تثبت ان تلك المدنية الزاهرة وانتشار العلم والفلسفة

(١) — المنار : الصواب المهمة فان المهم ما يهتم به الانسان والهام المذنب ، ومن سجع الاساس : أهمه حتى همه

كان نتيجة تلك الاصول الاسلامية واستعداد الامة العربية . ومما نقله من كلام غوستاف لو بون الفيلسوف المؤرخ الفرنسي فيه : إن العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين

وبعد أن شرح نتائج تلك الاصول فتح بابا آخر للكلام عنوانه (الاسلام اليوم او الاحتجاج بالمسلمين على الاسلام) وصف فيه سوء حال المسلمين علمائهم ودهمائهم — وذكر أنه هو الذى حمل رينان على الطعن في الاسلام واتخذه حجة له — وقد أورد ذلك بصيغة السؤال ثم أجاب عنه بعد أن سماه « جمود المسلمين » جوابا بين به أسبابه والمخرج منه ومما قاله في أوائل هذا الجواب والعنوان لنا:

ضعف الاسلام العربي بتغلب الاعاجم

«أنظر كيف صارت مزية من مزايا الاسلام سببا فيما صار اليه اهله : كان الاسلام دينا عربيا، ثم لحقه العلم فصار علما عربيا، بعد ان كان يونانيا، ثم أخطأ خليفة فى السياسة فاتخذ من سعة الاسلام سبيلا الى ما كان يظنه خيرا له : ظن أن الجيش العربي قد يكون عونا لخليفة علوي لان العلويين كانوا ألصق ببيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فأراد أن يتخذ له جيشا أجنبيا من الترك والديلم وغيرهم من الامم التي ظن أنه يستعبدها بسلطانه . و يصطنعها باحسانه . فلا تساعد الخارج عليه، ولا تعين طالب مكانه من الملك . وفي سعة أحكام الاسلام وسهولته ما يبيح له ذلك . هنالك استعجم الاسلام وانقلب عجميا

خليفة عباسي أراد أن يصنع لنفسه ولخلفه ، وبئس ما صنع بأمته ودينه، اكثر من ذلك الجند الاجنبي وأقام عليه الرؤساء منه ، فلم تكن الا عشية أو ضحاها حتى تغلب رؤساء الجند على الخلفاء واستبدوا بالسلطان دونهم، وصارت الدولة في قبضتهم . ولم يكن لهم ذلك العقل الذي راضه الاسلام والقلب الذي هذبه الدين، بل جاؤا الى الاسلام بخشونة الجهل يحملون ألوية الظلم . لبسوا الاسلام على أبدانهم، ولم ينفذ منه شيء الى وجدانهم ، وكثير منهم كان يحمل إلهه معه

يعبده في خلوته، ويصلي مع الجماعات لتمكين سلطته، ثم عدا على الاسلام آخرون كالتتار وغيرهم ومنهم من تولى أمره

«أي عدو لهؤلاء أشد من العلم الذي يعرف الناس منزلتهم: ويكشف لهم قبح سيرهم؟ فمالوا على العلم وصديقه الاسلام ميلتهم أما العلم فلم يحفلوا بأهله، وقبضوا عنه يد المعونة، وحملوا كثيرا من أعوانهم أن يندرجوا في سلك العلماء وأن يتسربلوا بسرابيله، ليعدوا من قبيله. ثم يضعوا للعامة في الدين ما يبغض اليهم العلم ويبعدهم عن طلبه. ودخلوا عليهم وهم أغرار من باب التقوى وحماية الدين: زعموا الدين ناقصا ليكملوه، أو مريضا ليعالجوه، أو متداعيا ليدعموه، أو يكاد أن ينقض ليقيموه

«نظروا الى ما كانوا عليه من فخفخة الوثنية. وفي عادات من كان حولهم من الامم النصرانية، فاستعاروا من ذلك للاسلام ما هو براء منه. لكنهم نجحوا في اقناع العامة بأن في ذلك تعظيم شعائره، وتفخيم أوامره والغوغاء عون الغاشم، وهم يد الظالم، فخلقوا لنا هذه الاحتفالات، وتلك الاجتماعات، وسنوا لنا من عبادة الاولياء والعلماء والمتشبهين بهم ما فرق الجماعة، وأركس الناس في الضلالة، وقرروا أن المتأخر، ليس له أن يقول بغير ما يقول المتقدم، وجعلوا ذلك عقيدة حتى يقف الفكر وتجمد العقول. ثم بثوا أعوانهم في أطراف الممالك الاسلامية ينشرون من القصص والاخبار والآراء ما يقنع العامة بأنه لا نظر لهم في الشؤون العامة. وأن كل ما هو من أمور الجماعة والدولة فهو مما فرض فيه النظر على الحكام دون من عداهم، ومن دخل في شيء من ذلك من غيرهم فهو متعرض لما لا يعنيه، وأن ما يظهر من فساد الاعمال واختلال الاحوال ليس من صنع الحكام وانما هو تحقيق لما ورد في الاخبار من أحوال آخر الزمان وأنه لا حيلة في اصلاح حال ولا مآل، وأن الاسلم تفويض ذلك الى الله وما على المسلم الا أن يقتصر على خاصة نفسه. ووجدوا في ظواهر الالفاظ لبعض الاحاديث ما يعينهم على ذلك وفي الموضوعات والضعاف ما شد أزرهم في بث هذه الاوهام. وقد انتشر بين المسلمين جيش من هؤلاء المضلين وتعاون ولاة الشر على مساعدتهم في جميع الاطراف

واتخذوا من عقيدة القدر مثبطا للعزائم وغلا الايدي عن العمل . والعامل الاقوى في حمل النفوس على قبول هذه الخرافات انما هو السذاجة وضعف البصيرة في الدين و موافقة الهوى ، أمور اذا اجتمعت أهلكت. فاستتر الحق تحت ظلام الباطل ورسخ في نفوس الناس من العقائد ما يضارب أصول دينهم و يباينها على خط مستقيم كما يقال

هذه السياسة — سياسة الظلمة وأهل الاثرة — هي التي روجت ما دخل على الدين مما لا يعرفه وسلبت من المسلم أملا كان يخترق به أطباق السموات، وأخلدت به الى يأس يجاور به العجماوات. فجل ما نراه الآن مما نسميه اسلاما فهو ليس باسلام وانما حفظ من أعمال الاسلام صورة الصلاة والصوم والحج ومن الاقوال قليلا منها حرفت عن معانيها. ووصل الناس بما عرض على دينهم من البدع والخرافات الى الجمود الذي ذكرته وعدوه دينا . نعوذ بالله منهم ومما يفترون على الله ودينه. فكل ما يعاب الآن على المسلمين ليس من الاسلام وانما هو شيء آخر سموه اسلاما والقرآن شاهد صادق (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) يشهد بأنهم كاذبون وأنهم عنه لاهون وعما جاء به معرضون . وسنوفي لك الكلام في مفاسد هذا الجمود ونثبت انه علة لا بد أن تزول اه المراد منه هنا (للكلام بقية)

رسائل الطعن في الوهابية

كان السلطان عبد الحميد يخاف عاقبة نهضة العرب الدينية في نجد إذ كان يعتقد هو وبعض أركان دولته أن العرب لا تجتمع لهم كلمة ولا تقوم لهم دولة الا بدعوة دينية كما قرره حكيمهم ابن خلدون في مقدمته — فكان يغري بعض امرائهم ببعض كاغراء آل رشيد بآل سعود ، وكان المنافقون من المعممين يتقربون الى حكومته بالطعن في الوهابية ويزعمون أنهم يخدمون بذلك الدين وينصرون السنة ، ولكننا لم نر أحدا من هؤلاء المنافقين نصر

لدين بالرد على الملاحدة ولا على دعاة النصرانية الذين يطعنون في أصل الاسلام وكتابه ورسوله لتنصير المسلمين ، وكان بعض حشوية الشام المتملقين أشد الناس اسرافا في الطعن في الوهابية فلا يكادون يذكرون في كل البلاد العثمانية بقدر مايذكرون في دمشق وحدها .

وقد خفت هذه الوطأة في السنين الاخيرة ثم اشتدت بعد استقرت امارة عبد الله بن الملك حسين في شرق الاردن وشاع أن الوهابية سيزحفون للاستيلاء على هذه المنطقة لانتزاعها من السلطة الحجازية البريطانية ، وكان بعض الجرائد المسيحية في دمشق والقدس أول ميادين هذه الحملة . فاصحابها النصارى يطعنون في الوهابية ويفضلون امراء الحجاز على امراء نجد من طريق السياسة بل ذكرت جريدة (لسان العرب) التي تأخذ راتبا شهريا من الامير عبدالله ومنحتها جريدة القبلة الحجازية لقب « لسان أقوامنا » أنه يجب على النصارى في سورية وفلسطين تأييد الملك حسين وأولاده لان حكومتهم مدنية لا اسلامية بخلاف حكومة نجد فانها اسلامية دينية متعصبة — وقد فتحوا أبواب صحفهم لكل من يطعن في الوهابية من المسلمين طعنا دينيا بحتا لاجل هذه الغاية السياسية

وفي هذه الاثناء جاءتنا عدة رسائل من دمشق ورسالة من بيروت في الطعن في الوهابية كتب على ظهر بعضها أنها « توزع مجانا وقفا لله تعالى » وعلى البعض الآخر « توزع مجانا في محبة رسول الله صلى الله عليه » وغير معهود من أصحابها هذا السخاء في نشر العلم والدين ؟ ؟

لم يرسل الينا هذه الرسائل مؤلفوها . بل أرسلها بعض أهل العلم والدين لنرد عليها . وقد تصفحنا أوراقا من كل منها من أولها وآخرها فلم نر شيئاً منها يستحق أن يكرم بالرد . لانهم يقولون زورا ويخلقون أفكارا ويردون عليها كما يردون بعض الحق بمحض الجهل وتقليد العوام ومجاراتهم وجعل البدع الفاشية فيهم سننا مجمعا عليها . بل ذكروا في رسائلهم من الاحاديث الموضوعة والآثار المصنوعة والكذب على السلف الصالح والائمة مايعد معه الكذب على الشيخ محمد عبد الوهاب وأهل نجد أمراً هينا فان كذبا عليه (ص) ليس ككذب على غيره فمن كذب عليه متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، كما تواتر عنه عليه صلوات الله وسلامه . على أن بعض علماء دمشق الاثريين قد ردوا

عليهم برسائل فضحوا بها ما ستروا ولفقوا ما لفقوا

فمن هذه الرسائل ثلاث لرجل في دمشق يدعى الشيخ عبد القادر الكيلاني الاسكندراني لقيته في دمشق غير مرة فاوهمني أنه يكره الحشو والبدع ويحب الاصلاح . وما كنت اظن فيه أن يكتب امثال هذه الرسائل ولكنها هي أدل على حقيقة حاله مما تراءى لي منه

(ومنها) رسالة لرجل عامي لا ندري أهو من طائفة المعممين أم من غيرهم اسمه محمد توفيق السويقة — وقد كتب عليها انها الرسالة الاولى

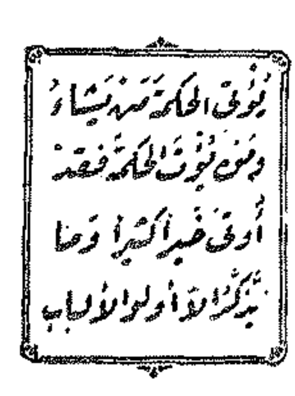
(ومنها) رسالة للشيخ محمد جميل الشطي الحنبلي سماها (الوسيط بين الافراط والتفريط) نصب فيها نفسه حكما بين الوهابية وغلاة خصومهم وكنا نظن أنه يحكم عن علم ، ويلتزم الحق فلا يجور في الحكم ، فاذا هو خصم أي خصم ، نقل عنهم ماليس عندهم ، ولبس الحق بالباطل ، ولم يميز بين الاواخر والاوائل ، بل جعل الخلف الطالح ، كالسلف الصالح ، وايدهم في بعض المواضع من حيث لا يدري بل في سياق الرد عليهم ، واعتمد في هذا الرد على كلام اعدائهم ومقلدة أعدائهم

رد على هذه الرسائل الشيخ ناصر الدين الحجازي الاثري والشيخ أبو اليسار الدمشقي ، فأتيا بما يكفي دافعا لمفترياتها ، ومزيلا لشبهاتها ، وإن لم يستقصيا جميع ضلالاتها ، وردهما عليها رد على رسالة الشيخ مصباح شبقلو البيروتي .

فان كل الذين يردون على الوهابية يستمدون الافتراء عليهم من مصدر واحد كما أن مصدر مادتهم العلمية والدينية واحد هو التقليد لمتأخري مقلدة الحشوية وبدعهم ، فلا تحري في النقل ، ولا استقلال في الفهم ، ولا رسوخ في شيء من العلم ، وأنى والعلم الذي فرضه الله على كل مسلم محرّم عندهم ، لانه يدخل في مفهوم الاجتهاد الذي أقفل بابه بعض شيوخ مشايخهم ، وشرعوا للناس تقليد المجتهدين بدلا منه ، ثم شرع آخرون لهم تقليد المقلدين ، وجميع من ينسب الى مذاهبهم من الميتين ، الى خمس طبقات مرتبة في خمس دركات على أنهم يستدلون فيجتهدون لتأييد التقليد ، لان الاجتهاد المحرم عندهم ما يطلب به الحق لذاته ، ولذلك يحتجون بالاحاديث الموضوعة أو المفتراة حديثا لان مشايخهم ذكروها ، ولا يعلم الفريقان أن المحدثين أنكروها أو لم يثبتوها ، والتمييز بين الاحاديث الصحيحة والباطلة من شروط العلم المحرم عندهم . وان لنا كلمة فاصلة فيهم وفي بيان عقائد الوهابية سيرونها في جزء آخر

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومنارا » كمنار الطريق

٣٠ رمضان ١٣٤١ — ٢٥ الثور (ر ٢) سنة ١٣٠١ هـ ش ١٦ مايو ١٩٢٣

فتاوى المنار

﴿أسئلة وبحث في الفتوى الاولى من فتاوى هذا المجلد — ٢٤﴾

﴿وموضوعها استعمال الذهب والفضة﴾

(س١١) أصحاب الامضاء بدار سعد (لحج)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد وآله وأصحابه أجمعين

لحضرة سيدي العلامة صاحب الفضل والفضيلة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار حفظه الله آمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته علي الدوام

سيدي — اطلعت على فتواكم الشريفة في استعمال آنية الذهب والفضة الصادرة في الجزء الاول من المجلد ٢٤ من مجلتكم المنار الغراء وهي لعمري فتوى نفيسة فيها توسيع وتيسير على كثير من المسلمين الذين ابتلوا باستعمال هذين النقدين في الاسلحة والاواني والساعات والخواتيم وغير ذلك وفي دين الله سعة، وفي الحنيفية السمحة والمحجة البيضاء مايوسع الخلق تفريجا ومرحمة. وبحسب المؤمنين قوله تعالى (ماجعل الله عليكم في الدين من حرج) وقوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده) وقوله تعالى (انما حرم ربي الفواحش) الآيات

ولكن المحتاط لدينه لابد له من برهان وحجة قاطعة تقابل النصوص وتدفع اعتقاده الذي قد رسخ في يقينه، وأصبح من اجزاء دينه ، التي لايمكنه فصل بعضها عن بعض. وها أنا ذا أتطفل عليكم واستزيدكم بيانا لما كتبتموه واقفا موقف السائل المستفيد ولا شأن لي في الاعتراض وانما أتطلب الحقيقة

بنيتم سيدي فتواكم على ماذهب اليه الامام داود ومن وافقه من منع

القياس ، وقد علمتم أن جمهور الامة آخذ بالقياس ، وأن داود أيضا ممن يأخذ بالجلي منه . وقلتم في تعليلهم بالخيلاء وكسر نفوس الفقراء ماهو الحق ولكن الاصح عندهم ان العلة هي العين مع شرط الخيلاء وفرق بين العلل

نعم سيدي علمنا من مذاهب جمهور الامة الاسلامية تحريم الاستعمال للآنية في الاكل والشرب بالنص وغيرها بالقياس عليها ، وقالت طائفة بالحل والاباحة مطلقا ، وقالت أخرى بتحريم ما جاء به النص فقط ومنهم داود ، وقال الشافعي في مذهبه القديم بالكراهة للتنزيه

ثم وجدنا ابن المنذر نقل الاجماع ووجدنا الامام النووي أيضا ناقلا له مع قول ابن المنذر: ان المخالف معاوية بن قرة ، وقول الشافعي في القديم ومع قول النووي إن المخالف داود وأصحابه ممن ينفي القياس واسقاطه لهذا القول ونقله عن الاصحاب انهم لا يعتبرون خلاف من لم يقل بالقياس واسقاطه لمذهب الشافعي القديم وكونه غير مذهب له الآن

فهل نقل الافراد للاجماع مقبول أو مردود ؟ واذا رد فمن أين نعلم الاجماع ؟ وهل قولهم بالاجماع يحمل على الاجماع الصحيح المقبول الذي هو حجة؟ أو يحمل على كونه وقع بعد الخلاف وموت أهله أم ماذا نقول ؟ وهل تقولون بحجية الاجماع ؟ وهل هو واقع في الماضي وممكن الوقوع في الحال والاستقبال أم لا

وقد نقل النووي أيضا الاجماع على تحريم خاتم الذهب مع وجود الخلاف وصحة كون جماعة من الصحابة ومن العشرة قد لبسوه حتى راوي حديث النهي عنه والقول فيه كسابقه أفيدوا عافاكم الله

واذا أسقطتم هذا الاجماع فما قولكم في حديث الذهب والحرير « هذان حرامان على ذكور أمتي حلال لاناثها » وحديث « من لبس الذهب في الدنيا لا يلبسه في الجنة » أو كما قال تفضلوا بالبيان الشافي واظهار الحجة الساطعة في ذلك لاعدمكم المسلمون ودمتم الامير بدار سعد (لحج)

وأفيدوا عافاكم الله عن حديث النهي عن لبس الذهب الا مقطعا أو كما قال

وعن حديث سيف رسول الله الذي تقلده يوم فتح مكة وهو محلى بالذهب وعن إلباسه للبراء خاتم الذهب وهو راوي حديث النهي عنه. ويقول: ألبسنيه رسول الله ، ولماذا لبسه سعد بن أبي وقاص وطلحة واسيد بن حضير وصهيب وحذيفة وخباب وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ؟ هل يجوز أن يقال إنه لم يبلغهم النهي؟ أم نقول إنهم حملوا النهي على التنزيه ؟ أفيدونا جزاكم الله خيراً فقد وقع هنا سوء ظن لمخالفة اجماع المذاهب حفظكم الله

(المنار) اننا أوجزنا في هذه الفتوى لانه سبق لنا تفصيل المسألة في الفتوى ٥٧ من المجلد السابع وغيرها ، ولو اطلع عليها السائل لاستغنى بها عن أكثر هذه المسائل . ولو أردنا أن نعيد كل ما حققناه من المسائل في المنار كلما تكرر السؤال عنه ممن يتجدد من المشتركين لكثر التكرار فيه حتى يمله أكثر القارئين له

ومن مسائل تلك الفتوى (١) بيان ضعف حديث « أحل الذهب والحرير للاناث من أمتي وحرم على ذكورها » وتخطئة الترمذي في تصحيحه (٢) اعلال حديث « ان هذين حرام على ذكور أمتي » الخ (٣) ان حديث معاوية في النهي « عن لبس الذهب الا مقطعا » في اسناده سليمان القناد فيه مقال وبقية رجاله ثقات ورواه أبو داود بسند آخر فيه بقية بن الوليد وفيه مقال أيضا (٣) ان حديث علي « نهاني رسول الله عن التختم بالذهب » الخ رواه احمد ومسلم وأصحاب السنن ما عدا ابن ماجه وفي رواية فيه « ولا أقول نهاكم » وهي كما قيل قاضية على رواية « نهى » (٤) ان الذي ثبت في الصحاح هو النهي عن الاكل والشرب في صحاف الذهب والفضة وأوانيهما مع الوعيد الدال على التحريم وكذا التختم بالذهب (٥) اختلاف السلف والخلف في المسألة ومسألة الحرير (٦) اختلاف النصوص وآراء العلماء في علة النهي والتحريم وقد استغرق هذا وحده صفحتين من الفتوى وسيذكر بعضه فيما يأتي . وهاك تلخيص الكلام في الحرير والذهب والفضة من خاتمة تلك الفتوى وهو :

« والجملة ان نص الشارع صريح في النهي عن الحرير الخالص الا لحاجة

لبسا وجلوسا عليه وأباح أنس وابن عباس الجلوس عليه. وقال الفقهاء أي بلا حائل فان كان هنالك حائل كالنسيج الابيض الذي يوضع على الكراسي والارائك فلا بأس عندهم — وعن الاكل والشرب في أواني الذهب والفضة — والتختم بالذهب على ما فيه ، وان بعض الفقهاء حملوا ذلك النهي على الكراهة دون التحريم والجماهير حملوه على التحريم ، وان داود خصه بالشرب — وأكثر المحدثين بالاكل والشرب ، وعامة الفقهاء حرموا كل استعمال الانحوضية يصنع بها إناء. وأن الاحتياط أن يجتنب المسلم ماورد به النهي الصريح و يراعي المصلحة فيما وراء ذلك بحسب اجتهاده مع الاخلاص والله أعلم »

وبقي هنا أسئلة نجيب عنها بالايجاز

(١) حديث « من لبس الذهب في الدنيا لا يلبسه في الجنة » أخطأ السائل في لفظه فانما ورد بهذا اللفظ في الحرير مع ذكر الآخرة بدل الجنة ، وهو في الصحيحين وغيرهما والمراد به الحرير الخالص وهومقيد بمالاتمس اليه الحاجة جمعا بين الروايات الصحيحة ومنها اذن النبي (ص) لعبد الرحمن بن عوف والزبير بلبسه لحكة كانت بهما رواه الشيخان بل الجماعة كلهم ، وروى أبو داود لبسه عن عشرين من الصحابة

وأما حديث لبس الذهب فقد أخرجه أحمد والطبراني عن ابن عمر مرفوعا بلفظ « من مات من أمتي وهو يلبس الذهب حرم الله عليه ذهب الجنة » الحديث ، ولم أر لفقهاء الحديث الذين حصروا التحريم في الصحاف والآنية والخواتيم كلاما في هذا الحديث وما ذلك الا لانهم لم يروه صالحا للاحتجاج فأنهم يأخذون بكل مايحتج به. وليسوا كمقلدة المذاهب الذين يأخذون بماوافق مذاهبهم ويردون غيره او يسكتون عنه. ولم يحتج به من رأينا كتبهم من فقهاء الحنابلة حتى المغني والشرح الكبير المقنع ولكن ذكره الحافظ في الفتح ولم يتكلم عليه ، وسيأتي ما يؤيد اعلاله

(٢) حديث النهي عن لبس الذهب الا مقطعا أشرنا الى ضعفه في خلاصة

فتوى المجلد السابع وذلك ان صالح بن الامام احمد قال عن أبيه إن ميمون القناد روى هذا الحديث ولا يصح ، ووثقه ابن حبان ورواه أبو داود من طريق بقية ابن الوليد وهو صدوق الا أنه كثير التدليس عن الضعفاء ولفظه عن معاوية : نهى رسول الله (ص) عن ركوب النمار وعن لبس الذهب الا مقطعا » والنمار والنمور جمع نمر وفيه حذف مضاف فانما النهي عن استعمال جلودها بوضعها على الرحل وعللوه بالخيلاء وبأنه زي العجم ، ومعنى المقطع ماجعل قطعا كحلي النساء وما يجعل في سيف الرجل — كذا فسروه.قال في نيل الاوطار : قال ابن رسلان في شرح سنن أبي داود : والمراد بالنهي الذهب الكثير لا المقطع قطعا يسيرة منه تجعل حلقة أو قرطا أو خاتما للنساء أو في سيف الرجل وكره الكثير منه الذي هو عادة أهل السرف والخيلاء والتكبر ، وقد يضبط الكثير منه بما كان نصابا تجب فيه الزكاة (أي ٢٠ مثقالا) واليسير بما لا تجب فيه (انتهى) وقد ذكر مثل هذا الكلام الخطابي في المعالم ولعل هذا الاستثناء خاص بالنساء. قال لان جنس الذهب ليس بمحرم عليهن كما حرم على الرجال قليله وكثيره اه وقوله هذا مراد به تأييد مذهبه وحمل الحديث عليه كدأب المقلدين

وقد أباح قليل الذهب بعض المصنفين في فقه المذاهب . قال أبو القاسم الخرقي من قدماء أئمة الحنابلة في مختصره المشهور ، ويكره أن يتوضأ بآنية الذهب والفضة فان فعل كره . اه وحمل الشارح في المغني الكراهة على التحريم ثم قال في اختلاف الائمة في الضبة الكبيرة وتعليل التحريم بالاسراف والخيلاء : اذا ثبت هذا فاختلف أصحابنا فقال أبو بكر يباح اليسير من الذهب والفضة لما ذكرنا . وأكثر أصحابنا على انه لا يباح اليسير من الذهب ولا يباح الا مادعت اليه الحاجة كانف الذهب وما يربط به اسنانه الخ

(٣) السؤال عن إلباس النبي (ص) البراء خاتم الذهب . ومن لبسه غيره من الصحابة هل يجوز أن يقال إنه لم يبلغهم النهي أم نقول انهم حملوا النهي على التنزيه ؟ أقول

حديث البراء أسنده البخاري في عدة أبواب اختلفت ألفاظها بالتقديم والتأخير والزيادة والنقصان ولفظه في كتاب اللباس: نهانا النبي (ص) عن سبع عن خاتم الذهب — أو قال حلقة الذهب — والحرير والاستبرق والديباج والميثرة الحمراء والقسي وآنية الفضة الخ وقد ذكر الحافظ في شرحه من الفتح ما نصه: وقد جاء عن جماعة من الصحابة لبس خاتم الذهب، من ذلك ما أخرجه ابن أبي شيبة من طريق محمد بن أبي اسماعيل أنه رأى ذلك على سعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله وصهيب وذكر ستة أو سبعة، واخرج ابن أبي شيبة أيضا عن حذيفة وعن جابر ابن سمرة وعن عبد الله بن يزيد الخطمي نحوه من طريق حمزة بن أبي اسيد: نزعنا من يدي أبي اسيد خاتما من ذهب. وأغرب ماجاء في ذلك ما جاء عن البراء الذي روى النهي فأخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح عن أبي السفر قال رأيت على البراء خاتما من ذهب، وعن شعبة عن أبي أسحق نحوه اخرجه البغوي في الجعديات، وأخرج احمد من طريق محمد بن مالك قال رأيت على البراء خاتما من ذهب فقال: قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما فألبسنيه فقال «إلبس ما كساك الله ورسوله» قال الحازمي اسناده ليس بذاك ولو صح فهو منسوخ (قلت) لو ثبت النسخ عند البراء ما لبسه بعد النبي (ص) وقد روي حديث النهي المتفق على صحته عنه فالجمع بين روايته وفعله إما بأن يكون على التنزيه أو فهم الخصوصية له من قوله «إلبس ما كساك الله ورسوله» وهذا اولى من قول الحازمي: لعل البراء لم يبلغه النهي. ويؤيد الاحتمال الثاني انه وقع في رواية احمد: كان الناس يقولون للبراء لم تتختم بالذهب وقد نهى عنه رسول الله (ص)؟ فيذكر لهم هذا الحديث ثم يقول: كيف تأمروني أن أضع ما قال رسول الله (ص) «إلبس ماكساك الله ورسوله»؟ أه

فعلم من هذا أن أجوبة العلماء عن التعارض بين رواية البراء وعمله ثلاثة (أحدها) ان لبسه للخاتم كان قبل التحريم فهو منسوخ، وأدنى مايرد به هذا القول الى الادب في التعبير انه قيل عن غفلة فان الروايات في لبس البراء للذهب

صريحة في أنه كان بعد النهي بل بعد وفاة النبي (ص) فان كان هنالك نسخ فالمنسوخ هو تحريم الذهب لا اباحته (ثانيها) الخصوصية ، وهو ضعيف بل باطل أيضاً ، لا لقولهم إن الخصوصية خلاف الاصل فقط ، بل لان الحلال والحرام لاتثبت فيه خصوصية للافراد لذواتهم وانما تناط الرخص باسباب تقتضيها ، وليس هذا الموضع بالذي يتسع لشرح هذه المسألة (ثالثها) اعتقاد أن النهي للكراهة وهو أقربها ، ولكن فيه ان بعض أحاديث النهي تتضمن الوعيد وهو لا يكون الا على المحرم ، ويجاب بأن حديث البراء المتفق عليه ليس فيه وعيد ، ولو ثبت الوعيد عنده أو عند غيره من أكابر الصحابة الذين روي عنهم التختم بالذهب لما لبسه أحد منهم، ومن المستبعد أن يخفى عليهم ، ويجوز أن يكون الوعيد عندهم مقيدا بقيد كالاسراف أو الخيلاء مما لا ينطبق عليهم .

هذا وان حديث البراء وحديث علي (رض) في النهي يشتملان على النهي عن لبس القسي (بفتح القاف وتشديد السين والياء) من الثياب وهي ثياب مصرية فيها شيء من الحرير وعن المياثر الحمراء أو من جلود السباع أو مطلقا جمع ميثرة بالكسر وهي حشايا صغيرة كان النساء يصنعنها للرجال فتوضع على سرج الفرس أو رحل البعير. وكن يصنعنها من الارجوان الاحمر أو جلود السباع أو الديباج وقد سبق اليها العجم فكان مما علل به النهي عنها تقليدهم والتشبه بهم وهو سبب عارض . وفي تحريمها خلاف بين الفقهاء اقواه ان النهي يكون للتحريم اذا كانت حريرا خالصا أو أكثرها من الحرير. وللتنزيه اذا لم تكن كذلك ، على أنه صح النهي عن الاحمر مطلقا وعن جلود النمور ، وفي تحريمهما خلاف مشهور.

(٤) نقل النووي وابن المنذر الاجماع على ما ذكره السائل غير صحيح ونكتفي في بيانه والجواب عنه بما قاله أهل الرواية من فقهاء الحديث الواسعي الاطلاع المستقلي الفكر : قال القاضي الشوكاني في نيل الاوطار ما نصه :

«قال النووي: قال اصحابنا انعقد الاجماع على تحريم الاكل والشرب وسائر الاستعمالات في اناء ذهب أو فضة إلا رواية عن داود في تحريم الشرب فقط. ولعله

لم يبلغه حديث تحريم الاكل وقول قديم للشافعي والعراقيين فقال بالكراهة دون التحريم وقد رجع عنه. وتأوله أيضا صاحب التقريب ولم يحمله على ظاهره فثبتت صحة دعوى الاجماع على ذلك وقد نقل الاجماع أيضا ابن المنذر على تحريم الشرب في آنية الذهب والفضة إلا عن معاوية بن قرة

« وقد اجيب من جهة القائلين بالكراهة عن الحديث بانه للتزهيد بدليل «أنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة » ورد بحديث «فانما يجرجر في بطنه نار جهنم» وهو وعيد شديد ولا يكون الا على محرم. ولا شك أن أحاديث الباب تدل على تحريم الاكل والشرب وأما سائر الاستعمالات فلا. والقياس على الاكل والشرب قياس مع فارق فان علة النهي عن الاكل والشرب هي التشبه باهل الجنة حيث يطاف عليهم بآنية من فضة وذلك مناط معتبر للشارع كما ثبت عنه لما رأى رجلا متختما بخاتم من ذهب فقال «مالي أرى عليك حلية أهل الجنة؟» أخرجه الثلاثة من حديث بريدة وكذلك في الحرير وغيره والالزم تحريم التحلي بالحلي والافتراش للحرير لان ذلك استعمال وقد جوزه البعض من القائلين بتحريم الاستعمال

« وأما حكاية النووي للاجماع على تحريم الاستعمال فلا تتم مع مخالفة داود والشافعي وبعض اصحابه وقد اقتصر الامام المهدي في البحر على نسبة ذلك الى اكثر الامة على أنه لا يخفى على المنصف مافي حجية الاجماع من النزاع والاشكالات التي لا تخلص عنها. والحاصل أن الاصل الحل فلا تثبت الحرمة الا بدليل يسلمه الخصم ولا دليل في المقام بهذه الصفة فالوقوف على ذلك الاصل المعتضد بالبراءة الاصلية هو وظيفة المنصف الذي لم يخبط بسوط هيبة الجهور ولا سيما وقد أيد هذا الاصل حديث « ولكن عليكم بالفضة فالعبوا بها لعبا» أخرجه احمد وأبوداود. ويشهد له ماسلف أن أم سلمة جاءت بجلجل من فضة فيه شعر من شعر رسول الله (ص) فخضخضت — الحديث في البخاري وقد سبق — وقد قيل ان العلة في التحريم الخيلاء، أو كسر قلوب الفقراء، ويرد عليه جواز استعمال الاواني من الجواهر النفيسة وغالبها انفس واكثر قيمة من الذهب والفضة، ولم يمنعها الا من شذ، وقد نقل ابن الصباغ في

الشامل الاجماع على الجواز وتبعه الرافعي ومن بعده. وقيل العلة التشبه بالاعاجم وفي ذلك نظر لثبوت الوعيد لفاعله ومجرد التشبه لا يصل الى ذلك. وأما اتخاذ الاواني بدون استعمال فذهب الجمهور الى منعه ورخصت فيه طائفة » اه

وقال الحافظ محمد بن اسماعيل الامير في (سبل السلام ، شرح بلوغ المرام) بعد ذكر الاجماع على تحريم الاكل والشرب في آنية الذهب والفضة وصحافها ما نصه « وأما غيرهما من سائر الاستعمالات ففيها الخلاف — قيل لا تحرم لان النص لم يرد الا في الاكل والشرب ، وقيل تحرم سائر الاستعمالات اجماعا ، ونازع في الاخير بعض المتأخرين وقال النص ورد في الاكل والشرب لاغير ، وإلحاق سائر الاستعمالات قياسا لا تتم فيه شرائط القياس ، والحق ماذهب اليه القائل بعدم تحريم غير الاكل والشرب فيها اذ هو الثابت بالنص ، ودعوى الاجماع غير صحيحة ، وهذا من شؤم تبديل اللفظ النبوي بغيره فانه ورد بتحريم الاكل والشرب فقط ، فعدلوا عن عبارته الى الاستعمال وهجروا العبارة النبوية وجاؤا بلفظ عام من تلقاء أنفسهم ، ولها نظائر في عباراتهم أ ه المراد منه

فأنت ترى أنه أنكر صحة الاجماع ولو لم يكن من دليله الا ماتقدم عن الصحابة (رض) لكفى ، وأنكر صحة القياس هنا ولا ينكر كل قياس ، وهو قياس في مسألة فيها نص ، ولو أراد النبي (ص) بيان تحريم كل استعمال لصرح به ، وهو انما صرح ببعض الاستعمال فصدق على الباقي قوله « وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها »

وقد لخص الحافظ ابن حجر الاقوال في المسألة في الفتح فقال في آخر شرحه لاحاديث النهي عن الاكل والشرب في أواني الذهب والفضة والتختم بالذهب وتعليله مانصه :

« وفي هذه الاحاديث تحريم الاكل والشرب في آنية الذهب والفضة على كل مكلف رجلا كان أو امرأة ولا يلتحق ذلك بالحلي للنساء لانه ليس من التزين الذي أبيح لها في شيء . قال القرطبي وغيره : في الحديث تحريم استعمال

أواني الذهب والفضة في الاكل والشرب و يلحق بهما مافي معناهما مثل التطيب والتكحل وسائر وجوه الاستعمالات وبهذا قال الجمهور ، وأغربت طائفة شذت فأباحت ذلك مطلقا ، ومنهم من قصر التحريم على الا كل والشرب ، ومنهم من قصره على الشرب لانه لم يقف على الزيادة في الا كل » أه المراد منه وهو صريح في عدم الاجماع . وقد أطال بعده في سرد ما عللوا به النهي والبحث فيه

فان قيل لا يبعد أن يكون الاجماع قد وقع بعد ما ذكر من الخلاف ، قلنا ان هذا احتمال أرادوا به تصحيح قول من ادعاه ، ولا يصح أن يجعل الاحتمال دليلا وفي حجية اجماع غير الصحابة وفي إمكانه ثم امكان العلم بهمافيه من الخلاف ؟ بل يصح أن يقال ان كون تحريم الاستعمال قول الجمهور فيه نظر فانه غير منقول عن كثير من علماء السلف الذين يعتد بعلمهم وانما قبلت هذه الاقوال بعد فشو التقليد فصار ماعليه المقلدون الكثيرون يشتبه بما عليه الائمة الكثيرون ، وان كانت كثرة المقلدين كقلتهم باتفاق علماء الاصول ، فأخذ زهاء مئتي مليون من حنفية هذا الزمان بقول أبي حنيفة رحمه الله تعالى ان رفع اليدين عند الركوع والقيام منه مكروه مثلا لا يخرجه عن كونه قول فرد أو افراد . ولايلحقه بقول الجمهور لكثرتهم ، بل جمهور العلماء المجتهدين من سلف الامة وقدوتها على سنية الرفع و رواه البخاري عن خمسين من الصحابة . بل لو خالف أبو حنيفة ومالك والشافعي واحمد (رض) سائر علماء عصرهم فهم ومن قبلهم سواء في المسألة ، أعني انه لايقال انها مذهب جمهور الامة بأخذ ثلاثمائة مليون من اتباعهم بها فان هؤلاء الملايين ليس لهم قول لأنهم مقلدون لغيرهم لامستدلون

ولكن بعض اتباع هؤلاء الائمة صاروا يسمون اتفاقهم اجماعا وألفوا في ذلك كتبا جمعوا فيها ما اشتهر من هذا الاتفاق ، على أنه غير حجة في الدين باتفاق علماء الاصول كما يأتي ، بل من المؤلفين من يطلق كلمة الاجماع على اتفاق علماء مذهبه ، وقد يتوهم هؤلاء وأولئك ان ذلك هو الاجماع الذي جعل حجة لعدم علمهم بالمخالف ، ولاغرو فاقل المقلدين من له اطلاع على أقوال سلف الامة وأئمتها المخالفين لمذهبه

(٥) السؤال عما يعرف به الاجماع . وجوابه أنه يعرف بالنقل الذي لا معارض له. وكان العلم بالاجماع من أشق الامور في العصر الاول و يكاد يكون من المتعذر بعده، بل قال بعضهم: انه متعذر، حتى الاجماع السكوتي المختلف فيه . ولهذا كثر خطأ الذين حاولوا ضبط ماعرفوه من مسائله كابن المنذر وابن حزم ولدينا رسالة لابن تيمية في تخطئة ابن حزم في كثير مما نقل الاجماع عليه . وأما تحقيق الحق في مسألة حجية الاجماع فقد فصلناه في تفسير (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول[1] وأولي الامر منكم) فلا نفرد لها بحثا هنا

(٦) قول السائل اننا بنينا فتوانا على ماذهب اليه داود ومن وافقه من منع القياس، وهو سهو منه يظهر له بمراجعة الفتوى وانما بنيناها على نص القرآن وقاعدة البراءة الاصلية وحديث « وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » وما في معناه، وتخصيص القياس بما عدا الزيادة في العبادات والتحريم الديني المحض ، وهذا مذهب المحققين من فقهاء الحديث وغيرهم

وقد حققنا مسألة الاحتجاج به واختلاف أهل الحديث وأهل الرأي فيه حيث حققنا مسألة الاجماع كما بيناه آنفا فيراجع هنالك فانه طويل ونفيس جدا

(٧) قوله : فقد وقع هنا سوء ظن لمخالفة إجماع المذاهب. نقول ما هذه المذاهب التي أساؤا الظن بمن ينقل ما خالفها ؟ الظاهر أنهم يعنون مذاهب أئمة الفقه الاربعة الذين ينتمي اليهم أكثر مقلدة المسلمين السنيين : أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم ، فان كانوا يسيئون الظن بمن ينقل ما يخالف أقوالهم وأقوال اتباعهم فسوء ظنهم هذا يتناول أساطين علماء الاسلام الاعلام من المفسرين والمحدثين والمتكلمين والاصوليين ، وان كانوا يسيئون الظن بمن يخالف مذاهبهم في العمل فهم يسيئون الظن بكل المجتهدين في زمنهم ومن بعدهم ، و يشرعون للناس حجية اجماعهم ، وهذا شرع لم يأذن به الله ، ولم يقل به احد من علماء الاصول المنتمين اليهم ولا من غيرهم ، بل جمهور هؤلاء الاصوليين يشترطون

---

(١) راجع ص١٨١ - ٢٠٨ ج ٥ تفسير وص ٢١٣ - ٤١٧ منه

في الاجماع اتفاق المجتهدين في عصر من الاعصار حتى أنهم منعوا الاحتجاج باجماع الخلفاء الاربعة مع ماورد في الحديث من جعل سنتهم كسنته (ص) وإجماع أئمة آل البيت مع ماورد من حديث الثقلين وغيره ، وإجماع أهل المدينة في عصر التابعين وتابعيهم الذي جرى عليه الامام مالك. فهل يقولون بحجية اجماع أربعة من المجتهدين كان عدد المجتهدين في عصرهم غير محصور؟ وجميع هؤلاء الاصوليين يقولون بالتبع لأئمة السلف كلهم بوجوب اتباع الدليل وتحريم التقليد ورد كل قول لكل أحد يخالف نص الكتاب والسنة ، وهذا منقول عن الأئمة الاربعة نقلا لا نزاع فيه فهو مما أجمعوا عليه بل نقل ابن حزم الاجماع العام على النهي عن التقليد ، وانما أباح التقليد المقلدون وأولوا كلام أئمتهم في بطلانه ، واشترطوا فيه العجز عن معرفة الدليل ولو في بعض المسائل دون بعض ، واختلف هؤلاء في التزام مذهب معين ورجح ابن برهان والنووي عدم الالتزام واحتجوا بما كان عليه عوام السلف من الصحابة والتابعين . وقال التاج السبكي في أواخر كتابه (جمع الجوامع) في الاصول الذي هو عمدة الازهر وسائر المعاهد الدينية بمصر : وان الشافعي ومالكا وأبا حنيفة واحمد والاوزاعي واسحق وداود وسائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم

وليعلم من يسيء الظن ومن يحسنه من أهل بلادكم ان المنار منار الاسلام لا منار مذهب معين من المذاهب المتبعة ، وانه يحترم ويعظم جميع الائمة ويخدم الاسلام بنحو ما كانوا يخدمونه به ، وهو بيان كتاب الله وسنة رسوله وسيرة سلفه الصالح مع الدعوة الى الاهتداء بذلك في هذا العصر في امري الدين والدنيا ، ومن ذلك ذكر كل حكم بدليله . ويعتمد في الاستدلال على أشهر كتب التفسير والسنة وشروحها المعتبرة ، ويتحرى بذلك افادة جميع المسلمين وجمع كلمتهم ، وازالة ما شجر من الخلاف والشقاق بينهم ، ويرى أن اتباعهم لاولئك الائمة يساعد على ذلك دون اتباع كثير من المقلدين المتأخرين المفرقين ،

وليعلم هؤلاء أيضا أن كثيرا من هذه الكتب المنتشرة المنسوبة الى أناس يصفون انفسهم بالشافعي والحنفي الخ محشوة بالخرافات والاحاديث الموضوعة والاقوال

المخالفة لاحوال الائمة ونصوصهم ، ونحن بحمد الله وتوفيقه قداتبعنا الأئمة كلهم بالتزام ذكر الاحكام بأدلتها من غير تعصب لاحد من العلماء في المسائل الخلافية، واننا ننصح لكل أحد بان يحتاط لنفسه في العمل، ومنه أن يجتنب مااختلف العلماء الذين يعتد بعلمهم في تحريمه وان لم يعتقد رجحان التحريم، وأما اذا اعتقده بقوة دليله عنده أو بالثقة بقول امامه فيتعين عليه تركه ، ولكن ليس المقلد أن يعترض على من اتبع الدليل لانه ليس من اهله ، ولا على من قلد غير امامه وغير الاربعة كالزيدي مثلا لانه مثله . ولا ينبغي المسلمين أن يتعادوا بسبب هذه الخلافات فقد أضاع ذلك عليهم دينهم ودنياهم كما بيناه مرارا، ولقد صدق حجة الاسلام الغزالي في جعله ترك المسلمين لجميع المسائل الخلافية الاجتهادية دون ضرر الاختلاف والتفرق في الدين ، وقوله انهم لو عملوا بما أجمع عليه المسلمون وحده لكان كافيا في نجاتهم في الآخرة كما بينه في كتابه القسطاس المستقيم ونقلناه في (محاورات المصلح والمقلد) فليراجعه من أراد والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

﴿ تنبيه ﴾ جاءنا سؤال بل أسئلة من بيروت عن استعمال الذهب والفضة لعل السائل يستغنى بما يراه في هذا الجزء عن نشرها والجواب عنها فان بقي عنده اشكال بعد قراءة ماهنا فليسأل عنه وحده

والمرجو من كل من يسأل عن أشياء عديدة أن يميز بعضها من بعض و يجعلها معدودة بالارقام

﴿ النفس التي خلق منها البشر ﴾

(س ١٢) من صاحب الامضاء في بيروت

لجانب حضرة صاحب الفضل والفضيلة العلامة السيد محمد رشيد افندي رضا منشيء مجلة المنار الاغر حفظه الله آمين

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته و بعد أرفع لجنابكم ما يأتي راجيا التكرم بالاجابة عليه : قرأت في مناركم الاغر في الجزء الثامن من المجلد الثالث والعشرين

الصحيفة ٦٢١ ما يأتي

«وكان مما ذكر من دفع بعض الشبهات مسألة خلق البشر من نفس واحدة فذكر انه ليس في القرآن نص قطعي أصولي على ان هذه النفس هي آدم كما نعتقد نحن وأهل الكتاب ..

بناء على كون هذه الآيات القرآنية ليس فيها نص قطعي أصولي كما قال الاستاذ الامام (رحمه الله) فحينئذ تحتمل أن تكون هذه النفس غير آدم وما هي هذه النفس التي هي غير آدم . تكرموا علينا بالجواب فلا زلتم للعلم أنصارا وللدين الحنيف منارا

الداعي لكم

محيي الدين سليم كريدية

(ج) النص الاصولي القطعي هو عبارة عن اللفظ الذي يفيد معنى واحدا لا يحتمل غيره حقيقة ولا مجازا ولا كناية فلا يدخل فيه مايدل على معنى راجح هو المتبادر عند الاطلاق بحيث لا يحتمل غيره الا بتأول متكلف — فعلى هذا لا ينبغي للعاقل أن يبحث عما يحتمله كل لفظ من المعاني المجازية أو الكنائية الا اذا احتاج الى ذلك لغرض صحيح كدفع اعتراض معترض مخطيء تعين دفعه بمثل ذلك

بعد التذكير بهذه الفائدة أقول يحسن أن تراجعوا معنى النفس التي خلق منها البشر في تفسير أول سورة النساء في الجزء الرابع من تفسيرنا فان لم يكن لديكم فراجعوه عند وكيل المنار في بيروت الشيخ عبدالله العطار ، وفي بعض مجلدات المنار بحث في هذه المسألة كان سببه خوض بعض الناس في كلمة الاستاذ الامام التي أشرنا اليها . واعلم قبل ذلك ان قوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة) يشبه قوله تعالى (خلقكم من طين) في كون الاول دالا على أصلنا الروحي والثاني دالا على أصلنا الجسدي ، وان تفسير النفس الواحدة بآدم تفسير مراد وليس هو المعنى اللغوي للفظ النفس ، وان بعض المفسرين قالوا ان المراد بالنفس الواحدة في آية الاعراف قصي جد قريش ، وحسبك هذا بيانا لكون النفس الواحدة المنكرة في الآية ليست نصا أصوليا ولا ظاهرا لغويا في آدم عليه السلام

الخلافة الاسلامية

(٦)

٣٦ — الخلافة والبابوية، أو الرياسة الروحية

الاسلام دين الحرية والاستقلال الذي كرم البشر ورفع شأنهم باعتاقهم من رق العبودية لغير الله تعالى من رؤساء الدين والدنيا. فأول اصوله تجريد العبادة والتنزيه والتقديس والطاعة الذاتية لله رب العالمين ، وأن الرسل عليهم الصلاة والسلام ليسوا إلا مرشدين ومعلمين، (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين)، فلا سيطرة لهم على سرائر الناس ، ولا حق الاكراه والاجبار ، ولا المحاسبة على القلوب والافكار ، ولا مغفرة الذنوب والاوزار ، ولا الحرمان من الجنة وادخال النار ، بل ذلك كله لله الواحد القهار ، العفو الغفار ، قال تعالى لخاتم رسله (فذكر انما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر * نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار * وما أنت عليهم بوكيل * ماعليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء * قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ... انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)

وانما تجب طاعة الرسول فيما يبلغه ويبينه من أمر الدين عن الله تعالى وما ينفذه من شرعه ، دون ما يستحسنه في أمور الدنيا بظنه ورأيه ، فالطاعة الذاتية انما هي لله ، ولذلك قال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) فطاعة الرسول ثم طاعة أولي الامر من الامة تبع لطاعة الله التي أوجبها للمصلحة تنفيذا للشريعة، على ان الرسول معصوم في تبليغ الدين واقامته، وقد جعله الله أسوة حسنة لامته، وكان الصحابة على هذا يراجعون النبي (ص) فيما يقوله برأيه في المصالح العامة كالحرب والسلم ويبدون آراءهم ، وكان يرجع عن رأيه الى رأي الواحد منهم اذا تبين له انه الصواب ، كما رجع الى رأي الحباب بن المنذر يوم بدر، والى رأي الجمهور بعد الشورى وان لم يظهر له انه اصوب كما فعل يوم احد . وقد

قال « انما أنا بشر اذا أمرتكم بشيء من امر دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رأيي فانما أنا بشر » رواه مسلم من حديث رافع بن خديج ، وقال « انتم اعلم بامر دنياكم » رواه من حديث عائشة

وكان (ص) يعلم ان فيمن اتبعه منافقين ، وكان يعرف بعضهم دون بعض ولكنه يعاملهم معاملة المؤمنين، لان من اصول شريعته ان يعامل الناس بحسب اعمالهم الظاهرة ويوكل امر القلوب والسرائر الى الله تعالى . قال رجل له وقد رآه يعطي رجالا من المؤلفة قلوبهم : يارسول الله اتق الله. قال« ويلك او لست احق اهل الارض ان يتقي الله؟» ثم ولى الرجل فقال خالد بن الوليد يارسول الله ألا أضرب عنقه ؟ وفي رواية فقال عمر يارسول الله ائذن لي اضرب عنقه — قال « لا تفعل لعله أن يكون يصلي» فقال خالد : وكم من مصل يقول بلسانه ماليس في قلبه: قال رسول الله (ص) « اني لم أومر ان انقب في قلوب الناس ولا اشق بطونهم » رواه الشيخان من حديث ابي سعيد الخدري

وأذا كان هذا شأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهل يكون للخلفاء والامراء مهما عظم شأنهم أن يحاسبوا الناس على قلوبهم أو يسيطروا عليهم في فهمهم للدين أو عملهم به وربما كان فيهم من هم اعلم به منهم ؟ كلا إن الخليفة في الاسلام ليس الا رئيس الحكومة المقيدة،لا سيطرة ولا رقابة له على ارواح الناس وقلوبهم، وانما هو منفذ للشرع وطاعته محصورة في ذلك.فهي طاعة للشرع لاله نفسه، كما تقدم آنفا وبسط في المسألة (١و٦و٨) ولكن الاعاجم افسدوا في امر الامامة والخلافة بمادست الباطنية في الشيعة من تعاليم الامام المعصوم، وبما افرط الفرس والترك ومن تبعهم في الغلو باطراء الخلفاء مما يذكر مثاله في الخلاصة التاريخية الآتية ، حتى فتحوا لهم باب الاستعباد ، وقهروا الامة على الخنوع والانقياد ، انتهى كل غلو الى ضده ، فكان غلو الاعاجم في الخلفاء العباسيين سببا للقضاء على خلافتهم ، ثم كان تقديس الخلفاء العثمانيين سببا لاسقاط دولتهم ، وقد ابقى الترك لواحد منهم لقب خليفة مجردا من معناه الشرعي والسياسي كما تقدم ، ولم يمنع ذلك الناس ولاسيما اصحاب الجرائد عن وصفه بالقداسة، وبصاحب العرش ، وغير ذلك من الاطراء بالقول والفعل . وكثر خوض المسلمين كغيرهم بذكر الخلافة الروحية، وفصلها من السلطة الزمنية

السياسية ، وانا وان كنا قد بينا الحق في المسألة في هذا البحث نرى أن نزيدها ايضاحا بنقل ماكتبه الاستاذ الامام فيها نقلا عن كتابه (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) قال رحمه الله

﴿ الاصل الخامس للاسلام ﴾

(قلب السلطة الدينية)

أصل من اصول الاسلام أنتقل اليه وما أجله من أصل — قلب السلطة الدينية والاتيان عليها من أساسها : هدم الاسلام بناء تلك السلطة ومحا أثره حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله اسم ولا رسم . لم يدع الاسلام لاحد بعد الله ورسوله سلطانا على عقيدة أحد ولا سيطرة على إيمانه . على ان رسول الله عليه السلام كان مبلغاً ومذكراً ، لا مهيمنا ولا مسيطراً ، قال الله تعالى « فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » ولم يجعل لاحد من أهله أن يحل ولا أن يربط لا في الارض ولا في السماء (١) بل الايمان يعتق المؤمن من كل رقيب عليه فيما بينه وبين الله سوى الله وحده ، ويرفعه عن كل رق الا العبودية لله وحده ، وليس لمسلم مهما علا كعبه في الاسلام على آخر مهما انحطت منزلته فيه الا حق النصيحة والارشاد . قال تعالى في وصف الناجين : « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » وقال : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » وقال (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) فالمسلمون يتناصحون ثم هم يقيمون أمة تدعو الى الخير وهم المراقبون عليها يردونها الى السبيل السوي اذا انحرفت عنه . وتلك الامة ليس لها فيهم الا الدعوة والتذكير ، والانذار والتحذير ، ولا يجوز لها ولا لاحد من الناس أن يتتبع عورة

(١) اشارة الى مانقل متى في انجيله عن المسيح (١٨ : ١٨ الحق أقول لكم كل ماتربطونه على الارض يكون مربوطا في السماء . وكل ماتحلونه على الارض يكون محلولا في السماء)

أحد . ولا يسوغ لقوي ولا لضعيف أن يتجسس على عقيدة احد ، وليس يجب على مسلم أن يأخذ عقيدته أو يتلقى أصول ما يعمل به عن أحد الا عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . لكل مسلم أن يفهم عن الله من كتاب الله وعن رسوله من كلام رسوله بدون توسيط أحد من سلف ولا خلف (١) وانما يجب عليه قبل ذلك أن يحصل من وسائله مايؤهله للفهم كقواعد اللغة العربية وآدابها وأساليبها وأحوال العرب خاصة في زمان البعثة، وما كان الناس عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم وما وقع من الحوادث وقت نزول الوحي ، وشيء من الناسخ والمنسوخ من الآثار . فان لم تسمح له حاله بالوصول الى ما يعده لفهم الصواب من السنة والكتاب فليس عليه الا أن يسأل العارفين بهما . وله بل عليه أن يطالب المجيب بالدليل على ما يجيب به سواء كان السؤال في أمر الاعتقاد أو في حكم عمل من الاعمال فليس في الاسلام مايسمى عند قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه

﴿ السلطان في الاسلام ﴾

لكن الاسلام دين وشرع ، فقد وضع حدوداً ، ورسم حقوقا، وليس كل معتقد في ظاهر أمره بحكم يجرى عليه في عمله . فقد يغلب الهوى ، وتتحكم الشهوة، فيغمط الحق ، أو يتعدى المعتدي الحد ، فلا تكمل الحكمة من تشريع الاحكام الا اذا وجدت قوة لاقامة الحدود . وتنفيذ حكم القاضي بالحق ، وصون نظام الجماعة. وتلك القوة لايجوز أن تكون فوضى في عدد كثير، فلا بد أن تكون في واحد وهو السلطان أو الخليفة

الخليفة عند المسلمين ليس بالمعصوم ، ولا هو مهبط الوحي ، ولا من حقه الاستئثار بتفسير الكتاب والسنة . نعم شرط فيه أن يكون مجتهداً، أي أن يكون من العلم باللغة العربية وما معها مما تقدم ذكره بحيث يتيسر له أن يفهم من

(١) أي توسيطه لذاته وأما توسيطهم في التعليم والارشاد فقد اثبته اولا واخرا

الكتاب والسنة مايحتاج اليه من الاحكام، حتى يتمكن بنفسه من التمييز بين الحق والباطل، والصحيح والفاسد ، و يسهل عليه إقامة العدل الذي يطالبه به الدين والامة معاً

هو على هذا — لا يخصه الدين في فهم الكتاب والعلم بالاحكام بمزية، ولا يرتفع به الى منزلة ، بل هو وسائر طلاب الفهم سواء ، إنما يتفاضلون بصفاء العقل، وكثرة الاصابة في الحكم ، (١) ثم هو مطاع مادام على المحجة، ونهج الكتاب والسنة ، والمسلمون له بالمرصاد، فاذا انحرف عن النهج أقاموه عليه ، واذا اعوج قوموه بالنصيحة والاعذار اليه ، (٢) « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » (٣) فاذا فارق الكتاب والسنة في عمله ، وجب عليهم ان يستبدلوا به غيره ، ما لم يكن في استبداله مفسدة تفوق المصلحة فيه (٤) فالامة أو نائب الامة هو الذي ينصبه ، والامة هي صاحبة الحق في السيطرة عليه ، وهي التي تخلعه متى رأت ذلك من مصلحتها ، فهو حاكم مدني من جميع الوجوه .

ولا يجوز لصحيح النظر ان يخلط الخليفة عند المسلمين بما يسميه الافرنج (كراتيك) أي سلطان إلهي . فان ذلك عندهم هو الذي ينفرد بتلقي الشريعة عن الله، وله حق الاثرة بالتشريع، وله في رقاب الناس حق الطاعة ، لا بالبيعة ، وما تقتضيه من العدل وحماية الحوزة ، بل بمقتضى الايمان ، فليس المؤمن ما دام مؤمنا أن يخالفه، وان اعتقد أنه عدو لدين الله ، وشهدت عيناه من اعماله ما لا

« ١ » المنار من شواهد ذلك ارتفاع قدر العلماء على الخلفاء الذين قصروا عنهم في الفهم والعلم ، الم يأتك نبأ الامام مالك مع الخليفة هرون الرشيد « رحمهما الله » وكيف انزل الامام الخليفة عن المنصة واقعده مع العامة عند القاء الدرس لانه في رتبة المستفيد «٢» من شواهد ذلك قول الخليفة الأول رضي الله عنه في خطبته « وان زغت فقوموني » راجع ص ٧٣٤ من مجلد المنار الرابع

«٣» حديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما «راجع ٣٢» من مجلد المنار الرابع

«٤» مثال ذلك ان يكون له عصبية اقوى من الامة يخشي ان يبيدها بها و« درء المفاسد مقدم على جلب المصالح »

ينطبق على مايعرفه من شرائعه ، لان عمل صاحب السلطان الديني وقوله في أي مظهر ظهرا هما دين وشرع . هكذا كانت سلطة الكنيسة في القرون الوسطى ، ولا تزال الكنيسة تدعي الحق في هذه السلطه كما سبقت الاشارة اليه

كان من أعمال التمدن الحديث الفصل بين السلطة الدينية والسلطة المدنية ، فترك للكنيسة حق السيطرة على الاعتقاد والاعمال فيما هو من معاملة العبد لربه : تشرع وتنسخ ماتشاء ، وتراقب وتحاسب كما تشاء ، وتحرم وتعطي كما تريد ، وخول السلطة المدنية حق التشريع في معاملات الناس بعضهم لبعض ، وحق السيطرة على ما يحفظ نظام اجتماعهم ، في معاشهم لا في معادهم ، وعدوا هذا الفصل منبعا للخير الاعم عندهم .

ثم هم يهمون فيما يرمون به الاسلام من أنه يحتم قرن السلطتين في شخص واحد . و يظنون أن معنى ذلك في رأي المسلم أن السلطان هو مقرر الدين ، وهو واضع أحكامه وهو منفذها ، والايمان آلة في يده يتصرف بها في القلوب بالاخضاع ، وفي العقول بالاقناع ، وما العقل والوجدان عنده الا متاع ، ويبنون على ذلك أن المسلم مستعبد لسلطانه بدينه ، وقد عهدوا أن سلطان الدين عندهم كان يحارب العلم ، ويحمي حقيقة الجهل ، فلا يتيسر للدين الاسلامي أن يأخذ بالتسامح مع العلم مادام من أصوله أن إقامة السلطان واجبة بمقتضى الدين . وقد تبين لك أن هذا كله خطأ محض وبعد عن فهم معنى ذلك الاصل من أصول الاسلام . وعلمت أن ليس في الاسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة ، والدعوة الى الخير ، والتنفير عن الشر ، وهي سلطة خولها الله لادنى المسلمين يقرع بها أنف أعلاهم ، كما خولها لاعلاهم يتناول بها من أدناهم ،

ومن هنا تعلم «الجامعة» (١) أن مسألة السلطان في دين الاسلام ليست مما يضيق به صدره ، ويحرج به نفسه عن احتمال العلم ، وقد تقدم مايشير الى ماصنع الخلفاء العباسيون والامويون الاندلسيون من صنائع المعروف مع العلم والعلماء :

(١) هي مجلة مصرية رد عليها الاستاذ في هذه المسألة

وربما أتينا على شيء آخر منه فيما بعد

يقولون: ان لم يكن للخليفة ذلك السلطان الديني أفلا يكون للقاضي أو المفتي أو شيخ الاسلام؟ وأقول: إن الاسلام لم يجعل لهؤلاء أدنى سلطة على العقائد وتقرير الاحكام، وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء فهي سلطة مدنية قررها الشرع الاسلامي، ولا يسوغ لواحد منهم أن يدعي حق السيطرة على إيمان أحد أو عبادته لربه أو ينازعه في طريق نظره» اه

الخاتمة

خلاصة اجتماعية تاريخية، في الخلافة والدول الاسلامية (*)

(وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا؟ أليس الله بأعلم بالشاكرين)

﴿ تمهيد ﴾ لقد كان فيمن قبلنا من البشر منذرون ورسل بعثوا لهدايتهم، وملوك وحكام يتولون الاحكام والسياسة فيهم، وكان بعض الانبياء ملوكا، وكان بعض الملوك تابعين للانبياء، وكان الملك والرياسة فتنة للملوك والرعايا، وللرؤساء والمرؤسين، (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون؟) وكان رؤساء الدين من غير الانبياء كثيرا ما يشتركون مع رؤساء الدنيا من الملوك والامراء في فتنة المال والجاه، فيكون بعضهم اولياء بعض في استعباد مرءوسيهم، والتمتع بأموالهم وأعراضهم، وكانت الشعوب تنقاد لاولئك الرؤساء إما بوازع الاعتقاد الديني، وإما بقهر القوة والسلطان، وإما بالامرين جميعاً، وربما

(١) كانت هذه المقالة أول ما كتبناه في مسألة الخلافة ثم لما بدا لنا أن نقدم عليها بيان أحكامها الشرعية وتلا ذلك البحث في وسائل اقامتها وموانعها، طال القول حتى نسينا هذه المقالة، ثم رجعنا اليها فرأينا أن نجعلها خاتمة للترغيب على أن بعض مباحثها قد تكررت في المباحث التي سبقت

كان بعضها يضيق ذرعا ببعض الملوك الجائرين فينزع يده من طاعتهم ، ويثل عروشهم ، ويولي أمره جماعة من الزعماء الذين نهضوا لمقاومة الجور والقهر بقوتهم ؛ حتى اذا ما صار الامر اليهم كانوا وهم عصبة أشد جورا وبغياً من الملك الواحد الذي لا يستطيع ظلما ولا هضما الا بأعوانه من أمثالهم ، وما زال الناس مرهقين بسيطرة رؤساء الدين الروحية في سرائرهم ، ورؤساء الدين والدنيا معا في ظواهرهم ، اذا أووا الى ظل العدل يوما لفحهم هجير الجور أياماً ، واذا تذوقوا من حلاوة الرحمة جرعة راحة تجرعوا من علقم القسوة آلاماً ، يشقى الالوف منهم ليتمتع باللذة أفراد من المترفين ، ويحرم الالوف من بلغة العيش ويتمتع بثمرات كسبهم نفر من المسرفين — ما زال الناس كذلك حتى بعث الله خاتم رسله رحمة للعالمين ، فجاءهم عنه بما فيه صلاح الدنيا وهداية الدين ،

فكان من أصول هدايته للبشر أن أسس لهم ديناً وسطاً ، وشرعا عادلاً ، ومملكة شورية : جعل أمرهم شورى بينهم ، وأزال جبرية الملك وأثرته وكبرياءه من حكومتهم ، وجعل أمر الرئيس الذي يمثل الوحدة ويوحد النظام والعدل في المملكة للامة ، ينتخبه اهل الرأي والعدالة والعلم من زعمائها ، الموثوق بهم عندها ، وجعله مسؤولا عنهم لديهم ، ومساوياً في جميع أحكام الشريعة لادنى رجل منهم ، وفرض عليهم طاعته في المعروف من الحق والعدل ، وحرم عليهم طاعته في المعصية والبغي والجور ، وجعل الوازع في ذلك دينيا لينفذ في السر والجهر ، لان الطاعة الحقيقية لله وحده ، والسيطرة لجماعة الامة ، وانما الرئيس ممثل للوحدة ، ولذلك خاطب الكتاب المنزل ، نبي هذا الدين المرسل ، بمبايعة الناس على أن لا يعصوه في معروف وأمره بمشاورتهم في الامر ، وقد أقام هذه الاصول صلوات الله وسلامه عليه بالعمل على أكمل وجه ، فكان يستشيرهم ، ويرجع عن رأيه الى رأيهم ، ودعا في مرض موته من عساه ظلمه بشيء الى الاقتصاص منه ، وسار على سنته هذه خلفاؤه الراشدون من بعده ، فكان هذا من أفعل أسباب قبول دين الاسلام ، وسيادته على جميع الملل والاديان ، واستعلاء حكمه ولغته في الشرق والغرب ، وخضوع الامم الكثيرة له بالرضا والطوع ، وانتشاره في قرن واحد من الحجاز الى أقصى افريقية وأوربة من جانب الغرب ، والى بلاد الهند من جهة المشرق

ولو سار من جاء بعد الراشدين على سننهم في اتباع هدي الكتاب والسنة، لعمت هداية الاسلام العالم كله، ولما تهافت عبيد الشهرة والشهوة، على رياسته التي هي خلافة للنبوة، والنزوان عليها بقوة العصبيـة، اذ ليس فيها تمتع باللذات الجسدية، ولا بعظمة السيطرة الجبروتية. فقد فرض الصحابة للخليفة الاول نفقة نفسه وعياله كرجل من أوساط المهاجرين لا أعلاهم ولا أدناهم، ولكنه هو ومن بعده من الراشدين اختاروا أن يكونوا في معيشتهم دون الوسط من امتهم

أما الاعتداء على عمر وقتله فلم يكن من حسد المسلمين ولا من كراهتهم له، ولا من طمع أحد أن يخلفه، بل كان من جماعة المجوس السرية انتقاماً منـه لفتحه لبلادهم، وإسقاطه لملكهم، وأما التعدي على عثمان وقتـله فقد كان بدسائس الفرس وعبد الله بن سبأ اليهودي، ولو لا هاتان الفتنتان لما وصـل الشقاق بين علي ومعاوية الى ما وصل اليه، كما يعلم ذلك كل مدقق في التاريخ

اتسع ملك الاسلام وكثر خصومه من زعماء الملل والشعوب الذين أزال عظمتهم واستمتاعهم بملك بلادهم، وساوى بينهم وبين عبيدهم في الحقوق وكل أقوامهم عبيد لهم، ولم يكن الوازع الديني فيمن دخلوا فيه من هذه الشعوب مثله فيمن فهموه حق الفهم من العرب، ولم تكن كل بطون العرب كالسابقين الاولين من المهاجرين والانصار، ولم يكن من السهل إيجاد نظام لقوة الخلافة تخضع له كل هذه الامم والشعوب في الخافقين مع بعد الشقة وصعوبة المواصلات، فلهذا سهل على السبئيين والمجوس بث الفتن للاسلام وللعرب، وعلى معاوية تأليف جيش في الشام يقاتل به الامام الحق أمير المؤمنين، ثم جعل خلافة النبوة ملـكا عضوضاً كملك الغابرين

سنة التغلب وعواقبها، وافساد الاعاجم لحكم الاسلام العربي

فتح معاوية للاقوياء باب التغلب فأقبلوا اليه يهرعون، ولم يثبت ملك الامويين معه قرناً واحداً كاملا، ولما كان الاسلام قد أبطل عصبية العرب الجنسية، احتاج العباسيون ان يستعينوا على الامويين بعصبية الامة الفارسية، وكان للزنادقة والمنافقين من هؤلاء مكايد خفية، يريدون أن يديلوا للفرس من

العرب ، والمجوسية من الاسلام ، ولاجلها بثوا في المسلمين التفرقة بالغلو في آل البيت توسلا للطمن في جمهور الصحابة ليفرقوا كلمة العرب ويبعدوا بهم عن أصول الاسلام الشوروي (الديمقراطي) وينشئوا فيه حكومة (أتوقراطية) مقدسة أو معبودة ، بجعل رئاستها لمن يدعون فيهم العصمة من بيت النبوة ، ليسهل عليهم بذلك إعادة الكسروية والمجوسية .

ولما انكشف أمرهم للعباسيين عولوا على جعل عصبيتهم من الترك ، فكان المعتصم يشتري شبانهم من بلادهم وسائر النواحي ويجعلهم جنودا له ، ويطلق لهم العنان ، ويمهدلهم هو ومن بعده سبيل السلطان ، جهلا منهم بطبائع العمران ، وكانوا أولي جهل وقسوة وفساد ، فطغوا في البلاد ، وأكثروا البغي والعدوان على العباد ، حتى صاروا يقتلون الخلفاء أنفسهم وهم على عروشهم ، أو يخلعونهم ويولون غيرهم بأهوائهم ، فاختل بفسادهم النظام ، والطاعة بوازع الاسلام ، فسهل على إخوانهم التتار اجتياح ملك العباسيين تخريبا وتتبيبا ، وتقتيلا وتمثيلا ، واستفحل أمر الباطنية من القرامطة وغيرهم ، وقد كان جند الترك في العباسيين ، كجند الانكشارية بعده في العثمانيين : كان قوة لهم ، ثم صار قوة عليهم ، ومفسداً لملكهم

وقد أفسد الاعاجم أمر الخلفاء العباسيين بالاطراء والتعظيم الذي ينكره الاسلام ولا تعرفه العرب ، بشر من إفسادهم له بالاستبداد بهم والاعتداء عليهم ، كما فعل السلطان عضد الدولة بذلك المظهر العجيب الذي أقامه للخليفة الطائع

قال السيوطي في ترجمة الطائع لله من تاريخ الخلفاء : وسأل عضد الدولة الطائع أن يزيد في ألقابه «تاج الملة» ويجدد الخلع عليه ويلبسه التاج فأجابه ، وجلس الطائع على السرير وحوله مائة بالسيوف والزينة ، وبين يديه مصحف عثمان ، وعلى كتفه البردة ، وبيده القضيب ، وهو متقلد بسيف رسول الله (ص) وضربت ستارة بعثها عضد الدولة وسأل أن تكون حجابا للطائع حتى لا تقع عليه عين أحد من الجند قبله ، ودخل الاتراك والديلم وليس مع أحد منهم حديد ، ووقف الاشراف واصحاب المراتب من الجانبين . ثم أذن لعضد الدولة فدخل ، ثم رفعت الستارة وقبل عضد الدولة الارض ، فارتاع زياد القائد لذلك وقال لعضد الدولة : ماهذا أيها الملك ؟ أهذا هو الله ؟ فالتفت

اليه وقال هذا خليفة الله في أرضه(!!) ثم استمر يمشي ويقبل الارض سبع مرات. فالتفت الطائع الى خالص الخادم ، وقال استدنه ، فصعد عضد الدولة فقبل الارض مرتين ، فقال : ادن اليّ ، فدنا وقبل رجله . وثنى الطائع يمينه عليه وأمره فجلس على كرسي بعد أن كرر عليه « اجلس » وهو يستعفي ، فقال له اقسمت عليك لتجلسن ، فقبل الكرسي وجلس . فقال له الطائع قد رأيتُ ان افوض اليك امر الرعية في شرق الارض وغربها ، وتدبيرها في جميع جهاتها، سوى خاصتي واسبابي، فتولّ ذلك . فقال: يعينني الله على طاعة امير المؤمنين وخدمته ، ثم افاض عليه الخلع وانصرف اه

ثم ذكر المؤرخ من عاقبة هذا ما وصل اليه أمر الخلفاء بعد ذلك مع السلاطين اذ كانوا الوجهاء في كل آحاد ركابهم . وما كان يفعله امثال ذلك الملك الجاهل المتملق وكل ما ذكر من تلك الهيئة منكرات في الاسلام. فتقبيل الارض اشد تذللا من الركوع والسجود، وقد صحت الاحاديث في النهي عن التشبه بالاعاجم في كبريائهم وبذخهم، حتى في الوقوف على رؤوس ملوكهم او بين ايديهم

اضطراب المسلمين في حكوماتهم

وأما سبب وقوع ذلك وطول العهد عليه فهو ان التطورات الاجتماعية كانت تقضي بوقوع ماوقع من التصرف في شكل الحكومة الاسلامية ، ولم يكن يمكن في تلك الازمنة ان يوضع لها نظام يكفل ان تجري على سنة الراشدين ، ولا طريقة أوائل الامويين والعباسيين. في الجمع بين عظمة الدنيا ومصالح الدين. ولما صار هذا ممكنا كان امر الدين قد ضعف ، وتلاه في جميع الشعوب الاسلامية ضعف حكوماتها، وضعف حضارتها ، فلم تهتد الى مثل مااهتدى اليه الافرنج من القضاء على استبداد ملوكهم شعباً بعد شعب ، فمنهم من قضى على الحكومة الملكية قضاء مبرماً، ومنهم من قيد سلطة الملوك فلم يدع لهم من الملك الا بعض المظاهر الفخمة التي يستفاد منها في بعض الاحوال ، دون أن يكون لهم من الامر والنهي في الحكومة أدنى استبداد

ذلك بأن كل من يعطى تصرفا في أمر يجب أن يكون مسؤولا عن سيرته فيه ، والتقاليد المتبعة في الملك أن الملك فوق الرعية فلا يتطاولون الى مقامه

الاعلى ليسألوه عما فعل — وهذا شيء أبطله الاسلام بجعله امام المسلمين كواحد منهم في جميع أحكام الشريعة ، ونص على أنه مسؤول عما يفعل بقوله (ص) « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالامام راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها » الخ (متفق عليه من حديث ابن عمر) وكان المسلمون يراجعون الخلفاء الراشدين ويردون عليهم أقوالهم وآراءهم فيرجعون الى الصواب اذا ظهر لهم أنهم كانوا مخطئين ، حتى ان عمر بن الخطاب (رض) خطأته امرأة في مسألة فقال على المنبر : امرأة أصابت وأخطأ عمر — أو — ورجل أخطأ

غفل المسلمون عن هذا فتركوا الخلافة لاهل العصبية يتصرفون فيها تصرف الملوك الوارثين الذين كانوا يزعمون أن الله فضلهم على سائر البشر لذواتهم ولبيوتهم وأوجب طاعتهم والخضوع لهم في كل شيء ، فلم يوجد في اهل الحل والعقد من الرؤساء من اهتدى الى وضع نظام شرعي للخلافة بالمعنى الذي يسمى في هذا العصر بالقانون الاساسي يقيدون به سلطة الخليفة بنصوص الشرع ، ومشاورتهم في الامر ، كما وضعوا الكتب الطوال للاحكام التي يجب العمل بها في السياسة والادارة والجباية والقضاء والحرب ، ولو وضعوا كتابا في ذلك معززاً بأدلة الكتاب والسنة وسيرة الراشدين ، ومنعوا فيه ولاية العهد للوارثين ، وقيدوا اختيار الخليفة بالشورى وبينوا أن السلطة للامة يقوم بها أهل الحل والعقد منها وجعلوا ذلك أصولا متبعة — لما وقعنا فيما وقعنا فيه

فأما الراشدون رضي الله عنهم فقد كانوا واثقين بتحريهم للحق والعدل ويصرحون بسلطة الامة عليهم وهم واقفون في موقف الرسول (ص) من منبره كما قال أبو بكر : وليت عليكم ولست بخيركم فاذا استقمت فأعينوني واذا زغت فقوّموني . وكما قال عمر : من رأى منكم فيّ اعوجاجا فليقومه . وكما قال عثمان : أمري لامركم تبع . وأقوال علي وأعماله بالشورى معروفة على اضطراب الامر وظهور الفتن في زمنه ، وموت كثير من كبراء أهل العلم وتفرق بعضهم ، ثم انهم لم يكونوا قد دخلوا في عهد التصنيف ووضع النظم والقوانين ، ولا شعروا بشدة الحاجة الى ذلك لكثرة الصلاح وخضوع الامة لوازع الدين

وما جاء عصر التأليف والتدوين إلا وكانت الخلافة قد انقلبت الى طبيعة

الملك بالبدعتين الكبريين اللتين ابتدعوا معاوية وهما جعل الأمر تابعا لقوة العصبية ، وجعل الخلافة تراثا ينتقل من الخالف الى ولده أو غيره من عصبته ، وشغل الناس عن سوء هاتين البدعتين بسكون الفتنة التي أثارها السبئيون والمجوس وافترصها الامويون، وما تلاه من اجتماع الكلمة وحقن الدماء في الداخل والعود الى الفتوح ونشر هداية الاسلام وسيادته في الخارج ، وذلك أن تأثير الفساد الذي يطرأ على الصلاح العظيم ، لا يظهر الا بتدرج بطيء

قاعدة ابن خلدون في العصبية مخالفة للاسلام

خدع كثيرون بمظهر ذلك الملك حتى حكيمنا الاجتماعي (ابن خلدون) الذي اغتر باهتدائه الى سنة قيام الملك وسائر الأمور البشرية العامة بالعصبية حتى أدخل فيها ما ليس منها، بل ماهو مضاد لها كدعوة الرسل (ع.م) فجعل مدارها على منعتهم في أقوامهم وقوة عصبية عشائرهم، معتمدا على حديث معارض بآيات القرآن الكثيرة وبوقائع تواريخهم الصحيحة ، وبنى على ذلك إلحاق الخلافة بالنبوة بما لبس عليه من ذلك. وانما النبوة وخلافة النبوة هادمتان لسلطان العصبية القومية ومقررتان لقاعدة الحق ، واتباعه بوازع النفس، والاذعان لشريعة الرب . وهذه قصص الرسل في القرآن الكريم ناقضة لبنيان قاعدته. وفي بعضها التصريح بعدم القوة والمنعة كقوله تعالى حكاية عن لوط عليه السلام (قال لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد) أم أيهم قامت دعوته بعصبية قومه؟ ألإبراهيم الخليل؟ أم موسى الكليم ؟ أم عيسى الروح الكريم ؟ أم خاتم النبيين ؟ عليه وعليهم الصلاة والتسليم. ألم تكن جل مزايا بني هاشم في قريش الفضائل الادبية دون الحربية ؟ ألم يكن جل اضطهاده وصده عن تبليغ دعوة ربه من رؤساء قريش ؟ ألم يكونوا هم الذين ألجؤوه الى الهجرة . وهم الذين نزل الله فيهم (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك) الآية؟ حتى هاجر مستخفيا. وسمى الله هجرته إخراجا - أي نفيا وابعاداً — بمثل قوله (يخرجون الرسول وإياكم ان تؤمنوا بالله ربكم) حتى نصره الله تعالى بضعفاء المهاجرين والانصار. وما آمن اكثر قريش الا بعد ان اظهره الله عليهم وخذلهم في حروبهم له

نعم ان بعض كلام ابن خلدون في حكمة جعل الخلافة في قريش صحيح ، وهو مكانتهم العليا في الجاهلية والاسلام التي لم ينازعهم فيها أحد من العرب ، وأولى أن لاينازعهم فيها من يدين بالاسلام من العجم ؛ وذلك من أسباب جمع الكلمة ، وقد أشار الى ذلك الصديق رضي الله تعالى عنه في احتجاجه على الانصار ، وأما عصبية القوة الحربية فلم تكن علة ولا جزء علة لجعل الخلافة في قريش. لان الاسلام قد قضى على هذه العصبية الجاهلية — يعترف ابن خلدون كغيره بذلك — فلا يمكن أن يجعلها علة من علل شرعه القويم، الذي مداره على جعل القوة تابعة للحق، خلافا لسائر المبطلين من البشر الذين يجعلون القوة فوق الحق ، فاما أن يكون تابعاً لها وإما أن تقضي عليه قبل أن يقضي عليها

وبهذا البيان الوجيز يعلم سائر ما في كلام ابن خلدون من شوب الباطل بتحكيم قاعدته في تصحيح عمل معاوية حتى في استخلاف يزيد وجعله مجتهداً مخطئاً في قتال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ومصيباً في استخلاف يزيد الذي أنكره عليه أكبر علماء الصحابة فنفذه بالخداع والقوة والرشوة . فهو يزعم ان معاوية كان عالما بقاعدته في ان الامور العامة لا تتم الا بشوكة العصبية ، وبأن عصبية العرب كلهم قد انحصرت في قومه بني أمية؛ وان جعل الخلافة شورى في أهل الحل والعقد من أهل العلم والعدالة والكفاية من وجهاء قريش غير بني أمية لم يعد ممكناً . وكل هذا باطل وفي كلام ابن خلدون شواهد على بطلانه . وليس من مقصدنا إطالة القول في بيان ذلك هنا .

وحسبنا أن نقول ان عصبية العرب لم تنحصر في بني أمية لا بقوتها الحربية ولا بثقة الامة بعدلهم وكفاءتهم ، وانما افترصوا حياء عثمان وضعفه فنزوا على مناصب الامارة والحكم في الامصار الاسلامية التي هي قوة الدولة ومددها . واصطنعوا من محبي الدنيا من سائر بطون قريش وغيرهم من يعلمون انهم يواتونهم . وأكثر هؤلاء ممن لم يعرفوا من الاسلام إلا بعض الظواهر. وهم مع الحكام أتباع كل ناعق، فتوسلوا بهم الى سن سنة الجاهلية. والقضاء بها على خلافة النبوة الشرعية (١)

(١) راجع المسألة ٨٠ و ١

ولوشاء معاوية أن يجعلها شورى كما نصح له بعض كبراء الصحابة (رض) ويجعل قومه وغيرهم مؤيدين لمن ينتخب انتخابا شرعيا بالاختيار اهل الشورى لفعل وما منعه الا حب الدنيا وفتنة الملك ، ولكن عمر بن عبد العزيز لم يكن يستطيع ذلك بعد أن استفحل أمرهم ،وصاروا محيطين بمن يتولى الامر منهم

وفي كتاب الفتن من صحيح البخاري ان أبا برزة الصحابي الجليل سئل — وكان بالبصرة عن التنازع على الخلافة بين مروان وابن الزبير والخوارج — وهو أثر سنة معاوية فقال: احتسبت عند الله أني أصبحت ساخطاً على أحياء قريش، انكم يامعشر العرب كنتم على الحال الذي علمتم من الذلة والقلة والضلالة وان الله أنقذكم بالاسلام وبمحمد (ص) حتى بلغ ماترون وهذه الدنيا التي أفسدت بينكم. إن ذاك الذي في الشام والله إن يقاتل إلا على الدنيا ، وان هؤلاء الذين بين أظهركم والله ان يقاتلون الا على الدنيا ، وان ذاك الذي بمكة والله ان يقاتل الا على الدنيا اهـ ويعني بالذين بين أظهرهم الخوارج الذي يسمون القراء ولذلك جاء في رواية أخرى زيادة : يزعمون أنهم قراؤكم

ثم ان الاولين من بني أمية وبني العباس استخدموا طبيعة الملك وتوسلوا به الى مقاصد الخلافة كنشر الاسلام ولغته وإعزازه وفتح الممالك وإقامة العدل بين الناس كافة. الا ما كان من الانتقام من المتهمين بطلب الخلافة ومن التصرف في بيت المال . قال ابن خلدون بعد تفصيل له في هذا الباب: فقد صار الامر الى الملك وبقيت معاني الخلافة من تحري الدين ومذاهبه والجري على منهاج الحق . ولم يظهر التغير الا في الوازع الذي كان ديناً ثم انقلب عصبية وسيفاً . وهكذا كان الامر لعهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك ، والصدر الاول من خلفاء بني العباس الى الرشيد وبعض ولده ، ثم ذهبت معاني الخلافة ولم يبق الا اسمها ، وصار الامر ملكا بحتا وجرت طبيعة التغلب الى غايتها. واستعملت في أغراضها من القهر والتقلب في الشهوات والملاذ . وهكذا كان الامر لولد عبد الملك ولمن جاء بعد الرشيد من بني العباس، واسم الخلافة باقياً فيهم لبقاء عصبية العرب ، والخلافة والملك في الطورين ملتبس بعضهما ببعض، ثم ذهب رسم الخلافة وأثرها بذهاب عصبية العرب وفناء جيلهم وتلاشي أحوالهم، وبقي الامر ملكا بحتاً كما كان الشأن في ملوك الاعاجم بالمشرق. يدينون

بطاعة الخليفة تبركا والملك بجميع ألقابه ومناحيه لهم وليس للخليفة منه شيء . . .
فقد تبين أن الخلافة وجدت بدون الملك أولا ثم التبست معانيهما واختلطت،
ثم انفرد الملك حيث افترقت عصبيته من عصبية الخلافة اهـ

وهذه الخلاصة التي ذكرها ابن خلدون تدل على صحة قولنا الذي كررناه
مراراً وهو أن حكام [illegible] بني العباس قد جمعوا بين عظمة الملك ونعيمه
وترفه وبين مقاصد الخلافة من نشر الدين والحق والعدل — وإن الفساد دب
إليهم بالتدريج، وما زال يفتك بهم حتى أزال ملكهم، وأكثر المسلمين لا
يشعرون بسير السنن الاجتماعية فيهم فالأولون لا يستطيعون تلافي الفساد
وتداركه قبل أن ينتهي إلى غايته من هلاك الأمة .

وإنما كان يتلافى بالنظام الذي تقام به الخلافة — فالنظام قد أوجد أديانا
ومذاهب باطلة، وثبت دولا جائرة، فكيف لا يحفظ به الحق الراسخ رسوخ
الأطواد؟ فهو الحق الذي يعلو ولا يعلى، لو أن المسلمين بذلوا من العناية لإعادة
الخلافة إلى نصابها عشر ما بذلت فرق الباطنية لإفسادها، لعادت أقوى ما
كانت وسادوا بها الدنيا كلها

هذا — وإن ما فات المسلمين في القرون الوسطى لا ينبغي أن يفوتهم في
هذا العصر الذي عرف البشر فيه من سنن الله تعالى في الاجتماع البشري ومن
فوائد النظام وأحكامه ما لم يكونوا يعرفون

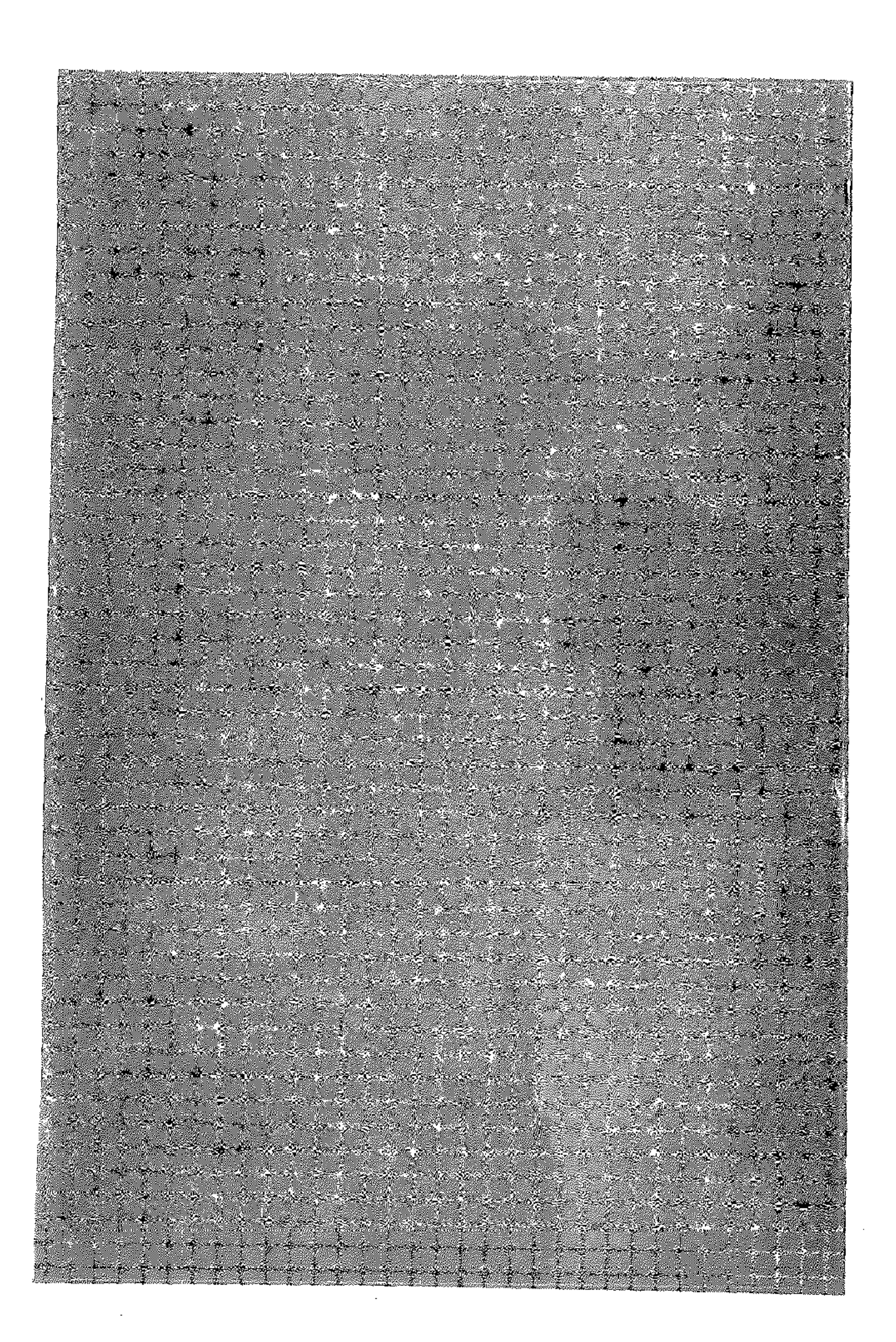
الترك العثمانيون والخلافة والتفرنج

كان أجدر المسلمين بالسبق إلى هذا رجال الدولة العثمانية، ولا سيما الذين يقيمون
في الآستانة والروملي من بلاد أوربة يشاهدون تطور شعوبها وترقيهم في
العلوم والفنون والنظام، ولكن دولتهم لم تكن دولة علوم وفنون. لأنه لم
يكن لهم لغة علمية مدونة قابلة لذلك إلا في أثناء القرن الماضي. ولم يكن يتعلم
علوم الإسلام منهم إلا قليل من المقلدين — ولهذا جعلوا سلطة سلاطينهم
شخصية مطلقة. حتى بعد تحليتهم بلقب الخلافة، فلما صاروا يدرسون تاريخ
أوروبة وقوانينها، وثوراتها على حكوماتها لإزالة استبدادها، ظنوا أن لا
سبيل لتقييد استبدادهم ومنع ظلمهم إلا بتقليد أوربة في شكل حكوماتها.

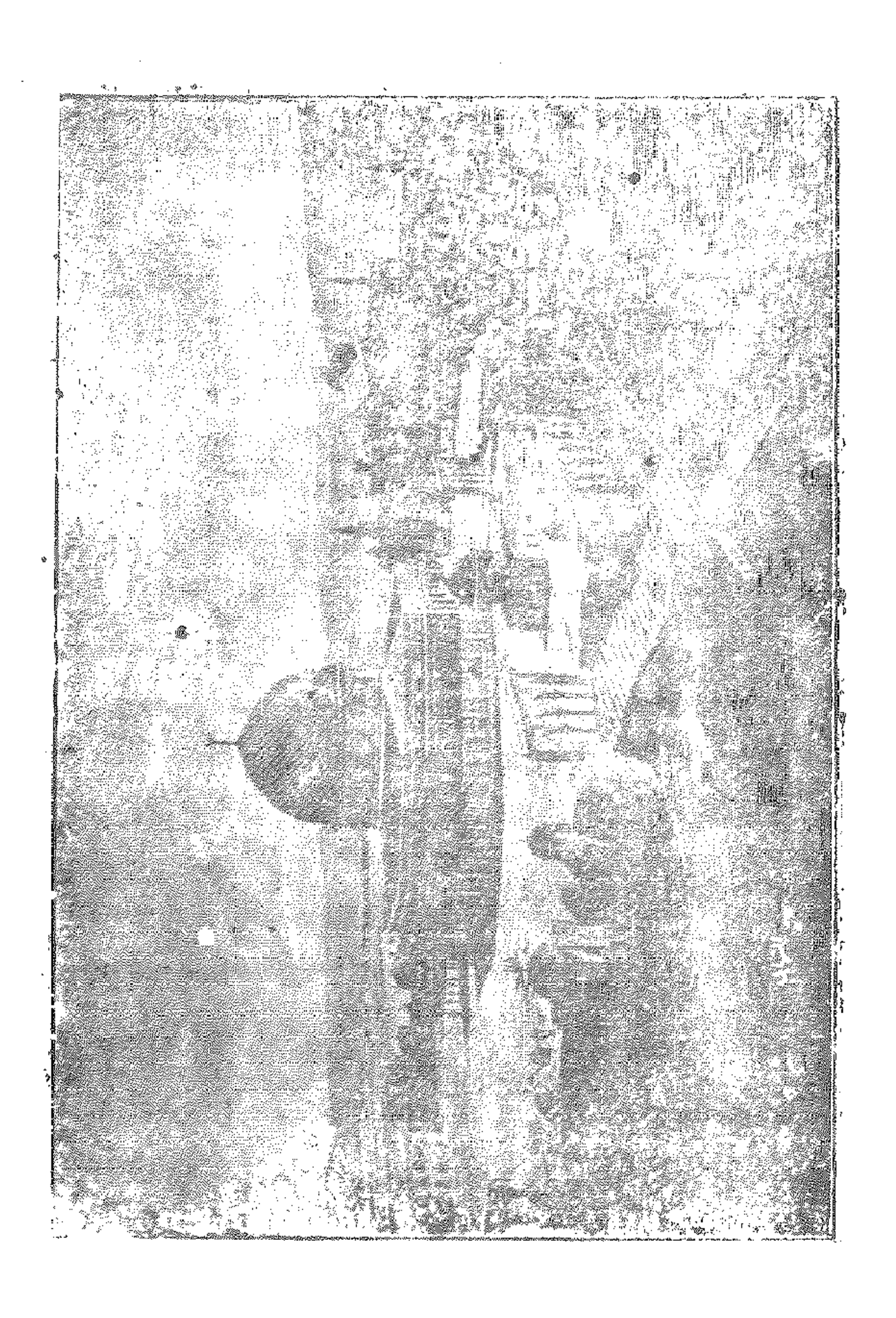
منظر مدخل المسجد الاقصى



ل احدى الصقالات المنصوبة على جدار مقام الصخرة لاعمال الترميم



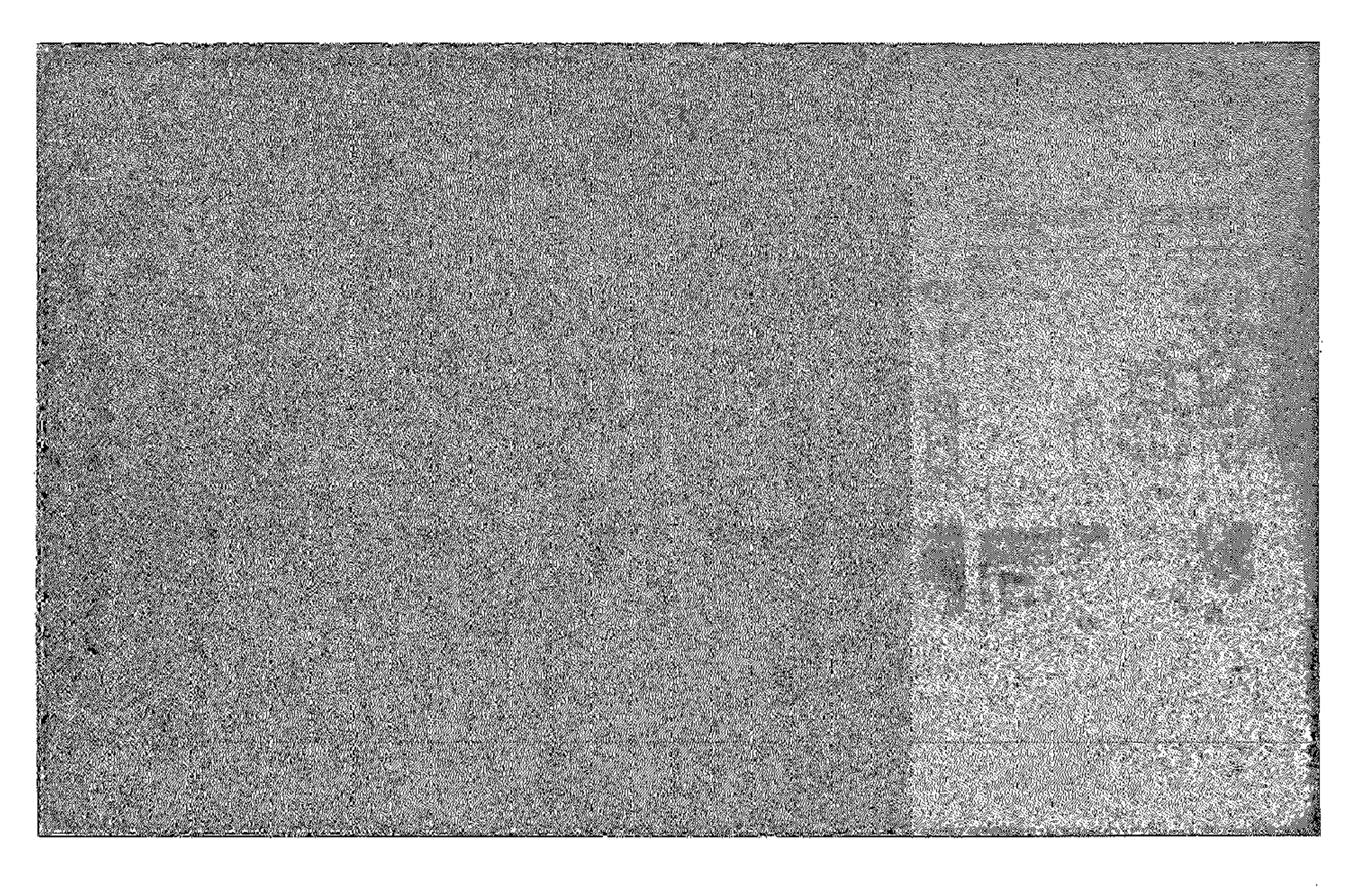
منظر عام لقبة الصخرة المشرفة



منظر عام للحرم القدسي الشريف



منظر في داخل المسجد الاقصى



منظر جدار من جدران مسجد الصخرة المشرفة



منظر من داخل القبة ويرى في أسفلها جانب من الصخرة الشريفة



منظر لقبة الصخرة المشرفة مع قبه السلسلة المشهورة

الملكية المقيدة، ثم رجعوا في هذا الزمن الجمهورية لانهم رأوا أن جعل السلطان مقدسا غير مسؤول كما قرروه في قانونهم الاساسي لم يف بالغرض. ولو درسوا الشريعة دراسة استقلالية كما يدرسون القوانين لوجدوا فيها مخرجا أوسع وأفضل من القانون الاساسي السابق، ومن الخلافة الروحية وحكومة الجمعية الوطنية الحاضرة

أسس مدحت باشا وأعوانه الدستور العثماني فزق السلطان عبد الحميد شملهم وداس دستورهم مدة ثلث قرن كان فيها الحاكم المطلق الذي لا رادّ لامره، ولا معقب لحكمه، والشرع والقانون تحت ارادته، منتحلا لنفسه ما اختص به رب العزة نفسه دون خلقه، بقوله تعالى (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) والناس في المملكة العثمانية ومصر وتونس والهند يقولون : قال الخليفة الاعظم وفعل الخليفة الاعظم، فان قال أحد العثمانيين المظلومين في أنفسهم وفي أمتهم ووطنهم ، انه أساء وظلم — لعنوه وحكموا عليه بالخيانة أو بالكفر، فكان هذا سببا لاعتقاد هؤلاء المتفرنجين من الترك أن منصب الخلافة نفسه عقبة في طريق ما يبغون من تقليد أوربة في شكل حكوماتها المقيدة، من حيث ان الخليفة يجب أن يطاع مطلقا ولا يجوز أن يعصى، ولا أن يقيد بقانون، ومن حيث إن رياسته الدولة تجعلها مضطرة لمراعاة أحكام الشريعة الاسلامية في السياسة والادارة والقضاء والتعليم، والى تعلم اللغة العربية التي يتوقف عليها فهم الشريعة، وهذه قيود تنافي ما يبغون تقليد الافرنج فيه لاستقلال امتهم التركية، بجعل سلطتها في الحكم والدولة لها، لا تتقيد فيه بقيد ما من شريعة أخرى، ولا لغة أخرى، وهو ما يعبرون عنه « بالحاكمية الملية »

احياء الجنسية الطورانية

عزم هؤلاء المتفرنجون على إحياء الجنسية التركية الطورانية وجعلها مستقلة أتم الاستقلال في الحكم والتشريع والعقائد والآداب، غير مقيدة فيه بقيد مستمد من أمة أخرى — بل أقول بلغة صريحة فصيحة: غير مقيدين فيه بالشريعة الاسلامية ولا بالدين الاسلامي، وقد مهدوا له السبيل بما ألفوا

له من الكتب والرسائل، ووضعوا له من الاناشيد والقصائد، وواتهم السلطة الاتحادية على ذلك ، ولكن عارضهم فيه الشعب التركي الذي يريدون هذا له وبه وفيه، وهو شعب متدين بالاسلام، وسلطانه يعترف له أكثر مسلمي الارض بأنه خليفة المسلمين ، وان لدولته نفوذاً روحيا في هذه الشعوب الاسلامية قد جعل لها مكانة خاصة لدى الدول الكبرى في سياستها ، له فائدة من جهة وغائلة من جهة أخرى ، فان هذه الدول تضطر الى مراعاتها في بعض الامور لكيلا تهيج عليها رعاياها المسلمين باتهامها بعداوة دولة الخلافة ، وتقبل منها كل عذر تعتذر به عن بعض مطالب الدول بأنه مما لا يستطاع صدوره من خليفة المسلمين، ولهذا السبب نفسه تجمع على عداوة هذه الدولة والكيد لها، والسعي لاضعافها أو اعدامها لتستريح من تأثير منصب الخلافة في رعاياها المسلمين. ولهذا فشا في هؤلاء المتفرنجين الاعتقاد بأن ضرر الخلافة عليهم، أكبر من نفعه لهم ، ثم تزلزل هذا الاعتقاد عند بعضهم منذ حرب طرابلس الغرب الى الآن ، وقد كان الاتحاديون على تهورهم بين إقدام وإحجام ، للفصل في هذه المسألة وجعل السياده الطورانية فوق سيادة الاسلام

وسائل المتفرنجين لاماتة الدين

تعارض المانع والمقتضي — فاتخذوا لازالة الموانع وسائل (منها) بث الالحاد والتعطيل في المدارس الرسمية ولا سيما العسكرية وفي الشعب جميعا وألفوا لذلك كتبا ورسائل بأساليب مختلفة (ومنها) تربية النابتة الحديثة في المدارس وفي الجيش على العصبية الجنسية ، و احلال خيالها محل الوجدان الديني بجعلها هي المثل الاعلى للامة ، والفخر برجالها المعروفين في التاريخ وان كانوا من المفسدين المخربين ، بدلا من الفخر برجال الاسلام من الخلفاء الراشدين ، وغيرهم من السلف الصالحين ، ولهم في ذلك أشعار وأناشيد كثيرة يتغنى بها التلاميذ والجنود وغيرهم (ومنها) التدرج في محو كل ما هو اسلامي في أعمال الحكومة ، واضعاف سلطة المشيخة الاسلامية ، حتى انهم سلبوا منها الرياسة على المحاكم الشرعية؛ ووضعوا قانون الاحكام الشخصية (ومنها) اضعاف التعليم الديني حتى انهم حددوا عدد من يتخرج في المدارس الدينية

لجعلوه قليلا لا يكفي للمحافظة على الدين والشرع، (ومنها) جعل الخلافة والسلطنة مظهراً مؤقتا لا أمر لصاحبه ولا نهي، ولكن يستفاد من اسمه، في تنفيذ ما لا يقبله الجمهور من غيره، حتى شاع أنهم كانوا يصدرون الارادات السنية بامضاء السلطان محمد رشاد وهو لا يدري (ومنها) إفساد الآداب والاخلاق والآداب الاسلامية بالعمل فأباحوا للنساء التركيات هتك الحجاب والتبرج والتهتك بل أباحوا لهن البغاء وكانت إباحته قاصرة من قبل على غير المسلمات. وقد حدثني الامير شكيب ارسلان في (جنيف سويسرة) عن طلعت باشا الصدر الاعظم أن عاهل الالمان لما زار الآستانة في اثناء الحرب ورأى النساء التركيات سافرات متبرجات عذله على ذلك وذكر له ما فيه من المفاسد الادبية والمضار الاقتصادية التي تئن منها أوربة وتعجز عن تلافيها. وقال له ان لكم وقاية من ذلك كله بالدين أفتزيلونها بايديكم؟

منتهى سلطة الخليفة وشيخ الاسلام

لم يكن منصب الخلافة الذي يتحلى بلقبه السلطان مانعا للاتحاديين من عمل من الاعمال التي تهدم الدين وتمحو أثره من الدولة ثم من الامة، لان الخلافة لم تكن الا لقبا رسميا له بعض من التأثير في خارج الدولة كاحترام الدول له وتعلق مسلمي رعاياها ومن تحت نفوذها منهم به، وأما داخل الدولة بل الدولة نفسها — فلم يكن للخليفة فيها ديوان خاص ذو نظام وتقاليد يستعين به الخليفة على شيء من اعمال الحكومة في اقامة الشرع والمحافظة على الدين، والنظر في مصالح المسلمين. لم يكن في (المابين الهمايوني) مستوى الخليفة السلطان شيء من هذا

وانما كان يوجد في الوزارة عضو يسمى شيخ الاسلام، وله دار تسمى (باب المشيخة الاسلامية) هي مقر رجال الفتوى وادارة المحاكم الشرعية وادارة التعليم الديني. ولكن المشيخة الاسلامية بلغت من الضعف ان صارت عاجزة عن حفظ هذه المصالح الخاصة بها، فلم يقدر شيخ الاسلام أن يمنع الحكومة الاتحادية من سلب المحاكم الشرعية منه وجعلها تابعة للعدلية (الحقانية) ولا من التضييق على التعليم الديني، فهل يقدر على منعها من اباحة الزنا للمسلمات،

أو غيرها من تلك الموبقات ؛ وأهم اسباب هذا الضعف أن المشيخة لم تكن الا مصلحة رسمية لم تعن في يوم من الايام بشيء من خدمة الدين الروحية التي تجعل لها سلطة معنوية في الشعب الاسلامي في داخل المملكة ولا خارجها ليكون لها من قوته الدينية ما تهابه الحكومة وتخشاه، وتؤيد به نفوذها، ونفوذ الخليفة الذي ترك الامور الدينية والمصالح الاسلامية لها

ضعف ماعدا العسكرية في الدولة

الحق أقول ان الدولة العثمانية والشعوب الاسلامية ، قد برحت بها الادواء الاجتماعية ، والدسائس والتعاليم الاجنبية ، حتى افقدتها جميع قواها المادية والمعنوية ، فلم يبق فيها الا القوة الحربية ، المتمتعة بشيء من النظام والسلاح المصري في هذه الدولة ، فلا يستطيع أحدا أن يحدث فيها انقلابا ما إلا بقوة الجيش — عرف ذلك الاتحاديون فعملوا به ماعملوا ، وأساؤا به حتى قضوا على هذه السلطنة (الامبراطورية) وصدق قولنا فيهم عند سلب حزب الائتلاف السلطة منهم « فان عادوا كرة ثانية ، كانت هي القاضية »

ما نقترحه على الترك في مسألة الخلافة

هذا وان الله تعالى قد وفق هذه القوة العسكرية الهادمة ، بما كان من تلك السياسة الجاهلة الظالمة ، الى انقاذ جلّ البلاد التركية، من براثن الدول الاوربية ، بعد أن نشبت فيها ، وكاد يتم بأس العالم كله منها ، وألفوا حكومة جمهورية تركية، قررت ماقررت في مسألة الخلافة الاسلامية ، فالذي نراه بعد طول الروية ، والنظر في المسألة من الوجهتين السياستين الاسلامية والاجتماعية أن ماقرروه بادي، الرأي يجب أن يكون تدبيرا مؤقتا ، لا امرا مبرما مؤبدا، وأن تترك السلطة العسكرية أمر الحكومة بعد الصلح ، الى مجلس منتخب من الشعب، ينتخبه بحرية حقيقية ، لا سيطرة عليها للحكومة ولا للجندية ، وأن يترك أمر الخلافة الى الشعوب الاسلامية كلها ، والحكومات المستقلة وشبه المستقلة منها ، وأن يؤلف له لجنة أو جمعية مختلطة حرة مركزها الاستانة ، تدرس كل مايكتبه وما يقترحه أهل العلم والرأي في المسألة ، ويكون ذلك

تمهيدا لعقد مؤتمر اسلامي يعقد بعد الصلح بسنة أو اكثر من سنة ،

ونرى أن تؤلف الحكومة التركية العليا لجنة اخرى للبحث فيما يجب ان تكون عليه علاقتها مع الامة العربية ، ومع غيرها من الشعوب الاسلامية ، وما يمكن ان تفيدها وتستفيد منها بمكانتها العسكرية والمدنية والدينية ،وان يكون اعضاء اللجنتين او بعض اعضائهما من اركان مؤتمر الخلافة هم الذين يضعون برنامجه، ويقررون نظامه ، بعد تمحيص مايجمعونه من الآراء والمعلومات في كل مايتعلق بالمسألة ،

وقدتناقلت الجرائد ان حكومة انقرة ستشاور العالم الاسلامي في الخلافة، ولكن الشورى الصحيحة النافعة لاتتم الا بالنظام ، وحسن الاختيار من الافراد والاقوام ، فعسى ان يختار لكل لجنة اهلها من أولي النهى، وان توفق كل منها لتحقيق الحق في عملها ، وان ينتهي ذلك باقتناع اهل الحل والعقد من الترك ، ببذل نفوذهم لاقامة الامامة الحق ، لاصلاح ما افسدت جهالة المسلمين ومادية الاوربيين في الارض ، فقد استدار الزمان ، واشتدت حاجة البشر الى اصلاح القرآن ، وضعفت معارضة المقلدة الجامدين ؛ وظهر ضرر عصبية الامويين والعباسيين والعثمانيين ، وضلال الافرنج والمتفرنجين ، فطوبى للمجددين المصلحين ، وويل للمقلدين المغرورين ، والعاقبة للمتقين ، (ان هذا لهو حق اليقين * ولتعلمن نبأه بعد حين)

الخطاب

الذي خاطب به المحكمة الانكليزية العالم العلامة الاستاذ أبو الكلام

(٢)

الاسلام والاستبداد

اني مسلم ، ولاني مسلم وجب علي أن أندد بالاستبداد وأقبحه وأشهر مساويه وليعلم أن الاسلام لا يعترف بالحكومة الشخصية ، ولا بحكومة عصبة من الموظفين يتقدون رواتبهم ، لانه نظام كامل للجمهورية ، وانما جاء ليرد الى

النوع الانساني حريته المغصوبة التي كان اغتصبها الملوك المستبدون ، والحكومات الاجنبية ، والرؤساء الروحانيون ذوو الاهواء ، والرجال الاقوياء من الجماعة ، وقد كانوا يعتقدون أن الحق للقوة والتسلط ، والقهر والغلبة ، ولكن الاسلام بمجرد ظهوره أعلن أن الحق ليس في القوة ، ولا هو القوة ، بل الحق هو الحق ، وانه ليس لاحد من البشر أن يعبّد عباد الله ويذلهم ويسخرهم — ثم قضى على سائر الامتيازات والمناصب المؤسسة على الغلبة القومية والجنسية قضاء تاما — وبين أن الناس كلهم متساوون في الانسانية ، متساوون في الحقوق ، متساوون في الحياة ، وليس اللون والجنس والنسل معيارا للفضل والحسب ، وانما معياره « العمل » وحده ، فأعلاهم قدرا وأكرمهم حسبا ، أحسنهم عملا وأتقاهم لربهم (ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم) « الحجرات »

الاسلام نظام جمهوري

ان الاسلام أعلن « حقوق الانسان » قبل انقلاب فرنسا بأحدعشر قرنا ، وليس مجرد اعلان ، بل وضع نظاما عمليا للجمهورية الحق بالغا في الكمال منتهاه ، ونظيرا لنفسه في الاتقان ، كما قال المؤرخ الشهير (غبون — أو — جبون) فكانت حكومة نبي الاسلام وخلفائه الاربعة ، جمهورية كاملة ، تتشكل برأي الامة وانتخابها ونيابتها — ولذا توجد في مصطلحات الاسلام كلمات جامعة لهذا الغرض لا توجد مثلها في لغة ما فحيث إنه لم يعترف بوجود ملك ومنصبه ، وعوضه بمنصب لرئيس الجمهورية ، سماه «بالخلافة» وهي في اللغة «النيابة» وسمى صاحبها « بالخليفة » أي « النائب » الذي لا يملك قوة ولا نفوذا بنفسه ، وكذلك اختار لنظام الجمهورية كلمة «الشورى» ووصف المسلمين بقوله (وأمرهم شورى بينهم) والشورى ضد الاستبداد ، فقرر به أن جميع أعمال الحكومة يجب أن تكون برأي الجماعة وشوراها ، لا برأي شخص وحكمه — فأي اسم للجمهورية ورئيسها ونظامها يكون أحسن وأجمع من هذه الاسماء الاسلامية ؟

البيوروكريسي الوطني والاسلامي ظلم أيضاً

فما دام الاسلام ينهى المسلمين عن قبول حكومة اسلامية لم تتشكل برأي الامة وانتخابها . فما تكون قيمة هذا « البيور وكريسي » الاجنبي Burocreci في عين المسلمين ؟ وهب انه لو تقوم الآن في الهند حكومة اسلامية على نظام شخصي . أو تكون بيو روكريسيا لطائفة من الوطنيين ، فان الاسلام يوجب علي أن أسميها أيضا ظالمة وجائرة ، وأسعى لخرابها ونقضها كما أفعل الآن . ولست ببدع فعلماء الاسلام مازالوا يجاهرون بظلم الولاة ويحاسبون المستبدين من المسلمين أنفسهم

وإني لاعترف بكل الاسف أن نظام الاسلام الجمهوري لم يعمل به طويلا بل أضلت القيصرية والكسروية ولاة المسلمين ، فحادوا عن الطريق وآثروا التشبه بقيصر وكسرى واستنكفوا من التشبه باسلافهم الخلفاء الراشدين ، الذين عاشوا طول حياتهم في ثياب رثة كآحاد الناس ، بيد أنه لم يخل عهد من أصحاب الحق الذين ناقشوا الملوك والسلاطين في استبدادهم وتفردهم بالحكم ، وتحملوا جميع تلك المصائب التي صبت عليهم في هذه السبيل بوجوه مستبشرة

الوظيفة الملية للمسلمين إعلاء الحق واعلانه

ولعمري ان المطالبة من مسلم بأن يسكت عن الحق ولا يسمي الظلم ظلما ، مثل مطالبته بأن يتنازل عن حياته الاسلامية ، فان كنتم لا ترون لانفسكم أن تطالبوا أحدا بأن يرتد عن دينه ، فليس لكم أن تطالبوا مسلما بأن يمتنع عن قوله للظلم إنه ظلم ، لان معنى كلتا المطالبتين واحد —

إن تصديق بالحق واعلانه عنصر ضروري للحياة الاسلامية ، فان فصل عنها فقدت أكبر ما تمتاز به ، لان الاسلام أسس قومية المسلمين عليه ، وجعلهم شهداء الحق على العالم كله ، فكما يجب على الشاهد أن لا يتوانى في ابداء شهادته

كذلك يتحتم على المسلم أن لا يتعتع في اعلاء الحق ، ولا يبالي في اداء فرضه بمصيبة وابتلاء ، بل يصدع به حيثما كان ، ولو لاقى دونه الحمام — وتصير هذه الفريضة أوكد وأوجب عند ما يسود الظلم والجور ، ويمنع الناس من اعلان الحق بالعنف والشدة ، لانه ان أجيز السكوت عنه خوفا من بطش الجبارين الذين يقطعون الالسنة ويقتلون الابدان بأنواع من العذاب ، يصبح الحق في خطر دائم ، ولا يبقى لظهوره وقيامه من سبيل ، مع أن ناموس الحق فوق القوة ، وليس بمحتاج في ثبوته الى تصديق القوة ، ولا يضره سكوت الناس عنه قاطبة ، بل انه يظل على كل حال حقا ، حقا عند ما نجد في سبيله ما نحب ونشتهي ، وحقا عند ما يكون دونه الموت الزؤام ، وهل تصير النار برداً ، والثلج نارا لاننا نحبس ونسجن ؟

وجوب الشهادة بالحق وخطر كتمانها

لهذا أنبيء المسلمون في كتابهم انهم « شهداء الحق » في أرض الله ، فالشهادة بالحق والصدع به وظيفتهم الملية وديانتهم القوميـة التي تميزهم عن سائر الامم الغابرة والآتية : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس !) وقال لهم نبيهم (ص) « أنتم شهداء لله في الارض » (١) فالمسلم مادام مسلما لا يستطيع كتمان هذه الشهادة ، وان حبس أو قتل أو ألقي جسده في النيران المتأججة —

وأخبر القرآن بأن من يكتم شهادته يبوء بغضب الله ، ومأواه جهنم وبئس المهاد! وكذلك أنبأ أن الامم الكبيرة لم تهلك الالانها كتمت الحق : (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) (٢) وقال : (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون !)

(١) رواه البخاري (٢) من سورة البقرة

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

ولذا نجد «الامر بالمعروف والنهي عن المنكر» من آكد الفرائض الاسلامية وقد أخبر القرآن أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أساس لعظمة المسلمين وفخارهم القومي ، وأنهم خير الامم لانهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وانهم ان حادوا عنه يفقدون سؤددهم ومجدهم الشامخ (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر – ٣:١٠٦) وقال النبي (ص) «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا من عنده ، ثم لتدعنه ولا يستجاب لكم » رواه الترمذي عن حذيفة

وأما أداء هذه الفريضة فعلى ثلاث درجات في ثلاث حالات مختلفة قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » (رواه مسلم) وحيث إننا لسوء حظنا لا نقدر في هذه البلاد على تغيير منكرات الحكومة بأيدينا لجأنا الى الدرجة الثانية التي في وسعنا وهي أن نعلن بألسنتنا ظلمها ومساوئها ، ونندد بمثالبها ونشهر بمعايبها

الاركان الاربعة

ان القرآن وضع أساس الحياة الاسلامية على أربع دعائم : الايمان ، والعمل الصالح ، والتوصية بالحق ، والتوصية بالصبر — فالايمان والعمل الصالح معناهما ظاهر — أما « التوصية بالحق » فهي أن يوصي كل أخاه بالتزام الحق

« والتوصية بالصبر» هي أن يتواصيا بتجشم المهالك وتحمل النوازل في سبيل الحق ، وانما قرنت هذه بتلك لان وقوع المحن والمشاق أمر لا مناص منه في سبيله : (والعصر ان الانسان لفي خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

التوحيد الاسلامي والامر بالمعروف

التوحيد أساس الاسلام ، وقطب رحاه ، وضد « الشرك » الذي أشرب المسلمون بغضه في قلوبهم ، ومعنى التوحيد أن يوحد الله في ذاته وصفاته . والشرك هو أن يجعل له سبحانه شريك في ذاته أو صفاته — والتوحيد يعلم المسلمين أن الخوف والخشوع لا يكون الا لله الواحد العظيم ، أما غيره فلا يخاف منه ولا يخشع له ، وان من يخشى غير الله فهو مشرك به وجاعل غيره أهلا للخوف والطاعة . وهذا ما لا يجتمع مع التوحيد أبدا

الاسلام من أوله الى آخره دعوة عامة الى البسالة والجرأة والتضحية والاستهانة بالموت في سبيل الحق والقرآن يكرر هذا مرة بعد أخرى : (لا يخشون أحدا الا الله . وكفى بالله حسيبا ٣٣ : ٣٩) (من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله ٩ : ٢٠) (ولا يخافون لومة لائم ٥ : ٥٨) (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ، ان كنتم مؤمنين ٣:١٧٥) (أليس الله بكاف عبده ؟ ويخوفونك بالذين من دونه ، ومن يضلل الله فما له من هاد ٣٩ : ٣٥)

والرسول (ص) يقول : «خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام الى امام جائر فأمره ونهاه ، فقتله» رواه الحاكم عن جابر على شرط الصحيحين وفي رواية « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » (رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي) وقد كان يأخذ العهد من أصحابه ان يقولوا بالحق اينما كانوا (كما رواه عبادة بن الصامت وأخرجه الشيخان)

وقد ابيضت عين الدهر ولم تر مثل هذه الضحايا العظيمة الكثيرة في إعلاء كلمة الحق التي قدمتها الامة الاسلامية في كل دور من حياتها ، فتراجم علمائها ومشايخنا وسادتها عبارة عن هذه الضحايا

ألا فلتعلم الحكومة الانكليزية أن المسلم الذي أمره ربه أن يرحب بالموت

الاحمر ، و يتفاءل في لجج الدواهي والكوارث و لا يقبل السكوت عن الحق لا يخيفه قانون ١٢٤ من العقوبات الهندية ولا يرده عن دينه وأداء فريضته — اذ أكبر عقاب في هذا القانون حبس المرء طول حياته ، والمسلم يرحب به ويتمناه إن كان لا بد منه في سبيل الحق —

لا يوجد في الاسلام قانون ١٢٤

إن تاريخ الامة الاسلامية ينقسم الى دورين مختلفين ، فالدور الاول ، دور نبي الاسلام (ص) وخلفائه الاربعة ، وقد كان النظام الاسلامي الجمهوري فيه قائما بأتم معانيه ، فكانت الامة متمتعة بالجمهورية الحق ، ترتع في رياض المساواة الاسلامية العامة ، وتعيش عيشة هنيئة في ظلال الحرية الكاملة ، لا تخيفها الملكية المطلقة ، ولا تثقل كواهلها القيصرية والكسروية ، خليفتها ورئيس جمهوريتها من آحادها ، تنصبه بأيديها وتحاسبه في جليل الامور وحقيرها ، ولا تسمح له أن يجحف بها أو يستبد برأيه دون رأيها ، وهو نفسه يكون من أعدل الناس وأفضلهم وأعلمهم بوظائف الخلافة والحكومة ، يعيش عيشة الفقراء والمساكين ، يستر جسده بأطمار بالية ، و يسكن في كوخ حقير ، ولم يكن اذ ذاك بدار الخلافة الاسلامية « القصر الابيض » لجمهورية أمريكا

وقد كان المسلمون في هذا الدور يقاطعون الخلفاء ويناقشونهم وهم على المنابر يخطبون ، حتى إن عجوزا من عجائز العاصمة كانت تتجرأ عليهم وتخاطب الواحد منهم على ملأ من الناس بقولها ان تزغ عن الحق نقومك بسيوفنا ! » والخليفة لا يؤاخذها ولا يعاقبها على ذلك بجناية « الثورة » بل يشكر الله ويحمده ان وجد في الامة ألسنة صادقة ذربة في اعلان الحق كهذه العجوز — وقد قام الخليفة مرة يوم الجمعة خطيبا وقال (اسمعوا وأطيعوا) فرد عليه رجل قائلا. والله لا نسمع ولا نطيع لانك خنت الامانة ، وأخذت القماش أكثر من سهام المسلمين ، فنادى الخليفة ابنه ، فشهد ان أباه لم يخن المسلمين ، بل اني قد أعطيته سهمي من

القماش ، ومن سهمينا فصلت الجبة والرداء

وقد كان سير الامة هذا مع ذلك الخليفة الذي كانت تقشعر من خشيته جلود الملوك في عقر دورهم ، وتخر أمام هيبته عروش فارس ومصر ، وتزلزل من بأسه جدران القسطنطينية ، ولكن مع هذا كله لم يكن عند الحكومة الاسلامية قانون ١٢٤ يحاكم به الخليفة معارضيه من أصحاب الحق

أما الدور الثاني فدور الحكومة الشخصية والملكية المطلقة ، بدأ باستيلاء بني أمية على الخلافة قهرا وعنوة ، فانقلبت فيه الجمهورية الاسلامية على رأسها وحل الاستبداد والقهر محلها ، وظهر مكان الخليفة الاسلامي ملك مكلل بتاج الملك ، متربع على عرش الحكومة المذهب. ولكن استبداد هذا الدور مع سائر عقوباته المريعة من الجلد بالسياط ، والحبس في السجون ، والقتل بالسيوف ، لم يستطع أن يصد المسلمين عن اعلان الحق ، ويقعدهم عن الذود عنه وحمايته ، بل ظلت ألسنتهم حادة ذلقة في اعلانه ، ونفوسهم متهيئة لتقديم المهج في سبيله ، فأصحاب الرسول (ص) ما عاشوا ظلوا يندون بظلم الولاة ويشهرونه ، ويطالبونهم بتغييره ، وجعل الحكومة شورى بين المسلمين (١) ثم قام مقامهم التابعون الذين تربوا في حجورهم وتخلقوا بأخلاقهم ، فكانوا خير خلف لخير سلف ، ماهابوا غير الله ، وما داهنوا أحدا من خلقه — بل كانوا يجهرون بالحق ، ويقولون للجبابرة والطواغيت « أصلحوا ، أو زولوا ، أزالكم الله ! » وقد عد الامام محمد الغزالي أولئك الصحابة والتابعين الذين كانوا الى زمن الخليفة هشام بن عبد الملك وأنكروا ظلم الامراء وطالبوهم بحكومة الشورى والنيابة ، فبلغ عددهم أكثر من ثلاثة وعشرين رجلا (٢) واني أنبه ههنا أنه لا يوجد في شريعة الاسلام قانون

(١) اراد معاوية بن أبي سفيان ان يجعل ابنه يزيد خليفة بعده واخذ يكره الناس على مبايعته فقام عبد الرحمن بن ابي بكر فرد عليه قائلا « اهرقلية؟ اذامات كسرى قام كسرى مكانه والله لا نفعل ابدا ! »

(٢) المنار : ليس هذا من قبيل الحصر بل ما اتفق من الروايات التى تنقل للاسوة والقدوة وإلا فالمنكرون للمنكر لم يكن حصرهم ممكنا

١٢٤ (من القوانين الهندية) الذي كان يمنع هؤلاء الاخيار ، من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واعلان الحق ، وتقبيح الظالم

طلب الخليفة الاموي الشهير هشام بن عبد المطلب ، طاوس اليماني يوما الى مجلسه فلما دخل عليه ، لم يسلم عليه بأمرة المؤمنين ، ولكن قال « السلام عليك ياهشام ! » وجلس بازائه ، وقال « كيف أنت ياهشام ؟ » فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله ، وقال له « ياطاوس : ما الذي حملك على ماصنعت؟» قال « وما الذي صنعت ؟ » فازداد غضبا وغيظا ، وقال « خلعت نعليك بحاشية بساطي ، ولم تقبل يدي ، ولم تسلم علي بأمرة المؤمنين ، ولم تكنني ، وجلست بأزائي بغير أذني ، وقلت كيف أنت ياهشام » قال (اما مافعلت من خلع نعلي بحاشية بساطك فأني أخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ، وأما قولك لم تقبل يدي ، فاني سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول ، لايحل لرجل أن يقبل يد أحد ، الا امرأته من شهوة ، أو ولده من رحمة — وأما قولك لم تسلم علي بأمرة المؤمنين ، فليس كل الناس راضين بأمرتك . فكرهت أن أكذب — وأما قولك جلست بأزائي ، فاني سمعت أمير المؤمنين عليا يقول اذا أردت أن تنظر الى رجل من أهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام » فقال هشام عظني ، فقال سمعت من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أن في جهنم حيات كالقلال ، وعقارب كالبغال ، تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته. ثم قام — انتهى ملخصا

وكان مالك بن دينار ينادي في جامع البصرة « ان الله دفع الى هؤلاء الملوك غنما سمانا صحاحا ، فأكلوا اللحم، ولبسوا الصوف ، وتركوها عظاما تتقعقع ! »

وخاطب أبو حازم سليمان بن عبد الملك الجبار بقوله « ان آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم ، حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وقد ارتحلوا ، فلو شعرت بما قالوا وما قيل فيهم ! » فقال له رجل من جلسائه : بئسما قلت ، قال أبو حازم : ان الله قد أخذ الميثاق

على العلماء «ليبيننه للناس ولا يكتمونه !» قال سليمان ، وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد ؟ قال : أن تأخذه من حله ، فتضعه في حقه. فقال سليمان : ومن يقدر على ذلك ؟ فقال من يطلب الجنة ويخاف من النار فقال سليمان أدع لي ، فقال أبو حازم « اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة ، وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى !» فقال سليمان : أوصني ، فقال : أوصيك وأوجز ، عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك من حيث أمرك !

وكان سعيد بن المسيب التابعي الكبير يقول على رءوس الاشهاد في ولاة زمنه: يجيعون الناس، ويشبعون الكلاب !

وقد ظل علماء الاسلام على هذه الديدنة بعد عهد بني أمية ، غير هيابين ولا وجلين في عهد العباسية ، فهذا المنصور الخليفة العباسي القهار لما قال لسفيان الثوري « ارفع الينا حاجتك » رد عليه قائلا « اتق الله ! فقد ملات الارض ظلما وجوراً ! »

ولما استقر على منصة الخلافة هرون الرشيد الخليفة العباسي الشهير ، كتب الى سفيان الثوري كتابا بيده يقول فيه :

« من عبد الله هرون الرشيد أمير المؤمنين ، الى أخيه سفيان بن سعيد ابن المنذر — أما بعد يا أخي ! قد علمت أن الله تبارك وتعالى آخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله ، واعلم اني قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبالك ، ولم أقطع منها ودك ، واني منطو لك على أفضل المحبة — واعلم يا أبا عبد الله ! أنه ما بقي من اخواني واخوانك أحد الا وقد زارني وهنأني بما صرت اليه ، وقد فتحت بيوت الاموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي ، وقرت به عيني ، واني استبطأتك فلم تأتني ، وقد كتبت اليك كتابا شوقا مني اليك شديداً — وقد علمت يا أبا عبد الله ، ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته ، فاذا ورد اليك كتابي فالعجل العجل »

وهل يعلم اللورد ريدنغ من كان هذا الرشيد الذي يكتب الى عالم من

علماء المسلمين بهذه اللهجة اللينة ؟ انه قد كان يحكم ربع الكرة الارضية ويخاطب قيصر الروم في كتاب منه اليه « بيا ابن الكلب » كما صرح به المؤرخ جبن الانكليزي — ٨ ثم هل علم بما رد عليه ذلك العالم ؟ ن لم يعلم فليسمع مني جوابه ثم يتدبر فيه ، فانه يجلي له ما خفي عليه من حقيقة الاسلام ، وجرأة المسلمين في اعلان الحق ، و بين له أن ما تطلبه حكومته منا لا ينال ، وان المسلم لا يمتنع من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولو فجع في النفس والمال

قد كان من حديث سفيان أنه لما أتاه الرسول بكتاب الخليفة ، كان في مسجد الكوفة وحوله أصحابه ، فرمى اليه الرسول الكتاب ، فلما رآه ارتعد وتباعد منه ، كأنه حية عرضت له — ثم أدخل يده في كمه ولفها بعباءته وأخذ الكتاب فقلبه بيده ثم رماه الى من كان عنده ، وقال يأخذه بعضكم يقرؤه ، فاني استغفر الله أن أمس شيئا مسه ظالم بيده، فلما فرغ من قراءته ، قال « اقلبوه واكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه » فقيل له « ياأبا عبد الله انه خليفة فلو كتبت اليه في قرطاس نقي فقال : اكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه ، فان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به ، وان كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ، ولا يبقى شيء مسه ظالم عندنا ، فيفسد علينا ديننا » ثم قال اكتبوا :

« من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثوري ، الى العبد المغرور بالآمال هارون الرشيد ، الذي سلب حلاوة الايمان : أما بعد . فاني قد كتبت اليك أعرفك أن قد صرمت حبلك ، وقطعت ودك ، وقليت موضعك ، فانك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنفقته في غير حقه، وأنفذته في غير حكمه، ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء عني ، حتى كتبت الي تشهدني على نفسك — أما أني قد شهدت عليك أنا واخواني الذين شهدوا قراءة كتابك ، وسنؤدي الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى — ياهارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم ، هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم ، والعاملون عليها في أرض الله تعالى ، والمجاهدون في سبيل الله ، وابن

السبيل ؟ أم رضي بذلك حملة القرآن وأهل العلم ، والارامل والايتام ؟ أم هل رضي بذلك خلق من رعيتك ؟ فشد ياهارون مئزرك ، وأعد المسألة جوابا ، وللبلاء جلبابا ، واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل ، فقد رزئت في نفسك اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الاخيار ، ورضيت لنفسك أن تكون ظالما ، وللظالمين اماما ، ياهارون قعدت على السرير ، ولبست الحرير ، وأسبلت ستراً دون بابك ، وتشبهت بالحجبة برب العالمين ، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون

أفلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس ؟ فكيف بك ياهارون غدا اذا نادى المنادي من قبل الله تعالى: (أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم) أين الظلمة وأعوان الظلمة ؟ فقدمت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان الى عنقك لا يفكهما الا عدلك وانصافك ، والظالمون حولك وأنت لهم سابق وامام الى النار . كأني بك ياهارون وقد أخذت بضيق الخناق ، ووردت المساق ، وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك ، وسيئات غيرك في ميزانك ، زيادة عن سيئاتك ، بلاء على بلاء ، وظلمة فوق ظلمة ، فاحتفظ بوصيتي ، واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها واعلم اني قد نصحتك وما أبقيت لك في النصح غاية والسلام اه

فلما وصل هذا الكتاب الى هارون أقبل يقرأه ودموعه تنحدر من عينيه ، ويقرأ و يشهق . ثم لم يزل كتاب سفيان الى جنب هارون يقرأه عند كل صلاة حتى توفي — انتهى ملخصا

ولم يكن العلماء والائمة هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وحدهم ، بل كان يوجد اذ ذاك من دهماء المسلمين وعامتهم من يؤدي هذه الفريضة بكل شجاعة ورباطة جأش — فبينما كان الخليفة المنصور العباسي يطوف بالبيت اذ سمع رجلا عند الملتزم يقول «اللهم اني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع » فدعاه المنصور وقال : ما هذا الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من

الطمع والظلم ؟ ، فقال الرجل الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق واصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الارض أنت » قال المنصور « ويحك كيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في يدي ، والحلو والحامض في قبضتي ؟ » قال وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك ، ان الله استرعاك أمور المسلمين وأموالهم ، فاغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر ، وابوابا من الحديد ، وحجبة معهم السلاح ، ثم سجنت نفسك فيها منهم ، وبعثت عمالك في جمع الاموال وجبايتها ، واتخذت وزراء وأعوانا ظلمة ، ان نسيت لم يذكروك ، وان ذكرت لم يعينوك ، وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح ، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس الا فلان ، فلان نفر سميتهم فائتمروا على أن لا يصل اليك من علم أخبار الناس شيء الا ما أرادوا ، فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا ، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل — الى آخره — فبكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته

ومن ذا الذي لم يسمع بظلم داهية بني أمية الحجاج بن يوسف الثقفي وغلظته وسفكه للدماء ، ولكنه مع جبروته وغطرسته لم يستطع صد المسلمين عن اعلان الحق ، فلقد جيء اليه يوما بحطيط الزيات أسيراء فلما دخل عليه ، قال أنت حطيط ؟ قال نعم سل ما بدا لك ، فأني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال : ان سئلت لاصدقن ، وان ابتليت لاصبرن ، وان عوفيت لاشكرن . قال فما تقول فيّ ؟ قال أقول : إنك من اعداء الله في الارض تنتهك المحارم ، وتقتل بالظنة ، قال فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟ قال أقول إنه أعظم جرما منك وانما أنت خطيئة من خطاياه

ودخل رجل من المسلمين على المأمون بن الرشيد وقال له على ملا من رجاله ياظالم أنا ظالم ان لم أقل لك ياظالم ، فأقبل عليه المأمون وقال من أنت ؟ قال أنا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم أجد لنفسي فيه حظا ،

فتعلقت بموعظتك لعلي ألحقهم. فأمر بضرب عنقه

فهكذا كان المسلمون في الايام الاولى يتقربون الى مولاهم بتعرضهم الملوك والسلاطين وتخشينهم لهم في القول وتقديم مهجهم للهلاك، ولقد ظلوا على هذه الوتيرة بعد ولا يزال يوجد فيهم الربانيون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر حتى يأتي أمر الله كما ورد في الخبر « لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون »

الفتنة التتارية والفتنة الغربية

فلا تفتنهم الفتنة الحديثة الغربية ، ولا تستطيع ردعهم عن عملهم الحق ، اذ هي ليست بجديدة لهم ، فلقد دهموا قبلها بالفتنة التتارية ، وزلزلوا بها زلزالا شديدا ، فكما نرى الدول الاوربية ولا سيما انكلترة قد دمرت البلاد الاسلامية، ومزقت شمل الخلافة العثمانية ، وقضت على حرية الممالك الشرقية ، وأباحت سفك دماء المسلمين أنهارا في السهول الاناضولية ، كذلك كانت الفتنة التتارية ، والتتار لم يكونوا أناسي بل سباعا ووحوشا ، أنهالوا على البلاد الاسلامية كالسيل الجارف ، ووضعوا السيف في رقاب المسلمين ، ودمروا الخلافة العباسية ودخلوا بغداد فجاسوا خلال الديار — ولكن هل قدرت سيوف هلاكو ومنكو وباقا آن السفاكين، أن تقهر العلماء الربانيين وتسكتهم عن الحق ؟ كلا فهذا شاعر ايران الشهير السعدي الشيرازي قد قال لهلاكو خان وجها لوجه « انك ظالم ! » ودعا شمس الدين التتاري على منكو خان وهو يسمع ويرى ، ولعن شيخ الاسلام احمد بن تيمية أباقا آن في حضرته وعلى ملأ من جنوده — نعم كانت في أيدي التتار السيوف البتارة تطير الهامات في طرفة عين ، ولكن لم يكن في « الثورة الجنكيزية » قانون ١٢٤ الذى امتازت به الدولة البريطانية المدنية في بلاد الهند !

الحجاج وريدنغ

فاذا كنا نحن المسلمين نعامل حكومتنا الاسلامية هذه المعاملة ،فماذا يرجوه منا عمال هذه الحكومة الاجنبية؟ وهل تكون الحكومة الانكليزية الهندية «القانونية» أكرم علينا من الحكومات الاسلامية التي طاعتها واجبة علينا «شرعا ودينا» ؟ وهل دولة الملك جورج الخامس ونيابة اللورد ريدنغ أعز علينا من خلافة عبد الملك بن مروان ونيابة الحجاج بن يوسف الثقفي ؟ ولو غضضنا الطرف عن الفرق الشرعي العظيم بين الحكومة الاجنبية غير الاسلامية والحكومة الوطنية الاسلامية ، وأنزلناهما منزلة واحدة ، أفلا نقول في حكومات (جيمسفورد) و (ريدنغ) ما قلناه في حكومات الحجاج وخالد القسري من قبل ؟ قد قلنا يومئذ : أتق الله ، فقد ملأت الارض ظلما وجورا ! وهذا هو الذي نقوله اليوم ، ولا نزال نقوله حتى يزول الاستبداد أو نزول نحن !

والحقيقة أن مانعمله الآن في الهند من ترك التعاون ومقاطعة الحكومة ، إنما كنا أمرنا به في مقابلة ظلم الولاة من المسلمين ، لا في مقابلة الاجانب — ولو فهم أساطين بريطانيا ودهاتها هذه الحقيقة ، لاعترفوا بأن مساهلة المسلمين ومداراتهم قد بلغت منتهاها ، وانه لاينبغي أن ينتظر منهم أكثر من هذا ، اذ ليس وراءه الا الارتداد عن الاسلام أو النفاق فيه ، ولا يمكنهم أن يفعلوا ذلك حبا في سواد عيون البريطانيين (أو زرقتها)

(للخطاب بقية)

من الخرافات الى الحقيقة

(٩)

بابك ومذهبه

في أوائل خلافة المأمون ظهر في ولاية (مازندران) رجل اسمه بابك . وفي تلك الآونة كان العرب مشغولين باختلافات داخلية . لذلك صمم الرجل أن يستفيد من ذلك الاضطراب إعادة السلطنة الفارسية . وكان هذا المتخيل من طائفة مجوسية اسمها (خرميه) .

وخلاصة مذهبه هدم قواعد الاخلاق من أساسها . لان الاخلاق أساس الدين . ثم طفق ينشر عقيدة التناسخ . وعند ما كثر أتباعه اعتصم في قلعة منيعة في مازندان . وأخذ ينشر تعاليمه منها . وكان بين آونة واخرى يخرج من قلعته وينهب القرى والبلاد المجاورة ، ويقتل الرجال ويأسر النساء ، فكان قتل النفوس والزنا وجميع المحرمات مباحة دينا في مذهب بابك وبهذا كثر أتباعه

ظل هذا الرجل في قلعة (بذر) عشرين سنة ينفث منها سمومه بين العرب المسلمين لتجرئتهم على مخالفة أحكام الدين الاسلامي لاجل أن تنحل الرابطة التي بينهم ، وعندئذ لا يجد الساعون لاعادة المجد الفارسي أمامهم معارضين أشداء . ثم أرسل الخليفة المعتصم عام ٢٢٣ قائدا تركيا اسمه (آفشين) للقضاء على هذا الرجل فوفق لاراحة المسلمين من وجوده . ولكنه لم يستطع أن يقلع ما بذره من الشرور في أدمغة العوام فلم تنقض سنة ٢٦٠ الا وقد ظهر مذهب آخر اسمه (مذهب القرامطة) في زمان ملكشاه أحد ملوك السلجوقيين في مازندران أيضاً . وكان نبات هذا المذهب من الجذور السامة التي غرسها بابك

خروج الاسلامية عن صبغتها الاولى ومن السبب؟

ان شدة الامويين في السياسة وحيلهم للاغتصاب قلب أفكار المسلمين عليهم . فكان الايرانيون والعراقيون ظمآنين للانتقام منهم ، ولا سيما مظالم

الحجاج وعبد الله بن زياد فقد كانت من أهم الاسباب لانقلاب الافكار على بني أمية لان الشدة والبطش في الادارة تنتج ضد ما يراد منها دائما ، فان أنالت الجبارين شيئاً من مبتغاهم عاجلا فلا بد أن تنعكس القضية بعد حين ويتباعد عنهم الناس . وبعد أن يبقوا منفردين يبطش بهم كما بطشوا بغيرهم هذه قاعدة عامة جاء مفعولها في كافة أدوار التاريخ

وجملة القول إن شدة الادارة في زمان بني أمية كانت من جملة الاسباب التي حملت رجال الفرس على العمل باسم الدين والانتقام فظهرت أحزاب متعددة ظاهرها ديني وباطنها سياسي يراد به تفكيك عرى الاسلام والمسلمين وأهم هذه الفرق (١) الشيعة (٢) الامامية (٣) الكاملية (٤) العليائية (٥) المغيرية (٦) الهشامية (٧) اليونسية (٨) المفوضة

الشيعة

كان دعاتها يدعون أن الامامة والخلافة أو الوصاية خفية أو جلية — منحصرة في علي بن أبي طالب وأولاده ، ويرفضون أساس الانتخاب والبيعة ويعدون الخلافة من أركان الدين ويحيلون ترك النبي (ص) إياها بدون بيان ولا وصية. ان بعض الشيعة لم يبعدوا عن أهل السنة كثيراً مثل الجعفريين ومنهم أهل ايران ولكن هناك غلاة الشيعة الذين يبغضون السني أكثر من بغضهم لليهودي والنصراني ، شيء غريب . ان عملهم هذا مخالفة صريحة لافكار سيدنا علي بن أبي طالب الذى يدعون الانتصار له وقد آن الاوان للعدول عن سياسات باطنها غير ظاهرها ، فليتنبه المسلمون!!! [1]

«١» المنار: قد اخطا المؤلف خطأ ظاهراً في جعله الشيعة فرقة مستقلة غير الامامية وجعلها منقسمة الي معتدلين كالجعفرية وهم شيعة ايران والى غلاة لم يذكر اين هم ولا ما اسمهم، فالجعفرية اذا غير الامامية، والصواب ان الجعفرية هم الامامية وان الشيعة مقسم لاقسم، فمن اقسامها الامامية الجعفرية، ومنها الزيدية وهم اشدهم اعتدالا واقربهم من أهل السنة. ومنها الفرق الأخرى التي ذكرها وغيرها. ثم انه قد نقض ما بناه من جعل جميع ما انكره علي الشيعة والظاهرية والباطنية نابعا من ايران وصادرا عن روح الايرانية المجوسية . وقد نبهنا من قبل وبينا ان هذا البحث كله تاريخي ، وان روح الجامعة الاسلامية قد استيقظت في جميع شعوب المسلمين وطفقت تصلح ما افسد الدهر بينهم

الامامية

أول اختلاف ظهر بين المسلمين نشأ من مسألة الامامة ثم ان نارها أطفئت في (سقيفة بنى ساعدة) يوم بويع الصديق. الا أن ذلك كان ظاهريا ودليلنا الفرق المتعددة التى ظهرت بعد ذلك

ادعى بعض الناس أن هناك نصا نبويا على امامة سيدنا علي وانه أفضل الانبياء والاولياء بعده صلى الله عليه وسلم وان لاولاده وأحفاده ما له من الفضيلة والرجحان . ويتهم هؤلاء أبا بكر وعمر وعثمان بغصب حقوق أبي الحسنين.

يزعم هؤلاء أن الامامة منحصرة في اثنى عشر اماما من أحفاد علي المرتضى وانه ظهر منهم الى اليوم أحد عشر وان الثاني عشر موجود الا أنه لم يظهر الى الآن وانه سيظهر يوم يعم الظلم وجه الارض ، فيملاها نوراً وعدلا

هذه العقيدة شبيهة بعقيدة الفرس في (هرمز) لان العجم كانوا يعتقدون انه عند ما يسود الباطل على الحق يظهر (هرمز) وينصر الحق على الباطل فهذه الخرافة قد دخلت على الاسلام من ايران ايضا . ولكنهم بدلوا باسم (هرمز) اسما عربيا هو (المهدي والقائم المنتظر) ويزعم هؤلاء ان اسم علي كان مذكوراً في القرآن الشريف وان عثمان ذا النورين اخرجه منه حين الجمع والى القارىء الكريم الآيات المزعوم اخراجها من القرآن الشريف [1]

«١» ان هذا مما افتراه بعض الروافض وسموه سورة ،ولم يكن مفتريها متقنا للغة العربية فجاءت في غاية الضعف والركاكة على ان اكثر الفاظها منقولة من سور اخرى ولكنه لم يحسن التأليف بينها ، ولم يضعها فى مواضعها اللائقة بها فكثر خطاه في مفرداتها واساليبها، وظن انه حاكى القرآن، وابطل حجة الاعجاز، بتقليده في الفواصل لاياته لظنه انه لا يمتاز على كلام البشر الا بفواصله، ومن سوء حظه وحظ فرقته انه جمع بين ضعف العقل والفهم، والحرمان من العلم ،فخاطب المؤمنين بقوله « وان اكثركم فاسقون » ولو شئت أن ابين اغلاطه اللغوية النحوية والبيانية لالفت فيها كتابا وناهيك بقوله: انزلنا اليك آيات بينات فيها من يتوفه مؤمنا ومن يتوله من بعدك يظهرون. وقوله: ولقد ارسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا هارون فصبر جميل. وناهيك بقوله: ان عليا قانتا بالليل ساجدا يحذر الاخرة ويرجو ثواب ربه قل هل يستوي الذين ظلموا وهم بعذابي يعلمون. تأمل ايها القارىء كيف حرف

ما افتراه بعض الزنادقة على القرآن

(ياايها الذين آمنوا بالنورين انزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم . نوران بعضهما من بعض وانا السميع العليم . ان الذين يوفون بعهد الله ورسوله في آيات (؟) لهم جنات النعيم . والذين كفروا من بعدما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يقذفون في الجحيم . ظلموا أنفسهم وعصوا الوحي الرسول (؟) اولئك يسقون من حميم . ان الله الذي نوّر السموات والارض بما شاء واصطفى من الملائكة والرسل (؟) وجعل من المؤمنين (؟) اولئك في خلقه يفعل الله ما يشاء . لااله الا هو الرحمن الرحيم . قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فأخذتهم بمكرهم ان اخذي شديد اليم . ان الله قد اهلك عاداً وثموداً بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة أفلا تتقون . وفرعون بما طغى على موسى واخيه هرون اغرقته ومن معه اجمعين . ليكون لكم آية وان اكثركم فاسقون ، ان الله يجمعهم يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسئلون ، ان الجحيم مأواهم وان الله عليم حكيم . ياأيها الرسول بلغ انذاري فسوف يعلمون ، قد خسر الذين كانوا عن آياتي وحكمي معرضون (؟) ، مثل الذين يوفون بعهدك اني جزيتهم (؟) جنات النعيم ، ان الله لذو مغفرة وأجر عظيم ، وان عليا لمن المتقين ، وانا لنوفيه حقه يوم الدين . ما نحن عن ظلمه غافلين ، وكرمناه على أهلك أجمعين ، فانه وذريته لصابرون ، وان عدوهم امام المجرمين ، قل للذين كفروا بعد ما آمنوا طلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود من بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الامثال لعلكم تهتدون ، ياأيها الرسول انا أنزلنا اليك آيات بينات فيها من يتوفه مؤمناً (؟) ومن يتوله بعدك يظهرون (؟) ، فأعرض عنهم انهم معروضون ، انا لهم محضرون ، في يوم لا يغني عنهم شيء ولا هم يرحمون ، ان لهم في جهنم مقاماً عنه لا يعدلون (؟) ، فسبح باسم ربك وكن من الساجدين ، ولقد أرسلنا موسى وهرون بما استخلف فبغوا هرون (؟) فصبر جميل (؟) ، فجعلنا منهم القردة والخنازير ، ولعناهم الى يوم يبعثون . فاصبر فسوف يبصرون ، ولقد آتيناك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين ، وجعلنا

بهذه الصفة قول الله تعالي (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون)

لك منهم وصيا لعلهم يرجعون، ومن يتول عن أمري فاني مرجعه (؟) فليتمتعوا بكفرهم قليلا فلا تسأل عن الناكثين ، ياأيها الرسول قد جعلنا لك في أعناق الذين آمنوا عهداً نخذه وكن من الشاكرين

ان علياقانتاباليل ساجداً (؟) يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه. قل هل يستوي الذين ظلموا وهم بعذابي يعلمون (؟) سيجعل الاغلال في أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون ، انا بشرناك بذرية صالحين ، وانهم لامرنا لا يخلفون ، فعليهم مني صلوات ورحمة أحياء وأمواتا يوم يبعثون ، وعلى الذين يبغون عليهم من بعدك غضبي انهم قوم سوء خاسرين ، وعلى الذين سلكوا مسلكهم مني رحمة وهم في الغرفات آمنون ، والحمدلله رب العالمين اه (*

ومن نظر هذه العبارات يرى لاول وهلة أن لا علاقة بينها وبين القرآن الكريم . وماسبّب تلفيقها الاتفريق كلمة المسلمين . ليتهيأ للفرس إعادة مجد ايران . أثناء اشتغال الامة بالخصام [1]

المترجم

حسني عبد الهادي

---

*) انتهت الافيكة الركيكة وقد نبهنا بعلامة الاستفهام الى اقبح ذلك فيها ، ولظهور ذلك لكل أحد لم يعدها أحد شبهة تحتاج الى الرد عليها لامن المسلمين ولا من غيرهم

« ١ » حاشية للمترجم : ان هذه الطريقة هي نفس الطريقة التى سلكها نصارى سورية الذين تعلموا في المدارس الأجنبية : الايرانيون قصدوا اعادة مجد كسرى ففرقوا بين أكابر الصحابة وقصد نصارى السوريين اعادة مجد قيصر الرومان ففرقوا بين العرب والترك بحجة العربية فما كانت النتيجة بعد ان نالوا مبتغاهم ؟ تركوا العرب والعربية وأصبحوا انكليزا وافرنسيين وهذه غاية من يستعجل الشيء قبل ان يستكمل وسائطه . الفرس اسسوا دولة العباسيين ثم الصفويين ونالوا المبتغي ونصارى سورية ايضا اسسوا فيها حكومتى الانجليز والافرنسيس ونالوا المقصد . وفى الحالتين خسر العرب المسلمون . وفي الحالتين كانوا آلة لزوال حاكميتهم . ولحد اليوم قل من يعتبر

ذكرى رينان في الجامعة المصرية

محاضرة الشيخ مصطفى عبد الرازق في رينان والافغاني

كلمة المنار في المحاضرة (*

(٢)

تفصيل لرأي السيد جمال الدين، في أن الحضارة والحكمة منوطتان بالدين

تقدم ان الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق قد استنبط مما فهمه من كلام السيد الذي خاص اليه من ثلاث ترجمات أنه بعد وصوله الى باريس في سنة ١٨٨٣ دخل في طور جديد تغير فيه اعتقاده ورأيه في الاسلام، وكونه منشأ العلم والحكمة والعمران، وبينا أن مانقله الينا من الترجمة الثالثة لكلام السيد فيه ما يدل على خلاف ذلك، وأن فهمنا مؤيد بما نقله لنا عنه من عاشروه قبل سنة ١٨٨٣ و بعدها وبآثاره بعدها، وأهمها جريدة العروة الوثقى التي أنشأها بباريس في أوائل سنة ١٨٨٤ عقب رده على رينان، وشهادة هذا له بالفلسفة والعرفان، لظنه انه آري من عنصر الافغان،

نسبة هذه الجريدة الى السيد جمال الدين متواترة لان ألوفا من النسخ كانت توزع منها في عهده في أقطار الارض كلها، ولا يزال في الناس من يحفظ نسخها الاصلية ومن نسخها عنها مثلنا، على انها طبعت بعد ذلك برمتها. وقد صرح في فاتحة العدد الاول منها بأنه هو المنشيء لها والمدير لسياستها، والشيخ محمد عبده وان كان رئيس تحريرها — لم يكن يخرج فيها عن رأيه بل كان يعبر عنه، وكثيرا ما كان يتلقاه منه، وكان الغرض منها معالجة ما طرأ من الضعف على المسلمين وارشادهم الى الوسائل التي يستعيدون بها قوتهم ومجدهم وحضارتهم وانقاذ بلادهم من الاجانب، ووقاية دينهم مما يهدده من النوائب، وقد اعتمد في ذلك كله على ارشاد القرآن وهدايته، والرجوع في فهمه والعمل به الى منهج

*) تابع لما نشر بالعدد السابق ص ٣٠٣

الخلفاء الراشدين وسائر السلف الصالح

ومن المعلوم بالضرورة أن هذا الغرض لا يتم في هذا العصر الا بالعلوم والفنون الرائجة في أوربة وأمريكة والتي هي منشأ قوتها وحضارتها — أفرأيت لو كان السيد جمال الدين رجع بباريس سنة ١٨٨٣ عن رأيه في كون الدين ولا سيما الاسلامي لا يتفق مع العلم والحكمة ، أكان يبني سياسته في اعادة مجد المسلمين على هذه الدعوة ؟ ؟ كلا إنه لو دخل في الطور الذي استنبطه صاحب تلك المحاضرة ، لجعل دعوته فلسفية محضة مشوبة بفصل الدين من السياسة، وبالتشكيك في الدين أو الصد عنه، كما فعل النصارى في أوربة من قبل وكما يفعل مقلدتهم من متفرنجة المصريين والترك والفرس ،

لكنه لم يفعل ذلك بل جعل دعوة الاصلاح كلها قائمة على إحياء هداية القرآن وصحيح السنة، وسيرة السلف الصالح من الامة ، وهذه حجتنا الناهضة على أن ما سلم به لرينان من اضطهاد بعض المسلمين للعلم إنما كان بسوء فهمهم للاسلام ، وان الاسلام المشوب بالبدع والاهواء هو الذي يناهض الحكمة والعلم لا إسلام القرآن الذي كان المسلمون يفهمونه في إبان سلطان الدولة العربية قبل تغلب العجم عليهم، وتحكمهم في دينهم ودنياهم، كما نقلنا التصريح بذلك عن الاستاذ الامام بالاجمال ، واحلنا على كتابه الاسلام والنصرانية لمن يريد التفصيل ، وننقل هنا بعض الشواهد على ذلك من أشهر مقالات العروة الوثقى التي لا انفصام لها

﴿ الشاهد الاول ﴾

من العدد الثاني الذي صدر بباريس في ٢٠ مارس سنة ١٨٨٤

جاء في أواخر مقالة الجنسية والديانة الاسلامية من هذا العدد مانصه : (١)

« ولو أن حاكما صغيرا بين قوم مسلمين من أي جنس كان تبع الاوامر الالهية وثابر على رعايتها ، وأخذ الدهماء بحدودها، وضرب بسهمه مع المحكومين في الخضوع لها ، وتجافى عن الاختصاص بمزايا الفخفخة الباطلة — لامكنه أن يحوز بسطة في الملك وعظمة في السلطان، وأن ينال الغاية من رفعة الشأن في الاقطار المعمورة

بأرباب هذا الدين، ولا يتجشم في ذلك اتعابا ولا يحتاج الى بذل النفقات ولا تكثير الجيوش ولا مظاهرة الدول العظيمة ، ولا مداخلة أعوان التمدن وانصار الحرية ويستغني عن كل هذا بالسير على نهج الخلفاء الراشدين والرجوع الى الاصول الاولى من الديانة الاسلامية القويمة، ومن سيره هذا تنبعث القوة، وتتجدد لوازم المنعة

« أكرر عليك القول بان السبب هو أن الدين الاسلامي لم تكن وجهته كوجهة سائر الاديان الى الآخرة فقط ، ولكنه مع ذلك أتى بما فيه مصلحة العباد في دنياهم وما يكسبهم السعادة في الدنيا والتنعيم في الآخرة وهو المعبر عنه في الاصطلاح الشرعي بسعادة الدارين » الخ

ثم ختم المقالة بهذه الجملة « فاذا رجع الوازعون في الاسلام الى قواعد شرعهم وساروا سيرة الاولين السابقين لم يمض قليل من الزمان الا وقد آتاهم الله بسطة في الملك وألحقهم في العزة بالراشدين من أئمة هذا الدين وفقنا الله للسداد ، وهدانا سبيل الرشاد »

﴿ الشاهد الثاني ﴾

﴿ من العدد ٣ المؤرخ في ٢٧ مارس سنة ١٨٨٤ ﴾

في هذا العدد مقال طويل جعلنا عنوانه في تاريخ الاستاذ الامام (ماضي الامة وحاضرها ، وعلاج عللها) ذكر فيه خلاصة آراء أهل العصر في ترقية الامم من نشر الجرائد وانشاء المدارس وتعميم المعارف ، وبين أن هذا العلاج في المصريين والعثمانيين لم يأت بالمطلوب من الحرية والعزة والاعتصام من استذلال الاجانب اذ كان تقليدا لم تكن له غاية الا نسف ثروتهم ، وان المتشدقين منهم بالفاظ الحرية والوطنية والجنسية وما شاكلها يصوغونها في عبارات متقطعة بتراء لا تعرف غايتها ، ولا تدرك بدايتها ، « وان المقلدين من كل أمة المنتحلين لاطوار غيرهم يكونون فيها منافذ وكوى لتطرق الاعداء اليها ، وتكون مداركهم مهابط الوساوس ، ومخازن الدسائس ، بل يكونون بما أفعمت أفئدتهم من تعظيم

الدين قلدوهم، واحتقار من لم يكن على مثالهم، شؤما على أبناء أمتهم، يذلونهم ويحقرون أمرهم، ويستهينون بجميع أعمالهم، — الى ان قال— ولهذا لو طرق الاجانب أرضا لاية أمة ترى هؤلاء المتملدين فيها يقبلون عليهم، ويعرضون أنفسهم لخدمتهم الخ (ثم بين رأيه بما نصه)

«لا أطيل عليك بحثا، ولا أذهب بك في مجالات بعيدة من البيان، ولكني أستلفت نظرك الى سبب يجمع الاسباب، ووسيلة تحيط بالوسائل: أرسل طرفك الى نشأة الامة التي خملت بعد النباهة، وضعفت بعد القوة، واسترقت بعد السيادة، وضيمت بعد المنعة وتبين أسباب نهوضها الاول حتى تتبين مضارب الخلل، وجراثيم العلل، فقد يكون ماجمع كلمتها، وأنهض همم آحادها ولحم ما بين أفرادها، وصعد بها الى مكانة تشرف منها على رؤوس الامم وتسوسهم وهي في مقامها بدقيق حكمتها انما هو دين قويم الاصول محكم القواعد شامل لانواع الحكم، باعث على الالفة، داع الى المحبة، مزك للنفوس مطهر للقلوب من أدران الخسائس، منور للعقول باشراق الحق من مطالع قضاياه، كافل لكل ما يحتاج اليه الانسان من مباني الاجتماعات البشرية وحافظ وجودها، وينادي بمعتقديه الى جميع فروع المدنية. فان كانت هذه شرعتها، ولها وردت، وعنها صدرت، فما تراه من عارض خللها وهبوطها عن مكانتها انما يكون من طرح تلك الاصول ونبذها ظهريا، وحدوث بدع ليست منها في شيء اقامها المعتقدون مقام الاصول الثابتة واعرضوا عما يرشد اليه الدين، وعما أتى لاجله، وما أعدته الحكمة الالهية له، حتى لم يبق منه الأسماء تذكر وعبارات تقرأ. فتكون هذه الحادثات حجابا بين الامة و بين الحق الذي تشعر بندائه أحيانا بين جوانحها . . . .

«فعلاجها الناجع انما يكون برجوعها الى قواعد دينها والاخذ بأحكامه على ما كان في بدايته، وإرشاد العامة بمواعظه الوافية بتطهير القلوب وتهذيب الاخلاق، وايقاد نيران الغيرة وجمع الكلمة وبيع الارواح لشرف الامة ولان جرثومة الدين متأصلة في النفوس بالوراثة من أحقاب طويلة والقلوب مطمئنة اليه،

وفي زواياها نور خفي من محبته ، فلا يحتاج القائم باحياء الامة الاالى نفخة واحدة يسري نفثها في جميع الارواح لاقرب وقت،فاذا قاموا لشؤونهم، ووضعوا أقدامهم على طريق نجاحهم، وجعلوا أصول دينهم الحقة نصب أعينهم، فلا يعجزهم بعد أن يبلغوا بسيرهم منتهى الكمال الانساني . . .

«ومن طلب اصلاح أمة شأنها ماذكرنا بوسيلة سوي هذه فقد ركب بها شططا وجعل النهاية بداية ، وانعكست التربية وخالف فيها نظام الوجود فينعكس عليه القصد ولا يزيد الامة الا نحسا ،ولا يكسبها الا تعسا .

«هل تعجب أيها القارىء من قولي ان الاصول الدينية الحقة المبرأة عن محدثات البدع تنشىء للامم قوة الاتحاد وائتلاف الشمل وتفضيل الشرف على لذة الحياة وتبعثها على اقتناء الفضائل،وتوسيع دائرة المعارف، وتنتهي بها الى أقصى غاية في المدنية ؟ ان عجبت فان عجبي من عجبك أشد . هل نسيت تاريخ الامة العربية وما كانت عليه قبل بعثة الدين من الهمجية والشتات ، واتيان الدنايا والمنكرات حتى اذا جاءها الدين فوحدها وقواها وهذبها ، ونور عقولها وقوم أخلاقها وسدد أحكامها، فسادت على العالم ،وساست من تولته سياسة العدل والانصاف، وبعد أن كانت عقول أبنائها في غفلة عن لوازم المدنية ومقتضياتها نبهتها شريعتها وآيات دينها الى طلب الفنون المتنوعة والتبحر فيها ،ونقلوا الى بلادهم طب بقراط وجالينوس وهندسة أقليدس وهيئة بطليموس وحكمة أفلاطون وارسطو ،وما كانوا قبل الدين في شيء من هذا، وكل أمة سادت تحت هذا اللواء انما كانت قوتها ومدنيتها في التمسك بأصول دينها . . . .

﴿ تنبيه ﴾ ان هذه الجملة وحدها نص صريح في الرد على مزاعم رينان في الاسلام على القاعدة التي بيناها. وعلى خطأ الاستاذ الشيخ مصطفي عبد الرزاق فيما فهمه من الترجمة الثالثة من رده

﴿ الشاهد الثالث ﴾

﴿ من العدد الرابع المؤرخ في ٣ ابريل ١٨٨٤ ﴾

المقالة الاجتماعية لهذا العدد في المقابلة بين الاسلام والنصرانية وأتباعهما في فنون الحرب ، وكيف انحصرت في اتباع دين الزهد والسلم ، وبعد أن بين سبب عناية الشعوب الاوربية في القتال وفنونه وآلاته خلافا لتعليم دينهم قال :

«أما المسلمون فبعد أن نالوا في نشأة دينهم ما نالوا وأخذوا من كل كمال حربي حظا، وضربوا في كل فخار عسكري بسهم، بل تقدموا سائر الملل في فنون المقارعة، وعلوم النزال والمكافحة، ظهر فيهم أقوام بلباس الدين وأبدعوا فيه وخلطوا بأصوله ما ليس منها ، فانتشرت بينهم قواعد الجبر وضربت في الاذهان حتى اخترقتها وامتزجت بالنفوس حتى أمسكت بعنانها عن الاعمال، هذا الى ما أدخله الزنادقة فيما بين القرن الثالث والرابع وما أحدثه السوفسطائية الذين أنكروا مظاهر الوجود وعدوها خيالات تبدو للنظر ولا تثبتها الحقائق، وما وضعه كذبة النقل من الاحاديث ينسبونها الى صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم ويثبتونها في الكتب وفيها السم القاتل لروح الغيرة، وان ما يلصق منها بالعقول يوجب ضعفا في الهمم وفتوراً في العزائم. وتحقيق أهل الحق وقيامهم ببيان الصحيح والباطل من كل ذلك لم يرفع تأثيره عن العامة خصوصا بعد حصول النقص في التعليم والتقصير في ارشاد الكافة الى أصول دينهم الحقة ، ومبانيه الثابتة التي دعا اليها النبي واصحابه، فلم تكن دراسة الدين على طريقها القويم الا منحصرة في دوائر مخصوصة وبين فئة معينة . لعل هذا هو العلة في وقوفهم بل الموجب لتقهقرهم وهو الذي نعاني من عنائه اليوم ما نسأل الله السلامة منه .

«إلا أن هذه العوارض التي غشيت الدين وصرفت قلوب المسلمين عن رعايته وان كان حجابها كثيفا لكن بينها وبين الاعتقادات الصحيحة التي لم يحرموها بالمرة تدافع دائم وتغالب لا ينقطع، والمنازعة بين الحق والباطل كالمدافعة بين المرض وقوة المزاج، وحيث إن الدين الحق هو أول صبغة صبغ الله بها نفوسهم،

ولا يزال وميض برقه يلوح في أفئدتهم بين تلك الغيوم العارضة، فلا بد يوما أن يسطع ضياؤها ويقشع سحاب الاغيان ، وما دام القرآن يتلى بين المسلمين وهو كتابهم المنزل، وامامهم الحق، وهو القائم بأمرهم، بحماية حوزتهم، والدفاع عن ولايتهم، ومغالبة المعتدين ، وطلب المنعة من كل سبيل ، لا يعين لها وجها، ولا يخصص لها طريقا، فاننا لا نرتاب في عودتهم الى مثل نشأتهم، ونهوضهم الى مقاضاة الزمان ما سلب منهم فيتقدمون على من سواهم في فنون الملاحمة والمنازلة والمصاولة، حفظا لحقوقهم وضنا بأنفسهم عن الذل وملتهم عن الضياع، والى الله تصير الامور»

﴿ الشاهد الرابع ﴾

﴿ من العدد الخامس المؤرخ في ١٠ ابريل ١٨٨٤ ﴾

المقالة الاجتماعية لهذا العدد في الاعتصام وجمع كلمة المسلمين بين فيها هدي الدين الاسلامي في الموضوع وأثره في سلف المسلمين وخلفهم ، وشكا مما ألم بهم من التفرق والانقسام ، بعد الوحدة والالتئام ، وبين سبب ذلك و بدأه بقوله

« بدأ هذا الانحلال والضعف في روابط الملة الاسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وقتما قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن يحوزوا شرف العلم والتفقه في الدين والاجتهاد أصوله وفروعه كما كان الراشدون رضي الله عنهم

« كثرت بذلك المذاهب وتشعب الخلاف من بداية القرن الثالث من الهجرة الى حد لم يسبق له مثيل في دين من الاديان ، ثم انثلمت وحدة الخلافة فانقسمت الى خلافة عباسية في بغداد ، وفاطمية في مصر والمغرب ، وأموية في أطراف الاندلس . تفرقت بهذا كلمة الامة وانشقت عصاها وانحطت رتبة الخلافة الى وظيفة الملك ، فسقطت هيبتها من النفوس ، وخرج طلاب الملك والسلطان يدأبون اليه من وسائل القوة والشوكة ، ولا يرعون جانب الخلافة

«وزاد الاختلاف شدة وتقطعت الوشائج بينهم بظهور جنكيزخان وأولاده،

وتيمور لنك وأحفاده ، وإيقاعهم بالمسلمين قتلا و إذلالا ، حتى أذهلوهم عن أنفسهم فتفرق الشمل بالكلية ، وانفصمت عرى الالتئام بين الملوك والعلماء جميعا.. الخ

الى أن قال «وكان الواجب على العلماء قياما بحق الوراثة النبوية التي شرفوا بها على لسان الشارع أن ينهضوا لاحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذي وقع في الملك الخ

﴿ تنبيه ﴾ السيد جمال الدين يحقق أن السبب الاول لضعف المسلمين هو انتقال الخلافة الى غير العلماء المجتهدين في الدين خلافا لرينان الذي يزعم أن سبب ضعف المسلمين هو دينهم حتى إنه زعم أن العلماء الكبار من خلفاء العباسيين كالمنصور والرشيد والمأمون كانوا مرتدين عن الاسلام في باطنهم الذي زعم أنه اكتشفه هو بعد زهاء الف سنة !!

﴿ الشاهد الخامس ﴾

﴿ من العدد السادس المؤرخ في ٢٤ ابريل ﴾

المقالة الاجتماعية لهذا العدد موضوعها (التعصب) بين فيها حقيقة التعصب وهو القيام بالعصبية لحماية من تجمعهم رابطة نسب أو جنس أو وطن أو دين بحماية أنفسهم من عدوان المخالفين لهم ، وتعاونهم على القيام بمصالحهم ومنافعهم ، وبين أنه وصف كسائر الاوصاف له حد اعتدال ، وطرفا تفريط وافراط ، وان الاعتدال فيه من أسمى الفضائل ، كما أن الخروج عنه من أضر الرذائل ، ثم قال ما نصه وهو محل الشاهد :

«تفنن جماعة من متزندقة هذه الاوقات في بيان مفاسد التعصب الديني وزعموا أن حمية أهل الدين لما يؤخذ به اخوانهم من ضيم ، وتضافرهم لدفع ما يلم بدينهم من غاشية الوهن والضعف هو الذي يصدهم عن السير الى كمال المدنية ويحجبهم عن نور العلم والمعرفة ويرمي بهم في ظلمات الجهل ويحملهم على الجور والظلم والعدوان على من يخالفهم في دينهم ومن رأي أولئك المتفقين أن لا سبيل

لدرء المفاسد واستكمال المصالح الا بانحلال العصبة الدينية ومحو أثرها وتخليص العقول من سلطة العقائد ، وكثيراً ما يرجفون بأهل الدين الاسلامي ويخوضون في نسبة مذام التعصب اليهم

«كذب الخراصون ان الدين أول معلم، وأرشد استاذ، وأهدى قائد للانفس الى اكتساب العلوم والتوسع في المعارف ، وأرحم مؤدب وأبصر مروض يطبع الارواح على الآداب الحسنة والخلائق الكريمة ، ويقيمها على جادة العدل ، وينبه فيها حاسة الشفقة والرحمة ، خصوصاً دين الاسلام فهو الذي رفع أمة كانت من أعرق الامم في التوحش والقسوة والخشونة ، وسما بها الى أرقى مراقي الحكمة والمدنية في أقرب مدة - وهي الأمة العربية» اهـ

﴿ تنبيه ﴾ هذا نص صريح في الرد على رينان أثبت فيه أن العرب بلغوا أرقى مراقي الحكمة (الفلسفة) والمدنية بدينهم ، ودليل على ان السيد جمال الدين لم يتغير رأيه في الدين بباريس سنة ١٨٨٣ (لها بقية)

الخوارج والاباضية

راجعنا بعض أهل العلم فيما جاء في الجزء الرابع من رسالة (أهل الصفة) لابن تيمية (ص٢٧٦) من قتال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه للمارقين، قال إنه يدل على أن المراد بهم الخوارج ويخشى أن يكون في نشر هذا تفريق بل اغراء بينهم وبين جيرانهم... فقلنا إن شيخ الاسلام بين في المنهاج أن عليا (رض) لم يكفر الخوارج بل قاتلهم لخروجهم عليه وبدئهم إياه بالقتال وعاملهم معاملة المسلمين وقد نقلنا عنه ذلك في المنار من عهد غير بعيد. وقد قتل علي غيرهم من المرتدين الذين قالوا بألوهيته

هذا وان حديث المارقين المذكور في (ص ٢٧٦) رواه البخاري في قوم يخرجون في آخر الزمان وقد تكلف في تأويله من حملوه على الخوارج على انه لم يبق من طوائف الخوارج الا الاباضية المعتدلون . وهم من أشد المسلمين استمساكا بالاسلام وما يخالفون به أهل السنة فهم فيه كاهل كل مذهب عامتهم مقلدون ومتعلموهم متأولون ، واذا كان جمهور أهل السنة لم يكفروا غلاتهم المتقدمين، أفنفرق كلمة المسلمين بتكفير متأخريهم المعتدلين ؟

وفاة زعيم عربي علوي عظيم

السيد محمد علي الادريسي

في منتصف شهر شعبان نعت الينا أنباء عدن السيد محمد علي الادريسى أمير عسير وتهامة اليمن السفلى فشككنا كعشيرته وجماهير الناس هنا في صحة الخبر ، ولم نستيقن الا في آخر شعبان ، وكان سبب الشك انه كان قد جاء قبل ذلك باشهر نبأ من الحجاز بوفاته ثم ظهر كذبه

قد امتاز السيد محمد علي الادريسي في عشيرته بمزايا عظيمة لا يجتمع مثلها عادة الا للافراد الافذاذ في الاجيال، كالذكاء والسخاء والشجاعة والحزم والاقدام، — مزايا مكنته من تأسيس مملكة مستقلة بنفسها في بلاد يتنازع الحكم والسلطان فيها أقدم دولة عربية اسلامية — وهي دولة أئمة اليمن — وأقوى دولة اسلامية عسكرية — وهي الدولة العثمانية — وقد اجتمعت الدولتان على مناوأته وقتاله واستعانت الدولة العثمانية عليه بحكومة الحجاز فكان له الفلج والظفر، وبذلك تأيد حكمه واستقر

الادريسيون شيوخ طريقة صوفية، لاقواد جيوش ولا رجال أحكام وسياسة، ولجدهم السيد احمد بن ادريس شهرة ذائعة بالصلاح والولاية ، وهو مدفون بجوار (صبيا) عاصمة عسير ، ولطريقته في تلك البلاد أتباع كثيرون يخضعون لشيوخ الطريقة خضوعا روحيا إذعانيا ، لا يقبل أهله فيه بحثا ولا برهانا عقليا ولا دينيا ، كدأب عامة بلاد اليمن وافريقية، فمثل الادريسية كمثل اخوانهم السنوسية

ومما امتاز به السيد محمد علي رحمه الله تعالى على شيوخ طريقتهم في هذا العصر انه طلب العلم في الازهر بجد وعناية فاستفاد في سنوات قليلة مالا يدركه اكثر المجاورين في هذا المعهد مثله في بضع عشرة سنة ، بل ما يقصر عنه فيه اكثر الشيوخ الذين يقضون عشرات السنين هنالك متعلمين ومعلمين ، ذلك بانه كان نير العقل ، مستقل الفكر، لم تقو خرافات الطريقة ولا طريقة التعليم الازهري العقيمة على أن

تغلب عليه فطرته الزكية، ومن آيات ذلك انه كان راضيا عن المنار معجبا به كثير الثناء عليه ، وقد اقتنى جميع مجلداته السابقة على الحرب العامة الكبرى التي قطعت الصلة بيننا وبينه ، ولما عادت في هذا العام جدد الاشتراك فيه ، وكنا على وشك بارسال بقية المجلدات التي تجددت لاكمال مجموعته عنده، ومنها انه عقد اتفاقا رسميا مع سلطان نجد كان من وسائله انه هو على مذهب السلف في عقيدته وقد هدم القبة التي كانت مبنية على قبر جده معترفا بأنها من البدع المخالفة للاحاديث الصحيحة

ذهب الفقيد الى بلاد عسير بعد ما كان من طلبه للعلم بقصد الارشاد والتعليم ، ولم يبلغنا عنه أنه كان مستشرفا للامارة والحكم ، فكان إقبال الناس عليه عظيما ، وكانوا يتحاكمون اليه حيث لا حكم للدولة العثمانية في داخلية البلاد فيحكم بينهم بالشرع على مذهب الامام الشافعي الذي ينتمي اليه اكثر الناس هنالك ، فارتابت فيه الدولة العثمانية ، فكان رجالها يكيدون له ، ويذيعون عنه انه يغش الناس بالدجل والتلبيس واظهار الكرامات المصنوعة، كزعمهم انه يظهر للناس في بعض الليالي انوارا كهربائية من أدوات يخفيها عنهم فيوهمهم أنها تفيض من صدره على وجهه، وامثال ذلك . والمعروف عنه انه لم يكن يخطر بباله أن يخرج الدولة من البلاد ليؤسس له ملكا فيها ، بل كان يريد مساعدتها على ادارتها واصلاح شؤونها بنفوذه الديني بشرط أن تكون أحكامها فيها شرعية محضة، وأن يلتزم حكامها الاداريون والقضائيون شعائر الدين، لا كذلك الباشا الذي أرسلوه اليه ليفاوضه فذهب مخاصرا لامرأة افرنجية بملابسها المعتادة ومعها كلب لها فدخلت المسجد مع الباشا وتبعها الكلب ..

وقد أرسل الاتحاديون اليه بعد اعلان الدستور الشيخ توفيق خوجه العالم السائح المشهور ليكشف لهم حقيقته وكان يعرف شخصه اذ كانا مجاورين في الازهر ، فكتب اليهم بما وقف عليه من حسن نيته وكذب الطاعنين فيه، واخبروني بذلك في نادي نور عثمانية بالاستانة فذكرته للصدر الاعظم حسين حلمي باشا فرمى الشيخ توفيقا بالبلاهة والغفلة ، ولكن التهمة اغرى ، وفي الحكم النبوية « إن الاميراذا ابتغى

الرويبة في الناس أفسدهم » رواه ابو داود والحاكم عن أربعة من الصحابة (رض)

وقف الرجل على كيد رجال الدولة له فاخذ حذره وأجمع امره على المقاومة ، وانتهى ذلك بالحرب ، فقتل في معركة واحدة من عسكر الدولة بعدد جميع رجاله ، وعجزت الدولة مع امام اليمن وشريف مكة عن القضاء عليه ، بل كان ذلك هو السبب لرسوخ قدمه وتوطيد سلطانه

وقد انكر المسلمون عليه في كل قطر مصافاته للحكومة الايطالية في أثناء حربها لطرابلس واستمداده للسلاح والمال منها. وكان بعض العقلاء يجيب هؤلاء المنكرين بأنه لا حرج على من يأخذ من الاجنبي .وانما الحرج على من يعطيه ، وهو لم يعط أحدا شيئا ولم يساعد ايطالية على أهل طرابلس ولا على الترك بشيء . ثم انكروا عليه موالاته للدولة البريطانية في اثناء الحرب الكبرى واخذه منها السلاح والمال ، ولذلك كافأته باعطائه ثغر الحديدة ، وأجاب عنه المحبون له بان اتفاقه مع الانكليز لم يكن الا كاتفاقه مع الطليان من قبل ، وهو أن يأخذ ولا يعطي ، فلم يرض أن يقاتل الترك وانما التزم للانكليز أن لا يساعدهم ايضا ، وقيل انه كان يسمح للاهالي بامدادهم بالقوت وأن الانكليز عاتبوه على ذلك فاجاب بانه لم يساعدهم بنفسه ، ولم يدخل في مواد الاتفاق أن يمنع الاهالى من الاتجار معهم ، ولكن يقال ان في اتفاقه معهم الاعتراف لهم بحماية سواحله

وقد نقل الينا عنه انه قال: انه لا يستحل أن يبدأ أحدا من المسلمين بقتال وإنما يقاتل من يقاتله ، فحكم الاقوام والشعوب عنده كحكم الافراد ، فاعتداء بعضها على بعض كاعتداء الصائل اذا لم يمكن دفعه الا بالقتل ابيح قتله كما هو مقرر في الفقه . ولكن لا ندري أكان يلتزم الدفاع في حربه لامام اليمن ويقف فيه عند حد الضرورة ؟ كيف وقد روي أنه استولى على عدة مواقع من مملكة الامام؟ وانه كان يطمع في أخذ سائر البلاد التي يقطنها الشافعية . ولو كان يعتقد صحة امامة الامام يحيى أو السلطان التركي لما كان لاجتهاده هذا وجه شرعي لان الامام الحق هو صاحب السلطان فلا يعد إخضاعه البلاد صيالا

كانت الروايات التي تصل الينا في التنازع والتقاتل بينه وبين الامام متعارضة وقد سعينا للتأليف والاتفاق بينهما قبل الحرب العامة وبعدها ، وكنا نرجو أن نبلغ هذه الغاية بالرغم من اولي الدسائس بينهما الذين كانوا يمنون كلا منهما بمساعدته على الآخر اذا هو واتاهما ، ولكن الله توفاه اليه قبل ذلك ، وقد بايع زعماء البلاد نجله السيد علي على أن يكون اماما لهم من بعده ، وسننظر ما يكون من امره ، ونرجو أن يوفقه الله تعالى الى ما فيه السلام والخير لقومه ، والمرضاة لربه باتباع شرعه ، وقد ذكر لنا عن نجله هذا أنه شاب مهذب في الثانية والعشرين ، وانه مشتغل بطلب العلم ، وله من أبناء عمومته مستشارون أولو تجربة واختبار ، وبصيرة في أحوال تلك البلاد ، فعسى أن ينصحوا له بمكاتبة الامام ، والاتفاق معه على الاتحاد اليماني العام ، ومنه أن يكونوا مستقلين في ادارة منطقتهم ، ومرتبطين بمجلس الاتحاد في سياستهم ، فذلك خير من استمرار القتال ، وأحسن ما لا من أماني الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس

﴿ تقريظ المطبوعات الجديدة ﴾

(الجامعة) « مجلة ادبية علمية اجتماعية تدعو الى الجامعة الاسلامية والشرقية ، تحت رعاية الاستاذ الشيخ احمد المكنى بابي الكلام » وهي تصدر في كلكتا (الهند) باللغة العربية ومديرها ومحررها المسؤل الشيخ عبد الرزاق اللكنوي . ومن مقاصدها توثيق عرى التعارف والتعاون بين جميع البلاد الاسلامية والشرقية ، ولا سيما القطر الهندي والعالم الاسلامي والعربي ، ومنها توحيد مساعي الامم الشرقية في عهد هذا الانقلاب الجديد ، وتبادل الآراء بين المفكرين في مسألة الاصلاح الاسلامي (ومنها) « ترقية اللغة العربية ونشرها في البلدان الاسلامية العجمية ولا سيما الهند وافغانستان لأنها اللغة الملية العلمية المشتركة بين سائر العالم الاسلامي ، وعليها يتوقف انبعاث روح الحياة الاجتماعية »

(ومنها) احياء العلوم الاسلامية بالبحث والمذاكرة ونشر المقالات العلمية وجمع الافكار والمباحث لمحققي العصر» فنعمت المقاصد ونسأل الله أن يحققها، وأن ينجح سعي الجامعة لها، ويسخر لها من يشد أزرها، ويقيها كيد السياسة وشرها، فما اخوفنا عليها منها

وكان مدير هـذه المجلة قد كاشفنا بالعزم عليها ورغب الينا أن نكتب لها مقالة يحلها في فاتحة الجزء الاول منها، فكتبنا له مقالة تناسب مشربها لم تدرك الجزء الاول فنشرت في الثاني، وموضوعها التعارض بين الجامعة الاسلامية والجامعة الجنسية ذات السلطان العظيم في هـذا العصر، وما ينبغي للمسلمين من دفعه، وقد كنا نعلم عند كتابتها أن سيثقل على اسماع كثير من اخواننا مسلمي الهند، مافيها من ذكر فشو العصبية الجنسية في متفرنجة الترك، ولكن الحق يجب أن يعلم وان ضرب الناس المثل في ثقله، وضل اكثرهم بجبن العلماء عن التصريح به، وأجدر الناس بهذا التصريح من مرن على الكتابة مدة ربع قرن فيما يؤلم ملوك أمته وأمراءها، والسواد الاعظم من رؤسائها وزعمائها، ومرشديها وعلمائها، وسائر طبقات دهمائها، ولماذا؟ لانه قام بما يجب عليـه من فريضة الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان مافشا في المسلمين من المفاسد والبدع التي أضاعت دينهم ودنياهم، بقصد الاصلاح ابتغاء لوجه الله تعالى، لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يرجو من أحد من الناس على ذلك نفعا ولا يهاب ضرا، وقد أوذى كثيراً، ولم ينل من الفائدة الدنيوية من كل عمله ان ملك بيتا يسكنه، وهو لو شاء أن يتبع الاهواء أو أن يحابي في الحق لكان من كبار الاغنياء

نشر المدير المقالة خائفا وجلا فقدم لها مقدمة تشبه الاعتذار للقراء، والدفاع لما توقعه من الانتقاد، وقد انتقدها من لم يفهمها، ولا عرف من تاريخ كاتبها شيئا، فرمانا بما نهى عنه من العصبية الجنسية التي انفردنا دون جميع كتاب المسلمين وعلمائهم بتكرار الصد عنها في جميع مجلدات المنار، ونحن أشد حبا للترك واكثر خدمة لهم من هذا المنتقد وأمثاله، ولكن حبنا حب علم وعقل وعمل وايمان، لا مجرد عاطفة وجدان، وكثيرا ما كان ضر هذه المحبة أكبر من نفعها

وأن من أشد الجهل المظلم أن يبرىء أحد شعبا برمته في هذا العصر من العصبية الجنسية .ولا سيما شعب فشت فيه التربية والتعاليم الاوربية، وسيعلم هو وأمثاله أن كل ما قلناه في تلك المقالة هو الحق الصراح ،ويعلم مدير الجامعة والاستاذ ابو الكلام اننا لم نبرىء متفرنجة العرب مما أنكرناه على متفرنجة الترك لاطلاعهما على كثير مما كتبنا في تحذير الجميع من ذلك واننا بدأنا بانتقاد الجنسية الوطنية المصرية مما جعلها معارضة للجامعة الاسلامية ، أيام كانت عصبية الجنسية اللغوية خفية في الشعوب العثمانية بضغط السلطان عبد الحميد . وطالما بينا وجه التوفيق بين الرابطتين الاسلامية والوطنية واتقاء جناية العصبية على الدين، وهذا ما نحاوله الآن. هذا وان قيمة الاشتراك في الجامعة ٨٠ قرشا مصريا وهي تطلب من مكتبة المنار بمصر

﴿ قميص من نار﴾ قصة وطنية في نهضة الترك في الاناضول بعد الحرب العامة وضعتها بالتركية (خالدة أديب) التي كانت ناظرة المعارف العامة للحكومة الوطنية في أنقرة وترجمها بالعربية محب الدين افندي الخطيب وطبعه بمطبعته السلفية . ليري قراء الامة العربية كيف تأسست هذه النهضة القومية . فأنقذت أهلها من براثن المنية . بل مكنتهم من الامنية التي تتوقف عليها كل أمنية . وهي تطلب من المكتبة السلفية ومن سائر المكاتب

﴿ سيرة مصطفى كمال باشا . وتاريخ الحركة التركية في الاناضول ﴾ كتاب تناهز صفحاته السبعين مزين بالصور والرسوم اشترك في تأليفه وجمع مواده من اللغة التركية و بعض اللغات الافرنجية أمين افندي سعيد وكريم افندي خليل ثابت من محرري المقطم أودعاه ترجمة بطل الترك في هذا العصر وتاريخ الحركة الوطنية في الاناضول الادارية والحربية وما يتعلق بها من الامور السياسية كمعاهدة سيفر ومعاهدة باريس الاخيرة . ونجاح الحركة باخراج الفرنسيس من كيليكية واستعادة الترك لها مع جزء من سورية بالاتفاق الذي عقدوه مع فرنسة ثم التنكيل بالجيش اليوناني وسحقه وتطهير الاناضول من عيثه وفساده. وفي هذا التاريخ الوجيز ما يجب أن يعتبر به كل شرقي . وثمنه خمسة قروش

﴿ تقريظ للمنار ﴾

(ننشره قبولا لمودة صديق جديد، من أهل الفضل الطريف والنبل التليد)

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي العلامة صاحب الفضل والفضيلة الامام الاجل السيد محمد رشيد رضا حفظه الله آمين: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام .

أنا - أعز الله السيد - أنزع الى محرراتكم ،وأميل الى منهاجكم، وعلى مالدي من ضعف الاحساسات ، وقلة الادراكات ، والبضائع المزجاة، أتطفل في محبتكم، وأباهي بعملكم ، لافوز بحظ من علمكم ، وأتشرف بأن أعد من جملة تلامذتكم ، وكما قد من الله علينا بالاشتراك في مجلتكم المنار الغراء في المجلد ٢٣ أصبحت النفس فائزة بتمثيل شخصكم الكريم ، من ثنايا سطور قلمكم البليغ، كذلك أتمنى ماتنزع اليه النفس والعين معا من الفوز باللقيا والظفر بالاجتماع ، ولا غرو فان وجه الاسلام متهلل لما تفعلون، وقلوب المؤمنين صادية الى ما تنزعون، وهم فيه شرع : الاجتماعي والعمراني والسياسي والمتدين والفيلسوف ، فكل من مناركم يرد مشربه ، ويعود وقد قضى أربه ، والسيد يملأ الدلو الى عقد الكرب ، ويذود عن حوض الاسلام (والحكم لمن غلب)

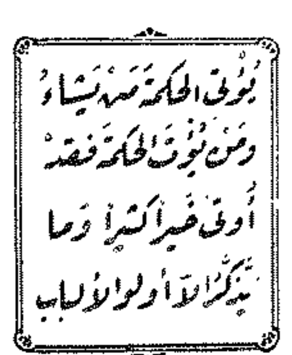
يا أيها الساري المالجج في العمى	رفقا بنفسك انها لخطيره
أترى المنار (بدت) أمامك فانتهج	بيضاء واضحة الدليل منيره
وانشد هناك علاج دائك إنها	طب بأدواء القلوب خبيرة
واستطلع الارشاد من صفحاتها	تهديك اكليل العلا وسريره
فهناك ارشاد الرشيد وعلمه	وهناك عين الطيبين قريره

تفضلوا اقبلوا عني تقريظي لمجلتكم الغراء ، وان كنت قليل البضاعة ،ضعيف العبارة، ركيك الالفاظ ، فانتم أهل السماح . وهذا أول حرف كتبته الى مجلتكم، اقبلوا فائق احترامي، وجزيل سلامي ، ودمتم في خير محبكم الحقير

صالح بن سعد بن سالم الامير بدار سعد (لحج)

فبشر عبادي الذين يستمعون
القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولوا الألباب





قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى «ومنارا» كمنار الطريق

٣٠ شوال ١٣٤١ — ٢٣ الجوزاء (ر٣) سنة ١٣٠١ هش ١٥ يونيه ١٩٢٣

فتاوى المنار

﴿ الحلف بالطلاق — وأنواط النقود ﴾

(س ١٩و٢٠)(*) من الاستاذ السيد طلحة المدرس في الكلية الشرقية في لاهور بنجاب (الهند)

الى حضرة الفاضل الجليل منشيء المنار الاغر متع الله المسلمين بطول حياته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: أما بعد فان صيت علمكم رحمكم الله وخدماتكم الدينية حملنا على أن نكاتبكم بالافتاء في حادثة ونرجو من فضلكم أن تمنوا علينا بجواب هذا المكتوب

صورة المسألة

استحلف زيد عمرا بأنك لا تقاطعني ولا تهاجرني طول حياتك ولا تؤثر أحدا علي وقل: لو فعلت ذلك فكلما تزوجت امرأة فهي طالق — فحلف عمرو ثم حنث . لعل جنابكم تستدلون بحديث الترمذي رحمه الله « لا طلاق فيما لا

(*) الفتوى الاولى من الجزء السابق (الخامس) مشتملة على سبع مسائل وقد عدت واحدة سهواً فاعا العدد للمسائل ومجموع ماسبق منها ١٨

يملك » الخ . فالحديث حسن ليس بصحيح ومع هذا فان ابن الهمام نقل في فتح القدير أن الشعبي وسالما والزهري قالوا : ان معنى الحديث في التنجيز لا في التعليق — وبعض الروايات التي تدل على التعليق فكلها مجروحة — كروايات الدارقطني في الباب ونقل الترمذي قول البخاري ان الحديث المذكور أصح شيء في هذا الباب . فان المبتلي بهذه المسألة في غاية الضيق والشدة فالمرجو من جنابكم أن تمنوا علينا بجواب شاف كاف بالاحاديث الصحاح . فان كتب الحديث في الهند قليلة ليس يوجد الا الكتب المتداولة . وفي مصر لم تزل كتب الحديث كثيرة منذ زمن قديم

والمسألة الثانية مسألة النوط Note هل تكلم فيه استاذكم الامام ؟ أو أحد من العلماء الافاضل ؟ أو سنح لكم شيء فيه والسلام

الجواب عن مسألة الحلف بالطلاق

ان امهات كتب الحديث موجودة في الهند ، ومنها ماطبع فيها ولم يطبع في مصر ، وقلما يوجد في غير الامهات وشروحها ما يثبت به حكم بالنص وقد ورد في هذه المسألة عدة أحاديث وآثار في الكتب المشهورة لمجموعها من القوة ما ليس لآحادها مع ضعف القياس المعارض بها ، فأما حديث الترمذي الذي ذكره السائل فقد رواه احمد وسائر أصحاب السنن والبزار والبيهقي من حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا بلفظ « لا نذر لابن آدم فيما لا يملك ولا عتق له فيما لا يملك ولا طلاق له فيما لا يملك » وقال البيهقي كالبخاري هو أصح شيء في هذا الباب وأشهر . ولا يخفى على السائل أن سبب اسقاطهم لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن مرتبة الصحة أن جل حديثه عنه كتاب لا سماع قال ابن معين ومن هنا جاء ضعفه . وتضعيفهم لما روي كتابة من المسائل الفنية التي لا تؤخذ على اطلاقها فمن وثق بالمكتوب ولم يكن عنده فيه شبهة فله أن يفضله على المسموع لانه يأمن فيه من الخطأ . والتحقيق فيه ما قاله الحافظ ابن حجر وهو ضعفه ناس مطلقا ووثقه الجمهور وضعف بعضهم روايته عن أبيه عن جده ، ومن ضعفه مطلقا فمحمول على روايته عن أبيه عن جده ، فأما روايته عن

أبيه فربما داس ما في الصحيفة بلفظ عن، فاذا قال حدثني أبي فلا ريب في صحتها كما يقتضيه كلام أبي زرعة الخ وقد قال الترمذي في مضمون هذا الحديث انه قول أكثر أهل العلم من أصحاب النبي (ص) وغيرهم . وقال الخطابي وأسعد الناس بهذا الحديث من قال بظاهره وأجراه على عمومه اه أى في التنجيز والتعليق . وروى ابن ماجه عن المسور بن مخرمة مرفوعا « لا طلاق قبل نكاح ولا عتق قبل ملك » وقد حسنه الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير ، ورواية الزهري اياه عن عروة عن المسور وعنه عن عائشة ليس من العلل التي تقتضي رده . وروى الحاكم في المستدرك عن جابر مرفوعا « لا طلاق الا بعد نكاح ولا عتق الا بعد ملك » صححه وقال : وأنا متعجب من الشيخين كيف أهملاه وقد صح على شرطهما من حديث ابن عمر وعائشة وعبد الله بن عباس وجابر اه

وقد نقل القاضي الشوكاني ما قيل في علل هذه الروايات ثم قال : « ولا يخفى عليك أن مثل هذه الروايات التي سقناها في الباب من طريق أولئك الجماعة من الصحابة مما لا يشك منصف أنها صالحة بمجموعها للاحتجاج وقد وقع الاجماع على أنه لا يقع الطلاق الناجز على الاجنبية، وأما التعليق نحو أن يقول : ان تزوجت فلانة فهي طالق — فذهب جمهور الصحابة والتابعين ومن بعدهم الى أنه لا يقع، وحكي عن أبي حنيفة وأصحابه والمؤيد بالله في أحد قوليه انه يصح التعليق مطلقا، وذهب مالك في المشهور عنه وربيعة والثوري والليث والاوزاعي وابن أبي ليلى الى التفصيل وهو أنه إن جاء بحاصر نحو أن يقول : كل امرأة أتزوجها من بني فلان أو بلد كذا فهي طالق صح الطلاق ووقع ، وان عمم لم يقع شيء . وهذا التفصيل لا وجه له الا مجرد الاستحسان كما أنه لا وجه للقول باطلاق الصحة . والحق أنه لا يصح الطلاق قبل النكاح مطلقا للاحاديث المذكورة في الباب . وكذا العتق قبل الملك ، والنذر بغير الملك اه

فتبين بهذا أن جمهور علماء الصحابة وغيرهم من السلف على القول بأن الطلاق لا يقع تنجيزاً ولا تعليقا الا على زوجة يملك المطلق عصمتها ويختار أن

بحل هذه العصمة لترجيحه الفراق عليها . ولو لم يكن للجمهور ما ذكروه من الاحاديث التي يحتجون بمجموعها ويحتج بعض الائمة بما دونها مما لا يعارضه أقوى منه لكفى أن يأخذ بها السائل المتحير وأمثاله ولا سيما اذا علم أن سبب فشو القول بايقاع الطلاق المعلق في مثل النازلة المسؤول عنها هو ما جرى عليه الخلفاء في أيمان البيعة لهم فقد كانوا لا يولون القضاء ولا فتاء امن لا يجيز تلك الايمان

واذا كان أقل علماء السلف من قال بوقوع الطلاق المعلق قبل الزواج في غير اليمين وانه ضعيف لا وجه من النقل ولا من القياس كما قال الشوكاني — فالخلاف في وقوع ذلك في اليمين أقوى والقول بالوقوع فيه أضعف

ذلك بأن الذي يحلف بالطلاق على فعل شيء أو تركه تنجيزا أو تعليقا لا يقصد بحلفه الا الامتناع مما حلف عليه كما اذا حلف بالله تعالى أو علق بالكفر أو البراءة من دين الاسلام — هو لا يقصد انه إن فعل ذلك يرتد عن الاسلام فيكون معطلا أو وثنيا أو يهوديا مثلا، وانما يقصد تأكيد الامتناع عن ذلك الشيء الذي حلف عليه . فان فعل ما علقه بالكفر — وهو يكره الكفر ولا يريده — لا يكفر ، ومثله الحلف بالطلاق من غير فارق

وقد فرض الله للمؤمنين تحلة أيمانهم بالكفارة فقال (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) وقال (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين) الآية . وقد أطلق اليمين فدخل فيه كل ما يحلف به الانسان مما يصح به الحلف ، وأما ما لا يصح به الحلف شرعا كالحلف بالمخلوقات فلا ينعقد ولا يجب به شيء . وقد روى احمد ومسلم والترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعا «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه »

وللعلماء المجتهدين في أيمان الطلاق والعتق والنذر والكفر ثلاثة أقوال

(أحدها) أنه اذا حنث لزمه ما حلف به . وهذا الذي غلب واشتهر عند المقلدين بسبب حكم الحكام به ارضاء للخلفاء في ايمان البيعة

(ثانيها) لا يلزمه شيء لانه لم يقصد الايقاع ، وانما قصد الامتناع ، واليمين صورية لا حقيقية

(ثالثها) أنه يجب عليه كفارة يمين لانه يدخل في عموم الايمان الواردة في اطلاق القرآن، وهذا ارجح الاقوال دليلا ، واقومها قيلا ، واهداها سبيلا ، لدلالة ما تقدم من الاحاديث عليها ، وأخذ جمهور السلف بها ، وقد ايده شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم بتفصيل بينا فيه دلائله واختلاف الاقوال فيه عن السلف وفي المذاهب الاربعة وبيان انه مقتضى القياس الصحيح، ولابن تيمية فيه مصنفات مخصوصة وفتاوي متعددة وقواعد ممهدة وفي أول المجلد الثالث من مجموع الفتاوي المطبوعة بمصر وفي آخره بعض ذلك فليراجعه السائل فلعله يجد فيه مايطمئن له قلبه، ولعلنا نفصل المسألة في مقال مستقل بعد

الجواب عن مسألة الانواط

سبق لنا عدة فتاوي في مسألة الانواط كوجوب الزكاة وجريان الربا فيها

﴿ ليلة نصف شعبان ، والاكتساب بالقرآن ﴾

(س٢١ — ٢٤) من الاستاذ صاحب الامضاء

حضرة صاحب الفضيلة ملجأ الحيران الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فأرجو من فضيلتكم إبداء رأيكم (من جهة الدين) في ليلة نصف شعبان . وفي قراءة القرآن في رمضان وغيره على الاموات والاحياء وأخذ الاجرة على ذلك وفي استعماله تمائم (وحجب) وغير ذلك مما لا يخفى على فضيلتكم وما رأي حضرتكم في حديث « أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله» ؟ أرجوك ياسيدي وأنت ملجئي وملجأ كل حيران في هذا الزمان الذي اختلطت فيه العادات (بالدين) اجابتي وعدم احالتي على اعداد المنار السابقة لاني حديث عهد بالاشتراك في مجلتكم الغراء (المنار) ولا توجد جميع أعدادها عندي وتقبل يا سيدى فائق احترامي توفيق عبد الجليل

ناظر مدرسة العرابة المدفونه بالبلينا

الجواب عن مسألة ليلة نصف شعبان

وضع الوضاعون عدة أحاديث في فضائل ليلة نصف شعبان والعبادة فيها وصيام نهارها مهدت للملوك والامراء المبتدعين للمواسم الدينية سبيل جعلها موسما من هذه المواسم كالموالد ووافقهم عليه علماء السوء كما وافقوهم على أمثاله . وقد بينا في المجلد الثالث من المنار بدع هذه الليلة ومنكراتها وهي ١٦ بدعة منها الدعاء المعروف

ثم سئلنا هل ورد فيها أحاديث صحيحة يعمل بها فأجبنا عن ذلك في المجلد السادس جوابا مختصرا لا يزيد على صفحتين قلنا فيه: ان أمثل ما ورد فيها حديث ابن ماجه عن علي كرم الله وجهه مرفوعا «اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله ينزل فيها لغروب الشمس الى سماء الدنيا فيقول . ألا من مستغفر فأغفر له ؟ ألا من مسترزق فأرزقه ؟ حتى يطلع الفجر» ورواه عبد الرزاق في مصنفه وقد قالوا : إنه ضعيف واكتفينا بنقل ذلك عنهم في المنار وقتئذ والصواب انه موضوع فان في اسناده أبا بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي بسرة قال فيه الامام احمد ويحيى بن معين انه كان يضع الحديث . وللترمذي وابن ماجه في نزول الرب في هذه الليلة حديث آخر عن عائشة ضعفه البخاري والبيهقي ولابن ماجه حديث آخر عن أبي موسى لفظه «ان الله ليطلع من ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه الا لمشرك أو مشاحن» وهو من رواية الوليد بن مسلم المدلس عن ابن لهيعة وهو ضعيف ، والتابعي فيه عبد الرحمن بن عزرب وهو لم يلق أبا موسى .

الجواب عن مسألة الاكتساب بالقرآن

من المسائل المجمع عليها في دين الله على ألسنة جميع رسله أن العبادة لا تكون عبادة الا بالاخلاص فيها لله تعالى لقوله تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) وان العبادة المحضة لا تصح بالاجرة، ولا يجوز أخذ الاجرة عليها من الناس . ومن قرأ القرآن بالاجرة ليجعل ثواب قراءته للموتى فلا ثواب له بل

هو آثم فأي شيء ينال الموتى من قراءته التي هي معصية ؟ هذا اذا صح ان الانسان يمكنه أن يجعل ثواب عبادته لغيره كما قال بعض العلماء، وقد بينا ضعفه في آخر تفسير سورة الانعام بالاسهاب وكشف شبهات القائلين به، الا ما صح من انتفاع الوالدين بعمل أولادهم لانهم ملحقون بهم فيراجع هنالك، ونحن مضطرون الى الاجمال فيما نسئل عنه مما سبق فيه التفصيل كالمسألة السابقة على أننا نزيد على ما سبق بعض الفوائد مما تيسر لنا لافادة من قرؤا ما سبق شيئا جديداً

روى احمد وابو داود من حديث جابر (رض) مرفوعا « اقرؤا القرآن وابتغوا به الله تعالى من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه » وله ألفاظ أخرى ومعناه أنهم يقيمون ألفاظه ويضيعون أحكامه، ويتعجلون أجره في الدنيا ولا يدخرون ثوابه الآجل عند الله في الآخرة. والقدح بالكسر عود السهم قبل أن يراش ويركب فيه النصل . وفي معناه حديث عمران ابن حصين (رض) عند الترمذي وحسنه « من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجيء أقوام يقرؤن القرآن يسألون به الناس » ورواه احمد أيضا وأقوى منه ما رواه احمد بسند رجاله ثقات من حديث عبد الرحمن بن شبل مرفوعا « اقرؤا القرآن ولا تغلوا فيه ولا تجفوا عنه ، ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به »

وفي معنى ذلك أحاديث أخرى بعضها في وقائع ونوازل حدثت وفي أسانيد كل ما روي في هذا الباب بعض العلل ولكن بعضها يقوي بعضا وهي واردة في اصل صحيح . وقد ورد في مقابلها ما يدل على جواز الانتفاع بالقرآن في مصالح الدنيا كحديث الصحيحين فيمن زوجه النبي (ص) امرأة على أن يعلمها ما معه من القرآن بدل المهر . وفي رواية لابي داود « علمها عشرين آية وهي امرأتك »

الجواب عن الحديث

ومنها الحديث الوارد في السؤال وسببه ان نفرا من الصحابة (رض) مروا بحي من احياء العرب فاستضافوهم فأبوا ان يضيفوهم فلدغ سيد الحي فسعوا له بكل ماعلموا فلم ينفعه فسألوا اولئك النفر هل عندهم من شيء فقال احدهم انه يرقي

وطلب الجعل على الرقية لانهم لم يضيفوهم فجعلوا له قطيعا من الغنم فرقاه بفاتحة الكتاب فشفي فأعطوهم القطيع فذكروا ذلك للنبي (ص) فأقرهم عليه وقال « ان أحق ما اخذتم عليه اجرا كتاب الله» روى البخاري هذا اللفظ للحديث المرفوع عن ابن عباس وروى الجماعة الا النسائي القصة من حديث أبي سعيد الخدري وفيه انه (ص) قال « وما يدريك أنها رقية » أي الفاتحة ثم قال « اقتسموا واضربوا لي معكم سهما » أي قاله تطييبا لقلوبهم لانهم شكوا في جواز أكلها كما قيل.

وقد استدل بعض العلماء بهذه الاحاديث على جواز أخذ الاجرة على تعليم القرآن دون التعبد بتلاوته ومنع ذلك آخرون وأجابوا عن الحديثين بأجوبة أظهرها أن ما وردت فيه أخص من المدعى. وحديث الرقية يدل على جوازها وجواز أخذ الاجرة عليها اذا لم يكن فيها شيء من الباطل كما ورد في حديث راق آخر بالفاتحة قال له النبي (ص) حين سأله عما أعطي عليها « خذها فلعمري من أكل برقية باطل فقد أكلت برقية حق » رواه احمد وأبو داود عن خارجة بن الصلت عن عمه ورجاله رجال الصحيح الا خارجة وقد وثقه ابن حبان وقال الحافظ في التقريب مقبول من الثالثة والرقية بالقرآن لا يقصد بها التعبد به لاجل الثواب والقربة وانما يقصد بها تقوية روحانية الراقي لاجل أن تؤثر روحه وارادته في نفس المرقي تأثيرا يغلب أثر الالم فلا يقاس عليها التعبد به لاجل الثواب ثم اهداء الثواب الى من لم يقرأ لينتفع بعبادة غيره

(فان قيل) قد ثبت في حديث الذين يدخلون الجنة بغير حساب في الصحيح أنهم « الذين لا يرقون ولا يسترقون » فالجواب أن الرقية ليست دواء يشفي من الالم أو المرض باطراد بل الغالب فيها تأثير الاعتقاد أو تأثير نفس ذات إرادة قوية روحانية في نفس أخرى بحسب سنة الله في البشر لذلك كانت تنافي التوكل الذي هو الاخذ بسنن الله الثابتة في الاسباب والمسببات الصحيحة وتفويض الامر الى الله وحده فيما لا يعرف له سبب صحيح. وقد فصلنا هذه المسألة من قبل في المنار (ص ٣٩٠ — ٣٩٣ من المجلد السابع) وفيه ان النبي (ص) لدغ مرة فغشي عليه

فرقاه ناس فلما أفاق قال « ان الله شفاني وليس برقيتكم » رواه البخاري في التاريخ وابن سعد والبغوي والطبراني والدارقطني وغيرهم، وذلك ان النفس لا تؤثر الا في نفس اضعف منها وروحه (ص) اقوى من جميع الارواح ، وهذا المدرك يؤيد القول ببطلان ماورد من أنه (ص) سحر وأثر السحر فيه كما بينه الاستاذ الامام ، وسبقه اليه أبو بكر الجصاص من أئمة الحنفية في كتابه أحكام القرآن

وفي ص ٨٥٥ من ذلك المجلد (السابع) سؤال عن اخذ الاجرة على القرآن استشكالا على عد الاستاذ الامام اياه من اكل اموال الناس بالباطل ويعني به ما بيناه في تفسير (٢: ١٨٨ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) والاحتجاج عليه بحديث الرقية مع الجواب عنه

الجواب عن مسألة التمائم ونحوها

ورد في حظر التمائم وما في معناها احاديث مرفوعة منها «من علق تميمة فقد اشرك» رواه احمد والحاكم عن عقبة بن عامر ومنها — «ان الرقى والتمائم والتولة شرك» رواه احمد وابو داود وابن ماجه — ومنها — «ثلاث من السحر: الرقى والتولة والتمائم» رواه الحاكم. والمراد بها رقى الطلسمات الخرافية

واذا أراد السائل مزيد بيان لهذه المسألة فليراجع ما ذكرناه من المواضع في المجلد السابع، وكذا ما نقلناه عن الدر النضيد في (ص ٥٨٤) من المجلد الثاني والعشرين من الاحاديث في النهي عن تعليق التمائم والودع والعظام و وضع الخيط في اليد للحمى وقلادة الوتر في عنق البعير لاجل وقايته . وكل هذا داخل في مفهوم كلمة الجبت ففي حديث قطن بن قبيصة مرفوعا عند أبي داود «العيافة والطيرة والطرق من الجبت » وفسر العيافة بالخط وهو ضرب الرمل وهو من تفسير العام ببعض أفراده فالجبت يشمل كل الخرافات كالطرق وهو الضرب بالحصى والودع أو حب الفول لمعرفة البخت وغيره من أمر الغيب

المعاهدة البريطانية الحجازية

وخدعة الوحدة العربية

بلغنا منذ بضعة اشهر أن الدكتور ناجي الاصيل الموصلي ذهب الى مكة وأخذ تفويضا من ملك الحجاز بالسعي لدى أرباب الاموال من الانكليز بعقد امتيازات في الحجاز باستخراج المعادن و بغير ذلك ثم سافر منها الى (لندن)مارا بمصر، ثم شاع أن الدكتور وكيل سياسي لملك الحجاز، ثم جاءتنا أخبار أوربة العامة والخاصة بانه ذهب الى لوزان لحضور مؤتمر الصلح فيها بالوكالة عن ملك الحجاز، وانه كان هنالك مع جعفر باشا العسكري البغدادي مندوب الملك فيصل ملحقين أوتابعين للوفد البريطاني، ولنا من أخبارهما التفصيلية الفاضحة هنالك ما ليس من موضوع هذا المقال

ثم إن برقيات روتر الانكليزية وجرائد لندن اذاعت في العالم كله نبأ عقد مؤتمر عربي يمثل الشعوب العربية كلها لاجل حل المسألة العربية ووضع أساس الاتحاد العربي، ثم علمنا أن أعضاء هذا المؤتمر خمسة نفر من صنائع أمراء الحجاز ووسائلهم لدى الانكليز وهم جعفر باشا العسكري وناجي بك السويدي والدكتور ناجي الاصيل وأمين بك التميمي واحسان بك الجابري . فتذكرنا بذلك ما كانت البرقيات والجرائد الانكليزية بلغتنا اياه عند أعلان (اتفاق سايكس بيكو)على قسمة البلاد العراقية والسورية بين انكلترة وفرنسة اذ زعمت أن الامة العربية قد اشتركت في الاحتفال باعلان هذا الاتفاق في لندن بحضور ممثليها فيه . ثم علمنا أن المراد بهؤلاء الممثلين تاجر سوري مسيحي مقيم بلندن ومتجنس بالجنسية الانكليزية وأسير مسلم من عكا اسمه اسماعيل !!

وهذا شأن الاجانب في العبث واللعب بالشعوب والامم والكذب والتزوير: رجلان مجهولان يمثلان أمة بدون علمها ولا اذنها، ويقرران ابسال بلادها واستعبادها، أو ينسب ذلك اليهم، وخمسة نفر يعقدون مؤتمراً باسم

الامة العربية بدون توكيل ولا اذن ولا علم منها، وذلك أنهم يعملون بامر الاجنبي في بلده ، وأما المؤتمر السوري الفلسطيني الذي عقد في جنيف ممثلا للاحزاب الاستقلالية في الوطن والمهاجر ، والمؤتمر السوري العام المنتخب من جميع المناطق السورية، والمؤتمرات الفلسطينية العامة المنتخب أعضاؤها من جميع بلاد فلسطين — فهي لا تمثل من تتكلم باسمهم في عرف الاجانب المتعصبين للبلاد

ثم أذاعت البرقيات والجرائد الانكليزية في أقطار العالم أن ناجي الاصيل قد اتفق مع الحكومة البريطانية على عقد معاهدة بريطانية عربية تقرر فيها اتحاد الممالك العربية واستقلالها فكانت الجرائد العربية تعنى بنقل هذه الاخبار والتعليق عليها في مصر وفلسطين وسائر سورية وفي مهاجر السوريين واغتر بذلك كثير من الناس وصدقوها ، واتسع مجال الايهام والتغرير لجرائد الدعاية (البو بغندة) الحجازية في سورية وفلسطين بها فصورت للبسطاء تأليف سلطنة (امبراطورية) عربية مؤلفة من جزيرة العرب برمتها ومن ممالك فلسطين وشرق الاردن والعراق والدويلات السورية ، وصدق احداث السياسة والعوام في سورية أن بلادهم داخلة في هذه الامبراطورية الجديدة ، وروج هذه الخدعة الخيالية فيهم ما نقلته اليهم الجرائد من تودد الامير عبد الله الحجازي لفرنسة فحسن عندهم هذا لتحقيقه الغاية التي أذاعوها منذ حلول ركابه في شرق الاردن وهي انه ما جاء الا لانقاذ سورية من فرنسة ، ومن البديهي أن انقاذه إياها بالدهاء السياسي أولى واسلم من انقاذها بالحرب . وكل ذلك غش وخداع لم يتقن هؤلاء الامراء الحجازيون من أمور السياسة العصرية غيره ، وهو إنما يقوم بالبذل

كان بعض الاخوان يسألونني عن رأيي في هذه الاخبار كلما حملت الجوائب شيئاً منها فاقول انني اتمنى لو يكون فيها خير ولكنني أعتقد أنها خداع وتضليل فلو كان الانكليز يريدون للعرب الاستقلال والاتحاد لما احتاجوا الى الدكتور ناجي الاصيل في وضع الخطط لذلك، وانما يريدون من وكيل الملك حسين الاتفاق على خدعة ينالون بها ما يريدون منه ، وهو موافقته الرسمية على ماقرروه

و نفذوه في البلاد العربية، وقد سألني بعض هؤلاء الاخوان ان أكتب رأيي في ذلك وانشره في الجرائد لكشف الغش والتلبيس للامة العربية فكنت أقول أرى أن نصبر الى أن تظهر نتيجة هذه الاخدوعة الجديدة فنكون على بينة فيما نقول ، ولا نرمى من أعوان الخادعين باتباع الهوى أو الفضول ، وانني على سوء ظني المبني على طول التجربة والاختبار أتمنى لو أكون مخطئا في هذه المرة ، واذاً اكون في طليعة أنصار ما يأتي من كل مشروع أو عمل لاستقلال العرب واتحادهم .

صبرت الى أن انكشف الستر ، وظهر ما بولغ في اخفائه من الامر ، وتركت السبق لغيري في انكار ذلك فكان أول المنكرين له من كانوا أول المحسنين الظن ، بالملك حسين والامير عبد الله وهم أهل فلسطين . ولما زالت ثقتهم بالثاني ظلوا واثقين بالاول ، حتى كادوا يكابرون أنفسهم ، ويكذبون الاخبار الرسمية البريطانية الجلية ، اغترارا ببرقيات الحجاز المبهمة الموهمة

ألم تر أن ناجي الاصيل عاد من لندن الى مصر فسبقه اليها كل من الشيخ عبد القادر المظفر وأمين بك التميمي من دعاة ملك الحجاز في فلسطين فاستقبلاه في الاسكندرية فاستنطقاه ليسبقا بالبشائر الى قومهما فلم يفهما منه شيئا جليا ! ألم تر أنه سافر الى الحجاز في بارجة بريطانية فسابقه اليها الشيخ عبد القادر المظفر ثم سبقه بالعودة الى مصر مبشرا بتأويل حلم الاتحاد العربي ، و بأن عهد بلفور قد ألغي ، أخبرني بذلك فلم أصدق، ولكنني قلت له: إنني أصبر فان صح هذا كنت أول مؤيد له ومنوه به ، وان كوفئت على ذلك بالايذاء ، واعراض هؤلاء الزعماء ، وقد استنبط الشيخ بشائره من فرح الملك بهذه المعاهدة واحتفاله بالدكتور ناجي الاصيل كاحتفال الامم بالقواد الفاتحين ، ولم يطلعه أحد على شيء من مواد المعاهدة كدأب الملك حسين في الكتمان وعدم استشارة أحد في شيء من أمور الامة ، ولكنه روى لنا عن فؤاد الخطيب وكيل الخارجية عن الملك الجزم بالغاء وعد بلفور ، فجزمت بعدم صحة متن هذه الرواية جزما لا تردد فيه وتركت الكلام في سندها ، ثم أيدت الحوادث كذب المتن بما لا يعد طعنا في سنده ، إذ علم

أن الملك فهم ذلك من المعاهدة وهي نص في ضده كما ثبت في النصوص الرسمية الآتية

بناء على هذا الفهم الملكي اعلن المعاهدة بمكة يوم عيد الفطر باحتفال رسمي حافل، وتضمن الاعلان الملكي الامر بجعل هذا اليوم عيدا . وهاك نص الاعلان منقولا عن العدد ٦٨٨ من جريدة القبلة الرسمية المؤرخ في ٥ شوال الحال بعد ذكر الاحتفال بعيد الفطر :

عيد على عيد

﴿ اعلان استقلال العرب ووحدتهم في جميع الجزيرة العربية ﴾

ولما استقر بجلالة المنقذ المقام، في بهو الاستقبال العام مثل بين يدي جلالته الاشراف والسادة العلماء والاعيان والوجهاء وأماثل الأمة على اختلاف طبقاتها حاضرها وباديها ، وحينذاك تفضل جلالته ففاه بخطاب ملوكي سام حمد الله فيه وأثنى عليه ثم أشار الى أن هذا العيد المبارك لاشك في تضاعف يمنه حيث صادف قبول المراجع الايجابية (١) لجميع المطالب العربية فلاريب في أنه يوم اجتمع فيه عيدان ؟ عيد الفطر السعيد وعيد الاعتراف باستقلال العرب ووحدتهم وعليه فجلالته يعلن ذلك للامة العربية حاضرها وباديها ، وعلى أثر ذلك أمر جلالته صاحب الاقبال رئيس الديوان العالى أن يلقي في ذلك المحفل الجليل الخطاب الملوكي الهاشمي الآتي وهذا نصه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ نصرح في هذا العيد المبارك بمآل المعاهدة العربية البريطانية ﴾

(١) هذه الكلمة من الاصطلاحات التركية وهي بمعنى أولي الامر والمراد هنا الحكومة الانكليزية لأنها في عرف ملك الحجاز ولية أمر العرب والوصية عليهم كما سيأتي

« المؤسسة على مقرراتنا الاساسية والتي يعترف بها صاحب الجلالة »
« البريطانية لنا باستقلال العرب بجزيرتهم وسائر بلادهم ، ويتعهد لنا »
« حشمته الملوكية بالمعاضدة الفعلية لتأسيس الوحدة العامة الشاملة »
« لكل هذه البلاد بما فيها العراق وفلسطين وشرق الاردن وسائر البلاد »
« العربية في جزيرة العرب (ما خلا عدن) فنأمر أن يعتبر هذا اليوم »
« المبارك عيد الاعتراف باستقلال الامة العربية والله ولي التوفيق » انتهى

وعقبه خطاب مندوب الحكومة بلندن وهذا نصه أخذناه منه بخط يده:

مولاي :

« أحمده تعالى وأشكره على هذه الوقفة الفريدة التي منتم يامولاي علي بها لاقف بين يدي جلالتكم في هذا اليوم العظيم لاقول كلمتي عن المعاهدة العربية البريطانية التي انتهت والحمد لله باعتراف بريطانيا باستقلال العرب في جزيرتهم وسائر بلادهم، وبتعهدها لجلالتكم بالمعاضدة الفعلية لتأسيس الوحدة العربية العامة،

« ان بداية هذا الانقلاب الكبير في تاريخ الامة العربية ظهر يوم نادى جلالتكم بأمته مستصرخا اياها بالنهوض وفك القيود لاعادة حريتها القديمة واستقلالها المغصوب ، فيالها من نهضة مباركة قامت فحطمت سلاسل الذل والاستعباد ، وجاءت اليوم بالاستقلال والاتحاد لامة عرفها التاريخ بفتوحاتها العظيمة ومجدها المشيد . فالامة العربية مديونة لكم (يامولاي) في نهضتها ، مديونة لكم في العهود التي قطعتموها لحفظها وصيانتها من مصائب الحرب ونتائجها ، مديونة لكم في هذا الاعتراف باستقلالها ووحدتها ، فكما أني ماقمت الا بواجبي الوطني يوم لبيت الدعوة فتركت الجيش التركي والتحقت بجيوش جلالتكم لاشترك بالدفاع عن استقلال بلادي العربية في تلك المعركة الكبرى ، أيضاً يامولاي بذهابي الى لوزان حسب تنسيب جلالتكم للدفاع عن القضية العربية أمام المؤتمر ، وثم الى عاصمة بريطانيا لمطالبتها بإيفاء العهود لم أقم الا بنفس ذلك

الواجب السامي الذي يفديه كل عربي صميم بروحه وماله وما تملك يداه

«أسأله تعالى أن يؤيد جلالة مولاي المنقذ الاكبر و يبقيه ذخرا للامة العربية وأن يجعل هذا اليوم بدء كل خير لصالح الامة العربية) انتهى

وقد جاء في رسالة أرسلت من جدة الى الاهرام نبأ الاحتفال بالمعاهدة فيها بالنص الذي أرسله الملك الى حاكمها الاداري (قائمقام جدة) وان هذا قال بعد تلاوة أمر الملك في الحفلة «وقريبا سنتفق مع فرنسة على سورية اتفاقا مرضيا ».

ولقب ملك الحجاز بملك البلاد العربية ومؤسسها

مضمون الاعلان الملكي وما ترتب عليه

دلّ هذا الاحتفال وما قيل فيه دلالة قولية فعلية على الامور التالية :

(١) أن المعاهدة التي حملها الدكتور ناجي الاصيل من لندن قد اشتملت على اعتراف صاحب الجلالة البريطانية باستقلال العرب في جزيرتهم رجميع بلادهم .

(٢) أنها مبنيـة على المقررات السابقة وهي التي عرضها أمير مكة حسين ابن علي على الدولة البريطانيـة في بيان شروط قيامه بالثورة العربية فقبلتها مع تحفظات مبينة في كتب السر هنري مكماهون له وقـد نشرنا ذلك كله في الجزء الثامن من مجلة المنار م ٢٣ الذي صدر في سلخ صفر من هـذا العام (الموافق ٢٠ اكتوبر سنة ١٩٢٢)

ولعل القراء يتـذكرون أن المادة الاولى من تلك المقررات أن الحكومة البريطانيـة تتعهد بتشكيل حكومة عربية مستقلة الخ وأن المادة الثانية نص صريح في محافظة الدولة البريطانية وصيانتها لهذه الحكومة بأي صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تعد في أي شكل يكون «حتى الدسائس والفتن الداخلية » وأن المادة الثالثة تصرح بان هـذه الحكومة العربية حكمها حكم القاصر في حضن الدولة البريطانية

وبناء على هـذا يكون الاستقلال المعترف به نوعا من انواع استقلال بعض

المستعمرات البريطانية لا الاستقلال المطلق من كل قيد

(٣) ان الملك قد فهم أن فلسطين داخلة في مملكته الجديدة ومن لوازمه أن عهد بلفور بانشاء وطن قومي فيها لليهود قد ألغي كما لقن الشيخ عبد القادر المظفر قبل الاحتفال باعلان المعاهدة عند سفره من الحجاز وكان من لوازم هذا الفهم أن « ملك البلاد العربية ومؤسسها » أرسل برقية الى كاظم باشا الحسيني رئيس الوفد الفلسطيني — وهو في القدس — بلغه فيها خبر المعاهدة وأمره لرعيته أهل فلسطين بالتزام الهدوء والسكينة أي الى أن تتسلم جلالته ادارة البلاد بالفعل ، حتى انه قال له في البرقية « وأنتم المسؤلون عن كل ما يحدث » وظاهر هذا انه يرى أن حكومة فلسطين البريطانية الصهيونية تلغى بمجرد وصول برقيته

لهذا بادرت هذه الحكومة الى نشر بلاغ رسمي صرحت فيه بأن المعاهدة الجديدة لا تتضمن أدنى تغيير في حكومة فلسطين ، فهاج ذلك أهل فلسطين وبلغوا الملك حسينا خبره فكذب بلاغ الحكومة الفلسطينية اذ صرح بأنه مخالف لنص المعاهدة الواردة من وزارة الخارجية البريطانية. فنشرت هذه الحكومة خلاصة نص المعاهدة ومنها التصريح بان فلسطين غير داخلة في البلاد التي اعترفت الحكومة البريطانية باستقلالها اذ سبق بيان ما تقرر بشأنها ، وتضمن هذا بقاء عهد بلفور وانه لم يلغ ولم يعدل كما سيأتي

لا يتوهمن أحد اننا سررنا بخطأ الملك حسين في فهمه وبخيبة أمله ، فوالله إننا نتمنى لو تستقل فلسطين استقلالا صحيحا ولو بسعيه ودخولها في حدود ملكه ، فان لم يكن أهلا لادارتها فما هو بخالد فيها ، على أننا نعلم أنه لا يستطيع أن يستبد فيها كما يستبد في مكة وجدة ، وانما نحن ندوّن أهم احداث تاريخنا الحديث بما فيه العبرة لاهل العصر ولمن بعدهم

وأهم مانذكر به من العبرة في هذه المسألة التفكر في سبب خطأ الملك في فهمه الذي كان سببا لاقبح الخزي المحزن ، ونحن نرى أن الذنب في هذا على الدكتور ناجي الاصيل وفؤاد افندي الخطيب وزير خارجية الملك الذي اشترك مع

الدكتور في ترجمة المعاهدة

ذلك بان صيغة المعاهدة قد وضعت باللغة الانكليزية قطعا ومن دأب الملك حسين عدم إطلاع أحد على شيء من أسرار سياسته الا من يضطر الى استخدامه فيها . ولا نرى منجاة للدكتور ناجي الاصيل ولفؤاد افندي الخطيب من تبعة غش الملك في الترجمة الا اذا كانت الترجمة صحيحة والقيت الى الملك مكتوبة فلم يفهمها ولم يجعلها هو والمترجمين لها موضع البحث بل بلغ فلسطين ما بلغها قبل أن يبحث مع وكيله ووزير خارجيته فيها، ولكن هذا بعيد وخلاف الظاهر - وإن كان الملك لا يفهم اللغة العربية المصرية ولا القديمة فهما صحيحا بدليل أن كتابته كثيرة الغلط والعسلطة فلا تفهم الا بالقرائن - فان ناجي الاصيل حضر اعلان الاستقلال ووافق عليه ببيان منه بخطه ، فان قيل انه تعذر عليه أن يصحح خطأ الملك عقب إلقاء خطابه فكيف لم يبينه له بعد ذلك وتركه على غلطه حتى تجرأ على تخطئة حكومة فلسطين الانكليزية في فهمها للمعاهدة وعلى مخاطبته للفلسطينيين بعد مراجعتهم اياه في المسألة بما يدل على أنه لا يزال على فهمه الاول وكذا رده على الجرائد المصرية فانه يدل على ذلك أيضا

وأما احتمال عدم فهم ناجي الاصيل للنص الانكليزي الذي لم يوضع الا بعد طول البحث مع وزارتي الخارجية والمستعمرات الانكليزيتين فيه فغير معقول ، وقد جرى له حديث مع مكاتب الاهرام في الاسكندرية اثر وصوله اليها عائدا من لندن يدل على أنه واقف على دقائق المعاهدة وعلى أن المناقشة في مسألة فلسطين معه كانت شديدة وقد علم أن فؤاد الخطيب قد ساعده على ترجمة المعاهدة فهل يتفقان على الخطأ في جعل المنفي مثبتا ؟

على أن البلية في عدم فهمهما للمعاهدة حينئذ أعظم من البلية في غشهما للملك ، فما أعظم مصاب العرب فيمن يقيدونهم بمعاهدات لا يفهمون معناها مع دولة يحتاج من يعقد معها أي معاهدة أو اتفاق أن يكون من أدق الناس فهما وأقدرهم على تحديد المعاني بحيث لا تحتمل التأويل بضرب من ضروب الاشتراك او المجاز أو الكناية

لان رجالها أبرع الناس في التفصي من المعاهدات بالتأويل كما قال البرنس بسمارك

وما طرقت باب هذا المبحث الا لاني قد عز علي أن أوافق من يظنون أن الملك حسينا قد خدع الفلسطينيين ليؤيدوه فيما رضيه للبلاد كلها من الوصاية البريطانيــة ولفلسطين معها من عهد بلفور الى أن ينفذ السهم ، وانما أوافقهم بسهولة اذا جعلته الحكومة البريطانية هو القوس الذي ترمي سهمها عنه . على أنه خدع الامة العربية منذ بدء الثورة فانه اتفق مع حلفائه على استقلالها ولا يزال يدعي ذلك بعد علم الناس بمقررات النهضة ومع أخذ البلاد باسم الانتداب الذي وافقهم عليه في هذه المعاهدة

سوء تأثير هذه المعاهدة

احتفل الملك حسين بهذه المعاهدة احتفالا رسميا في مكة المكرمة وغيرها من بلاد الحجاز وجعل يوم هذا الاحتفال عيدا وطنيا دائما كما تقدم، وقدم له أركان حكومته وكبار الدولة التهاني على هذه النعمة التي أصابت الامة العربية بسعيه ، واحتفل مثل هذا الاحتفال في شرق الاردن عاصمة احدى اركان هذه الدول العربية المستقلة المتحدة (؟) ولقب الملك حسين في هذه الاحتفالات بملك البلاد العربية ومؤسسها، و بأمير المؤمنين، ومدح هو ونجله الامير عبد الله الخطب والقصائد، ورجعت صدى ذلك كله الجرائد ، وأظهرت المستأجرة والمغرورة منها غاية الحبور والابتهاج

في أثناء هذا نشرت حكومة فلسطين خلاصة المعاهدة مترجمة باللغة العربية ففهم منها جميع الناس في كل مكان أنها أعظم نكبة على الامة العربية والاسلام، واجتمع المؤتمر الفلسطيني العام للنظر فيها فقرر رفضها والاحتجاج عليها، وقامت قيامة الصحف المصرية وانبرت جميعها للرد والاحتجاج والتشنيع على ملك الحجاز . وستفعل ذلك سائر جرائد العالم الاسلامي وهذا ترجمة خلاصة المعاهدة

﴿ خلاصة المعاهدة البريطانية العربية ﴾

نشرت حكومة فلسطين بلاغاً رسمياً قالت فيه :

فيما يلي خلاصة المعاهدة التي جرت المفاوضة بشأنها بين حكومة جلالة ملك

بريطانيا وجلالة ملك الحجاز أما المعاهدة فلم تبرم نهائياً حتى الآن وقد اقترح جلالة الملك حسين تعديلات صغيرة لم تعرف تفاصيلها تماماً والبحث جار فيها .

المادة ١ — تنص على وجود سلم بين الحكومتين وعلى منع استعمال بلاد الحكومة الواحدة قاعدة لاعمال موجهة ضد الحكومة الاخرى

وهذا نص المادة الثانية :

يتعهد جلالة ملك بريطانيا بان يعترف باستقلال العرب في العراق وشرقي الاردن والدول العربيـة في شبه جزيرة العرب ما خلا عدن وأن يعضد هذا الاستقلال . وأما فيما يتعلق بفلسطين فقـد تعهد صاحب الجلالة البريطانية بانْ لا يجري شيء في هذه البلاد مما يمكن أن يجحف بحقوق الاهالي العرب المدنية أو الدينية . وأما اذا أبدت احدى هاته الحـكومات أو كلها رغبة في الاشتراك في الجمارك أو خلاف ذلك بقصد ايجاد حلف في ما بعد فان صاحب الجلالة البريطانية يسعى لترويج رغبتهم اذا طلب اليه ذلك المتعاقدون ذوو الشأن .

ويعترف صاحب الجلالة الهاشمية بالمركز الخاص الذي لجلالته البريطانية في العراق وشرقي الاردن وفلسطين ويتعهد بان يبذل غاية جهـده في التعاون مع جلالته البريطانية على القيام بتعهداته في المسائل التي تقع ضمن نفوذ جلالته الهاشمية بشأن هذه البلاد .

في المادة الثالثة يتعهد جلالة ملك الحجاز بالمحافظة على العلاقات الودية التي وجدت قبل الحرب بين جلالته وبين حاكم العسير وحاكم نجد .

في المادة الرابعة يتعهد صاحب الجلالة الهاشمية بان يسعى في تسوية المنازعات بشأن الحدود بين بلاده وبلاد حاكمي العسير ونجد بمخابرات ودية ويتعهد صاحب الجلالة البريطانية بان يسعى في المساعدة بتسوية منازعات كهذه عندما يرغب في ذلك .

وفي المادة الخامسة يتعهد صاحب الجلالة البريطانية بان يصد بجميع الوسائل السلمية والممكنة أي اعتداء يقع على بلاد جلالته الهاشمية ضمن الحدود التي قد تقرر نهائياً .

المادة ٦ — تنص على تعيين وكيل من قبل جلالتـه الهاشمية في لندن

وعلى تعيين وكيل من قبل جلالته البريطانية في جدة أو أي مدينة ساحلية أخرى . ويجوز لجلالته الهاشمية أن يعين أيضا قناصل من قبله في انكلترا والهند وكذلك يحق لجلالته البريطانية أن يعين قناصل في جدة وغيرها من المدن الساحلية كما يرى جلالته موافقا ويتمتع هؤلاء الوكلاء والقناصل بالامتيازات السياسية والقنصلية العادية .

في المادة السابعة — يعترف صاحب الجلالة الهاشمية بالترتيبات الصحية (الكورنتينات) الموضوعة مؤقتا من قبل صاحب الجلالة البريطانية في (قمران) قياماً بنصوص الاتفاق الصحي الدولي الموضوع في سنة ١٦١٢

ويتعهد صاحب الجلالة البريطانية بان يعترف بالتدابير المتممة التي قد تتخذ في جدة أو غيرها من المرافيء الواقعة في بلاد جلالته الهاشمية وفقا لانظمة يصدرها صاحب الجلالة الهاشمية .

في المادة الثامنة — يتعهد صاحب الجلالة البريطانية بأن لا يتدخل في التدابير التي يتخذها صاحب الجلالة الهاشمية للاعتناء بالحجاج ويتعهد صاحب الجلالة الهاشمية أن يعضد المساعي التي يبذلها الرعايا البريطانيون المسلمون لمساعدة الحجاج في الحجاز

المادة التاسعة — تنص على تعيين مبلغ محدود كي يدفعه كل حاج وعلى نشر المبلغ المعين سنويا

وتنص المادة العاشرة ايضا على الاعتراف بالصفة الهاشمية التي لرعايا جلالته الهاشمية في بلاد جلالته البريطانية وكذلك تنص على الاعتراف من قبل جلالته الهاشمية بالصفة البريطانية التي لرعايا جلالته البريطانية في بلاد جلالته الهاشمية

المادة ١١ تنص على تسليم أموال الرعايا البريطانيين ممن يموتون في بلاد جلالته الهاشميه الى المعتمدين البريطانيين في تلك البلاد ويصير التصرف باموال كهذه وفقا للقانون الساري على ظروف كهذه

المادة ١٢ — تنص على حضور قنصل بريطاني في محاكم جلالته الهاشمية

عند ما تنظر هذه المحاكم في قضية يكون فيها أحد الرعايا البريطانيين مدعيا أو مدعى عليه وعلى تأجيل أي حكم اذا رغب المعتمد البريطاني في اجراء المخابرات طلبا للعدالة

ولا تسري نصوص هذه المادة في حالة الرعايا البريطانيين أو الاشخاص الذين يتمتعون بحماية جلالته البريطانية القاطنين في بلاد جلالته الهاشمية بصورة دائمة

المادة ١٣ — تنص على تسليم صاحب الجلالة الهاشمية الرعايا البريطانيين الذين يلقى عليهم القبض من قبل السلطات الهاشمية الى القناصل البريطانيين بشرط أن يعطى هؤلاء ضمانا لاحضارهم عند الاقتضاء

ولا تسري نصوص هذه المادة على الرعايا المقيمين بصورة دائمة في بلاد الحكومة الهاشمية خارج جدة وغيرها من المرافيء التي قد يعين لصاحب الجلالة البريطانية قناصل فيها

المادة ١٤ — تنص على رؤية دعاوي الرعايا البريطانيين التي لا تمس فيها مصالح رعايا الحكومة الهاشمية من قبل القناصل البريطانيين

المادة ١٥ — تنص على التنازل من قبل جلالته البريطانية عن جميع الامتيازات والاستثناءات خلاف المنصوص عليها في هذه المعاهدة التي كان يتمتع بها الرعايا البريطانيون بمقتضى الامتيازات بين بريطانيا العظمى وتركيا

المادة ١٦ — تنص على إعلام جلالته الهاشمية المعتمد البريطاني عند ما يرغب جلالته في ابعاد أحد الرعايا البريطانيين

المادة ١٧ — تعالج الشروط التي بموجبها يعترف صاحب الجلالة البريطانيه بعلم جلالته الهاشمية

المادة ١٨ — تصرح بانه لا يجوز لاي الفريقين المتعاقدين الساميين أن يعقد أية معاهدة أو اتفاق مع فريق ثالث ضد مصالح الفريق المتعاقد السامي الآخر

المادة ١٩ — تنص على أن لا شيء في هذه المعاهدة يبطل أي تعهد قد تعهد به أو قد يتعهد به في المستقبل أحد الفريقين المتعاقدين الساميين بمقتضى عهد جمعية الامم

المادة ٢٠ — تنص على تصديق هذه المعاهدة وأنها نافذة الفعل لمدة ٧

سنوات اعتبارا من اليوم الذي توضع فيه موضع العمل

هذه خلاصة المعاهدة التي نشرتها حكومة فلسطين البريطانية . فهم الناس منها في فلسطين ومصر وفي كل مكان أنها تستثني فلسطين من البلاد العربية التي يعترف ملك الانكليز لها بالاستقلال — على ما فيه — معللة ذلك بانه قد سبق للحكومة البريطانية تقرير أمرها وانها تضمن للعرب في حكمها اياها حريتهم المدنية والدينية أي لا يمنعون من البيع والشراء ورفع القضايا الى حكامهم من الانكليز واليهود ، ولا يمنعون من الصلاة والصيام — مثلا — وجميع الناس يعلمون أن المراد بذلك هو ما يسمونه الانتداب المتضمن لعهد بلفور بالوطن القومي لليهود ، وهذه العبارة الضمانية مأخوذة من صك الانتداب المذكور

هذا ما فهمه الناس كافة وهو خلاف ما فهمه الملك حسين أو أراد أن يفهمه الناس في فلسطين وغيرها .

ولهذا قامت قيامة المسلمين في مصر وشايعتهم الجرائد كلها على الطعن في هذه المعاهدة باسم الاسلام فعسى أن يكون في هذا وفي رفض أهل فلسطين لها مايحمل الملك حسينا على ترك عناده واصراره على عقدها ، أو يحمل الحكومة الانكليزية . وسنشرح موادخلاصة المعاهدة في الجزء التالي ، ونعجل في هذا الجزء باعلام الشعب البريطاني الحكيم بشعور العالم الاسلامي وشعور الامة العربية بهذه المعاهدة امله يتدارك الامر ويحول دون عقدها ، ويتلافى شر ما نكرهه من جعل العداء بين الانكليز والاسلام امراً واقعا نهائيا لا مفرّ منه . فاننا نعلم ما في تفاقم هذا العداء من الضرر والفساد ، وما في استبدال الصداقة به — ان امكن من الخير الخاص العام . ولهذا القصد ننشر الخطاب التالي ، على أن نقفي عليه بخطاب آخر يبين للشعب الانكليزي الطريقة المثلى لصداقة الاسلام والعرب كما بيناها لحكومته من قبل :

خطاب مفتوح من روح الاسلام

والجامعة العربية

الى الشعب الانكليزي والحكومة البريطانية

فعلتم ما فعلتم في الدولتين العثمانية والايرانية ، وكدتم ما كدتم للشعوب العربية ، فاتركوا لنا قبلة صلاتنا ، ومشاعر حجنا ، وأمهات مساجدنا ، وقبر نبينا ، ولا تحسبوا أن الفرصة قد سنحت لكم للقضاء على ديننا ، كما حسبتم حين أردتم القضاء على دولنا، اغتراراً بقوتكم وضعفنا ،واجتماعكم وتفرقنا ، فرب قوة أحالها الغرور ضعفاً ، ورب ضعف أعطاه اليأس قوة وبأساً

أردتم استعباد الشعب الافغاني بفرصة زوال المعارضة الروسية، فحررتموه وأنتم كارهون ، وأردتم استعمار بلاد الشعب الفارسي بفرصة الحرب العظمى فغادرتموه وأنتم عاجزون ، وأردتم إماتة الشعب التركي بفرصة انكسار دولته فأحييتموه وأنتم مرغمون ،وخدعتم أكثر رؤساء الشعب العربي بالاموال ، والتغرير بالوعود والآمال ، فسترون سوء العاقبة والمآل ، وأنتم الغارمون الراغمون ، الا ان ترجعوا عن سياستكم فيهم، قبل أن يخرج الامر من يدكم، وأنتم بذلك جديرون .

اغتر العرب بوعودكم، ووثقوا بعهودكم ،ووالاكم بعضهم على أهل دينهم ، وساعدوكم على احتلال أخصب بلادهم، فكان جزاؤهم منكم ، شراً من جزاء من قاتلوكم بسيوفهم ومدافعهم ، ولم تقفوا عند حد في النكاية بهم ، واتخاذ

الوسائل للاستيلاء على جزيرتهم ، بعقد المعاهدات السياسية والامتيازات في بلادهم ، وإلقاء العداوة والشحناء بين الشافعية والزيدية في اليمن ، وبين السنية والشيعة في العراق ونجد ، وبتجديد شعوب أشورية وكلدانية في العراق ، لعدم نجاح إلقاء الشقاق بين العرب والاكراد ، وبإيجاد شعب يهودي في فلسطين ، يعادي أهلها في أمري الدنيا والدين ، وأنتم مع هذا تمنون على العرب بتحريرهم من الرق ، وانقاذهم من الترك ، وتطالبونهم بالحمد والشكر ، لانهم في نظركم قوم لا يعقلون ، (كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون)

ولم أر ظلما مثل هضم ينالنا يساء الينا ثم نؤمر بالشكر

لقد جئت ايتها الحكومة البريطانية في فلسطين ، بشر شرور لم يأت بمثله احد من الظالمين ، الا وهو محاولة انتزاع شعب من وطنه او وطن من اهله ، وإحلال شعب آخر في محله ، وايقاد نار العصبية الدينية بين اليهود والعرب وسائر الامة الاسلامية ، ومن يشايعها من الشعوب المسيحية ، فان غرض اليهود من تجديد ملكهم في هذه البلاد ، لا يتم الا بالاستيلاء على المسجد الاقصى لاعادة هيكل سليمان ، واذا تمت لهم القوة لا يأمن المسلمون أن ينسفوه نسفاً ، فيذروا أرضه قاعا صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا ، ثم يبنوا بأنقاضه هيكلهم ، ويذبحوا على صخرته قرابينهم ، فاذا عجز أهل فلسطين عنهم ، بنصركم اياهم وحمايتكم لهم ، فماذا يفعل سائر العرب والعالم الاسلامي بقوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى) ؟ ثم ماذا يفعلون بما ورد في الاحاديث النبوية التي لا أذكرها لكم ، لئلا تدعوا أنني أريد بها الاغراء الذي تطرق

سياستكم أبوابه ، وتمهدله أسبابه ، على أنهامشهورة في كتب السنة ، التي يتداولها جميع علماء الملة ؟

أما يكفيكم رفع علمكم وعلم اليهود حيث ثالث الحرمين، وأولى القبلتين، حتى عمدتم الى جعل الحرمين الشريفين تحت سيادتكم ، ومهانين بالعدول عن تأمين الله لهما الى تأمينكم وحمايتكم ؟

أما ترحمون هذا الشيخ الكبير المستبد برأيه، المغرور بنفسه ، المحتقر لقومه وأهل ملته بالافتيات عليهم ، بالتصرف بمهد دينهم وقبلة صلاتهم بدون اذنهم، الذي ضحى نفسه في سبيلكم ، غرورا بوعودكم وعهودكم ، فأصبح عدوا لامراء الجزيرة ، ومضغة في أفواه مسلمي المعمورة ، تنبزه أفواههم وأقلامهم بالالقاب ، ويكيلون له الذم والتثريب بغير حساب، بما والاكم ونصركم ، وجعل ما لا يملك من بيت الله تعالى وقبر رسوله (ص) تحت وصايتكم ؟ وتمهده ببذل ما جعلتم له من النفوذ الصوري على تأييد نفوذكم في الحرم الثالث (الاقصى) وفى العراق ، حيث مشاهد آل بيت الرسول عليه وعليهم السلام، وإقراركم على الوفاء لا حلافكم الفرنسيس في استعمار سورية ؟ وهل يكفيه من جزائكم على ذلك اعترافكم له بتسميته لنفسه بملك العرب، وقدجعلتموه به عدوا لمسلمي العرب والعجم؟ وهل العرب من رعاياكم، حتى تولوا عليهم من شئتم من صنائعكم ؟

***

أيها الشعب الانكليزي الحكيم! اعلم أن حكومتك الحاضرة ، انما تضع الالغام لنسف ماشيدته لك حكوماتك الغابرة ، اعلم أنها تصطنع ثلاثة رجال تعادي بهم ثلاثمائة مليون ، اعلم أن نصبها حسين بن علي

ملكا على الحجاز لا يعطيه من السلطة الشرعية المطلقة مايجعل له أدنى حق أو امتياز فيه ، اعلم أن سيد العرب والعجم ، وخاتم رسل الله الى جميع الامم ، لم يجعل لنفسه حقاً بأن يحتجر مكاناً صغيراً في (منى) من أرض الحرم، يتخذ فيه مظلة تقيه حر الشمس ، ولما سئل ذلك قال « منى مناخ من سبق» ، ومقتضاه أنه اذا جاء نفر من حجاج الصين وسبقوا الى النزول في المكان الذي ينصب فيه أمير مكة - أو ملك الحجاز - خيامه فليس له أن يخرجهم منه ، أفيملك أن يجعل لغير المسلمين حق حمايته أو أدنى امتياز فيه ؟ ؟ كلا إن كل ماتعقدونه معه في ذلك سيكون قصاصة ورق ، لا يملك تنفيذه أحد

بل اعلم أيها الشعب الحكيم وأعلم حكومتك بما لا يمكن ان تعلمه حق العلم الا منك، لانها تحتقر جميع البشر من دونك: لاأقول أعلمها بأنه لا يوجد مسلم قوي الاسلام ولا ضعيفه يرضى بأن يكون لاي دولة غير مسلمة أدنى سلطة أو نفوذ أو امتياز في الحجاز ، أو يجيز لمن نصبتموه ملكا عليه أن يعقد معكم أي عهد أو اتفاق على شيء من تلك البلاد ، أو يسكت له على ذلك أو على فرض الضرائب على الحجاج ، أو على جعل حكومته دولة حربية تعادي من تشاء وتوالي من تشاء

لا أقول لك أيها الشعب الحكيم اعلمها بذلك ، فانها تعلمه، ولكنها لاتبالي بعاقبته — بل أقول لك اعلم وأعلم حكومتك بالحقيقة التي لعلها لم تعلمها ولم تسمع بها قبل هذا الخطاب

اقول لك اعلم وأعلم حكومتك ان العالم الاسلامي لا يرضى لمهد دينه وموضع إقامة شعائره الا أحد أمرين لا ثالث لهما

(احدهما) أن يكون الحجاز في كفالة خليفة المسلمين عند ما تتجدد الخلافة الاسلامية على وجهها الشرعي ويبايع الخليفة أهل الحل والعقد من أمراء المسلمين الحاكمين وزعماء بلادهم في جزيرة العرب وغيرها من البلاد الاسلامية الحرة على السمع والطاعة بشروطها الشرعية، ويكون له دولة قوية تستطيع حماية الحجاز وغيره بقوتها الذاتية، وهذا ما يجب على المسلمين السعي اليه وقد شرعوا فيه، ولا يعلم غير الله متى يدركونه، وانما نعلم كما تعلم الحكومة البريطانية أنه لن يرضى شعب من الشعوب الاسلامية ان يكون حسين بن علي بن عون خليفة المسلمين، وإن لقبه ابنه عبد الله او جميع أولاده وصنائعهم بأمير المؤمنين

(الثاني) أن يكون الحجاز قطرا سلميا على الحياد باعتراف جميع الدول الاسلامية وغير الاسلامية: لا يعتدي ولا يعتدى عليه، ولا يقاتل ولا يقاتَل، ولا يكون لفرد من الافراد ولا لشعب من الشعوب ولا لدولة من الدول امتياز فيه. وان تكون له حكومة اسلامية شورية لحفظ الامن، وإقامة العدل، وتسهيل سبل الحج، وتعمير البلاد، وتنفيذ مضمون قوله تعالى (سواء العاكف فيه والباد). وأن يكون لهذه الحكومة مجلس شوري مؤلف من أشراف الحجاز وعلمائها بالانتخاب، ومن أعضاء مختارين من علماء جميع الشعوب والاقطار التي تحج بيت الله الحرام، وتزور حرم رسوله عليه وآله الصلاة والسلام، — كاليمن وعسير ونجد وسورية والعراق ومصر وسائر أقطار افريقية والترك والفرس والافغان والهند وجاوه والصين — وان يكون لهذه الحكومة حرس مؤلف من الحجازيين ومن جند الحكومات الاسلامية المستقلة، التي لا سيطرة فعلية

عليها لدولة أجنبية، كحكومات جزيرة العرب والترك والفرس والافغان ومصر (التي سيتم استقلالها في هذا العام بمشيئة الله)

وهذا هو الممكن الآن الذي يجب على العالم الاسلامي ان يبادر الى السعي اليه ، ووضع النظام له والسعي لتنفيذه ،وهو فاعل ان شاء الله تعالى ، وحينئذ تعلم الدولة البريطانية ان لم تعلم اليوم ان سمسارا اسمه (ناجي الاصيل) لا يستطيع ان يضع معاهدة بين حسين بن علي موكاه وبين وزارتي المستعمرات والخارجية البريطانيتين في شأن الحجاز وبلاد العرب بحيث تنفذ على الامة العربية والشعوب الاسلامية كلها ، وتذل رقاب ٣٠٠ مليون من المسلمين لها

لقد أسرفت الحكومة البريطانية في احتقار العالم الاسلامي اذ ظنت ان خضوع هذا الرجل وأولاده لها يجعلها قيمة ووصية على البلاد الحجازية، وسيدة للامة العربية ، وستعلم وتعلمون ان هذا الاحتقار، وما يبنى عليه من الاعمال، لن يفيدها الا اسراف العالم الاسلامي كله في عداوتها ، ويضل سعيها في حمل ناجي الاصيل على بوارجها الحربية وغير الحربية، في سبيل استخدامها إياه بين لندن ومكة ،

سيعقد مؤتمر اسلامي حر يقرر أمر الحجاز وحكومته وحرسه على القاعدة التي أشرنا اليها، اذ لا سبيل الى انقاذه وحريته بدونها ، وسيبلغ قراره لحكومة الحجاز الحاضرة ولجميع الدول ولا سيما ذوات الرعايا من المسلمين. ولا يسع الدولة البريطانية حينئذ الا احد امرين : اما نصر صنيعتها حسين بن علي بن عون، الذى تعهدت بحماية الحجاز له لتكون لها السيادة على الحرمين الشريفين، ان لم يكن بابرام المعاهدة الجديدة" فبما يسميه

هو مقررات النهضة المعروفة (١) — وإما النزول على ارادة العالم الاسلامي وانتظار حكمه، تفاديا من إظهار عداوتها له ولدينه. أفليس الخير لها أن تنفض يدها من هذه المعاهدة وامثالها اختيارا ، قبل ان تضطر الى إقرار إحدى الخطتين اضطرارا ؟

ثم اعلم أيها الشعب الانكليزي الحكيم أن كل ما تنفقه حكومتك الحاضرة من اموالك لاجل السيطرة على بلاد العرب واحتكار خيراتها ستضيع كما ضاعت الاموال التي بذلتها في سبيل الحجاز ، فاياكم أن تتبعوها فتبذلوا اموالكم في تأليف الشركات، لما عقدته أو تعقده لكم في جزيرة العرب من الامتيازات، فانكم لن تنالوا من هذه الامتيازات — والحالة هذه — الا الخسار

أيها الشعب الانكليزي العاقل ؟ إن حكومتك تعلم أن صاحب هذا الخطاب صدوق لا يكذب ، وصريح لا يخدع ولا يختل، فانه بين لرجالها خطأهم في المسألتين العربية والاسلامية قولا وكتابة ، وظهر لها صدق اقواله ، وصواب آرائه ، ولكن لم تعمل بها ، لمخالفتها لاهوائها ومطامعها، فاذا رأت تأثير هذا الخطاب في شعبها ، فستقول له انه خطاب عدو لها، وما هو بعدو لاحد ولكنه صديق لامته وملته ، ويرى ان من الممكن ان يكون الشعب الانكليزي (ودولته من ورائه) صديقا لهما أيضا ، ويرغب كثيره من عقلاء الامة في ذلك ، ويعلم أن رجال هذه الدولة يعرفون الوسيلة المثلى لتحقيق هذه الصداقة ولا يبتغونها، وان كانوا يدعونها، لانهم ألفوا سياسة قديمة لا يتركونها ، ولكن الشعب الانكليزي اذا

---

(١) ان من مواد مقررات النهضة التي بني عليها أمير مكة ثورته أن تكون البلاد العربية وفي مقدمتها الحجاز بمنزلة القاصر في حجر الدولة البريطانية وأن على هذه الدولة حمايتها في الداخل والخارج حتى في قمع الفتن والثورات الداخلية والاهلية

عرفيا ، فلا يعز عليه أن يوجدها ، لان من عادته أن يساير طبيعة الاجتماع لا أن يعاندها ، وسأبينها له فى خطاب آخر كما بينتها لحكومته من قبل في مذكرات آخرها (مذكرة في بيان رغائب العرب والمسلمين السياسية) ارسلتها الى الوزير لويد جورج فى يونيو سنة ١٩١٩ وحملها اليه رجل من كبار الانكليز : وسأذكر خلاصتها لكم ، فاما أن نجد فيكم من يقدر أن يجمع بين مصلحتنا ومصلحتكم ، وأما نيأس منكم كما يئسنا من حكومتكم ، واليأس احدى الراحتين : والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين

صاحب المنار الاسلامي

محمد رشيد رضا

دعوة عامة

من المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى في فلسطين

لعمارة الحرم القدسي الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله ، لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ﴾

سورة الاسراء

الى اخواننا المسلمين في أقطار الارض عامة نقدم هذه الدعوة الشاملة تلفت أنظارهم الى أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، المسجد الاقصى الذي بارك الله تعالى حوله وجعله آية من آياته الكبرى

وبعد . فان الحرم الشريف المشتمل على مسجدي الاقصى المبارك، والصخرة الشريفة وما يحتويان من المباني البديعة ، والكنوز الفنية القيمة النادرة المثال هو عرضة لكارثة عظمى قد تأتي عليه اليوم أو غداً فلا يبقى منه الا أثره (لاسمح الله) وذلك أن بنيانه المتين قد تصدع في بعض أقسامه المهمة كقبة الاقصى التي لم يخلق مثلها في البلاد نفاسة وبهاء واتقانا فانها آيلة للسقوط من جراء تأثير العوامل الطبيعية عليها كالمطر والشمس والثلج والاعاصير الشديدة التي نقبت ما يكنها من صفائح الرصاص، ونخرت ما قامت عليه من الاخشاب منذ زمن بعيد. وكذا قبة الصخرة الشريفة وأعمدتها وما يستر جوانبها من القاشاني الفاخر. وما يزينها من الفصوص المذهبة المنقطعة النظير الى غير ذلك مما يوشك أن ينهار من هذين المعبدين الجليلين اللذين تشد اليهما الرحال من أقصى المعمورة واستنزال روحانية الله تعالى ونبيه الكريم (١) صلى الله عليه وسلم في ظلهما (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)

أما قيمته الفنية فحدث عنها ولا حرج ويكفيك في بيان عظمتها تقاطر الناس لمشاهدتها من كل فج عميق فترى المشارقة والمغاربة والمسلمين وغير المسلمين يؤمونها زرافات ووحدانا للتمتع برؤية أبدع ما وصل اليه السلف الصالح من الفنانين المسلمين في هندسة المباني وقدره حق قدره

ولقد أحس القائمون على الحرم الشريف بتصدع مبانيه قبيل الحرب الكبرى فقدر الخبيرون من المهندسين لترميمه بعد الكشف عليه نحو خمسة وثلاثين ألف

---

(١) المنار : هذه العبارة منتقدة لفظا ومعنى ولعله وقع فيها تحريف كما وقع في الآية التي افتتح بها الكلام وصححناه . فالروحانية لا تضاف الى الله تعالى ولعل أصلها لاستنزال رحمة الله تعالى وروحانية نبيه بمعنى دعاء الله بانزال رحمته وامداد الداعي بروح الحق النبوية . والظاهر أن المفتي الفاضل كتب الأصل ولم يصححه عند الطبع

جنيه فحالت الظروف السيئة دون الشروع بذلك، وازداد التصدع ابان الحرب فقدر ما يلزم لعمارته اذ ذاك بنحو خمسة وسبعين ألف جنيه . ولما وضعت الحرب أوزارها وتألف المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى كشف على البناء ثالثة فاذا به يحتاج نحو مئة وخمسين ألف جنيه على أقل تعديل . فصرف المجلس همته للشروع في الترميم حالا خوفا من اتساع الخرق، وتفاقم الخطر ، ودعا لذلك الغرض أكبر رجال الفن لدرس الموضوع والمباشرة في العمارة فألف هيئة تحت رئاسة الاستاذ المعماري القدير كمال الدين بك الذي استدعي حالا من دار الخلافة للقيام بهذا العمل الخطير، فلبى الطلب وشرع مع أعضاء هيئته بوضع الخطط اللازمة وطفق المجلس الاسلامي الاعلى يمده بما تصل اليه يده من فضلة أموال الاوقاف المحلية غير أن مال الاوقاف في فلسطين قليل لا يكاد يكفي لعشر معشار ما يقتضيه مثل هذه العمارة العظيمة فرأى المجلس الاسلامي أن يستصرخ جميع الامم الاسلامية جماعات وأفرادا لمد يد المعونة والاشتراك في حفظ هذا المكان المقدس الذي يعطف عليه ثلاثمائة مليون من البشر كلهم متساوون في احترامه وتقديسه والغيرة عليه من أن تصل اليه يد البلى والاندثار

فالبدار البدار معاشر اخواننا المسلمين الى هذا العمل الصالح والمأثرة الحسنة ولتجد كل نفس بما تقدر عليه عاجلا اذ خير البر عاجله واذكروا قوله تعالى (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) وفقنا الله واياكم جميعاً لعمل الخير وخير العمل انه سميع مجيب .

الفقير اليه تعالى

مفتي الديار المقدسية ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى

محمد أمين الحسيني

(المنار) المسجد الاقصى الذي شرفه الله بذكره في كتابه كما شرفه بجعله البيت الثاني من بيوت عبادته التي سخر لوضعها ورفع قواعدها لاول مرة رسله الكرام ، وجعلها ارثا باقيا لاقامة الاسلام ، وقد بذل ملوك المسلمين في بنائه وتشييده الوف الالوف من الدنانير وأهرقوا في سبيل حفظه وحمايته دماء مئات

الالوف من مجاهديهم ، وقد أمسى الآن عرضة الخراب فالذهاب من ايديهم ، اذا لم يتداركوا أمره بالتعاون بينهم ، ولا يخفى أن كل مساعد علي تجديد بنائه وحفظه يكون شريكا في الاجر لمن سبقهم في ذلك من رسل الله تعالى والمجاهدين في سبيله من المؤمنين ، وجديرا بحسن الذكر بالحق في الآخرين ، واولى الناس بالسبق الى ذلك امراء المسلمين وملوكهم وكبار زعمائهم ، وقد سبق ملك مصر الى العطف على هذا العمل ووعد بمساعدته ومساعدة حكومته له ولا غرو فمصر اولى بالسبق لما لهذا المسجد الشريف عليها من حق الجوار ، ولما لها فيه من تالد الآثار ، وكيف وهذا الاثر العظيم الذي تفتخر به المدنية العربية الاسلامية قد بني بمال مصر اذا أرصد له خراجها سبع سنين كما هو مبين في الخلاصة التاريخية التالية

وستؤلف في مصر لجنة لجمع الاعانة تحت رعاية الملك. ومن بلغته هذه الدعوى في أي قطر من الاقطار ووفقه الله تعالى لاجابتها فليرسل ما تجود به نفسه حوالة على احدى المصارف المشهورة في القدس الشريف (فلسطين) أو في لندن باسم رئيس المجلس الاسلامي الاعلى في القدس محمد امين الحسيني

صفة المسجد الاقصى الشريف

وخلاصة تاريخية له (١)

(١)

جمال الحرم وجلال مبانيه الفنية

المباني التي يتألف منها الحرم الشريف جمال وجلال يشعر بهما حالا كل من يتاح له التمتع بمشاهدته أيا كان سواء في ذلك العالم والجاهل ، الكبير

«١» من الرسالة التي نشرها المجلس الإسلامي الاعلى مع الدعوة

والصغير ، المسلم وغير المسلم . فاذا سرح الطرف متأملا في عجائب صنعتها ازداد تأثره، واتسع شعوره وحاق وجدانه ،رتقياً من الحسن الى الاحسن ومن السامي الى الاسمى، فيخشع قلبه وتحل عليه روحانية لطيفة تسمو بنفسه الى ادراك حقائق الدين ودقائق معانيه و نبيل مقاصده، الى غير ذلك مما يدل على بلوغ فناني العرب والمسلمين الغاية القصوى في الاتقان والابداع

فالداخل الى الحرم المكرم من أي باب من أبوابه المباركة تأخذه روعة المقام الشريف اذ ينبسط أمامه مشهد من مشاهد السعة والصفاء رحب فسيح ينشرح له الصدر، وينجلي بمرآه الذهن فلا يلبث النظر أن يرسل رائده الى ماحوله من المباني الفخمة المتنوعة بتناسب تام من مربع الى مسدس الى مثمن الى مستطيل الى كروي الى اسطواني . . . على أشكال وأوضاع متلائمة آخذ بعضها برقاب بعض تسر الناظرين، وتسبح بحمد رب العالمين

وترى أروقة ممتدة على جوانب الساحة يتخللها النور والهواء فتنزل على النفس السكينة والهناء ، وقببا عظيمة تحنو على ما تحتها من المعابد ولا حنو الام على فطيمها ، وأساطين شاهقة ترفع مافوقها بقوة ومتانة ، وأعمدة هيفاء مختلفة الاشكال والالوان ، قامت صفوفا متزاوجة توحي الى القلوب الاحترام وحب النظام ، ومآذن تخترق الفضاء ، وتمعن في العلاء ، لتكون رسولا بين الارض والسماء ، ومناديا ينادي الناس كل يوم خمس مرات «بحي على الصلاة، حي على الفلاح» ومقاصير وفساقي ، وادراجا ومراقي ، ومنابر خاشعة ، تتلى عليها المواعظ الحسنة ومحاريب ساكنة يستقبل فيها المصلون وجه ربك ذي الجلال والاكرام ، ويذكرون فيها اسمه تبارك وتعالى في الغدو والآصال

وكل ذلك قد أحكم بناؤه من حجر منقوش ، أو مرمر مسنون ، أو خزف مصقول ، أو خشب منجور ، أو صفر مطلي بالفضة أو مكسو بالتبر ، أو فص مذهب يعلوه التزيين والتلوين ، والتشجير والتزهير ، والتذهيب والترصيع ، والوشي والزخرفة والتنميق . . . فاذا أشرقت الشمس وامتزج نورها بتلك

التراكيب الهندسية البديعة رأيت لها لألاء يأخذ الابصار ويملأ الجوانح وينقل النفوس الى نعيم قدسي لا يدرك كنهه، ولا يعرف سره،

فتبارك الله أحسن الخالقين

المساحة — السور — الابواب

يقع الحرم القدسي الشريف على مساحة مربعة طول الجهة الغربية منها (٤٩٠) مترا والشرقية (٤٧٤) مترا والشمالية (٣٢١) مترا والجنوبية (٢٨٣) مترا يحيط بها سور يتراوح ارتفاعه بين (٣٠) مترا (عند الزاوية الشمالية الشرقية) و (٤٠) مترا (في الجنوب الشرقي) ويبلغ بعض الحجارة فيه نحوه أمتار طولا في أربعة أمتار عرضا

وحول السور من جهة الغرب والشمال أروقة فسيحة معقودة يتخللها بعض أبواب الحرم وهي ١٤ بابا المشروع منها احد عشر وهي :

١ — في الجهة الشمالية : باب الاسباط ، وباب حطة ، وباب شرف الانبياء أو الدويدار (العتم)

٢ — في الجهة الغربية : باب الغوانمة (وكان يسمى قديما باب الخليل) وباب الناظر أو البصير (كان يسمى قديما بباب ميكائيل) وباب الحديد ، وباب القطانين ، و باب المتوضأ ؟ وبابا السلسلة والسكينة (وهما متلاصقان) وكان باب السلسلة يعرف قديما بباب داود ، وباب المغاربة (وكان يسمى بباب النبي)

ومن الابواب غير المشروعة بابا الرحمة والتوبة المعروفان بباب الذهب وهما في السور الشرقي للحرم الشريف ، وباب آخر في السور القبلي

قبة الصخرة

شيد جامع الصخرة الشريفة على صحن مربع مفروش بالبلاط المصقول طوله من القبلة الى الشمال اكثر من عرضه من المشرق الى المغرب وارتفاعه ٣ أمتار يصعد اليه بادراج من الجهات الاربع : اثنان منها في الجهة الشمالية ، وواحد في الجهة الشرقية ، وأثنان آخران في الجهة الجنوبيـة ، وثلاثة في الجهة

الغربية ، وقد عقد على كل درج من أعلاه قناطر هيفاء، محمولة على أعمدة من رخام وأركان من البناء، فكأن كل قنطرة منها اطار يبدو منه للرائي عن كثب منظر جامع للقبة و بدائعها الرائعة

والقبة قائمة على بناء فخم مثمن الشكل ذرع كل تثمينة منه (٢٩) ذراعا وثلث ذراع أو ٢٠ مترا و٤٠ سنتيمترا ، وقد كسي القسم السفلي من ظاهره بالرخام الابيض المشجر والقاشاني البديع الذي يترقرق فيه ماء الالوان المتزاوجة من لازوردي صاف، وأخضر قاتم، وأبيض ناصع، يعلو ذلك شبه أفريز رسمت عليه آي القرآن الكريم بخط جميل ، وقد صنع هذا القاشاني العجيب في أيام السلطان سليمان القانوني سنة ٩٦٩ للهجرة

وللقبة سقفان من خشب (التنوب) أحدهما فوق الآخر بينهما خلاء متسع فاما الخارجي منهما فمكسو بشقائق الرصاص من الخارج وأما الداخلي فمدهون مذهب ، وسيأتي وصف ذلك

وتحتوي كل تثمينة من البناء على سبع طاقات للتي لا باب فيها وعلى ست للتي لها باب والطاقات المحاذية لاطراف التثمينات مسدودة كلها والاخرى مركب عليها الزجاج والشبابيك الحديد وشكلها الحاضر يدل على أنها جددت في القرن العاشر الهجري (أي في القرن السادس عشر الميلاد)

ولجامع الصخرة أربعة أبواب مزدوجة داخلا وخارجا مربعة الشكل بعقود مقوسة وهي :—

باب الجنة في الشمال ، وباب النساء في الغرب ، وباب داود أو باب السلسلة في الشرق ، و باب القبلة في الجنوب ، وأمام هذا الباب الاخير من الخارج رواق مفروش بالرخام عليه سقف مكسو بالقاشاني في وسطه قنطرة معقودة والسقف محمول على ثمانية أعمدة من الرخام مختلفات في النوع واللون ، وللباب المذكور مصراعان ملبسان بالنحاس الاصفر المنقوش، عليها اقفال نفيسة متقنة الصنع وأما الابواب الثلاثة الاخرى فيرجح انها كانت مثل الباب القبلي وهي الآن لا أروقة لها

ويبلغ دور البناء من الداخل ٥٣ مترا ، وهو مقسم الى ثلاث دوائر يفصل بعضها عن بعض صفان مستديران من الاعمدة والاركان يتألف الاول منهما من ثماني سواري مسدسة الاضلاع و ١٦ عمودا منها (أبيض وأزرق) عشرة، و (أخضر مرسيني) ثلاثة ، و (شحم ولحم) (١) ثلاثة، والصف الثاني مؤلف من أربع سوار مربعة الاضلاع ، واثنى عشر عمودا ، منها سبعة (أخضر مرسيني) وخمسة (شحم ولحم)

والسواري ملبسة بالرخام المشجر والملون البديع ، والاعمدة قديمة جدا وا كثر تيجانها تدل على أنها من الطراز الروماني أو البيزنطي القديم ، ويربط أعمدة الصف الاول بعضها ببعض وبالسواري (بساتل) «٢» ملبسة بالنحاس الاصفر المنقوش المذهب. وتحمل هذه الاعمدة مع جدار الجامع سقفا مائلا بعض الميل مدهونا بأنواع الدهان قائما على قناطر مرصعة بالفص المذهب متصلا طرفه الاعلى بكرسي القبة

ويزين باطن القبة مجموعة لا نظير لها من الفصوص الملونة تمثل ٦٤ شكلا من الزخارف على نحو ما كان يصنعه فنانو البيزنطيين وهي مركبة على سطح موشي بالذهب يأخذ ببصر الناظر ولبه . وفي كرسي القبة ست عشر طاقة زجاج مذهبة يعلو كل منها طبقة من الجبس مقسمة عيونا مغطاة بقطع الزجاج المختلفة الالوان والاشكال تنفذ منها أشعة الشمس صافية ملطفة بفضل الواح الزجاج الخارجية والمشبكات المصنوعة من القاشاني . وعلى هذه الطاقات نقوش تدل على أنها صنعت في زمن السلطان سليمان سنة ٩٤٥ هجرية كما أن المرمر الذي يكسوها انما ركب في زمن (السلطان) صلاح الدين وجدد في أيام السلطان سليمان المذكور

«١» جمع (بستلة) وهي عارضة من حديد تصل ما بين الاعمدة ولعلها فارسية وقد وردت في كتاب « مسالك الأبصار في الممالك والأمصار » لابن فضل الله العمري «٢» المنار: المراد بالشحم واللحم ما كان حجرها ذا بقع بيض وحمر على هيئة الشحم مع اللحم

والصخرة الشريفة واقعة داخل درابزين (١) من خشب منقوش مدهون بأنواع الدهان طولها ١٧،٧٠ مترا وعرضها ١٣،٥٠ مترا وارتفاعها عن الارض يبلغ نحو ١،٢٥ متر الى مترين وينزل الى المغارة التي تحتها باحدى عشرة درجة من جهة القبلة ، وعند باب المغارة قنطرة معقودة بالرخام العجيب على عمودين وبباطنها محرابان كل محراب على عمودي رخام لطيفين وامام المحراب الايمن صفة تسمى مقام الخضر يواجها عمود رخام قائم للسقف وآخر راقد ، وفي الركن الشمالي منها صفة تسمى مقام الخليل

وجميع باطن أرض الصخرة والمغارة مفروش بالرخام وفي وسط المغارة بلاطة مستديرة ينبعث عنها اذا نقر عليها رنين تتجاوب اصداؤه وهذا يدل على خلو ما تحتها . وحول الدرابزين الخشبي مصلى النساء وهو محاط بالقضب الحديدية من جميع جهاته وله أبواب أربعة لا يفتح منها عادة الا الباب الغربي الموازي لباب النساء وهو من عمل الصليبيين ابان احتلالهم بيت المقدس

صفة المسجد الاقصى

يقع المسجد الاقصى جنوبي جامع الصخرة وطوله ٨٠ مترا وعرضه ٥٥ مترا ما عدا ما أضيف اليه من الابنية

وأول ما يقابلك من المسجد الاقصى عند الدخول اليه من الجهة الشمالية رواق كبير أنشأه الملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق سنة ٦٣٤ هجرية وجدد من بعده وهو مؤلف من سبع قناطر عقدت على ممشى ينتهي الى سبعة أبواب كل باب يؤدي الى (كور) من (أكوار) المسجد السبعة ، والمسجد عدا هذه الابواب باب في جهة الشرق، وآخر في جهة الغرب، ومدخل الى المكان المعروف بجامع النساء ، فيكون مجموع ما المسجد من الابواب عشرة والبناء قائم على خمسة وأربعين عمودا منها ثلاثة وثلاثون من

١) الدارابزين كلمه اعجميه يمكن أن يجعل محلها كلمة كفاف بالكسر

الرخام واثنا عشر مبنية بالاحجار وهي تحت (الجملون «١») والعمود الاخير مبني بالحجارة أيضا وموضعه عند الباب الشرقي تجاه محراب ذكريا ، وهذه الاعمدة قديمة نقلت في الغالب من انقاض أبنية متنوعة اقدم عهدا من الحرم ، وفوق الاعمدة قناطر عريضة حديثة العهد يربط بعضها ببعض أخشاب ضخمة مستطيلة وفوق القناطر صفان من الطاقات ، العلوية منها تفتح على الخارج والسفلية على (الاكوار) داخل المسجد وباطن السقف مكون من عوارض كلها من الخشب

وعدة ما في المسجد من السواري أربعون وهي ضخمة مربعة الشكل مبنية بالحجارة

وباقصى البناء من جهة الجنوب قبة مرتفعة مزينة بالفصوص الملونة المذهبة وهي مما رممه صلاح الدين الايوبي. وذلك في سنة ٥٨٤ هجرية كما أنه رمم أكبر جناحي المسجد. والقبة والجناح على الغالب انما صنعا في خلافة المهدي بعد تهدم المسجد بفعل الزلازل . وهي كقبة الصخرة من خشب مكسوة بصفائح الرصاص من ظاهرها وبالفص المذهب من باطنها . ومجدد هذه التزيينات هو الملك الناصر محمد بن قلاون سنة ٧٢٨ للهجرة كما يفهم ذلك من الكتابة التي عليها

وهناك آيات قرآنية كتبت بخط كوفي على جانبي المحراب . والمحراب قائم على أعمدة لطاف من المرمر وبجانبه المنبر وهو من الخشب المرصع بالعاج والآبنوس أمر بصنعه خصيصاً لبيت المقدس الملك العادل نور الدين الشهيد وهو بحلب سنة ٥٦٤ ه فلما فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين أمر باحضاره ونصبه في المكان الموجود به حالا

ويقابل المنبر دكة المؤذنين وهي على عمد من رخام في غاية الحسن

وبداخل المسجد من جهة الغرب جامع النساء او الجامع الابيض وهو عبارة عن عشر قناطر على تسع سوار في غاية الاحكام بناه الفاطميون . ومن

«١» الجملون من اوضاع العامة وهي تعني السقف المحدب

جهة الشرق جامع عمر وهو معقود بالحجر والجير سمي بذلك لانه بقية من الجامع الذي بناه عمر رضي الله عنه حين الفتح . والى جانب هذا البناء ايوان كبير معقود يسمى مقام عزيز وبه باب يتوصل منه الى جامع عمر وبجوار هذا الايوان من جهة الشمال ايوان لطيف به يسمى محراب زكريا عليه السلام وهو بجوار الباب الشرقي

وفي صحن المسجد الاقصى شمالا بركة مستديرة من رخام سورت بالقضب الحديدية يقال لها الكاس يأتيها الماء بانابيب خاصة من عيون جارية بالقرب من برك المرجيع المسماة ببرك سليمان أهمها عين عطاب ووادي الآبار وغيرهما . ومنها يتوضأ المصلون

ومن الآثار المهمة في الحرم الشريف : البناء السفلي المعقود بالحجر والجير المعروف عند الافرنج باصطبل سليمان عليه السلام وهو عبارة عن مهد عيسى ومحراب مريم والعقود الواسعة التي يقوم عليها المسجد الاقصى . وكذا البراق الشريف وهو في السور الغربي وجامع المغاربة ، والمدرسة النحوية (المعظمية) وفيها اليوم دار كتب المسجد الاقصى وهي من ابنية الملك المعظم (سنة ٦٠٤هـ) ومنبر القاضي برهان الدين بن جماعة ومحرابه وقبة السلسلة وهي شرقي قبة الصخرة وعلى شكلها . صنعت في أيام عبد الملك بن مروان . وقبة المعراج (سنة ٥٩٧ هـ) وسبيل قايتباي (سنة ٨٨٧ هـ) وما يحيط بالحرم الشريف من المدارس القديمة كالمدرسة التنكزية وفيها اليوم المحكمة الشرعية والمدرسة المنجكية وفيها المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى والرباط المنصوري في باب علاء الدين وغير ذلك من الآثار الاسلامية والاماكن التاريخية

(للكلام بقية)

فاتحة كتاب الخلافة — أو الامامة العظمى

بسم الله الرحمن الرحيم

وإذ ابتلى إبراهيمَ رَبُّهُ بكلمات فأتمهنَّ قالَ إنِّي جاعلكَ للناسِ إماماً، قالَ: ومِنْ ذُرِّيتي، قالَ لا ينالُ عَهدي الظالمين (٢: ١٢٣)

وَعَدَ اللهُ الذينَ آمنُوا منكُمْ وعملوا الصالحاتِ لَيَستَخلفنَّهُمْ في الأرْضِ كما استخلفَ الذينَ مِنْ قَبلِهِمْ، وليُمكِّنَنَّ لهُمْ دِينَهُمُ الذي ارْتَضى لهُمْ، وليُبَدِّلَنَّهُم مِنْ بعدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً، يَعبُدُونَني لا يُشركونَ بي شيئاً، ومَنْ كفرَ بعدَ ذلكَ فأولئكَ همُ الفاسقونَ (٢٤: ٣٥)

وَهوَ الذي جعلكُمْ خَلائفَ الأرْضِ وَرَفَعَ بَعضكُمْ فوقَ بعضٍ دَرَجاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فيما آتاكُمْ، انَّ ربَّكَ لَسَريعُ العِقابِ وإنَّهُ لَغَفورٌ رَحيمٌ (٦: ١٦٧)

هدانا الكتاب الحق، والنظر في تاريخ الخلق، الى الاعتبار بخلافة الشعوب بعضها لبعض، في السيادة والحكم في الارض، وبخلافة الافراد والبيوت في الشعوب، وما فيها من حق مشروع وتراث مغصوب، والى ما للرب تعالى فى ذلك من الحكم والسنن الاجتماعية، والاحكام والسنن الشرعية، ومن العهد بالامامة العامة لبعض المرسلين، والوعد بالاستخلاف وإرث الارض لعباده الصالحين

ومن تلك السنن العامة ابتلاء بعض الشعوب ببعض، ليظهر أيها أقوم وأقرب الى العدل والحق، فيكون حجة له على الخلق، ولينتقم من

الظالمين، تارة بأمثالهم من المفسدين، وتارة بأضدادهم من المصلحين ؛ وتكون عاقبة التنازع للمتقين، فالمتقون هم الذين يتقون باب الخيبة والفشل، ويسيرون على سنن الله الشرعية والكونية في العمل ، والصالحون هم الذين يجتنبون الفساد ، ويسلكون سبيل الرشاد ؛ ويقومون ما اعوجّ من امر العباد

عهد الله تعالى بالامامة العامة لنبيه وخليله ابراهيم ، وللعادلين من ذريته غير الظالمين ، (١) فوعد بها قوم موسى من بني اسرائيل ، وقوم محمد من بني اسماعيل ، ، قال تعالى في الوعد الاول (٢٨ : ٤ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) وقال في الوفاء به (٧ : ١٣٦ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا) الآية وقال في الوعد الثاني (٢٤ : ٣٥ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذين ارتضى لهم) الخ وقد صدق الله هذه الامة وعده ووفى لها ،

---

(١) ذكر أبو بكر الجصاص من أئمة الحنفية في القرن الرابع في كتابه (احكام القرآن) ان في قوله تعالى لابراهيم (لا ينال عهدي الظالمين) إجابة لسؤاله أن يجعل من ذريته ائمة وتعريفا له بذلك ، وبان الظالمين منهم لايكونون ائمة . ثم قال فلا يجوز أن يكون الظالم نبيا ولا خليفة لنبي ولا قاضيا ولا من يلزم الناس قبول قوله في امور الدين من مفت أو شاهد او مخبر عن النبي (ص) خبرا فقد افادت الآية ان شرط جميع من كان في محل الائتمام به في امر الدين العدالة والصلاح الخ

وذكر القاضي البيضاوي ان الجملة تفيد اجابة ابراهيم الى ماتمسه وان الظالمين من ذريته لاينالون الامامة لأنها امانة من الله وعهد . وان الفاسق لايصلح للامامة هـ ملخصا والمراد ان امامة غير العدل لاتصح فلايكون اماما شرعيا لانها لاتقع. وقد نقل الجصاص وغيره عن ابن عباس (رض) انه قال : لايلزم الوفاء بعهد الظالم فان عقد عليك في ظلم فانقضه

كما وقع لمن قبلها، ثم سلبها جل ما أعطاها، كما عاقب بذلك سواها، اذ نقضت عهدها كما نقضوا، وفسقت عن أمر ربها كما فسقوا، واغترت بنسبها وبكتابها كما اغتروا، وإنما ناط تعالى إرث الارض، باقامة الحق والعدل، وبالصلاح والاصلاح لامور الخلق، واستثنى من نيل عهده الظالمين، وتوعد بسلبه من الفاسقين، وكان الواجب عليها أن تعتبر بذلك فتثوب الى رشدها، وتتوب الى ربها، عسى أن يرحمها، ويتمّ لآخرها، ما أنجز من عهده لاولها، ولكنها لم تفعل، وعسى أن تفعل

ان المريض الجاهل بمرضه لا يطلب له علاجا، وان من يطلب العلاج من غير الطبيب العارف بمرضه لا يصيب نجاحا، وان داء المسلمين ودواءه مبين في كتابهم المنزل، ولكنهم حرموا على أنفسهم العلم والعمل به، استغناء عنهما بفقه المقلدين وكتبه، ويمكن المسلم بهما مما أرشدهم اليه الكتاب من السير في الارض، للنظر في أمور الامم والاعتبار بسنن الله في الخلق، ولكنهم قلما كانوا يسيرون، واذا ساروا فقلما ينظرون ويعتبرون

الاسلام هداية روحية، وسياسة اجتماعية مدنية، أكمل الله به دين الانبياء، وما أقام عليه نظام الاجتماع البشري من سنن الارتقاء، فأما الهداية الدينية المحضة فقد جاء بها تامة أصلا وفرعا، وفرضا ونفلا، اذ مدارها على نصوص الوحي، وبيان الرسول (ص) لها بالقول والفعل، ولما طرأ الضعف على المسلمين جهلوا هذا الاصل، فغلا بعضهم في الدين، فزاد في أحكام العبادات والمحرمات الدينية، والمواسم والاحزاب والاوراد الصوفية، ما ألفت فيه المجلدات، ويستغرق العمل به جميع الاوقات، ويستلزم جعله من الدين نقصان دين الصحابة والتابعين اذ لم يكن لديهم شيء

منه ، ولو اشتغلوا بمثله لما وجدوا وقتا لفتح البلاد ، واصلاح أمور العباد

وأما السياسة الاجتماعية المدنية فقده ضع الاسلام أساسها وقواعدها ، وشرع للامة الرأي والاجتهاد فيها ، لانها تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وترتقي بارتقاء العمران وفنون العرفان ، ومن قواعده فيها أن سلطة الامة لها ، وأمرها شورى بينها ، وان حكومتها ضرب من الجمهورية ، وخليفة الرسول فيها لا يمتاز في أحكامها على أضعف أفراد الرعية ، وانما هو منفذ لحكم الشرع ورأي الامة ، وأنها حافظة للدين ومصالح الدنيا ، وجامعة بين الفضائل الادبية ، والمنافع المادية ، وممهدة لتعميم الاخوة الانسانية ، بتوحيد مقومات الامم الصورية والمعنوية . ولما طرأ الضعف على المسلمين قصروا في إقامة القواعد والعمل بالاصول ، ولو أقاموها لوضعوا لكل عصر ما يليق به من النظم والفروع ،

ظهرت مدنية الاسلام مشرقة من أفق هداية القرآن ، مبنية على أساس البدء باصلاح الانسان ، ليكون هو المصلح لامور الكون وشؤون الاجتماع ، فكان جل اصلاح الخلفاء الراشدين إقامة الحق والعدل ، والمساواة بين الناس في القسط ، ونشر الفضائل ، وقمع الرذائل ، وابطال ما أرهق البشر من استبداد الملوك والامراء ، وسيطرة الكهنة ورؤساء الدين على العقول والارواح ، فبلغوا بذلك حداً من الكمال ، لم يعرف له نظير في تاريخ الامم والاجيال ، واستتبع ذلك مدنية سريعة السير ، جامعة بين الدين والفضيلة ، وبين التمتع بالطيبات والزينة ، ارتقت فيها العلوم والفنون بسرعة غريبة ، حتى قال الفيلسوف المؤرخ موسيو غوستاف لوبون في كتابه (تطور الامم): إن ملكة الفنون لم تستحكم لامة

من الامم فيما دون الثلاثة الاجيال الطبيعية الا للعرب ، ويعني بالثلاثة الاجيال : الجيل المقلد ، والجيل المخضرم ، والجيل المستقل

لقد أتى على الناس حين من الدهر وهم يظنون أن المدنية الاسلامية قد ماتت وبليت فلا رجاء في بعثها ، وأن المدنية الافرنجية قد كسبت صفة الخلود فلا مطمع في موتها، ثم استدار الزمان، وظهر خطأ الحسبان ، وكثر في حكماء أوربة وعلمائها، من يرتقب اقتراب أجل مدنيتها، بما يفتك بها من أوبئة الافكار المادية ، والروح الحربية ، والمطامع الاشعبية ، والاسراف في الشهوات الحيوانية ، وقد كان من أساطين أهل هذا الرأي شيخ فلاسفة العصر هربرت سبنسر الانكليزي مؤسس علم الاجتماع ، وكثر أهله بعد الحرب الكبرى ، لما ترتب عليها من المفاسد التي لا تحصى ، فقد أرّثت الاحقاد والاضغان بين الشعوب الاوربية ، وضاعفت المفاسد والمشاكل المالية والسياسية ، ولكنها قد هزت العالم الاسلامي والشرق كله هزة عنيفة ، وأحدثت في شعوبه ثورات لم تكن مألوفة ، فسنحت له فرصة للعمل ، هي مناط الرجاء وقوة الامل

إن أعظم مظاهر هذه الفرصة نهضة الشعب التركي من كبوته التي قضت على السلطنة العثمانية ، وتوثيقه عرى الاخاء بين الدولتين الايرانية والافغانية ، وبثه دعوة الاعتصام مع سائر الشعوب الاسلامية الاعجمية ، ونجاحه في إلغاء الامتيازات الاجنبية ، والنقص من سائر القيود والاغلال السياسية والمالية ، فرجاؤنا فيه أن يشد اواخي الاخاء مع الامة العربية ، ويتعاون معها على احياء المدنية الاسلامية ، بتجديد حكومة الخلافة على القواعد المقررة في الكتب الكلامية والفقهية ، وان

لا يرضى بمادون ذلك من المظاهر الدنيوية ، ولا يغتر بتحبيذ عوام المسلمين لما قرره في أمر الخلافة الروحية ، فما أضاع على المسلمين دنياهم ودينهم ، الا تحبيذ دهمائهم لكل ماتفعله حكوماتهم ودولهم ، وناهيك بشعور المسلمين ، الذين يئطون من أثقال حكم المستعمرين، إنه شعور شريف ، وإنما يعوزه الرأي الحصيف، فقد كان السواد الاعظم من هؤلاء الملايين، يرمي من يخالف أهواء السلطان عبد الحميد بالخيانة أو المروق من الدين، وهو السلطان الذي أقنع جمهور ساسة الترك باسقاط سلطة السلاطين، الذي تحمده اليوم هذه الملايين، ومالهم بهذا ولا ذاك من علم ولا سلطان مبين

أيها الشعب التركي الحي! ان الاسلام اعظم قوة معنوية في الارض، وانه هو الذي يمكن أن يحيي مدنية الشرق وينقذ مدنية الغرب، فان المدنية لا تبقى الا بالفضيلة، والفضيلة لا تتحقق الا بالدين، ولا يوجد دين يتفق مع العلم والمدنية الا الاسلام، وانما عاشت المدنية الغربية هذه القرون بما كان فيها من التوازن بين بقايا الفضائل المسيحية ، مع التنازع بين العلم الاستقلالي والتعاليم الكنسية، فان الامم لا تنسل من فضائل دينها، بمجرد طروء الشك في عقائده على اذهان الافراد والجماعات منها، وانما يكون ذلك بالتدريج في عدة اجيال، وقد انتهى التنازع، بفقد ذلك التوازن، وأصبح الدين والحضارة على خطر الزوال ، واشتدت حاجة البشر الى إصلاح روحي مدني ثابت الاركان، يزول به استعباد الاقوياء للضعفاء، واستذلال الاغنياء للفقراء ، وخطر البلشفية على الاغنياء، ويبطل به امتياز الاجناس، لتتحقق الاخوة العامة بين الناس، ولن يكون ذلك الا بحكومة الاسلام، التي بيناها بالاجمال في هذا الكتاب، ونحن مستعدون للمساعدة على تفصيلها، اذا وفق الله للعمل بها،

أيها الشعب التركي الباسل: انك اليوم اقدر الشعوب الاسلامية، على ان تحقق للبشر هذه الامنية ، فاغتنم هذه الفرصة لتأسيس مجد إنساني خالد، لا يذكر معه مجدك الحربي التالد ، ولا يجرمنك المتفرنجون على تقليد الافرنج في سيرتهم ، وأنت اهل لان تكون إماماً لهم بمدنية خير من مدنيتهم ، وما ثم الا المدنية الاسلامية، الثابتة قواعدها المعقولة على أساس العقيدة الدينية ، فلا تزلزلها النظريات التي تعبث بالعمران ، وتفسد نظم الحياة الاجتماعية على الناس .

ايها الشعب التركي المتروي ! انهض بتجديد حكومة الخلافة الاسلامية، بقصد الجمع بين هداية الدين والحضارة لخدمة الانسانية، لا لتأسيس عصبية اسلامية تهدد الدول الغربية، فان فعلت ذلك وأثبت اخلاصك وصحة نيتك فيه، فانك تجد من علماء الافرنج وفضلاء احرارهم من يشد أزرك، ويرفع ذكرك، ويدفع عنك تهم الساسة المفترين ، واغراء الطامعين المغررين

أيها الشعب التركي العاقل : إنني أهدي اليك هذه المباحث التي كتبتها في بيان حقيقة الخلافة وأحكامها ، وشيء من تاريخها وعلو مكانتها، وبيان حاجة جميع البشر اليها، وجناية المسلمين على أنفسهم بسوء التصرف فيها ، والخروج بها عن موضوعها ، وما يعترض الآن في سبيل احيائها، مع بيان المخرج منها ، بما اشرع السبيل ، وأنار الدليل ، بمقال وسط بين الاجمال والتفصيل ، جامع لآراء العارفين بمصالح الدنيا وحقيقة الدين ، فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ، وانما الشكر لها ، بالعمل بها (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)

ذكرى رينان في الجامعة المصرية

محاضرة الشيخ مصطفى عبد الرازق في رينان والافغاني

كلمة المنار في المحاضرة (*

(٣)

﴿ الشاهد السادس ﴾

﴿ من العدد السابع من العروة الوثقى المؤرخ في أول مايو سنة ١٨٨٤ ﴾

موضوع المقالة الاجتماعية لهذا العدد عقيدة (القضاء والقدر) ذكر فيها انها من أصول عقائد الدين الاسلامي التي ارتقى بها المسلمون وكانوا من أعظم الفاتحين ، وانه لولا ماطرأ عليها من الالتباس ببدعة الجبر لما حل بالمسلمين من الضعف والفقر ما حل بهم ، وزعم من زعموا انهـا هي التي كانت سبب ضعفهم وتقهقرهم . وهاك بعض عباراتها في ذلك

«أما مازعموه في المسلمين من الانحطاط والتأخر فليس منشؤه هذه العقيدة ولا غيرها من العقائد الاسلاميـة ، ونسبته اليها كنسبة النقيض الى نقيضه ، بل أشبه ما يكون بنسبة الحرارة الى الثلج والبرودة الى النار . نعم حدث للمسلمين بعد نشأتهم نشوة من الظفر ، وثمل من العز والغلب، وفاجأهم وهم على تلك الحال صدمتان قويتان : صدمة من طرف الشرق وهي غارة التتر من جنكيز خان واحفاده وصدمة من جهة الغرب وهي زحف الامم الاوربية باسرها على ديارهم . وان الصدمة في حال النشوة تذهب بالرأي وتوجب الدهشة والسبات بحكم الطبيعة، وبعد ذلك تداولتهم حكومات متنوعة، ووسد الامر فيهم الى غير أهله، وولي على أمورهم من لايحسن سياستها ،فكان حكامهم وأمراؤهم من جراثيم الفسـاد في أخلاقهم وطباعهم، وكانوا مجلبة لشقائهم وبلائهم، فتمكن الضعف من نفوسهم

وقصرت انظار الكثير منهم على ملاحظة الجزئيات التي لاتتجاوز لذته الآنية، وأخذ كل منهم بناصية الآخر يطالب له الضرر ويلتمس له السوء من كل باب، لا لعلة صحيحة ولا داع قوي، وجعلوا هذه ثمرة الحياة فآل الامر بهم الى الضعف، والقنوط وأدى الى ما صاروا اليه

«ولكني أقول وحق ما أقول: ان هذه الملة لن تموت ما دامت هذه العقائد الشريفة آخذة مأخذها من قلوبهم، ورسومها تلوح في أذهانهم، وحقائقها متداولة بين العلماء الراسخين منهم. وكل ماعرض عليهم من الامراض النفسية والاعتلال العقلي فلا بد أن تدفعه قوة العقائد الحقة ويعود الامر كما بدأ، وينشطوا من عقالهم، ويذهبوا مذاهب الحكمة والتبصر في انقاذ بلادهم، وارهاب الامم الطامعة اليهم وايقافها عند حدها» اهـ

الشاهد السابع

﴿ من العدد الثامن المؤرخ في ٢٢ مايو سنة ١٨٨٤ ﴾

موضوع المقالة الاجتماعية في هذا العدد المقابلة بين ماضي المسلمين وحاضرهم في العلم والعرفان، والسيادة والسلطان، والقوة الحربية، البرية والبحرية، وبيان سبب ما كان من الارتقاء الماضي، والحدور والضعف التالي، فذكر ان علة علل الضعف تفرق السلطة وتعدد المملكة، وتنازعهم الذي فرق الكلمة، حتى شغلوا بأنفسهم عن أعدائهم ثم صاروا ينصرون اعداءهم على أنفسهم، استعانة بهم على استبقاء سلطانهم، والتفوق على أقرانهم من اخوانهم،

قال في هذا السياق «أما وعزة الحق وسر العدل، لو ترك المسلمون وأنفسهم بما هم عليه من العقائد مع رعاية العلماء العاملين منهم، لتعارفت أرواحهم، وائتلفت آحادهم، ولكن وا أسفاه، تخللهم أولئك المفسدون الذين يرون كل السعادة في لقب أمير أو ملك ولو على قرية لا أمر له فيها ولا نهي

« هؤلاء هم الذين حولوا أوجه المسلمين عما ولاهم الله وخرجوا على ملوكهم وخلفائهم ، حتى تناكرت الوجوه واختلفت الرغائب

ثم قال في الخاتمة « إن القرآن حي لا يموت ، ومن أصابه نصيب من حمده فهو محمود ، ومن أصيب بسهم من مقته فهو ممقوت ، كتاب الله لم ينسخ فارجعوا اليه وحكموه في أحوالكم وطباعكم وما الله بغافل عما تعملون . ولعل أمراء المسلمين قد وعظوا بسوء منقلبة أعمال السالفين ، وهموا بالإفاقة أمرهم ، قبل أن يقضي عليهم ، بما رزىء به المفرطون من قبلهم » الخ

الشاهد الثامن

﴿ من العدد التاسع المؤرخ في ٥ يونيه سنة ١٨٨٤ ﴾

موضوع المقالة الاجتماعية لهذا العدد ، ما يجب من التعاون على طلب السيادة والغلب ، واتقاء سوء المنقلب ، ومما جاء فيها :

« ان الميل للوحدة والتطلع للسيادة ، وصدق الرغبة في حفظ حوزة الاسلام ، كل هذه صفات كامنة في نفوس المسلمين قاطبة ، ولكن دهاهم ما أشرنا اليه في أعداد ماضية . فألهاهم عما يوحي به الدين في قلوبهم » الخ

الشاهد التاسع

﴿ من العدد العاشر المؤرخ في ١٩ يونيه سنة ١٨٨٤ ﴾

موضوع المقالة الاجتماعية لهذا العدد : الامل الذي يبعث على العمل ، وطلب المجد المؤثل ، واليأس المميت للهمم ، والقاتل للامم ، وفيها الحجج من آيات القرآن ومن العقل والوجدان ، على أن اليأس لا يجتمع مع الايمان في قلب إنسان ، وحث المسلمين عامة والعلماء خاصة على الرجوع الى هداية الكتاب والعمل بها وهي الضامنة لهم إعادة ملكهم ، واسترجاع مجدهم .

وفيها مقال آخر عنوانه (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم) ولا يخلو من شاهد ولكننا نود الاختصار

الشاهد العاشر

﴿ من العدد الخامس عشر المؤرخ في ١١ سبتمبر سنة ١٨٨٤ ﴾

في هذا العدد عدة مقالات اجتماعية اصلاحية اسلامية في كل منها شواهد على مانحن بصدد بيانه من حصر السيد جمال الدين كل ما يبغيه المسلمون من عز ومجد وحضارة وسيادة في هداية دينهم نكتفي منها بالكلمة الآتية التي نجعلها خاتمة الشواهد وهي :

«لو تدبرنا آيات القرآن واعتبرنا بالحوادث التي ألمت بالممالك الاسلامية . لعلمنا أن فينا من حاد عن أوامر الله وضل عن هديه، ومنا من مال عن الصراط المستقيم الذي ضرب به الله لنا وأرشدنا اليه، و بيننا من اتبع أهواء الانفس وخطوات الشيطان .(ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله سميع عليم) فعلى العلماء الراسخين وهم روح الامة وفؤد الملة المحمدية أن يهتموا بتنبيه الغافلين عما أوجب الله ، وايقاظ النائمة قلوبهم عما فرض الدين، و يعلموا الجاهل، و يزعجوا نفس الذاهل ، و يذكروا الجميع بما أنعم الله به على آبائهم، و يستلفتوهم الى ما أعد الله لهم لو استقاموا ،ويحذروهم سوء العاقبة لو لم يتداركوا أمرهم بالرجوع الى ما كان عليه النبي وأصحابه ، و رفض كل بدعة ، والخروج عن كل عادة سيئة لا تنطبق على نصوص الكتاب العزيز ، و يقصوا عليهم أحوال الامم الماضية وما نزل بها من قضاء الله عند ما حادت عن شرائعه ونبذت أوامره، فاذاقهم الخزي في الحياة الدنيا . لعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون»

« على العلماء أن يزيلوا اليأس بتذكير وعد الله — ووعده الحق — في قوله (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) هذه

وظيفة العلماء الراسخين وما هم بقليل بين المسلمين ولا نظنهم يتهاونون فيما فوض الله اليهم ووكل الى ذمتهم، وهم أمناء الدين وحملة الشرع ورافعو لواء الاسلام وأوصياء الله على المؤمنين، أعانهم الله على خير أعمالهم، ونفع المؤمنين بارشادهم»

خلاصة الكلام في السيد جمال الدين

قد علم من هذه الشواهد صحة ما حققناه من أن السيد جمال الدين الافغاني كان يعتقد اعتقادا راسخا أن الاسلام هو الذي أحيا الامة العربية الامية التي كانت بعيدة عن الحضارة وجعلها بارشاد القرآن المنزل ، وهدي النبي المرسل، وسيرة السلف الاول ، أرقى أمم الارض علما وحكمة وحضارة ، وأن كل مايذمها به رينان اليوم فسببه محصور في تركها لتلك الهداية، لا من العمل بها، ولا غرو فان بقاء الشيء ببقاء سببه وعلته ، وأن الامة العربية هي التي أحيت كثيرا من الشعوب الاعجمية وأنقذتهم من الذل والمهانة التي كانوا يسامونها من ملوكهم وكهنتهم ، وأن هؤلاء الاعاجم هم الذين تغلبوا على الحضارة العربية بالقوة الوحشية حتى هدموها ، وانه لايمكن أن يعود للمسلمين مجدهم وحضارتهم وعلمهم وحكمتهم الا برجوعهم الى هداية دينهم

فسقط بهذا كل ماقاله رينان وعلم به خطأ استنتاج الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق مما فهمه من كلام السيد أنه تطور بعد زيارته لباريس في أواخر سنة ١٨٨٣ وتغير رأيه في الاسلام فصار يعتقد أنه مناف للعلم والحضارة

الرد على رينان

بعد هذا نلخص ما أورده الشيخ مصطفى من طعن رينان في الاسلام نفسه ونبين بطلانه بغاية الايجاز، من غير خروج عن الموضوع ولا استطراد فنقول

(١) « بدأ رينان محاضرته بالنظر فيما عليه المسلمون في هذا العصر من الانحطاط في العلم والمدنية وملاحظة اتصال ذلك بالدين » كما قال صاحب

المحاضرة. ثم نقل عنه أنه زعم أن هذه الدول الاسلامية المنحطة في هذا العصر لا تستقي معارفها وآدابها من غير الدين - وأن الذين زاروا الشرق استرعى نظرهم ما يحمل المؤمن الصادق الايمان لا ينجو من ضيق العقل ، وأن الطفل الذكي النبيه اذا لقي دينه في سن العاشرة أو الثانية عشرة انقلب متعصبا يملؤه زهو طائش بما يزعم أنه الحقيقة المطلقة

والجواب عن هذا أننا لا ننكر انه يغلب على المسلمين الجهل وضيق العقل في هذا العصر ، وانما ننكر أن سبب هذا ما لقنوه من أصول دينهم وآدابه ، بل سببه الحق عدم تلقين عامتهم اياه ولا تربيتهم على ذلك وحمل طلاب العلم منهم على التقليد الذي أجمع أئمة دينهم على أنه ينافي العلم، وعبروا عنه بالجهل، واختلفوا في ايمان المقلد فبعضهم قال أنه لا يعتد به وهم أكثر المتقدمين، وقال بعض آخر إنه يصح اذا اتفق انه لقن الحق وجزم به، واحتج من لا يقول بصحة ايمان المقلد ولا يعتد بدينه بما شنع القرآن على التقليد والمقلدين وجعل التقليد منافيا للعلم والعقل بمثل قوله (٢ : ١٦٩ واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون)

(٥ :١٠٧ واذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون)

دع الآيات الكثيرة الناطقة بالمطالبة بالبرهان وبالعلم وبعدم الاعتداد بالظن في الحق وسواء كان إيمان المقلد صحيحا أو غير صحيح ، فان الجاهلين من رؤساء المسلمين لم يجنوا عليهم جناية أضر عليهم في دينهم ودنياهم من نسخ ماشرعه الله وفرضه من العلم بالبرهان، واستبدالهم اياه التقليد الاعمى الذي ألزمهم قبول كل قول ينتسب صاحبه الى المذهب الذي ينتمي اليه قوم الناشىء أو عشيرته، اذ أدى ذلك الى أخذ السواد الاعظم من المسلمين وهم الاميون بالرغم من بعثة رسولهم لابطال الامية بقول آبائهم وأمهاتهم وما عليهم من الجهل والخرافات بل غلب عليهم التقليد في علوم الدنيا وفنونها وصنائعها حتى صاروا عالة على غيرهم في كل شيء

ان فلسفة رينان، وعلمه النزر بالتاريخ وتعاليم الاديان، وجهله المطلق بالقرآن، تحول دون فهمه لهذه الحقيقة حتى بعد تنبيه السيد جمال الدين اياه لها ، كما فهمها غوستاف لوبون وسديو من علماء قومه وكثير من علماء الشعوب الغربية الاخرى

(٢) شتمة للمسلمين ونبزهم بالقاب الزهو والطيش والحمق والغرور والتعصب لاعتقادهم أن دينهم هو « الحقيقة المطلقة » (قال) هذا الغرور الاحمق هو اكبر عيوب المسلم وما يلوح من بساطة دينه يلهمه احتقارا لسائر الاديان غير وجيه

وجوابنا عن هذا : هل جهل الفيلسوف ان كل ذي دين يعتقد أن دينه هو الحقيقة المطلقة ؟ أم بلغ من عقله وفلسفته أن يظن أن المؤمنين بالاديان ينظرون اليها بالاعين التي ينظره بها امثاله من المعطلة فيرون أنها كالعادات القومية تحترم كلها مجاملة، ويستهجن منها كلها ما يستهجن فلسفة ؟ وإذن يجب أن يكون الناس كلهم فلاسفة مثله! ولكن من يرى هذا فاجدر به أن يكون جاهلا غبيا لا فيلسوفا

هذا وان المسلمين أعلى أهل الملل كلها آدابا في مخاطبة المخالفين لهم في الدين ، ومراعاة لشعورهم في التعبير عن دينهم ، وأصدقهم في النقل عنهم ، فان كابرنا في هذا أحد فليأتنا بانكر ما ينكرونه على علمائنا في الرد على المخالفين لهم عامة ، وعلى النصارى منهم خاصة ، ونحن نأتيه بامثلة مما كتب أعظم رجال الدين ورجال الدنيا من الاوربيين في الكذب والبهتان على الاسلام والايذاء لاهله بأشنع المطاعن البذيئة ، يعلم بها الفرق

لقد بلغ من علو آدابنا الدينية وتنزهنا عن التعصب المذموم - دون المحمود - أن أفتى بعض فقهائنا بتحريم مخاطبة الذمي والمعاهد بلقب الكافر اذا كان يتأذى به، لان الله تعالى حرم ايذاءهم ولان وصف القرآن اياهم بالكافرين لم يكن سبا ولا شتما بل بيان لعدم ايمانهم بما شرعه من تصديق رسله (ص) بازاء الالفاظ في اللغة وهو لفظ الكفر المرادف للتغطية والستر، كما سمى الزراع كفارا في قوله تعالى (كمثل غيث أعجب الكفار نباته) لانهم يكفرون الحب الذي يزرعونه بالتراب. ويطلق لفظ الكافر في لغتنا على الليل وعلى البحر

باب المراسلة والمناظرة

﴿ تهورات أدعياء العلم في الموصل ﴾

لاحد العلماء الاعلام

ولو أني بليت بهاشمي خؤولته بنو عبد المدان
لهان علي ما ألقى ولكن تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

ما أكثر الادعياء أدعياء العلم والادب في هذا العالم ، وما أعظم افسادهم لسنن السكون وتكديرهم صفو الحياة ؟

كل يوم تقرع صفا اسماعنا أخبار الغوائل والبوائق التي تصدر منهم والشرور التي يأتونها ، والمخازي التي يرتكبونها ، والمحارم التي يستحلونها . وهم دائبون في ذلك آناء الليل واطراف النهار لا يردعهم رادع من دياناتهم ، ولا يزعهم وازع من أنفسهم ، أولئك الذين لا هم لهم في حياتهم الا اصطياد طائر الرزق من منصب يجلسون على منصته و يطلبون به الجاه والدنيا . ووظيفة ينالون بها مطامع أنفسهم الخبيثة . المطبوعة على الطبع والدنس وارتكاب الرذائل والدنايا

وليس لهم هم بغير رئاسة وما همهم الا صدور المناصب

طرق سمعنا قبل أيام نبأ حادثة صدرت من بعض الادعياء المتقمصين بثياب أهل العلم ، والمتردين باردية أهل الزهد من أهل الموصل . فلم نثق به ولم نؤمن لانه نبأ لو تعلمون عظيم ، ذلك النبأ هو تكفير أعظم علماء الاسلام واجلهم قدرا وأرفعهم ذكرا . الا وهو المجدد العظيم والمصلح الكبير محيي الدين وفيلسوف الاسلام الامام تقي الدين أبو العباس احمد ابن تيمية رضي الله عنه والامر باحراق بعض كتبه ومؤلفاته التي تمزق حجب الاوهام والشكوك ، وتبدد سحب الضلالة المتلبدة في سماء الافكار ، وتنقي العقائد من الشوائب . وتهدي للتي هي أقوم . حتى ورد كتاب من ثقة في الموصل الى أديب موصلي يذكر فيه تلك الحادثة وتلك العثرة التي لا يقال لصاحبها لعا . ومما جاء فيه :

من عشرين يوما وردت الى احد العلماء مجموعة في فلسفة الدين من تأليف الامام ابن تيمية مطبوعة في المنار على نفقة احد التجار الاخيار وفقأ لله تعالى . وقد حصل في الموصل لتوزيعها تأثير شديد خاصة على من لم يوافقهم نبذ الخرافات حتى آل الامر الى اجتماع بعض من يدعي العلم بذلك الفاضل الذي وردت اليه الرسائل (في دار النقيب) والكلام معه بجمعها واحراقها وتكفير صاحبها ولعنه على المنابر . وبعد القرار قصروا عن جمعها واحراقها خوفا من الفتن والقلاقل لان بعض الاهالي المهذبين ، والشبان المتنورين . كانوا مناصرين لنشرها ومعارضة من يمد يده اليها بسوء » الخ . فانظر رعاك الله الى هذه الفعلة الهمجية هل رأيت أو سمعت عن البربر باتيان مثلها بل بارتكاب امر أقل منها خطرا ؟

متى كانت كتب الدين وفلسفته التي تأمر باتباع الكتاب والسنة وتنهى عن البدع والمنكرات تحرق ويلعن اصحابها فوق المنابر ؟ ولا سيما مثل كتب المجدد الاعظم امام الائمة تقي الدين احمد بن تيمية الذي أحيا الدين ونشر أعلامه على ربوع الاسلام، وتلقت أقواله الناس بالقبول وأخذت بها ورجعت اليها في كل عصر ومصر . وأكبر دليل على ذلك وأعظم برهان هو اقبال الناس على طبع كتبه في مصر والهند والعراق وسورية وقازان وغيرها (وأهل قازان اليوم يتبعونه بدلا من اتباع الامامين الاشعري والماتريدي كما يعلم من الكتاب الذي ألفه أحد علمائهم الاعلام بلغة (الجاغتائي) وقد سماه بابن تيمية حتى إن بعضها نفد وأعيد طبعه ومنها هذه الرسائل التي يأمر الادعياء بحرقها. طبعها بعض كرام المصريين وأفاضلهم فنفدت بمدة وجيزة فازداد اشتياق المهذبين الذين هداهم الله الى نبذ التقاليد القديمة التي وجدوا عليها آباءهم وتمسكوا بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها. فطبعها بعض التجار الابرار مع رسائل أخرى في التوحيد والاصلاح وفقأ لله تعالى باشهر مطبعة اسلامية ألا وهي مطبعة المنار، لاعظم رجل مصلح الا وهو العلامة رحلة أهل الآفاق السيد محمد رشيد رضا، في أعظم بلدة اسلامية وفي منبع العلوم والعرفان ومحط الاجلة الاعلام وفطاحل الاسلام ، الا وهي مصر ، ولم نر أحدا رأى فيها مايضر

بالدين أو قام بمعارضتها، والرد عليها وحكم بكفر صاحبها، ولعنه على المنابر، ولو كان فيها شيء من ذلك لكان الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي أولى بالمعارضة والرد، وهو الذي وقف محياه ومماته لله رب العالمين، في سبيل اصلاح المسلمين، والذب عن الاسلام ورد أباطيل المفترين على الدين المبين.

عجيب وأيم الحق! يرتضيها الائمة الاعلام، وجهابذة الاسلام. ويتقبلونها قبولا حسنا، ويأخذون بها ويرجعون اليها في كل عصر ومصر، وتتذمر منها شرذمة جاهلية تدعي العلم، وليست منه ولا قلامة ظفر، فتقوم لها وتقعد، وتبرق وترعد، وتهذي وتعوي، وتصرخ وتهرج

غيرة عظيمة منكم أيها الادعياء على الدين: تتذمرون من كتب التوحيد والاصلاح وتنهون عن مطالعتها، وتأمرون بحرقها، وتكفرون أصحابها على المنابر، والمبشرون اليوم أخذوا ينشرون الرسائل بين ظهرانيكم ويدعون شبانكم الى دين النصرانية، ويبثون الدعوة الى دين التثليث، ونشروا منها ما نشروا في المدارس الابتدائية والكتاتيب قبل بضعة أيام، وأنتم غاضون راضون: صم بكم عمي لا تتكلمون، ولا نرى أحدا منكم ينبس ببنت شفة امامهم ويرد مطاعنهم ويذب عن الدين الحنيف وينتصر له

وهم يشهدون الطعن في دين أحمد	وما منهم من غاضب أو معاتب
وتنظرهم ما بين كاس وطاعم	وتشهدهم ما بين لاه ولاعب
فمن كان منهم غائبا مثل حاضر	ومن كان منهم حاضرا مثل غائب
وليس لهم همّ بغير رئاسة	وما همهم الا صدور المناصب

اذا كنتم أيها الادعياء تزعمون أنكم من خيل حلبة الفضل، وكماة ميدان العلم والاصلاح، فاكتبوا ردا عليها وادعموه بما عندكم من الدلائل — ولا أراكم قادرين — فانا نجيبكم ان شاء الله تعالى على كل ما ترونه في نظركم القاصر مضرا أو نبين لكم خطأكم وجهلكم بالدليل والبرهان، فأي حاجة بعد الى الصراخ والعواء، والارعاد والابراق والسب والشتم، ومجاوزة الحد في سوء الادب، وتوسيع الدائرة

في لعن العلماء الذين أحيوا الدين وجددوه، وتحريق كتبهم الهادية الى سواء السبيل؟

فهل يعمد الى السب والشتم واللغو والهذر إلا عاجز جاهل عيي أو صاحب هوى يريد أن يفرق كلمة المسلمين ويشتت شملهم ويضعف قواهم في هذا اليوم الايوم؟ اليوم الذي نحن في حاجة كبيرة فيه الى جمع الكلمة وتأليف بين المسلمين الذين فرقهم أهل الاهواء والمطامع، وعبدة الدينار والدرهم، وعباد الملوك والسلاطين الجائرين « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا » (بغدادي)

(المنار) ان محاولة بعض الموصوفين بالعلم جمع بعض الكتب التي لا ترضيهم من أيدي أهلها وإحراقها ولعن مؤلفيها - فضيحة من أقبح فضائح الجهل والغباوة والعصبية العمياء ، وأمثال هؤلاء هم حجة رينان وأمثاله على الاسلام والمسلمين، وهم الفئة التي كانت سبب ارتداد كثير من المتعلمين عن الدين ، ومن لطائف المصادفات ان اضطررنا الى تأخير نشر هذه الرسالة حتى اتفق وضعها في اثر الرد على الفيلسوف رينان ومن شبهاته ما لم يبين تحقيق الحق ومفاسد التلبيس فيه أحد من أئمة المسلمين كما بينها شيخ الاسلام ابن تيمية كمسالة القدر التكويني والتشريعي وما يجب الرضى به من الاول وما يجب كرهه ومقاومته (وسيأتي في الجزء الآتي) فنحن لا نقول لهؤلاء الذين كادوا يجعلون اسم الموصل سبة في التاريخ لو نفذ رأيهم الافين :- إنكم أخطأتم لان هذه الكتب من الكتب النافعة ، بل نقول لهم إنكم في بلاد فيها اديان ومذاهب مختلفة وآراء متباينة ، فاذا ساغ لكل من أهلها أن يحرق ما يخالف اعتقاده أو رأيه من كتبها لم يبق فيها كتاب ديني ولا علمي ولا أدبي ولا تاريخي واذا ساغ لكم هذا وحدكم فمن أنتم؟ وبأي سلطان استبدادي تحكمون، وحكومتكم أباحت الطعن في دينكم وكتابكم ونبيكم وأنتم راضون ساكتون؟ ان ما حاولتم لا يتم الا لحكومة شخصية مستبدة كحكومة اسبانية في القرون الوسطى وحكومة الحجاز في هذا العصر . فانها هي التي تمنع أمثال هذه الكتب النافعة ، واما بلادكم فلا يفوز فيها بعد اليوم الا ذو العلم الصحيح فتعلموا والا ضاع دينكم ودنياكم.

﴿ تظاهر العقل والشرع ﴾

اعلم ان العقل لن يهتدي إلا بالشرع والشرع لن يتبين إلا بالعقل والعقل كالاس والشرع كالبناء ولم يثبت بناء مالم يكن اس ولم يغن اس مالم يكن بناء. وأيضاً العقل كالبصر والشرع كالشعاع ولن ينفع البصر مالم يكن شعاع من خارج ولن يغني الشعاع مالم يكن بصر . فلهذا قال الله تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين *يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه) وأيضا فالعقل كالسراج والشرع كالزيت الذي يمده فما لم يكن زيت لم يشعل السراج وما لم يكن سراج لم يضيء الزيت وعلى هذا نبه بقوله تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره الى قوله - نور على نور) وأيضا فالشرع عقل من خارج والعقل شرع من داخل وهما يتعاضدان بل يتحدان ولكون الشرع عقلا من خارج سلب الله إسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن نحو (صم بكم عمي فهم لا يعقلون) ولكون العقل شرعا من داخل قال تعالى في صفة العقل (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فسمي العقل ديناً ولكونهما متحدين قال (نور على نور) أي نور العقل ونور الشرع ثم قال (يهدي الله لنوره من يشاء) فجعلهما نورا واحدا ، فالعقل اذا فقد الشرع عجز عن أكثر الامور كما تعجز العين عند فقد النور

واعلم ان العقل بنفسه قليل الغناء لا يكاد يتوصل الى معرفة كليات الشيء دون جزئياته نحو انه يعلم جملة حسن اعتقاد العقل (؟) وقول الصدق وتعاطي الجميل وحسن استعمال المعدلة وملازمة العفة ونحو ذلك من غير أن يعرف ذلك في شيء شيء ، والشرع يعرف كليات الشيء وجزئياته ويبين ما الذي يجب أن يعتقد في شيء شيء وما الذي هو معدلة في شيء شيء ،ولا يعرف العقل مثلا ان لحم الخنزير والخمر محرمان وانه يجب أن يتحاشى من تناول الطعام في وقت معلوم وأن لا ينكح ذوات المحارم وانه لا يجامع المرأة في حال الحيض فان أشباه ذلك لا سبيل اليها إلا بالشرع فالشرع نظام الاعتقادات الصحيحة ، والافعال

المستقيمة والدال على مصالح الدنيا والآخرة من عدل عنه فقد ضل سواء السبيل، ولاجل أن لا سبيل للعقل الى معرفة ذلك قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال (ولو انا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى) والى العقل والشرع أشار بالفضل والرحمة بقوله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا) وعني بالقليل المصطفين الاخيار ويصدقه ما روى عنه الامام عليه أفضل السلام: العقل عقلان مطبوع ومسموع ، ولا ينفع المسموع مالم يكن مطبوع كما لا ينفع نور الشمس ونور العين ممنوع وقد ظهر مما ذكر ان أصحاب العقل قليل جدا وان من لم يهتد لنور الشرع ولم يطابقه عقله فليس من ذوي العقول في شيء، وان العقل فضل من الله ونور كما ان الشرع رحمة من الله وهدى ، وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ويهدي الله لنوره من يشاء (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور * والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

النجف (عبد المولى آل طريح قدس سره)

﴿ تقريظ المطبوعات الجديدة ﴾

﴿ مختصر شعب الايمان ﴾ — كتاب شعب الايمان للحافظ أبي بكر احمد البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ من أجل كتب السنة قدرا ، وأشهرها ذكرا ، وهو كبير يتألف من ستة مجلدات ، ولكن شعب الايمان التي صح الحديث بأنها بضع وسبعون متفرقة في ذلك الكتاب الكبير ، غير مجموعة في مكان منه محصية بالعدد ، ليتمكن من حفظها أو الاحاطة بها كل أحد ، من غير تكلف ولا بذل جهد ، فاستخرجها منه الشيخ أبو جعفر عمر القزويني المتوفى سنة ٦٩٩ وجمعها في كتاب وجيز معدودة عدا ، مكتفيا بالاستدلال أو الاستشهاد على كل منها بآية من كتاب الله ، أو بحديث من أصح ماروي فيه على الاقل ، وربما زاد في بعض الشعب آية أو آيات ، أو حديثا أو كلمات ، أو حكاية أو حكايات ، أو بيتا أو

أبيات ، كما قال . وسماه مختصر شعب الايمان .

طبع هذا المختصر بمطبعة السعادة على ورق جيد بقطع المنار مع تعليق عليه لاخينا السلفي الشهير الشيخ محمد منير أحد علماء الازهر الشريف فبلغت صفحاته ٩١ صفحة وهو يطلب منه ومن مكتبة المنار وثمن النسخة منه ستة قروش صحيحة فنحث كل قارىء على اقتنائه ومطالعته

﴿ تلبيس إبليس ﴾ كتاب جليل القدر كبير الفائدة للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في الارشاد الى التزام هداية الشرع باتباع أهل السنة والجماعة، والتنفير عن البدعة والضلالة. و بيان مناشيء الباطل والضلال ، بما يلبس به الشيطان على الناس ، حتى يوهم كل فريق منهم بأنهم على الحق . أو بأن الخير والنفع لهم فيما هم عليه دون غيره . ومباحثه تدخل في ١٣ بابا (١) في الامر بلزوم السنة والجماعة (٢) في ذم البدع و المبتدعين (٣) في التحذير من فتن إبليس ومكايده (٤) في معنى التلبيس والغرور (٥) في تلبيسه في العقائد والديانات وفيه الكلام على الملل والنحل والمذاهب والفرق (٦) في تلبيسه على العلماء في فنون العلم ويدخل في العلماء المحدثون والمتكلمون والفقهاء والوعاظ والادباء وغيرهم (٧) في تلبيسه على الولاة والسلاطين (٨) في تلبيسه على العباد في فنون العبادات (٩) في تلبيسه على الزهاد (١٠) في تلبيسه على الصوفية (١١) في تلبيسه على المتدينين بما يشبه الكرامات (١٢) في تلبيسه على العوام (١٣) في تلبيسه على جميع الناس بطول الامل

طبع الكتاب في مطبعة السعادة بقطع المنار ونوع حروفه فبلغت صفحاته ٤٤٠ مع الفهرس وجعل الاسم الاول له (نقد العلم والعلماء) وعني بتصحيحه أخونا الشيخ محمد منير الدمشقي السلفي من علماء الازهر وهو يطلب منه ومن مكتبة المنار وغيرها وثمن النسخة منه ١٦ قرشا صحيحا . فننصح لكل قارىء بمطالعته

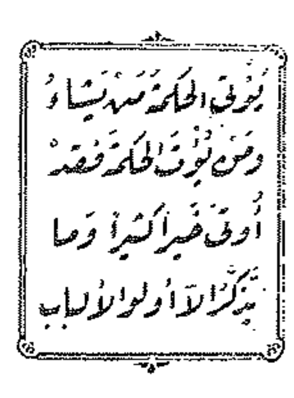
﴿ هدي الرسول ﴾ مختصر وجيز لكتاب (زاد المعاد في هدي خير العباد) الذي هو اشهر كتب المحقق ابن القيم الممتازة بين كتب اكبر علماء الاسلام في بيان ما صح في السنة ومع حكمته وموافقته لمصالح البشر . وهو مجلدان كبيران في السيرة النبوية وحكمها وأحكامها وهدي الرسول (ص) في

العبادات والمعاملات والآداب ينبغي لكل مسلم ولكل من يحب أن يعرف الاسلام أن يقرأه كله ، وهو مطبوع في مصر وفي الهند ، فاحب الشيخ محمد ابو زيد أن يختصره لرغبة اكثر الناس في هذا العصر عن قراءة المطولات من كتب الدين ولا سيما اذا كان طبعها غير حسن وورقها غير جيد فاختصره اختصارا موجزا في مائتي صفحة ونيف من قطع المنار مع تعليقه بعض الحواشي المناسبة لحال العصر في مواضع منه ، وافتتحه بخطبة بين فيها مكانة الاصل ووجه الحاجة الى اختصاره والحث على إيثاره على كتب الفقه المتداولة وذم هذه الكتب وطرق تعليمها وتعلمها في الازهر وما يتبعه من معاهد التعليم الديني ، وبالغ في ذلك بما انتقدناعليه بعضه وبعض تعليقه — وان كان متبعا فيه للمنار لامبتدئا — بانه لم يراع فيه الحكمة والموعظة الحسنة في الكلام مع علماء هذه المعاهد وهو يطلب منهم تدريس مختصره فيها ، فهل هو يرجو منهم اجابة طلبه بهذه الصفة ، أم لا يقصد به الا اقامة الحجة عليهم ؟ على أن في كلامه انكار ما ليس بمنكر كتقسيم الفقهاء ألفاظ الطلاق الى صريح وكناية فقد جعله مما لا يكلف الله أحدا من الناس اتباعه. فهل ينكر أن في اللفظ صريحا وكناية أم يقول أن حكمهما واحد؟ فاذا قال الرجل لامرأته أنت طالق ، أو قال امرأتي طالق ، ايفتي بوقوع الطلاق عليه أم لا ، واذا كان قاضيا وثبت ذلك عنده بالاقرار أو البينة في دعوى رفعتها المرأة ايحكم بالطلاق أم يقبل قول الزوج إنه لم ينو به طلاقا ؟ واذا قال الرجل لامرأته : الحقي بأهلك — أو اذهبي الى بيت أبيك — وقال لم انو به الطلاق بل نويت ارسالها للزيارة أو لتكون هنالك مدة اعساري أو سفري مثلا — ايفتي ويحكم بوقوع الطلاق عليه والحالة هذه ؟ أم لا يفتي ولا يحكم بذلك وان قال نويت به الطلاق ؟ الصواب ان هذا التقسيم مما يتوقف عليه العمل باحكام الطلاق الثابتة في الكتاب والسنة والاجتهاد في بعض مسائله من قبيل الاجتهاد في معرفة القبلة

وقد عني جماعة من العلماء بطبع الكتاب في مطبعة المنار طبعا حسنا على ورق حسن. فنحث القراء على مطالعته وعسى أن يبعث ذلك هممهم على مطالعة أصله . وهو يطلب من مكتبة المنار بمصر وثمن النسخة منه ١٠ قروش .

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

٢٩ ذي القعدة ١٣٤١ — ٢١ السرطان (ص٢) سنة ١٣٠٢ هش ١٤ يوليه ١٩٢٣

فتاوى المنار

التصرف فى الكون

(وحكم من ادعى ان الله اعطى حق التصرف فى ملكه للسيد البدوي)

(س ٢١)

جاء في عدد جريدة الاهرام التي صدرت في ٢٤ ذي القعدة و٩ يوليو تحت عنوان « افتونا برأيكم » رسالة من مراسلها في بركة السبع هذا نصها

« حدث امس في جامع الدبابة نزاع بين المصلين سببه أن امام البلدة عند الصلاة في خطبة الجمعة قال : ان الله سبحانه وتعالى اعطى السيد احمد البدوي حق التصرف بملكه العزيز

« فقاطعه استاذ آخر وقال له انه كاذب اذ انه طبقا لشريعة الاسلام لا يكون لله شريك

« فترتب على ذلك قطع الصلاة بضع دقائق حصل في فترتها نزاع بين المصلين ولما وصل ضابط بوليس بركة السبع افهمهم ان المسألة دينية لا تستلزم الا الاستفتاء وتمكن من اصلاح ذات البين بين الاستاذين فاستحق حضرته ثناء الحاضرين . فما رأي اصحاب الفضيلة العلماء في هذا الخلاف في الرأي اهـ

وقد طلب منا بعض علماء الازهر وغيرهم أن نجيب عن هذا السؤال فنقول و بالله التوفيق ونسأله الهداية للصواب

الجواب

المراد بالتصرف في الكون ان الله تعالى قد وكل أمور العالم الى بعض

الصالحين،من الاحياء والميتين فهم يفعلون في الكون ماشاؤابالخوارق لا بالاسباب المشتركة العامة من بسط الرزق لبعض الناس وقدره أي تضييقه على بعض . ومن شفاء المرضى، واحياء الموتى واماتة بعض الاصحاء الذين ينكرون عليهم أو الذين يستعديهم عليهم بعض زوارهم ، والمتقربين بالنذور والهدايا لاضرحتهم . وغير ذلك من أمور الناس وامور الكون كالرياح والبحار والجبال والحيوان والنبات . كما حكي عن بعضهم انه مد رجله مرة وقال: ان سفينة خرقت في البحر واشرفت على الغرق فاستغاث به بعض راكبيها فمد رجله وسد بها ذلك الخرق ، وذكروا ان ذلك المستغيث رأى عقب استغاثته رجل الشيخ قد سدت ذلك الخرق ونجت السفينة

وسمعت مرة امرأة تستصرخ المتبولي وتستغيث به بوجد وجؤار تستعديه على رجل آذاها « تحيله عليه » لينتقم منه .فقلت لها لماذا لم تطلبي من الرب تعالى ان يجازيه؟فقالت ما معناه: ان الله يمهل والمتبولي لا يمهل واستدلت على ذلك بان رجلا سرق فسيخة فأحال عليه صاحبها المتبولي فما عتم ان قيأه اياها

وأمثال هذه الحكايات عنهم كثيرة جدا لعله لا يوجد أحد لم يسمع منها ما لم يسمعه غيره ، دع ما يتداوله الكثيرون في كل بلد وكل جيل مما يعدونه متواترا ، وما المتواتر الا نقل الكثيرين عن المفتري الاول الذي اختلق الحكاية أو تخيلها أو توهمها فقصها وتناقلها عنه امثاله

وليست هذه الحكايات كلها من مفتريات العوام الاميين ومن هم على مقربة منهم في قبول الاوهام والخرافات ، بل تجد كتب المتصوفة محشوة بها لانها ادخلت في عقائد الملة من أبواب مايسمونه كرامات الاولياء، وهي تكثر في المسلمين على نسبة اعراضهم عن الدين علما وعملا ، فالمنقول عن الصحابة (رض) وهم خير هذه الامة باجماع أهلها تبعا للنص على ذلك من النبي (ص) قليل جدا وأقله ما روي باسناد آحادي قوي ، وليس فيه شيء قطعي ، وما روي عن التابعين أكثر ولكنه لا يعد شيئا يذكر في عدده ولا في نوعه بالنسبة الى ما اختلق

في القرون الوسطى وتسلسل الى هذا العصر

ففي بعض كتب الرفاعية أن الشيخ أحمد الرفاعي : كان يفقر ويغني ، ويسعد ويشقي ، ويميت ويحيي — أي وان حصر القرآن مثل هذا في عمل الخالق بقوله (وانه هو أغنى وأقنى * وانه هو أمات وأحيا) وانه وصل الى درجة صارت السموات السبع في رجله كالخلخال ، وان الله تعالى وعده بان من لمسه لا تحرقه النار في الدنيا ولا في الآخرة وان هذا له ولمريديه وأتباعه الى يوم القيامة. وذكروا أن سبب اخباره اياهم بهذه « الكرامة » أنه كان قد لمس سمكة حية فوضعوها بعد لمسه اياها على النار لشيها فلم تؤثر فيها النار فسألوه عن سبب ذلك فذكره

وفي بعض كتب مناقب الشيخ عبد القادر الجيلي رحمه الله تعالى ان مريداً له مات فطلبت امه منه احياءه فطلب روحه من ملك الموت فأجابه بأنه لا يعطيه الا باذن من الله تعالى وكان ملك الموت جمع الارواح التي قبضها يومئذ في زنبيل وطار بها الى السماء ليستأذن الرب ما ذا يفعل بها فطار الشيخ عبد القادر في أثره وجذب الزنبيل منه واخذ روح مريده فتناثرت منه جميع الارواح فذهب كل روح الى جسده فحيي جميع من مات في ذلك اليوم كرامة للشيخ عبد القادر. ولا اذكر هنا ماقاله مفتري الحكاية في شكوى ملك الموت لربه تعالى من اعتداء الشيخ عليه « في حال التلبس باداء وظيفته » — كما يقال في اصطلاح اهل هذا العصر — وما افتروا على الله تعالى في جوابه — لا اذكره أدبا مع الرب عز وجل وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا

وقد شاع بين الناس ان الاقطاب الاربعة المتصرفين أو « المدّركين بالكون » كما يقولون هم السادة الجيلاني والرفاعي والبدوي والدسوقي فلا يجري في العالم العلوي ولا السفلي شيء الا بتصرفهم ، وعلى هذا يكون سائر المتصرفين في الكون عمالا أو جندا لهم

ما ذا كان من تأثير فشو هذا الاعتقاد في المسلمين ؟ إن ألوف الالوف منهم

باتوا لا يعنون أقل عناية بشؤون أمتهم العامة، ولا بشؤون أنفسهم الصحية ولا الدينية ولا الاجتماعية الا ما تقتضيه الضرورة والعادة من القيام بضروريات المعاش والقناعة منه بأخسه لان كل ما عدا ذلك موكول الى اولئك الميتين فاذا وقع أحدهم في شدة أو مرض أو حاجة استغاث بأحد المدّركين بالكون أو أحد أعوانهم وجندهم من المشايخ الميتين لينقذه من شدته او يشفيه هو أو ولده من مرضه أو ينتقم له من عدوه أو .. أو .. واذا عظم الخطب يتقرب اليه بعجل أو خروف ينذره له ، واذا أبطأت الاغاثة يشد رحله الى قبره ويستنجده بالقرب منه مع اعتقاده ان القرب عنده كالبعد في إحاطة علمه بالغيوب كاحاطة قدرته بالعالم ، ولذلك يقولون للولي عند قبره : « ياسيدي العارف لا يعرّف » وقد صح عندنا ان بعض اصحاب العمائم الكبرى يقولون ذلك ،ومن المروي في الكتب عن الجيلي انه متصرف في اثني عشر عالما احاطيا السموات والارض واحد منها

وناهيكم بشد الرحال الى احتفالات الموالد التي تتخذ أعياداً ومواسم دينية لهم ، واجتماع مئات الالوف من الرجال والنساء والاطفال في كل مولد يقام لهؤلاء المتصرفين في الكون الذين يقضون مصالح الناس في الدنيا وينجونهم من عذاب الله في الآخرة مهما تكن جرائمهم وفواحشهم ، ومن المشهور الذي يكاد يبلغ درجة التواتر أن المعسرين منهم يقترضون الاموال بالربا الفاحش لاجل انفاقها في المولد ، على أن الكثيرين من هؤلاء الذين يسخون بالالوف في هذه السبيل وان رهنوا في ضمان قروضها أطيانهم أشحة بخلاء ربما يقتل أحدهم أخاه أو أباه لاجل جاموسة أو مال قليل

هذا تذكير وجيز بمعنى التصرف في الكون وماله من سوء التأثير في افساد الدين والدنيا ــ وتجد رجال الشرع يشاركون رجال الطرق المنسوبة الى الصوفية في اقامة هذه الموالد وحضور دعواتها، وأكل نذورها، حتى ما كان مسيبا للسيد البدوي من العجول والخرفان ، كالسوائب التي كانت تسيب للاصنام ، ولا يرون في هذا حرجا ولا افسادا ، لانه داخل عندهم في باب كرامات الاولياء

الواسع الذي لاحد له » وقد قال صاحب الجوهرة تبعا لغيره من مؤلفي العقائد رضي الله عنهم وارضاهم

وأثبتن للاوليا الكرامة ومن نفاها فانبذن كلامه

كما أن منكرات القبور التي تعد بالمشرات والمئات في بنائها ووضع السرج عليها واتخاذها مساجد وتشييدها وما فيها من مفاسد اجتماع النساء والرجال والاطفال كل ذلك يقرر ولا ينهي عن شيء منه لانه يدخل في باب ما ورد من استحباب زيارة القبور للرجال لاجل تذكر الموت والآخرة فالامر المستحب الواحد يرتكب لاجله مالا يعد من كبائر المعاصي التى لعن الشارع مرتكبيها كمتخذي القبور مساجد وواضعي السرج عليها وزيارة النساء لها وغير ذلك مما وردت فيه الاحاديث الصحيحة

اعطاء الله حق التصرف في ملكه للبدوى

بعد هذا أقول كلمتي في موضوع السؤال وأقفي عليها بكلمة في الكرامات:

موضوع السؤال زعم ذلك الخطيب أن الله تعالى قد أعطى السيد أحمد البدوي الميت صاحب القبر المشهور في طنطا حق التصرف في ملكه العزيز

ليست هذه المسألة مسألة جواز الكرامات ووقوعها وما فيها من خلاف لا يعد من أصول الدين وعقائده ولا من فروعه ، بل هي مسألة تتعلق بأصول عقائد الدين لانها اسناد شيء الى الله تعالى لا يمكن العلم به إلا منه عز وجل ، وقد انقطع الوحي عنه تعالى بموت خاتم النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، ولا طريق للعلم الصحيح عنه تعالى غير الوحي ، وقد قال تعالى في بيان أصول كبائر الكفر والفسق (قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله مالا تعلمون)

بين بعض المحققين ان هـذه المحرمات في دين الله تعالى على ألسنة جميع رسله قد ذكرت على طريقة الترقي في الحظر من المعاصي القاصرة الى المتعدية

كالبغي على الناس ، ومن الكفر القاصر على صاحبه كالشرك الى المتعدى الضرر كالقول على الله بغير علم ، فانه أصل جميع الفساد في الدين وجميع البدع

والقول على الله بغير علم قسمان أحدهما خاص بالعقائد كالكلام في ذاته وصفاته وأفعاله ومنه نازلة الفتوى ، ومثلها القول باتخاذ الولد قال تعالى (١٠: ٦٨) وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ـ سبحانه هو الغني له ما في السموات وما فى الارض، ان عندكم من سلطان بهذا . أتقولون على الله ما لا تعلمون) نفى أن يكون عندهم سلطان — أي برهان قطعي — على هذا القول ووبخهم ان قالوا على الله ما لا يعلمون، بعد أن بين البرهان على بطلان قولهم بانه هو الغني الكامل غناه المطلق وبأن مافي السموات والارض أي العالم كله ملك له ، وهذا عين البرهان على بطلان اتخاذ اناس يتصرفون في ملكه ، ومن أصول المناظرة أن البينة على المدعي ويكفي المنكر المنع ،ولكن القرآن هداية لا جدل، ولذلك بين بطلان الدعوى في نفسها بالدليل، و بين أنه لا دليل عليها ، وان مثلها لا يصح أن يقال بالظن والوهم وإنما يطلب فيه العلم القطعي، كما قال تعالى (٥٣ : ٢٨ وما لهم به من علم أن يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا)

ومن هذا الباب قوله تعالى (في ١٠ ١٨ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . قل أتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون)فقولهم إنهم شفعاؤهم عند الله من القول على الله بغير علم، فان العلم بالشفيع المعين للمشفوع له المعين خاص به تعالى ، اذ لا يشفع أحد عنده الا باذنه ، وهو لا يأذن بأصل الشفاعة الا لمن ارتضاه شفيعا ، ثم لا يأذن له بان يشفع الا لمن كان سبحانه راضيا عنه ، كما قال في شأن عباده المكرمين (في ٢١: ٢٧ لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون ٢٨ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون)

والقسم الثاني من القول على الله بغير علم خاص بالتشريع كابتداع عبادة لم يشرعها الله تعالى البتة أو شرع أصلها فجيء بها على غير الصفة التي شرعها

كاذكار أهل الطريق بألفاظ لم ترد في الشرع مع الرقص والغناء وغير ذلك مما فصله الشاطبي في كتابه الاعتصام وابن الحاج في المدخل وغيرهما من الاعلام — وكتحريم ما لم يحرمه الله تعالى في وحيه . قال تعالى في (٤٢: ٢١ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقال في (١٦ : ١١٦) ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) الآية

فعلم من هذه الآيات وما في معناها أن القول على الله بغير علم أغلظ أنواع الكفر وأشدها افسادا لدين الناس ولعقولهم وفطرتهم ، وانه يسمى شركا ويتضمن ذلك عد فاعله شريكا لله تعالى ومن قبل تشريعاً من غير الله فقد اتخذه ربا وشريكا وقد ورد في تفسير النبي (ص) لقوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) ان معناه انهم كانوا يتبعونهم فيما يحلون لهم ويحرمون عليهم. ومن شرع للناس عقيدة لم يشرعها ربهم لهم فهو أجدر بانتحال الربوبية جعل نفسه شريكا للرب تعالى ممن يشرع لهم تحريم شيء من طعام أو شراب مثلا

وهل عنى هذا من قال لخطيب الفتنة المضل ليس لله شريك ، رداً لقوله. إن الله اعطى السيد البدوي حق التصرف في ملكه العزيز ؟ أم عنى أن هذا التصرف يقتضي أن يكون البدوي شريكا لله تعالى في تدبير أمر عباده ؟ اياما عنى فله وجه وجيه

ذلك بان الذين يقولون بهذا التصرف لا يعنون به أنه منتظم في سلسلة الاسباب والمسببات العادية كتصرف البدوي في رعي ماشيته وسوقها حين يريح وحين يسرح ، وتصرف الفلاح في أرضه حين يعزق وحين يزرع ، وانما هو عندهم بسلطة غيبية هي فوق الاسباب العادية والسنن الكونية المعروفة للبشر في الاعمال التي يتناولها كسبهم ، وهذه السلطة هي الخاصة بالخالق عز وجل ، بمعنى انه ليس للناس فيها عمل ولا كسب ، وهي التي تمتاز بها العبادات من العادات ، فكل دعاء أو تعظيم قولي او عملي يوجهه الانسان الى من يؤمن بان له سلطانا غيبيا هو فوق الاسباب المشتركة بين الخلق فهو عبادة له والا فلا . فالفرق جلي

بين من يدعو ميتا لشفاء مرضه أو مرض ولده مثلا أو للانتقام من عدوه أو ينذر له لاجل ذلك و بين من يدعو الطبيب للمعالجة او يشكو الى الحاكم ظالمه وسواء اعتقد من يدعو الميت انه يفعل ذلك وحده بقدرته الذاتية أو اعتقد انه يفعل ذلك بتأثيره في علم الله تعالى وارادته بان يكون واسطة وسببا لان يفعل سبحانه مالم يكن ليفعله لولاه ، وذلك يقتضي تأثير الحادث في القديم وتعليل افعاله تعالى بالحوادث ، وكون هذا الفعل لم يقع الا باشتراك السلطتين غيبيتين هما فوق سنن الخالق في الاسباب والمسببات هو صورة هذا الوجه في المسألة ولم يكن مشركو العرب وأمثالهم يقولون بمساواة آلهتهم لرب العالمين في شيء بل كانوا يقولون انه ربهم وخالقهم وهم شفعاء عنده فقط . على ان هذا التحليل لايخطر في بال أكثر الذين يدعون هؤلاء الموتي وينذرون لهم ويشدون الرحال الى قبورهم خاشعين متضرعين ، تاركين للصلاة مقترضين بالربا مرتكبين لكثير من المنكرات ارضاء لهم ، لاجل ان يقضوا لهم حاجتهم . وانما هو تأويل من تلقوا عن شيوخهم كتبا في العقائد قررت فيها وحدانية الافعال لله تعالى بما ينافي ما تلقوه ورسخ في أنفسهم ممن نشؤا بينهم من تصرف بعض هؤلاء الشيوخ الميتين في الكون — فاخترعوا هذه التأويلات للجمع بين العقيدتين

ولئن سألتهم ليقولن انه ليس لهم أدنى تأثير في ارادة الله تعالى ولا في أفعاله وانما هم أسباب خفية يخلق الله الاشياء عندها لا بها ، كما يقول أكثرهم في الاسباب الجلية العادية كاحراق النار وارواء الماء ، ولو كان هؤلاء المفتونون بالقبور يعتقدون انه لا تأثير لاصحابها البتة لما وجد شيء من هذه الخرافات والبدع التي أفسدت الامة ولوقف الناس في زيارة القبور عند هداية السنة ، يزورونها لتذكرة الآخرة ، يدعون لاربابها ولا يدعونهم ، ويشفعون لهم بالدعاء ولا يستشفعون بهم ، لان هذا هو الوارد في السنة . على أن الاسباب الظاهرة من عالم الشهادة قد علم كونها اسبابا بالمشاهدة والتجربة المطـردة . وأما تصرف الموتى فهو امر غيبي لم يثبت بالمشاهدة ولا بالتجربة المطردة ، ولا جاءنا الوحي من عالم الغيب والشهادة

بانه جعلهم أسبابا لشيء من ذلك ، بل كل من التجربة الدقيقة في الامم المختلفة ومن الوحي الصادق يدل على خلاف ذلك

اما التجربة فاننا قد علمنا من تاريخ الامم ان هذا الاعتقاد انما يفشو ويروج فيها في زمن الجهل والانحطاط فتكون به أشقى الامم وأشدها خسارا في دينها ودنياها وصحتها ومعيشتها، فالمسلمون لم يكونوا كذلك في خير القرون التي فتحوا بها الممالك ودونوا العلوم واسسوا الحضارة فلم يرو لنا أصحاب الصحاح ولا السنن ان الصحابة كانوا يدعون النبي صلى الله عليه وسلم عند قبره الشريف ولا عند اشتداد الخطوب في الحروب ولا في حالة المرض لاجل النصر والشفاء ولا روى التاريخ لنا ذلك عن التابعين ولا تابعيهم من علماء الامصار كأئمة الفقه الاربعة وأئمة آل البيت النبوي رضي الله عنهم أجمعين . بل رووا لنا ان النبي (ص) وأصحابه كانوا ينوطون الاشياء باسبابها وانهم لما قصروا فيها يوم أحد انكسروا ونال المشركون منهم حتى ان النبي(ص) شج رأسه الشريف وكسرت سنه . ولما تعجب الصحابة وتساءلوا في ذلك أنزل الله تعالى (او لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم)

وقد فشت هذه البدع في الامم الوثنية فالكتابية من قبلنا فكان فشوها فيهم من أسباب ضعفهم والعون لسلفنا على السيادة عليهم ، فلما ضعفت هذه العقائد الخرافية فيهم بارتقائهم في علوم الكون وسنن الله تعالى في الاسباب والمسببات، وقل فيهم من يعتمد في اصلاح حال الافراد والجماعات ، على تصرف الاولياء الاحياء والاموات ، بعد أن سرت الينا منهم هذه الخرافات ، دالت لهم الدولة علينا، وصاروا أحسن منا صحة ،وأشد قوة ، وأعلى سيادة ، وأرفه معيشة

وأما الوحي فانه تعالى قد أمر خاتم رسله الذي أكمل دينه واتمه على لسانه وهديه ان يخاطب من آمن به بقوله عز وجل في (٦ : ٥٠ – قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك) فقد نفى أن تكون عنده خزائن رزق الله يتصرف فيها ويأتي ما اقترحوا عليه من الآيات لاثبات رسالته

من تفجير الينبوع في مكة وإيجاد جنة فيها يفجر الانهار خلالها تفجيراً كما قال الفخر الرازي ، ونفى أن يكون يعلم الغيب وأن يكون ملكا كما اقترحوا أو يقدر على ما يقدر عليه الملك ، ثم أمره أن يقول بعدذلك (ان أتبع الا ما يوحى الي) كما قال في الرد على ما اقترحوه عليه من الآيات التي أشرنا اليها (سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا) أي فهو من حيث انه بشر لا يقدر على مالا يقدر عليه البشر ومن حيث أنه رسول ليس عنده الا ما يوحيه الله اليه فيبلغه ويبينه للناس. فاين هذا ممن يدعون أن السموات السبع في رجل أحدهم كالخلخال الخ

وأمره أيضا أن يخاطب النـاس بقوله تعالى (٧ : ١٨٧ قل لا أملك لنفسي نفعـا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) وبقوله (قل اني لا أملك لكم ضراً ولا رشدا) أي ولا نفعاً ولا غياً ففي الآية احتباك . أي وانما الذي يملك ذلك كله الله تعالى . ونفي الاغواء لا يقتضي جواز وقوعه منه (ص) فهو كنفي الظلم عن الرب تعالى بين به الحق الواقع فلا يقتضي انه مظنة الوقوع ، والمراد هنا ان هداية الناس وضلالهم ونفعهم وضرهم كلها بيد الله تعالى من حيث انه هو الخالق المدبر الواضع للسنن والاسباب لـكل من ذلك فليس وراء هذه الاسباب تصرف لغيره

هـذا نوع من انواع دلالة الوحي على بطلان تلك الدعوى أعني نفي علم الغيب ونفي القـدرة على التصرف في ملك الله وخزائن رزقه عن الرسل عليهم السلام . ويتصل به نوع آخر وهو كون الآيات (المعجزات) التي يؤيدهم الله تعالى بها لاتتعلق بها قدرتهم وانما هي لله وعند الله وبيدالله عزوجل ، والآيات فيها معروفة ، وهناك نوع ايجابي أقوى من هذا ويجامع ما قبله وهو دلائل وحدانية الافعال التي فسرها الاشعرية بانه لا فعل لغير الله وأن الله تعالى يخلق المسببات عند الاسباب لابها ، وهل يمكن أن يطلب المؤمن بهذه الوحدانية شيئا من الموتى

وهم لم يصح شرعا ولا علما أن الله جعلهم أسبابا ؟

كرامات الاولياء

علم مما مر أن فتنة الغلو في كرامات الاولياء قد هدمت من عقول الالوف وألوف الالوف من الناس عقيدة تجريد التوحيد وهو أساس الدين الذي بني عليه غيره منه ، وأعلى علوم البشر ومعارفهم التي يتحقق بها تكريم الله تعالى لهم باعتاقهم من الذل والعبودية لغيره عز وجل . ونسخت من أذهانهم وقلوبهم الآيات المحكمة في العقائد الالهية ومعنى الرسالة ووظائف الرسل ، ووضعت في مكانها ما لا يحصى من الخرافات والاوهام التي أفسدت عليهم أمري الدين والدنيا ، ويزعم كثير من أنصار هذه الخرافات المعممين أن تشكيك العوام فيها يفضي الى شكهم في الرسالة وفي سائر أصول الدين ، وقد جهلوا أن هذا الغلو فيها هو الذي أفسد عقائد جماهير العوام وأعمالهم ونفر جماهير الخواص الذين تلقوا العلوم العقلية والكونية والاجتماعية من الاسلام نفسه ، اذ حسبوا أنه مجموعة خرافات لا تليق الا بامثال هؤلاء العوام

ولو صح أن بعض هؤلاء لا يقنعه بأصل الاسلام الا هذه الكرامات لكان ذلك مفسدة أخرى يطالب من العلماء ازالتها وبناء العقيده على البراهين العقلية والنقلية القطعية وهو الواجب الذي قرره جميع العلماء والا فان التشكيك في هذه الكرامات من أسهل الامور وقلما ترى أحداً من المتعلمين المتدينين يصدق شيئاً مما يرويه هؤلاء العوام منها دع غير المتدينين الذين لا شبهة لاكثرهم على الدين الا جعلها من أركانه وأسس بنيانه

ما هذه الكرامات ؟ انها ليست من عقائد الدين وانما تذكر في كتب الكلام بالتبع لبحث معجزات الرسل كما يذكر السحر وغيره مما عدوا من خوارق العادات. وقد اختلف نظار العلماء في جوازها ، واختلف المجوزون لها في وقوعها ، واختلف القائلون بوقوعها هل تقع في جميع خوارق العادات التي يؤيد الله تعالى بمثلها الرسل أم لا تقع الا في أمور محدودة ؟ وهل تكون بقصد

من الولي واختيار أم بغيرهما ؟ وهل تتكرر أم لا وكيف يكون المكرر من الخوارق

جاء في المواقف وشرحه ما نصه : (المقصد التاسع) في كرامات الاولياء وأنها جائزة عنـدنا خلافا لمن منع جواز الخوارق ، واقعة خلافا للاستاذ أبي اسحق والحليمي منا، وغير أبي الحسين من المعتزلة اه فهـذان امامان من اكبر أئمة الاشعرية ينكران وقوع الكرامات ، ولم يكن ذلك مطعنـا في دينهما ولا مسقطا من مكانتهما من أئمة اهل السـنة ، بل ظلا في الذروة وكان أبو اسحق الاسفرايني هذا امام الائمة في عصره ،ولا يزال يعبر عنه في كتب العقائد والاصول بالاستاذ فاذا أطلق لا ينصرف الى سواه

لا تتسع هذه الفتوى لتمحيص القول في مسألة الكرامات وقد كتبنا من قبل مقالات كثيرة فيها خاصة ، وألممنا ببعض مسائلها في مقالات أخرى نشرت في مجلدات المنار المتفرقة . منها بضع مقالات بعنوان الكرامات في المجلد الثـاني لخصنا فيها ما أورده التاج السبكي في طبقات الشافعية من الخلاف فيها ، وحجج منكريها ومثبتيها ، والمأثور منها ، ومنها احدى عشرة مقالة بهذا العنوان في المجلد السادس ذكرنا فيها ما أورده السبكي من أنواعها ، وتأويل ما ورد منها على تقدير صحة الرواية فيه . ومنها مقالات أخرى بعنوان الخوارق والتصرف في الكون والموالد وغير ذلك

وفي هـذه المقالات فوائد كثيرة من المنقول والمعقول تعطي المطلع عليها بصيرة في الدين والدنيا نشير الى بعضها بالارقام

(١) ان ما ينقل الينا من الوقائع المخالفـة لسنن الله تعالى في الخلق وفي سير الاجتماع البشري يجب أن لا يقبل فيجعل محلا للبحث فيـه الا اذا ثبت ببرهان يقيني لانه جاء على خلاف الاصل من المعقول والمنقول ، وأعني بالمنقول ما ثبت في نص القرآن من أن سنن الله تعالى في نظام الخلق وشؤون الامم لا تتبدل ولا تتحول

(٢) إن كثيرا مما يظهر بادي الرأي أنه من خوارق العـادات لا يكون

كذلك في الواقع ونفس الامر ، بل منه شعوذة وتخييل ، ومنه ماله أسباب خفية من طبيعية وصناعية ، كقوله تعالى في الحبال والعصي التي ألقاها سحرة فرعون (يخيّل اليه من سحرهم أنها تسعى) وقد أثبت صاحب جامع التواريخ أو (نشوار المحاضرة) عن معاصري الحلاج وكذا الحافظ ابن الجوزي أن كراماته كلها كانت من قبيل الحيل وقد اكتشفوا حيله في عصره كالذى عرف الدار والبستان الخفيين اللذين كان يحفظ فيهما السمك الحي والفاكهة والاطعمة فيأتي بها عند الحاجة وانذره الحلاج القتل اذا هو فضحه وقد ذكرنا في مقالات المنار شواهد كثيرة للحيل ولما في معناها من الخواص الكونية

(٣) ان روايات الكرامات مأثورة عن جميع الامم الوثنية والكتابية وان دعواها تكثر في العصور التي يضعف فيها العلم والدين في الامم ويكثر الكذب والدجل ، ويقل في عصر العلم وعهد التقوى ، ولذلك ترى المروي عن الصحابة والتابعين منها قليلا ، وقد زعم بعض الناس أن سبب هذا حاجة الناس في زمن الجهل والفسق الى ما يقوى به إيمانهم . ولكننا نرى أنها لا تزيد الناس في هذه الحال الا فسقا وجهلا ودجلا وغرورا وضعفا في الدين والدنيا ، وخضوعاً للدجالين الذين يعبثون بأموال الناس وأعراضهم ، كما أشرنا اليه في أوائل الفتوى

(٤) أن الاصل في الكرامات أن تكون خفية وان الاولياء لا يدعونها ولا يظهرونها الا لضرورة حتى قال السبكي انه « لا يجوز اظهارها الا بسبب ملزم ، وأمر مهم » ، فاين هذا وذاك من معمل الكرامات الكبير بل معاملها (فبريكاتها) الكثيرة المعبر عن صناعاتها الدائمة بالتصرف في الكون ؟ الذي ينقلون عن كل قبر من قبور عماله الكثيرين ما لا يحصى من الكرامات لاحقر الاسباب كاصابة زيد من الناس بداء قتال أو مرض عضال أو اماتته فجأة أو اصابته بجائحة في زرعه أو هلاك لبهائمه لاجل استغاثة خصم أو عدو له بولي يستعديه عليه ولو بالباطل ، أولانه قال كلمة اعتراض واساءة أدب مع صاحب القبر ، كأن أولياءهم من الاشرار الذين خلقوا للاذى والضرر . دع قسم المستشفيات من معمل التصرف

في الكون الذي يبرىء كل يوم ألوفا من المرضى الذين لا يذكر مرض أجسامهم في جانب أمراض عقولهم وأديانهم

(٥) كون الكرامات الحقيقية لا تتكرر وعلله الشيخ محيي الدين بن عربي في الفتوحات المكية بان ما يتكرر يكون معتاداً فلا يدخل في خوارق العادات ، ونحن نرى أن ما يدّعونه للمتصرفين في الكون من صادرات المعامل الدائمة يتكرر في كل يوم وفي كل ساعة

(٦) ان أكثر ما فشا ويتناقله الناس من الامور التي يسمونها كرامات والكثير مما يصح نقله من المصادفات التي يكثر وقوعها ، وانما الاعتقاد هو الذي يحمل غير المدقق في معرفة أسبابها على جعلها من الكرامات ، والجاهل بالمنطق لا يفرق بين القضية الشرطية الحقيقية كقولهم : اذا كانت الشمس طالعة فالنهار موجود، والشرطية الاتفاقية كقولهم: ان كان الانسان ناطقا فالحمار ناهق. فاذا استعدى أحد شيخا (وليا) على عدوه (أو حاله عليه كما يقولون) — أو اذا أنكر منكر على الشيخ ـ وأصابه عقب هذا أو ذاك مصيبة في نفسه أو أهله أو ماله قال أصحاب العقول الخرافية انه تصرف به ، وقد وقع مثل هذا لنا ولاهل بيتنا كما وقع لغيرنا مراراً ولم نعده من الكرامات . ولو شئنا أن نعد لانفسنا عشرات من الكرامات التي يثبت مثلها لدجال الشيخ يوسف النبهاني لفعلنا وكنا أصدق منه في النقل ، وأقدر على الاتيان عليه بالشهود العدول من الاحياء

(٧) ان مايبدو بادي الرأي خارقا للعادة يجوز أن يكون له أسباب خفية ، ومنه مايسميه علماء الكون فلتات الطبيعة. ومنه ما هو من خواص الانفس البشرية التي يتفاوت فيها الناس تفاوتا بعيداً — كالمكاشفة والتأثير النفسي في بعض الناس ولا سيما أصحاب الارادات الضعيفة وناهيك باصحاب الامزجة العصبية من النساء وبعض الرجال الذين يعتقدون أن لزيد من الاموات والاحياء سلطانا غيبيا يتصرف به في الكون ، فان هؤلاء يكونون سريعي التأثر والانفعال بما يعتقدون تأثيره حتى ان بعض الاطباء يعالجونهم بما للاوهام من السلطان على أنفسهم ،

ولذلك تجد هذه الانواع كثيرة الوقوع

وقد وضحنا هذه المسألة في المنار مرارا ، وشبهنا فيها أرواح البشر وأنفسهم بأجسادهم في تفاوت الافراد في قوتها وضعفها واختلاف استعدادها واستعمالها لهذا الاستعداد .

مثال ذلك أن الروح هو المدرك من الانسان وادراكه غير مقيد لذاته بالحواس التي هي آلات له ما دام محبوساً في الجسد بل يمكن أن يدرك بعض الامور بذاته في نوم أو يقظة ، وقد يدرك بعض الامور قبل وقوعها ، وبينا أن هذا النوع من الادراك ليس من العلم بالغيب الذي استأثر الله تعالى به ، وانما هو غيب اضافي لا حقيقي ، وان قلة هؤلاء المدركين لهذه الامور لا ينافي ان ادراكها مما أودع في الفطرة البشرية وجعل من مقدورها ، على أنها في الغالب تقع بدون ارادة من صاحبها ، ومن غير الغالب أن تكون بتوجيه الارادة الى ادراك الشيء وحصر الهمة في التوجه اليه وصرفها عما عداه حتى اذا انحصر التوجه وصرفت عن الفكر الشواغل ، أدرك الروح ما توجه اليه ادراكا ما ، وضربنا له المثل في انفراد بعض الافراد بالقوة العضلية النادرة كقوة القيصر الروسي اسكندر الثالث الذي كان يأخذ بيده الريال الروسي فيجوفه باصابعه فيجعله كفنجان القهوة ويضع فيه زهرة يتحف بها بعض النساء في مجلسه،وكان الشيخ علي العمري عندنا في طرابلس الشام يلوي باصابعه حديد النوافذ ويمسح القطعة من النقد فيزيل حرشة نقشها ، وله غرائب في قوة العضل كانوا يعدونها من كراماته الكثيرة ولم يعد أحد مثلها من القيصر الروسي كرامات له .ولا غرو فالمتكلمون يجوزون وقوع خوارق العادات من كل أحد حتى الفساق والكفار ووضعوا لها اسماء تختلف باختلاف حال من وقعت لهم أو على أيديهم

هذا وان الروحيين من المتقدمين ومن فرنجة هذا العصر الذين يقولون إن أرواح الاحياء قد تتجرد من المادة الكثيفة وان أرواح الموتى قد تتجلى في مادة لطيفة أو كثيفة تستمدها عن عناصر الكون لم نثبت أحد منه. ا ا ة،

أعطيت التصرف في أمور العالم ونفع الناس وضرهم بل صرح بعضهم بأنها لم تعط هذا ولا تقدر عليه .

وما نقل عن بعض كبار الصالحين العارفين من ادعاء ذلك فأ كثره كذب وزور لا تصح به الرواية عنهم، ومنه ما عدوه من الشطح الذي يصدر عنهم في حال غيبة ثم يتوبون منه ، ومنه ما يقصد به الاسباب الظاهرة كالبيتين المنسوبين الى السيد الجيلي قدس الله روحه

على بابنا قف عند ضيق المناهج تفز بعليّ القدر من ذي المعارج
ألم تر أن الله أسبغ نعمة علينا وولانا قضاء الحوائج

فقد كان رحمه الله تعالى ذا مقام رفيع عند الخلفاء وكبار الحكام فاذا أوصى بكشف ظلامة لا ترد وصيته ، وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى ممن يصدق عليه معنى هذين البيتين، على أن علماء النقل قد قالوا ان الجيلي كان ذا كرامات صحيحة ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية ولكن أكثر ما في كتب مناقبه كذب و بعضها ليس من الكرامة في شيء

وههنا مسألة يغفل الناس عنها بيناها في المنار مرارا وهي كيف يصح أن يكون اولياء الله الاحياء والاموات يتولون قضاء حاج المسلمين ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم بما أوتوا من التصرف في ملك الله الواسع بخوارق العادات ونحن نرى المسلمين اسوأ حالا من سائر الامم ولا سيما الافرنج في صحتهم وسعة عيشهم وعزهم وعظمة ملكهم وسائر ما يطلبه الناس من هؤلاء الاولياء من أمور دنياهم فلماذا لا يتصرفون في الاسطول البريطاني مثلا؟ ونرى الذين لا يصدقون بقدرة هؤلاء الاولياء على التصرف في أمور الكون من المسلمين أنفسهم أحسن حالا في ذلك كله من المصدقين الذين وصفنا حالهم من قبل ، سواء كان سبب انكار هذا التصرف كمال التوحيد والعلم الصحيح بالكتاب والسنة والاعتصام بهما ، أو العلم بسنن الكون ونواميسه وتواريخ الملل وكون هذه الخرافات قد انتقلت من الوثنيين الى أهل الكتاب ومنهم الى المسلمين ، فكانت مصداقا لقول

النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم - أو - لدخلتموه » رواه الشيخان وغيرهما عن أبي سعيد وغيره

تفاوت الارواح وما تسعد به وتشقى

هذا وان ما ذكرناه من تفاوت أرواح البشر في أصل الخلق له أصل في الكتاب والسنة يجب أن نعتبر به ، قال النبي صلى الله عليه وسلم «الناس معادن كمعادن الفضة والذهب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا ، والارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » رواه مسلم هكذا حديثا واحداً بهذا اللفظ عن أبي هريرة ورويا حديثين في كل من الصحيحين وفي بعض الفاظ الحديث الاول « الناس معادن في الخير والشر » أي إن أنفسهم في أصل فطرتها التي تؤثر فيها الوراثة كمعادن الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير وغيرهن

وقال الله تعالى (ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها) فالنفس الانسانية مستعدة في أصل الفطرة للخير والشر وللفجور والتقوى ، على تفاوت في الاستعداد ، ولكن الفلاح والفوز بالسعادة منوط بتزكيتها بالعلم الصحيح وما يترتب عليه من العمل الصالح وهو المراد بقوله (ص) «خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا » والخيبة والشقاء منوطان بتدسيتها أي اهمال صقلها وتزكيتها بالعلم الصحيح والعمل الصالح وهو من دس الشيء في التراب مثلا . ولذلك قال البيضاوي في تفسير «دساها » أخفاها ونقصها بالجهالة والفسوق

فمدار السعادة والشقاء في الاسلام على صقل معدن النفس بالعلم والفضيلة أو دسه فيما يفسد جوهره من الجهالات والخرافات والرذائل ، ومن المعروف عند الناس كافة أن الجوهر الادنى يكون بجودة صقله اجمل وأنفع من الجوهر الاعلى الذي دس في الارض ولاسيما الرطبة ذات المواد الملحية ، ألم تر أن الذهب والفضة

يفسد جوهرهما بهذا الدس والاهمال ، حتى اذا عثر عليهما الناس لا يكادون يعرفونهما من حيث نرى الصفر المجلو والحديد المصقول يتلألآن كالمرآة فيكونان أجمل منظرا وأحسن مرتفقا وفائدة للناس من الذهب والفضة المدسيان في السبخة ؟ ولكن المعدن الاعلى اذا صقل كما يصقل المعدن الادنى فانه يكون أبهج منه منظرا وأكرم عند الناس استعمالا

فيجب ان نجعل هذه الحقيقة هي الاصل في تربية المسلمين وتعليمهم ، وهي ان سعادة كل فرد من الافراد محصورة في تزكيته لنفسه بالعلم والفضيلة والعمل الصالح وشقاوه بضد ذلك ، وان من فسدت نفسه وخبثت لا ينفعه زكاء نفس غيره لا من الاحياء ولا من الموتى لا في الدنيا ولا في الآخرة ، حتى لو اعطي هؤلاء تصرفا في الكون لما بالوا بمن دسوا أنفسهم وتركوا هداية ربهم اتكالا على أن يعمل لهم بعض خلقه ما كان يجب ان يعملوه هم لانفسهم . ومصداق هذا الاصل ظاهر في الامم كلها لمن سار في الارض أو قرأ التاريخ قراءة عبرة

ولذلك كان فيما وعظ النبي صلى الله عليه وسلم أقرب الناس منه قرابة حين انزل الله تعالى عليه (وانذر عشيرتك الاقربين) ان دعا بطون قريش وعم وخص قال « يا معشر قريش انقذوا أنفسكم من النار فاني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا — الى ان قال — يافاطمة بنت محمد انقذي نفسك من النار فاني لا أملك لك ضرا ولا نفعا » رواه احمد والشيخان في الصحيحين وغيرهم من حديث أبي هريرة . وفي رواية لاحمد ومسلم وغيرهما من حديث عائشة انه قال يومئذ « يافاطمة ابنة محمد ياصفية ابنة عبد المطلب يابني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئا ، سلوني من مالي ماشئتم »

مدار النجاة في الاسلام وفي الوثنية

وجملة القول أن مدار دين التوحيد على أن النجاة في الآخرة بالايمان والعمل الصالح ومدار أديان الوثنية على أن النجاة فيها بتأثير الصالحين عند الله في نجاء الضالين ، وحسبنا قول الله عز وجل في وصف اليوم (يوم لا تملك نفس

لنفس شيئا والامر يومئذ لله) وحكم الله في ذلك اليوم مبين في كتابه كقوله الذي أنزله يوم تفاخر بعض الصحابة مع بعض أهل الكتاب (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب : من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا * ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) والعبرة عند جمهور أهل السنة بالخاتمة فهم لا يقطعون بولاية شخص معين كالبدوي ولا بدخوله الجنة لان القطع يختص من ورد النص بأنهم أهلها كالسبطين سيدي شباب أهل الجنة والعشرة (ض) أجمعين

فيا أيها العلماء حسبكم إهمالا لامر عامة هذه الامة بينوا لها حقيقة دينها ، وأنذروها عاقبة هذه الخرافات التي أفسدت عليها دينها ودنياها ، أما ترونها تتسلل من الدين لواذا ، وتعلن الكفر والفسوق ثبات وافذاذا ، حتى صاروا يدعون الى الالحاد جهارا ، والى ترك الشريعة احتقارا لها واستكبارا ، زاعمين أن الاسلام دين خرافات وأوهام ، لا يمكن أن ترتقي به الامة في هذا الزمان ، ويستدلون على هذا بما أشرنا اليه من الضلالات والخرافات الفاشية في الامة ، ومشاركة الكثير من علمائها لها فيها بحضور هذه الموالد معها ، وترك اقامة شعائر الدين والدروس في المساجد لاجلها، وبتأويل البدع والخرافات لها، واضطهاد من تصدى من العلماء وطلاب المعاهد الدينية لانكارها كما وقع في دمياط وطنطا والاسكندرية وغيرها . فاتقوا الله وتداركوها قبل أن يخرج الامر من يدكم، ولا عذر لكم بعد اليوم بما كنتم تعتذرون به من سلب الحكام حريتكم ، فان الدستور الذي كرهه بعضكم قد أعطاكم من الحرية ما لم يكن لكم ، وهو لم يعط الملاحدة والفساق شيئا لم يكن لهم، فقد كانت حرية الكفر والفسق تامة؛ وحرية الاسلام صورية ناقصة، على أن نقصها في مصر كان خاصا بالانكار على الحكام والاحكام ، دون ما يتعلق بارشاد العوام

ملخص الفتوى :

إن ذلك الخطيب قد قال على الله تعالى ما ليس له به علم ، فدخل فيمن

شرعوا للناس ما لم يأذن به الله، وقد دل القرآن والسنة على أن هذا من الشرك ، فانكار المنكر عليه صحيح ، فان كان متأولا أو معذورا بجهله عذرا يدرأ عنه الردة ، فعليه بعد العلم أن يتوب توبة صحيحة ، وأنا لا أكفر شخصاً معيناً لم أختبر حاله اختبارا تاما . واعلم ان أكثر مسلمي هذا العصر لم يلقنوا عقائد الاسلام كما أنزلها الله تعالى . فأكثرهم يجهلونه ولا يعرفونه ، والواجب على العالم أن يبين الحق وعلى من بلغه أن يحاسب نفسه ، والقاعدة عند العلماء ان الجهل ليس بعذر في دار الاسلام الا لحديث العهد به ، ولها فروع وجزئيات في باب الردة وغيرها دقيقة قد حققناها في مواضع من المنار ، والله أعلم

اهل الصفة

(وأباطيل بعض المتصوفة فيهم وفي الاولياء وأصنافهم والدعاوى فيهم)

لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية قدس سره

تابع لما قبله

﴿فصل﴾ وأما الحديث المروي «مامن جماعة يجتمعون الا وفيهم ولي لله»(١) فمن الاكاذيب ليس في دواوين الاسلام وكيف والجماعة قد تكون كفارا وفساقا يموتون على ذلك

﴿فصل﴾ وأولياء الله تعالى هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما ذكر الله ذلك في كتابه وهم قسمان المقتصدون اصحاب اليمين والمقربون السابقون فولي الله ضد عدو الله قال الله تعالى (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقال الله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا — الى قوله — ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) وقال (لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) وقال (ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم

(١) زاد بعضهم فيه : لاهم يدرون به ولا هو يدري بنفسه . قال علي القاري في موضوعاته وهو كلام باطل

يوزعون) وقال (افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو)

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وا كره مساءته ولا بد له منه، وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به و يده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يسعى »

والولي: من الولي (١) وهو القرب، كما ان العدو من العدو وهو البعد، فولي الله من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضياته، وتقرب اليه بما امر به من طاعاته وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحيح الصنفين: المقتصدون(٢) اصحاب اليمين وهم المتقربون الى الله تعالى بالواجبات والسابقون المقربون وهم المتقربون بالنوافل بعد الواجبات . وذكرهم الله في سورة فاطر والواقعة والانسان والمطففين وأخبر ان الشراب الذي يروى به المقربون بشربهم اياه يمزج لاصحاب اليمين. والولي المطلق هو من مات على ذلك فاما إن قام به الايمان والتقوى وكان في علم الله تعالى انه يرتد عن ذلك فهل يكون في حال ايمانه وتقواه وليا لله أو يقال لم يكن وليا لله قط لعلم الله بعاقبة هدايته؟ قولان للعلماء

وكذلك عندهم الايمان الذي يعقبه الكفر هل هو ايمان صحيح ثم يبطل بمنزلة ما يحبط من الاعمال بعد كماله ؟ أو هو ايمان باطل بمنزلة من أفطر قبل غروب الشمس في صيامه ومن أحدث قبل السلام في صلاته ايضا ؟ فيه قولان للفقهاء المتكلمين والصوفية والنزاع في ذلك بين أهل السنة والحديث من أصحاب الامام احمد وغيرهم ،

وكذلك يوجد النزاع فيه بين أصحاب مالك والشافعي وغيرهم . لكن

---

(١) الولي بوزن فلس القرب قاله في المصباح(٢) أي وهم المقتصدون الخ

أ كثر أصحاب ابي حنيفة لا يشترطون سلامة العاقبة، وكثير من أصحاب مالك والشافعي شرط سلامة العاقبة، وهو قول كثير من متكلمي أهل الحديث كالاشعري ومن متكلمي الشيعة ويبنون على هذا النزاع هل ولي الله يصير عدو الله؟ وبالعكس؟ ومن أحبه الله ورضي عنه هل ابغضه الله وسخط عليه في وقت ما ؟ وبالعكس ؟ ومن أبغضه الله وسخط عليه هل أحبه الله ورضي عنه في وقت ما على القولين

والتحقيق وهو الجمع بين القولين فان علم الله القديم الازلي وما يتبعه من محبته ورضاه وبغضه وسخطه وولايته وعداوته لا يتغير، فمن علم الله منه انه يوافي حين موته بالايمان والتقوى فقد تعلقت به محبة الله وولايته ورضاه عنه ازلا وابدا

وكذلك من علم الله منه انه يوافي حين موته بالكفر فقد تعلق به بغض الله وعدواته وسخطه أزلا وأبدا لكن مع ذلك فان الله يبغض ماقام بالاول من كفر وفسوق قبل موته، وقد يقال انه يبغضه ويمقته على ذلك كما ينهاه عن ذلك وهو سبحانه وتعالى يأمر بما فعله الثاني من الايمان والتقوى ويحب ما يأمر به ويرضاه . وقد يقال انه يوليه حينئذ على ذلك

والدليل على ذلك اتفاق الامة على ان من كان مؤمناً ثم ارتد فانه لا يحكم بان إيمانه الاول كان فاسدا بمنزلة من أفسد الصلاة والصيام والحج قبل الاكمال وانما يقال كما قال الله تعالى (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله) وقال (لئن اشركت ليحبطن عملك) وقال (ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) ولو كان فاسدا في نفسه لوجب ان يحكم بفساد انكحته المتقدمة وتحريم ذبائحه وبطلان عباداته جميعها حتى لو كان قد حج عن غيره كان حجه باطلا، ولو صلى مدة بقوم ثم ارتد كان لهم أن يعيدوا صلاتهم خلفه، ولو شهد أو حكم ثم ارتد أن تفسد شهادته وحكمه ونحو ذلك. وكذلك ايضا الكافر اذا تاب من كفره ولو كان محبوبا لله وليا له في حال كفره لوجب ان يقضى بعدم احكام ذلك الكافر وهذه كلها خلاف ماثبت بالكتاب والسنة والاجماع

والكلام في هذه المسألة نظير الكلام في الآجال والارزاق ونحو ذلك وهي ايضا

على قاعدة الصفات الفعلية وهي قاعدة كبيرة وعلى هذا يخرج جواب السائل .

فمن قال ان ولي الله لا يكون الا من وافاه حين الموت بالايمان والتقوى فالعلم بذلك أصعب عليه وعلى غيره . ومن قال قد يكون ولي الله من كان مؤمنا تقيا وان يعلم عاقبته فالعلم بذلك أسهل ومع هذا يمكن العلم بذلك للولي نفسه ولغيره ولكنه قليل ولا يجوز التهجم بالقطع على ذلك. فمن ثبتت ولايته لله بالنص وانه من أهل الجنة كالعشرة وغيرهم فعامة أهل السنة يشهدون له بما شهد له به النص. واما من شاع له لسان صدق من الامة بحيث اتفقت الامة على الثناء عليه فهل يشهد له بذلك ؟ هذا فيه نزاع بين أهل السنة والاشبه أن يشهد له بذلك ، هذا في الامر العام

وأما خواص الناس فقد يعلمون عواقب اقوام بما يكشفه الله لهم . لكن ليس هذا مما يجب التصديق العام به فان كثيرا مما يظن به انه حصل له هذا الكشف يكون ظانا في ذلك ظنا لا يغني من الحق شيئا ، واهل المكاشفات والمخاطبات يصيبون تارة ويخطئون أخرى كاهل النظر والاستدلال في موارد الاجتهاد ولهذا وجب عليهم جميعهم ان يعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله وان يزنوا مواجيدهم ومشاهداتهم وآراءهم ومعقولاتهم بكتاب الله وسنة رسوله لا يكتفوا بمجرد ذلك ، فان سيد المحدثين المخاطبين الملهمين من هذه الامة هو عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، وقد كان تقع له وقائع يردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصديقه التابع له الآخذ عنه الذي هو اكمل من المحدث الذي يحدث نفسه عن ربه ولهذا اوجب على جميع الخلق اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته في جميع امورهم الباطنة والظاهرة، ولو كان احد يأتيه من الله ما لا يحتاج الى عرضه على الكتاب والسنة لكان مستغنيا عن الرسول في بعض دينه، وهذا من اقوال المارقين الذين يظنون ان من الناس من يكون مع الرسول كالخضر مع موسى ومن قال هذا فهو كافر . وقد قال تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى امنيته فينسخ الله مايلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته

والله عليم حكيم) فقد ضمن الله للرسول والنبي ان ينسخ ما يلقي الشيطان في أمنيته ولم يضمن ذلك المحدث ولهذا كان في الحرف الآخر الذي كان يقرأ به ابن عباس وغيره: وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولامحدث الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته

ويحتمل و الله أعلم أن يكون هذا الحرف متلوا حيث لم يضمن نسخ ماالقى الشيطان فاما نسخ ما القى الشيطان فليس الا للانبياء و المرسلين اذ هم معصومون فيما يبلغون عن الله تعالى أن يستقر فيه شيء من القاء الشيطان، وغيرهم لا يجب عصمته من ذلك وان كان من أولياء الله المتقين، فليس من شرط أولياء الله المتقين أن لا يكونوا مخطئين في بعض الاشياء خطأ مغفورا لهم بل ولا من شرطهم ترك الصغائر مطلقا، بل ولا من شرطهم ترك الكبائر أو الكفر الذي تعقبه التوبة وقد قال الله تعالى (والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون * لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين * ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) فقد وصفهم الله تعالى بانهم هم المتقون والمتقون هم أولياء الله ومع هذا باجزائه ويكفر عنهم أسوء الذى عملوا (١) وهذا أمر متفق عليه بين أهل العلم والايمان ، وانما يخالف في ذلك الغالية من الرافضة واشباه الرافضة من الغالية في بعض المشايخ ومن يعتقدون انه من الاولياء ، فالرافضة تزعم أن الاثنى عشر معصومون من الخطأ والذنب ، ويرون هذا من أصول دينهم ، والغالية في المشايخ قد يقولون إن الولي محفوظ والنبي معصوم ، وكثير منهم لم يقل ذلك بلسانه لحاله حال من يرى أن الشيخ أو الولي لا يخطيء ولا يذنب ، وقد يبلغ الغلو بالطائفتين الى أن يجعلوا بعض من غلوا فيه بمنزلة النبي أو أفضل منه ، وان زادوا الامر جعلوا له نوعا من الالهية ، وكل هذا من الضلالات الجاهلية المضاهئة للضلالات النصرانية فان في النصارى من الغلو في المسيح والرهبان والاحبار ماذمهم الله عليه في القرآن وجعل ذلك عبرة

(١) كذا في الاصل وهو محرف والمعنى الذي يدل عليه السياق انهم مع هذا يسيئون ولكن الله يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا أي لغلبة احسانهم على سيئاتهم

لنا لئلا نسلك سبيلهم ولهذا قال سيد ولد آدم « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فانما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله »

﴿ فصل ﴾ وأما الفقراء الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه فهم صنفان مستحقو الصدقات ومستحقو الفيء أما المستحقون للصدقات فقد ذكرهم الله في قوله (ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) وفي قوله (انما الصدقات للفقراء والمساكين) واذ ذكر في القرآن اسم المسكين وحده أو الفقير وحده كقوله (أو اطعام عشرة مساكين) فهما شيء واحد واذا ذكرا جميعا فهما صنفان

والمقصود بهما أهل الحاجة وهم الذين لا يجدون كفايتهم لا من مسألة ولا من كسب يقدرون عليه، فمن كان كذلك من المسلمين استحق الاخذ من صدقات المسلمين المفروضة والموقوفة والمنذورة والموصى بها، وبين الفقهاء نزاع في بعض فروع هذه المسائل معروفة عند أهل العلم

وضد هؤلاء — الاغنياء الذين تحرم عليهم الصدقة ثم هم نوعان نوع تجب عليه الزكاة وان كانت الزكاة تجب على من قد تباح له عند جمهور العلماء، ونوع لا تجب عليه، وكل منهما قد يكون له فضل عن نفقاته الواجبة وهم الذين قال الله فيهم (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) وقد لا يكون له فضل . وهؤلاء الذين رزقهم قوت وكفاف فهم أغنياء باعتبار غناهم عن الناس، وهم فقراء باعتبار انه ليس لهم فضول يتصدقون بها، وانما يسبق الفقراء الاغنياء الى الجنة بنصف يوم لعدم فضول الاموال التي يحاسبون على مخارجها ومصارفها فمن لم يكن له فضل كان من هؤلاء وان لم يكن من اهل زكاة

ثم ارباب الفضول ان كانوا محسنين في فضول اموالهم فقد يكونون بعد دخول الجنة ارفع درجة من كثير من الفقراء الذين سبقوهم كما يقدم اغنياء الانبياء والصديقين عن السابقين وغيرهم على الفقراء الذين دونهم . ومن هنا قال الفقراء: ذهب اهل الدثور بالاجور، وقيل لما ساواهم الاغنياء في العبادات

البدنية وامتازوا عنهم بالعبادات المالية ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، فهذا هو الفقير في عرف الكتاب والسنة

وقد يكون الفقراء سابقين ، وقد يكونون مقتصدين ويكونون ظالمي أنفسهم كالاغنياء . وفي كلا الطائفتين المؤمن الصديق ، والمنافق الزنديق

وأما المستأخرون فالفقير في عرفهم عبارة عن السالك الى الله تعالى كما هو الصوفي في عرفهم أيضا ، ثم منهم من يرجح مسمى الصوفي لانه عنده الذي قطع العلائق كلها ولم يتقيد في الظاهر بغير الامور الواجبة ، وهذه منازعات لفظية اصطلاحية ، والتحقيق ان المراد المحمود بهذين الاسمين داخل في مسمى الصديق اوالولي والصالح ونحو ذلك من الاسماء التي جاء بها الكتاب والسنة فمن حيث دخل في الاسماء النبوية يترتب عليه من الحكم ما جاءت به الرسالة

وأما ما تميز به مما يعده صاحبه فضلا وليس بفضل أو مما يوالي عليه صاحبه غيره ونحو ذلك من الامور التي يترتب عليها زيادة الدرجة في الدنيا فهي أمور مهدرة في الشريعة الا اذا جعلت من المباحات من الامور المستحبات ،(١) وأما ما يقترن بذلك من الامور المكروهة في دين الله من أنواع البدع والفجور فيجب النهي عنه كما جاءت به الشريعة

﴿ فصل ﴾ وأما الاسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث الذي يكون بمكة والاوتاد الاربعة والاقطاب السبعة والابدال الاربعين والنجباء الثلاثمائة فهذه الاسماء ليست موجودة في كتاب الله ولا هي أيضاً مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا باسناد صحيح ولا ضعيف محتمل الا لفظ الابدال فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الاسناد عن علي بن أبي طالب

« ١ » كذا في نسختنا ولا يظهر له معنى جلي بغير تكلف ولعل اصله اذا جعلت المباحات مما ذكر من المستحبات بالنية الصالحة كالسياحة الاصل فيها الاباحة وقد تكون مستحبة اذا نوي بها امر مستحب شرعا كتحصيل العلوم والفنون النافعة غير الواجبة شرعا كما تكون واجبة وفنون الصناعات التي تتوقف عليها المصالح المعاشية والحربية من فروض الكفايات

مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ان فيهم — يعني أهل الشام — الابدال أربعين رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا» ولا توجد هذه الاسماء في كلام السلف كما هي على هذا الترتيب، ولا هي مأثورة على هذا الترتيب والمعاني عن المشايخ المقبولين عند الامة قبولا عاما وانما توجد على هذه الصورة عن بعض المتوسطين من المشايخ وقد قالها اما أثراً لها عن غيره أو ذكرا. وهذا الجنس ونحوه من العلم الذي قد التبس على أكثر المتأخرين حقه بباطله، فصار فيه من الحق ما يوجب قبوله ومن الباطل مايوجب رده. وصار كثير من الناس فيه على طرفي نقيض قوم كذبوا به كله لما وجدوا فيه من الباطل، وقوم صدقوا به كله لما وجدوا فيه من الحق، وانما الصواب التصديق بالحق والتكذيب بالباطل، وهذا تحقيق بما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من ركوب هذه الامة سنن من كان قبلها حذو القذة بالقذة، فان أهل الكتابين لبسوا الحق بالباطل، وهذا هو التبديل والتحريف الذي وقع في دينهم، ولهذا يعتبر (١) الدين بالتبديل تارة و بالنسخ أخرى

وهذا الدين لا ينسخ أبدا لكن يكون فيه من يدخل فيه من التحريف والتبديل والكذب والكتمان ما يلبس به الحق بالباطل، ولا بد أن يقيم الله فيه من تقوم به الحجة خلفا عن الرسل، فينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين (٢)، ليحق الله الحق و يبطل الباطل ولو كره المشركون. فبالكتب المنزلة من السماء والآثار من العلوم المأثورة عن الانبياء يميز الله الحق من الباطل ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه،

و بذلك يتبين ان هذه الاسماء على هذا العدد والترتيب والطبقات ليست حقا في كل زمان بل يجب القطع بأن هذا على عمومه و اطلاقه باطل، فان المؤمنين يقلون تارة و يكثرون أخرى ويقل فيهم السابقون المقربون تارة و يكثرون أخرى و ينتقلون في الامكنة، ليس من شرط أولياء الله أهل الايمان والتقوى ومن

(١) المنار: لعل الاصل: يتغير — بدل: يعتبر.

(٢) هذا حديث أوله «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه الخ

يدخل منهم في السابقين المقربين لزوم مكان واحد في جميع الازمنة ،
وقد بعث الله رسوله بالحق وآمن معه بمكة نفر قليل كانوا أقل من سبعة ثم أقل من أربعين ثم أقل من سبعين ثم أقل من ثلاثمائة فيعلم أنه لم يكن فيهم هذه الاعداد ، ومن الممتنع أن يكون منهم من كان في الكفار

ثم هاجر هو وأصحابه الى المدينة وكانت هي دار الهجرة والسنة والنصرة ، ومستقر النبوة وموضع خلافة النبوة ، وبها انعقدت بيعة الخلفاء الراشدين أبي بكر وعثمان وعمر وعلي وان كان (علي) قد خرج منها بعد أن بويع له فيها . ومن الممتنع انه قد كان بمكة فى زمنهم من يكون أفضل منهم

ثم ان الاسلام انتشر في مشارق الارض ومغاربها وكان في المؤمنين في كل وقت من أولياء الله المتقين بل من الصديقين السابقين المقربين من لا يحصي عدده الا رب العالمين لا يحصون بثلاثمائة ولا بثلاثة آلاف ، ولما انقرضت القرون الثلاثة الفاضلة كان ايضا في القرون الخالية من اولياء الله المتقين بل من السابقين من جعل لهم عددا محصورا لازما فهو من المتظلمين(؟) عمدا أو خطأ

وأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقه الا الله تعالى فهو غياث المستغيثين لا يجوز لاحد الاستغاثة بغيره لا بملك مقرب ولا نبي مرسل. ومن زعم أن أهل الارض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم ونزول الرحمة بهم ، الى الثلاثمائة والثلاثمائة الى السبعين ، والسبعين الى الاربعين والاربعين الى السبعة والسبعة الى الاربعة والاربعة الى الغوث فهو كاذب ضال مشرك فقد كان المشركون كما أخبر الله عنهم بقوله (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه) وقال (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) فكيف يكون المؤمنون يرفعون اليه حوائجهم بعدة وسائط من الحجاب وهو القائل تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)

وقال الخليل عليه السلام داعيا لاهل مكة (ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس

تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون * ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن، وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء، الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعاء) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه لما رفعوا أصواتهم بالتلبية « أيها الناس أربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا وانما تدعون سميعا قريبا ان الذي تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلته »

وهذا باب واسع وقد علم المسلمون كلهم انه لم يكن عامة المسلمين ولا مشايخهم المعروفون يرفعون الى الله حوائجهم لا ظاهرا ولا باطنا بهذه الوسائط والحجاب فتعالى الله عن تشبيهه بالمخلوقين من الملوك وسائر ما يقوله الظالمون علوا كبيرا

وهذا من جنس دعوى الرافضة أنه لا بد في كل زمان من امام معصوم يكون حجة الله على المكلفين لا يتم الايمان الا به ثم مع هذا يقولون انه كان صبيا دخل السرداب من أكثر من اربعمائة وأربعين سنة ولا يعرف له عين ولا أثر ولا يدرك له حس ولا خبر . •

وهؤلاء الذين يدعون هذه المراتب فيهم معناها للرافضة من بعض الوجوه بل هذا الترتيب والاعداد يشبه من بعض الوجوه ترتيب الاسماعيلية والنصيرية ونحوهم في السابق والتالي والناطق والاساس والجسد وغير ذلك من الترتيب الذي ما أنزل الله به من سلطان ، واما الاوتاد فقد يوجد في كلام بعضهم أنه يقول فلان من الاوتاد ومعنى ذلك أن الله يثبت به من الدين والايمان في قلوب من يهديهم الله به كما يثبت الارض باوتادها وهذا المعنى ثابت لكل من كان بهذه الصفة فكل من حصل به تثبيت العلم والايمان في جمهور الناس كان بمنزلة الاوتاد العظيمة والجبال الكبيرة ، ومن كان دونه كان بحسبه وليس ذلك محصورا في أربعة ولا أقل ولا اكثر بل جعل هؤلاء أربعة مضاهاة لقول المنجمين في أوتاد الارض

﴿ فصل ﴾ وأما القطب فيوجد في كلامهم أيضا: فلان من الاقطاب وفلان

قطب، فكل من دار عليه أمر من أمور الدين والدنيا باطنا أوظاهرا فهو قطب ذلك الامر ومداره سواء كان الدائر عليه أمر داره أو قرية أو مدينة أمر دينها أو دنياها باطنا أو ظاهرا ، ولا اختصاص لهذا المعنى بسبعة ولا أقل ولا أكثر لكن الممدوح من ذلك من كان مداراً لصلاح الدين دون مجرد صلاح الدنيا وهذا هو القطب في عرفهم ، وقد يتفق في عصر آخر أن تكافأ اثنان أو ثلاثة في الفضل عند الله ولا يجب أن يكون في كل زمان شخص واحد هو أفضل الخلق عند الله مطلقا

وكذلك لفظ البدل جاء في كلام كثير منهم فاما الحديث المرفوع فالاشبه أنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم فان الايمان كان بالحجاز واليمن قبل فتوح الشام وكانت الشام والعراق دار كفر ثم في خلافة علي قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « تمرق مارقة على خير فرقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق » وكان علي وأصحابه أولى بالحق ممن قاتلهم من أهل الشام ومعلوم أن الذين كانوا مع علي من الصحابة مثل عمار وسهل بن حنيف ونحوهما كانوا أفضل من الذين مع معاوية وان كان سعد بن أبي وقاص ونحوه من القاعدين أفضل ممن كان معهما، فكيف يعتقد مع هذا ان الابدال جميعهم الذين هم أفضل الخلق كانوا في أهل الشام ؟ هذا باطل قطعا، وان كان قد ورد في الشام وأهله فضائل معروفة فقد جعل الله لكل شيء قدرا

والكلام يجب أن يكون بالعلم و بالقسط فمن تكلم في الدين بغير علم دخل في قوله (ولا تقف ما ليس لك به علم) وفي قوله (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) ومن لم يتكلم بقسط وعدل خرج من قوله (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء الله) ومن قوله (واذا قلتم فاعدلوا) ومن قوله (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)

والذين تكلموا باسم البدل فردوه بمعان منها أنهم ابدال ومنها انهم كلما مات منهم رجل ابدل الله مكانه رجلا ، ومنها انهم ابدلوا السيئات من

أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بالحسنات ، وهذه الصفات كلها لا تختص باربعين ولا باقل ولا اكثر ، ولا تحصر باهل بقعة من الارض ، وبهذا التحرير يظهر المعنى باسم النجباء. فالغرض ان هذه الاسماء تارة تفسر بمعان باطلة بالكتاب والسنة واجماع السلف مثل تفسير بعضهم بان الغوث هو الذي يغيث الله به أهل الارض من رزقهم ونصرهم .فان هذا نظير ما تقوله النصارى في الباب، وهو معدوم العين والاثر ، وتشبيه بحال المنتظر الذي دخل السرداب من نحو اربعمائة وأربعين سنة ، وكذلك من فسر الاربعين الابدال بان الناس انما ينصرون ويرزقون بهم فذلك باطل بل النصر والرزق يحصل باسباب من اوكدها دعاء المسلمين المؤمنين وصلاتهم واخلاصهم ولا يتقيد ذلك لا باربعين ولا باقل ولا اكثر كما في الحديث المعروف ان سعد بن ابي وقاص قال يا رسول الله الرجل يكون حامية القوم ايسهم له مثل ما يسهم لضعفتهم ؟ فقال «ياسعد وهل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم بدعائهم وصلاتهم واخلاصهم » وقد يكون للنصر والرزق أسباب أخر فان الكفار ايضا والفجار ينصرون ويرزقون . وقد يجدب الله الارض على المؤمنين ويخيفهم من عدوهم ، لينيبوا اليه ويتوبوا من ذنوبهم، فيجمع لهم بين غفران الذنوب،وتفريج الكروب،وقد يملي للكفار ويرسل السماء عليهم مدرارا ويمدهم بأموال وبنين ويستدرجهم من حيث لا يعلمون، إما ليأخذهم في الدنيا أخذ عزيز مقتدر واما ليضعف عليهم العذاب في الآخرة فليس كل انعام كرامة ولا كل امتحان عقوبة قال الله تعالى (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن * وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن * كلا)

(للكلام بقية)

الخطاب

الذي خاطب به المحكمة الانكليزية العالم العلامة الاستاذ أبو الكلام

(٣)

وظيفة المسلمين اذا ظلموا

إن الشريعة الاسلامية رسمت للمسلمين خطتين اذا ظلموا ، خطة ضد استبداد الحكومة الاسلامية ، وخطة ضد استبداد الحكومة الاجنبية - والاولى تنحصر في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واعلان الحق وتقبيح الظلم من استطاع اليه سبيلا - أما الثانية فليست الا السيف والحرب العوان وضرب الرقاب وفي كلتيهما أمر المسلمون بأن يضحوا نفوسهم ويرحبوا بالموت صابرين ثابتين شاكرين ، راجين رحمة ربهم وفلاح الدنيا والآخرة . ولذا تجدهم كما تجرعوا كؤوس المنايا بين الولاة الظلمة من أنفسهم في سبيل الحق ، كذلك باعوا رؤوسهم بيد الاجانب في إعلاء كلمة الحق ، وقد سبقوا سائر الامم في هذا المضمار ، فلا يوجد « لسعيهم الحربي » مثال ، ولا يوجد « لسعيهم المدني » مثال

ولقد كان يجب على مسلمي الهند الآن أن يتخذوا الخطة الثانية فيحاربوا الحكومة الانكليزية بالسلاح ويتفانوا في جهادها ، غير أنهم آثروا الاولى ، واعلنوا أنهم لا يرفعون عليها السلاح ، ولا يسفكون الدماء ، بل يظلون متمسكين بعرى الامن والسلم ، وانما يقاطعونها ، وينفضون أيديهم من التعاون معها ويشهرون سوءاتها ، ويطلبون تغييرها « بالسعي المدني » اي يعاملونها كما كانوا يعاملون الحكومات الاسلامية الجائرة

أجل ان فيهم ضعفا ووهنا ، ولا يستطيعون محاربة الدولة البريطانية القوية ، الا أنهم لم يكونوا عاجزين عن إلقاء أنفسهم في أفواه مدافعها وسد طريقها بجثثهم الممزقة ، ولكنهم مع قدرتهم عليه اختاروا الخطة الاولى ، ولم يضيقوا عليها السبل

فهلا كان يجب عليها أن تفكر في صنيعهم وتسامحهم معها ؟ فحسبها أنهم يعاملونها كمعاملتهم لحكوماتهم الاسلامية !

انقلاب الحال

و إني أقول حقا إنه لا يؤلمني أن أرى الحكومة عازمة على معاقبتي ، وأنها لا تحاكمني الا لأن تزجني في السجون ، اذ هذا أمر لا بد منه ، وانما الذي يؤلمني فيفتت كبدي هو أن أرى الحالة تنقلب انقلابا تاما ، فبدلا من أن ينتظر من المسلم صدق اللهجة والقول الحق ، يطلب منه السكوت عنه وكتمان الشهادة ، وأن لا يقول للظالم « انك ظالم ! » لان قانون ١٢٤ يعاقب عليه !

ولقد كان المسلم في العهد الاول يوقف بين يدي ملك جبار لقوله له « انك ظالم » فيصب عليه العذاب الى ان تنشقق له القصب ، ثم يمدون قصبة قصبة حتى يذهب لحمه كله ، فلا يسمعونه يستغيث أو يندم أو يتألم ، بل لا ينفك لسانه يقول ما قاله أولا (١) ! فوازنوا بين هذا و بين قانونكم (١٢٤)

واست أنكر أن الحقيقة المحزنة هي أن المسلمين أنفسهم مسئولون عن هذا الانقلاب المخزي وتسلط الاجانب عليهم ، لأنهم قد فقدوا خصائص الحياة الاسلامية ، وكسبوا جميع رذائل العبودية ، حتى أصبحوا بحالتهم الحاضرة أكبر فتنة للاسلام ـ أقول هذا وقلبي يذوب حزنا و كمدا على وجود أناس من المسلمين في هذه البلاد يتخذون أربابا من دون الله ويعبدون الظلم والظلمة جهرا وعلنا ، فالى الله المشتكي ثم الى الله المشتكى !

الحرية أو الموت

ولكن سوء حال المسلمين لا يسود ناصية تعاليم الاسلام الحق البيضاء المصونة بين دفتي الكتاب الحكيم ـ وهي لا تبيح للمسلمين في حال من الاحوال

(١) وقد فعل هذا الحجاج بن يوسف الثقفي مع حطيط الزيات الذي مرت حكايته آنفا ـ « المترجم »

أن يعيشوا عبيدا وخولا الاجانب والمستبدين بل توجب عليهم ان يحيوا أحرارا ، أو يموتوا كراما ، وليس بينهما سبيل -

وهذا الذي حملني قبل اليوم باثنتى عشرة سنة على أن أذكر المسلمين في الهلال (١) بأن الجهاد في سبيل الحرية ، وبيع الرءوس لاعلاء كلمة الحق هو ارثهم الاسلامي القديم الذي ورثوه عن أجدادهم العظام ، وانه يجب أن يحافظوا عليها بكل قوة ، وأن دينهم يحتم عليهم أن يسبقوا جميع أبناء وطنهم في الجهاد الوطني ، فلا يكونوا فيه أذنابا ، بل رؤوسا وأعلاما يهتدى بهم - ولقد كان من فضل الله ان دعوتي لم تذهب أدراج الرياح ، بل لقيت القبول والاجابة منهم ، وها نحن اولاء نراهم اليوم قد شمروا عن ساعديهم وعزموا عزما أكيدا على السعي والعمل مع اخوانهم الوطنيين من الهندوس والنصارى والمجوس لتحرير وطنهم من ربقة العبودية الاجنبية ، ولا يقر لهم قرار الا بعد نيل المرام

مسألة الخلافة

وإني لا أذكر ههنا مظالم الحكومة حيال الخلافة الاسلامية لانها أشهر من أن تذكر ، ولكن الذي أريد التصريح به هو انه لم يمض علي يوم ولا ليلة في خلال السنتين الماضيتين الا وأعلنت تلكم المظالم على رءوس الاشهاد ، وصرخت بأعلى صوتي قائلا « إن الدولة التي تدوس الخلافة الاسلامية تحت اقدامها ولا تندم على ما اقترفته في الهند من الفظائع والمنكرات لا تستحق أن يخلص لها أحد من أبناء هذه البلاد ، لانها بأعمالها قد أصبحت عدوا ألد للاسلام والمسلمين ولسكان هذا القطر ! »

ولا تلومن الحكومة أحداً غير نفسها على سقوطها في هذا المأزق الذي يصعب عليها الخروج منه ، لاني قد نبهتها سنة ١٩١٨ من معتقلي في كتاب مني الى (اللورد جيمسفورد) الوالي السابق فصلت لها فيه الاحكام الاسلامية التي تتعلق بالخلافة وجزيرة العرب ، وصارحتها بان الدولة البريطانية اذا نقضت عهودها ، واستولت

(١) الهلال مجلة لصاحب الخطاب

على الخلافة والبلاد الاسلامية ، توقع المسلمين في حالة حرجة جدا ولا يبقى لهم اذ ذاك الا أن يكونوا مع الاسلام أو مع البريطانية ، ومعلوم أنهم يؤثرون الاسلام عليها

ولكنها لكبرها وعجرفتها لم تبال بما كتبت ، فألقت كتابي ظهريا، ونكثت أيمانها من بعد توكيدها ، فاحتلت دار الخلافة الاسلامية واستولت على العراق والشام وفلسطين ، وبسطت نفوذها على جزيرة العرب ، فعادت الاسلام والمسلمين علنا ، واضطرتهم الى مقاطعتها ونبذ معونتها والتبري من طاعتها (وهو أقل ما توجبه الشريعة في مثل هذه الحالة كما مر) ثم إنها باصرارها على غيها واعراضها عنهم واستنكافها من الانصات اليهم ، أيأستهم من نفسها ، حتى أيقنوا أن لا سبيل الى الحياة ونيل حقوقهم المغصوبة الا باسقاط هذه الحكومة واقامة حكومة وطنية بحتة ، وهي التي يسمونها في لغتهم « بالسوارج »

أعدل هذا أم ظلم ؟

والحاصل أن اعترافاتي في هذا الباب جلية وصريحة ، فاني لا أعد الحكومة الحاضرة الا (بيوووكريسيا) غير شرعي وعدما محضا في عين الحق والقانون ولرضا مئات (؟) الملايين من أبناء البلاد ، فهم يمقتونها أشد المقت ، ويطلبون زوالها وسقوطها بأسرع ما يمكن ، لانهم ألفوها دائما تؤثر الرهبة والشدة في أعمالها على العدل والحق ، وتبيح سفك الدماء البريئة بدون رحمة ولا شفقة في (جليانوا لاباغ [1]) وتجلد الصبيان الذين ما عرفوا الذنوب بعد لان ينحنوا أمام العلم البريطاني المثلث — ثم أنهم وجدوها لا ترتدع عن دوس الخلافة الاسلامية ، ولا تسمع الصيحات المتوالية التي تعلو من أفواه المسلمين وغيرهم ، وتسلم أزمير وتراقية الى اليونان ظلما وجورا ، وتسمح لهم باراقة دماء المسلمين

« ١ » هو ميدان محيط بالجدران بمدينة امرتسر من مقاطعة بنجاب ، قتلت فيه الجيوش الانكليزية مئات من الوطنيين ، رجالا وشيوخا وأطفالا ، كانوا اجتمعوا فيه ليتشاوروا في بعض القوانين الجائرة « المترجم »

أنهارا في سهول الاناضول.

ولقد رأوا جرأتها في سحق الحق غير قليلة ، وهمتها في لبس الصدق بالافك غير كليلة ، ولسانها في تكذيب الحقائق غير عيي ولا متلعثم ، فمع أنه يوجد في ولاية أزمير ٧٠ في المائة من المسلمين ، يعلن رئيس وزرائها بدون أدنى لكنة أن الاكثرية للنصارى ، ولقد وضع اليونانيون السيف في رقاب المسلمين وذبحوهم ذبح الانعام. هو يقلب الحقيقة فيتهم العثمانيين بالقتل وسفك الدماء ، ويشهر المظالم التركية المخترعة في العالم بلا مبالاة ، ويخفي بكل وقاحة تقرير لجنة التفتيش الامريكية التي ندبتها حكومته بنفسها ، ويؤلب على الاحرار العثمانيين الدول الغربية كلها ، ويدعوها الى محاربتهم واستئصالهم.

ثم انهم وجدوها لا تخجل ولا تندم على هذه الفضائح والمنكرات ، ولا ترغب في تلافيها واصلاح عوجها ، بل تعود ، فتستبد أكثر من قبل ، وتقهر البلاد وتكبح سعيها الشرعي السلمي ، وتعمل كل ما عملته في السنة الماضية ، وما تعمله منذ ١٨ نوفمبر الى الآن ، من الاعمال الشنيعة التي تشمئز منها الانسانية وتعافها —

فياليت شعري ان لم أقل لمثل هذه الحكومة « انك ظالمة ، فاما أن تتوبي وإما أن تزولي - فماذا أقوله ؟ أفأ كذب وأقول لها : لا بل انك عادلة فلا تتوبي ولا تزولي؟ لعمر الله أن هذا لا يكون أبداً!

وهل يستحق الظالم أن يبدل اسمه ويسمى بغير اسمه لانه يملك القوة والسجون والمشانق ؟ كلا بل أقول كما قال صالح ايطالية وبطل الحرية (ميزني) اننا لا نسكت عن سيئاتكم لانكم تملكون قوة عما قليل تزول!

قرة عيني في «هذه الجناية»

اني لاعجب كيف تقدم الحكومة هاتين الخطبتين الناقصتين ضدي ؟ أفما كانت تجد غيرهما ؟ أفلا توجد هذه الاقوال بعينها وأكثر منها في الآلاف المؤلفة من الصحائف التي حبرتها ، وفي جميع خطبي التي خطبتها في

سائر انحاء الهند ؟ فلو انها رجعت اليها لوجدتها ممتلئة من هذه الافكار الثورية

الحكومة تعلم أني لست حديث عهد «بمبادئ الثورة» كما سمتها فلقد مارستها وأنا صغير، وباشرت الخطابة والكتابة فيها وأنا ابن ثماني عشرة سنة وأفنيت شبابي في عشقها والهيمان بها ودعوت أمتي اليها جهراً على مسمع من الحكومة وحرضتها على المطالبة بحقوقها منها ولذا اعتقلتني أربع سنوات ولكن الاعتقال لم يكن ليمنعني من اداء واجباتي فظللت تحت المراقبة الشديدة ارفع صوتي بها وأدعو الناس اليها ، لا سراً بل علنا في رابعة النهار – وكيف لا ، وفيها قرة عيني ، وهي مقصدي من الحياة ، إن أعش أعش لاجلها وإن أمت أمت عليها (ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين)

الحركة الاسلامية الاخيرة

كيف استطيع التبري من هذه « الجناية » وأنا الذي قمت بهذه « الحركة الاسلامية » التي أحدثت انقلابا عظيما في افكار المسلمين السياسية وأوصلتهم الى حيث تراهم الآن ، فانهم بقبولهم افكاري أصبحوا شركائي في الجريمة واستحقوا العقاب الذي تشرفني به الحكومة — ولقد اصدرت سنة ١٩١٢ صحيفة باسم « الهلال » بثثت بها جراثيم هذا الذنب في المسلمين ، فعلقت بقلوبهم وسممت أفكارهم ، فبعد ان كانوا أعداء لاخوانهم الهندوس وعقبة كؤدا في جهادهم الوطني ، وآلة صماء بيد الحكومة ، يعتقدون أن البلاد اذا استقلت، تغلب عليهم الهندوس وأسسوا دولتهم لانهم اكثر عددا منهم – اصبحوا بدعوة « الهلال » يرجحون قوة الايمان والحق على قوة العدد والمدد ، ودعتهم الى مساهمة الهندوس في الجهاد الوطني، فاصبحوا متحدين معهم وقاموا جميعا بالحركة الحاضرة.

وغني عن البيان أن الحكومة لم تكن لتتحمل الحركة التي احدثتها « الهلال » فعمدت الى منعها واقفال مطبعتها ثم لما انشأت جريدة اخرى باسم «البلاغ» اعتقلتني واني اصرح هنا بأن « الهلال » لم تكن الا دعوة للحرية أو الموت » وإن

مايعمله الآن (مهاتما غاندهي) من بث الروح الدينية في الهندوس ، كانت « الهلال » قد فرغت منه سنة ١٩١٤ — وإن من المصادفات العجيبة أن المسلمين والهندوس ماقاموا بالحركة الجديدة القوية الا بعد أن حلت فيهم الروحانية الدينية محل المدنية الغربية المادية —

مؤتمر الخلافة بكلكتا

ثم اني منذ خرجت من الاعتقال الطويل ما برحت أنشر هذه المبادئ بين الناس وأدعوهم اليها — ففي مؤتمر الخلافة الذي انعقد في ٢٨ و ٢٩ فبراير بكلكتا نفسها والذي رأست جلساته ، حملت المسلمين على أن يعلنوا القرار الآتي

« ان أصرت الحكومة على غوايتها ، ولم تصغ لمطالبنا في مسئلة الخلافة ، يضطر المسلمون بأوامر دينهم أن يصرموا جميع أواصر الولاء التي تربطهم بها ! »

وألقيت في هذا المؤتمر خطبة طويلة بينت فيها جميع تلك الامور بيانا تاما وهي توجد في هاتين الخطبتين ناقصة —

التعاون والخدمة العسكرية

ولقد شرحت في هذه الخطبة أن الشريعة توجب على المسلمين في الحالة الحاضرة أن يكفوا عن التعاون مع الحكومة وأن يقاطعوها مقاطعة تامة — وهذا هو « اللاتعاون » الذي أطلق عليه بعد اسم Nen cooperation وتولى (مهاتما غاندهي) قيادته —

وفي نفس هذا المؤتمر أعلن : آنه لا يحل للمسلمين أن ينسلكوا في الخدمة العسكرية لهذه الحكومة ، لانها تحارب الخلافة والدولة الاسلامية ! » وإن من أعجب العجب أن تؤاخذ الحكومة أناسا (١) وتعاقبهم لاعلانهم هذا الحكم في مدينة كراجي ولا تؤاخذني به ، مع أني صرحت مراراً على صفحات الجرائد

(١) سجنت الحكومة الاخوين الشهيرين محمد علي وشوكت علي ونفرا غيرهما سنتين لاعلانهم هذا في كراجي من مقاطعة السند (المترجم)

وفي خطبي ان أول من قدم هذا الاقتراح وأعلن هذا الحكم الديني ، هو أنا بعيني ، فقد قرر وصودق عليه في ثلاثة مؤتمرات تحت رياستي : أولا في كلكتا، ثم في بريلي ، ثم في لاهور — وقد أعلنته مرارا في غير هذه المؤتمرات ، ودعوت الحكومة الى معاقبتي فلم تجبني ، مع أني كنت أحق الناس وأولاهم بالعقاب عليه

وقد طبعت خطبة مؤتمر كلكتا بعد زيادات فيها ، ونشرت مع الترجمة الانكليزية مرارا ، وهي بمثابة جدول مكتوب لجرائمي وذنوبي —

حياتي كلها « جناية »

اني قد طفت البلاد الهندية كلها عدة مرات في خلال السنتين الماضيتين ، وحدي ومع (مهاتما غاندهي) ولا توجد بلدة الا وقد خطبت فيها على مسئلة الخلافة وبنجاب « وسوراج » واللاتعاون — وبينت جميع تلك الامور التي تحتوي عليها هاتان الخطبتان

ولقد انعقدت جمعية الخلافة الكبرى في ديسمبر سنة ١٩٢٠ مع الجمعية الوطنية العامة (بناغبور)وجمعية العلماء في ابريل سنة ١٩٢١ (ببريلي) وجمعية الخلافة لمقاطعة (اورهر)في اكتوبر (بآغره) وجمعية العلماء العامة في نوفمبر (بلاهور) وقد رأست هذه الجمعيات كلها ، وخطبت فيها خطبا طويلة ، قلت فيها ما قلت في هاتين الخطبتين ، بل أكثر منه وأشد

فان كانت مطالب هاتين الخطبتين لا تلائم الحكومة ، وترائي أستحق العقاب لاجلها تحت قانون ١٢٤ ، فلم لا تعاقبني على جميع خطبي وهي كلها مثلهما ، بل أشد وطأة على الاستبداد منهما ؟ بل إني مضطر الى التصريح بأني ارتكبت هذه الجناية مرارا يستحيل عدها ، بل ما عملت في السنتين الماضيتين غير هذه الجناية ؟

اللاتعاون السلمي

انا قد وضعنا لجهادنا الحق خطة « اللاتعاون السلمي » أجل ، إن القوات

المادية واقفة امامنا بجميع اسلحتها القتالة ، ومواردها العظيمة ، تريد أن تسحقنا سحقا ، وتمحق الحرية والحق محقا ، ولكن هـذا لايهولنا ، لاننا لا نثق بالمادة والاسلحة المادية ، انما اتكالنا على الله الواحد القهار ، وثقتنا بالضحايا المتوالية التي نقدمها ، والثبات القوي الذي نظهره في هذه المعمعة القائمة بين الحق والباطل والحرية والاستبداد — وانى لا أري مثل (مهاتما غاندهي) أن استعمال السلاح لايجوز بحال ، فانى مسلم واعتقد أن استعماله مباح في المواقع التي أباحه الاسلام فيها — ولكني مع هذا أسلم بجميع دلائل (مهاتما غاندهي) في المسئلة الحاضرة واعتقد صحتها واني لعلى يقين من ربى في أن الهند ستفوز في قضيتها بخطة « اللاتعاون السلمي » ويكون فوزها مثالا عظيما لفوز القوة الروحانية والاخلاقية والحق على الباطل والمادة —

الحالة الحاضرة طبيعية

واني اكرر أخيرا ماقلته أو لا ، وهو أن ماتعمله الحكومة معنا ليس بامر عجيب ولا غير منتظر فنلومها عليه أو نتبرم منه ، فان القهر والعنف لقمع الحرية والحق دأب الحكومات الجائرة، وطبعها منذ الايام الخالية الى اليوم، ولا ينبغي لنا أن نمني انفسنا بتغير الطبيعة لاجلنا

وهذا الضعف الطبيعي كما يوجد في الآحاد ، يوجد في الجماعات ، فكم من من الناس من يرد النزر اليسير المغصوب لانه لاحق له فيه ؟ وكيف ننتظر من دولة أن تتخلى عن قارة تسلطت عليها ووجدتها تدر كالبقرة الحلوب ؟ والقوة لاتقبل شيئا لانه حق وعدل ، بل تنتظر قوة مقاومة مثلها ، فاذا تصادمت بها خضعت لكل طالب مهما كان فاحشا فالحرب التي نشبت الآن بين البلاد والحكومة فلابد من طولها وامتدادها ، ولا تأتي النتيجة الا بعد شق الانفس . وان هذا الواضح جلي لكل بصير ، بل هو عادي مثل سائر احوالنا العادية، فلا ينبغي أن نعجب منه أو نضجر —

وانى اسلم بأننا لم يصبنا ما أصاب الامم قبلنا في هذا السبيل من الدسف

والظلم ونقص الاموال والانفس — ولا ادري أهذا لضعف في مطالبتنا بالحقوق ووهن في سعينا وجهادنا ، أم لان ظلم الحكومة لم يبلغ منتهاه بعد ؟ المستقبل رهين بكشفه وبيانه —

وقد علمنا التاريخ أن هذا التزاحم كما يبتدئ في كل زمن متشابها ، كذلك ينتهي دائما متشابها ، فالحرية والحق ينتصران و يغلبان ، والاستبداد والباطل يخذلان و يسقطان، فاذا كنا صادقين في قضيتنا ، وصابرين في ابتلائنا ، ننجح ونفوز بلا ريب ، وتضطر هذه الحكومة التي تعاملنا اليوم كالمجرمين ، الى أن ترحب بنا غدا كالابطال والفاتحين !

الثورة

اني قد اتهمت « بالثورة » مهلا ، فروني افهم معنى « الثورة » أهي ذلك السعي الذي لم ينجح بعد ؟ ان كان هذا هو الثورة ،فنعم اني « لثائر » ومتمثل بين يديكم ، عاقبوني بأي عقاب شئتم ؛ ولكن اعلموا أن هذا السعي اذا تكلل بالنجاح فانه يسمى « بحب الوطن » « وجهاد الحرية » فقد كنتم بالامس تسمون قادة ايرلندة « ثواراً وعصاة » ولكن أي اسم تختاره اليوم الدولة البريطانية لديوليرا وغريفث ؟ أهم ثوار الآن أم ابطال الحرية ؟

ولقد قال مرة قائد ايرلندة بارنل : مازال عملنا هذا يسمى في البداية «ثورة» وفي النهاية « جهادا وحربا مقدسة للحرية والوطن ! »

ناموس القضاء بالحق

انني مسلم وحسب المسلم يقينا كتابه الذي يؤمن به ، فالقرآن يدل على أن ناموس « انتخاب الطبيعة وبقاء الاصلح » ناموس عام ، كما يعمل عمله في الاجسام والمادة ، فيبقى منها الاصح والاصلح للبقاء كذلك يعمل في العقائد والاعمال ، فالاعمال الصالحة تخلد وتثمر ، والاعمال السيئة تفنى وتصير هباء منثورا واذا وقع بينهما نزاع غلبت الاولى وحلت محل الثانية : (فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الارض ، كذلك يضرب الله الامثال)(١٣:١٨)

ولذا يسمي القرآن العمل الصالح « بالحق » الذي معناه الثبوت والقيام ، ويسمي الشر والسوء « بالباطل » الذي من شأنه أن يزول — (ان الباطل كان زهوقا)

فالتدافع الذي نراه قائما بين الحزبين سينتهي غدا بفوز الحق والصدق ، وبخسران الباطل والظلم — تلك سنة الله (ولن تجد لسنة الله تبديلا* وان تجد لسنة الله تحويلا)

واني لا أدري أقريب يوم الفصل أم بعيد ؟ ولكنني أرى الجو قد اكفهر وتلبد بالغيوم ، واجتمعت الآيات على سقوط الامطار ، والويل كل الويل لمن يرى الآيات والنذر ، ثم لا يأخذ أهبته ، ولا يرتق فتقه ، ولا يسد ثغره ، وإني لارى الحكومة من اولئك الذين لا تغنيهم الآيات والنذر فانها لا تزال متمادية في تيهها وخنزوانتها

وقد قلت في هاتين الخطبتين : ان الحرية لا ينبت نبتها ولا تستوي على سوقها الا اذا سقيت بماء الظلم والقهر . فها هي ذي الحكومة قد أخذت تسقيها بظلمها وقهرها !

وكذلك قلت فيهما : اخواني ! لا تحزنوا على من حبس منكم ، بل ان كنتم تطلبون الحق والحرية حقا ، فهلموا الى السجون واملأوها — فها نحن أولاء نرى السجون قد ازدحمت وامتلأت حجرها حتى لم يبق فيها محل للصوص والقتلة — واضطرت الحكومة الى تشييد سجون جديدة ؟

وكيل الدعوى ، البوليس ، والقاضي

وفي الختام أريد أن أسوق كلمة الى هذا النفر من بني جلدتي الذين يعملون ضدي في هذه القضية فأقول : أصحابي ثقوا باني لا أغضب ولا أحقد عليكم ، بل لا أتهمكم بالكذب والزور علي ، لان كل ما قلتموه في الشهادة حق وصدق ، ولكني أراكم قد عصيتم الله ربكم بمساعدة الحكومة في استبدادها وظلمها ومحاربتها للاسلام والانسانية — إني أعلم أن صوت الضمير يوبخكم في أعماق سرائركم ،

على ما تعملونه ، ولكنكم انما اضطررتم اليه اضطراراً ، لانكم لا تملكون ما تسدون به عوزكم ، وترزقون به أهليكم ، وليس فيكم قوة لتحمل البأساء والضراء في سبيل الحق ، فلذا لا أحنق عليكم ولا أعذلكم بل أعفو عنكم واستغفر لكم الله »

وأما وكيل الدعوى فهو أيضا أحد ابناء وطني ، ولا علم لي بسريرته وانما أرى علانيته ، وهي تشهد أنه لا حظ له في هذه القضية غير ما ينقده من النقود ، فانه أجير يعمل لاجرته فلذا لا أسخط ولا أحتمي عليه ، بل أدعو لجميع هؤلاء بدعوة نبي الاسلام (ص) لقومه : « اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون »

فاقض ما أنت قاض !

وأنت أيها القاضي ما ذا عسى أن أقول لك ؟ ان أقول الا ما قاله المؤمنون قبلي في مثل موقفي هذا : (فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا) فاني لا أحس بأدنى هم ولا ألم مهما تبالغ في العقاب ، لان خطابي مع الحكومة لا مع شخص واحد — وما دامت الحكومة فاسدة فلا رجاء في اصلاح أعمالها

واني لاختم خطابي بكلمات لفقيد ايطاليا وشهيد الحق « غاردينيو برونو » الذي كان اوقف مثلي أمام المحاكم فقال: «عاقبوني بأكثر ما يمكنكم أن تعاقبوني به فاني اؤكد لكم أن ما يشعر به قلبكم من العطف والحنان عند كتابتكم الجزاء لا يشعر قلبي في مقابله بذرة من الفزع والهلع عند سماعي هذا الجزاء »

الخاتمة

أيها القاضي ، لقد طال الحديث وآن أوان الوداع ، فليودع كل منا صاحبه وان ما يدور الآن بيننا سيسجله التاريخ بين دفاتره و يعتبر به المعتبرون ، ولقد تشاركنا في ترتيبه على سواء ، أنا من هذا القفص للجناة ، وأنت من ذاك الكرسي للقضاة ، واني عالم بأنه لا بد من هذا الكرسي ، وكذلك لا بد من

هذا القفص ، فهلم بنا نفرغ من هذا العمل الذي سيكون عبرة وتذكرة للآتين ، فالمؤرخ ينتظرنا ، والمستقبل يترقب فراغنا ، لنسرع في المجيء اليك ولتسرع أنت في القضاء علينا . وإن هذا العمل لا يطول قليلا حتى يفتح باب لمحكمة أخرى ، وتلك المحكمة محكمة قانون الله الحق ، الزمان يقضي فيها ، ويكون قضاؤه حتما وحكمه نافذاً اهـ

المعاهدة البريطانية الحجازية

وخدعة الوحدة العربية

— ٢ —

تعليق وجيز على خلاصة المعاهدة

لم يظهر لنا أدنى وجه لجعل المسيطر على الحجاز هذه المعاهدة عيدا للامة العربية ، فما أبعد الفرق بين معاهدة لوزان التي جعلت الحكومة التركية عيد النحر وهو يوم اعلانها عيدا وطنيا للترك ، وبين هذه المعاهدة التي جعل الملك حسين يوم اعلانها بمكة عيدا وطنيا للعرب ؟

معاهدة لوزان قررت استقلال الترك استقلالا مطلقا من كل قيد سياسي واقتصادي واجتماعي ، والمعاهدة البريطانية الحجازية قررت استعباد بلاد العراق وفلسطين وشرق الاردن بالوصاية البريطانية ، وبلاد الحجاز بالحماية الانكليزية ، فتلك جديرة بأن تجعل ذكراها عيداً وموسما ، وهذه جديرة ان امضيت بأن تجعل ذكرى خزيها مناحة ومأتما

بينت الجرائد المصرية ما في هذه المعاهدة من قيود استعباد العرب والحجاز — وبين المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس ما فيها من استعباد فلسطين والاعتراف بالحال الحاضرة فيها وما هي الا الاستعمار الانكليزي بالانتداب المتضمن للوطن القومي لليهود — وبينت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني هذا أيضا

وزادت عليه مافيها من اقرار الانتداب في سورية الشمالية ايضا . واننا نسجل في المنار أهم ما ظهر لنا من غوائل هذه المعاهدة المشئومة مما لانعلم ان احدا سبقنا الى مثله ، و نسأل الله ان يقضي عليها بالفشل ، وحسبنا من اعياد ملك الحجاز (عيد النهضة) التي هي علة كل هذا الشقاء

(المادة الاولى) « تنص على منع استعمال بلاد كل من الحكومتين المتعاهدتين قاعدة لاعمال موجهة ضد الحكومة الاخرى »

ليس في هذا النص أدنى فائدة للعرب بل فيه من الضرر انه يحظر عليهم وعلى جميع مسلمي الارض أن يتواطئوا في الحجاز أو يتشاوروا في أي أمر ينكرونه على الانكليز من ظلم شعوبهم أو استعباد بعض بلادهم ، والاعتداء على حكوماتهم ، وكل ذلك واقع . وسلب المسلمين لهذه الحرية في مهد دينهم ليس مما أعطاه الله لهذا الرجل الذي نصبه الانكليز ملكا على بلادهم المقدسة التي جعل كتاب الله لكل مسلم من الامن والحرية فيه مثل ما لهذا الملك وأولاده ورجال حكومته سواء . وأما حكومته فلن تنال في مقابل ذلك شيئا فان الانكليز لن يمنعوا مسلمي الهند من الاعمال الموجهة الى الانكار على ملك الحجاز وحكومته وعليهم ايضا في سياستهم الحجازية والعربية لا في الهند ولا في انكلترة نفسها

واما (المادة الثانية) فهي مشتملة على ست قضايا بعضها خداع و بعضها خزي و نكال

(١) تعهد عاهل بريطانية بأن يعترف باستقلال العرب في العراق وشرق الاردن والدول العربية في شبه جزيرة العرب ما عدا (عدنا)

نريد قبل كل شيء أن نفهم معنى هذا الاستقلال ـ فان عند الانكليز ممالك و ولايات تسمى مستقلة وهي ذات نظم مختلفة ، فنرى هنا أن الانكليز لا يزالون متمسكين بما يسمونه الانتداب ـ اي الوصاية ـ على العراق وفلسطين وشرق الاردن فكيف تكون مستقلة اذا؟ وهنالك حكومات عربية كانوا جعلوها تحت حمايتهم كلحج وحضرموت ولا نرى دليلا يدل على رفع هذه الحماية عنها ، والحجاز قد قيدها (موبقها) بمقررات النهضة من قبل ، و قيدتها هذه المعاهدة بما يأتي بعده،

فما معنى استقلال هذه الممالك اذا ؟ واما حكومات اليمن وتهامة ونجد فهي مستقلة ولم ينكر الانكليز عليها استقلالها وإنما كل همهم تقييدها بعهود واتفاقات وامتيازات خادعة، تمهد لهم السبيل للعبث باستقلالها عند سنوح الفرص المناسبة. فاذا لم يكن هذا الاستقلال لفظا خادعا فليصرحوا في المعاهدة بالغاء الانتداب والحماية ... كيف وهي لم تعقد الا لتثبيت ذلك وتوكيده كما يعلم مما يأتي في القضية الخامسة أفيصح ان تعد هذه نعمة على العرب يأمرهم من سمى نفسه ملكهم بان يتخذوا ذكرى إعلانه عيدا لهم ؟

(٢) تعهد العاهل البريطاني بتعضيد هذا الاستقلال . هذه قضية مبهمة تخشى عواقبها ولا ترجى أوائلها، فانها باب مفتوح للتدخل في شؤون البلاد الداخلية بحجة تعضيد الاستقلال كما تدخل الانكليز والفرنسيس في شؤون بلاد اليونان في أيام الحرب فعزلوا ملكها اتهاما له بانه يعبث باستقلالها وقد كانوا صرحوا بأنهم ضامنون له ! فهل تعد هذه سعادة للعرب يجعلون بها يوم اعلانها عيدا ؟

(٣) التصريح بان، لا حظ لعرب فلسطين أصحاب البلاد الا ما ضمنته لهم به الحكومة البريطانية في صك الانتداب المرتبط بعهد بلفور لليهود وهو انه لا يجري في البلاد شيء يجحف بحقوقهم الدينية والمدنية ، وهو حق سلبي محض معناه ان الحكومة البريطانية صاحبة السيادة على البلاد لا تمنعهم ولا تدع اليهود الذين تجعل هذه البلاد وطنا قوميا لهم ان يمنعوهم من الصلاة والصيام ، ولا البيع والشراء أو من التقاضي الى المحاكم مثلا ، — على اننا علمنا بالتجارب أن كل ضمان وعهد من قوي لضعيف لا ينفذ منه الا مافيه مصلحة القوي، وقد ضمن ملك الانكليز لمصر أن يدافع عنها في الحرب الكبرى ولا يكلفها شيئا في مقابلة ذلك — فكان من أمر سلطة جيشه العسكرية ان جعلت جميع ما تملك الحكومة المصرية والشعب المصري رهن تصرف الجيش ويقدر ما استفاده الجيش من مصر بمئات الملايين من الجنيهات دع تجنيده لزهاء مليون مصري استعان بهم على فتح فلسطين والعراق .. فهل يصح — والحالة هذه — ان يتخذ يوم اعلان تسجيل

هذه الرزية العظمى عيدا للعرب ؟

(٤) اذا رغبت هذه الحكومات كلها أو بعضها في الاشتراك في الجمارك أو غير الجمارك بقصد التوسل به الى عقد حلف بينها فيما بعد وطلبت من العاهل البريطاني أن يروج رغبتهم فانه يسعى لذلك

ونقول ان كانت هذه الحكومات مستقلة استقلالا صحيحا فأي حاجة الى طلبها من ملك أجنبي ان يروج ما تريد تنفيذه في بلادها من تلقاء نفسها ؟ وهل وعد هذا الملك لهم بالسعي لذلك يصح ان يعد نعمة له عليهم يتخذون يوم اعلانها عيدا لهم ؟

(٥) يعترف « صاحب الجلالة الهاشمية بالمركز الخاص الذي للجلالة البريطانية في العراق وشرق الاردن »

ونقول ان هذا المركز الخاص المذكور بصيغة المعرفة – اي بلام العهد – لا يمكن تفسيره لغة ولا عرفا سواء كان العهد ذهنيا أو خارجيا الا بالحال الحاضرة التي سموها الانتداب في هذه البلاد الذي اختاروا في تنفيذه ان تكون كل حكومة فيها على الوضع الذي هي عليه الآن ومنه حكم فلسطين بما يستغيث اهلها منه من الادارة اليهودية والسيادة البريطانية

ثم نقول على سبيل الانذار والتحذير : إن استحلال ملك الحجاز لاقرار الانكليز على هذا ورضاه به يعد ارتداداً عن الاسلام باجماع المسلمين ، ولا يوجد عالم مسلم يمكن أن ينازعنا في هذا بعد العلم به ، فهل يصح أن يستبدل بهذا جعله نعمة يمنها ملك الانكليز على «ملك العرب» يأمر هذا بجعل اعلانها عيدا للامة العربية ؟

(٦) يتعهد (صاحب الجلالة الهاشمية) بان يبذل غاية جهده في التعاون مع جلالته البريطانية على القيام بتعهداته في المسائل التي تقع ضمن نفوذ جلالته الهاشمية بشأن هذه البلاد

ونقول يالله العجب كيف لم يكتف الانكليز من هذا الرجل بمطالبته أن يبذل في سبيلهم دينه وشرفه بان يعترف لهم بالاستيلاء على بلاد الاسلام المقدسة والتصرف

في رقبتها كيفما ارادوا حتى حملوه على التعهد لهم ببذل منتهى جهده على القيام بتعهداتهم في المسائل التي تقع ضمن نفوذ جلالته أي في الحجاز وغيره من البلاد العربية ــ ثم يالله العجب كيف يفرح هو بهذا وذاك ويعلن في بيت الله انه يجب على العرب اتخاذ يوم اعلانه عيدا وطنيا ؟

(المادتان ٣ و٤) يفرض فيهما على ملك الحجاز المحافظة على العلاقات الودية بينه وبين حاكمي عسير ونجد وان يسعى لتسوية المنازعات على الحدود بينه وبينهما بالمفاوضات الودية ، ويتعهد ملك الانكليز في الثالثة بالسعي لتسوية أمثال هذه المنازعات اذا رغب اليه في ذلك

ونقول أما الاول فحسن في نفسه ويغلب على ظننا ان الملك حسين لم يرض به وانه أهم ما أعاد الدكتور ناجي الاصيل الى لندن لاجل تعديله ، ودليلنا على هذا أنه في أثناء المفاوضة في عقد هذه المعاهدة قد اعتدى على نجد وعسير فارسل جيشا احتل (ابها) عاصمة العسير التي كان نزل عنها المرحوم السيد الادريسي لصديقه سلطان نجد عند عقد المعاهدة بينهما ، كما انه اعتدى على بعض القبائل التابعة لنجد ، ولكنه باء بالخيبة والخسران في كلتا الحملتين

(المادة الخامسة) فيها « يتعهد صاحب الجلالة البريطانية بان يصد بجميع الوسائل السلمية والممكنة أي اعتداء يقع على بلاد جلالته الهاشمية ضمن الحدود التي تقرر نهائيا »

هذه هي الطامة الكبرى والصاخة العظمى التي صخت مسامع العالم الاسلامي فملأ صراخه في جميع الاقطار وهي اهانة حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم بجعلهما تحت حماية دولة لا تدين الله بدينهما بل هي طامعة في محوه وتنصير أهله . وقد اتفقت الجرائد المصرية والسورية التي ترجمت خلاصة المعاهدة الرسمية على التعبير بعطف الممكنة على السلمية — وعبر بعضها بالفعلية بدل السلمية — والعطف يقتضي المغايرة فيكون معناها والوسائل الحربية الممكنة اي من برية وبحرية وجوية واحتلال وغير ذلك . وهذا عين ما صرح به فيما يسميه

ملك الحجاز بمقررات النهضة فهو قد اشترط فيها على الانكليز حماية البلاد في الداخل والخارج حتى حال الفتن الداخلية واعتداء الامراء الحاسدين ! !

(المادة السادسة) تنص على تعيين وكيل سياسي بريطاني في جدة ووكيل سياسي حجازي في لندن — وعلى قناصل حجازيين في انكلترة والهند — وقناصل بريطانيين في جميع سواحل الحجاز

ونقول ان لذة صاحب الجلالة الهاشمية في هذه المادة انها من مظاهر فخفخة الملك الصوري، والا فأين المصالح السياسية والتجارية للحجازيين في بلاد الانكليز ومستعمراتهم التي تقتضي بذل النفقات العظيمة لتأسيس الوكالات السياسية والقنصلية في هذه الممالك الواسعة وأين المال الذي ينفق في هذه السبيل؟ أيؤخذ من الضرائب والمكوس على أداء فريضة الحج ؟

واما الانكليز فلهم مصالح كثيرة في تطويق سواحل الحجاز برجالهم السياسيين والبحريين الحربيين لمراقبة كل ما يدخل في هذه البلاد المقدسة وما يخرج منها، ولسبر غور هذه السواحل ومعرفة ما يكفي من القوة البرية والبحرية للاحاطة بها عند الحاجة التي يتوسلون اليها عند سنوح الفرصة باسم الحماية الممنوحة لهم من الجلالة الهاشمية المالكة المتصرفة بالدين ومعاهده أو باسم المحافظة على معاهدهم هذه وعلى رجالهم اذا اعتدى عليها أحد من أعراب البلاد ـ ولو بدسيسة منهم ـ وقد عهد في تاريخ الاستعمار البريطاني ان يكون دخول بريطاني واحد في قطر عظيم مقدمة لسلب استقلاله واذلال أهله لعظمتهم

وآخر الامثلة لهذا قنصلهم في جزيرة البحرين فقد سلب سلطة حكومتها وانفرد بالتصرف فيها وجعل حاكمها الصالح التقي الجاهل أذل من عير الحي والوتد

ومن دواعي الاسى والحزن أن هذه الحقيقة قد عرفت مثلها ملكة سبأ العربية منذ ألوف السنين ويجهلها صاحب «الجلالة الهاشمية» الذي يظن في نفسه انه أرقى الخلق علماً وخبرة وسياسة وكياسة حتى إن جريدته (القبلة) كانت تدعي انها تعلم دول أوربة الخطط الحربية بما ينشره من آرائه فيها ـ والذي

يدعي أن حكومته شرعية ويقرأ في القرآن قوله تعالى حكاية عن ملكة سبأ (ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) وقد بلغت وصية النبي (ص) في أمر جزيرة العرب وأهم المراد منها أن لا يقيم في بلاد الحجاز غير المسلمين ، ولا سيما الطامعين . وان دخول تاجر انكليزي في بلاد شرقية ضعيفة واقامته فيها يعد أعظم خطر عليها من دخول ملك فاتح من المتقدمين. فكيف بدخول الرجال السياسيين والحربيين، اذا أعطوا صفات الحماة المحافظين؟ فاذا كان صاحب الجلالة الهاشمية يجهل تاريخ تأسيس امبراطورية الهند بسعي شركة الجلد البريطانية فان له في سودان مصر وجزيرة البحرين لعبرة ماثلة ان كان من المعتبرين . وقد بينا من قبل ان الانكليز قد أسسوا لادارة سواحل الحجاز وغيره من بلاد العرب محافظة جديدة سموها محافظة البحر الاحمر شرعت في أعمالها بهدوء وخفاء

(المادة السابعة) - يعترف فيها ملك الحجاز بنظام الحجر الصحي الذي اتخذه الانجليز في جزيرة قمران لاجل الحجر فيها على حجاج الشرق والجنوب - كما يعترف له ملك الانكليز « بالتدابير المتممة التي قد تتخذ في جدة أو غيرها من مرافيء بلاد جلالته »

ونقول إن هذه المادة تعترف للانكليز بما لا تعترف بمثله لدولة مصر الاسلامية، وموضوع هذه المادة ان يكون عملها في مسألة الحجر على الحجاج متمماً لعمل الانكليز في (قمران) لا مستقلا ، ولا ندري كيف يكون تنفيذ ذلك وانما ظاهره يدل على ترجيح ملك الحجاز رفض قبول الحجاج الذين يحجر عليهم في (الطور) محجر الحكومة المصرية الاسلامية وحتم ان يحجر عليهم ولو مرة ثانية في محجره بجزيرة (أبي سعد) مع ان هذا تضييق على الحجاج ليس له مسوغ شرعي ولا فني ،

(المادة الثامنة) - يتعهد فيها ملك الانكليز بأن لا يتدخل في التدابير التي يتخذها ملك الحجاز للاعتناء بالحجاج - ويتعهد ملك الحجاز بأن يعضد المساعي التي يبذلها الرعايا البريطانيون المسلمون لمساعدة الحجاج في الحجاز

ونقول لماذا جعل ملك الحجاز لملك الانكليز حقا في الاعتراف له بالاعتناء

بالحجاج اذا لم يكن هذا مبنيا على ان الحجاز داخل في دائرة الامبراطورية .
ثم ماهذا الاعتناء الذي يريده ويرى انه لايتم له الا باجازة ملك الانكليز؟ ان الذي يتبادر الى الذهن ان العناية بالحجاج انما تكون بتأمين البلاد وتسهيل الطرق وتوفير المياه والعناية بمواد الغذاء والنظافة وتجنب الاعتدال في أجور الجمال والمساكن - فهل يحتاج شيء من هذا الى اجازة ملك الانكليز وهو من أمور الادارة الداخلية المحضة ؟ ام لهذه الكلمة معنى سياسي خفي يراد به التحكم في الحجاج بمصادرة أموالهم وضرب المكوس عليهم ، واذا كان هذا أو ذاك يتوقف على اجازة ملك الانكليز لان له رعايا من الحجاج فلماذا لا يتوقف على اجازة سائر الدول والحكومات التي لها رعايا يحجون كمسلمي الدولة البريطانية ، وما وجه تخصيص هذه الدولة بهذا الحق اذا لم يكن منقذ الحجاز والعرب قد جعل كل ما يدخل في ملكه تابعا لمستعمراتها ؟

ثم إن تعهد ملك الحجاز في هذه المادة بتعضيد مساعي الرعايا البريطانيين لمساعدة الحجاج في نفس الحجاز يقتضي ان يقبل منهم بعد امضاء هذه المعاهدة ما منع منه الحكومة المصرية في هذا العام من البعثة الطبية المرافقة لركب المحمل المصري مع اننا رأينا في الاعتذار له عن قبولها أنه يفتح الباب لغير دولة مصر من الدول غير الاسلامية لارسال بعثات طبية - فما الذي أباح للبريطانيين ما حرم على المصريين؟ أليست الدولة المصرية الاسلامية ، أولى بهذا من الدولة البريطانية؟ اذا لم يكن الحجاز كله تابعا لهذه الامبراطورية ؟

(المادة التاسعة) « تنص على تعيين مبلغ محدود كي يدفعه كل حاج »

ونقول هذا نص صريح في ضرب المكوس على الحجاج باطلاق. ولاشك في أن هذا محرم باجماع المسلمين ولاسيما اذا جعل شرطا لدخول الحجاز لاجل النسك كضريبة جواز السفر ومن يستحله يكون مرتدا عن الاسلام - هذا حكمه الشرعي ، أما حكمه السياسي فيقال فيه ما قيل فيما قبله لماذا جعل منوطا باجازة ملك الانكليز له دون غيره من ملوك المسلمين وغيرهم الذين تضرب هذه المكوس على رعاياهم؟ أوليس

الواجب أن لا يكون في الحجاز نفوذ ولا وجود لاجنبي غير مسلم ؟

وماذا يقول ملك الحجاز اذا خاطبته هذه الحكومات بانه ليس له حق أن يتقاضى من رعاياهن مكوسا بغير اتفاق معهن عليها كما اتفق مع الانكليز؟ أيحتج بالحماية والوصاية ؟ أم يعاملها كما عامل الحكومة المصرية ؟

(المادة العاشرة) - في الاعتراف بما لرعايا كل من الحكومتين في بلاد الاخرى من الصفة وهي مجملة لا يمكن العلم بما فيهامن ضر أونفع الا بعد بيان صفة كل منها وهو لا بد ان يكون مبينا في اصل المعاهدة

(المادة الحادية عشرة) ومابعدها الى (السادسة عشرة) في تفصيل الامتيازات القضائية للانكليز في بلاد الحجاز و كل مايتوقعون أن يدخل في ملك حسين بن علي وكلها تنافي الاستقلال التام وتنفيذ الشرع الاسلامي في الحجاز في المسلمين التابعين للدولة البريطانية، وهذه المسألة قد رفض المصريون مثلها في مفاوضة الانكليز، وقد رفضها الترك ومازالوا يجادلون و يناضلون في مؤتمر الصلح حتى انقذوا دولتهم من رقها، وملك الحجاز يقبلها في الحرمين الشريفين من تلقاء نفسه بلا موجب ولا مقتض ولا مقابلة لها بمثلها ، فما اذل هذا الرجل للبريطانيين ؛ وما أعزه وأعظم جبروته وكبرياءه على المسلمين !!

(المادة السابعة عشرة) « تعالج الشروط التي بموجبها يعترف صاحب الجلالة البريطانية بعلم الجلالة الهاشمية » وهي مجملة لا يمكن بيان الرأي فيها الا بعد بيان الشروط المشار اليها فيها وستعلم متى نشرت المعاهدة بنصها

(المادة الثامنة عشرة) تصرح بانه لا يجوز لاي الفريقين المتعاقدين الساميين أن يعقد أية معاهدة أو اتفاق مع فريق ثالث ضد مصالح الفريق المتعاقد السامي الآخر»

ونقول إن هذه مادة عادلة في صورتها لما فيها من التساوي وانما يقال فيها ما يقال في المعاهدة بجملتها وهو ان الانكليز يقيدون فيها الحجاز ولا يتقيدون معه في شيء بالفعل، كما فعلوا فيما اتفقوا عليه عند حمله على الخروج على الدولة العثمانية، وذلك ان المعاهدات عند اوربة حجة القوي على الضعيف، والانكليز أبرع الامم في

التفصي من الوفاء بها بالتأويل، كما قال البرنس بسمارك، اوهي عبارة عن عقد شركة بين طرفين متكافئين في القوة كما قال لويد جورج، وقد لدغ الملك حسين من هذا الجحر المرة بعد المرة ولايزال لاصقا به متعرضا لتوالي لدغه، فلم يكن له حظ من حديث «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»

(المادة التاسعة عشرة) «تنص على ان لاشيء في هذه المعاهدة يبطل ما قد تعهد به او قد يتعهد به احد الفريقين المتعاقدين الساميين بمقتضى عهد جمعية الامم»

ونقول إن ذكر الفريقين الساميين هنا كغيره من المخدرات التي تخدر أعصاب الملك حسين وتشغله بنشوة توهم مساواته بما يسميه «العظمة البريطانية» فهو ما تعهد بمقتضى عهد عصبة الامم بشيء وانما تعهد الطرف الآخر بالانتداب على أعظم بلاد العرب عمرانا وخصبا بالاشتراك بينه وبين فرنسا فامضاء الملك حسين لهذه المعاهدة يسلبه حق مطالبة الانكليز بتركها هذا الانتداب على العراق وفلسطين وشرق الاردن أو الغاء وعد بلفور الداخل في صك الانتداب والوصاية على فلسطين بمقتضى عهد جمعية الامم

(المادة العشرون) في تحديد مدة العمل بهذه المعاهدة وجعله سبع سنين، وهي المدة التي يقدرها الانكليز لفض المشاكل وحل المعضلات السياسية والاقتصادية التي خلفتها الحرب الكبرى، ولتأسيس قوى الطيران والمواصلات الجوية والحربية في شرق الاردن والعراق ومصر والقوة البحرية ومراكز الدسائس في سواحل الحجاز وغيرها من البحر الاحمر، وهم يعتقدون ان «ملك البلاد العربية» سيضطر بعد هذا كله الى تجديدها بما هو خير لهم وشر له ولبلاده وقومه منها.

فهذه كلمتنا المجملة المختصرة في النص الرسمي الذي نشر لخلاصتها وقد كان من المعقول المتوقع ان يضطرب العالم الاسلامي كله لها ويستنكر ما فيها من تدخل دولة غير مسلمة في مهد الاسلام المقدس بالحماية والامتيازات السياسية والقضائية والحماية وما تقتضيه من الخزي والنكال،

ولكن العجب العجاب ان يشذ مسلمو سورية وفلسطين وحدهم عن سائر

المسلمين اذ لم نر لهم قولا ولا احتجاجا في استنكار شيء منها الا ما انكره أهل فلسطين وهو مايخصهم من تضمن المعاهدة لا قرار الانتداب ومافيه من عهد بلفور ، كأن حرم الله تعالى وحرم خاتم رسله (ص) لاقيمة لهما عند احد من مسلمي تلك البلاد ؟ ولماذا يطالبون العالم الاسلامي ان يهتم بأمرهم لمكان المسجد الاقصى منه وهو في المرتبة الثالثة ؟

فياليت شعري هل جهل علماؤهم ومديرو جرائدهم ومحرروها ورجال الشرع والقوانين فيها مافهمه المصريون وغيرهم من معناها أم هم يرون ان للملك حسين ان يتصرف في دين الله ومعاهده المقدسة بما شاء وان خالف احكام الشرع المجمع عليها وكرامة الاسلام ومشاعره العظام بشرط أن لا يقر وعد بلفور عند بعضهم ؟

فاذا كانوا لايرون في هذه المعاهدة منكرا شرعيا ولاخطرا سياسيا الا تضمنها لوعد بلفور فليبينوا لنا خطأنا فيما فهمناه نحن وغيرنا من المسلمين، والا فليرفعوا اصواتهم في انكار هـذا المنكر ، ولهم ان يسلكوا في التعبير الطريق الذي يفضلونه ، والاسلوب الذي يرجحونه ، ولا يغفلوا عن كون سكوتهم عارا عظيما عليهم، وتأييدا لمرتكب المنكر وتجرئة له على الاصرار عليه، بل الامر أعظم من ذلك هو اقراره مع أولاده على القضاء على استقلال بقية البلاد العربية ، حتى الجزيرة التي عزت على جميع الفاتحين من قبل . ولقد كان استعبادهم لمصر والسودان وحماية فرنسة لمملكة مراكش وسلاطينها أولاد عم شرفاء مكة بما هو دون تداخل الانكليز في البلاد العربية الآن بمعاونة هؤلاء الاشراف والزعماء فليتدبر العقلاء أصحاب الغيرة على أمتهم ودينهم ا .

﴿ نص البيان الذي اصدره المؤتمر الفلسطيني السادس عن المعاهدة ﴾

« يعلن المؤتمر العربي الفلسطيني السادس المنعقد في يافا رفض مشروع المعاهدة التي نشرت حكومة فلسطين خلاصتها رسميا بتاريخ ٥ حزيران سنة ١٩٢٣ وفيها أن المعاهدة لم تبرم نهائيا وان المفاوضات بشأنها بين جلالة الملك

حسين وحكومة بريطانيا العظمى جارية حول تعديلات طفيفة لا تزال مجهولة وان هذا المؤتمر الممثل للامة العربية الفلسطينية يرفض كل مشروع لا يضمن لها في وطنها المقدس مطالبها العادلة المعلومة التي ذكرت تأييدها المؤتمرات السابقة من استقلال البلاد والغاء السياسة الصهيونية الفاضحة وقد أبرق المؤتمر بذلك الى صاحب الجلالة الهاشمية

قبل هذا النص بعد حوار قليل و بعد ان زيد في آخرها ما اقترحه السيد عمر البيطار من ذكر البرقية التي ارسلت لجلالة الملك حسين

﴿ صورة البرقية التي اقترح هذا المؤتمر ارسالها الى الملك حسين ﴾

«حاولت حكومة فلسطين محو السرور الذي احدثته برقية جلالتكم التبشيرية بنشرها مشروع المعاهدة الانكليزي المناقض للبرقية فاغتم الاهالي ودعت الحالة لجمع مؤتمر عام بيافا فقرر عرض الشكوى لاعتابكم التي لا يمكن ان تقبل مثل هذا المشروع ولن يقبله فلسطيني ما دام فيه رمق حياة واسترحام التفضل على أهل البلاد باطلاع ممثليها على ما يتعلق بهم في المعاهدة قبل ابرامه نهائيا الا زلتم للقضية العربية بجميع وجوهها وقبلة اجلال العرب واحترامهم»

فجرت مناقشة طويلة في نص البرقية وأخيرا تقرر قبولها بعدان اقترح السيد عيسى العيسى زيادة «سيما فيما يتعلق بفلسطين» بعد جملة مشروع المعاهدة الانكليزي المناقض للبرقية وزيادة كلمة «الاسراع» بعد الاسترحام

وقد أجاب الملك حسين عن هذه البرقية ببرقية هذا نصها «حسنوا الظن» وكيف يحسن العاقل الظن بالامر المعلوم ضرره وفساده بالقطع ؟

﴿ صورة البرقية التي ارسلها المؤتمر ﴾

الى رئاسة الوزارة. وزارة الخارجية. وزارة المستعمرات. رئاسة مجلس الاعيان رئاسة مجلس النواب والجمعية الوطنية السياسية بلندن

« قرار المؤتمر العربي الفلسطيني السادس المنعقد في يافا والممثل للامة رفض مشروع المعاهدة الانكليزي المقدم لجلالة الملك حسين والذي نشرت حكومة فلسطين خلاصته لانه مخالف للعهود المقطوعة للعرب ولحقوق الشعب الفلسطيني ومطالبه بالغاء السياسة الصهونية وبتأسيس حكومة وطنية نيابية مستقلة . والامة ترفض كل مشروع لا يضمن جميع مطالبها وقد أبرقنا بهذا لجلالة الملك حسين »

﴿ بيان اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطيني بمصر ﴾

في شأن المعاهدة الذي نشرته في الجرائد

« عقدت اللجنة التنفيذية المؤتمر السوري الفلسطيني جلسة فوق العادة في ٢٠ يونيه ١٩٢٣ للبحث في حظ الوطن السوري من المعاهدة البريطانية العربية التي قررت مبدئيا ولا تزال موضوع المفاوضة النهائية بين مكة ولندن . وبعد البحث والمناقشة في الخلاصة الرسمية التي نشرتها حكومة فلسطين أخيرا لهذه المعاهدة تقرر بالاجماع اصدار البيان الآتي : —

ان المادة الثانية من هذه المعاهدة تنص على اصرار الحكومة البريطانية على موقفها الحاضر في فلسطين . ولم تعترف لاهلها العرب فيها بحق من الحقوق السياسية والقومية غير ما تضمنه صك الانتداب وعهد بلفور من الحق السلبي وهو أن لا يجري في البلاد ما يجحف بحقوقهم المدنية والدينية

وتنص أيضاً « على اعتراف صاحب الجلالة الهاشمية بالمركز الخاص الذي لصاحب الجلالة البريطانية في العراق وشرق الاردن وفلسطين »

« ثم ان المادة التاسعة عشرة تنص على ان لا شيء في المعاهدة يبطل أي عهد تعهدأ وقد يتعهد به في المستقبل أحد الفريقين المتعاقدين بمقتضي عهد جمعية الامم

« ولا يخفى أن المركز الخاص المشار اليه هو ما يسمونه الانتداب الذي كان صاحب الجلالة الهاشمية يأبى الاعتراف به قبل هذه المعاهدة فنصت على

اعترافه به فيها بأسلوب سياسي في كل من العراق وشرق الاردن وفلسطين كما انطوت على الاعتراف ضمنا بتجزئة سورية وبوعد بلفور في الوطن القومي لليهود

« ومن المعلوم أن مجلس جمعية الامم قرر انتداب فرنسا على سورية الشمالية (سورية ولبنان) وانتداب انجلترة على سورية الجنوبية (فلسطين وشرق الاردن) فالانتداب باق اذن على حاله لا تنقض هذه المعاهدة شيئا منه

« فاللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني الامينة على ما قرره مؤتمر جنيف من طلب الاعتراف باستقلال البلاد واعلان إلغاء الانتداب تصرح بأن كل اتفاق وكل معاهدة تتضمن ما يخالف هذه القرارات في الوطن السوري هي باطلة في نظر أهله الذين لا يقبلون شيئا يخالف حقوقهم الطبيعية والشرعية في تقرير مصيرهم

« فبناء على هذا لا تكون هذه المعاهدة مقيدة أهل سورية وفلسطين ولبنان بحق لاحد فيها، ولا بقيد تتقيد به الامة، ولا بحماية للطرفين المتعاقدين ولا للحلفاء ولا للولايات المتحدة مما كانوا صرحوا به لاهل هذه البلاد في ضمن البلاد العربية المنفصلة عن تركيا من حق الاستقلال وتقرير المصير

« لتحيا سورية حرة مستقلة »

(المنار) اتفقت الاحزاب والجماعات والصحف العربية على ان المادة الثانية من هذه المعاهدة صريحة في استثناء فلسطين من الاستقلال الخادع المذكور في المادة الاولى وجاءت البرقية الانكليزية من لندن مصرحة بهذا ولكن الملك حسينا لا يزال يصرح في قبلته بما أراد أن يقنع به أهل فلسطين وغيرهم بخلاف ذلك. وهذا الاصرار من أغرب وقائع عناده المعهود، وأغرب منه أصرار دعاة المأجورين في فلسطين على وجوب الاعتصام بحبله غير المتين، بغير حياء ولا خجل من العالمين، وحجة بعضهم أن نيته حسنة في هذا كما كانت حسنة في مساعدة الانكليزية لى فتح بلادهم وتهنئتهم به، فليهنئوا بسياسة حسن النية، وسياسة الصوفية؟!

ذكرى رينان في الجامعة المصرية

محاضرة الشيخ مصطفى عبد الرازق في رينان والافغاني

كلمة المنار في المحاضرة

(٤)

(٤) قال رينان «إن المسلم يؤمن بان الله يهب الرزق والسلطان لمن يشاء من غير نظر الى تهذيب أو استحقاق خاص وهو بايمانه هذا يزدري أشد الازدراء العلم والتهذيب وكل ما يدخل في تكوين الروح الاوربي

وانما نجيب عن هذا جوابا موجزا يظهر جهل رينان بالاسلام والمسلمين ويحبط عمله ، ويؤيد ما حققناه في معنى رد السيد جمال الدين عليه فنقول :

ان عقيدة المسلمين في المشيئة الالهية أعلى وأرقى من فلسفته ومن علم جميع فلاسفة الارض وان زعم ان عقول العرب ولغتهم لاتسع شيئا من علم ما وراء الطبيعة . فهم على موافقتهم لغيرهم من المؤمنين بالله في إثبات المشيئة والارادة له تعالى يقولون: ان متعلقات هذه المشيئة قسمان : قسم قدري تكويني ، وقسم ديني تشريعي ، و بين القسمين العموم والخصوص المطلق فيجتمعان في بعض الامور و ينفرد أحدهما ببعض .

فأما مايجتمعان فيه فمثاله كسب الرزق من الحلال وانفاقه في سبيل البر والخير ونيل الرجل العالم العادل السلطان باختيار الامة واقامته ميزان العدل فيها .

وأما ما ينفرد به أحدهما عن الآخر فمثاله كسب الرزق من الطرق المحرمة كالغش والخيانة ، ونيل الامارة والسلطان بالتغلب والقهر ، فهذا مخالف لدين الله وشرعه ، ولكنه لايقع الا بمشيئته التكوينية وقدره ، ومعنى هذا انه سبحانه جعل نظام هذا العالم مبنيا على الاسباب والمسببات وجعل لذلك سننا عامة وهي مايعبر عنه في عرف العصر بالنواميس الطبيعية والاجتماعية ، وفي عرف القرآن بالاقدار

والمقادير وبالسنن قال تعالى (قد جعل الله لكل شيء قدرا) وقال (الله يعلم ماتحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار) أي فلا شيء منها بجزاف ولا بخارج عن النظام ، فمن راعى هذه السنن في الكسب وفي الاستيلاء على البلاد والعباد قد ينال ماسعى اليه بمشيئة الله التكوينية وقدره في نظام العالم ، وان لم يراع شرعه وهداية دينه في أسباب ذلك ولا في نتائجه كاستيلاء المستعمرين من قومه وغيرهم باتقان أسباب القوة على المستضعفين المهملين لها .

ولما كان المسلمون يفهمون أصول دينهم حق الفهم كانوا يتحرون الجمع بين أحكام الشريعة الدينية الآمرة بالحق والعدل والفضيلة والاحسان ، و بين مراعاة سنن الله في غيرهم ، فاجتمع لهم بهداية دينهم الحضارة والسيادة ، والغنى والنعمة ، والعدل والفضيلة والتقوى .

ولما استحوذ عليهم الجهل والضعف بتوسيد أمور حكومتهم الى غير أهلها وتغلب همج الاعاجم عليهم بالقوة القاهرة أعرضوا عن النظر في سنن الله الاجتماعية وعن هدايته الدينية معا ، وكان مما أدخله جهلة الصوفية ومبتدعة الجبرية في عقائدهم بدسائس حكامهم ان الملك والرزق والظلم والفسق كلها من قدر الله تعالى فيجب الرضى بها وعدم الاعتراض عليها ، وكذا عدم مقاومتها بالاولى ، و بنشر هذه السموم طال ملك أولئك الظالمين ، وتمتع أولئك الفاسقون ، حتى سلبه منهم من هم أشد مراعاة لسنن الكون والاجتماع ، وكل هذا مخالف لنصوص القرآن والسنة ولما قرره الائمة الراسخون في العلم من المتكلمين والصوفية أيضا كالشيخ عبد القادر الجيلاني الذي صرح بوجوب مقاومة الاقدار بالاقدار ، أخذا من قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي وافقه عليه جمهور الصحابة : نفر من قدر الله الى قدر الله . قال هذا حينما قرر بعد مشاورة جميع شبانهم وشيوخهم عدم دخول الشام والوباء فيها . ومثل ذلك وجوب مقاومة الظلم وأهله فليس في الاسلام مثل ما في الانجيل من وجوب الخضوع لكل سلطة لانها من الله بل فيه ضده

كما سيأتي وإنما ذلك من خرافات المتصوفة

وانه يحق لرينان أن يسخر من جميع

هذه الضلالة بين مسلمي الجزائر وسائر افريقيه

وتعمم بهائم شيوخ الطريقة من قومه أن يبثوا فيهم

التبرم بهم والكراهة لشيء من أحكامهم وأعمالهم بش

على الله والكراهة لقضائه وقدره بزعمهم !! وأني لاولئك ا

والدنيا ان يميزوا بين الرضا من الله تعالى وعدم الاعتراض عليه ،

عدم الرضا بالمقضي والمقدور نفسه اذا كان ضارا أو مخالفا للشرع ، ومن و

بما يعلم من سنن الله تعالى واقداره ؟ ومثاله المرض : لا نعترض على الله

مرضنا ولا نسخط على تقديره اصابة من يتعرض لاسباب الامراض فيها ، ولكن

يجب ان نكره المرض وان نقاومه بالدواء والمعالجة بعد وقوعه ، و باتقائه قبل وقوعه ،

كما فر جمهور الصحابة من الشام . ولم يدخلوا البلد الذي وقع فيه الوباء منها بالاجماع

فثبت بهذا ان ما ينكره على مسلمي افريقية وأمثالهم انما هو مخالفة قواعد

الاسلام لا الاهتداء بها

وانا نذكر المفتونين بفلسفة رينان والمشيدين بفلسفته من قومنا بعض

الشواهد من نصوص القرآن على ان مشيئة الله التشريعية لا تقضي بأن يكون

السلطان في الدنيا لمن لا أهلية له ولا استحقاق ولا مزية في الفضل ، بل الامر بالضد

(١) أخبرنا الله تعالى في سورة البقرة انه وعد نبيه وخليله ابراهيم (ص)

بانه يجعله اماما للناس فسأله ابراهيم أن يجعل من ذريته أئمة مثله فاجابه

تعالى بقوله (لا ينال عهدي الظالمين) أفليس هذا نصا صريحا في أن الامامة

والسلطان في الناس لا يكونان عهدا من الله تعالى لاحد من الظالمين ، وان كانوا

من ذرية الانبياء المرسلين ؟ بلى وقد فهم هذا الحكم من الآية ائمة المفسرين ،

فقالوا أن الآية تدل على أن الظالم لا يصح في دين الله أن يكون اماما للناس في

أمور دينهم ولا أمور دنياهم أي لا يكون خليفة ولا سلطانا ولا أميرا ، وقد ذكرنا بعض

أقوالهم في فاتحة كتاب الخلافة وفصلنا المسألة فيه

(ب) قال تعالى في الآيات التي أذن فيها للمسلمين بان يقاتلوا من قاتلوهم من أهل مكة وأخرجوهم من ديارهم بغير حق، بل لاجل توحيدهم لله عز وجل، (الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) فالدين الذي يشترط على أهله في المدافعة عن أنفسهم واعطائهم السلطان في الارض أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر هل يقال انه يعطي السلطان لمن شاء بدون تهذيب ولا استحقاق ؟ والآيات والاحاديث في هذا المعنى كثيرة

(ج) قال الله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون) ومعلوم أن الصلاح ضد الفساد . وقد ذم الفساد والافساد في الارض من الملوك وغيرهم وتوعدهم في عشرات من الآيات في سور كثيرة . قال (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار ؟) وهذا دليل على أن المراد بالصالحات أعم من العبادات البدنية لانه مقابل لكل ما فيه إفساد في الارض، وهو يشمل افساد النبات والحيوان والانسان ، بأي طريق وأي وسيلة وكل شكل من أشكال الفساد ، كما أن إرث الارض فيها عام يشمل الدنيا والآخرة، فلا يرث الارض في حكم الله ومقتضى دينه الا الصالح، وخص الارض بعض المفسرين هنا بالمقدسة وبعضهم بالجنة ، ويدل على ارث الملك والسلطان في الارض المقدسة أو مطلقا آية الشاهد التالي وهو

(د) قال تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم) الآية

(ه) قال تعالى (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) فسر بعضهم الظلم هنا بالشرك أخذا من قوله تعالى (ان الشرك لظلم عظيم) ومن غيره. والمعنى عليه أنه ليس من سنة الله أن يهلك الامم بسبب الشرك به اذا كان أهلها مصلحين في الارض بالعدل والعمران . وقال بعضهم ان المعنى وما

كان من شأن ربك ولا مما مضت به سنته في العمران أن يهلك الامم بظلم منه وهم مصلحون في أعمالهم — أي اذا أهلكهم وهم مصلحون يكون ظالما لهم وهو منزه عن الظلم . ويؤيده ما ورد من الآيات الكثيرة في إهلاك الظالمين ، وادالة الدولة للعادلين المصلحين ، ونكتفي منها بالشواهد الثلاثة الآتية

(و . ز . ح) قال تعالى (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة أن أخذه اليم شديد) وقال (فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ، ولنسكننكم الارض من بعدهم) وقال (فكاين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد) وحث بعدها على السير في الارض والاعتبار بآثار الامم

هذا قليل من كثير من شواهد القرآن على أن الله تعالى لا يعطي السلطان في الارض لمن شاء من غير أهلية ولا استحقاق مطلقا كما زعم رينان بل هو يعطيه لمن شاء من أهل العدل والاصلاح ، ولو بالنسبة الى غيرهم وان لم يكونوا عادلين ومصلحين مطلقا ،

وأما مسألة الرزق فليس من سنة الله في الاجتماع البشري أن يخص الله بالرزق الصالحين المصلحين ولا المفسدين بل قال (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً) ولكنه على هذه السنة قد خص أهل التقوى والاستقامة بما يؤخذ من الشواهد الآتية :

(ط) قال تعالى (وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا)

(ي) قال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) ولكنه قرن الرزق بالسعي بما يدل عليه

(ك) قوله تعالى (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه)

(ل) قال تعالى (وذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد) قال الربيع رضي الله عنه أي انهم اذا شكروا النعمة زادهم من فضله وأوسع لهم في الرزق . ومن شكر النعمة عند علماء الاسلام حفظها وحسن التصرف فيها بوضعها في مواضعها من غير إسراف ولا تبذير — واما نوط الرزق وغيره بالكسب العملي فالشواهد عليه من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح كثيرة

منشور الامام يحيى حميد الدين

جاءنا من اليمن المنشور الآتي مطبوعا في مطبعة (المقام الشريف) بصنعاء، متوجا بعد البسملة بختم الامام يحيي حميد الدين الرسمي الملقب فيه بامير المؤمنين، المتوكل على الله رب العالمين، وهو في دعوة المسلمين الى جمع الكلمة، والاعتصام بالكتاب والسنة، والاستمساك بالعترة الطاهرة، وترك الخلاف والفرقة،

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) * (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

الحمد لله الهادي الى السنن القويم، وكل خير عميم، بقوله عز وجل (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم * ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين * وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون*) والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ذي الخلق العظيم، المبعوث رحمة للعالمين من رب العرش الكريم، بالشريعة السمحة الكافلة بخيري الآخرة والاولى، القائل « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا - المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى رأسه اشتكى كله وان اشتكى عينه اشتكى كله - يد الله على الجماعة - لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض - المؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه - لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » وعلى آله المخصوصين برعاية التقديم والتكريم، قرناء الذكر الحكيم، الذين ورد فيهم «اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي اهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني انهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض - أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوي - احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي » وغير ذلك

من الاحاديث الكثيرة ،والاخبار الشهيرة، وعلى اصحابه الذين قاموا بنصرته وبايضاح طريقه المستقيم ، وبذلوا انفسهم ونفيسهم في مرضاة الرب العليم .

أما بعد فهذا بلاغ واف،وبيان شاف ،أردنا به نصح اخوان الدين،وايقاظ همم المسلمين ،وحررناه الى كل مطلع عليه من العلماء العاملين،واخواننا أهل الدين ، وفقهم الله لصالح القول والعمل، وحرسهم بطاعته عن مزالق الزلل . وحياهم بشريف السلام، ورحمة الله وبركاته على الدوام

انه قدعلم ما دهي الاسلام والمسلمين من داء التفرق والاختلاف ، والمخاصمات التي أغلقت بها ابواب الوفاق والائتلاف ،حتى فشل المسلمون وذهبت ريحهم وصاروا كأنهم أدنى عنصر في العالم غير مهاب الجناب، ولا مصون من الاغتصاب، الى أن طمعت في استئصالهم واخضاعهم الدول الاجنبية ، وخصوصا العرب الذين هم منشأ هذا الدين ومبدأ ظهوره ، وأفق تجليات نوره، وهم الذين أعز الله بهم الاسلام،وملكوا اكثر العالم وانفتحت لهم قاراته وحصين قصوره ، لما كانوا عليه من التوحيد ديانة وسياسة وعلما وعملا، والتعاضد والتعاون لا يبغون عنه حولا ، ولا يرضون بسواه بدلا ، حتى خضعت لهم الرقاب ، وذلت لهم الصعاب ، وضربت بعزهم الامثال ، وسعدت بصولتهم الاجيال، وقد استبان في هذا القرن شؤم التفرق والاختلاف ، وأنه السبب الوحيد لتمزيق الاجانب بلاد المسلمين ثم الاخذ والاختطاف ، وانهدام ذلك المجد الشامخ ، والعز الباذخ ،وحل بكثير من المسلمين ذوي العقول عظيم التأسف والتندم ، ولكن بعد أن صاروا في أشراك الاقتناص وبعد زلة القدم ،

وقد آن لنا معشر المسلمين أن ننظر لانفسنا بعيون الاستبصار، وأن نجيد آراءنا لما يكون به عزنا وشرفنا ورجوع ايامنا التي ارتقينا فيها صهوة كل عز وانتصار ، وليس لنا الى ذلك من سبيل ،الا باتباع ما أرشدنا اليه الرب الجليل، من الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق والتنازع واتباع صراط الله المستقيم . وترك اتباع السبل المتفرقة المضلة عن سبيله كما جاء في الذكر الحكيم . وادارة كل شئوننا على منهاج شريعة الله عبادة ومعاملة ودفاعا. وكفى بهدي الله لنا وسيلة الى نيل كل مطلوب،ودفع كل مخوف مرهوب ، ولقد قمنا بمقامنا هذا الحرج طلبا لخدمة الله باصلاح ما نقدر عليه من أحوال المسلمين والدعاء الى الله وطاعته ، بامتثال أوامره ونواهيه والانقياد لشريعته ، وقد حصل

لما في اكثر هذه البلاد المرام ، وترتبت الاعمال على مراضي الرب العلام ، ولم نزل نجدد الارشاد ، الى كثير من البلاد ، راجين الله تعالى أن يجمع كلمة المسلمين لما به حفظ دينهم وبلادهم ، وحوزتهم وعزهم وكيانهم، ولما كانت بلاد اليمن قطعة واحدة وأهلها متحدو العنصر والديانة متفقو اللغة متقاربو الانساب من الاشراف والقبائل ، لا اختلاف بينهم في شيء ، فربهم واحد ونبيهم واحد، وكتابهم واحد، ودينهم واحد، بلا اختلاف يعول عليه الا من لا معرفة له بالشريعة ، ولا بواضح مناهجها الوسيعة ، وأما أهل الديانة والعرفان ، واولو العقول التي بها تعرف طرائق الاحسان . فهم يعرفون أن أهل القطعة المباركة اليمنية كاهل مدينة واحدة، ومع هذا فالواجب علينا جمع الكلمة، واتحاد الرأي وتوحيد الطريقة ، وعقد الولاء على الحقيقة ، حتى نكون كالجسم الواحد وكالبنان أو كالبنيان، كما وصف به الرسول صلى الله وسلم عليه وآله وصحبه اهل الايمان .

وقد عممنا دعوتنا هذه التي هي دعوة حق الى كل من بلغته، وحررنا هذا الكتاب مع غيره الى أهل جهاتكم وما والاها من العلماء الاعلام ، والرؤساء الفخام ، والمشايخ والافراد ، ندعوكم بدعوة الحق الى ما أسلفناه في هذا الكتاب، ونقول هلموا أيها الاخوان الى ما به عز الدنيا والدين ، والوصول الى الخير المستبين ، لنعمر أمور ديننا ودنيانا، على طريقة الاسلاف الذين هم اسوتنا ومقتدانا ، وليس المراد ملكا نشيده ، ولا مالا نستزيده، ولا جاها نستفيده، وانما المراد اجتماع المسلمين بالمحجة البيضاء والصراط المستقيم ، وسنقر كل بلاد بيد رؤسائها ، ونحيل اليهم مجرى أعمالها ومرساها، هلموا الينا للعمل بكتاب الله وسنة رسول الله والسلف الصالح : نحيي ما أحيا الله ، ونميت ما أمات الله ، نأمر بالمعروف ، وننهى عن المنكر المخوف، ونمنع التظالم، ونأخذ على يد الظالم، ونحقن الدماء، ونعمل بشريعة خالق الارض والسماء، ونجري الاعمال، على محور ارشادات ذي الجلال، فكل ما خالفها فهو الباطل المضمحل ، وما وافقها فهو الحق المستفحل، بارشادات الشريعة صلاح الدين والدنيا وقد خاب من عدل عنها. ولم يتم للسلف الصالح نصرة الدين وفتح الاقطار الشاسعة إلا بالعمل بارشادات شريعة الله

ونقول أيضاً أيها العلماء الاعلام ، أنتم المكلفون ببث ما علمكم الله

ونشره للناس ، وثمرة العلم انما هي العمل والارشاد الى ما به ذهاب الباس ، فقد أخذ الله عليكم ميثاقه الاكيد ، وألزمكم القيام بالتعليم والوعظ والنصيحة للعامة وارشادهم الى الخير والمزيد، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتخويف من عقاب الله، والانذار بسخطه ومقته على من أعرض عما أوجبه الله عليه ، ولم يوجب الله على العامة السؤال بقوله سبحانه (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) حتى أوجب عليهم البيان بقوله(واذا أخذالله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم « لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم(١) عهدالله أحق ما أدي ٢)فشمروا كثرالله سوادكم عن ساق الهمة في هذا السبيل ، و بينوا وعظوا وانصحوا لتفوزوا بالاجر الجزيل،واحيوا سنة السلف الصالح فى هذا الجيل ، فقد قام بالدعوة الى آل محمد من السلف الصالح من به يقتدى ، ويقتفى أثره وبنور ارشاده يهتدى ؛ منهم الامام الشافعي والامام أبو حنيفة رضي الله عنهما .

واعلموا أن هذا الذى ندعوكم اليه هو أمر محبوب عند كل بنى الانسان، خصوصاً عند الدول المتمدنة فانها تعتبر هذا من الامور الواجبة على الامم ، وخصوصاً الحكومة البريطانية ، وانا نؤمل منها غاية المساعدة (٣) لامور مهمة، مما تتقوى به هذه الدعوة المبنية على أساس متين ، فهي الدولة المفتخرة بمحبتها للعرب ، واعانتها لهم في كل ما يتم به الارب، خدمة للانسانية ورعاية لحقوقها التي ترشد اليها الضمائر الوجدانية ،

وقد وصل الينا رؤساء البيضا (٤ فى هذه الآونة وأعلمناهم ماندعو اليه ،

---

(١) المنار : تتمة الحديث « شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم »

(٢) المنار هذا حديث آخر

(٣) يعني بهذه المساعدة — والله أعلم — تمكينه من نشردعوته ورفع لواءامامته في البلاد المجاورة التي كانت قدقيدتها بالحماية ولعل سبب هذا الامل انه قد تم الاتفاق بينه و بين الدولة البريطانية وقد بلغنا انهم قدحذفوا من مواده كل القيود التى تنافي الاستقلال المطلق الا تقدمهم على غيرهم من الاجانب في كل مشروع او امتياز اقتصادي عند تساوي الشروط وان تمنح الامام البلاد التي كانت محمية الاستقلال الاداري تحت سيادته كحضرموت ولحج ، وسننشر نص الاتفاق متى جاءنا بعد العلم الصحيح بالتوقيع عليه ووضعه موضع التنفيذ (٤)البيضاء من بلاد اليمن بالقرب من حضرموت



﴿ حديث مع رحمة الله فاروق جناب اللورد هدلي ﴾

لم تستقبل مصر رجلا منذ رجوع سعد باشا زغلول كما استقبلت بالامس حضرة المستر (جورج رولان السن دن) المشهور المعروف باسم اللورد هدلي والمعتنق لديانة الاسلامية تحت اسم رحمة الله فاروق

لقد غصت المحطات بالمستقبلين — من بورسعيد الى مصر والشعب يهتف مرحبا مستقبلا هذا الضيف الكريم . وهذا ما دعا كاتب هذه السطور لزيارة جناب اللورد الكريم زيارة افرادية خاصة في منشية البكري حيث حل ضيفا عزيزا مع رفيقيه المحترمين خوجه كمال الدين مدير المجلة الاسلامية فى لندن والمبشر المشهور المقيم في بلاد الانكليز يدعو الناس للدخول في دين الاسلام ، وجناب عبد المحيي مفتي الديار الانكليزية وشيخ جامع وكنج في ضواحي لندن

استقبلني جناب اللورد بلطفه وأدبه الكبيرين، على رأسه الطربوش المصري الموضوع فوق شعره المكلل بالبياض فينعكس من احمراره لون وردي جميل على وجهه الابيض وعلى عينيه الزرقاوين المتحركتين كثيرا ثم نزلنا الى جنينة المنشية الواسعة وجلسنا نتحادث .

كنت أصغي الى حديثه وأنا أقول في نفسي ما السبب الحقيقي الذي دعا هذا الرجل الانكليزي المنحدر بنسبه من ملوك نورث وايلس - ما الذي دعا هذا الرجل الذي وقف شارل الثاني سنة ١٦٦٠ يعلق على صدر اجداده شارات البارونية ؟ ما الذي دعا هذا اللورد لاعتناق دين الاسلام ؟

لقد اجتهدت كثيرا أن أتغلغل الى داخلية نفسه لعلي استكشف العاطفة النفسية التي دفعته الى الاسلام. لقد حادثته مليا ساعتين كاملتين فلم أشك بعدهما في أن الرجل اعتنق الاسلام نهائيا

ان اللورد هدلي لم يكن في حياته مسيحيا قط كما قال لى هو بنفسه، وقد كان على مذهب الموحدين الذين يؤمنون بالله واحد ويعتقدون ان المسيح نبي وهؤلاء

شيعة كبيرة في انجلترا وأميركا وهم الموحدون المشهورون

واللورد هدلي مهندس معروف وقد قص علي من حديثه ما يأتي قال :

«أنا مسلم منذ خمسين سنة ولكني لم اعتنق الاسلام رسميا الا في ١٧ نوفمبر سنة ١٩١٣ وذلك لاسباب عائلية سنأتي على ذكرها . وقد كنت في صغري أشك في أمور كثيرة في الدين المسيحي وكنت لا أعرف كيف أستطيع أن أومن بالمبدأ المسيحي القائل - اذا كنت لا تؤمن بألوهية المسيح فلا تنجو من عذاب جهنم الابدي - واذا لم تأكل جسد المسيح وتشرب دمه فلن تنجو أيضاً، لذلك كنت في دخيلة نفسي ثائرا على الديانة المسيحية من السادسة عشرة من العمر

« وفي سنة ١٨٨٣ سافرت الى الهند الى مقاطعة كشمير لمشاريع هندسية وانشاء طرق وتعمير تلك الولايات على الطرق الحديثة الفنية . وهناك اجتمعت بصديقي الكولونيل.. (وطلب الي ان لاأذكر اسمه) الذي اهداني نسخة من القرآن الكريم . وكنت أجد في هذا الكتاب الشريف من بساطة الدين الاسلامي المبني على الفطرة الطبيعية الصادقة التي تدفع الانسان الى الخير وتنهاه عن المنكر ما يوافق طبيعة نفسي ويلائم روحي. وكنت كلما قرأت في ذلك المصحف الكريم اكتشفت بنفسي انني مسلم دون أن يبشرني أحد بالاسلام ودون أن يدعوني أحد الى الاسلام. لذلك أحب أن يترك الانسان في مسألة الاديان الى نفسه ليختار الدين الذي يريده أو يوفقه وأنا أعتقد أن ثلاثة أرباع الناس في انكلترا هم مسلمون دون أن يشعروا أو يعرفوا ذلك. واذا سألت احدا ماهر دينك؟ فيقول لك أنا مسيحي واذا قلت له كلا فأنت مسلم بحسب اعتقادك يضحك منك قائلا كلا فأنا على دين المسيح

«أنا أؤمن أن لا اله الا الله وأؤمن أن محمدا وموسى وعيسى انبياء الله لا نفرق بينهم بحسب تعاليم القرآن . وأجد الدين الاسلامي دينا بسيطا يفهمه قلبي ويتفق معه عقلي، لاني لا استطيع أن أومن بما لا يفهمه القلب ولا يتفق مع العقل وقد خطر لي أن اعلن اسلامي منذ صغري لكني كنت مضطرا الى مراعاة عواطف انسبائي المتقدمين في العمر الذين كنت من غير شك سأجرح عواطفهم، واكسر

قلوبهم اذا اعلنت اني خرجت عن دينهم الذي يعتقدونه ويعتقدون أن لاخلاص لمن لا يؤمن به . لكن في السنوات الاخيرة قبل الحرب مات جميع المتقدمين في السن من اقربائي . وفي ذلك الحين تعرفت بصديقي خوجه كمال الدين فكنا نتحادث ونتباحث كثيرا في امور الدين الاسلامي . ولا انكر أن له الفضل الاكبر في مساعدتي وارشادي لاعلاني الانضمام الى حظيرة الدين الاسلامي .

أما زوجي فقد توفيت منذ زمن طويل ولي أربعة اولاد لهم الخيار في اعتناق أي مذهب يشاءون .

«وقد كنت اعجب دائما بما كنت أقرأه عن ابطال الاسلام، وعن اولئك الافراد الذين خرجوا من الصحراء حفاة الاقدام فاستطاعوا أن يكونوا أعظم قواد العالم وأعدل قضاة الارض وأشهر المتشرعين على الاطلاق .

« واني أفتخر بديني الجديد وأشكر الله عليه فهو دين بسيط جدا مفهوم تماما، أعرفه كما هو وأعيش بموجبه مسترشدا بما يوحيه الي ضميري ووجداني .

وقد كنت عقدت النية على اداء فريضة الحج وزيارة قبر النبي المصطفى في أوائل اعتناق الاسلام لكن الحرب العالمية الكبرى جاءت فجأة فاضطررت الى تأجيل زيارتي هذه الى هذه السنة »

وقد ذكر لي أنه هو أول من اعتنق الاسلام بين الانجليز وهو الآن رئيس المجلس الاسلامي الاعلى في انجلترا وانه قد دخل الى حظيرة الاسلام منذ دخوله اليها نحو اربعمائة شخص من رجال ونساء من الانجليز ، أما هو نفسه فيعتقد اعتقادا ثابتا راسخا أن ثلاثة ارباع الناس في انجلترا هم مسلمون بأفكارهم ومبادئهم لكنهم لا يدركون ذلك ، ولاجل هذا هم لا يريدون ان يعترفوا به .

هذا هو خلاصة حديث اللورد هدلي . وقد اجتمعت بحضرته مرة أخرى فوجدت انه لا يستطيع ان يزيد شيئا على ما قال . فالرجل مفكر حر تعبت نفسه من تقاليد الديانة التي ربي فيها وتاقت نفسه الى مبدأ بسيط يوافق طبيعة روحه فوجد في بساطة الدين الاسلامي القائم على توحيد الله ضالته المنشودة فاعتنق

الاسلام وهو الآن سائر في طريقه الى بيت الله الحرام ، ا ه

(المنار) لا يقرأ هذا الحديث أحد له قلب إلا ويشعر بأنه من املاء الصدق والاخلاص ، ولم نر خطأ فيه إلا قوله انه اول من اسلم في انكلترة . وقد يشك الملاحدة والنصارى الواثقون بدينهم في قول اللورد انه يعتقد أن ثلاثة ارباع الشعب الانكليزي مسلمون بفطرتهم كما يشك بعض المسلمين في صحة اسلامه هو — وعندنا أن هذا هو الحق اليقين من حيث ان الاسلام دين الفطرة وفي الحديث الصحيح « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه أو ينصرانه او يمجسانه » واذا كانت التربية الانكليزية مبنية على مراعاة الفطرة ومنها استقلال الفكر فلا غرو اذا كان ثلاثة ارباعهم لا يصدقون تقاليد الكنيسة المبتدعة بعد المسيح عليه السلام بل يؤمنون بتوحيد الله وكون المسيح رسولا كسائر رسل الله كما قال عليه السلام « وهذه هي الحياة الابدية أن يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي ارسلته » وهذا عين اصلاح الاسلام للنصرانية ، ولو تولى الدعوة الى الاسلام في انكلترة والولايات المتحدة الاميركانية من يعرفون الاسلام معرفة صحيحة برهانية عمرانية وامكنهم بيانه وبيان غش رجال السياسة والمبشرين المضلين الذين اوقعوا العداوة والبغضاء بين الاسلام وأوربة لدخل هذان الشعبان في دين الله افواجا. وكنا شرعنا في الاستعداد لذلك بمشروع الدعوة والارشاد ، والتزم العزيز عباس حلمي أعقل امراء الاسلام واعلاهم همة مساعدتنا على عملنا من حيث قاومنا بعض المسلمين الحاسدين ومقلدتهم حتى اذا ماذهب بنفوذه اقفلت مدرسة دار الدعوة والارشاد بدسائس الانكليز واغراء بعض البهائية والانكليز

وفاة رجل كبير ، ومحسن شهير ، هو الحاج مقبل الذكير

بسم الله الرحمن الرحيم

الي حضرة الاستاذ الامام والفاضل الكامل الهمام العلامة النحرير والبدر المنير السيد محمد رشيد آل رضا رضي الله عنه وارضاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأزكا واشرف تحياته (أما بعد) فاني أعزيك باخيك الطاهر النقي ، والعابد التقي ، الناسك البرّ الاوّاه ، الباذل امواله في سبيل الله ، طلبا لرضاه ؛ الحاج مقبل بن عبد الرحمن الذكير طيب الله

ثراه ، وجعل جنة الفردوس مثواه ، فقد أجاب الداعي ، ولبى المنادي، في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٤١ فأول ليلة قدم فيها على ربه هي ليلة سبع وعشرين من رمضان وهي ليلة القدر على أصح الاقوال واشهرها وقد ناهز عمره ثمانين عاما ؛ وبارك الله في حياته ، فلم تلهه دنياه عما فيه رضى الله ، فكم ضعيف أعانه ، وملهوف أغاثه ، ومعسر يسر عليه ، وكان رحمه الله وصولا لارحامه ، برًّا باصحابه ، وله الآثار الجميلة الجليلة في البحرين وغيرها من عمارة المساجد ، وحفر الآبار ، والصدقات الجارية ، وله من الصدقات على عموم المسلمين مايعجز عن القيام بمثله غالب الناس ، فقد انفق كثيرا من امواله على طبع الكتب العلمية وجعلها وقفا لوجه الله تعالى فمنها (اعلام الموقعين وحادي الارواح) لابن القيم في ثلاثة مجلدات (وفتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية) وبعض كتبه في خمسة مجلدات ، والتدمرية والحيده والصابونية واثبات صفة العلو للامام الموفق ، ومنها شرح الاقناع وشرح المنتهى في أربعة اجزاء كبار وكلاهما في فقه الحنابلة وهذه طبعها ووقفها لما كان في جزيرة البحرين

عاد قبيل وفاته بسنوات قليلة الى مسقط رأسه وبلد اسلافه عنيزة أم بلدان القصيم ولم يثن عزمه عن عمل الصالحات والمسابقة الى الخيرات ماكان يكابده من آلام الكبر وضعف الحواس فبنى في بلده مدرسة ودارا لمن يكون مدرسا في تلك المدرسة وأمر أن يطبع على نفقته كتاب (اللطائف) لابن رجب (والبحور الزاخرة) للسفاريني وقد بوشر بطبعهما في الهند ، فجاءت المنية قبل تمام الامنية ، ولنا في ذريته وأقاربه عظيم الامل أن يسيروا على منهاجه لانهم أهل بيت راسخ في المجد ، عريق في الكرم ، وكان رحمه الله سلفي الاعتقاد محبا لنشر السنة ، وقد قرأ طرفا من فقه الامام احمد بن حنبل رحمه الله في أوائل عمره فرحمه الله تعالى برحمته الواسعة واعظم فيه لاجر (إنا لله وإنا اليه راجعون) تسليما لامر الله ورضى بقضائه ، وحسبنا الله وكفى . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ٢٤ شوال سنة ١٣٤١ كتبه

محمد بن عبد العزيز المانع

(المنار) نسأل الله تعالى أن يبارك في عمر أخينا الناعي قاضي قطر العادل وأن يتغمد أخانا المنعي برحمته ورضوانه ويجمعنا به (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) وأن يحسن عزاء اهله وولده ، ويوفقهم لاقتفاء أثره



قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صُوًى « ومنارا » كمنار الطريق

٣٠ ذي الحجة ١٣٤١ — ٢٠ الاسد (ص٣) سنة ١٣٠٢ هـ ش ١٣ أغسطس ١٩٢٣

فتاوى المنار

(الراتبة القبلية للجمعة ، القياس في العبادات ، والتردد في نية الصلاة ، ومن صلى غير ما نوى)*

(س ٢٢ — ٢٤)

رفع أستاذ من المدارس العليا أسئلة أو « سؤالا ذا شعب » — الى العلماء كافة وخصني بالذكر مع ثلاثة منهم فأقول : سائلا من الله تعالى أن يلهمني الصواب ، ويؤتيني الحكمة وفصل الخطاب :

(نص السؤال الاول)

هل ثبت من طريق شرعي — غير ما رواه ابن ماجه وقد ضعفه وجرحه أهل الحديث — أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى قبل الجمعة ركعتين أو أربعا بنية سنة الجمعة أو أمر بذلك أو أقره ؟

(الجواب) يعني السائل بحديث ابن ماجه مارواه عن ابن عباس (رض) قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يركع قبل الجمعة أربعا لا يفصل في شيء منهن .

(*) نشر السؤال ثم الجواب في الاهرام

وفي إسناده مبشر بن عبيد كذاب وضاع بل قال صاحب الزوائد اسناده مسلسل بالضعفاء : عطية متفق على ضعفه وحجاج مدلس ومبشر بن عبيد كذاب وبقية ابن الوليد مدلس اهـ أقول وقد عنعن كل من الحجاج وبقية وكذا مبشر فالحديث موضوع وقال النووي في الخلاصة إنه حديث باطل

وقد ورد في هذا المعنى عدة أحاديث أمثل من حديث ابن ماجه ولكنها ضعيفة (منها) حديث أبي هريرة عن البزار : كان يصلي قبل الجمعة أربعا وبعدها أربعا — ومثلها عن علي رواه الاثرم وقال انه واه والطبراني في الاوسط ، وروى الطبراني مثله عن أبي مسعود وفي اسناده ضعف وانقطاع ، والصواب أنه موقوف كما رواه عبد الرزاق . ومثله عن ابن سعد عن صفية زوج النبي (ص) وهو موقوف أيضا أفاد ذلك كله الحافظ ابن حجر . ولم نطلع في كتب السنة ولا فيما احتج به من قال بأن للجمعة سنة قبلية على حديث صحيح صريح في ذلك بل الثابت الذي لا خلاف فيه أن النبي (ص) كان يخرج من بيته الى المسجد اذا زالت الشمس فيؤذن بين يديه فيخطب فيصلي بالناس فريضة الجمعة فينصرف الى بيته فيصلي فيه ركعتين

ولكن ورد أحاديث في الصحاح وغيرها استدل بها القائلون بسنية الصلاة قبل الجمعة ورد عليهم المانعون استدلالهم (منها) ما رواه أبو داود وابن حبان من طريق أيوب عن نافع قال : كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين في بيته ويحدث أن رسول الله (ص) كان يفعل ذلك . قال الحافظ : احتج به النووي في الخلاصة على إثبات سنة الجمعة التي قبلها . وتعقب بأن قوله « كان يفعل ذلك » عائد على قوله : ويصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته — ويدل عليه رواية الليث عن نافع عن عبد الله أنه كان اذا صلى الجمعة انصرف فسجد سجدتين في بيته ثم قال : كان رسول الله (ص) يصنع ذلك . أخرجه مسلم ، وأما قوله كان يطيل الصلاة قبل الجمعة فان كان المراد بعد دخول الوقت فلا يصح أن يكون مرفوعا لانه (ص) كان يخرج اذا زالت الشمس فيشتغل

بالخطبة ثم بصلاة الجمعة ، واذا كان المراد قبل دخول الوقت فذلك مطلق نافلة لا صلاة راتبة ، فلا حجة فيه لسنة الجمعة التي قبلها بل هو تنفل مطلق وقد ورد الترغيب فيه اه

أقول وروى احمد عن عطاء الخراساني عن نبيشة الهذلي عن النبي (ص) قال « ان المسلم اذا اغتسل يوم الجمعة ثم أقبل الى المسجد لا يؤذي أحداً فان لم يجد الامام خرج صلى ما بدا له ، وان وجد الامام قد خرج جلس فاستمع حتى يقضي الامام جمعته وكلامه ان لم يغفر له في جمعته تلك ذنوبه كلها أن تكون كفارة للجمعة التي تليها »

وعطاء الخراساني فيه خلاف وثقه بعضهم وضعفه البخاري وذكر باسناده عن سعيد بن المسيب أنه قال : كذب علي عطاء ما حدثته هكذا ، وقال ابن حبان كان رديء الحفظ يخطيء ولا يعلم فبطل الاحتجاج به . وهو لم يسمع من نبيشة بل قال الطبراني انه لم يسمع من أحد من الصحابة الا من أنس . على أن الحديث كما يتبادر من لفظه في النفل المطلق ولا خلاف في جوازه قبل الصلاة

وظاهره منع تحية المسجد اذا كان الامام قد خرج وهو معارض بحديث « اذا جاء أحدكم والامام يخطب يوم الجمعة فليركع ركعتين وليتجوز فيهما» رواه احمد ومسلم وابو داود عن جابر بن عبد الله وفي رواية « اذا جاء أحدكم والامام يخطب — أو قد خرج — فليصل ركعتين » وسببه ما رواه الجماعة عنه قال : « دخل رجل يوم الجمعة ورسول الله (ص) يخطب فقال « صليت » ؟ قال لا ، قال « فصل ركعتين » وهو مفصل في رواية أخرى وقد حقق الجمهور أن هاتين الركعتين هما ركعتا تحية المسجد ، ولو كانت سنة قبلية للجمعة لأمر الناس كلهم بها قبل الخطبة التي كان يبتدر المنبر بها عند الزوال

وروى الجماعة كلهم (احمد والشيخان واصحاب السنن) عن ابن عمر أن النبي (ص) كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته . ولم يذكر قبلها شيئا . وورد في معناه أحاديث أخرى ، وروى الجماعة ما عدا البخاري من حديث أبي

هريرة أن النبي (ص) قال « اذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربع ركعات» وفي رواية لمسلم « من كان منكم مصليا بعد الجمعة فليصل أربعا » وهو لفظ أبي داود والترمذي . ولكن لم يصح أنه (ص) صلى بعدها أربعا ولا قبلها شيئا

(ومنها) ما استدلوا به من عموم ما ورد في الرواتب . قال الحافظ وأقوى ما يتمسك به في مشروعية ركعتين قبل الجمعة ما صححه ابن حبان من حديث عبد الله بن الزبير مرفوعا « ما من صلاة مفروضة الا وبين يديها ركعتان » ومثله حديث عبد الله بن مغفل « بين كل أذانين صلاة لمن شاء » اهـ أقول وقد رواه الجماعة كلهم ، والمراد بالاذانين الاذان والاقامة . والمانعون يقولون إن هذا العموم مخصوص بغير الجمعة اذ ثبت بل تواتر بالعمل الاجماعي أنه ليس بين أذانها واقامتها الا الخطبة — ولا يعارضه ما صح من صلاة ركعتي تحية المسجد في وقت الخطبة — وهذا أقوى من تخصيص بعضهم له بغير صلاة المغرب لما ورد من أنهم لم يكونوا يصلون بين أذانها واقامتها شيئا بل كانوا يشرعون في الصلاة في أثناء الاذان، ولما ورد من حديث بريدة عند البزار من استثناء صلاة المغرب في مثل حديث عبد الله بن مغفل مع أن هذا ضعيف وما قبله معارض بما روي من صلاة بعضهم لها في الصحيح

السؤال الثاني

أيصح القياس في تشريع الصلوات فنصلي سنة قبلية للجمعة قياسا على الظهر أو نصلي قبلية للعيد قياسا على الجمعة ؟

(ج) الاصل في القياس الصحيح أن يكون فيما لا نص فيه من كتاب ولا سنة وهو ما ورد النص على علته مع نفي الفارق فيما يشاركه في العلة ، والاصل في جميع الاحكام التعبدية أن تثبت بالنص ولولا ذلك لم يثبت اكمال الدين ولا أن النبي (ص) واصحابه كانوا اكمل المؤمنين دينا وعبادة، وكل منهما قطعي. وهذا أساس مذهب الامام مالك كما بينه الشاطبي في الاعتصام(راجع ص١٢٣ من الجزء الثاني،وقد فصلنا هذه المسألة في المنار مراراً وفي تفسير قوله تعالى(٥:١٠٤

يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم) من جزء التفسير السابع وفيه تفصيل لمسألة القياس الصحيح والباطل . والتحقيق أنه لا يمكن اثبات عبادة عملية محضة مستقلة بالقياس المحض لانحو نية ، وما كان من تحقيق المناط وما ثبت بفحوى الخطاب أو لحنه ، ولا يتسع هذا الجواب لبسط هذه المسألة ولا هي من موضوعه. وقد غلط من جوز اثبات سنة قبلية للجمعة بالقياس على الظهر ، ويغني عنه القول بأن كون الجمعة بدلا من الظهر يقتضي أن يصلي قبلها و بعدها من الراتبة ما يصلي قبله و بعده ، وهذا ليس بقياس . وللمانعين أن يردوه بما دلت عليه النصوص في الجمعة ، وليس من موضوعنا هنا الترجيح بين الاقوال في المسألة ، ووجد من العلماء من قاس راتبة العيد على راتبة الجمعة وهو شاذ . وقد اختلف العلماء في الصلاة قبل صلاة العيد و بعدها بسبب اختلاف الاخبار والآثار . والتحقيق انه لم تثبت لها سنة قبلها ولا بعدها ولم يثبت منع خاص للتنفل قبلها او بعدها كما قال الحافظ في الفتح

السؤال الثالث

« أتجوز نية الصلاة مع التردد في كون المنوي فرضاً أو نفلا ؟ وهل يجوز المصلي أن ينوي فرضا معينا وركعات معدودات ثم يفعل غير ما نواه ؟ »

(ج) لا تتحقق النية الا بالعزم القاطع ومن شروطها العلم بالمنوي وعدم الصارف عنه بأن يستصحبها حكما من أول الصلاة الى آخرها فلا يأتي بشيء ينافيها كما صرحوا به ولكن بعض الفقهاء جوزوا تحويل الفرض نفلا لعذر وتحويل الجمعة الى الظهر اذا خرج الوقت اذ عدوه شرطا لصحتها

قال الشيخ موفق الدين الحنبلي في المغني : واذا دخل في الصلاة بنية مترددة بين اتمامها وقطعها لم تصح لان النية عزم جازم ومع التردد لا يحصل الجزم ، وان تلبس بها بنية صحيحة ثم نوى قطعها والخروج منها بطلت وبهذا قال الشافعي . وقال أبو حنيفة لا تبطل بذلك لانها عبادة صح دخوله فيها فلم تفسد بنية الخروج منها كالحج الخ (ثم قال) واذا أحرم بفريضة ثم نوى نقلها الى فريضة أخرى

بطلت الاولى لانه قطع نيتها ، ولم تصح الثانية لانه لم ينوها من أولها . اه

ثم ذكر خلافا عن الحنابلة في نقلها الى نفل لعذر أو لغرض صحيح أو بدونه، والراجح عندهم جوازه لغرض صحيح كالشافعية الذين توسعوا في العذر ومثلوا له بقول الشمس الرملي الشافعي في شرحه المنهاج : ولو قلب المصلي صلاته التي هو فيها صلاة أخرى عالما عامدا بطلت أو أتى بمنافي الفرض لا النفل كأن أحرم القادر بالفرض قاعدا أو أحرم به قبل وقته عامدا عالما لم تنعقد صلاته لتلاعبه فان كان له عذر كظنه دخول الوقت فأحرم بالفرض أو قلبه نفلا لادراك جماعة مشروعة وهو منفرد فسلم من ركعتين ليدركها أو ركع مسبوقا قبل تمام التكبيرة جاهلا — انقلبت نفلا لعذره ، اذ لا يلزم من بطلان الخصوص بطلان العموم ، ولو قلبها نفلا معينا كركعتي الضحى لم تصح لافتقاره الى تعيين اه. والمراد بالخصوص في كلامه هنا الفرض وبالعموم النفل

وأما قلب الجمعة ظهراً فقد جزم به الشافعية في حال خروج الوقت بناء او استئنافا والمراد بالبناء ما بدأوا به من صلاة الجمعة أربع ركعات وبالاستئناف قلب ما بدأوا به من فريضة الجمعة نفلا كما تقدم في المصلي المنفرد واستئناف صلاة الظهر بنيته بعد السلام منها . ومذهب الحنابلة أظهر بل هو الظاهر في المسألة وهو أن يتموها جمعة وان خرج الوقت في أثنائها كسائر الصلوات. قال صاحب الفروع منهم : فان خرج (اي وقت الجمعة) صلوا ظهراً فان كانوا فيها أتموا جمعة قال بعضهم نص عليه وهو ظاهر المذهب وفاقا لمالك . وعنه قيل ركعة لا . اختاره الخرقي والشيخ . ثم هل يتمونها ظهراً وفاقا للشافعي أو يستأنفونها وفاقا لابي حنيفة ؟ فيه وجهان . اه وذكر مصحح الفروع أن الصحيح من الوجهين أن يتمها ظهراً ان كان قد نوى الظهر والا استأنفها .فهذه مدارك المجتهدين في المسألة والمختار عندنا منها عدم صحة تحويل صلاة الجمعة الى الظهر وأمثاله والله أعلم

المسيحية الاسلامية القاديانية

الملقبة بالاحمدية

نجم بعصر هذه الايام قرن بدعة (ميرزا غلام احمد القادياني) بعد أن كانت محصورة في الهند ثم بثت دعوتها في أوربة والبلاد الاميريكية فصارت كالبهائية ذات دعاة وأتباع يبثون تعاليمهم في رسائل يطبعونها ويوزعونها ، ومقالات ينشرونها

كانت مسألة الاعتقاد بالمهدي المنتظر مثار فتن كثيرة ، وبدع كبيرة ، تسفك دماء غزيرة ، كان آخر مظاهرها في البلاد الافريقية مهدي السودان ، وفي آسية (الباب) الذي ظهر في ايران ، وكان أمثال هؤلاء المبتدعين غافلين عن مسألة الاعتقاد بنزول المسيح على الارض في آخر الزمان حتى قام بها البهائية ونظموا دعوتها وجعلوها قاعدة دعوتهم للنصارى ، كما كانوا جعلوا قاعدة دعوتهم للمسلمين مسألة المهدي المنتظر ، ولكل من الدعوتين عندهم درجات كدرجات سلفهم من باطنية الاسماعيلية ، ولكنها مناسبة لحال هذا الزمان ، وآخر درجاتها دعوى الالوهية والربوبية لزعيمهم البهاء

ثم ظهر ميرزا غلام احمد القادياني في الهند فادعى أنه هو المسيح المنتظر وأن الوحي نزل عليه بذلك ، وقد رددنا عليه في عصره ، ورد علينا وهجانا في مصنف خاص أملاه عليه وحيه الشيطاني ، وكان من وحيه هذا أن صاحب المنار « سيهزم فلا يرى » ولو نزل بنا قضاء الله تعالى بموت أو نكبة يبطل بها المنار ، لكان ذلك من أكبر فتن أتباعه الاغرار ، ولكن ظهور الكذب والخذلان مما ينسياه اولا يراه امثال هؤلاء العميان

ضل كثير من المسلمين بدعوتي البهائية والقاديانية فلهذا كانت الدولة البريطانية مؤيدة ومساعدة لهما في الهند وايران وفلسطين ومصر ، وكلهم مخلصون لها ، مؤيدون لسياستها ، وقد كان حسين روحي افندي البهائي أمين معتمدها في الحجاز منذ بدء الثورة الحجازية ، وقد كنا نظن أن بدعة القادياني لا تتجاوز بعد موته

ما نسخه من أحكام الشريعة وأهمها وجوب الجهاد ثم علمنا أنهم يدعون استمرار الوحي والنبوة في أتباعه ، وقد نشروا في هذه الايام رسالة مطبوعة في الدعوة الى دينهم المسيحي الاسلامي « وضعها بالانكليزية (ميرزا بشير الدين محمود احمد) زعيم الحركة الاحمدية من قاديان — بنجاب بلاد الهند » وترجمها بالعربية (الرحالة عبد المجيد كامل) صاحب (رحلة في بلاد الناس) « وطبع على نفقة الحركة الاحمدية بمصر »

موضوع الرسالة « الصلاة عند الاسلام » وصلاتهم صلاة المسلمين في الصورة وانما تخالفها في المعنى والعقيدة ، فقد علق واضع الرسالة على تفسير (صراط الذين أنعمت عليهم) تعليقاً صرح فيه بأصل ارتدادهم عن الاسلام وهذا نصه :

« ملحوظة — لقد وضع كل دين من الاديان المتبعه نموذجا خصوصيا ، ولا شك أن أفضل تلك النماذج هو ما وضعه الاسلام . ان في هذا الدعاء — لارشاد المسلم بأن يتوسل الى الله بأن يهديه صراط الذين أنعم عليهم ، أو بعبارة أخرى — يتوسل الى الله أن ينعم عليه بمثل ما أنعم به على أولئك المنعم عليهم — الذين قيل عنهم في موضع آخر من القرآن ما يفهم منه أنهم اصحاب النبي والصديقون والشهداء والصالحون وقيل في موضع آخر :

﴿ واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين ﴾

وجاء في آية أخرى ان الذين انعم الله عليهم — انما هم الانبياء (١)

فالنبوة اذاً هي أسمى المراتب التي يتطلع اليها المسلم لذلك ابتهل الى الله سبحانه

---

(١) المنار : يعني بهذه الآية قوله تعالى في سورة مريم (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم) الخ وهي لا تدل لغة على ما ذكره من حصر المنعم عليهم في الانبياء ولو دلت على ذلك لكانت معارضة لغيرها من الآيات التي ذكرها او المشار اليها ، ولكن هؤلاء اعاجم لم يتقنوا اللغة العربية فجهلهم بها كجهل مسيحهم

وتعالى أن يحشره في زمرة الانبياء ، وهو نموذج لم ينسج على منواله دين من الاديان على الاطلاق، بل جميعها سدت طريق الوحي الالهي في وجوه العالم ، فالدين الاسلامي وحده هو الذي يرشد تابعيه الى أن طريق الوحي لا يمكن أن يسد في وجوه الناس ، اذ أن الله الذي خاطب الناس وقتاً ما — ان يكف عن هداية شعبه ومخاطبته

«ان هذا النموذج فضلا عن كونه ناف (؟) للاستحالة— فانه يفتح أمام ذوي القلوب الطاهرة طرق النجاح التي لا نهاية لها ، ويرسم لهم طريق السعي للاتصال بالله خالق الاكوان ومنبع كل قوة ومحبة

«لقد أنبأ النبي الاقدس صلى الله عليه وسلم بظهور أحد أعاظم أولئك الذين أنعم الله عليهم واسمه « المهدي والمسيح » فهو يدعى «المهدي» لانه يهدي مسلمي وقته الذين انغمسوا في الخطايا ونسوا أوامر الدين الاسلامي حتى لم يعد في أقوالهم وأفعالهم أثر لجمال الايمان ، ويسمى « المسيح » لانه يتمم النبوات المختصة بعودة يسوع المسيح الى الارض ، وهداية العالم المسيحي الذي خالف التعاليم المسيحية كل المخالفة

« ولقد ظهر ذلك الذات في « الهند » بمحل يقال له « قاديان » وفي ظرف ثلاثين عاما من حياته الرسولية — قوى دعائم الاسلام بمعجزات جديدة من عند الله ، وقد يوجد الآن آلاف من حوارييه يستمعون الوحي الالهي

«ولقد عاش عيشة ملؤها الهداية الروحية بين أشياعه الذين فازوا فوزا مبينا باتجاه العالم اليهم ، فهناك الشيخ « فاتح محمد سيال » وحضرة « عبد الرحيم نيار » يبشران بالاسلام في انجلترا ، ومفتي « محمد صادق » في أمريكا ، فلا غرو أن اعلام الناس بأنه من الممكن الحصول على الوحي في أي وقت — قد كان من الاخبار السارة التي تدعو الى تشجيع المسلم الحقيقي في كل آن ، وتمد قياسا للحكم بين الاديان المختلفة

«ان الدين الصحيح الحي – لهو الذي لا يخلو من الثمر أبدا ، ولا ثمرة للدين

الا الاتصال بالله ، وهذا لا يمكن أن يكون الا بواسطة الوحي

« ليس الاسلام كغيره من الاديان التي تتمشى بأتباعها الى أحط الدرجات بل هو يسمو بتابعيه الى أعلا ذروة الخيال الذي يمكن أن يصل اليه فكر الانسان، وعلى ذلك فهو أوحد الاديان الذي يشفي غلة الطبيعة البشرية ، وان اكبر حجة يتمسك بها الملحد ضد جميع الاديان — انما هي قوله انه اذا كان هناك آله كما يدعون — فلماذا لا يظهر بنفسه للناس ؟ أما هذا الاعتراض فلا يمكن أن يوجه الى الاسلام الذي لا يعتمد في براهينه على القصص الماضية — بل يعلن بأن هناك رجال (؟) حتى الآن يوحى اليهم علمهم «الزعيم الروحي» ومهدي هذا الزمن» اهـ

﴿ رد المنار ﴾ ان بين مسيح الهند الدجال وبين باب إيران شبها في أن كلا منهما كان مصابا بجنون الهوس الديني حتى لا يبعد أن يكون معتقدا لما ادعاه وفي أن تأثيره كان محصورا في الاعاجم ، اذ تصدى كل منهما لتأويل القرآن والاحاديث بجرأة وجهل واسراف في الكلام ، فافتتن بهما بعض جهلة الاعاجم اذ صدقوا انهما بالالهام والوحي امكنهما أن يجولا تلك الجولات الواسعة في كيان الله عز وجل ، ولو كانوا يفهمون العربية لسخروا من هوسهما ووصيهما الشيطاني

وكان القادياني أعلم بالعربية وآدابها من الباب فهو قد عني بفنونها وآدابها كل العناية فكان يحفظ مقامات الحريري والمعلقات السبع وكثيرا من المنظوم والمنثور ولكنه على هذا كله لم يحصل ملكة الاعراب ولا ذوق الاداب فيها فكان كثير اللحن والغلط فيما يقول ويكتب، وكثير الخطأ والشطط فيما يفسر به الكلام ، وكان لصا جريئا على السرقة يمزج شعره ونثره بما يحفظه بعينه أو بتغيير مافيه ، فكان اتباعه يخدعون الاعاجم بذلك وتجرأوا على دعوى اعجاز كلامه كالقرآن العزيز ولذلك عظم عليه الامر عندما قلت في ردي على كتابه (اعجاز احمدي) انه كثير اللحن والغلط ، واللغو الذي لا يفهم له معنى صحيح في هذه اللغة، وألف كتابا خاصا في الشكوى والتبرم من ردي ظهر فيه من ضعف نفسه ، واضطراب حدسه ، مايدل على انه مخذول لامؤيد من الله تعالى ، ولولا تناقض هؤلاء

الموسوسين لعددت هذا دليلا على انه متعمد لقول الزور ، غير مخدوع بنفسه ولا مغرور ، فقد عهد مثل هذا التناقض من امثاله :

ادعى رجل سوري النبوة وجاء ليظهر نبوته في مصر ، فلما بلغ بورسعيد أرسل منها برقيات الى الخديو ولورد كرومر ورئيس النظار ورئيس تحرير الاهرام وصاحب المنار يبشرهم بوقت تشريفه لعاصمة ملكه ، وكان يتردد علي ويقول لي انك ستكون مني كأبي بكر من النبي (ص) ثم كان يقبل يدي احيانا و يتذلل لي لاساعده على اظهار دعوته ، مثال ذلك انه ترجح عنده أن يستبدل الاستانة بالقاهرة ، فكلفني أن أكلم رؤف باشا المعتمد العثماني بأن يطلب له من الدولة أسطولا أو بارجة حربية لاجل نقله الى الاستانة ، قلت له أني إن اطلب هذا من رؤف باشا يعتقد انني سلبت عقلي ولو طلب هو هذا من الاستانة يعتقدون انه جن و يستبدلون به غيره ، وأما انت فيمكنك أن تدفع تهمة الجنون عن نفسك بمعجزة تظهرها للباشا ان كنت نبيا كما تقول ...

قلت ان هؤلاء قد ضلوا بجهل العربية وهذا شاهد قطعي على وجوب هذه اللغة على كل مسلم ، فاذا كان من ادعى انه المسيح المؤيد بالاعجاز في كتبه بزعم أن البسملة تدل على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى مسيحيته هو فلا عجب اذا ادعى هو واتباعه أن قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم) يدل على طلب النبوة بدليل أن المنعم عليهم « انما هم الانبياء » فعلى هذا يكون المفروض على كل مسلم أن يطلب من الله تعالى فى كل ركعة من صلاته أن يجعله نبيا يوحى اليه !!

هذا الفهم الذي جاءنا به هؤلاء الاعاجم قد فات الصحابة والتابعين من العرب الخلص ومواليهم ، وفات جميع واضعي فنون هذه اللغة لضبط الفاظها ومعانيها وفلسفتها وآدابها واسرار بلاغتها ، وجميع من فسر القرآن من السلف والخلف — حتى قام بعض أعاجم الهند في القرن الرابع عشر يزعمون انه أصل الاسلام وركنه الاعظم الذي امتاز به على جميع الاديان !!!

لقد كنت اظن أن ضلالة هؤلاء المسيحيين القاديانيين قد وقفت عند حد لاتتجاوزه هو دعوى ظهور المسيح والمهدي المنتظرين ، وان هذه الدعوي ستموت ويخجل اهلها منها بظهور كذب مسيحهم في دعواه انه ابطل الحرب والجهاد من الارض ، واستبدل بهما السلم العام ، وقد ادعى البهائية عين هذه الدعوى ، اذ كان كل منهما يتوهم أن اوربة تريد ذلك ، ثم كذبت اوربة الدينان الجديدان ، بحرب طرابلس الغرب وحرب البلقان ، ثم بالحرب العامة التي لم يسبق لها نظير في تاريخ العالم باتساع شرها ، وعظائم ضرها ، ولكن ظهور كذب دعوى البهاء والقادياني لا يرجع زعماء أديانهما عنها ، وترك هذه الرياسة ونعيمها وثروتها ، ولا يرجع من قلدوهم تقليدا أصم أعمى ، كما أن رد السواد الاعظم من المسلمين والنصارى لدعواهما لم يمنعهما من الاصرار على ادعاء هداية أهل الدينين وتغيير حال الارض !!!

واذ قد ظهر لي أن القاديانية قد ازدادوا ضلالا ، وأنهم نظموا دعوتهم وحاولوا تعميمها كاخوانهم مسيحي البهائية ، فسأجدد الرد عليهم وتفنيد مزاعمهم في مقالات تترى في الاجزاء الآتية ان شاء الله تعالى

الاستاذ الخوجه كمال الدين

اشرنا في الجزء الماضي الى ما كان يقال من ان الرجل من شيعة المسيحية القاديانية وانا سنعتمد في استبانة الحق في ذلك على سؤاله عنه بعد عودته من الحجاز ، وقد اتفق ان كتب بعض الجرائد اليومية كلام جازم في هذا المعنى فلما عاد الاستاذ كمال الدين من الحجاز اطلع عليه وسئل عنه فنشر في الجرائد بيانا صرح فيه بانه مسلم سني حنفي وانه لا يدين بدين القاديانية ولا هو من شيعة مسيحهم الكذاب ، فنهنئه ونهنيء اصدقاءه من المسلمين بذلك حامدين لله عز وجل

حقيقة الوهابية ومنشأ الطعن فيها

إن سبب قذف الوهابية بالابتداع والكفر سياسي محض — كان أولا لتنفير المسلمين منهم لاستيلائهم على الحجاز وخوف الترك أن يقيموا دولة عربية الخ ولذلك كان الناس يهيجون عليهم تبعا لسخط الدولة ، ويسكتون عنهم إذا سكنت ريح السياسة ، الى أن جددها الملك حسين في الحجاز وولده الملك فيصل في العراق وولده الامير عبدالله في سورية وفلسطين بعد توليتهم لامور هذه البلاد

أصدر الملك حسين عدة منشورات في جريدته (القبلة) في ٩ شوال سنة ١٣٣٦ وغرة ربيع الاول سنة ١٣٣٧ و ٨ جمادى الاولى منها رماهم فيها بالكفر وتكفير أهل السنة والطعن في الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ... وقد صرح في الثاني منها بأن حكومته رأت أن تمحو بدعتهم بالاصالة عن نفسها وبالنيابة عن سائر المسلمين ... وفي الثالث « أنه لا بد للسلطان من قتالهم بكل موجوديته » اذا لم ينفع ما بدأ به من الدفاع لمحو بدعهم وكفرهم . ويعني بالسلطان نفسه فانه يرى أنه امام المسلمين وسلطانهم . وفعل الملك فيصل ما فعل في العراق وكان من مؤتمر الشيعة في كربلا ما كان ثم رأينا بعض أهل دمشق وبيروت يتقربون اليه والى ولده الامير عبد الله بطبع الرسائل في تكفيرهم ورميهم بما يرميهم هو به وما بهتوا عند ظهور أمرهم ، ويزيدون حتى قال بعضهم ان محمد عبد الوهاب كان يبغض النبي (ص) ويريد ان يدعي النبوة !! دع أقوال من يزعمون انهم ينكرون الشفاعة والكرامات كالمعتزلة وقد اشتهر ان هذا كله باغراء الامير عبدالله . ثم سرى ذلك الى مصر وظهر له أثر في بعض الجرائد من حيث لا يدري أصحابها من أين جاء .

وقد رد على هذه الرسائل بعض علماء الشام ووصل الاصل والرد الى نجد فجمع بعض علمائها عدة رسائل لمتقدمي علمائهم ومتأخريهم طبعت في مطبعتنا فرأينا أن نقتبس منها ما يأتي ليعلم المطلعون عليه حقيقة أمرهم ومنشأ بهتهم والافتراء عليهم ، وهو :

نموذج

من مناظرة الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد عبد الوهاب لعلماء مكة

وكان فيمن حضر مع علماء مكة وشاهد غالب ماصار — حسين بن محمد بن الحسين الابريقي الحضرمي ثم الحياني ولم يزل يتردد علينا ويجتمع بسعود وخاصته من أهل المعرفة ويسأل عن مسألة الشفاعة التي جرد السيف بسببها من دون حياء ولا خجل لعدم سابقة جرم له

فأخبرناه بأن مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتنا طريقة السلف التي هي الطريق الاسلم ، والاعلم والاحكم ، خلافا لمن قال: طريقة الخلف أعلم ، وهي انا نقر آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ، ونكل علمها الى الله مع اعتقاد حقائقها ، فان مالكا وهو من أجل علماء السلف لما سئل عن الاستواء في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة

ونعتقد أن الخير والشر كله بمشيئة الله تعالى ولا يكون في ملكه الا ما أراده، فان العبد لا يقدر على خلق أفعاله، بل له كسب رتب عليه الثواب فضلا، والعقاب عدلا، لا يجب على الله لعبده شيء ، وأن يراه المؤمنون في الآخرة بلا كيف ولا إحاطة ونحن أيضا في الفروع على مذهب الامام أحمد بن حنبل ولا ننكر على من قلد أحد الائمة الاربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والامامية(١) ونحوهم

(١) ان كلمة الرافضة التي وضعت لغلاة الشيعة تشمل الباطنية وآخرين دون الزيدية ومعتدلي الامامية . والظاهر أن صاحب هذه الرسالة ووالده لم يطلعوا على كتب الزيدية في الفقه ولو اطلعوا عليها لعلموا أن فقههم مدون وكذلك الامامية وان الفرق بينه و بين فقه الاربعة قليل قلما قال احد مجتهديه قولا انفرد به وخالف الاجماع قبله وكيف وهم يحتجون بالاجماع وبعمل السلف؟ وكذا باحاديث دواوين السنة المشهورة كالكتب الستة. وقد كان مشايخنا يقولون كما قال مشايخ نجد أن سبب حصر التقليد في فقه الاربعة دون سائر مجتهدي الامة هو تدوين مذاهبهم دون

لانقرهم ظاهرا على شيء من مذاهبهم الفاسدة(٢) بل نجبرهم على تقليد أحد الائمة الاربعة

ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد منا يدعيها ، الا أنا في بعض المسائل اذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الائمة الاربعة أخذنا به وتركنا المذهب كارث الجد والاخوة ، فانا نقدم الجد بالارث وان خالفه مذهب الحنابلة

ولا نفتش على أحد في مذهبه ولا نعترض عليه الا اذا اطلعنا على نص جلي مخالف المذهب أحد الائمة وكانت المسئلة مما يحصل بها شعائر ظاهرة كامام الصلاة فنأمر الحنفي والمالكي مثلا بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال والجلوس بين السجدتين لوضوح ذلك ، بخلاف جهر الامام الشافعي بالبسملة فلا نأمره بالاسرار ، وشتان ما بين المسئلتين ، فاذا قوي الدليل أرشدناهم بالنص وان خالف المذهب وذلك يكون نادرا جدا. ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض، ولا مناقضة لعدم الاجتهاد المطلق. وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الاربعة لاختيارات لهم في بعض المسائل مخالفة للمذهب الملتزمين تقليد صاحبه

ثم انا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتبرة ومن أجلها لدينا تفسير ابن جرير ومختصره لابن كثير الشافعي ، وكذلك البغوي والبيضاوي والخازن والحداد والجلالين وغيرهم ، وعلى فهم الحديث بشرح الائمة المبرزين كالعسقلاني والقسطلاني على البخاري والنووي على مسلم والمناوي على الجامع الصغير، ونحرص على كتب الحديث خصوصا الامهات الست وشروحها ،ونعتني بسائر الكتب في سائر الفنون أصولا وفروعا ، وقواعد وسيرا ونحوا وصرفا

---

(٢) أى لا نقر بصفتنا حكام البلاد اصحاب المذاهب غير المضبوطة أن يظهروا شيئا من مذاهبهم الفاسدة كالاجماع كاقوال الباطنية بان لاحكام العبارات معاني غير الظاهر الذي عليه العمل وبوجود امام معصوم في كل عصر يجب اتباعه في كل ما يقول وكسب غلاة الرافضة للشيخين « رض» وبراءة الخوارج من الصهرين « رض » ومقابل قوله ظاهرا انهم لا يحاسبون أحدا على ما يخفيه من امثال هذه المسائل

غيرها . وهذا غلط سببه عدم الاطلاع . وكتبه مصححه

وجميع علوم الامة ، ولا نأمر باتلاف شيء من المؤلفات أصلا الا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك كروض الرياحين . وما يحصل بسببه خلل في العقائد كعلم المنطق فانه قد حرمه جمع من العلماء (١) على أنا لا نفحص عن مثل ذلك وكالدلائل (؟) الا أن تظاهر به صاحبه معاندا أتلف عليه ، وما اتفق لبعض البدو من إتلاف بعض كتب أهل الطائف انما صدر من بعض الجهلة وقد زجرهو وغيره عن مثل ذلك

ومما نحن عليه أنا لا نرى سبي العرب ولم نفعله ولم نقاتل غيرهم ، ولا نرى قتل النساء والصبيان

وأما ما يكذب علينا سترا للحق ، وتلبيسا على الخلق ، بأنا نفسر القرآن برأينا ، ونأخذ من الحديث ما وافق أفهامنا ، من دون مراجعة شرح ولا معول على شيخ ، وانا نضع من رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقولنا : النبي رمة في قبره ، وعصا أحدنا أنفع له منه ، وليس له شفاعة ، وان زيارته غير مندوبة ، وانه كان لا يعرف معنى لا اله الا الله حتى نزل عليه (فاعلم أنه لا اله الا الله) مع كون الآية مدنية ، وانا لا نعتمد على أقوال العلماء ، فنتلف مؤلفات أهل المذاهب لكون فيها الحق والباطل ، وانا مجسمة ، وانا نكفر الناس على الاطلاق أهل زماننا ومن بعد الستمائة الا من هو على ما نحن عليه ، ومن فروع ذلك أن لا نقبل بيعة أحد الا بعد التقرر عليه بأنه كان مشركا ، وان أبويه ماتا على الشرك بالله ، وانا ننهى عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقا ، وان من دان بما نحن عليه سقطت عنه جميع التبعات حتى الديون ، وانا لا نرى حق اهل البيت رضوان الله عليهم ، وانا نجبرهم على تزويج غير الكفء لهم ، وانا نجبر بعض الشيوخ على فراق زوجته الشابة لتنكح شابا اذا ترافعوا الينا

فلا وجه لذلك فجميع هذه الخرافات وأشباهها لما استفهمنا عنها - من ذكر

(١) انما حرموا بعض كتب المنطق القديمة الممزوجة بالفلسفة اليونانية الباطلة دون ما الفه المسلمون ولم يزجوه بذلك

أولا وكان جوابنا في كل مسألة من ذلك (سبحانك هذا بهتان عظيم) فمن روى عنا شيئا من ذلك أو نسبه الينا فقد كذب علينا وافترى، ومن شاهد حالنا، وحضر مجالسنا، وتحقق ما عندنا، علم قطعيا أن جميع ذلك وضعه علينا وافتراه أعداء الدين واخوان الشياطين، تنفيرا للناس عن الاذعان باخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذي نص الله عليه بأن الله لا يغفره ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فانا نعتقد أن من فعل أنواعا من الكبائر كقتل المسلم بغير حق والزنا والربا وشرب الخمر وتكرر منه ذلك أنه لا يخرج بفعله ذلك عن دائرة الاسلام، ولا يخلد به في دار الانتقام، اذا مات موحدا بجميع أنواع العبادة

والذي نعتقده أن رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعلى مراتب المخلوقين على الاطلاق وانه حي في قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل، اذ هو أفضل منهم بلا ريب، وانه يسمع سلام المسلم عليه، وتسن زيارته الا أنه لا يشد الرحل الا لزيارة المسجد والصلاة فيه، واذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس، ومن أنفق نفيس أوقاته بالاشتغال بالصلاة عليه - عليه الصلاة والسلام الواردة عنه فقد فاز بسعادة الدارين، وكفي همه وغمه كما جاء في الحديث عنه

ولا ننكر كرامات الاولياء ونعترف لهم بالحق وانهم على هدى من ربهم، مهما ساروا على الطريقة الشرعية، والقوانين المرعية، الا أنهم لا يستحقون شيئا من أنواع العبادات لا حال الحياة ولا بعد الممات، بل يطلب من أحدهم الدعاء في حال حياته بل ومن كل مسلم، فقد جاء في الحديث « دعاء المرء المسلم مستجاب لاخيه » الحديث وأمر (ص) عمر وعليا بسؤال الاستغفار من أويس ففعلا

ونثبت الشفاعة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة حسب ما ورد وكذا نثبتها لسائر الانبياء والملائكة والاولياء والاطفال حسب ما ورد ايضا، ونسألها من المالك لها والآذن فيها لمن يشاء من الموحدين الذين هم أسعد الناس بها كما ورد، بأن يقول أحدنا متضرعا الى الله تعالى: اللهم شفع نبينا محمدا صلى الله

عليه وسلم فينا يوم القيامة ، أو اللهم شفع فينا عبادك الصالحين ، أو ملائكتك ، أو نحو ذلك مما يطلب من الله لا منهم ، فلا يقال يا رسول الله أو يا ولي الله أسألك الشفاعة أو غيرها كادركني أو اغثني أو اشفني أو انصرني على عدوي ونحو ذلك مما لا يقدر عليه الا الله تعالى ، فاذا طلبت ذلك مما ذكر في أيام البرزخ كان من اقسام الشرك اذ لم يرد بذلك نص من كتاب او سنة ولا اثر من السلف الصالح على ذلك ، بل ورد الكتاب والسنة واجماع السلف أن ذلك شرك اكبر قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

فان قلت ما تقول في الحلف بغير الله والتوسل به؟ قلت ننظر الى حال المقسم ان قصد به التعظيم كتعظيم الله أو أشد كما يقع لبعض غلاة المشركين من أهل زماننا اذا استحلفه بشيخه أي معبوده الذي يعتمد في جميع أموره عليه لا يرضى أن يحلف اذا كان كاذبا أو شاكا ، واذا استحلف بالله فقط رضي - فهو كافر من أقبح المشركين واجهلهم اجماعا. وان لم يقصد التعظيم بل سبق لسانه اليه فهذا ليس بشرك أكبر - فينهى عنه ويزجر ويؤمر صاحبه بالاستغفار عن تلك الهفوة.

وأما التوسل وهو أن يقول القائل: اللهم اني أتوسل اليك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أو بحق نبيك أو بجاه عبادك الصالحين أو بحق عبدك فلان فهذا من أقسام البدعة المذمومة ولم يرد بذلك نص كرفع الصوت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الاذان

وأما أهل البيت فقد ورد سؤال على الدرعية في مثل ذلك وعن جواز نكاح الفاطمية غير الفاطمي وكان الجواب عليه ما نصه : أهل البيت رضوان الله عليهم لا شك في طلب حبهم ومودتهم لما ورد فيه من كتاب وسنة فيجب حبهم ومودتهم ، الا أن الاسلام ساوى بين الخلق فلا فضل لاحد الا بالتقوى ، ولهم مع ذلك التوقير والتكريم والاجلال ولسائر العلماء مثل ذلك كالجلوس في صدور المجالس والبداية بهم في التكريم ، والتقديم في الطريق الى موضع التكريم ، ونحو ذلك اذا تقارب أحدهم مع غيره في السن أو العلم. وما اعتيد في بعض البلاد

من تقديم صغيرهم وجاهلهم على من هو أمثل منه حتى انه اذا لم يقبل يده كلما صافحه عاتبه وصارمه او ضار به أو خاصمه فهذا مما لم يرد به نص ولا دل عليه دليل بل منكر تجب ازالته، ولو قبل يد أحدهم لقدوم من سفر أو لمشيخة علم أو في بعض أوقات أو اطول غيبة فلا بأس به، الا أنه لما ألف في الجاهلية الاخرى ان التقبيل صار علما لمن يعتقد فيه أو في أسلافه أو عادة المتكبرين من غيرهم نهينا عنه مطلقا لا سيما لمن ذكر حسما لذرائع الشرك ما أمكن

وانما هدمنا بيت السيدة خديجة وقبة المولد وبعض الزوايا المنسوبة لبعض الاولياء حسما لتلك المادة، وتنفيراً عن الاشراك بالله ما امكن لعظم شأنه فانه لا يغفر(١)، وهو أقبح من نسبة الولد لله تعالى اذ الولد كمال في حق المخلوق، وأما الشرك فنقص حتى في حق المخلوق لقوله تعالى (ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم) الآية

وأما نكاح الفاطمية غير الفاطمي فجائز اجماعا بل ولا كراهة في ذلك وقد زوج علي عمر بن الخطاب وكفى بهما قدوة ، وتزوجت سكينة بنت الحسين بن علي باربعة ليس فيهم فاطمي بل ولا هاشمي، ولم يزل عمل السلف على ذلك من دون انكار. الا انا لا نجبر أحدا على تزويج موليته ما لم تطلب هي وتمتنع من غير الكفء ، والعرب أكفاء بعضهم لبعض ، فما اعتيد في بعض البلاد من

(١) ذكر الامام الشافعي في الام أن ولاة مكة كانوا يهدمون ما بني في مقبرتها من القبور ولا يعترض عليهم الفقهاء ونقله عنه النووي في شرح مسلم عند شرح ما ورد في هذا المعنى من الاحاديث . وفي الزواجر لابن حجر الهيتمي ان اتخاذ القبور مساجد وايقاد السرج عليها واتخاذها اوثانا والطواف بها واستلامها والصلاة اليها كلها من كبائر المعاصي « راجع الكبيرة ٩٣ — ٩٨ » وبعد أن اورد بعض الاحاديث الصحيحة في ذلك ذكر كلام الفقهاء الشافعية والحنابلة ومنه انها من اسباب الشرك وآخره قولهم : وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور اذ هي اضر من مسجد الضرار لانها اسست على معصية الرسول « ص » لانه نهى عن ذلك وأمر « ص » بهدم القبور المشرفة وتجب ازالة كل قنديل او سراج على قبر ولا يصح وقفه انتهى «ص ١٦٣ من الجزء الاول -طبع المطبعة الوهبية بمصر سنه ١٢٩٢

المنع دليل التكبر وطلب التعظيم ، وقد يحصل بسبب ذلك فساد كبير كما ورد(١) بل يجوز الانكاح لغير الكفء وقد تزوج زيد وهو من الموالي زينب أم المؤمنين(٢) وهي قرشية ، والمسألة معروفة النقول عند أهل المذهب انتهى (٣)

(فان قال) قائل منفر عن قبول الحق والاذعان له يلزم من تقريركم وقطعكم في أن من قال: يا رسول الله أسألك الشفاعة - انه مشرك مهدر الدم - ان يقال بكفر غالب الامة ولاسيما المتأخرين لتصريح علمائهم المعتبرين ان ذلك مندوب وشنوا الغارة على من خالف في ذلك (قلت) لا يلزم ذلك لان لازم المذهب ليس بمذهب كما هو مقرر ، ومثل ذلك لا يلزم ان نكون مجسمة وان قلنا بجهة العلو كما ورد الحديث بذلك ، ونحن نقول فيمن مات (تلك امة قد خلت) ولا نكفر الا من بلغته دعوتنا للحق ووضحت له المحجة وقامت عليه الحجة واصر مستكبرا معاندا كغالب من نقاتلهم اليوم يصرون على ذلك الاشراك ، ويمتنعون من فعل الواجبات ، ويتظاهرون بافعال الكبائر المحرمات ، وغير الغالب انما نقاتله لمناصرته لمن هذه حاله ورضاه به ، ولتكثير مواد من ذكر والتغليب معه فله حينئذ حكمه في حل قتاله ، ونعتذر عمن مضى بأنهم مخطئون معذورون لعدم عصمتهم من الخطأ ، والاجماع في ذلك ممنوع قطعيا ، ومن شن الغارة فقد غلط ولا بدع ان يغلط فقد غلط من هو خير منه كمثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما نبهته المرأة رجع في مسألة المهر وفي غير ذلك ، يعرف ذلك في سيرته ، بل غلط الصحابة وهم جمع ونبينا صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم سار فيهم نوره فقالوا اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط

(فان قلت) هذا فيمن ذهل فلما نبه انتبه فما القول فيمن حرر الادلة ، واطلع

---

(١) اشار الى حديث « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه ، ان لا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير » وفي رواية « اذا خطب اليكم » وفيه فزوجوه بدل فانكحوه ، وعريض بدل كبير . رواهما الترمذي وغيره

(٢) اي قبل ان صارت ام المؤمنين كما هو معلوم (٣) انتهى ما افتى به في الدرعية وهي بلد الشيخ محمد عبد الوهاب والد المؤلف ومركز ذلك النهضة وهل الفتوى لوالده في زمنه ام كان هنالك مفت خاص بعد الشيخ او جماعة ؟ الله اعلم

على كلام الأئمة القدوة ، واستمر مصرا على ذلك حتى مات ؟

(قلت) ولا مانع أن نعتذر لمن ذكر ولا نقول انه كافر ولا لما تقدم انه مخطيء وان استمر على خطأه ، لعدم من يناضل عن هذه المسألة في وقته بلسانه وسيفه وسنانه ، فلم تقم عليه الحجة ، ولا وضحت له المحجة ، بل الغالب على زمن المؤلفين المذكورين التواطؤ على هجر كلام أئمة السنة في ذلك رأساء ومن اطلع عليه أعرض عنه قبل ان يتمكن في قلبه، ولم يزل أكابرهم تنهى أصاغرهم عن مطلق النظر في ذلك،وصولة الملوك قاهرة لمن وقر في قلبه شيء من ذلك الا من شاء الله منهم

هذا وقد رأى معاوية وأصحابه رضي الله عنهم منابذة أمير المؤمنين علي بن ابى طالب رضي الله عنه بل وقتاله ومناجزته الحرب وهم في ذلك مخطئون بالاجماع واستمروا في ذلك الخطأ حتى ماتوا ولم يشتهر عن احد من السلف تكفير أحد منهم اجماعا، بل ولا تفسيقه بل اثبتوا لهم أجر الاجتهاد وان كانوا مخطئين كما ذلك مشهور عند أهل السنة

ونحن كذلك لا نقول بكفر من صحت ديانته وشهر صلاحه ، وعلم ورعه وزهده ، وحسنت سيرته، وبلغ من نصحه الامة ببذل نفسه لتدريس العلوم النافعة والتأليف فيها وان كان مخطئا في هذه المسألة أو غيرها ، كابن حجر الهيتمي فانا نعرف كلامه في (الدر المنظم) ولا ننكر سعة علمه ولهذا نعتني بكتبه كشرح الاربعين والزواجر وغيرهما ونعتمد على نقله اذا نقل لأنه من جملة علماء المسلمين

هذا ما نحن عليه مخاطبين به من له عقل او علم وهو متصف بالانصاف ، خال عن الميل الى التعصب والاعتساف ، ينظر الى ما يقال لا الى من قال ، واما من شأنه لزوم مألوفه وعادته سواء كان حقا أو غير حق فقلد من قال الله تعالى فيهم (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) عادته وجبلته أن يعرف الحق بالرجال لا الرجال بالحق، فلا نخاطبه وأمثاله الا بالسيف حتى يستقيم أوده، ويصح معوجه، وجنود التوحيد بحمد الله منصورة، وراياتهم بالسعد والاقبال منشورة (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون * وان حزب الله هم الغالبون) وقال تعالى (وان جندنا لهم الغالبون * وكان حقا علينا نصر المؤمنين * والعاقبة للمتقين)

الاستفتاء في ملك الحجاز

موقفه الحاضر. سلطته ومحالفته دولة مسيحية على أن تحمي الحجاز وتمتاز فيه على المسلمين ، ضربه الضرائب على الحجاج ، ومصادرة اموالهم ، ومنعه من شاء أن يحج بيت الله . صفات سلطته ، خدعة استقلاله. صفته الحقيقية وحكم الشرع فيها. الوحدة العربية . ما يجب على المسلمين في أمر الحجاز

استفتينا في هذه المسائل قولا وكتابة في الجرائد كما استفتي غيرنا فوجب علينا أن نجيب بما نعلم فيها اذ لم نر أحدا أجاب عنها كلها، وقلما يوجد من أحاط بما أحطنا به منها ، فنقول :

موقفه الحاضر

أسرف حسين بن علي المتغلب على الحجاز في استبداده ، وفي احتقاره للعالم الاسلامي كله كاحتقاره لاهل الحجاز المستضعفين ، وحسب أن حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم ملك له يتصرف فيهما كما يشاء ، ويستغلها كيفما أراد ، وانه متى نال تعضيد الدولة البريطانية وحمايتها ، لا يبالي بأحد من دونها ، بل هو يعد الحجاز وسائر بلاد العرب جزءا من امبراطوريتها . ورضي أن يكون هو وولداه فيصل وعبد الله من عمالها ، بدليل أنه طلب منها مرارا أن تولي غيره ، وتختار له ولاولاده مكانا آخر يقيمون فيه ، ونشر ذلك في جريدته (القبلة) وسيجيء نص عبارته في ذلك (وان سبق نشره في المنار)

والاصل في هذا عنده ما يسميه « مقررات النهضة » وهي ما اشترطه على الانكليز للقيام بالثورة والخروج على الدولة ، ومنها حماية الانكليز للبلاد في داخلها وخارجها ، حتى في حال الفتن الداخلية بين أهلها . ومنها الاعتراف بجعل الامة العربية في حكم القاصر في حجر الدولة البريطانية . وقد كان يكتم هذه المقررات

حتى نشرها ولده فيصل في دمشق الشام، فلما رأى أنه لم ينكرها عليه أحد من المسلمين غير صاحب المنار، توهم أن العالم الاسلامي لا يهتم بامر الحجاز، أولا يتجرأ على إنكار شيء تتفق عليه الجلالة الهاشمية مع العظمة البريطانية (هذا تعبيره) حتى بدا له في هذه الايام ما لم يكن في الحسبان

تلك «المقررات» كانت قد دارت في شأنها مكاتبات بينه وبين السر هنري مكماهون الذي كان يسجل عليه كل ما اعترف به من الحقوق للدولة البريطانية ويتحفظ من التصريح له بما طلب لنفسه من توليته على جميع البلاد العربية في ظل الوصاية البريطانية، فاستثنى منها معظم سورية الشمالية وكيليكية، واحتفظ بحقوق بريطانية في العراق — الى آخر ما هنالك — وقد نشرنا هذه المكتوبات بنصها في مجلد المنار الثالث والعشرين، وسنذكر بعضها هنا ونرى أنه لولا السكوت فيها عن استثناء فلسطين من الدخول في المملكة العربية التي وعد بها انفذت تلك المقررات الموبقات، ولكن رغبة الانكليز في حمل الملك حسين على الاعتراف لهم بفلسطين وما يلزمه من اقرار وعدهم لليهود بجعلها وطنا قوميا لهم، هي التي دعتهم الى وضع معاهدة بينهم وبينه يعترف لهم فيها بفلسطين كالعراق وشرق الاردن، ويلطفون فيها ما يذكر بشأن حماية البلاد العربية كلها، فلا يكون صريحا كمقررات النهضة المحتفظ بها

طال أمد المراجعة والمناقشة في هذه المعاهدة اذ كانت توضع بصيغة فاضحة مفضوحة ليس للملك حسين فيها ما يرضاه ثمنا للخزي ما يعترف به، حتى أتيح للانكليز أن يضعوا مع سمساره الدكتور ناجي الاصيل الصيغة الراضية المرضية عنده التي أقام لها الاحتفالات في بلاده وأعان الرضى بها واتخذ يوم الاعتراف بها عيداً قوميا وقبل التهاني عليها، ولقب بملك البلاد العربية ومؤسسها!! واراد خداع أهل فلسطين بانه أنقذهم بها من اليهود كما انقذ الحجاز وسائر البلاد العربية من الترك لاجل إخماد الحركة الوطنية فيها، وهددهم بالقاء المسؤلية عليهم اذا حصل ما يوجبها في البلاد — فنشرت السلطة البريطانية الحاكمة في فلسطين خلاصة

المعاهدة فكان هذا سببا لاطلاع الناس كافة على سر المعاهدة المكتوم ، فماذا كان من تأثيره ؟

هب أهل فلسطين فعقدوا مؤتمرا عاما احتجوا فيه على المعاهدة وقرروا أنه ليس للملك حسين أن يعقد معاهدة يتقرر فيها شيء في أمر بلادهم بدون رأيهم ولا رضاهم ، وهب مسلمو مصر وغيرها من الاقطار ينكرون على الرجل أن يكون له حق في عقد معاهدة تجعل الحرمين الشريفين تحت حماية دولة نصرانية أو تجعل لرعاياها أدنى امتياز في الحجاز ، فما فعل المعتدي المفتات ؟

كتب الى الفلسطينيين يرجوهم أن يحسنوا الظن به ويفوضوا الامر اليه — وهزىء وتهكم بانكار المصريين عليه فرد عليهم في جريدته (القبلة) معبرا عنهم بكلمة« اخوثومها و بصلها» فلما اشتد الانكار والاحتجاج منهم بغيرة الدين أصدر منشورا رسميا جمع فيه بين تجهيلهم والتهكم بهم ، وبين التعريض برميهم بالكفر بما وضعوا من الدستور لحكومتهم، كما كفر الترك وحكومتهم من قبل بمثل ذلك. ولكن أكثر المصريين لم يفهموا مراده هذا من منشوره لفساد لغته، وعدم علمهم برأيه في القوانين والعاملين بها. فاشتغلوا بالتهكم بعبارته كما تهكم بهم بالاشارة الى قول الشاعر:

سوف ترى اذا انجلى الغبار   افرس تحتك أم حمار

ذلك بأن جريدة القبلة كانت قد نشرت مقالة في تكفير الدولة العثمانية في أول العهد بالثورة الحجازية، لتكون من حجج أمير مكة العثماني بالخروج على دولته . ثم أعادت نشرها في أوائل هذا العام الهجري عند ما اشتد النزاع بين الحكومة التركية الجديدة والحكومة البريطانية انتصاراً من الملك الحجازي لدولته الحامية له ، واستدلت على كفر الترك بوضعهم للقانون الاساسي وبين ايديهم كتاب الله وسنة رسوله (ص) ومن وجوه استدلالها ان القانون الاساسي يوجب الحرج من حكم الرسول (ص) والله تعالى يقول (فلاوربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) بل زعمت انه لا يمكن لمن يزعم أنه يؤمن بما انزل على محمد(ص)

التردد في حصول الحرج مما قضاه «في الذين ألفوا القانون الاساسي وسنوا احكامه ورضوه وارتضوه وجعلوه دستورا للاعمال والاحكام. ولا مشاحة والحالة هذه في أنهم لا غاية ولا قصد لهم من اعتنائهم بجمعه وتنسيقه الا دعوى أن هنالك نقصا او خطأ — والعياذ بالله تعالى — في كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه وسلامه فأرادوا إكمالهما وتعديلهما والا فلماذا؟ »

هذا احد نصوص جريدة القبلة في تكفير الترك بوضع الدستور وهو يتضمن تكفير من لم يكفرهم به. ثم استدلت ايضا بعدم اقامتهم لحدود الزنا والسرقة للقصاص الشرعي ومن شاء فليراجع العددين ٦١٧ و ٦٢٤ من جريدة القبلة أو المقالات التي رد عليها بها (السيد العلوي) ونشرت في جريدة الاخبار المصرية في شهري صفر وربيع الاول من هذا العام ومنه يعلم مغزى استغناء تهكم بلاغة عسلطته(١) الهاشمية (ويا للاسف) في قوله «تأليف الدستور — وبين أيديهم كتاب الله وسنة رسوله»

وبعد أن بين للمصريين مكانتهم من الدين عنده أراد أن يبين لهم مكانة حكومتهم لدى جلالته، وقدر استقلالها في جنب استقلاله، فعارضها في ارسال بعثة طبية مع الحجيج المصري تنقص من استغلاله، وكان يقدر أنها تخضع لعزة سلطانه كما خضعت في مسألة الحجر الصحي، ولم يخطر بباله أن تفعل ما فعلت، أما وقد فعلت فكل شيء أسهل عليه من الرجوع عن قول قاله أو رأي ارتآه وعرفا عنه، لذلك أقدم على المشاكسة التي أدت الى حرمان ركب المحمل الرسمي مع بعثة الطبي من أداء فريضة الحج وحرمان أهل الحجاز مما كانوا يربحونه منهم بغير مبالاة بسوء العاقبة وقبح الاحدوثة.

فهذا ملخص موقف الرجل في الحجاز: اصرار على عقد المحالفة مع الانكليز، وتعجيل بما اباحته له من ضرب الضرائب على كل من يريد الحج الى بيت الله الحرام قبل دخول الحجاز، ومصادرة لاموالهم بعد دخوله، واستبداد في أمر صحتهم، ومنع لمن شاء من الحج لاسباب سياسية أو مالية أو وهمية، كما منع أهل نجد عدة سنين

(١) العسلطة الكلام الذي لا نظام له، وتكرار الاضافات هنا تعريض باسلوبه

صفات سلطته في الحجاز

وأما سلطته فلها أربع صفات: (الاولى) صفته عند الانكليز ومن اعترف بحكومته من الافرنج وهو أنه ملك مطلق ذو حكومة شخصية مستبدة فكل ما يعقدونه معه من اتفاق أو عهد أو امتياز يكون نافذاً ، ولهم أن يطالبوا به من بعده وان تغير شكل الحكومة الحجازية ، وهم في هذا مخطئون

(الثانية) : صفته في نظر جمهور العالم الاسلامي وهو أنه خارجي متغلب خرج على سلطانه وخليفته كما يخرج البغاة وسيأتي بيان حكم الشرع في ذلك

(الثالثة) : صفته في نظر أهل الحجاز وهو أنه ملك مستبد قاهر أزال سلطة حكومتهم السابقة فاضطروا الى مبايعته ولكنهم اشترطوا فيها شرطا عاهدوه عليه فنكث فهم الآن في حل من مبايعته شرعا، ولكنه متغلب عليهم بالقهر وان سمى نفسه « منقذا » ويتمنون أن يقيض لهم الله تعالى من ينقذهم من هذا (المنقذ)

وإننا نعيد هنا نص المبايعة الرسمية له كما وضعت في العريضة التي كتبها قاضي القضاة وقرئت في حفلة المبايعة في غرة المحرم سنة ١٣٣٥ منقولة عن جريدة القبلة التي صدرت في ٣ المحرم من ذلك العام وهو

﴿ واننا نبايع سيدنا ومولانا الحسين بن علي ملكا لنا نحن العرب ﴾
﴿ يعمل بيننا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ﴾
﴿ ونقسم له على ذلك بين الطاعة والاخلاص في السر والعلانية ، كما ﴾
﴿ اننا نعتبره مرجعا دينيا لنا أجمعنا عليه ريثما يقر قرار العالم الاسلامي ﴾
﴿ على رأي يجمعون عليه في شأن الخلافة الاسلامية

﴿ نبايعك على هذا ياصاحب الجلالة ونقسم لك بالله العظيم على ﴾
﴿ طاعتك والرضا بك والانقياد اليك في السر والعلانية . ولك علينا ﴾
﴿ في ذلك عهد الله وميثاقه ما أقمت الدين ، واجتهدت فيما فيه صلاح ﴾

﴿ العرب والمسلمين (فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد ﴾ ﴿ عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) اهـ ﴾

ومن البديهي أنه ما أقام الدين ولا يستطيع أن يقيمه لانه جاهل به وبلغته التي يتوقف فهمه عليها بدليل فساد لغة مكتوباته واشتمالها على الاحاديث التي لا أصل لها وعلى تحريف القرآن — والعمل يتوقف على العلم — ولانه مستبدو الدين قيد الحكام بالشرع وبالشورى — ولانه جعل لغير المسلمين في الحجاز نفوذاً وامتيازات مخالفة لاحكامه ولوصية الرسول (ص) في مرض موته ولانه ضرب المكوس على الحجاج بدون مسوغ شرعي كما تقدم الى غير ذلك من مظالمه واستبداده

(الرابعة) صفته عند ولده الامير عبد الله وبعض رجال حكومته وهي أنه أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ، ولديه هو في هذا صحيفة معلقة في ديوانه الهاشمي فيها أسماء مئات من أحياء السوريين وأمواتهم قد بايعوه فيها بالخلافة جاءه بها أحد سماسرته في أيام مشاركة الجيش الحجازي لجيوش الحلفاء في احتلال سورية ، وقد أخبرنا بعض ثقات الدمشقيين الذين رأوها أنها مزورة . على أننا نعلم أن ولده فيصلا كان قد أخذ له البيعة على كثير من أهل سورية في ذلك العهد ، وأمثال هذه المبايعات لا قيمة لها لانها ليست من أهل الحل والعقد ، ولا مراعى فيها سائر أحكام الشرع

مثال ذلك أنهم بايعوه مع وجود خليفة قبله في الاستانة ، وقد قال النبي (ص) «اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر» رواه مسلم عن ابي سعيد الخدري

(يقولون) ان خلافة ذلك التركي غير صحيحة لانه غير قرشي (ونقول) إن خلافة صاحبكم غير صحيحة لانه فاقد لما هو أهم من شرط القرشية كشروط العلم الاجتهادي والعدالة والمنعة ولعدم مبايعة أهل الحل والعقد له ، ولذلك بني سلطته على حماية دولة نصرانية يعد ملكها حامي الايمان المسيحي ودعاة النصرانية (يقولون) ان خليفة الاستانة كانت هذه الدولة وغيرها قد احتلت عاصمته

وفقد الاستقلال والمنعة، ثم خانه قومه وأسسوا لأنفسهم حكومة جمهورية وسموا أحد أفرادهم خليفة ولكن لم يجعلوا له أمراً ولا نهياً فلا يناط به اقامة أحكام الشرع وحدوده، ولا حفظ البلاد الاسلامية من الاعداء، وقد اعترفوا بعد ذلك باستقلال بلاد الحجاز وبالحالة الحاضرة في سائر البلاد العربية حتى المحتلة منها، فوجب علينا أن لا نعطل حكم الخلافة الاسلامية في مهد الاسلام

(ونقول) ان لديكم في البلاد العربية المجاورة لكم إماما قرشيا علويا عالما مجتهدا عادلا ذا منعة قاتل الانكليز مع الترك ولم يتغلب على بلاده أجنبي غير مسلم، بل أصبحت حكومته الآن أقدم حكومة اسلامية مستقلة تسلسلت فيها الامامة الاسلامية من القرن الثالث للهجرة كما صرح به شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري في سياق حديث «لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان» وجعلهم مصداقا للحديث.

فان كنتم صادقين في زعمكم انكم غير طامعين في الملك والرياسة كما أذاع رئيسكم مراراً في جريدة القبلة فلماذا لم تضموا الحجاز الى اليمن وتبايعوا إمامها الذي عقدت إمامته منذ عشرات من السنين، وحينئذ يضطر صاحبا نجد وعسير الى الارتباط بهذه القوة والاتحاد بها، ولا سيما اذا دعيا الى بناء قواعد الوحدة العربية على أساس اللامركزية التي يستحيل جمع الكلمة في هذا العصر بدونها، ومتى تمت الوحدة في الجزيرة كان ذلك تمهيدا لتحقيقها في غيرها، مع الاستقلال المطلق من قيود النفوذ الاجنبي باسم الحماية وخزيها. ولكنكم أناس لا تطلبون الا الرياسة والعظمة الصورية لانفسكم، واذ كنتم عاجزين عن الوصول اليها بقوتكم توسلتم اليها بالاجنبي وفضلتم أن تبيعوه استقلال الامة العربية بتيجان يتوجكم بها في ظل امبراطوريته على حفظ هذا الاستقلال لها بالحق

خدعة الاستقلال

يخدع أهل هذا البيت أقوامهم بأنهم أنقذوهم وجعلوهم أمة مستقلة ولا

يزالون يهذون بكلمة الاستقلال التي ابتذلت وامتهنت باطلاقها على شر ضروب الاستعمار والاستعباد، ولو لم تنشر « مقررات النهضة » التي أشرنا اليها وبعض مكتوبات الملك حسين للانكليز التي صرح فيها بانه عامل من عمالهم لكان لنا أن ننخدع بأنه مستقل في بلاد الحجاز، وان كان الانكليز يعدونها من مستعمراتهم وقد أنشأوا لها محافظة سرية سموها محافظة البحر الاحمر. وانما نعيد في هذا المقال الوجيز نبذة من كتاب الملك المستقل العظيم وبرقية من برقياته الدالة على كنه استقلاله (وكنا نشرناهما من قبل)

كتب الى نائب ملك الانكليز بمصر كتابا نشرته جريدة القبلة مرارا متبجحة بمزاعمه « ان الامم تتباهى بالجزئية مما احتواه تحرير مولاه المنقذ » ؟ وتمثلت بقول الله عز وجل، من غير حياء منه تعالى ولا وجل (لمثل هذا فليعمل العاملون)

أعني ذلك الكتاب الذي تضرع فيه « صاحب الجلالة الهاشمية » لنائب ملك الانكليز أن لا تعدل حكومته « مقررات النهضة » التي أشرنا اليها آنفا الناطقة بتأسيس الملك العربي له في ظل ذل الوصاية وخزيها الذي يقول فيه ما نصه السقيم:

« فان كان ولا بد (؟) من التعديل فلا لي (؟) سوى الاعتزال والانسحاب ولا أشتبه في مجد بريطانيا أن يتلقى هذا منا الا انه أمر (؟) يتعلق بالحياة لا لقصد عرضي، ولا لفكر غرضي، وانها لا ترتاب في أني وأولادي أصدقاؤها الذين لا تثيرهم الطوارئ والاهواء، ثم تعينوا (؟) البلاد التي تستحسن اقامتنا فيها بالسفر اليها في أول فرصة (؟)

« وان رأت ذلك ولكن مشاكل الحرب الحاضرة تقتضي بتأجيله (؟) الى ختامها فحقوق الوفاء والجميل يفرض (؟) علينا الثبات امام ما سيتضاعف علينا من التهمات ونحوه من العموم (؟) مما لا مقاومة لدينا أمامها الا حسن النية — فالامر اليها

« أما عطف الامر وتعليقه بمؤتمر الصلح فالجواب عليه من الآن بأنه لا علاقة لنا به ولا مناسبة بيننا وإياه حتى ننتظر منه سلبا أو ايجابا ، ولو قرر المؤتمر المذكور اضعاف مقرراتنا وكان ذلك من غير وساطتكم وقبلناها فنكن (؟) من المطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا اه المراد منه

وقد عزز الملك المتبجح بالاستقلال هذا الطلب الناطق بأنه موظف بريطاني ببرقية بمعناه أرسلها الى جريدة التيمس وهذا نصها منقولا عن العدد ٥٥٣ من جريدة القبلة

﴿ المدير العمومي لصحيفة التيمس ﴾

﴿ اطلعت على عددكم المشتمل الرد والقدح باتحاد العرب والتزامكم أحد ﴾
﴿ امرائهم ، ولزيادة اقناع حكومة جلالة الملك وايضاح الحقيقة لعموم الشعب ﴾
﴿ النجيب البريطاني أكرر بهذا طلبي بواسطتكم من حكومة جلالته تأكيد تعيين ﴾
﴿ الامير المذكور أو من تراه ليستلم البلاد فان غايتي الراحة العمومية وخدمتها ﴾
﴿ كما يعلم من أساسات قيامي وشرائطه يؤيده طلبي هذا المثبت الحقيقة من ﴾
﴿ سائر وجهاتها ؟ ﴾

الامير المشار اليه في البرقية عدوه سلطان نجد ، وقوله « اساسات قيامي وشرائطه » يعني به « مقررات النهضة » الخمس التي سبقت الاشارة اليها

صفته الحقيقية وحكم الشرع فيها

قد صرح بعض علماء الازهر بما قلنا انه صفة ملك الحجاز في نظر جمهور المسلمين، وهو أنه من البغاة المتغلبين، وأحكام البغاة مفصلة في كتب الفقه ، وهي مبنية على وجود دار العدل التي يقيم الشرع فيها امام المسلمين الحق وجماعتهم، والامام الحق هو المستجمع لشروط الخلافة كلها ، المبايع من جماعة أهل الحل والعقد باختيارها،

في حال عدم وجود امام آخر قد بويع قبله بها. ولهم مع الامام والجماعة أحوال أشبهها بحال هذا الرجل ما يعلم حكمه من قول العلامة الماوردي في (الاحكام السلطانية) قال

« وان امتنعت الطائفة الباغية من طاعة الامام ومنعوا ما عليهم من الحقوق وتفردوا باجتباء الاموال وتنفيذ الاحكام فان فعلوا ذلك ولم ينصبوا لانفسهم إماما ولا قدموا عليهم زعيما — كان ما اجتبوه من الاموال غصبا لا تبرأ منه ذمة، وما نفذوه من الاحكام مردودا لا يثبت به حق

« وان فعلوا ذلك وقد نصبوا لانفسهم إماما اجتبوا بقوله الاموال، ونفذوا بامره الاحكام، لم يتعرض لاحكامهم بالرد الا لما اجتبوه بالمطالبة، وحوربوا في الحالين على سواء لينزعوا عن المباينة، ويفيئوا الى الطاعة » ثم بين أن قتال هؤلاء يخالف قتال المرتدين والمشركين من ثمانية أوجه

فاذا قلنا إن الحال الاخيرة هي عين نازلة متغلب الحجاز وانه يجب قتاله على امام المسلمين الاعظم (الخليفة) المؤيد بجماعتهم، فهذا الامام هو الذي يجب عليه أن يدعوه الى الطاعة، والاعتصام بالجماعة، ويقاتله على الاصرار على البغي وعدم الاجابة، فاين هذا الامام؟ ولماذا لم يفعل ؟ وأين جماعة أهل الحل والعقد الذين هم أهل الشورى عنده، والممثلين لسلطة الامة في مراقبته وتأييده اذا استقام على الطريقة، وتقويمه اذا زاغ عنها، الذين حكمهم الخليفة الاول في ذلك على منبر رسول الله (ص) ؟

قد بينا في مباحث الخلافة تفرق المسلمين ونصب أئمة وسلاطين وأمراء كثيرين لهم في بلاد العرب والعجم، ولكن لا نرى أحداً منهم يتصدى الآن للقيام باعباء الامامة العظمى العامة ويدعو جميع المسلمين الى مؤازرته على ذلك بنظام يرجى تنفيذه في مهد الاسلام وموطن مشاعره واداء شعائره، فنطالبه بان يلزم هذا الباغي الملحد في الحرم الطاعة له ويقاتله على ذلك ان لم يستجب

أما خليفة الاستانة فلم يبلغ درجة المتغلب بالقوة اذلم يعط من حقوق الخلافة شيئاً، فلا حكم له ولا أمر ولا نهي ولا جيش ولا اسطول، وحكومة جمهورية انقرة

الناصبة له قد أقرت الحالة الحاضرة في الحجاز في مؤتمر الصلح مع الحلفاء فهي لا تبذل في انقاذ الحجاز درهما ولا دينارا، ولا تجرد له جيشا ولا اسطولا ، أعني انها لاتريد، واذا أرادت لاتقدر. ولكن يرجى أن تشترك مع غيرها من الحكومات الاسلامية في تنفيذ ما يقرره مؤتمر اسلامي عام في مسألة الحجاز

واما امام اليمن فهو قادر على انقاذ الحجاز من هذا المتغلب وكذا سلطان نجد ولا سيما بعد اتفاق هذا مع السيد الادريسي ولكن هؤلاء يعلمون أن تصديهم لهذا الامر يحمل حسين بن علي على الاستعانة عليهم بمواليه وحلفائه الانكليز الذين بنى « مقررات نهضته » على حمايتهم له في داخل بلاده وخارجها فيكون في التصدي له فتنة يرونها أرجح من مفسدة اقراره على سلطته العارضة، وهي مفسدة احتلال الانكليز لبلاد الحجاز ولو بجيش يسمى مسلما ، وقد بينا من قبل ان خوفه من جيرانه هو الذي حمله على جعل الحجاز تحت حماية الانكليز وهاك ما جاء في نص المادة الثانية من « مقررات النهضة » التى أشرنا اليها من قبل :

« تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي مداخلة كانت باي صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تعد باي شكل يكون حتى لو وقع قيام داخلي من دسائس الاعداء أو من حسد بعض الامراء فهي تساعد الحكومة المذكورة (أي العربية الهاشمية) مادة ومعنى على رفع ذلك القيام لحين اندفاعه »

قلنا إن كلا من امام اليمن وسلطان نجد قادر على انقاذ الحجاز من هذا الرجل فكيف اذا اجتمعا ، ولكن الاول لا مطمع له في غير ملك اليمن وكذلك كان سلفه ولذلك لم تتوجه همتهم الى اتخاذ الوسائل لتعميم سلطة امامتهم ، على اعتقادهم ان الامامة الحق محصورة فيهم ، ولعمر الحق انهم كانوا أولى بها من العباسيين والعبيديين (الفاطميين) لانهم حافظوا على العلم الاستقلالي والعدالة وسائر الشروط الشرعية على صراحة نسبهم ، وسبب ذلك أو أهم أسبابه اعتمادهم

على عصبية الزيدية دون غيرهم ، وما زالت عصبية المذاهب ضارة حتى فيما يظن صحابها أنها مفيدة فيه

وأما الثاني فأكثر النـاس يعتقدون أن المانع له من الاستيلاء على الحجاز اصطناع الانكليز له بالمال وتخويفهم اياه من تأليب الحجاز والعراق وعرب فاسطين عليه اذا خالف رأيهم في ذلك ، ويقولون انهم هم الذين صرفوه عن الاستيلاء على مكة يوم سحق أكبر قوة أمكن للشريف جمعها وسوقها عليـه بقيادة ولده الامير عبـد الله عقب هدنة الحرب العامة وجلاء الترك عن المدينة المنورة

ويقول بعض النجديين من بطانة سلطانهم وثقات رجاله ان المانع الحقيقي له من ذلك حبه السلم وكراهته القتال مطلقا ولذلك اخضع آل الرشيد بالحصار الطويل الذي كلفه اعظم النفقات في أشد أيام العسرة والغلاء وكان قادرا على اخضاعهم بالمناجزة بنفقة قليلة ؛ وقال بعضهم اننا الححنا عليه عند سحق قوة الشريف في طربة بأن يستولي على مكة المكرمة فلم يقبل وتحرج أن يدخلها فاتحا مع قول النبي (ص) يوم الفتح من الحديث الصحيح المشهور « وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة»

وأقول أن هذه المسألة تدخل في مسائل الاستفتاء عما يجب على المسلمين من انقاذ الحرمين فيجب أن نبين أقوال أئمة الشرع فيها

قال الحافظ ابن حجر في الكلام على هذا الحديث من شرحه لصحيح البخاري: واستدل به على تحريم القتل والقتال في الحرم- وبعد أن ذكر الخلاف في مسألة القتل حتى اقامة الحد الشرعي في الحرم قال:

« وأما القتال فقال الماوردي : من خصائص مكة أن لا يحارب اهلها ، فلو بغوا على أهل العدل فان امكن ردهم بغير قتال لم يجز (أي قتالهم) وان لم يمكن الا بالقتال فقال الجمهور يقاتلون لان قتال البغاة من حقوق الله تعالى فلا يجوز إضاعتها وقال الآخرون : لا يجوز قتالهم بل يضيق عليهم الى أن يرجعوا الى الطاعة . قال النووي والاول نص عليه الشافعي . وأجاب أصحابه عن الحديث

بحمله على تحريم نصب القتال بما يعم أذاه كالمنجنيق ونحوه بخلاف مالو تحصن الكفار في بلد فانه يجوز قتالهم على كل وجه . وعن الشافعي قول آخر بالتحريم اختاره القفال وجزم به في شرح التلخيص، وبه قال جماعة من علماء الشافعية والمالكية

« قال الطبري : من أتى حدا في الحل واستجار بالحرم فللامام إلجاؤه الى الخروج منه وليس الامام أن ينصب عليه الحرب بل يحاصره ويضيق عليه حتى يذعن للطاعة لقوله (ص) « وإنما احلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس » فعلم أنها لا تحل لاحد بعده بالمعنى الذي حلت له به وهو محاربة اهلها والقتل فيها . ومال ابن العربي الى هذا . وقال ابن المنير قد أكد النبي صلى الله عليه وسلم التحريم بقوله «حرمه الله» ثم قال « فهو حرام بحرمة الله» ثم قال « ولم تحل لي الا ساعة من نهار » وكان اذا أراد التأكيد ذكر الشيء ثلاثا . قال فهذا نص لا يحتمل التأويل

« وقال القرطبي ظاهر الحديث يقتضي تخصيصه (ص) بالقتال لاعتذاره عما أبيح له من ذلك . مع أن أهل مكة كانوا اذ ذاك مستحقين للقتل والقتال لصدهم عن المسجد الحرام واخراجهم أهله منه وكفرهم ، وهذا الذي فهمه أبو شريح كما تقدم وقال به غير واحد من أهل العلم . وقال ابن دقيق العيد : يتأكد القول بالتحريم بأن الحديث دال على أن المأذون للنبي (ص) فيه لم يؤذن لغيره فيه ، والذي وقع له انما هو مطلق القتال لا القتال الخاص بما يعم المنجنيق فكيف يسوغ التأويل المذكور؟ وأيضا فسياق الحديث يدل على أن التحريم لاظهار حرمة البقعة بتحريم سفك الدماء فيها وذلك لا يختص بما يستأصل » اه ما لخصه الحافظ من اقوال العلماء في المسألة

فعلم منه أن التحقيق أن الحديث على ظاهره فكل من القتل والقتال محرم في أرض الحرم، واذا كان قتل الطير والحيوان والحشرات — ماعدا الفواسق الخمس محرما فيه فهل يكون قتل الانسان مباحا ؟ وما الفرق بينه وبين غيره اذن؟ ولكن الملك حسينا قاتل الترك ولا يزال يقتل من يستحل قتله في نفس مكة اذا كان يعد قتله

حدا شرعيا بحسب رأيه، كما قطع يد من هرب من سجنه ورجله مدعيا أنه داخل في حكم المحاربين لله ولرسوله والساعين في الارض بالفساد ونحوه، وأمر بصلب رجل في المدينة لانه انكر على الخطيب تعظيمه له بما هو مأمور به من الالقاب والنعوت لهذه الشبهة

فان قيل: ان ترجيح هذا القول يستلزم جواز جعل الحرم الشريف الذي عظم الله شأنه مأوى للقتلة واللصوص ومرتكبي الفواحش، وانه اذا تغلب عليه الكفار لا يقاتلون لاخراجهم منه، وهو يؤدي الى ضد ما أراد الله تعالى من تعظيمه وتكريمه وتأمينه لاقامة شعائره وعبادته فيه

فالجواب ان الوسيلة الى ذلك قريبة المنال وهي إلجاء أفراد الجناة أو جماعة البغاة الى الخروج منه بالاحاطة بهم في شقة الحرم الضيقة، وبالدخول على جماعة البغاة بالقوة الكافية من غير قتال فان بدؤا هم بقتال أهل العدل فيه قتلوا كما يقتل من قتل فيه وانتهك حرمته من أفراد المجرمين عملا بقول ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم)

وجملة القول في هذه المسألة أن القتال الشرعي ليس محرما في كل أرض الحجاز بل بقعة الحرم منها وهي معروفة الحدود فاذا امكن اقوة عسكرية الوصول اليها فهي لا تصل الا بعد الاحاطة بكل قوة يمكن لحكومة الحجاز تجهيزها للدفاع عنها. ولكن في تصدي بعض جيران الحجاز لذلك مفاسد غير ما أشرنا اليه من تدخل الاجانب على أن كلا منهم يضن بهذا المكان أن يدخل في سلطان الآخر وان كانوا مجمعين على أن كلا منهم خير من هذا الرجل الذي رضي أن يكون هو وبيت الله وحرم رسوله تحت وصاية دولة طامعة في ازالة ملك الاسلام واستعباد المسلمين أو تنصيرهم، وان يرضى أحد منهم بمثل ذلك لاي بلد اسلامي — بله الحرمين الشريفين — فليس من المصلحة اذا أن يأخذ أحد منهم الحجاز بالقوة.

الوحدة العربية

لو أن الملك حسينا يريد الوحدة العربية التي يدعيها مع الاستقلال الصحيح للعرب لما وجدت هذه المسألة الحجازية التي هي أعظم مشكلة اسلامية ستشغل جميع شعوب المسلمين الى أن تحل على وجه يرضيهم

ان الطريقة المثلى أو الوحيدة للوحدة العربية هي أن يعقد حلف بين امراء الجزيرة في الحجاز وعسير واليمن ونجد اساسه استقلال كل حكومة ثابتة في إدارة بلادها مع اتفاق الجميع على صيانة البلاد كلها من كل عدوان أو نفوذ خارجي والتعاون على انقاذ البلاد العربية التي احتلها الاجانب بالطرق الممكنة . وأن يكون لهم مجلس حلفي تقرر فيه جميع المسائل العامة المتعلقة بحفظ استقلال البلاد وترقيتها ...

اقترحنا نحن وغيرنا هذا على الشريف حسين فأباه لانه يريد أن يكون ملكا لجميع هذه البلاد وخليفة للمسلمين بقوة الانكليز لا بقوة العرب ولا غيرهم من المسلمين ، ولو قبل ذلك وسعى اليه وتم على يديه وثبت بالعمل أنه يرجح المصلحة العامة للعرب والمسلمين على حب السيادة والملك لرجي أن يكون هو رئيس مجلس الحلف العربي اذ لا يعقل أن يعقد هذا المجلس في غير مكة المكرمة وهذه الرياسة أفضل وأحسن عاقبة مما هو عليه الآن ولو لم يكن فيه تحت وصاية دولة أجنبية نصرانية ، ولكنه فضل هذه الوصاية وأصر عليها وهو يتوقع أن يسود البلاد العربية كلها بعد استقرار سلطنه وسلطة ولديه بمقتضى المحالفة الجديدة في العراق وشرق الاردن — بل فلسطين كلها على ما فهم أو زعم — وكذا سائر سورية كما وعد أو أوهم ،

فثبت بهذا أنه الخصم الاكبر للعرب والوحدة العربية واستقلال العرب كما أنه الخصم الاكبر للاسلام بوجوده في الحجاز ، ولكن جريدة مذبذبة لمأجور غير مسلم يقول انه لا زعيم للعرب ولا أهل للخلافة الاسلامية الا هذا الرجل ، ولا

يزال في مسلمي سورية من يرضى بهذه الزعامة مهما تكن صفتها وعواقبه لتألمهم من السلطة الفرنسية وتوهمهم انه مع الانكليز ينقذونهم منها (؟؟)

﴿ مايجب على المسلمين في امر الحجاز ﴾

مكانة الحجاز والحرم الشريف فيه

ليس شأن الحجاز كشأن غيره من البلاد فيقال ان حكومته التغلب فيها كغيرها - فالحجاز مهد الاسلام الاول ومهبط الوحي الاكمل ، ومحل الشعائر الدينية التي لايوجد في غيره ، ومهد اقامة الركن الاجتماعي العام من اركان الاسلام ، الممتاز عن غيره من الاركان . وهو مأرزه الذي يأوي اليه وينضوه في آخر الزمان . وقال أحد الاعلام في صفة مكة : دار النسك ، ومتعبد الخلق ، وحرم الرب تعالى الذي (جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ، ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) والمسجد الحرام هنا المراد به الحرم كله . وقوله سبحانه (سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى) وفي الصحيح انه اسرى به من بيت أم هانىء . ؟

وقال تعالى (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) وليس المراد به حضور موضع الصلاة تفاقاً وانما هو حضور الحرم والقرب منه ، وسياق آية الحج يدل على ذلك فانه قال (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) وهذا لا يختص بمقام الصلاة قطعا بل المراد به الحرم كله ، والذي جعله للناس كلهم سواء العاكف فيه والباري هو الذي توعد من صد عنه ومن أوراد لالحاد بالظلم فيه

« فالحرم ومشاعره كالصفا والمروة والمسعى ومنى والمزدلفة لا يختص بها أحد دون أحد بل هي مشتركة بين الناس اذ هي محل نسكهم ومتعبدهم — فهي مسجد من الله ووقفه ووضعه لخلقه ، ولهذا امتنع النبي (ص) ان يبني له

بيت بمنى يظله من الشمس وقال « منى مناخ من سبق »

« ولهذا ذهب جمهور الائمة من السلف والخلف الى انه لا يجوز بيع أراضي مكة ولا إجارة بيوتها . هذا مذهب مجاهد وعطاء من أهل مكة ومالك من أهل المدينة وأبي حنيفة من أهل العراق وسفيان الثوري والامام احمد ابن حنبل واسحق بن راهويه رحمة الله عليهم

« وروى الامام احمد رحمه الله عن علقمة بن نضلة انه قال كانت رباع مكة تدعى السوائب على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر : من احتاج سكن ومن استغنى أسكن . وروي أيضاً عن عبد الله بن عمر «من أكل أجور بيوت مكة فانما يأكل في بطنه نار جهنم» رواه الدار قطني مرفوعاً الى النبي (ص) وفيه «إن الله حرم مكة فحرام بيع رباعها وأكل ثمنها»

وبعد أن أطال في أدلة هذا المذهب ذكر أدلة القائلين بجواز بيع بيوت مكة واجارتها كالشافعية الذين أجازوا القتل والقتال الشرعيين في الحرم، وان التحقيق الجمع بين القولين وهو أن المباني تملك دون الارض ، كمن يبني في سائر الاراضي الموقوفة

وقال امام المفسرين ابن عباس (رض) في تفسير (والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد) : المسجد الحرام الحرم كله خلقُ الله فيه سواء . وفي رواية أخرى عنه : « سواء » يعني شرعا واحدا « العاكف فيه » أي أهل مكة في مكة ايام الحج « والباد » من كان من غير أهلها ممن يعتكف فيه من أهل الآفاق (قال) هم في منازل مكة سواء فينبغي لاهل مكة أن يوسعوا لهم حتى يقضوا مناسكهم . وفي رواية ثالثة : البادي وأهل مكة سواء في الحرم . وقال قتادة : سواء في جواره وأمنه وحرمته العاكف فيه أهل مكة ، والبادي من يعتكفه من أهل الآفاق . فعلى هذا لا يجوز التفرقة هنالك بين المسلمين بان هذا وطني من رعايا الحكومة الهاشمية ، وهذا غير وطني من مسلمي الممالك الاجنبية . بل لا يمتاز هنالك ملك ولا سوقة فكل المسلمين فيه سواء

هذا وان الله قد امتن على هذه الامة بتأمين هذا الحرم الشريف في آيات

من كتابه كقوله (واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا) وقوله (ومن دخله كان آمنا) وقوله (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويُتخطف الناس من حولهم) فيجب أن يظلّ هذا الحرم الشريف في أكمل درجات الامن والحرية لجميع المسلمين في أنفسهم وأموالهم وأقوالهم وأفعالهم ما لم تكن معصية لله تعالى . وهو أحق بهذا من (لندن) عاصمة الانكليز التي يضرب المثل بحرية سا كنيها وان كانوا أعدى أعداء حكومتها واشدهم طعنا فيها . واذا منع الله تعالى فيه تنفير الصيد وترويع الحيوان الاعجم والاعتداء على النبات بقلع أو قطع، فهل يحل أن يكون فيه ملك ذو جبروت يضرب على حجاجه المكوس فلا يبيح لاحد أن يدخل حرم الله تعالى لعبادته الا من اذا اعطاه كذا من النقد باسم التوقيع على جواز السفر أو الحجر الصحي أو بغير ذلك من الاسماء ؟ ثم تصادر أمواله ان كانت من الفضة لان هذا الملك أوجب أن يكون سعر الفضة النسبي دون سعر الذهب، ثم تحيط به الجواسيس فان رأى ظلما أو منكرا من اعمال الملك أو حكومته فانكره لما فرض الله من النهي عن المنكر قبض عليه ووضع في سجن شر من سجن الحجاج وعذب أقبح أنواع العذاب كما هو الواقع الآن ، بل مما يروي الثقات أن من الناس من يعذب في ذلك السجن بمجرد التهمة كالرجل المغربي الذي كان رفيق الشريف شرف عدنان باشا ، ومنهم من يعذب لمذهبه حتى يموت صبرا كالشيخ أبي بكر خوقير السلفي الحنبلي رحمه الله تعالى وقد كان السلف الصالح يعدون شتم الخادم في الحرم من الالحاد فيه ، وفي الحديث «احتكار الطعام بمكة إلحاد» رواه الطبراني في الاوسط ، وقال ابن عباس : تجارة الامير بمكة إلحاد !!

ذلك وإن النبي (ص) قال « ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ويأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها » رواه مسلم من حديث ابن عمر ، والترمذي من حديث عمرو بن عوف بلفظ « ان الاسلام ليأرز الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها ، وليعقلنّ الدين من الحجاز معقل الاروية من الجبل ، ان الدين بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ » ، وقد أوصى النبي (ص) قبيل وفاته

بأن لا يبقى في جزيرة العرب دينان ، ونص على اخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب على تسامحه مع أهل الكتاب في سائر ما يدخل في ملك أمته من البلاد ، وأكثر ما تساهل به بعض العلماء ان خصوا ذلك بالحجاز ،

وحكمة هذه الوصية أن الله تعالى أعلم رسوله بما سيعاقب به أمته على ترك ماشرعه لهم من إقامة العدل والحق من تداعي الامم عليهم ، والإدالة لهم منهم ، فأوصاهم بان لا يدعوا لغيرهم سبيلا الى مهبط دينهم ، ومنشأ شريعتهم ، ليبقى ملجأ حرا لهم ، لا يكون لغيرهم فيه نفوذ ولا وجود — ليجدد فيه الدين ، ويكون مصدراً لاصلاح ما أفسد الناس منه — فهل يجوز أن يكون فيه ملك مستبد بالاستناد على سلطة دولة غير مسلمة جعلها وصية عليه وعلى حرم الله ورسوله — على ما يعرف الناس كافة عنها من طمعها في بلاد الاسلام والعناية بتنصير المسلمين — فيسلب المسلمين فيه ما وهب الله تعالى لهم ، ويهب لغيرهم فيه ما سلب الله تعالى منهم ؟

ما يجب على المسلمين في امر الحجاز

أيها المسلمون ان الله تعالى قد جعل أمر مصالحكم العامة لكم فما يزعم أهل القوانين الوضعية من أن نظرية سلطة الامة هي من احداثهم زعم باطل ، إنها اصل من أصول الاصلاح الاسلامي التي آنزلها الله تعالى في كتابه ونفذها خاتم رسله صلى الله عليه وآله وسلم وخلفاؤه الراشدون ومن اهتدى بهديهم ممن بعدهم وصرح بها العلماء المحققون كما بيناه في كتاب مباحث الخلافة ، ومن شواهد القرآن المجيد في ذلك مخاطبة جماعة المسلمين بالاحكام العامة كقوله (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) وقوله (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) فجماعة الامة هي التي تنصب الخلفاء وهي التي تعزلهم ، ودرء المفاسد العامة والقيام بالمصالح العامة من فروض الكفاية على الامة

فيجب عليكم بما فرض الله عليكم من الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تقوموا بما يمكن من الوسائل لانقاذ حرم ربكم وحرم رسولكم صلى الله عليه وسلم من الظلم والاستبداد والسيطرة الاجنبية ، ولتقرير الامن فيهما لاهلهما ، ولكل مسلم يدخل في حماها ، بحيث يكون حرا آمنا لايخاف أحدا الا الله تعالى ، ولا يؤاخذ بشيء الا بحكم شرعي من محكمة اسلامية مستقلة أتم الاستقلال في أحكامها ، لا سيطرة لملك ولا لغيره عليها ، تتألف من علماء جميع الشعوب الاسلامية - ولمنع الفتن والدسائس السياسية والنفوذ الاجنبي أن تسري اليهما - والى جعل الحجاز قطرا سلميا على الحياد لا يحارب أحداً ولا يحارب باحد بحيث تعترف بذلك جميع الحكومات الاسلامية وغيرها — والى كفاية أهله الحاجة واغناء أعرابه عن التعدي على الحجاج وغيرهم بتأمين معايشهم ونشر العلم والدين فيهم — ثم الى جعل الحرمين الاشرفين مثابة للناس في تلقي العلوم والمعارف ، كما انهما مثابة لهم في العبادة واداء المناسك ...

فكر أخوكم كاتب هذا المقال في هذه المسألة منذ سنين واقترح هذا الاصلاح في المنار (ج ٣ م ٢٢ الذي صدر في ٣٠ جمادى الاولى سنة ١٣٣٩) وصرح برجائه في الملك حسين أن يقبله ويبادر الى تنفيذه برأي كبار الشرفاء والعلماء في مكة بان يضعوا له نظاما ينشر في جريدة القبلة وترسل نسخ منه مطبوعة الى المدن الاسلامية الكبرى في الشرق والغرب والجنوب والشمال لاخذ رأي أهل العلم والخبرة فيه ، ويضرب موسم الحج القابل من ذلك العام موعداً لتنفيذه ، بعد جمع الآراء وتمحيصها فيه بعرضها على لجنة تؤلف من خيار حجاج الاقطار علماً ورأياً فيكون هذا مؤتمرا اسلاميا يقرر ما يراه « من تعاون المسلمين على عمران الحجاز وتسهيل طرقه ، وتكثير موارده ، ونشر العلم فيه وغير ذلك من المصالح والمنافع »

إننا أعذرنا الى ملك الحجاز بتفويض أمر هذا الاقتراح اليه قبل كل أحد ، واثبتنا بهذا أننا نود لو يكون هذا الاصلاح على يديه على سوء ظننا فيه ، ونأسف الآن أن صدق ظننا فيه من كل وجه ، فهو لم يرفع لهذا الاقتراح

رأساً ، ولم يدرك أنه أضمن لعظمته وجاهه من الحماية البريطانية ، بتلك الاتفاقات السرية الشائنة ، والمعاهدات الجهرية الخادعة ، ولولا انه يفضل لذة الاستبداد الشخصي والالحاد في الحرم على كل اصلاح يشاركه فيه المسلمون لبادر الى تنفيذه

على اننا في ذلك الوقت قد وضعنا نظاما لمشروع جمعية اسلامية تقوم بالسعي لهذا الاصلاح الاسلامي العام على ما وصل اليه علمنا ورأي من أطلعناه على هذا المشروع في مصر ، وأرسلنا نسخا من هذا النظام الى أنقرة فاستحسن فيها وظهر اثر استحسانه في الجرائد بتصريح في معناه نطق به مصطفى كمال باشا، وما منعنا من اظهار المشروع وتأليف الجمعية بالفعل الا العلم بان السلطة العرفية البريطانية تشدد في مقاومته . ثم اعدنا نشر الاقتراح بما أودعناه في (الكتاب المفتوح) الموجه من روح الاسلام والجامعة العربية الى الحكومة البريطانية والشعب الانكليزي ، انذارا لها بان لا يعتمدا على الملك حسين فيما تطمع فيه تلك الحكومة من الحجاز وبلاد العرب وأن لا يصرا على ترجيح صداقته على صداقة العالم الاسلامي والامة العربية

اما وقد خابت جميع المساعي وفشلت جميع الوسائل لاقناع هذا المتغلب على الحجاز بحفظه وصيانته من نفوذ الاجانب وحفظ سياجه من جزيرة العرب وقد ظهر للشعوب الاسلامية كلها أمره وما فيه من الخطر على مشاعر دينهم ومأواه ومأرزه بجعله الحجاز تحت حمايتهم وتوطيده مع أولاده لنفوذهم وسلطانهم في قلب الجزيرة من حدود مصر الى خليج فارس — فالواجب عليهم شرعا ان يسعوا الى انقاذه من هذا الخطر وجعله قطرا حرا حياديا لا سلطان عليه لغير الشرع العادل الذي انزله الله تعالى فيه بضمان العالم الاسلامي كله

وقد بينا في هذا المقال ان هذا الانقاذ اذا صمدت له احدى الامارات العربية المجاورة للحجاز يخشى ان يكون اثمه أكبر من نفعه ومفاسده أرجح من المصلحة المطلوبة، وانه لا يرجى من دولة اخرى كالمصرية والتركية لان طريق البحر اليه تحت سلطان الانكليز حماة هذا المتغلب وانصاره على المسلمين فلا يمكن ان دولة أن تسوق اليه جندا

واذ كان الامر كذلك تعين لانقاذ الحجاز سعي جميع الحكومات الاسلامية المستقلة واتفاقها على الوسيلة التي تبتغى له وتعاونها على تنفيذها، فان لم تتفق كلها فاقدرها وأقربها والا فالواجب على شعوب المسلمين اتخاذ الوسيلة لذلك فان لم يفعلوا كانوا كلهم فساقا ضالين ولن تجتمع هذه الامة على ضلالة ، فانقاذ الحجاز فرض ولا بد من أدائه

اما الدول الاسلامية التي تطالب بذلك اولا فهي اليمنية والنجدية والمصرية والتركية والايرانية والافغانية، فان لم تبدأ احداهن بالدعوة الى عقد مؤتمر من اعضاء مفوضين من كل منهن فليدعهن الى ذلك بعض اصحاب المكانة المحترمة كشيخ الجامع الازهر او جمعية تؤلف لذلك. فاذا أجبن الدعوة فليس لاحد ان يفتات عليهن في تعيين الزمان والمكان للاجتماع ، وان كان كل أحد يعلم أن مصر أوسط بلاد الاسلام وأليقها بذلك . ولكن لكل مسلم ان يقترح على المؤتمر ما يرى فيه الصلاح والاصلاح . ومتى قرر مؤتمرهن شيئا فلا يعقل ان تتصدى الدولة البريطانية لمقاومة جميع دول الاسلام في مسألة اسلامية محضة انتصاراً للشخص الذي نصبته ملكا على مهد دينهم وقبلة صلاتهم وشعائر حجهم بل يرجى أن تغتنم هذه الدولة العاقلة فرصة اتحاد الحكومات الاسلامية المستقلة فتواتيهن، وتعقد رابطة المودة معهن ، ولا يخفى ما في هذا من الخير لها ولهن . وللانسانية كلها

واما الشعوب الاسلامية فلا يمكنها ان تعمل شيئا الا بتأليف جمعية منظمة واننا ننشر بعض المواد التي كنا وضعناها مع بعض اهل الغيرة الدينية لمثل هذه الجمعية على سبيل التذكير والوسيلة لتبادل الآراء فيها وبناء الدعوة عليها

المواد الاساسية لجمعية سلامة الحجاز

(١) تألفت في العالم الاسلامي جمعية اصلاحية باسم (جمعية سعادة الدارين في تجديد الاسلام في الحرمين الشريفين) ذات شعب وفروع في جميع الاقطار الاسلامية

(٢) سيكون المركز العام الدائم لهذه الجمعية مكة المكرمة حيث الشعبة

الاولى لها في المرتبة وهو الآن حيث الشعبة الثالثة في المرتبة (وهي الاولى المؤسسة)

(٣) مقصد هذه الجمعية (١) قامة الدين في الحجاز علما وعملا وارشاداً وتعليما كما شرعه الله (٢) وتحقيق جعل الكعبة البيت الحرام قياما للناس (٣) ومثابة للناس وأمنا (٤) سواء العاكف فيه والبادي كما جعله الله (٥) ومنع الالحاد والظلم فيه كما منعه الله (٦) ليكون الحجاز مأرزاً للاسلام كما انبأ رسول الله (ص) (٧) وتقام فيه وصيته الاخيرة عليه وعلى آله صلوات الله (٨) ويظل آية بينة على استجابة دعاء ابراهيم الخليل عليه وعلى آله صلوات الله (٩) فيكون قطر سلام وحياد لا ينال بحرب ولا عدوان يغضب الله (١٠) وتحترمه جميع الامم والدول كما يحب ويرضى الله ورسوله والمؤمنون

(٤) تتوسل الجمعية الي هذه المقاصد الشريفة بانواع الوسائل المشروعة الآتية

(ا) السعي لاحصاء أوقاف الحرمين الشريفين في جميع الاقطار وضبط مواردها وجلب ريعها الى خزينة الحرمين الشريفين وصرفها في مصارفها الشرعية التي وقفت عليها

(ب) جمع الاعانات والتبرعات الاختيارية بنظام لصرفها في احياء هذا القطر بالعلم والعمران

(ج) السعي لصيانة سكة الحديد الحجازية وتعميم نفعها فيما انشئت لاجله

(د) السعي لاعتراف جميع الدول والحكومات بكون الحجاز قطر سلم وحياد واحترامها له وضمان أولي الامر لها فيه قيامه هو بهذا الحياد والسلم العام

(ه) السعي لجعل ما يقام فيه من الاصلاح الديني والمدني والعمراني في أيدي الاكفاء من أهل العلم والرأي والمكانة من جميع الشعوب الاسلامية

(و) السعي الى كفاية البدو فيه أمر معاشهم مع حفظ كرامتهم وتعليمهم أمور دينهم وما تمس اليه الحاجة من أمر دنياهم والاجتهاد في تحضيرهم

(ز) نشر العلوم والفنون فيه ولا سيما التفسير والحديث وفنون البلاغة

باعلى الدرجات حتى تشد الرحال الى المسجدين لاجل النبوغ والتخرج في العلم كما تشد اليهما لاجل العبادة وحتى يكونا مصدرا للارشاد والاصلاح الاسلامي في العالم كله

(ح) السعي لتأليف محكمتين شرعيتين احداهما في مكة المكرمة والاخرى في المدينة المنورة يكون لكل قطر اسلامي وكل شعب اسلامي حق تمثيله فيهما بعضو من علماء الشرع — المنتسبين الى المذاهب الاسلامية التي يحج المتبعون لها هذا البيت ويستقبلونه في صلاتهم — لاجل محاكمة من يرتكب هنالك ذنبا يتعلق بالحقوق الشخصية أو الحقوق والمصالح العامة، بحيث يكون كل من تبوأ هذه البلاد المقدسة من حاج ومقيم آمنا على نفسه وكرامته واثقا بانه في كنف الله تعالى وحماية شرعه الذي يقيمه ويحكم به طائفة من كبار علمائه من الاقطار المختلفة لا سيطرة عليهم في ذلك لاحد من الخلق وليسوا مظنة لاتباع الهوى في الحكم

(ط) يوضع لهاتين المحكمتين نظام خاص يبين فيه وصف تأليفهما وأعضائهما وأنواع الذنوب العامة والخاصة التي يحاكم المذنبون فيها وأنواع العقوبات عليها — من حد أو تعزير — وينشر هذا النظام على الناس باللغات الشهيرة للشعوب الاسلامية ليكون جميع الحجاج كاهالي البلاد عالمين به اه المراد من هذا القانون هنا

ويضاف الى هذه المواد ما اقترحناه في الخطاب المفتوح من السعي لاقامة حرس فيه من أهله ومن جنود الدول الاسلامية المستقلة العربية والعجمية

فنحن نعرض هذه المواد على علماء المسلمين وعقلائهم ليسعوا لها سعيها ولا سيما اذا قصرت الحكومات الاسلامية عن القيام بما يجب عليها في هذا الامر

ملخص الفتوى

ان هذا الرجل قد جنى على الحرمين الشريفين وعلى الحرم الثالث وهو المسجد الاقصى (أولا) بموالاته لغير المسلمين ومساعدتهم على فتح الارض المقدسة وغيرها من بلاد العرب (وثانيا) بجعل الحجاز تحت وصايتهم وحمايتهم

(وثالثـا) باقراره هو وأولاده إياهم على مركزهم الممتاز في السيادة والسيطرة على فلسطين وشرق الاردن والعراق .

وهو باعتماده على حماية هؤلاء الاجانب له قد وضع المكوس والضرائب على حجاج بيت الله الحرام فلا يسمح لاحد باداء هذه الفريضة الا اذا دفع لحكومته المكوس التي قررها ، ولا يبعد أن يضرب اتاوات أخرى على كل ركن من أركان الحج كالطواف والسعي والوقوف بعرفات وعلى الصلاة في الحرم ايضا اذ لا فرق بين الاتاوتين — ثم انه يمنع عمل البر من الحجاز كتطبيب المرضى كما منع البعثة الطبية الهندية ثم المصرية ، ويصادر أموال الحجاج ويمنعهم من التصرف بالفضة منها في الحجاز لاجل أن يأخذها بثمن بخس دون ثمنها الاضافي أي بالنسبة الى ثمن الذهب ، فاذا كان يعذر باستحلاله لبعض هذه المحرمات لتأوله فيه فلا وجه لاستحلاله لسائرها لانها من المجمع على تحريمها المعلومة من الدين بالضرورة بحيث يعد مستحلها مرتدا عن الاسلام الا إذا كان حديث عهد به و نشأ في شاهق جبل بحيث لم تبلغه الشريعة كما هو المنصوص في كتب العقائد والفقه

وقد كان فيما سئلنا عنه عقيدته ... فنحن نبين أعماله وحكم الشرع فيها وندع تطبيقها للمسلمين ولا نقفي بأنفسنا بكفره وان كفر هو في جريدته الترك والمصريين والنجديين ، وحرف آيات القرآن المبين لفظا ومعنى كما فعل في منشور رسمي له يرد فيه على الترك الذين ازالوا حجاب النساء ويحتج عليهم بالقرآن الذي يدعي العمل به فاورد قوله تعالى (يا أيها النبي قل لازواجك و بناتك و نساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يُعرفن فلا يؤذين) فحرف الجملة الاخيرة بقوله: ذلك أدنى أن لا يعرفن فيؤذين — فجعل النفي إثباتا والاثبات نفيا ليثبت أن المرأة المسلمة لايجوز أن يعرفها أحد. وقد كتبنا يومئذ الى جريدة القبلة بانه يجب أن تصحح الآية من قبل الديوان الهاشمي فلم تصحح لئلا يكون تخطئة « للمنشور الكريم » كان ذلك المنشور الجهلي السخيف اكرم في اعتبار ذلك الديوان من كتاب الله عز وجل ، ثم نشرنا المنشور في المنار وبينا الخطأ الذي وقع

في الآية مع بيان معناها وسبب نزولها وأرسلنا ذلك لى الملك نفسه والى جريدة القبلة فلم يفد ارساله شيئا . وهو يسفك الدماء فيقتل ويصلب مدعيا إقامة الحدود بما ليس منها باجماع المسلمين من غير حكم شرعي يصدر ممن هو أهل للحكم من علماء الشرع ، وكذلك يفعل ولده الامير عبد الله في شرق الاردن ، ويسميان تصرفهما باهوائهما عملا بالكتاب والسنة وهما لا يعلمان منهما ما يؤهلهما لذلك . لأنهما لم يتعلما « وانما العلم بالتعلم » كما ورد ، وهو ما لا يخفى على أحد

فاقل ما يقال في هـذا الرجل انه ملحد في الحرم — والالحاد فيه ليس كالالحاد في غيره اذ الصغيرة في غيره كبيرة فيـه— وإنه مستحل لما حرمه الله بالفعل ، ولكننا نجهل كنه حاله فلا ندري أيستحل ذلك اعتقادا ، ويفعله جهلا أم عناداً ، وان في بقائه ملكا في مكة خطرا على الحرمين الشريفين وسائر جزيرة العرب أن يزول ملك الاسلام عنها كما زال عن غيرها بمساعدته ومساعدة أولاده ، فالواجب على المسلمين ملوكهم وأمرائهم ودهمائهم المبـادرة الى انقاذ الحرمين وجزيرة العرب ، وأقرب الطرق الى ذلك وسيلة ومقصدا ماشرحناه آنفا

هذا ما ظهر لنا من حكم الشرع فيه مبنيا على اعماله الرسمية التي لا يستطيع ان ينكرها . فان رأى علماء الاسلام خطأ فليبادروا الى بيانه والا فليبادروا إلى السعي لازالة هذه المنكرات كما فرض الله عليهم ، والله أعلم

(تنبيه) يرى قراء المنار في هذه الفتوى مع ما سبق لنا نشره في المسألة الحجازية تكراراً وسببه أن هذا كتب لاجل نشره في صحف الاخبار اليومية التي نشر فيها الاستفتاء فنشر في بعضها ولخص في بعض ، وقـد نشرت جريدة الاخبار بعضه في أوائل ذي الحجة وبعضه في أواخره ونشرته جريدة الاهرام بعد ان اختصرت منه مشروع جمعية انقاذ الحجاز وقد كبر على المنافقين من أجراء الملك حسين وولده الامير عبدالله ان ينتقد عليهما وينكر من أعمالهما ماخالف الشرع لانهما مشهوران بشرف النسب كان الله أباح للشرفاء ما حرمه على سائر عباده ، فان كان للشرفاء حكم خاص في هذا المقام فهو مضاعفة العذاب على ما يعصون الله تعالى به ، وسنبين هذا في مقال آخر

جهاد مسلمي الهند

في سبيل الخلافة الاسلامية ، وتحرير الجزيرة العربية

نشرت جمعية الخلافة في الهند الرسالة الآتية التي أنشأها أحد أركانها الكرام الاستاذ العالم العامل المصلح الشيخ سليمان الندوي أحد أعضاء وفدها الاوربي وسماها « الدرر البهية » وهذا نصها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل كلمة الاسلام جامعة المسلمين ، أقوى من نسب الماء والطين ، والصلاة والسلام على من أخرجنا من ظلمات العصبية ، وحوالك الجنسية والعنصرية ، والتفاخر بالانساب وعُبّية الجاهلية

وبعد . فلعل اخواننا المسلمين في البلاد الاخرى ليسوا على خبرة تامة بالحركة التي قام بها اخوانهم المسلمون بالهند والمطالب التي نهضوا بها أمام حكومتهم البريطانية ، والدعاوى التي نادوا بها على منابر جمعياتهم الدينية ومؤتمراتهم السياسية ، والمواعيد التي وعدتهم بها حكومتهم اثناء الحرب الماضية ، ومساعيهم التي بذلوها في سبيل الخلافة العثمانية ، والدفاع عن كرامة الجزيرة العربية ، والاخذ بما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم وهو يجود بنفسه الزكية ، والدراهم التي جمعوها من تبرعاتهم لاعانة المنكوبين الذين قتلوا وظلموا وسلبوا واخرجوا من ديارهم بغير حق في بلاد تراقيا وأزمير وأناطوليا ، وما لقي المسلمون في الهند من الجهد في سبيل تأدية واجباتهم من حكومتهم المستولية

من يجهل من اخواننا في الشرق ما تكن صدور الافرنجيين وما ترمي به نواياهم (١) نحو الاسلام والشرقيين ، وما أحدثوا من الملاحم والفتن ، وما دبروا من الدسائس والحيل ، لتوهين عرى الاسلام وتقويض اركان الاخوة الاسلامية ،

(١) النية تجمع على نيات لا نوايا

وبث بذور العدواة بين ابناء الملة الطاهرة، والتظاهر بمودة أهل الشرق

مضت القرون وهم على ذلك ، والحوادث تترى ، والمصيبات تتوالى والنواكب (١) تتواتر ، ونحن عنها غافلون ، وفيما بيننا متشاغلون ، حتى دهمتنا هذه الحرب التعسة النحسة فقام الاتحاديون في الشرق بالمناداة باستقلال الامم الموعظة (؟) بالخروج من ربقة الدين والانحياز الى الجنسية والعنصرية . لتضعف به كلمة الاسلام ولتهن جامعة المسلمين ، ولتنحل رابطة الشرقيين ، ويستولي عليهم الانقسام ويسودهم النفاق ، فصار ما صار مما لا حاجة لنا الى اطالة بيانه ، والكشف عن قناعه ، وكان المتبصرون من المسلمين في الهند على علم بما وراء الاستار والحجب ، فدعوا المسلمين الى التناصر والتآخي ، والدفاع عن حوزة مركز الاسلام وهي الخلافة العثمانية ، والذب عن ذمار مركز الدين وهي الجزيرة العربية ، وأسسوا جمعية سموها جمعية (خدام الكعبة) وأخذوا في نشر اعلاناتهم ، والمظاهرة (بنياتهم) والمجاهرة بمطالبهم ، وتدوين اسماء المتطوعين ، وجمع اكتتابات المتبرعين ، واصلاح أحوال الحجاج والزائرين ، وانشاء مراكب لنقل القاصدين الى بيت الله الحرام

كانو على عدة من ذلك اذا الحرب استعرت نارها ، وارتفعت أوزارها ، واستحوذت أخطارها ، وظهرت حكومة الهند بابراق وارعاد ، ووعد وايعاد ، ووضعت قوانين جائرة ، وأحكاما غير عادلة ، ومنعت الجرائد ، وأجرفت (٢) ألسنة الخطباء ، وغلت أيدي العاملين ، وأسرت رقاب المتبصرين ، ثم أصدرت اعلانات ملوكية تسكن غيظ المسلمين ، وتضلل آراءهم ، وتموه عليهم حقيقة أمرهم ، وها هي (ذي) الاعلانات البريطانية الملوكية ، والمواثيق التي اعطتها المسلمين

---

(١) المنار : النواكب جمع ناكبة وهي التي تتحول عن الطريق او غيره وليس مرادا بل المراد النكبات وهي جمع نكبة « كسجدات جمع سجدة » والتعبير بالنكبات يناسب ذكر « المصيبات » قبله وكان المناسب من جهة المعنى ان يعبر بالمصائب لانه جمع كثرة (٢) هذا تحريف من المطبعة والصواب اجرت بتشديد الراء اى منعت الالسنة من الكلام

في الهند ونشرت في نواحي البلاد كلها .

(١)

« لمسلمي الهند ان يستيقنوا ان لن تأتي الحكومة البريطانية وحليفاتها في في اثناء هذه الحرب بما يمس بعواطفهم وحياتهم الدينية. والبقاع المقدسة الاسلامية تبقى محفوظة من حملات الحرب ويبذل كل اهتمام لحرمتها ، ولا تسرد حملة ضد دار الخلافة الاسلامية المقدسة ، انما نحن محاربون لوزراء الاتراك الذين هم منقادون لاهواء المانيا ولسنا بمحاربين خليفة الاسلام ، الحكومة البريطانية من نفسها وحليفاتها (١) تعطي هذه المواثيق وهي مسئولة عن هذه المواعيد »

(٢)

الاعلان الملوكي في نوفمبر سنة ١٩١٤

قال اللورد (هاردنغ) نائب الحكومة البريطانية في الهند في مجلس التشريع الملوكي الهندي في يوم ١٢ يناير سنة ١٩١٥ (٢) قد أعلنت الحكومة (البريطانية وفرنسا والروسيا) أن بقاع العرب والعراق المقدسة تبقى آمنة من الحملات ، وقد أعلنت الحكومة البريطانية أيضا أنهم مستعدون اذا مست الحاجة للدفاع عن البقاع المذكورة ضد الاجانب الداخلين فيها الهاجمين عليها ، لتبقى غير مهجوم عليها على كل حال ، حيثما تحولت أمواج الاحوال ، لا يرتاب في ان هذه البقاع المقدسة تبقى غير مهجوم عليها ، يظل الاسلام معدودا من القوات العظمى في العالم »

(٣)

قال (اللورد كرومر) في مجلس اللوردات البريطاني في يوم ٢٠ ابريل سنة ١٩١٥ « أنا لا أحتاج الى أن أؤكد اني متفق غاية الاتفاق مع صاحب السعادة (كريو) أن لمسلمين لهم وحدهم أن يخوضوا في شأن الخلافة ، بل اني أرى أنه يمكن لى أن أعطيهم نوعا من الميثاق بأنا نعترف بان الخليفة يكون مسلما بل لا بد له

(١) أي الاصالة عن نفسها و بالنيابة عن أحلافها

« ٢ » اختلف التاريخان والمراد ان حاكم الهند بلغ في ١٢ يناير سنة ١٩١٥ ما قررته حكومته مع حليفتها في نوفمبر سنة ١٩١٤

أن يكون مسلما حرا ومستقلا من كل سلطة أوروباوية

(٤)

قال (لويد جورج) صدر الامبراطورية البريطانية في خامس يناير سنة ١٩١٨ « نحن لا نحارب تركيا لنحرمها عاصمتها و بلاد تراقيا وآسيا الصغرى (اناطوليا) المخصبة الكثيرة الخيرات التي بأجمعها معمورة بالامة التركية »

هذه نصوص مواثيق وعهود أعطتها الحكومة البريطانية المسلمين في العالم عامة وفي الهند خاصة ، وهذه أساس ما نطالب به الحكومة البريطانية ، ولا يجوز لها الانحراف عنها ، ولن ندعها أن تتركها سدى ، نقلنا هذه النصوص ههنا ليكون اخواننا في البلاد الاخرى على خبرة مما جرى في الهند ، وما قامت عليه الحركة السياسية الدينية الحاضرة ، وما تدور عليه رحى الحرب السلمية القائمة منذ سنتين بين المسلمين والبريطانيين في الهند ـ وهذا ما بعثنا ان نقوم قومة واحدة ونأخذ بالحكومة (؟) بانجاز ما وعدت ، وايتاء ما عاهدت

بعد ما وضعت الحرب أوزارها وحرر أسارى الاحرار من المسلمين ورفعت الرقابة ، أخذوا فيما كانوا فيه ودعوا اخوانهم الى الانضمام معهم ، وتلوا عليهم ما كتب الله عليهم ، وذكروهم بما أوصاهم رسولهم الكريم بأن الامامة لا بد من اقامتها ، والجزيرة العربية المحدودة بنهري العراق ، وبحر الشام ، وترعةالسويس ، والبحر الاحمر ، وبحر العرب وبحر الهند ، والخليج الفارسي لا تزال آمنة سالمة من كل نوع من أنواع السلطة غير المسلمة ، وأسسوا جمعية جليلة لها فروع في كل أصقاع البلاد الهندية سموها « جمعية الخلافة »

وها هي(ذي) مطالبها ومقاصدها بحروفها :

١ ــ القيام ببقاء قوة الخلافة الاسلامية وسلطتها ، والسعي لاعادة مجدها واعلاء أمرها

٢ ــ اتخاذ الوسائل اللازمة لتمكن تركيا من الصلح المحترم العادل ويصبح أمر الخلافة وجزيرة العرب والاماكن المقدسة الاسلامية كما تقتضيه

الشريعة الاسلامية الغراء (أي ان تكون مطاقة حرة مستقلة من كل نوع سلطة غير مسلمة عليها)

٣ — السعي تمام السعي لتضطر الحكومة الى ايفائها بما وعدت به في اعلانها المؤرخ في ثالث نوفمبر سنة ١٩١٤ وبما قال وزيرها الاعظم خامس يناير سنة ١٩١٨ في شأن البقاع المقدسة و بلاد الدولة العثمانية

واتخذوا للفوز بهذه المطالب وسائل عديدة منها :

١ — بث هذه الافكار في البلاد الهندية والبلاد الاسلامية الاخرى

٢ — التآخي بين مسلمي الهند ومسلمي الممالك الاخرى واعانتهم ونصرتهم وقطع المنازعات الحادثة بينهم ، واصلاح ذات بينهم

٣ — ولان تضطر الحكومة الاذعان بالحق نقطع عنها العلائق كلها (١) ولا ننصرها ولا نخدمها ولا نواليها في أمر من الامور . وهـذا هو المراد « بعدم الموالاة أو ترك التعاون » وللوصول الى هذه الغاية يجب علينا أن نقوم بالتعليم الملي والتجارة والصناعة الوطنية ، ونقاطع البضائع غير الوطنية وننشيء دواوين القضاء بين أنفسنا

٤ — التوفيق والتوحيد بين المسلمين والعناصر الهندية الاخرى للحصول على الاستقلال (السوارج) بالهند

مضت سنتان وأكثر منها (٢) ان المسلمين والهنود الوثنيين اتفقوا فيما بينهم على استقلال البلاد الهندية والمطالب الاسلامية المصرحة وجعلوا طريقة (عدم الموالاة للحكومة البريطانية) وسيلة موصلة لهم الى المطلوب — مضت سنة كاملة وهم قد قطعوا على الحكومة كل علائق المناصرة والمودة والمعاونة والخدمة حتى تضعضعت أركان الحكومة وهي تخبط خبط عشواء في أمرها ودوائرها كلها منحلة

(١) المناسب ان يؤخر التعليل ويقدم المقصود بالذات ويعبر عنه بالمصدر كالذي قبله و بعده فيقال الثالث قطع جميع العلائق بيننا و بين الحكومة لتضطر الى الاذعان الخ (٢) كذا في الاصل ولعله تحريف من المطبعة أصله : حدث فيها أن المسلمين الخ

ودخل الخلل في أهم نظاماتها ، وهي لا تجد السبيل لرتق مافتق ، وجبر ما انكسر ، الا ان تذعن للمطالب الاسلامية الهندية ، وهي الصلح مع الدولة العثمانية ، ورفع كل رقابة ووصاية عن البلاد العربية من عراقها وشامها وفلسطينها وحجازها ونجدها ويمنها ومنح الاستقلال للهند

هذه هي الاحوال الجارية في الهند وحكومتها في حيص بيص في أمرها ، فالمسئول من اخواننا ولا سيما اخواننا العرب من الطوائف كلها أن يتفكروا في الامر ويتدبروا العاقبة ، ويتلافوا ما صدر منهم ، ويتحدوا مع اخوانهم الهنود في رفع منار الدين ، واعلاء كلمة الشرق ، واعادة مجد الاسلام ، والسلام على من اتبع الهدى انتهى

(المنار) نشكر لاخواننا مسلمي الهند غيرتهم وانني ما زلت أشهد لهم بأنهم أشد مسلمي الارض عناية بالجامعة الاسلامية ، ورسوخاً في الغيرة الدينية وانه لا يوجد شعب اسلامي يهتم بأمر سائر المسلمين مثلهم ، لان بعض هذه الشعوب قد فصمت عصبية الجنس عروة اعتصامها بالوحدة الاسلامية ، وبعضها قد استحوذ عليها الجهل بالسياسة العامة وأحوال المسلمين ، وسيكون اخواننا مسلمو الهند من المنبهين لهم بعنايتهم بهم ، لأنهم سيزدادون علما بان حفظ الاسلام كما انزله الله تعالى لا يتم الا بهم ، ولا يكمل الا في بلادهم

وأما ماظهر منهم بموالاة امير مكة وأولاده للانكليز ومن خدعوهم من السوريين والعراقيين فلا يرجى تلافيه من قبل هؤلاء الخادعين والمخدوعين لانهم أصروا على ما فعلوا بعد أن ظهر لهم سوء نية الانكليز باخلافهم لوعودهم لهم ونقضهم لعهودهم معهم — على انها مبنية على فساد — وسائر العرب في الجزيرة ومنها الحجاز آسفون ناقمون ساخطون ، والقادرون منهم يجاهدون في تلافي هذا الشر فاذا آزرهم اخوانهم مسلمو الهند بمثل ما آزروا به اخوانهم الترك فالرجاء بالنجاح عظيم . فان امراء الحجاز لاحول لهم ولا قوة الا بالانكليز فاذا اعتصم مع اخواننا الهنود بحول الله وقوته في مكافحتهم فقد يكون من أوائل النجاح نبذ الانكليز لهم وإيثار إرضاء العالم الاسلامي والعرب الصادقين عليهم ، والعاقبة للمتقين .

الخلاف بين مصر والحجاز

لما بلغنا أن ملك الحجاز أبى قبول البعثة الطبية المصرية التي أرسلتها الحكومة المصرية مع ركب المحمل المصري ظننا أنه يريد بهذا المنع أن يري المصريين وحكومتهم من امر استقلاله مايعرفون به خطأهم في قولهم: انه وضع البلاد تحت حماية الانكليز ، ولما بلغنا أن الحكومة المصرية تريد إرجاع ركب المحمل المصري من جدة مع ما يحمله من المال والغلال لاهل الحجاز اذا أصر الملك على منع البعثة الطبية المذكورة كتبنا مقالا وجيزاً نشرناه في جريدة الاهرام نصحنا فيه للحكومة المصرية بأن لا تفعل ذلك وأنه لا يجوز لها شرعا أن تمنع رجال ركب المحمل ولا غيرهم من الحج — وكانوا قد شرعوا فيه ووصلوا الى جدة محرمين به — وان ملك الحجاز اذا كان مستبدا غير مقيد في أحكامه بشرع ولا قانون يمنعه عن رد البعثة الطبية فهي ليست كذلك ، وان عليها أن تستفتي في مثل هذه المسألة الشرعية علماء الدين ، وارتأينا أن تأمر بعثتها الطبية بأن لا تمتثل أمر ملك الحجاز اذا أراد ردها ، وعدم تمكينها من أداء المناسك أو معالجة من يحتاج الى معالجتها من الحجاج لانه منع من عمل شرعي لا يملكه ولا تباح طاعته فيه شرعا ، فان فرضنا أنه أمر رجال حكومته بمنع الاطباء أو غيرهم من ذلك بالقهر دافعوا عن أنفسهم — أي كما ورد في كتاب الصيال من الشرع الاسلامي — وبينا أننا نعتقد أنه لا يفعل لانه لا يجهل ما في ذلك من التبعة وسوء الاحدوثة ، وقد حمد رأينا هذا المعتدلون ، ولم ينكره الغالون في الانكار على ملك الحجاز والمبالغون في الطعن فيه

وأما الحكومة المصرية فقد استفتت شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية في المسألة استفتاء مبهما غير منطبق على النازلة فانها بنت الاستفتاء على جواز منع الحج اذا لم يكن هناك أمن أو كان خطر على الصحة ، وأين الخوف أو الخطر ؟ أما حفظ الامن حيث تؤدى المناسك من الحجاز فلا تقصير فيه ، وقد نوه المنار

به مراراً وصرح بأن أكبر حسنات الملك حسين شدة عنايته بالامن وراحة الحجاج بقدر طاقته ، وهو قادر على ذلك فيما بين جدة وعرفات ولا يتجاوز المصريون ذلك ، وأما الوباء فالظاهر أن الحكومة المصرية كانت تتوقع حدوثه في الحجاز لوجوده في الهند ، وعلى هذا كان يتحتم عليها إبقاء البعثة الطبية وركب المحمل والقاء تبعة كل مايعمله الملك حسين عليه كما نصحناها وليست هذه التبعة بالامر الهين . ولو وقع الوباء والعياذ بالله تعالى لما أمكن لها أن تبرىء نفسها من التبعة، ولافتضحت حكومة الحجاز شر فضيحة بعجزها عن القيام بما يجب للحجاز بين وللحجاج إذ ليس عندها أطباء ولا أدوات وعقاقير تكفي لذلك

وقد علمنا بعد ذلك أن مثار الخلاف أمر مادي محض ، ذلك بأن السلطة البريطانية كانت منذ انضم الملك حسين الى دولتهم في الحرب توسل اليه جميع ما هو مخصص للحجاز من الاوقاف ومن الحكومة المصرية وكان يتصرف فيه كما يشاء على أن بعضه لاهل المدينة المنورة التي كانت الى ما بعد هدنة الحرب في يد الترك وللاعراب الذين على الطريق اليها. ثم ان حكومة مصر أرادت أن تتولى توزيع هذه المخصصات بأدائها الى أهلها إذ بلغها كما بلغنا نحن — والله على ما نقول شهيد — أن الملك لا يعطي كل ذي حق حقه منها ، ومما نقله الينا بعض الحجاج الذين بلغهم في الحجاز من يثق بأمانتهم أنه في بعض السنين لم يعط أحداً شيئاً وان بعض المستحقين في المدينة المنورة ماتوا جوعا وانه في سنة أخرى ولعلها التي قبل هذه السنة اعطى النصف ، والحكومة المصرية أعلم منا بما هنالك لان لها تكية في مكة المكرمة وأخرى في المدينة المنورة والمستخدمون المصريون فيهما أجدر بمعرفة هذا الامر من غيرهم

بل نقول ان الملك حسيناً كان يتوسل بالانكليز الى الاستيلاء على جميع أوقاف الحرمين الشريفين في مصر ليتولى ادارتها برجال من قبله ، وبلغنا أنه كان موعوداً بذلك ولكن حال دون الوفاء به استقلال مصر فعظم عليه الامر ورأى أن يتوسل الى أخذ المخصصات المذكورة بمشاكسة الحكومة المصرية

ولم يجد شيئا يشا كسها به الا مسألة البعثة الطبية ، فأهان رجالها في جدة بجعلهم كالمجرمين المحجوز عليهم تحت خفارة رجال الشرطة في مقامهم وفي انتقالهم من مكان الى آخر ، فكبرت هذه الاهانة على الحكومة المصرية ولكنها لم تحسن التصرف في تلافيها بحسب ما وصل اليه علمنا الى وقت كتابة هذه السطور اذ لم تطبقه على أحكام الشرع الاسلامي تطبيقا صحيحا ، ولو لا الحالة الشرعية وما لها من الاحكام ، لكان عملها من قبيل المعهود في مثل هذه الاحوال ، والناس ينتظرون بلاغا رسميا منها يوضح الخفايا ويعرف بمقابلته ببلاغ حكومة الحجاز ما يمكن كل مطلع من الحكم في المسألة من كل وجه

حدث هذا الخلاف في أثناء اهتياج المسلمين من المعاهدة البريطانية الحجازية فكان ضغثا على إبالة ، كان للناس مطعن في ملك الحجاز فصار لهم مطعنان فكان الطعن فيه شغل جميع الجرائد ، وقد أسرف فيه بعض الكتاب بما خرجوا عن الادب والذوق ، وصورته جريدة اللطائف المصورة بصورة حمار حوله الحشيش ... فكان عملها أقبح خزي أعماها الطمع عن سوء موقعه من المسلمين الذي يحترمون مكانته ومكانه ونسبه وسنه، وان أنكروا سياسته وعمله ، وتجاوز بعضهم خطة الانكار ، الى الغميزة والازدراء ، والتهكم والاستهزاء ، ونبزه بعضهم بلقب البدوي وصفة البداوة ، وما هو الا ربيب مكة والآستانة ، ومكة أقدم مدن الارض حضارة ، ووجهاء أهلها على أدب جم وانما اشتهر سوقتها بالشراسة، ولعمر الحق إن الملك حسينا لمن أرقى الناس آدابا ، وانه لا يوجد في أرقى طبقات المصريين والترك من يفضله في ذلك ، لولا أنه على كبريائه يجاهل الجرائد، ويطعن في الافراد والجماعات والشعوب في جريدته (القبلة) حتى في منشوراته الرسمية، ولو تنزه عن هذا لكان خيراً له ، ولما وجد الناس مجالا للكلام فيه الا من ناحية سياسته ولغته وما يتعلق بهما ، وكأن الله تعالى سلط عليه الناس جزاء له فان كان بعضهم قد قدح فيه بالباطل ، فقد وجد من يدافع عنه وينصره بالباطل ايضا ، وقد كان من طعن جريدة القبلة في المصريين أن شبهتهم بالبقر والغنم ،وجعلتهم

اخوة الثوم والبصل ، وكفرهم الملك في منشور رسمي بانشائهم الدستور .. وهددهم نجله الامير عبدالله بما ينبيء انه لولا الانكليز لقام بما هو مستعد له من غزوهم وفتح بلادهم كما فتح الطائف !! وقد نسي انه عجز عن فتح قرية الخرما ، وان والده لم يخرج الترك من الممالك الهاشمية — الطائف ومكة وجدة — الا بجيشهم وأموالهم ، ولعله لا يجهل ان دخل رجل واحد من مزارعيهم أعظم من دخل « حكومة الشرق العربية » ذات الوزراء والالقاب الضخمة

ونحن على علمنا بهذا كله نقول ان الجرائد المصرية أسرفت في الطعن في الرجلين لان المنار لا يكتب الا مايعتقد أنه الحق، ويحاسب صاحبه في ذلك نفسه على خطرات القلب ، والذي ظهر لنا من الحق في هذه المسألة أن الملك حسينا أخطأ شرعا ورأيا في منع البعثة الطبية المصرية أن تعمل بحريتها كل ماتراه من الاستعداد لمعالجة الحجاج المصريين وغيرهم عند الحاجة اليها ، فانه ليس له حق أن يمنع أحدا من المسلمين هنالك من شيء الا اذا كان مخالفا للشرع كما بينا ذلك بالتفصيل في مقال الاستفتاء في أمره وأعماله وسياسته

واذا كان يخاف ان يفضي ذلك الى تدخل النفوذ الاجنبي في الحجاز من هذه الناحيه فما عليه الا أن يسن للحجاز قانونا سياسيا يصرح فيه بأن جميع الحجاج أحرار في كل مالا يخالف الشرع ، وانه لا يجوز أن يكون لاي دولة من دول الارض أدنى نفوذ ولا تداخل في شؤون الحجاز الداخلية بسبب وجود حجاج من رعاياها فيه . ولكن مشروع المعاهدة التي فرض على الامة العربية جعلها عيدا لها قد جعلت للانكليز عدة امتيازات في الحجاز كما بيناه في تعليقنا عليها

وأما الحكومة المصرية فقد اخطأت في إرجاع ركب المحمل المصري ومنه البعثة الطبية، واما إرجاع النقود والاقوات المخصصة لاهل الحرمين في هذا العام فان كان سببه ان الملك لا يمكنها من إعطائها لمستحقيها بحجة منافاته لاستقلاله في ملكه فالذنب عليه لا عليها وان كان انتقاما منه لمغاضبته إياها وإهانته لبعثتها فالذنب عليها، فان ما يقع بين الحكومات من الامور المنافية للحقوق الودية يتلافى

بغير هضم حقوق الافراد كشرفاء الحرمين وفقرائهما الذين لا ذنب لهم

ويجب ان تعلم الحكومة المصرية والراي العام المصري ان ما هو موقوف على الحجاز واهله من ارض مصر فصرفه اليهم واجب شرعي لا منة لاحد في ادائه الى اهله ، وان ما يرسل من الصدقات غير المستحقة لهم — ونحن غير واقفين على تفصيلها — فان لمصر به مكانة ومنزلة في المعاهد المقدسة وفي سائر العالم الاسلامي ينبغي لها ان تحافظ عليها ، ولا تلتفت لكلام بعض الماديين المارقين الذين لا يفقهون المكانة الروحية والمنزلة الادبية معنى ، وسنوضح هذا ان احتيج اليه في فرصة أخرى

هذا وان كلا من حكومتي مصر والحجاز الحاضرتين مؤقت ، فاذا لم يفصلا هذا الخلاف بالحق والعدل ، وبما يحفظ لمصر مكانها من الفضل ، فلا يكون ما يقررانه مبرما دائما ؛ اما مصر فستخلف حكومتها الوزارية الحاضرة حكومة الدستور المقيدة بمجلس النواب والاعيان ، وأما حكومة الحجاز فلا يمكن الجزم الآن بما يكون من امرها ، وانما المجزوم به انها لن تبقى حكومة شخصية مطلقة خلافا الشريعة الاسلام وبالرغم من أنوف مئات الملايين من المسلمين لان الدولة البريطانية تريد ذلك ، والمعقول الموافق للمصلحة الاسلامية العامة ما اقترحناه من قبل في امرها وهو الذي سيكون ان شاء الله تعالى ، وحينئذ يتعاون العالم الاسلامي كله على رفع شأن الحجاز من كل وجه . ويكون لمصر القدح المعلى في ذلك

هذا وان كثيراً من المصريين كانوا يظنون أن الاكابر هم الذين أثاروا هذا الخلاف بحمل الملك حسين على رد البعثة الطبية اغرض لهم في ذلك كثر البحث فيه والسؤال عنه وكنا نقول لمن يسألنا عن رأينا في هذا انها تصدق على مثلهم : لا نخلق الفرص ولا نضيعها ...

وكان الكثيرون يظنون أن الملك المذكور يوشك أن يؤذي الحجاج المصريين انتقاما من حكومتهم وكنا نجزم بأن الخلاف انما يحمله على تحري إرضائهم بأشد مما يعنى بارضاء غيرهم ، ليكونوا دعاة له ومدافعين عنه وكذلك كان

رجل مات والرجال قليل

الاستاذ محمد وهبي

مات محمد وهبي وسبحان الحي الذي لا يموت ، مات محمد وهبي فكتب في الجرائد اليومية بضعة أسطر ما لخصها أنه قد توفي فلان ناظر مدرسة الفيوم ونسيب فلان ، وصهر علان ، وستشيع جنازته من داره في حي السكاكيني في الساعة العاشرة قبل الظهر . ذلك بان أصحاب الجرائد لا يعرفون قيمة محمد وهبي لانه كان كنزا خفيا ، وهم قلما يعرفون الا أصحاب الظهور ، وان كان بلباس الزور ، وقد شيعه العشرات من أولي القربى منه واصدقائه وأصدقائهم وليس فيهم أمير ولا وزير ولا أحد من أصحاب الرتب العالية لان هؤلاء قلما يعرفون مثل محمد وهبي بل قلما يوجد فيهم من هو أهل لمعرفة مثل محمد وهبي

كان محمد وهبي في الذروة العليا في علومه وأخلاقه وآدابه، وقوة ايمانه وصلاح أعماله، والاخلاص في وطنيته، والجهاد في سبيل ملته وامته — ولكنه كان لشدة اخلاصه يؤثر الكتمان ويكره الظهور ، ولو كان الناس يكتمون سيئاتهم كما كان محمد وهبي يكتم حسناته لما وجد في البلاد قدوة في الشر والفجور

صليت على محمد وهبي صلاة الجنازة والتفت بعد السلام فلم أجد ورائي من المصلين الا بضعة رجال ، وأذن بعد الصلاة عليه مؤذن : ماذا تشهدون فيه ؟ فقال الحاضرون كما يقولون في جواب كل سائل عن ميت : رجل طيب — أو من أهل الخير. وقلت: اللهم اني أشهد أنه خير من أعرف من الناس . ذلك بأنني كنت أفكر قبل هذا السؤال و بعده في أفضل الرجال الذين أعرفهم ، خضخضت دماغي لاحرك في زوايا تلافيفه كل رجل رقمت ترجمته فيها فلم أذكر في أحيائهم أفضل من محمد وهبي ولا مثله في مجموعة مزاياه

عرفت محمد وهبي على تنكره واخفاء فضائله لانه أحسن الظن بي فحضر علي بعض دروس التفسير والبخاري وأصول الفقه وكان يسألني عن بعض اسرار

الدين ومزايا الاسلام، ويستشيرني في صالح الاعمال، ويواظب على قراءة المنار عرفته معرفة خبير، عرفته راسخا في التوحيد، واسع الاطلاع في أصول الدين وفروعه، ذا بصيرة في حكمه واسراره، لم يسألني مشتبها أو شاكا كما وقع كثيرا للطبيبين الفاضلين الصالحين المصلحين (محمد توفيق صدقي وعبده ابراهيم) في بدايتهما، وكذا غيرهما بل كانت اسئلته تدل على علم بطالب صاحبه المزيد والكمال، كان يقتني أنفس كتب الدين ويطالعها للاهتداء والعمل بها، وكان شديد العناية بكتب شيخي الاسلام ابن تيمية وابن القيم ولعله لم يفته شيء مما طبع منها، بل كان يرغب في استنساخ ما وجد منها اذا يئس من طبعه

ومن مزاياه أنه كان جامعا بين هداية الدين اعتقادا وأخلاقا وعملا وبين أرقى النظام المدني في أهل بيته وتربية أولاده: كان يستيقظ من النوم فيوقظ زوجه وبناته فيتطهرون ويصلي بهم صلاة الفجر إماما، ثم يقرءون جزءا من القرآن العظيم، ثم يقومون للرياضة البدنية فيأخذون منها بنصيب، وبعد الاستراحة منها يصيبون من ذواق الصباح ماتيسر، ثم ينصرف كل الى عمله، فلو ان امة أو أهل مدينة كانت بيوتهم كبيت محمد وهبي في الصلاح والنظام والادب والنظافة، والتنزه من كل خرافة وسخافة، لكانوا حجة للاسلام والمسلمين، وسبب دخول أهل المدينة فيه أفواجا

كان محمد وهبي عالما عاملا، صالحا مصلحا، يأمر بالمعروف مؤتمرا، وينهى عن المنكر منتهيا، كان كلما تولى ادارة مدرسة حمل اساتذتها وتلاميذها على المحافظة على الصلوات، حتى لم يكن يدعهم يخرجون منها الا بعد ان يصلوا العصر، وكان يبث في كل مدرسة روح الوطنية الصادقة مع روح الصلاح والتقوى، فكان المستر دنلوب الرقيب العتيد لا يفوته شيء من سيرته هذه، وقد حاول ان يفتنه مرارا فاستعصم، وقد قال له مرارا انك أقدر استاذ عندنا الآن فيك عيبا واحدا لو تركته لارتقيت بسرعة الى أعلى المراقي: ذلك العيب انك لا ترضي رؤساءك. فكان الفقيد يتجاهل مراده ويقول انني أبذل كل ما في وسعي للقيام

بما يجب علي في عملي ، فاذا لم يرضهم هذا فما يرضيهم ؟ وهو يعلم أن الذي يرضي دنلوب عنه هو الذي يسخط عليه الله عز وجل ، فكان يؤثر رضاء الله تعالى على رضاء دنلوب ومفتشيه وأعوانه ، وما وراء ذلك من تولي زيادة الراتب وارتقاء المناصب ، وقد جربوا أن يفتنوه بالترغيب أو الترهيب ، فعصمه الله تعالى منهم

حصروا عمله مرة في تعليم اللغة الانكليزية للطلبة وللمعلمات لانكليزيات حتى لا يجد لخدمة الدين واللغة العربية سبيلا ، فرأوه قد توسل لخدمة اللغة العربية وبث الآراء الصالحة في التلاميذ بتعليم الترجمة وما يختاره لها من الكلام ، ابعدوه عن مصر الى ادفو في أقصى الصعيد على ما يعلمون من نحافته وقلة احتماله - وذلك من العقوبات الخفية التي يعرفها أهلها - فأثر ذلك في جسمه ولم يؤثر في نفسه ، وكان اخوه كاتب هذا هو الذي عرض أمره وبين فضله لسعد باشا زغلول اذ صار وزيرا للمعارف فنقله الى القاهرة وجعله ناظرا للمدرسة الحسنية

وكان في خدمته الوطنية مصداقا لقول قاسم أمين : ان الوطنية الصادقة هي التي تعمل ولا تتكلم . فهو لم يكن متصلا بحزب من الاحزاب السياسية ، ولا من الذين يترددون على بيت الامة (دار سعد زغلول باشا) على اجلاله لسعد وشكره لجميله ، بل كان يضع لكل عمل نافع نظاما ويستعين على تنفيذه بخاص أصدقائه متحريا أن يكونوا قليلي العدد وان لا يذكروا اسمه لاحد يعمل معهم ، كأنه وهو يفعل المعروف الذي يستحق به الفخر ، يأتي منكرا فيتقي سوء الاحدوثة والذكر ، مثال ذلك ان العشرات من الالوف في ارجاء القطر قرأوا رسائل في الحث على اقامة اركان الدين مع بيان أهم أحكامها وحكمها وفي النهي عن المنكرات وبيان ما عمت البلوى بجهله من أحكام المعاملات كأحكام الرضاع — ولم يعلم الا القليل منهم ان هذا العمل من جماعة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، برأيه وارشاده ، وانه هو المقترح له ، ولأن مكانه منها مكان القطب من الرحى ، ولذلك لم تعمل عملا يذكر منذ فارق القاهرة

وكان من تدينه وعقله أن لا يعمل عملا غير مشروع سواء في ذلك

الوسيلة والمقصد، فكان على مذهبنا في ان الباطل لا يكون موصلا الى الحق، والشر لا يكون طريقا الى الخير

وجملة القول ان محمد وهبي كان من شهداء الله وحججه على خلقه، وكنت أرجو أن يكون خير عون وظهير لي على ما أرجو من تجديد دار الدعوة والارشاد ومن احياء السنة بالعلم والعمل والتأليف وطبع الكتب المفيدة على الوجه الذي يعم به نفعها، فكان المصاب بوفاته أشد علي منه على أهله وولده وسائر اصدقائه، أسأله تعالى ان يتغمده برحمته ورضوانه ويجمعنا به في مقعد صدق عند مليك مقتدر . وانا لله وانا اليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

﴿ ترجمة حياته ﴾

بقلم أعرف أصدقائه بسيرته

ولد رحمه الله بالقاهرة بجهة بيت القاضي التابعة لقسم الجمالية في أواخر ذي القعدة سنة ١٢٩٨ الموافق لاول شهر اكتوبر سنة ١٨٨١ من أبوين فقيرين

فوالده هو المرحوم الشيخ ابراهيم محمد من قرية (آبا الوقف) في مركز مغاغة من مديرية المنيا وهو من بيت قديم مشهور في القرية ولد رحمه الله بصيراً وأصيب بالعمى بعد ستة أشهر من مولده، ومكث في تلك القرية حتى أرسله أبوه الى الجامع الازهر وهو في الخامسة عشرة من عمره بعد ان حفظ القرآن الكريم فعكف على تلقي العلوم وانقطع لها طول عمره وتزوج من القاهرة بزوج رزق منها صاحب الترجمة وأخاه

ولما بلغ صاحب الترجمة الرابعة من عمره دخل المكتب ليتعلم القراءة والكتابة والقرآن ومبادئ الاحكام الدينية فكان ممتازا بين الاطفال بالادب والنجابة حتى صار فقيه المكتب يعتمد عليه في حفظ نظام المكتب على صغره ومكث في المكتب ثلاث سنين حفظ فيها القرآن وأجاد الخط وتعلم مبادئ الدين وبعد خروجه من المكتب كان والده يعتمد عليه في حفظ الدروس اذ

كان يستصحبه معه مساء لمطالعة الدروس الازهرية فحفظ على حداثته بعض المتون ، فقوي رجاؤه فيه

ادخله والده مدرسة الجمالية الاميرية فظهر على أقرانه وكان يحفظ لنفسه المكان الاول في كل فرقة من فرق المدرسة . ولم تشغله دروسها الكثيرة عما جرى عليه قبلها من مطالعة الدروس لنفسه ولوالده فكان يواظب على ذلك في المساء بعد الخروج منها فرسخت ملكة الدرس وحب العلم في نفسه

وبعد نيل شهادة الدراسة الابتدائية أدخله والده المدرسة الخديوية الثانوية فمكث فيها أربع سنين كان في خلالها مطمح أنظار المعلمين والتلاميذ

وكان قد بلغ السن التي يستقل فيها بنفسه فكان يختلف وحده الى الازهر في أوقات الفراغ يحضر الدروس على مشاهير العلماء كالاستاذ الامام والشيخ حسين زائد والشيخ سليم البشري وغيرهم ، فأخذ عنهم من العلم شيئا كثيرا حتى أصبح يناقش والده مناقشة الند للند. وبعد حصوله على شهادة الدراسة الثانوية بعد ان قضى سنتين معلما بمدرسه محمد على الاميرية مال الى صناعة التعليم فدخل مدرسة المعلمين العالية وما زال يحفظ لنفسه المكان الاول فيها حتى نال شهادتها سابقا جميع اقرانه ولاسيما في العلوم العربية والرياضية على الاخص

كان حينئذ قد بلغ الثامنة عشرة من عمره فعين مدرسا بمدرسة المنصورة الاميرية فأظهر من البراعة في العلم والتعليم ما لم يسبقه به أحد ، ونقل في العام الثاني الى مدرسة شبين الكوم الاميرية ولم يمض عليه العام المدرسي حتى عين ناظرا لمدرسة ادفو الاميرية سنة ١٩٠٥ . ومن ذلك الحين أخذت مواهبه العالية تظهر بين أفاضل الرجال فكان على حداثته وبحكم مركزه يخالط أكابر القوم وخواصهم وكان يظهر عليهم جميعا ، وعشقوا فضله فكانوا يودون لو يلازمونه ليلا ونهارا . وكان رؤساء الوزارة يضربون به المثل في حسن الاخلاق وادارة المدارس . ومكث في ادفو ثلاث سنين تزوج في خلالها من ابنة خالته ثم نقل من ادفو الى المدرسة الحسينية بالقاهرة بالرغم من اعتراض المستر دنلوب

مستشار وزارة المعارف في ذلك الوقت لانه لم يجد منه ذلك التزلف والتملق الذين كان يحب ان يتصف بهما جميع مرءوسيه وإنما نقله الى مصر سعد باشا زغلول أيام كان وزيرا للمعارف سنة ١٩٠٨ ومكث بمدرسة الحسينية ثلاث سنين كان خلالها موضع اعجاب المفتشين الاجانب منهم والوطنيين، حتى كان الشيخ حمزه فتح الله رحمه الله يلقبه بسيد النظار . وكان إطراء المدرسين له في تقاريرهم يزيد المستشار غضبا على غضبه منه . وعرفه في ذلك الحين الاستاذ الشيخ عبد العزيز شاويش واتخذه صديقا عزيزا وكان يلح عليه ان ينضم الى الحزب الوطني الا انه رحمه الله كان لا يميل الى حزب سوى (حزب الله) فانه هو الغالب

ثم نقل سنة ١٩٠٩ الى مدرسة سوهاج الاميرية وكانت الفوضى ضاربة اطنابها في تلك المدرسة من قلة المدرسين بها فأخذ يشتغل رحمه الله في المدرسة مدرسا . وكان ما عليه من الدروس يزيد على دروس سائر المعلمين حتى خرج من الأزمة مكللا بالفوز فأثنت عليه جريدة العلم المصرية حينئذ لحسن قيامه بالواجب . فزاد ذلك المستشار كمدا على كمده، وسافر الى سوهاج وقامت بينهما مجادلات كان رحمة الله عليه الفائز فيها بالحق الا ان الغطرسة الانجليزية قضت بتعيينه بعد ذلك مدرسا للترجمة بالمدرسة التوفيقية جزاء لما قام به من الخدمات الجليلة لوزارة المعارف (؟) ومكث فيها تسع سنين كان فيها موضع اعجاب المفتشين والناظر، ومهبط ظلم المستشار وأعوانه، حتى إنه لم يمنحه في خلال هذه المدة الطويلة من زيادة المرتب سوى جنيهين مصريين ، وما كان ذلك ليفت في عضده ، او يغير من يقينه ، بل كان ثابتا على الحق

ولما كان مبدأ الحركة المصرية سنة ١٩١٩ انهالت على وزارة المعارف العرائض والتقارير انه كان من أشد أنصار الطلبة ومن اكبر المحرضين لهم على الاضراب وغيره الا ان الله سبحانه وتعالى حماه من كيد الماكرين ولم يتمكن الوشاة الظالمون من الاضرار به

وكم حاول ناظر المدرسة التوفيقية اغراءه بالمال والرتب ليحوله عن خطته،

ويجعله طوع ارادته ! فلم يبذل من نفسه العالية واخلاقه الثابتة منالا

ثم عين ناظرا لمدرسة الجمالية الاميرية فكان خير قدوة لاساتذتها وتلاميذها في حسن التربية ومكارم الاخلاق وصالح الاعمال

ولما وجد الرؤساء المسيطرون أن نفسه الابية ووطنيته الصادقة فوق تأثير الوظيفة وانه ما زال مكبا على خدمة العلم والدين والوطن بجأش رابط ونفس مطمئنة نقلوه الى مدرسة الفيوم الاميرية ليكون بعيدا عن العاصمة . . . وكان وجوده في ذلك الوادى الرطب سببا في مرضه الطويل الذي أودى بحياته

كان رحمه الله شديداً في الحق ، عاملا على اتباعه لا يخشى فيه لومة لائم ، وكم دافع عنه أمام كبار الموظفين في الادارة وكم طلب اليه أن يحابي اولاد كبار الموظفين عند دخول المدارس فكان يأبى الا ان يعطي كل ذي حق حقه ، فغضب عليه كثير من الرؤساء لذلك

وكان ورعا تقيا عالما بالدين عاملا به يحث جميع الموظفين المرءوسين له على الاعتصام بحبله ، والعمل به ، وينشره اينما كان ويتناقش مع كل من يتوسم فيه العلم والميل اليه ، حتى كان يجعل في المدرسة التي يتولى ادارتها مسجداً تقام فيه شعائر الدين في أوقاتها كما تدرس فيه الدروس بأنواعها بكل نشاط واخلاص

كان سباق غايات في العلوم الرياضية حتى إنه لشدة اشتغاله بها كان يظن انه نال غاية الاخصاء في إحدى كليات أوروبا

وكان كاتبا قديرا وكم كتب لوزارة المعارف من تقارير كانت موضع اعجاب المفتشين وموظفي الديوان . وكان يعرف اللغتين العربية والانجليزية معرفة أهلته لان يكون موضع ثقة الوزارة . ولاعجاب الرؤساء الانكليز بعلمه وأدبه عهدوا اليه بتعليم المعلمات الانجليزيات اللغة العربية على كراهيتهم له . واشتغل في أواخر ايامه بعلم الفلك وكان على وشك ان يضع فيه كتابا الا ان المنية ادركته قبل الاوان

ولما كان ناظرا لمدرسة سوهاج عرض عليه المرحوم ابو الفتوح باشا في حفلة شيئا من الخمر فانكر عليه ذلك علنا ثم ما زال يتعهده بالنصيحة والموعظة الحسنة

حتى ترك معاقرة الراح او المجاهرة بها

وربى اولاده تربية دينية مدنية فهم يحافظون على الصلاة في اوقاتها وكانت زوجه تقرأ القرآن عليه وكان يعلم بناته وزوجه الاسعافات الاولية وطرق العلاج

وكان كلما مرض له ولد يكب على درس الكتب الطبية في الحالات المختلفة حتى كان احيانا ينتقد المذكرات الطبية التي يكتبها له الاطباء بحق يعترفون له به .

وتوفي رحمه الله عن ام ضرير وزوج وخمس بنات وغلام كان موضع رجائه ومحط آماله ، احياه الله تعالى وجعله خير خلف له آمين

﴿ مصاب مصر بعالمها الاثري الاكبر ﴾

احمد كمال باشا

فجئت الامة المصرية بل فجعت باختطاف المنية علامتها الاثري الاكبر أحمد كمال باشا الشهير ، كان مكبا على تنقيح معجمه للغة الهيروغليفية بداره التي في (شبرا) الى أصيل النهار ، ترك الكتب مفتحة وذهب الى داره التي في جوار الاهرام فتوضأ وصلى المغرب وشرع يغير ثياب النهار بلبوس الليل والنوم فخر ميتا ، ولم يكن يشكو شيئا

يعرف قراء المنار في الاقطار البعيدة احمد كمال باشا رحمه الله تعالى بما نشرناه فيه من المقارنة بين اللغتين العربية والهيروغليفية وهو الاكتشاف الذي امتاز به على جميع علماء العاديات من الافرنج فأثبت به أو أكد ما اكتشفه غيره قبله من عراقة مصر في العربية وكون قدماء المصريين والعرب من عرق واحد لا يعلم باليقين أيهما الاصل ، أو من عرقين اشتبكت وشائجهما من ألوف السنين ثم افترقا ثم عادا فاتصلا بعد الفتح الاسلامي واتحدا بفرع المضربة من لغتهما القديمة السامية أو المصرية ، ذات الامشاج العديدة

برأ الخالق سبحانه احمد كمال من معدن من أشرف المعادن معدن العلم والصلاح ، فكان منذ نشأته وطفولته الى وفاته في شيخوخته طاهراً تقيا ، تلقى العلم في مدارس مصر درجة بعد درجة ، ورغب في الاخصاء بعلم العاديات المصرية واللغة الهيروغليفية فأتقنها ، وألف فيها معجمه الكبير ، الذي ليس له نظير ، وكان مكبا

على تحريره وتنقيحه الى أن توفاه الله تعالى

والذي يعني المنار من ترجمته أنه كان منقطعا للعلم، معرضا عن اللهو واللغو، تقيا نقيا متنزها عن الفواحش والمنكرات، محتقراً للشهوات، محافظاً على الصلوات، حتى انه حضر في سن الشباب حفلة رسمية في حديقة الازبكية في عهد اسماعيل باشا فقدم له احد الكبراء فيها كوبا من الماء الغازي (الغازوزة) ولم يكن يعرفها فظن بها من المسكرات فأنكر على محاول اكرامه ونهره قائلا: أنا . أنا من هؤلاء

وقد ربى أولاده النجباء على الدين والتقوى والجد والاقبال على العلم، فكان بيته كما قال الله تعالى (واجعلوا بيوتكم قبلة) كان كل من فيه يحافظون على الصلوات الخمس حتى الخدم من رجال ونساء ، وكان رحمه الله تعالى في درجة عالية من مكارم الاخلاق ، وأحاسن الصفات والعادات ، كعلماء السلف الاعلام صدقا وأمانة وحلما وتواضعا . فهو من شهداء الله وحججه على خلقه ، تغمده الله برحمته ، وجعل أنجاله النجباء خير خلف له

منشور الامام يحيي والانكليز

قال الامام يحيي في منشوره الذي نشرناه في الجزء السابع أن الدولة البريطانية تفتخر بحب الخير للعرب فاستنبط بعض أصحاب الاهواء من هذه الكلمة أنه قد ارتبط بحمايتهم كغيره من امراء العرب وطفق بعض الكتاب في سورية ينوه بذلك وبعضهم ينصح للامام ويحذره من الانكليز وهو أحذر من غراب وأعلم من هؤلاء الناصحين وممن هم أعلم منهم بكنه القوم ، وآخر ما جاءنا من أخبار الامام أنه لا زال ممتنعاً عن عقد أي اتفاق معهم وان لم يكن ضارا به فليوجه أولئك الناصحون نصحهم الى من هم أحوج اليه من الخادعين لهم والمخدوعين بهم . الى الملك حسين بن علي الذي اسس نهضته على الحماية الانكليزية في الداخل والخارج وكتب في كتاب رسمي انه يكون خارجا من رحمة الله تعالى اذا قبل من الدول كلها اضعاف ما يعطيه الانكليز لامته بدون وساطتهم !!

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ الجامع اللطيف ، في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ﴾

للشيخ محمد جار الله بن ظهيرة القرشي المكي ، ألفه أو أتمه في سنة ٩٥٠ للهجرة الشريفة وهو - كما قال - مختصر من المطولات ، مع قليل من الزيادات ، تعمد مؤلفه رحمه الله ذلك لقلة من يقرأ المطولات وكثرة من يرغب في معرفة تاريخ حرم الله من غير إضاعة زمن طويل في ذلك ، وقد طبع في العام الماضي (١٣٤٠) بمطبعة إحياء العلوم العربية الكبرى بمصر فبلغ مع فهارسه أربعمائة صفحة ونيف من القطع الصغير ، فقد وضع له غير الفهرس المعتاد فهرس طويل جمع أسماء الاعلام التي ذكرت فيه وأسماء الاماكن والمساجد والمعاهد والجبال والدور والقبور وغير ذلك كأبواب الحرم ومناوره ، فنحث القراء على مطالعته

﴿ كنز الرشاد ، وزاد المعاد ﴾ « تأليف أمير المؤمنين ، الهادي الى الحق المبين ، عز الدين بن الحسن عليه السلام » وهو الامام الهادي الذي ولي الامامة في اليمن سنة (٨٨٠) وتوفي سنة (٩٠٠) وكان عالما متفننا وعابداً ناسكا ، وكتابه هذا مختصر من أجمع المختصرات في تصوف الاخلاق والآداب الدينية ، وهو يستمد من إحياء العلوم للغزالي وأمثاله من كتب التصوف والرقائق والمواعظ ، وقد علق عليه صديقنا الشيخ عبد الواسع الواسعي اليمني بعض الحواشي لاتمام الفائدة ، وطبع في هذا العام (بمطبعة أمين طبيش الكبرى) بمصر على ورق أصفر غير صقيل فبلغت صفحاته تسعين صفحة من حجم رسالة التوحيد

﴿ واجبات الطبيب ﴾ كتاب مشهور من مصنفات الدكتور عبد العزيز نظمي بك المفيدة — هو موضوع للاطباء ولا يقصر عن افادة غيرهم ، وقد طبع طبعة ثالثة في هذا العام بمطبعة المدرسة الصناعية الاهامية على ورق صقيل جيد ولكن جاء طبعه دون ما يليق باتقان مطبعة لمدرسة صناعية ، وانما يميز هذا من له إلمام بصناعة الطبع ، فزادت صفحاته على مئة وسبعين من حجم رسالة التوحيد

أيضا وثمن النسخة منه ١٥ قرشا صحيحا

ولما كان الاطباء يطلعون على ما لا يجوز ولا يسمح لغيرهم بالاطلاع عليه من أسرار الناس وعوراتهم وعيوبهم أحببنا أن ننقل من هذا الكتاب قسم الطبيب أبقراط اليوناني الشهير على ضعف ترجمته بالعربية والعهد الذي يؤخذ على الاطباء في مدارس هذه البلاد الطبية عند إعطائهم الشهادة النهائية :

﴿ قسم أبقراط — الذي لا يزال يقسم به الاطباء ﴾

« أقسم بالشرف أن كل ما رأيته أو سمعته أو فهمته مدة قيامي بوظيفتي أو خارجا عنها مما يجب كتمانه لا أبوح بشيء منه ولا يجوز افشاؤه وأعتبر الكتمان في هذه الحالة واجبا مقدسا »

« عهد الاطباء »

« أقسم بالله العظيم وبنبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أني أكون أمينا حريصا على شروط الشرف والسر والصلاح في تعاطي صناعة الطب وأن أسعف الفقراء مجانا ولا أطلب أجرة تزيد على أجرة عملي واني اذا دخلت بيتا فلا تنظر عيناي ما ذا يحصل فيه ، ولا ينطق لساني بالاسرار التي يأتمنوني عليها ، ولا أستعمل صناعتي في إفساد الفضائل الحيائية ، ولا أعاون بها على الذنوب ، ولا أعطي سما البتة ، ولا أدل عليه ولا أشير به ، ولا أعطي دواء فيه ضرر على الحوامل أو إسقاط لهن ، وأكون موقرا حافظا للمعروف مع من علموني ومكافئا لاولادهم بتعليمي اياهم ما تعلمته من آبائهم ، فما دمت حريصا على عهدي وأمينا على يميني ، فجميع الناس يعتبرونني ويوقرونني وان خالفت ذلك كنت المرذول المحتقر والله على ما أقول شهيد » اه

واننا ننكر على الاطباء القسم بالنبي فانه محرم على لسانه صلى الله عليه وسلم فان لم يكتفوا بالقسم بالله تعالى فلا بأس بتوكيده بالقسم بالقرآن العظيم فانه كلامه. وفي عبارة العهد ضعف ينبغي اصلاحه بما هو أفصح منها وأبين للمراد كأن يقال : واذا دخلت بيتا فعلي أن أغض بصري ولا أتعمد رؤية ما لا يحل لي رؤيته فيه ولا أتجاوز الحد الذي لا بد منه في الكشف الطبي



قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

٢٩ المحرم ١٣٤٢ — ١٨ السنبلة ١٣٠٣ هـ ش — ١١ سبتمبر ١٩٢٣

فتاوى المنار

﴿ هل كان النبي (ص) يعرف لغة غير العربية ﴾

(س ٢٥) من صاحب الامضاء الطالب في الازهر

مولانا الاستاذ الفاضل محمد رشيد رضا نفعنا الله بمواهبه . آمين

لقد احتدم الجدال بين عالمين مسلمين فلسطينيين في هل كان النبي عليه السلام يعرف اللغات كلها أو اللغة العربية فقط ؟ ولقد قبل الطرفان فتواكم ، ورضيا بقولكم لحل هذه المعضلة ، وكشف هذه المسئلة . نرجو من الله أن يهدي المسلمين الى ما فيه الخير الجزيل . وأن يبعدهم من التعصب الذميم . وفي الختام تقبلوا تشكراتنا القلبية سيدي

محمد فريد الشطي
طالب علم برواق الشوام

(ج) قد كان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أمياً لم يتعلم قراءة ولا كتابة ، ومن المعلوم بالقطع الثابت بكتاب الله تعالى وبالتواتر أنه عربي أمي ذا العلم بلغة

غير لغة قومه لا يكون الا بالتعلم وهو لم يتعلم . أو بالوحي وقد كان الوحي اليه بلسانه قطعا بنص القرآن ولم يثبت ما يخصص هذا النص أو يقيد إطلاقه بل ثبت ما يؤيده و ينفي ماعداه كقوله تعالى في سورة النحل (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) نزلت في عبد ابني الحضرمي رومي كان يقرأ الكتب وقيل في قين (حداد) رومي كان يعمل السيوف بمكة مع أخ له وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحب أن يرى هذه الصنعة فيختلف اليه . فقال بعض المشركين إنه يتعلم منه فحجهم الله تعالى بقوله (لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) ولو كان النبي (ص) يعلم شيئا مامن اللغات الاعجمية لكانت الرومية لاختلاط بعض قريش بالروم عند اختلافهم الى بلاد الشام التي كانت تحت سلطان الروم ، ولو عرف الرومية لكان للشبهة المذكورة وجه ما من جهة اللغة ولكان ردها من طريق آخر أقوى من طريق اختلاف اللغة كأن يقال : إن الذين يلحدون اليه جاهل بكل علم من علوم القرآن — كعقائد التوحيد والتنزيه للخالق وأصول الشريعة وحقائق الآداب والفصل فيما حرفه وما نسيه أهل الكتاب من دينهم . . . . وأنى لعبد بني الحضرمي أو ذلك القين الرومي أن يعلم شيئا من هذا ؟ ولكن اختلاف اللغة الذي لا مكابرة فيه أغنى عن هذا البرهان ، الذي لا يعقله الا من عرف القرآن ، وكان اكثر المشركين وقت نزول سورة النحل بمكة لا يعرفون من القرآن شيئا لان رؤساء قريش كانوا يصدون الناس عن النبي (ص) كما يصدونه عن التبليغ بقراءه القرآن — فلهذا كان الرد عليهم باختلاف اللغة المانع من الاخذ والتلقي أقوى في الاقناع

هذا وان بعض العلماء قد ذكروا بحثا نظريا في احتمال تعليم الله خاتم رسله لجميع خلقه جميع ألسنتهم لقوله (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وأيدوه بنطقه (ص) بكلمات مفردة قيل إنها أعجمية وانما نورد اصح ما روي في ذلك ونبين غلط الاحتمال فيه وهو ما جاء في صحيح البخاري قال

(باب من تكلم بالفارسية والرطانة) (١) وقوله تعالى (واختلاف ألسنتكم وألوانكم) وقال (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) ثم ذكر بسنده عن جابر بن عبدالله قال : قلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة(٢) لنا وطحنت صاعا من شعير فتعال أنت ونفر فصاح النبي (ص) فقال « يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع لكم سورا فحيهلا بكم » الحديث — ثم ذكر بسنده من طريق عبدالله بن المبارك عن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت : أتيت رسول الله (ص) مع ابي وعلي قميص اصفر . قال رسول الله (ص) « سنه سنه » قال عبد الله : وهي بالحبشية حسنة — الحديث .

قال الحافظ ابن حجر في كلامه على الآيتين من ترجمة الباب: كأنه اشار الى ان النبي (ص) كان يعرف الالسنة لانه أرسل الى الامم كلها على اختلاف السنتهم فجميع الامم قومه بالنسبة الى عموم رسالته فاقتضى ان يعرف ألسنتهم ليفهم عنهم ويفهموا عنه . ويحتمل ان يقال لا يستلزم ذلك نطقه بجميع الالسنة لامكان الترجمان الموثوق به عندهم . اه

أقول لو كان النبي (ص) أعطي العلم بجميع اللغات ليفهم عن جميع الامم التي أرسل اليها ويفهموا عنه لكان ذلك من أعظم المعجزات الحسية التي لا يمكن لاحد أن يكابر فيها واتحققت الصلة بخطابه للاعاجم الذين بدأ بدعوتهم الى الاسلام كهرقل قيصر الروم وكسرى الفرس والمقوقس عظيم القبط ولكن صح أنه كتب اليهم بالعربية ولم ينقل قط أنه دعا أعجميا الى الاسلام بلغته ولا أنه سمع من أعجمي كلاما بلغته في شأن الاسلام ، ولا أمر أصحابه وأتباعه بأن يبلغوا الاسلام الاعاجم بلغاتهم بل الذي ثبت ثبوتا قطعيا خلاف ذلك وهو أنه كان يدعو الى الاسلام هو وأصحابه باللسان العربي وبالقرآن العربي وكانوا يعلمون كل من أسلم من الاعاجم اللسان العربي ولذلك انتشر هذا اللسان بانتشار الاسلام منذ

(١) الرطانة بكسر الراء ويجوز فتحها هو كلام غير العرب . يقال رطن له من باب نصر وتراطنوا بالفارسية مثلا أو بالانكليزية(٢) بوزن جهينة مصغر

العصر الاول من غير مدارس انشئت لذلك ولا اجبار للامم التي فتح الصحابة والتابعون وتابعو التابعين بلادهم كما تفعل أمم أوربة في البلاد التي يستعمرونها بل كان الذين يدخلون في الاسلام يتعلمون لغته لاجل القيام بما فرض الله عليهم من التعبد بكتابه المنزل ، والتفقه فيه وفي سنة رسوله (ص)

وقد ذكر الامام الشافعي (رح) هذا البحث في أول رسالته في أصول الشريعة فذكر الآيات التي تصف القرآن بأنه عربي مبين وآية (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وذكر الاحتمالين المشار اليهما هل النبي (ص) اوتي ألسنة جميع من أرسل اليهم أم كلفوا أن يعرفوا لسانه كما كلفوا أن يعرفوا دينه ؟ وجزم بالثاني وأقام عليه البراهين ووافقه جميع علماء المسلمين فلم ينقل عن أحد من المجتهدين ولا المقلدين انه عارضه فيه أو انكره عليه ، وقد فصلنا ذلك في مقالتين ننشرهما في الجزء العاشر الآتي . فالمسألة اجماعية وقد عجبت لسهو الحافظ ابن حجر عنها في هذا المقام على سعة اطلاعه وذكره لخلاصة أقوال المحققين في شرح كل حديث في الباب اللائق به ، وقد ذكر أن الغرض من حديث جابر هنا أن كلمة « سور » بضم السين وسكون الواو غير مهموز فارسية وقيل حبشية وان معناها الطعام الذي يدعى اليه وقيل مطلقا — كما أن كلمة « سنه » حبشية وقال أنها في رواية الكشميهني « سناه » بزيادة الف وان الهاء فيهما للسكت (قال) قال ابن قرقول : بفتح النون الخفيفة عند أبي ذر وشددها الباقون وهي بفتح أوله للجميع الا القابسي فكسره اه

وروى البخاري في هذا الباب حديثا ثالثا عن أبي هريرة وهو أن الحسن ابن علي أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال النبي (ص) له « كخ كخ ، أما تعرف أنا لا نأكل الصدقة »

وقد قال الحافظ بعد ايراد الثلاثة : وقد نازع الكرماني في كون الالفاظ الثلاثة أعجمية لان الاول (وهو سور) يجوز أن يكون من توافق اللغتين . والثاني (وهو سنه) يجوز أن أصله حسنة فحذف أوله إيجازا ، والثالث من اسماء الاصوات . وقد

أجاب عن الاخير ابن المنير فقال وجه مناسبته أنه (ص) خاطبه (أي الحسن) بما يفهم مما لا يتكلم به الرجل مع الرجل فهو كمخاطبة العجمي بما يفهم من لغته. قلت وبهذا يجاب عن الباقي ويزاد بان تجويزه حذف أول حرف من الكلمة لا يعرف وتشبيهه بقوله «كفى بالسيف شا» لا يتجه لان حذف الاخير معهود في الترخيم والله أعلم اه كلام الحافظ في كتاب الجهاد وقال في الكلام على حديث جابر في غزوة الخندق إن كلمة سور معناها الصنع بالحبشية وقيل العرس بالفارسية ويطلق أيضا على البناء الذي يحيط بالمدينة اه

ونقول: الصواب ان معنى الكلمة بالفارسية الوليمة أي طعام العرس ولا يطلق على طعام جابر الا بتجوز فاذا لم يكن هذا اللفظ معربا من قبل فيكفي أن يكون (ص) هو الذي عربه وكذا لفظ سنه أو سناه. وهل تعد معرفة الكلمة المفردة من اللغة معرفة باللغة؟ قلما يوجد في عوام مصر من لا يعرف عدة كلمات تركية أو انكليزية فهل يقال إنهم علماء بهاتين اللغتين علما يفهمون به كلام أهلها ويفهمونهم مرادهم؟ كلا انما تساهل بعض العلماء في اطلاق احتمال أن يعرف النبي (ص) المئات من لغات الامم لانهم يرونه من باب التعظيم الذي يكاد بعضهم ان يقبل فيه كل شيء وان كان مخالفا لبعض القطعيات أو مفضيا لبعض المطاعن من جهة أخرى لم يفطنوا لها فان كون النبي (ص) اميا ركن من أركان اثبات نبوته ومقدمة من مقدمات البرهان على اعجاز كتابه

﴿ حركة الارض وجريان الشمس لمستقر لها ﴾

(س٢٦) من صاحب الامضاء المدرس في مدينة تطوان — في المغرب الاقصى

الحمد لله وحده — من تطوان في ٢٧ شوال سنة ١٣٤١

فضيلة أستاذي الوحيد، وملاذي الفريد، أستاذ العالم ومفتيه ومرشده السيد محمد رشيد رضا.

سلام على تلك الذات وتلك الروح الطاهرة من قلب يتأجج بنار الاشواق

ويضطرم في سعير البعاد ، غير أن ثالج ماء عين (مناركم) قد يطفيء شيئا من ذلك اللهيب ، ويخمد سعيرها عنه ما يهم الفكر في استحسان تلك الدرر اليتيمة ، والتمتع بتلك المعاني الوحيدة الفريدة .

سيدي وسندي ، أرجو من فضيلتكم الجواب على صفحات « المنار » الاغر عما يأتي :

من المقرر عند علماء الجغرافية أن الارض لها دورتان يومية وسنوية وأن الليل والنهار والفصول ينشآن عن هاتين الدورتين للارض ويقتضي هذا أن الشمس ثابتة والله تعالى يقول (والشمس تجري لمستقر لها). فأرجو من فضيلتكم جوابا كافيا شافيا كما هو شأن فضيلتكم بحيث لا يبقى في النفس ولو كانت جاحدة أدنى مخالفة . حفظكم الله وأطال حياتكم ، وبارك في عمركم وعمر أنجالكم الكرام ، مدى الليالي والايام ، من الداعي لفضيلتكم بذلك تلميذكم وصديقكم

محمد العربي بن أحمد الخطيب

(ج) اذا كان ماذكره السائل من المقرر عند علماء الجغرافية فان من المقرر عندهم وعند علماء الفلك أن الشمس تدور على محورها كغيرها من الاجرام السماوية وأنها تدور هي والكواكب السيارة التي حولها حول نجم آخر مجهول يعدونه المركز لها . وبلغنا عن أحد المعاصرين من هؤلاء العلماء أنه حقق حديثا أن مجاميع الشموس كلها — أو العالم كله يجري في الفضاء لغاية مجهولة . وتجدون هذا البحث ماعدا القول الاخير في مقالة طويلة للدكتور محمد توفيق صدقي (رح) في المجلد الرابع عشر من المنار . وتجدون فيها رأيا عزاه الينا اذ تلقاه عنا وهو أن لجميع العالم المؤلف من هذه الشموس والكواكب مركزا واحدا هو مصدر التدبير والنظام لها وهو عرش الرحمن تبارك وتعالى (راجع ص ٥٩٠ و ٥٩١ ج ٨ منه) ونحن قد استنبطناه من عرض مذهب الفلكيين على قوله تعالى (الله الذي خلق السموت والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر) فجريان الشمس ثابت بالاتفاق فان دورانها على محورها يسمى جريانا ، ودورانها مع مجموعها المعلوم حول

نجم مجهول على قولهم — كدوران المجاميع الشمالية حول نجم القطب الشمالي — يسمى جريانا أيضا . وأولى منه وأظهر سيرها مع بقية العالم الذي قال به بعض المتأخرين كما ذكر في تقويم افلامريون المشهور . على أن الجريان يستعمل استعمالا مجازيا في السير المعنوي كما يقال جرى القضاء بكذا ، ولك ان تقول الآن ان أوربة تجري في تنازع دولها لحرب أخرى شر من الحرب الاخيرة

وأما المستقر الذي تجري الشمس اليه أوله ففيه وجهان (أحدهما) أنه ما ينتهي اليه أمرها بخراب عالمنا هذا التي هي ركن نظامه فيكون جريانها كجريان غيرها بمعنى قوله تعالى في أول سورة الرعد (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى. يدبر الامر يفصل الآيات لقوم يوقنون) وهو بمعنى ما روي عن قتادة قال تجري لمستقر لها : لوقتها ولاجل لاتعدوه (ثانيهما) أنه مستقر نظامها لا أجلها وهو النجم المجهول عند علماء الفلك والعرش على رأينا — . ويؤيده حديث أبي ذر في كون مستقرها تحت العرش ، والحديث قد روي بألفاظ مختلفة أظهرها اخصرها وهو مارواه الجماعة الا ابن ماجه وغيرهم عنه قال سألت رسول الله (ص) عن قوله (والشمس تجري لمستقر لها) قال « مستقرها تحت العرش » وبعض ألفاظه مشكل في ظاهره جدا ورواته أقل وهو ماذكر فيه سجودها لله تحت العرش واستئذانها وان فسر بمعنى خضوعها لارادته كقوله (والنجم والشجر يسجدان) والراجح عندنا أنه روي بالمعنى فأخطأ بعض الرواة في فهمه فعبر عنه بما فهمه والله أعلم . وسنعود الى هذا البحث في وقت أوسع ومجال أوسع ان شاء الله تعالى

﴿ حكم الصائم الذي يغطس في الماء ﴾

(س ٢٧) من صاحب الامضاء في جزيرة البحرين

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاستاذ الفاضل مولانا السيد محمد رشيد رضا أدام الله وجوده للمسلمين آمين

بعد تقبيل أناملكم الكريمة . نعرفكم أنه صرح لنا بعض الاستاذة هنا بأن الصائم اذا غطس في الماء صيامه صحيح ولا يفطر فكان عندنا شك من ذلك فنلتمس من فضيلتكم أن ترشدونا عن ذلك أدامكم الله ذخراً لمحبيكم

عبد الله المزروع ومحمد يوسف فخرو

(ج) قال صاحب المغني من علماء الحنابلة مانصه :

(فصل) ولا بأس أن يغتسل الصائم لان عائشة وأم سلمة قالتا نشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان ليصبح جنبا من غير احتلام ثم يغتسل ثم يصوم متفق عليه. وروى أبو بكر باسناده أن ابن عباس دخل الحمام وهو صائم هو وأصحاب له في شهر رمضان . فأما الغوص في الماء فقال احمد في الصائم ينغمس في الماء اذا لم يخف أن يدخل في مسامعه فان دخل في مسامعه فوصل الى دماغه من الغسل المشروع في المضمضة والاستنشاق من غير اسراف ولا قصد فلا شيء عليه كما لو دخل الى حلقه من المضمضة في الوضوء فان غاص في الماء أو اسرف أو كان عابثا فحكمه حكم الداخل الى الحلق من المبالغة في المضمضة والاستنشاق الزائدة على الثلاث والله أعلم

وقال الشمس الرملي من فقهاء الشافعية في نهاية المحتاج عند قول المنهاج « فلا يضر وصول الدهن بتشرب المسام ولا يضر الاكتحال وان وجد طعمه بحلقه » مانصه : كما لا يضر الانغماس في الماء وان وجد أثره بباطنه إ هـ وناهيك بدقة الشافعية وتشديدهم في تعريف الصوم ، وعندنا ان أحسن تعريف شرعي للصوم قول صاحب الهداية من الحنفية . هو الامساك عن الاكل والشرب والجماع نهارا مع النية . والانغماس في الماء ليس شربا ولا نهي عنه بخصوصه ولاهو مظنة لدخول الماء الى الجوف أكثر من المضمضة المشروعة في الصيام ودخول الماء الى الجوف من الاذن لايسمى شربا وهو لا من الافعال الاختيارية التي تفعل بقصد ولا فائدة منه في نقع الغلة أو ازالة الظمأ فهو ليس منافيا لحقيقة الصيام ولا لمقصده وانما البحث فيه من التنطع المذموم شرعا والله أعلم

حقيقة الايمان والكفر وشعبهما

والظلم والفسق وما يعد من ذلك خروجا من الملة

أسهب المحقق ابن القيم في كتابه (الصلاة) في الخلاف بين العلماء في كفر تارك الصلاة وعدمه وأدلة المثبت والنافي . ثم قفى على ذلك بفصول في الحكم بين الفريقين بدأها بالبحث في مسألة العنوان المهمة فأحببنا نشرها، لانها من المسائل المهمة التي لم يوفها مثله حقها

فصل

﴿ في الحكم بين الفريقين، وفصل الخطاب بين الطائفتين ﴾

معرفة الصواب في هذه المسئلة مبني على معرفة حقيقة الايمان والكفر ثم يصح النفي والاثبات بعد ذلك فالكفر والايمان متقابلان اذا زال أحدهما خلفه الآخر. ولما كان الايمان أصلا له شعب متعددة وكل شعبة منها تسمى إيمانا . فالصلاة من الايمان . وكذلك الزكاة والحج والصيام والاعمال الباطنة كالحياء والتوكل والخشية من الله، والانابة اليه حتى تنتهي هذه الشعب الى اماطة الاذى عن الطريق فانه شعبة من شعب الايمان. وهذه الشعب منها مايزول الايمان بزوالها كشعبة الشهادة ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الاذى عن الطريق . وبينهما شعب متفاوتة تفاوتا عظيما ، منها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون اليها أقرب ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الاذى ويكون اليها أقرب

وكذلك الكفر ذو اصل وشعب فكما أن شعب الايمان إيمان فشعب الكفر كفر ، والحياء شعبة من الايمان، وقلة الحياء شعبة من شعب

الكفر، والصدق شعبة من شعب الايمان والكذب شعبة من شعب الكفر . والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الايمان وتركها من شعب الكفر ، والحكم بما أنزل الله من شعب الايمان والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر ، والمعاصي كلها من شعب الكفر كما أن الطاعات كلها من شعب الايمان

وشعب الايمان — قسمان قولية وفعلية . وكذلك شعب الكفر نوعان قولية وفعلية . ومن شعب الايمان القولية شعبة يوجب زوالها زوال الايمان فكذلك من شعبه الفعلية مايوجب زوالها زوال الايمان . وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية فكما يكفر بالاتيان بكلمة الكفر اختيارا وهي شعبة من شعب الكفر فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف فهذا أصل

وها هنا أصل آخر وهو ان حقيقة الايمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان قول القلب وهو الاعتقاد وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الاسلام . والعمل قسمان عمل القلب وهو نيته واخلاصه. وعمل الجوارح، فاذا زالت هذه الاربعة زال الايمان بكماله واذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الاجزاء فان تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة . واذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق . فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة فأهل السنة مجمعون على زوال الايمان وانه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده كما لم ينفع ابليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ، ولا نؤمن به

واذا كان الايمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح ولاسيما اذا كان ملزوما لعدم محبة القلب وانقياده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره فانه يلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح اذ لو أطاع القلب وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة وهو حقيقة الايمان . فان الايمان ليس مجرد التصديق كما تقدم بيانه. وانما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد وهكذا الهدى ليس هو مجرد معرفة الحق وتبيينه بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه والعمل بموجبه، وان سمي الاول هدى فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتداء كما ان اعتقاد التصديق وان سمى تصديقا فليس هو التصديق المستلزم للايمان فعليك بمراجعة هذا الاصل ومراعاته (١)

فصل

وها هنا أصل آخر وهو الكفر نوعان كفر عمل وكفر جحود وعناد . فكفر الجحود ان يكفر بما علم ان الرسول جاء به من عند الله جحودا وعنادا — من اسماء الرب وصفاته وافعاله وأحكامه. وهذا الكفر يضاد الايمان من كل وجه . وأما كفر العمل فينقسم الى ما يضاد الايمان والى مالا يضاده فالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي وسبه يضاد الايمان . واما الحكم بغير ما انزل الله وترك الصلاة فهو من الكفر

(١) ملخص كلامه ما بيناه في الحاشية التي قبل هذه من ان الايمان هو التصديق الاذعاني لا كل تصديق جازم قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا) فالجحود الذي هو ضد الايمان قد اجتمع مع تصديق الاستيقان

العملي قطعا، ولا يمكن ان ينفى عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه، فالحاكم بغير ما انزل الله كافر وتارك الصلاة كافر بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن هو كفر عمل لا كفر اعتقاد، ومن الممتنع ان يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما انزل الله كافرا ويسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم تارك الصلاة كافرا ولا يطلق عليهما اسم الكفر، وقد نفى رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر. وعمن لا يأمن جاره بوائقه، واذا نفي عنه اسم الايمان فهو كافر من جهة العمل وانتفى عنه كفر الجحود والاعتقاد. وكذلك قوله « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » فهذا كفر عمل وكذلك قوله « من أتى كاهنا فصدقه أو امرأة في دبرها فقد كفر بما انزل على محمد » وقوله « اذا قال الرجل لاخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما » وقد سمى الله سبحانه وتعالى من عمل ببعض كتابه وترك العمل ببعضه مؤمنا بما عمل به وكافرا بما ترك العمل به. فقال تعالى (واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم اقررتم وأنتم تشهدون * ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يُردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) فاخبر سبحانه أنهم اقروا بميثاقه الذي أمرهم به والتزموه وهذا يدل على تصديقهم به وانهم لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من يادرهم. ثم أخبر انهم عصوا أمره وقتل فريق منهم فريقا وأخرجوهم من

ديارهم. فهذا كفرهم بما أخذ عليهم في الكتاب، ثم أخبر انهم يفدون من اسر من ذلك الفريق وهذا ايمان منهم بما أخذ عليهم في الكتاب، فكانوا مؤمنين بما عملوا به من الميثاق كافرين بما تركوه منه، فالايمان العملي يضاده الكفر العملي، والايمان الاعتقادي يضاده الكفر الاعتقادي، وقد اعلن النبي صلى الله عليه وسلم بماقلناه في قوله في الحديث الصحيح «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» ففرق بين قتاله وسبابه وجعل أحدهما فسوقا لا يكفر به والآخر كفرا ومعلوم انه انما اراد الكفر العملي لا الاعتقادى وهذا الكفر لا يخرجه من الدائرة الاسلامية والملة بالكلية، كما لم يخرج الزاني والسارق والشارب من الملة وان زال عنه اسم الايمان

وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الامة بكتاب الله وبالاسلام والكفر ولوازمهما، فلا نتلقى هذه المسائل الا عنهم فان المتأخرين لم يفهموا مرادهم فانقسموا فريقين: فريقا اخرجوا من الملة بالكبائر وقضوا على أصحابها بالخلود في النار، وفريقا جعلوهم مؤمنين كاملي الايمان. فهؤلاء غلوا، وهؤلاء جفوا. وهدى الله أهل السنة للطريقة المثلى والقول الوسط الذي هو في المذاهب كالاسلام في الملل، فهاهنا كفر دون كفر ونفاق دون نفاق وشرك دون شرك وفسوق دون فسوق وظلم دون ظلم.

قال سفيان بن عيينة عن هشام بن جحير عن طاووس عن ابن عباس في قوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون) ليس هو بالكفر الذي يذهبون اليه. وقال ابن عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال سئل ابن عباس عن قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال: هو بهم كفر وليس كمن كفر بالله وملائكته

وكتبه ورسله . وقال في رواية أخرى عنه : كفر لا ينقل عن الملة . وقال طاووس ليس بكفر ينقل عن الملة . وقال وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق ، وهذا الذي قاله عطاء بين في القرآن لمن فهمه فان الله سبحانه سمى الحاكم بغير ما أنزله كافرا ويسمى جاحد ما أنزله على رسوله كافرا . وليس الكافران على حد سواء ويسمى الكافر ظالما كما في قوله تعالى (والكافرون هم الظالمون) وسمى متعدي حدوده في النكاح والطلاق والرجعة والخلع ظالما فقال : (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) وقال يونس نبيه (لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين) وقال صفيه آدم (ربنا ظلمنا أنفسنا) وقال كليمه موسى (رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي) وليس هذا الظلم مثل ذلك الظلم

ويسمى الكافر فاسقا كما في قوله (وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) الآية وقوله (ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون) وهذا كثير في القرآن ويسمى المؤمن فاسقا كما في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) نزلت في الحكم بن أبي العاص وليس الفاسق كالفاسق وقال تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا وأولئك هم الفاسقون)

وقال عن ابليس (ففسق عن أمر ربه) وقال فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق) وليس الفسوق كالفسوق والكفر كفران ، والظلم ظلمان ، والفسق فسقان وكذا الجهل جهلان ، جهل كفر كما في قوله تعالى

(خذ العفو واءمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وجهل غير كفر لقوله تعالى (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب)

كذلك الشرك شركان شرك ينقل عن الملة وهو الشرك الاكبر ،وشرك لا ينقل عن الملة وهو الشرك الاصغر ،وهو شرك العمل كالرياء . وقال تعالى في الشرك الا كبر (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) وقال (ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير اوتهوي به الريح في مكان سحيق) . وفي شرك الرياء (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) ومن هذا الشرك الاصغر قوله صلى الله عليه وسلم « من حلف بغير الله فقد اشرك » رواه ابو داود وغيره : ومعلوم ان حلفه بغير الله لا يخرجه عن الملة ولا يوجب له حكم الكفار . ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم « الشرك في هذه الامة اخفى من دبيب النمل »

فانظر كيف انقسم الشرك والكفر والفسوق والظلم والجهل الى ما هو كفر ينقل عن الملة والى مالا ينقل عنها ؟

وكذا النفاق نفاقان نفاق اعتقاد ونفاق عمل فنفاق الاعتقاد هو الذي انكره الله على المنافقين في القرآن وأوجب لهم الدرك الاسفل من النار ونفاق العمل كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان » وفي الصحيح ايضا « اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدث

كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر واذا اؤتمن خان » فهذا نفاق عمل وقد يجتمع مع أصل الايمان ولكن اذا استحكم وكمل فقد ينسلخ صاحبه عن الاسلام بالكلية وان صلى وصام وزعم انه مسلم فان الايمان ينهى المؤمن عن هذه الخلال فاذا اكملت في العبد ولم يكن له ما ينهاه عن شيء منها فهذا لا يكون الا منافقا خالصا وكلام الامام احمد يدل على هذا فان اسماعيل بن سعيد الصالح قال: سألت احمد بن حنبل عن المصر على الكبائر يطلبها بجهده الا انه لم يترك الصلاة والزكاة والصوم هل يكون مصرًّا من كانت هذه حاله ؟ قال هو مصر مثل قوله « لا لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » يخرج من الايمان ويقع في الاسلام ونحو قوله « لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن » ونحو قول ابن عباس في قوله تعالى (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) قال اسماعيل فقلت له ماهذا الكفر؟ قال: كفر لا ينقل عن الملة مثل الايمان بعضه دون بعض فكذلك الكفر حتى يجيء من ذلك امر لا يختلف فيه

فصل

وههنا أصل آخر وهو أن الرجل قد يجتمع فيه كفر وايمان وشرك وتوحيد وتقوى وفجور ونفاق وايمان، وهذا من أعظم أصول أهل السنة وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والقدرية، ومسئلة خروج أهل الكبائر من النار وتخليدهم فيها مبنية على هذا الاصل، وقد دل عليه القرآن والسنة والفطرة واجماع الصحابة

قال تعالى (وما يؤمن اكثرهم بالله إلا وهم مشركون) فاثبت لهم ايمانا به سبحانه مع الشرك وقال تعالى (قالت الاعراب آمنا ،قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ، ولما يدخل الايمان في قلوبكم ،وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم) فاثبت لهم اسلاما وطاعة لله ورسوله مع نفي الايمان عنهم وهو الايمان المطلق الذي يستحق اسمه بمطلقه (الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله) وهؤلاء ليسوا منافقين في أصح القولين بل هم مسلمون بما معهم من طاعة الله ورسوله وليسوا مؤمنين وان كان معهم جزء من الايمان اخرجهم من الكفر

(قال) الامام احمد من أتى هذه الاربعة أو مثلهن أو فوقهن — يريد الزنا والسرقة وشرب الخمر والانتهاب — فهو مسلم ولا اسميه مؤمنا ومن أتى دون ذلك — يريد دون الكبائر — سميته مؤمنا ناقص الايمان، فقد دل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم « فمن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق » فدل على انه يجتمع في الرجل نفاق واسلام. وكذلك الرياء شرك فاذا راءى الرجل في شيء من عمله اجتمع فيه الشرك والاسلام ، واذا حكم بغير ما أنزل الله ، أو فعل ما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم كفراً وهو ملتزم الاسلام وشرائعه ،فقد قام به كفر واسلام . وقد بينا أن المعاصي كلها شعب من شعب الكفر كما أن الطاعات كلها شعب من شعب الايمان فالعبد تقوم به شعبة أو أكثر من شعب الايمان وقد يسمى بتلك الشعبة مؤمناً وقد لا يسمى كما أنه قد يسمى بشعب الكفر كافراً وقد لا يطلق عليه هذا الاسم

فها هنا أمران أمر اسمي لفظي ، وأمر معنوي حكمي . فالمعنوي هل هذه الخصلة كفر أم لا ؟ واللفظي هل يسمى من قامت به كافراً أم لا ؟ فالامر الاول شرعي محض ، والثاني لغوي وشرعي

فصل

وها هنا أصل آخر وهو أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الايمان بالعبد أن يسمى مؤمناً وان كان ما قام به ايمانا ، ولا من قيام شعبة من شعب الكفر به أن يسمى كافراً وان كان ماقام به كفراً، كما أنه لا يلزم من قيام جزء من اجزاء العلم به أن يسمى عالما ولا من معرفة بعض مسائل الفقه والطب أن يسمى فقيها ولا طبيبا ، ولا يمتنع ذلك أن تسمى شعبة الايمان ايمانا ، وشعبة النفاق نفاقا، وشعبة الكفر كفراً ، وقد يطلق عليه الفعل كقوله «فمن تركها فقد كفر» و«من حلف بغير الله فقد كفر »وقوله «من أتى كاهناًفصدقه بما يقول فقد كفر، ومن حلف بغير الله فقد كفر » رواه الحاكم في صحيحه بهذا اللفظ

فمن صدر منه خلة من خلال الكفر فلا يستحق اسم كافر على الاطلاق وكذا يقال لمن ارتكب محرماإنه فعل فسوقا وانه فسق بذلك المحرم ولا يلزمه اسم فاسق الا بغلبة ذلك عليه . وهكذا الزاني والسارق والشارب والمنتهب لا يسمى مؤمنا وان كان معه ايمان كما أنه لا يسمى كافراً وان كان ما أتى به من خصال الكفر وشعبه . اذ المعاصي كلها من شعب الكفر كما ان الطاعات كلها من شعب الايمان

والمقصود أن سلب الايمان عن تارك الصلاة أولى من سلبه عن مرتكب الكبائر ، وسلب اسم الاسلام عنه أولى من سلبه عمن لم يسلم

المسلمون من لسانه ويده ، فلا يسمى تارك الصلاة مسلما ولا مؤمنا وان كان معه شعبة من شعب الاسلام والايمان. نعم يبقى أن يقال فهل ينفعه ما معه من الايمان في عدم الخلود في النار؟ فيقال ينفعه ان لم يكن المتروك شرطا في صحة الباقي واعتباره. وان كان المتروك شرطا في اعتبار الباقي لم ينفعه. ولهذا لم ينفع الايمان بالله ووحدانيته، وانه لا إله إلا هو من أنكر رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ولا تنفع الصلاة من صلاها عمداً بغير وضوء، فشعب الايمان قد يتعلق بعضها ببعض تعلق المشروط بشرطه، وقد لا يكون كذلك

فيبقى النظر في الصلاة هل هي شرط لصحة الايمان؟ هذا سر المسئلة، والادلة التي ذكرناها وغيرها تدل على أنه لا يقبل من العبد شيء من أعماله الا بفعل الصلاة فهي مفتاح ديوانه، ورأس مال ربحه، ومحال بقاء الربح بلا رأس مال. فاذا خسرها خسر اعماله كلها وان أتى بها صورة. وقد أشار الى هذا في قوله « فان ضيعها فهو لما سواها أضيع » وفي قوله « ان أول ما ينظر في اعماله الصلاة فان جازت له نظر في سائر اعماله وان لم تجز له لم ينظر في شيء من اعماله بعد »

ومن العجب أن يقع الشك في كفر من أصر على تركها ودعي الى فعلها على رءوس الملأ، وهو يرى بارقة السيف على رأسه، وشد للقتل وعصبت عيناه، وقيل له تصلي والا قتلناك، فيقول اقتلوني ولا أصلي أبداً!! ومن لا يكفر تارك الصلاة يقول هذا مؤمن مسلم يغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين. وبعضهم يقول إنه مؤمن كامل الايمان إيمانه كايمان جبريل وميكائيل، فلا يستحيي من هذا قوله من انكاره تكفير من شهد بكفره الكتاب والسنة واتفاق الصحابة والله الموفق اهـ

بطل العرب والاسلام العظيم

القائد الكبير محمد عبد الكريم

اقتسمت فرنسة مع اسبانية مملكة المغرب الاقصى كما اقتسمت مع انكلترة سورية والعراق . وقد قيض الله تعالى لاهل الريف الذي جعل حصة لاسبانية زعيما عظيما نظم لهم جيشا من انفسهم يقاتل به الاسبانيين لاخراجهم من بلادهم فأتي في قتاله لهذه الدولة بما يكاد يكون من خوارق العادات التي أيد الله بها سلف هذه الامة في صدر الاسلام ، وما زلنا نني النفس بالتنوية بجهاده منذ بطش البطشة الكبرى قبل ثلاث سنين حتى رأينا في هذه الايام ما كفانا المؤنة من المقال الآتي «لسعادة الكاتب السياسي الكبير » الذي يغني وصفه عن تعيين شخصه ، وحرف الامضاء عن التصريح باسمه ، (المنار)

من عادة الجرائد ان تكثر من لفظة « البطولة » تعرب بها كلمة Heroisme التي تدور كثيرا في الكتابات الاوروبية والناس مضطرة اليوم الى تعريب كلماتهم وتقليد مناحيهم . أما أنا فكنت غير راغب في هذا الاستعمال لانني لا أكتفي من اللفظة بان تأتي في معاجم اللغة وان لا تعد غلطا بل أحب ان أجدها في كلام العرب الاولين أو المخضرمين أو المولدين على الاقل ، ولا أتذكر انني عثرت بالبطولة اي حالة من كان بطلا في غير متون اللغة .أما الآن فأريد أن أستعملها لهذا الاسد الزائر ، والفحل الصائل ، المسمى بمحمد بن عبد الكريم المتولي كبر تحرير قومه في شمالي مراكش ـ فأقول بطل محمد بن عبد الكريم بطولة وبطالة فهو بطل ، لا بل هو بطل الابطال ، وفذ الافذاذ ، وعلم الاعلام ، بل هو عندي أعظم مزية من مصطفى كمال ، ومن جميع أبطال العصر الحاضر ، البادي منهم والحاضر . وكل من ينظر في قضية الامير محمد بن عبد الكريم ويتأمل فيها ويرى موقفه المدهش المحير للعقول في وجه اسبانية مع الفرق الشاسع والشقة الهائلة بين درجتي كل من اسبانية والمنطقة التي تقاتلها من شمالي المغرب يحكم بانه لو كان في الدنيا

انصاف لما كان أحد اليوم أولى من محمد بن عبد الكريم بان يوضع في مقدمة أبطال العصر ، ويكتب تاريخه ، وتدون سيرته ، وتعرض صورته ، ويرجح على فوش وهندنبرغ ومصطفى كمال وداونسيو ولنين وموسوليني وطبقتهم التي اختلط ذكرها بالتاريخ العام

ان فوش عند ما أحرز النصر كان رأساعلى ١٥ مليون جندي من عساكر الحلفاء عدا جنود اميركا التي كان وصل منها الى فرنسا مليونان ونصف مليون وبقي منها مثل هذا العدد في اميركا ، وان هندنبورغ كان قائد لستة ملايين ألماني هم أحسن جنود العالم بدون نزاع ، وان مصطفى كمال وان صح ان يقال إنه بعث تركية من قبرها ، فانه كان في تركية عساكر منظمة ، وجنود مدربة ، وضباط اركان حرب معدودين من الطبقة الاولى ، وبقايا أسلحة ، وآثار دولة مبنية من اصلها على الاسل ، وجاءها لويد جورج بمعاهدة سيفر التي تجعل تركية أثرا بعد عين ، وزحف اليها اليونانيون يذبحون الرجال ، ويهتكون الاعراض ، فاتيحت لهمة مصطفى كمال أسباب عديدة تجمع حوله أمة باسلة مستبسلة كالامة التركية . وان سائر من ذكرنا من الرجال المعدودين في هذا العصر كانوا في حركاتهم متوكئين على أمم عظام ، واعداد لا تحصى ، وتشكيلات ادارية تامة ، فاستوسق لهم من الامور ما استوسق ، وظهر من شأنهم ما ظهر

وأما محمد بن عبد الكريم فان جئنا الى عدد انصاره فان الريف كله يبلغ جزءا من سبعة من سلطنة المغرب فان كانت هذه السلطنة ثمانية ملايين فيكون الريف زائدا قليلا على المليون ، وان كانت هذه السلطنة لا تنوف على اربعة ملايين أو خمسة كما جاء في بعض مؤلفات الفرنسيس الاخيرة فيكون الريف نحو ثلثي المليون أي أكثر قليلا من جبل لبنان وأقل شيئا من فلسطين ، ومع هذا فان هذين الثلثين من المليون أو فلنقل هذا المليون واقف في وجه دولة اسبانية التي عدة أهلها عشرون مليونا . بخلاف تركية مع اليونان ، اذ تركية مع كل ما اقتطع منها بقيت ١٢ مليونا واليونان مع كل ما أضيف اليها لا تزيد على ٦ ملايين . فأنت ترى ما هنالك من

الفرق ،وزد عليه انه لم يجتمع من جنود اليونان في وجه مصطفى كمال ما اجتمع من جنود الاسبانيول في وجه محمد بن عبد الكريم فقد كان جيش اليونان المحارب لجيش أنقرة من ١٥٠ الى ١٧٠ الفا حال كون الجيش الاسبانيولي الذي غزا الريف سنة ١٩٢١ بلغ عدده ٢٠٠ الف مقاتل وباء بالخذلان كما هو معروف . والجيش الاسبانيولي الزاحف اليوم الى الريف هو بحسب قول الجرائد الاوروبية مائة وستون الف مقاتل . وانه في كلتا المرتين تطوع في الجيش الاسبانيولي الوف مؤلفة من اصناف الافرنجة لا سيما من الانكليز — الذين لا يتركون فرصة يظهرون فيها فرط محبتهم للاسلام الا ولجوها — وهذه المرة يقال ان اكثر الالحاح على الدولة الاسبانية في استئصال شأفة المقاومة من الريف واقع من دولة بريطانيا العظمى

ثم لا يخفى ما يوجد من الفرق بين زحف اليونان من بلادهم راكبين اثباج البحر الواسع وايغالهم في بلاد الاناضول الطويلة العريضة التي تأكل الجيوش بمسافاتهم وبين ركوب الاسبانيول بحرا اسمه بحر الزقاق او بوغاز جبل طارق عرضه ساعات قلائل وكون الريف كله لا يساوي في الرقعة ولاية من ولايات الاناضول

لا نريد في هذه المقابلات والمقارنات تصغير شيء من مجادة العمل الذي قام به اخواننا الترك وأدهش الربع العامر بأسره، وترنحت له أعطاف الشرقيين عند من يقول بجامعة شرقية ،وقرت به عيون المسلمين عند من يأخذ بجامعة اسلامية . ان الاتراك أشهر في الحروب من ان ينوه فيها الانسان بقدرهم، وان انتصارهم الاخير بعد ان نهكت قواهم الحروب المتتابعة بدون انقطاع ولا فتور منذ بضع عشرة سنة أضاف صفحة جديدة على تاريخ مجدهم ،وخلد مصطفى كمال ذكرا لا تمحوه الاعصر بانه هو المؤسس الاخير للدولة التركية

ولكننا نريد ان نثبت بهذه المقارنات انه بالنسبة الى قلة الوسائل وضيق الرقعة وفقد التشكيلات ونزارة الاسلحة وندورة الضباط وانحصار الريف بين

البحر من جهة والمنطقة الفرنسوية من أخرى وصغر الريف من أصله فان فضل محمد بن عبد الكريم هو أعظم من فضل مصطفى كمال ومن فضل أعاظم قواد أوروبا لانه لو قام أي واحد من أولئك العظام مقام ابن عبد الكريم لعجز ان يأتي بشي مما أتاه

في تموز سنة ١٩٢١ استأصل الريفيون بقيادة هذا البطل الغشمشم ٢٥ الف مقاتل اسبانيولي وأسروا ألوفا وغنموا ١٧٠ مدفعا وقيل ٣٠٠ مدفع و٧٠ الف بندقية واعتادا حربية لا تحصى وعددا من الطيارات وسبق لهذا العاجز المعجب بمحمد بن عبد الكريم المتحسر على أن ليس في سورية مثله - مقالات متعددة عن تلك الطوائل التي طال بها والوقائع التي انتصر فيها منها ما نشرناه « بالبيان » ومنها في « الصباح » الذي كان يطلع بفلسطين. لان حرية المطبوعات ... في سورية لعهد محرري الامم ... لم تكن تسمح بنشر شيء عن قوم يدافعون عن استقلالهم ولو كانوا من أقصى البلاد عن سورية

وبعد هاتيك الهزيمة عول الاسبانيول على سياسة التفريق والشقاق بين الريفيين ،تلك السياسة التي طالما نجحت بها الدول المستعمرة ونالت مآربها من الشرق من ثنايا منافسات الشرقيين بعضهم مع بعض، فعقد الاسبانيول الصلح مع الرسولي ،وأعملوا الهمة في التضريب بين القبائل الريفية ، وخدروا أعصاب كثيرين منها، و بذلوا المواعيد ومنوا الاماني، حتى خيل لهم ان الحركة قد همدت، وان حزب بن عبد الكريم قد ضعف جدا عن ذي قبل، وأنهم ان صمدوا اليه وجدوه هذه المرة في قلة من قومه وقضوا منه وطرهم، فكان الامر بعكس ماخالوا، وهو انهم لما آنسوا منه رقة الجانب وطمعوا في أخذه بالقوة عاد هذا الامير فاستفز قبائل الريف وأوضح لهم الخطر فارتفعت الواعية، وامتدت الصارخة، واعصوصبت القبائل حول قائدها، وتأهبت للنضح عن ذمارها، وعاد الامر كابداء، لا بل رأى محمد بن عبد الكريم ان يجعل الاسبانيول غداءه قبل ان يجعلوه عشاءهم ، فجمر (١) للزحف على

(١) المنار : جمر بنو فلان اجتمعوا وجمرتهم حشدتهم وهو ماخوذ من جمرات =

مواقعهم الامامية بقرب مليلا، وناوشهم القتال منذ أوائل هذا الصيف ، فدارت رحى الهيجاء وحمي الوطيس وتباعث العرب والبربر على الموت في سبيل دينهم ووطنهم، فجفلوا الاسبانيول عن مراكزهم ، وافحشوا النكاية فيهم، ورأت اسبانية ان ابن عبد الكريم لا يزال ابن عبد الكريم من المنعة في قومه ، والحيطة من وراء أمره ، والحمية على وطنه ، والحفيظة لحقه ، وان الريفيين لم يبرحوا على عهدهم بالشهامة وإباء الضيم ، والبصائر بالحرب ، والغرام بالطعن والضرب ، فسقط في يدها، وخابت آمالها ، وجردت الى الريف زحوفها، حتى بلغ عدد الفيلق(١) الاسبانيولي المرابط الآن بالريف ١٦٠ الفا وهي لم تنل وطرا ، ولا قضت حاجة ، فثارت الخواطر في مادريد واضطربت الحكومة وادلهم الخطب ، وأبى الحزب العسكري الا ان يتابع ارسال الامداد الى ان تستقيم عصاة الريف أو تنكسر ، وذهب آخرون الى أنه لا فائدة من غزو الريف الا تراكم الخسائر في المال والرجال، وقدم اثنان من النظار استعفاءهما احدهما ناظر المالية الذي شكا من كون عجز الموازنة المالية هذه السنة بلغ ٩٠٠ مليون فماذا يكون ان اصرت الحكومة على متابعة حرب الريف؟

هذه حالة اسبانية اليوم ، وهذا هو الفري الذي فراه محمد بن عبد الكريم عودا على بدء ، فاثبت انه بطلها اليوم كما كان بطلها بالامس ، وسترى انه بطل السلم كما هو بطل الحرب ، وانه أصدر أوامر بالاتفاق مع اعضاء الحكومة الريفية أي هو رأسها بانزال أشد العقاب الى حد القتل بمن يعتدي على اسبانيولي او أي اوربي او يخالف القوانين الحربية المرعية بين الدول المتمدنة

وقد نشر رجل سويسري من زوريخ منذ أيام رسالة تناقلتها كثير من جرائد سويسرة كنا نود تعريبها ونشرها كلها نقلا عن جريدة « فوي دافي »

العرب جمع جمرة وهي الطائفة التي تجتمع على حدة لقوتها وشدة باسها . وقول الكاتب جمر للزحف معناه لاجل الزحف . وفي حقيقة الاساس : وجمر الامير الغزاة (بتشديد الميم) حبسهم في الثغر وفي نحر العدو ولا يقفلهم اه . أي لا يأذن لهم بالرجوع

(١) الفيلق بوزن زينب الكتيبة العظيمة مؤنثة والمعني وكتاب العصر يذكرونها بتذكير اللفظة أو بمعنى الجيش

الصادرة بلوزان لكن طولها حال دون تعريبها برمتها . ومآلها ان بعض الشبان من سويسرة قصدوا اسبانية للعمل و بينما هم يعملون ببرسلونة (١) إذ أخذتهم حكومة اسبانية الى الريف بحجة أنها تريد ان تستخدمهم في النقليات. وان هنا عملا باجرة وهناك عملا باجرة فذهبوا مسيرين غير مخيرين . ولما صاروا الى مليلا نظموهم في التابور وارسلوهم الى ميدان الحرب خلافا لما كانوا وعدوهم به . ولما كانوا من رعية سويسرة لا شان لهم في حرب واقعة مع اسبانية فر منهم بضعة نفر فادركهم الاسبانيول وحاكموهم محاكمة « البلط » (الفارين من العسكر) وحكموا عليهم بالقتل ونفذ فيهم الحكم رميا بالرصاص مع أنهم لم يكونوا متطوعين في جند اسبانية وانما سيقوا الى الحرب جبرا وقهرا بعد أن خدعوا بقول الحكومة الاسبانية لهم انهم يكونون في مليلا عملة كما كانوا في برسلونة . قال هذا الرجل السويسري الزوريخي — فالتزمنا أن نشهد وقائع من أشد واهول مايتصور العقل كانت غالبا خسائر الاسبانيول فيها افدح من خسائر المغاربة . وذكر واقعة قال ان الاسبانيول خسروا فيها وحدها اربعة آلاف مقاتل : وهو يحزر مجموع خسائر الاسبانيول بستين الف مقاتل

ثم قال — اننا مللنا القتال ونحن لا ناقة لنا في الامر ولا جمل ففررنا الى جهة العرب فأخذونا الى عبد الكريم فامر بانتظامنا في الجيش فبعد ان كنا نقاتل في صف الاسبانيول صرنا نقاتل الاسبانيول، وكنا في كلا الحالين مكرهين لا ابطالا. فبعد أن شهدنا عدة وقائع لاحت لنا فرصة للفرار ففررنا املا بالوصول الى ساحل البحر ومنه نجد فلكا يأخذنا الى اوروبا فكانت وقعتنا بالقرب من قرية عربية فقبضوا علينا وساقونا الى الامير عبد الكريم فايقنا في أنفسنا بالهلكة وقلنا يصيبنا هنا ما أصاب رفاقنا عند الاسبانيول فلما وصلنا الى الامير كان منه ان قال لنا — نعم يحق لكم ان تفروا لانه طال عليكم الغياب عن اوطانكم ولكن اخطأتم

(١) قال في معجم البلدان : برشليانة بسكون اللام وياء والف ونون بلدة بالاندلس من اقاليم كبلة

بانكم لم تخبرونا بعزيمتكم حتى نؤدي اليكم نفقة الطريق. ثم نقدلنا(١) مبلغا يكفي نفقتنا وارسلنا الى جهة ركبنا منها البحر الخ . ويذكر هذا السويسري بعد ذلك الفرق بين الاسبانيول والمغاربة مما هو ظاهر للعيان من سياق هذه القصة

ان الذي يربطنا بعبد الكريم وقومه ليس انهم مسلمون فقط ولا انهم معدودون من الامم الشرقية ولو كانوا من الغرب - بل لكوننا مقيدين واياهم بسلسلة طويلة فهي متصلة الحلقات لاخرم فيها من اولها الى آخرها . ومن المحال ان يفوز المغربي في الريف أو في أي مكان آخر بدون ان ينتشق اخوه المشرقي ارج الفرج ولو على بعد الوف من الفراسخ وهذا أمر يعرفه الاوربيون جيدا لذلك تجدهم متضامنين متكافلين في وجهنا مهما اشتدت الشحناء بينهم في بلدانهم . وهاك مثالا وقع معنا نحن الوفد السوري -

انه لمعلوم كون فرنسا منافسة اسبانية في المغرب . واسبانية لاتود فرنسا، وأكثر الخلاف بينهما على مسئلة طنجة ، فذهب مرة احد زملائنا اعضاء الوفد السوري لمقابلة المندوب الاسباني في جمعية الامم نظير غيره من مندوبي الدول الذين قابلناهم وشرحنا لهم قصة سورية . الا انني لم اكن والحمد لله حاضرا هذه المرة مقابلة المندوب الاسبانيولي بل كان الرصيف وحده . فما كاد يفتح له حديث الاستقلال وحق سورية في الاستقلال الا وجد المندوب الاسباني نفر وانتثر وقال له - « نحن لا نساعد ابدا امما امثالكم على الاستقلال ويكفينا ما عندنا من مسئلة الريف » وصادف أن رصيفنا لم يكن يريد اغضابه ظنا بان مرضاته ربما تفيد شيئا وانه هو أيضا ممن يعتقد المصانعة وكتمان الضمير في السياسة، فأخذ يبرهن له على اهلية سورية للاستقلال ويؤكد له وجود قسم كبير فيها من المسيحيين . وشرع الاسبانيولي يرد عليه بأن المسيحيين في سورية هم فئة قليلة فأجابه رفيقنا - لا بل عندنا مسيحيون نحو الثلث . وأخيرا فصل السياسي الاسباني الخطاب بانهم هم اي الاوروبيين لا يجدر بهم ان يساعدوا أمة شرقية

---

(١) يقال نقدته الدراهم ونقدتها له على الزيادة بمعنى اعطيته إياها

على الاستقلال ولو كان فيها مسيحيون . وآتى بهذا الجواب المقشر بدون ادني محاباة ولا محاباة . فلينظر اذا الشرقي وليتأمل .

هذه قضية لم نأخذ منها النتيجة عقلا بل اخذناها نقلا بل شفهيا من فم مندوب اسبانية في جمعية الامم . يكره هؤلاء استقلالنا بالشام لئلا تشتد بقوتنا نحن عزائم اهل الريف ، ولو كان الاسبان اضداد الفرنسيس . أبعد هذا شك في وجود التضامن بينهم ووجوب . التضامن لا بيننا و بين كل امة اسلامية فقط بل كل أمة شرقية بل كل أمة مظلومة مقهورة مسلمة او غير مسلمة ؟ اذا فليحي محمد بن عبد الكريم . لان قضيته هى قضيتنا . البيان — (ش)

(المنار) ان فيما ختم به مقاله امير الكتاب ، لموعظة وذكرى لاولي الالباب ، ومن العجب العجاب ، أن اهل الشرق كافة ، والمسلمين منهم خاصة والافريقيين منهم على الاخص . لم يحفلوا بأمر هؤلاء الريفيين على اعجابهم بيسالتهم ، وعلمهم بقلة لوسائل التي بأيديهم ، ولو كنا أحياء كالافرنج الذين يتعاونون على استعبادنا ، ويتكافل المتنازعون منهم فيما بينهم في كل مايقضون به علينا ، — لكنا أجدر بارسال المتطوعين الى الريفيين،من الانكليز بالتطوع مع الاسبانيين ، واننا نرى نهضة شعبنا المصري قد دخلت في كل طور من اطوار حياة الامم الا طور الجهاد بالنفس ، والتمرن على فنون الحرب ، أفلم يكن يجدر بهم أن يغتنموا مثل هذه الفرص — حرب طرابلس وحرب الريف — فيرسلوا حملات المتطوعين من شبانهم التي دلتنا الثورة الاخيرة على شجاعتهم فيها وعدم مبالاتهم بالرصاص في اثنائها ، وان يجدوا من ضباطهم الذين في « الاستيداع » من يقود حملتهم ويدر بها ؟ بلى والله ثم بلى .

فان كان هذا طور جديد لما يتح لهم فما بال أغنيائهم الذين حمد العالم لهم بذلهم المساعدة للدولة العثمانيه في حروبها ولا سيما حرب طرابلس الغرب وحرب الاناضول لا يمدون ايديهم السخية لمساعدة هؤلاء المنكوبين حتى ان جمعية الهلال الاحمر لم تبال بهم ، كانها لا تشعر بوجودهم ؟

الخلافة والسلطان القومي

— وجهة نظر الترك الى هذه المسألة الكبرى —

صدر من أنقرة كتاب بالتركية بعنوان « الخلافة والسلطان القومي » يقع في ٧٨ صفحة ، هو مجرد من اسم المؤلف واسم المطبعة واسم البلد الذي طبع فيه ، ولكن مهما أراد واضعوه أن يكتموا فان موضوعه ومادته وكل شيء فيه ينم على حقيقته . وهو مطبوع أجمل طبع على ورق جيد ، ومنسق تنسيقا يشهد لواضعيه بأنهم بذلوا الجهد في التأنق به و إفراغه في القالب الذي أرادوه له

ويرجح أن حكومة المجلس الوطني الكبير هي التي نشرت كتاب «الخلافة والسلطان القومي» تأييدا لخطتها في هذه المسألة الاسلامية الكبرى ، وقد تولت أمر نشره في العالم كله مديرية الاستخبارات لان ذلك داخل في دائرة اختصاصها اما أصحاب المعلومات التي تضمنها هذا الكتاب فهم أنفسهم الذين أعدوا للغازي مصطفى كمال باشا المادة الدينية والعلمية من خطبته الشهيرة في الخلافة . .

يتألف كتاب « الخلافة والسلطان القومي » من مقدمة وفصلين وخاتمة . اما المقدمة ففي اختلاف وجهة نظر الفرق الاسلامية — كالخوارج والامامية والباطنية وغيرها — الى الخلافة وهل هي ضرورية أم لا ؟ . وأما الفصل الاول ففي تعريف الخلافة وتقسيمها الى حقيقية وصورية وفي شروطها وكونها في قريش ، وفي أنها من نوع عقود الوكالة ، وفي الغاية منها وما يترتب على ذلك من واجبات الخليفة ومسؤوليته ، وفي الولاية العامة والسلطان القومي . وأما الفصل الثاني ففي التفريق بين السلطة والخلافة وهو بيت القصيد في الكتاب ، والفصل كله يدور حول الاقناع بجواز ما صنعته حكومة أنقرة في الخلافة الاسلامية . ولان هذا الفصل هو المقصود من الكتاب فقد جملت الخاتمة أيضا في هذا الموضوع ولزيادة تأييده

ومما أراد مؤلفو الكتاب اثباته أن الخلافة الاسلامية ليست من مسائل

الدين بل هي مسألة دنيوية وسياسية (ذكروا ذلك في المقدمة ثم في متن الكتاب)

وبعد أن نقلوا عن (شرح المقاصد) تعريف الخلافة بأنها «رياسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم» ونقلوا عن (المسايرة) لابن الهمام أنها «استحقاق تصرف عام على المسلمين» قالوا ان المعنى الذي تدل عليه كلمة «الامامة» هو المعنى الذي يراد الآن من لفظ «الحكومة» والاسلام ليس فيه رياسة دينية لاحد، حتى أن (مشيخة الاسلام) مما ابتدعه العثمانيون ولم يكن هناك مقام رسمي ديني في الحكومات الاسلامية السابقة له هذه الصفة من الرياسة الدينية، وغاية ما في الباب أن شيخ الاسلام له صفة الفتوى لا يمتاز عن المفتين في شيء، والمفتي هو العالم وفتواه متى كانت صوابا صحيحة سواء كانت فتوى رسمية أو غير رسمية

ثم قسم واضعو الكتاب الخلافة الى حقيقية وصورية، فالخليفة الحقيقي هو الجامع لكل الصفات والشروط المطلوب وجودها في الخليفة، وأن تكون الامة قد اختارته وبايعته برضاها وارادتها، وأن يكون فضلا عن هذا وذاك مجردا من الاغراض الدنيوية والمطامع المختلفة وان تكون له على الامة شفقة الاب على بنيه وأن لا ينحرف عن الشرع قيد أنملة، والخلاصة أن الخليفة الحقيقي هو الذي يسلك سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في جميع أعماله، فان لم يكن الخليفة كذلك، أو اذا لم تكن متوفرة فيه شروط الخلافة، أو أن يكون قد نال هذا المقام بالغلبة والقهر، فهو سلطان وليس بخليفة؛ بل ان السلطة والملك لا يكونان مشروعين اذا قاما على الظلم والاعتساف، فلا يعتبر قضاء القاضي ولا ولاية الوالي اذا كانا منصوبين من امام أو سلطان جائر

وذكر مؤلفو الكتاب شروط الخلافة ومنها «أن يكون الخليفة من قريش» أي من أركان القبيلة القرشية، قالوا: وقريش هم بنو النضر بن كنانة الذين منهم النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم بنو هاشم وبنو أمية وبنو العباس، فهؤلاء جميعا من قريش، وذلك مذهب أهل السنة من حنفية وشافعية ومالكية

وحنابلة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال « الائمة من قريش » وقد قرر ذلك بلسان قطعي و باطلاق تام استاذ فقهاء الحنفية وكبير من كبراء فحول علماء تركستان وهو النجم النسفي المعروف بمفتي الثقلين المتوفى في سمرقند عام ٥٣٧ فأثبته في كتابه « العقائد النسفية » الذي يدرس في جميع المدارس الاسلامية منذ عصوره وهو من الكتب المقررة في المدارس الدينية في الآستانة الى يومنا هذا ، ولذلك قال العلامة التفتازاني في (شرح العقائد النسفية) ان الامر أصبح مشكلا بعد انقراض الخلافة العباسية لان الخلافة القرشية قد زالت بزوالها

واستنتج واضعوا كتاب « الخلافة والسلطان القومي » من ذلك أنه ما دام واجبا على المسلمين اقامة الخليفة ، وما دام الخليفة لا بد أن يكون من قريش فان من الواجب تحويل ذلك الى اقامة حكومة فقط لتعذر وجود خليفة جامع للصفات والشروط اللازمة ، ولا يكون المسلمون آثمين اذا أقاموا حكومة تحل محل الخلافة ولا حاجة حينئذ الى أن تكون هذه الحكومة حكومة الخلافة ولا الى أن يكون رئيسها خليفة (أنظر ص ٢٢ من هذا الكتاب) ولذلك لم يكر العلماء المعاصرون للسلطان سليم الاول على هذا السلطان حمله الخليفة (المتوكل على الله العباسي) على أن يفرغ له الخلافة سنة ٩٢٣ مع أنه فعل ذلك على مرأى منهم في جامع آيا صوفية ، ومع ذلك فان خلافة السلطان سليم الاول خلافة صورية وليست خلافة حقيقية

ولذلك لم يعبأ أحد في العالم الاسلامي بل ولا في جزيرة العرب لادعاء الشريف حسين الخلافة واعلانه ذلك مع أنه في مكة ومن قريش بل ومن بني هاشم ولم يكد المجلس الوطني الكبير يعلن أنه أجلس في مقام الخلافة حضرة عبد المجيد حتى ارتفع صوت الاجابة والبيعة من جميع أنحاء العالم الاسلامي ، ولو بالقول على الاقل ، وعلى ذلك فان مما يوافق الحكمة حصر المجلس الوطني الكبير الخلافة في آل عثمان

ثم تساءل مؤلفو الكتاب عما إذا كان رجل جامع في نفسه شروط الخلافة أكثر من كل رجل آخر في العالم الاسلامي هل يكون خليفة بنفسه ؟ وأجابوا أنه لا يكون خليفة ما لم تخوله الامة حق التصرف العام عليها ، ونقلوا عن الماوردي في (الاحكام السلطانية) أن الخلافة عبارة عن نوع من أنواع العقود فيما بين الامة الاسلامية والخليفة ، فهو من نوع عقود الوكالة ، ولذلك كانت العمدة في انعقاد الخلافة انما هي الشورى ، حتى إن البيعة بنفسها تفيد معنى العقد كالبيع والشراء

والوصول الى مقام الخلافة طريقان اما البيعة العامة ، أو استخلاف الخليفة ولي عهده ، فالاول هو الاصل والثاني متفرع عنه ، بشرط توفر شروط الخلافة فيمن يتولاها في كل من الحالتين ، وأما الارث فلا تجوز الخلافة به لان الوكالة لا تورث ، وذكروا طريقا ثالثا لاحراز الخلافة وهو طريق القهر والغلبة ، وذلك لا يكون بطبيعة الحال الا في الخلافة الصورية دون الحقيقية ، فاذا ثار عليه متغلب آخر وغلبه ينعزل الاول بتغلب الثاني

والخليفة لا يملك حق التصرف في أمور المسلمين بما فيه ضررهم أو ضرر أفراد منهم وان كان الضرر قليلا ، وتصرفه من هذا القبيل لا يعد معتبراً ولا نافذا فلو تصرف بشبر من الارض العامة لغير مصلحة يكون تصرفه لاغيا

والخلافة ليست مقصودة لنفسها بل تكون وسيلة لشيء آخر وهو الحكومة فالغاية منها توزيع العدل وصيانة الملة ، بل تلك هي الغاية من الشرع نفسه ، وانما استفحل ملك الاسلام يوم كان ينظر الى الشرع والامامة بهذا النظر ثم اضمحل الاسلام وأهله لما انصرفت الامامة عن واجباتها هذه الى ما يخالفها ، فغرق العالم الاسلامي في جهل كثيف وتولاه تعصب متعفن وكانت نتيجة هذا وذاك سقوط الملة الاسلامية في حمأة الفقر والسفالة

ومسؤولية الخليفة عظيمة ، بل ليس في الاسلام فرد مجرد من المسؤولية وقد ورد في الحديث « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالامام راع

وهو مسؤول عن رعيته »

اما ماورد في قانون الدولة العثمانية الاساسي من أن « السلطان مقدس وغير مسؤول » فانما اقتبسه العثمانيون من قوانين اوربا الاساسية وهو ينافي الشرع الاسلامي كل المنافاة، لانه ليس أحد من الناس مقدساً في حكم الشريعة الاسلامية. فالمقدس هو الله وحده، واذا كان في المخلوقات شيء مقدس فانما هي الحقوق لأنها أمانة الله بين يدي من يتولاها. فالامام اذا عبث بهذه الحقوق وظلم الامة فهو واقع تحت حكم الحديث الشريف «أشد الناس عذابا يوم القيامة امام جائر»

وأما الولاية العامة التي هي للامام (الخليفة) على المسلمين فانما هي ولاية تفويض ، فاذا خلع الخليفة أو تخلى عن منصبه سقط عنه حق الولاية العامة وعاد فرداً كأفراد الناس ، وهذا هو معنى السلطان الشعبي تماما

وما جاء في الكتب الاسلامية من وجوب نصب الخليفة فاذا نظروا فيه الى أن الامة لا يمكنها أن تتولى بجمهورها القيام بمهامها العامة فقضوا بتفويض هذه المهام العامة الى الامام او الخليفة ، وهم انما يريدون أن من الواجب على الامة الاسلامية ألا تكون بلا حكومة ، وهم يقولون في كتبهم إن المقصد الاصلي من نصب الامام انما هو سد الثغور وتجهيز الجيوش و قامة الحدود وقطع النزاع وفصل الخصومات واقامة الشعائر الدينية ، وهذا الامر كما يقوم به الامام العادل المدبر يمكن أن تقوم به (حكومة) مهما كان شكلها اذا كانت ذات أنظمة صالحة فالمقصود هو أن لا تضيع حقوق الناس وأن لا تختل مصالح الملة ، فالولاية العامة كما تكون للخليفة تكون للحكومة « المنتظمة العادلة »

وأخذ مؤلفو الكتاب يبرهنون على صحة غرضهم وهو أن الحكومة تقوم مقام الخلافة لان الخلافة انقطعت منذ أمد طويل والخلفاء الذين نعرفهم كلهم خلفاء صوريون غير حقيقيين بل ان الخلفاء العباسيين أيضاً كذلك ، وجعل مؤلفو الكتاب يردون على العلامة التفتازاني (انظر ص ٥٩) قوله في شرح العقائد النسفية: إن أهل الحل والعقد من أئمة الدين اتفقوا على خلافة آل

العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، واستدلوا من عدم رضا الامام أبي حنيفة بتولي وظيفة القضاء أنه كان خارجا على الخلافةالعباسية وغير معترف بها

ولما انتبهوا الى ما ثبت في التاريخ من ولاية الامامين أبي يوسف ومحمد القضاء للخلفاء المهدي والهادي والرشيد ، وهذان الامامان كاناصاحبي أبي حنيفة وعلى أقوالها قام مذهبه ، رجعوا فقالوا ان ذلك لا يدل على اعترافهما بالخلافة الحقيقية لهؤلاء الخلفاء — ونقلوا عن ابن الهمام في (المسايرة) أن قبول منصب القضاء والولاية من السلطان الظالم الفاسق جائز وصحيح ؟ ، وقد شحنوا عدة صفحات من كتابهم بانتقاص خلفاء الملة الاسلامية من اقدم الازمان الى الآن ولم يستثنوا غير الخلفاء الراشدين الاربعة وواحدا أو اثنين آخرين وسلبوا سائر خلفاء الاسلام كل مزية ليبرهنوا على أن الخلافة يجب أن تهمل وأن الخليفة يجب أن يسلب كل سلطة

ثم قالوا : بما أن الخلافة عقد وكالة فالامة لها عند البيعة أن تشترط على الخليفة ما تشاء فان قبل فذاك وإلا بايعت من يقبل شروطها ، هذا طريق ، وطريق آخر وهو أن يجرد الخليفة من كل شيء ويعهد بوظيفته الى أشخاص آخرين ، قالوا ولنا قدوة في التاريخ يوم تولى الملوك الادارة عن الخلفاء وجعلوهم لا يتدخلون في أمر ، ولا يتولون للامة عملا

قالوا (ص ٥٩) . وان فريقا من الناس في زماننا يترددون في تجويز تقييد الخليفة الى هذا الحد الذي تنفصل فيه السلطة عن الخلافة وهم مخطئون في ترددهم فان علماء مصر جوزوا ذلك ليس الآن بل قبل سمائة سنة حيث بايعوا المستنصر بالله العباسي بيعة صورية وكان الحكم والعمل في يد الظاهر بيبرس. وقد أقر ذلك العز بن عبد السلام من كبار علماء الشافعية . قالوا (ص ٦٠) . ومعلوم أن علماء الشافعيه لا يتساهلون في الامور الشرعيه كما تساهل الحنفية ومن الجواز أن تقول انهم وافقوا سلطان مصر على ذلك رياء فالعز بن عبد السلام من اشد العلماء صلابة في أخلاقه ودينه وتمسكا بعلمه اه

﴿ انتقاد المنار لكتاب خلافت وحاكميت ملية ﴾

هـذا ما لخصه قلم الترجمة لجريدة الاهرام من كتاب (خلافت وحاكميت ملية) لم نحذف منه الا بعض الجمل الاستطرادية للمترجم الذي فاته بعض المسائل المهمة منه، وما ارتآه في تعيين مؤلفيه بايعاز حكومة أنقرة التي نشرته

أما كون الكتاب قد نشرته (ادارة الاستخبارات التركية الرسمية) فانما نعلمه ولا نشك فيه وأما كون جامعه ومؤلفه فرداً أو جماعة فلا شأن له عندنا فاننا ننظر الى القول لا الى القائل ، واننا ننتقد أهم ما نراه في هذه الخلاصة منتقدا فنقول : —

(١) قولهـم « ان الخلافة ليست من مسائل الدين بل هي مسألة دنيوية وسياسية » ان أرادوا به أنها ليست من المسائل الاعتقادية المحضة لأنها عملية وليست من العبادات — بل هي من الاحكام الشرعية العملية التي يعبر الفقهاء عنها بالمعاملات — فقولهم يكون صحيحا لكنه لا يفيد ما يظهر أنهم قصدوه به وان كانْ هو اللائق باطلاعهم وان أرادوا به أنها من الامور الدنيوية المباحة التي لم يوجبها الدين الاسلامي فقولهم باطل باجماع المسلمين كما بين ذلك المتكلمون والفقهاء ، ولو ترجم لنا الكتاب كله لامكننا منه معرفة مرادهم ، قال صاحب جوهرة التوحيد :

وواجب نصب أمام عـدل بالشرع فاعلم لا بحكم العقل

(٢) تقسيمهم الخلافة الى حقيقية وصورية تقسيم مبتدع ، وانما قسمها علماء العقائد والفقه الى امامة حق وهي ما كانت على الوجه الشرعي من اختيار أهل الحل والعقد المستجمع للشروط — وامامة تغلب وهي ما يقابلها . وقد فصلنا ذلك في كتاب (الخلافة) والخلافة الحقيقية قد تكون كاملة كخلافة الراشدين ومن كان على هديهم كعمر بن عبد العزيز، وقد تكون ناقصة على تفاوت في النقص اذ بعضه يقرب من الكمال وبعضه يبعد عنه

وقد اشترطوا في الخليفة الحقيقي شروطاً لم يقل بها أحد من أهل السنة ككون

شفقته على جميع المسلمين كشفقته على بنيه وعدم انحرافه عن الشرع قيد ابملة ، ويقرب هذا من اشتراط بعض الشيعة فيه العصمة

(٣) قدفات ملخص الكتاب بالعربية أن يذكر زعم مؤلفي الكتاب ان الخلافة الحقيقية محصورة في الراشدين واستدلالهم على هذا بحديث « الخلافة بعد ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا » وحكمهم بصحته كما في (ص ١٣)

ونقول قد اشتهر هذا الحديث على الالسنة على عدم صحته لسببين (احدهما) أنه يذكر في دلائل النبوة وما كان كذلك لا يعنى العلماء عادة باعلاله اذ لا يخشى منه اثبات شيء باطل (وثانيهما) ان اعداء بني امية كانوا يقصدون به الطعن في خلافتهم فيروجونه لذلك . وقد ذكر معناه العلامة النسفي في كتاب العقائد واستدل له شارحها العلامة التفتازاني به باللفظ الذي جاء في كتاب (خلافت وحا كميت ملية) ثم قال : هذا مشكل لان أهل الحل والعقد من قد كانوا متفقين على خلافة الخلفاء العباسية وبعض المروانية كعمر بن عبد العزيز مثلا . ولعل المراد ان الخلافة الكاملة التى لا يشوبها شيء من المخالفة وميل عن المتابعة تكون ثلاثين سنة وبعدها قد تكون وقد لاتكون اه كلام السعد

وقال ملا احمد في حاشيته عليه ان الحديث اخرجه الترمذي في الفتن والنسائي في المناقب وابن حبان من حديث سفينة بألفاظ متقاربة واخرجه ابو داود بلفظ خلافة النبوة ثلاثون ثم يؤتي الله الملك من يشاء اه

اقول حديث سفينة رواه الامام احمد ايضا ولفظه عند غير أبي داود « ثم ملك بعد ذلك » ولم أره في النسائي . وقد انفرد به سعيد بن جهمان عنه عندهم كلهم وقال الترمذي حديث حسن قد رواه غير واحد عن سعيد بن جهمان ولا نعرفه الا من حديثه اه والصواب انه ضعيف وان وثق احمد سعيدا فقد ضعفه غيره والجرح مقدم على التعديل وقد بينوا سببه. قال يحي بن معين: روي عن سفينة احاديث لم يروها غيره وارجو انه لا بأس به وقال ابو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال البخاري في حديثه عجائب. وقال الساجي لا يتابع على حديثه.

وتصحيح ابن حبان وحده لا يعتد به لتساهله في التصحيح قال رواة الحديث قال سعيد : ثم قال سفينة أمسك خلافة أبي بكر - ثم قال وخلافة عمر وخلافة عثمان ، ثم قال أمسك خلافة علي - فوجدناها ثلاثين . قال سعيد فقلت له ان بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم - قال كذبوا بنو الزرقاء هم ملوك من شر الملوك. وليس في شيء من ألفاظ هذا الحديث « ثم تكون ملكا عضوضا » ولكن ورد هذا اللفظ في سياق حديث آخر غير حديث الخلافة ثلاثون سنة

ثم ان هذا الحديث على لفظه معارض بأحاديث صحيحة منها حديث « لا يزال هذا الدين عزيزاً الى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش » الخ رواه مسلم وأبو داود وغيرهما وهو في البخاري بلفظ « يكون اثنا عشر أميراً كلهم من قريش » وحديث مسلم « وستكون خلفاء فيكثرون » قالوا فما تأمرنا ؟ قال « فوا ببيعة الاول فالاول » وحديثه « يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيا لا يعده عدا » فما فسر السعد به حديث أسامة لا مندوحة عنه ، وقال بعضهم ان المراد بالخلافة فيه خلافة النبوة وهو لفظ رواية أبي داود والمراد بها الكاملة بزهد الخلفاء واعراضهم عن زينة الدنيا وعظمة الرياسة وهذا الكمال ليس بشرط لصحة الخلافة بل هو مزيد كمال فيها ولكن لا يقتضي ذلك أن تكون الخلافة بدونه صورية . فان معنى الخلافة رياسة الحكومة الاسلامية المستجمعة للشروط التي ذكرنا المجمع عليه منها عند اهل السنة ومنها كونه من قريش ، وما زاده مؤلف أو مؤلفو كتاب (خلافت ...) باطل أريد به باطل

(٣) أنهم أرادوا من ادعاء انتهاء أجل خلافة النبوة وصيرورة رياسة الحكومة الاسلامية ملكا ومن اشتراط كون الخليفة الحق كالنبي الذي يخلفه بغير فرق ومن اشتراط النسب القرشي فيه أن وجوده متعذر وان تعذره يجعل المسلمين في حل من نسخ الامامة الاسلامية العظمى واستبدال حكومة أخرى بها لا يكون رئيسها اماما للمسلمين ولا خليفة للرسول صلى الله عليه وسلم في سياسة الدنيا واقامة الدين ، وهو ما صرحوا به في الصفحة الثانية والعشرين

ونقول إن الخوف من مثل هذه الجرأة على العبث بالشرع والتلاعب بالدين هو الذي جعل بعض علمائنا العقلاء يشايعون اهل الجمود التقليدي على القول باقفال باب الاجتهاد فقد كنت أتكلم مع استاذنا الشيخ حسين الجسر في هذه المسألة فقال اننا نخاف من فتح هـذا الباب أن يدعي أهل الجرأة والجهل الاجتهاد ويروج ذلك لهم الحكام الظالمون ليفتوا لهم بما يوافق أهواءهم، وذكر لي مثلا على ذلك الشيوخ المقربين من السلطان عبد الحميد كالشيخ أبي الهدى الصيادى وقال ان السلطان كان يرغب في جعله منهم وأن يظل لديه في (المابين) وانهم عرضوا عليه أن يفتي في بعض المسائل التي يعتقد بطلانها فاعتذر وتنصل بلطف وألح في الاستئذان بالعودة الى بلده معتـذرا بأن الاقامة في الآستانة تزيد في مرضه الصدري المزمن ، فلما صدرت الارادة السنية له بالاذن ، كان كانه خرج من السجن وقد كانت شرا من السجن على محب الحق

ولـكن اقفال باب الاجتهاد لم يحل دون المفسدة التي كان يخشاها شيخنا رحمه الله تعالى فقد كان مشايخ الاسلام في الآستانة كمشايخ مصر وغيرها يفتون الحكام بكل ما يطالبون منهم الفتوى فيه بايراد نصوص مبهمة يتركون لهم الحرية في تطبيقها على النوازل بما يخالف الشريعة ، وأحدث هذه الفتاوى في عصرنا فتوى شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية لوزارة مصر بما جعلتـه حجة لارجاع ركب محمل الحج من جدة ومنعهم من أتمام النسك بعد الاحرام به ، والشيخان لا يبيحان هذا لو سئلوا عنه بخصوصه . وشر من هذه الفتوى وأضر فتوى شيخ الاسلام عبد الله دري افندي لحـكومة السلطان محمد وحيد الدين بأن جيش الاناضول المدافع عن استقلال الدولة عاص على الخليفة خارج عليه فيجب قتالهم ومن قتل في ذلك فهو شهيد ، وهو لم يذكر جيش الاناضول وانما ذكر عبارة مجملة عامة طبقتها الحكومة عليهم ، والتقليد أعون على هذه المفسدة من الاجتهاد ، فان الاجتهاد يبيح لـكل عالم أن يفند خطأ المخطئين بالدليل كما نعمل بالرد على مؤلفي كتاب (خلافت وحاكميت ملية)

أما قولكم انه يجب على المسلمين اقامة خليفة فهو صحيح وعليه أجمع اهل السنة ومن وافقهم من سائر الفرق المعتدلة كالزيدية — وقولكم ان الخليفة لا بد أن يكون من قريش صحيح أيضا ومجمع عليه عند اهل السنة كما نقلتموه عن كتب العقائد الشهيرة التي لا تزال تدرس في مدارس السلاطين في الآستانه وفي سائر بلاد الترك وغيرها

وأما قولكم ان وجود خليفة جامع للشروط والصفات متعذر — فهو باطل فان الشروط المذكورة في كتب العقائد والفقه كلها متوفرة في كثير من رجال قريش ولا سيما اذا جرينا على عدم اشتراط بعض الحنفية الذين يقلدهم الترك العلم الاجتهادي فحينئذ نقول لهؤلاء بم تطعنون في صديقكم السيد احمد شريف السنوسي ؟ ألستم تشهدون بأنه قرشي حسني تقي صالح عادل ؟ على أنه يوجد في علوية قريش من هم أهل للاجتهاد سواء ادعوه كصديقكم امام اليمن ام لم يدعوه تواضعا كالسيد محمود شكري الآلوسي البغدادي

وقد بينا لكم في كتاب الخلافة الطريقة المثلى لايجاد كثير من المستجمعين لشروط الخلافة ، وهو تأسيس مدرسة لتخريج المجتهدين في الشرع الاسلامي يختار لها بعض الطلاب من أذكياء العلويين لانه قلما توجد أنساب ثابتة لغيرهم من بطون قريش وهم أولى من غيرهم بهذا الامر إذا ساووا غيرهم في العلم والعدالة لان في المسلمين ملايين كثيرة تشترط النسب العلوي الفاطمي في الامامة العظمى فتجتمع بذلك كلمتهم مع اهل السنة الذين يكتفون بالنسب القرشي والاخص يستلزم الاعم ولا عكس . فان تعذر استجماع الشروط قبل تخرج من يتربون ويتعلمون في هذه المدرسة كما تقولون يكون نصب الخليفة الفاقد لشرط واحد أو شرطين للضرورة أولى من تعطيل هذا الفرض وازالة شكل الحكومة الاسلامية واستبدال شكل آخر به يتقيد فيه بشيء من الشروط ، بل هو الحتم اللازم

(٤) قولكم في هذا المقام : ولذلك لم ينكر العلماء المعاصرون للسلطان سليم عليه حمل الخليفة المتوكل على الله العباسي على التخلي له عن الخلافة —

لم نر له وجها شرعيا ولا عقليا — فعلماء الآستانة لم يكونوا أحرارا قادرين على معارضة السلطان سليم السفاك — وهم غير معصومين من الخطأ عمداء وليسوا ممن يحتج بقولهم فضلا عن سكوتهم ولو بغير عذر . ومثل هذا التعليل استدلال مصطفى كمال باشا بسكوت علماء مصر لحكومتها على نصب التماثيل — على كون صنعها ونصبها غير مخالف للشرع — فهو استدلال باطل سواء كانوا معذورين في السكوت أو غير معذورين فان منهم من يرى رجاء قبول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شرطا لوجوبه وهم متفقون على أن الخوف على النفس يسقط الوجوب عملا بحديث «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان» رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن من حديث أبي سعيد مرفوعا على أنه يجوز أن يكون من هؤلاء وأولئك من أنكر سراً أو جهراً ولم ينقل انكاره

(٥) قولكم : ولذلك لم يعبأ احد في العالم الاسلامي ولا في جزيرة العرب لادعاء الشريف حسين الخلافة و علاوة ذلك الخ نقول فيه — أولا — اننا لم نر للشريف حسين دعوى صريحة للخلافة علنا وطلب المبايعة عليها ، وانما قدم له بعض السوريين المسترزقين منشورا مصنوعا بالمبايعة من بعض أهل الشام فسر به بل بايعه بعضهم فعلا تقربا لفيصل في عهده ثم آخرون تقربا الى عبد الله من خدم حكومته . . . — وثانيا — وخطبه بعضهم بلقب أمير المؤمنين فسر به ورغب في تعميمه بقدر طاقته ، ولو ادعى الخلافة جهرا وصراحة لكلف أهل الحجاز مبايعته بها وأعلنها كما يعلنها ولده عبد الله في شرق الاردن — وثالثا — ان العالم اذا لم يعبأ بدعوة الشريف الخلافة على فرض وقوعها فلا يحتمل أن يكون لعدم اعتداده باجماع أهل السنة باشتراط النسب القرشي لها ولا لعدم احترامه للحرمين الشريفين ومن يتولى خدمتهما ، كيف وأنتم تلقبون خليفتكم الصوري أو الاسمي بخادم الحرمين الشريفين لانكم ترون هذا من لوازم الخلافة وان كانت دعوى خدمتهما باطلة ؟ — ولكن العالم الاسلامي يعتقد في جملته أن هذا الرجل آلة في يد أعداء الاسلام وخطر عليه وعلى الحجاز وأنه غير مستجمع

شروط الخلافة الكسبية التي يمتاز بها قرشي على قرشي — ورابعا — ان ارتفاع أصوات الاجابة لبيعة عبد المجيد أفندي « ولو بالقول على الاقل » كما قلتم لا يدل على ما تريدون وهو أن يشايعكم العالم الاسلامي على اقامة خلافة صورية مبتدعة لا يكون ممثلها رئيسا لحكومة اسلامية تقيم الشرع ، وسنبين وجهة نظر العالم الاسلامي في هذه المسألة في مقال آخر اذ لا يحتمله هذا التعليق

(٦) قولكم ان الخلافة غير مقصودة لنفسها بل وسيلة لشيء آخر هو الحكومة التي تقيم العدل وتصون لملة — الصواب فيه أن يقال إنها رياسة الحكومة الاسلامية التي تقيم العدل وتصون الدين وتحفظ استقلال الامة الاسلامية — لا أنها شيء آخر — فاذاً لا يجوز اسقاطها واستبدال شكل آخر من أشكال الحكومات بها — ويقال مثل هذا في قولكم ان الغاية التي ذكرتموها هي المرادة من الشرع نفسه أيضا . أعني أنه لا يجوز للمسلمين اهمال الشرع الاسلامي والاستغناء عنه بشرع آخر بدعوى انه وسيلة للعدل وحفظ الامة مثله ، ولو جاز هذا للمسلمين لجاز أن يقولوا إن المقصد من الدين نفسه تزكية النفس بعبادة الله تعالى وفعل المعروف وترك المنكر فلا بأس بطلب هذا المقصد باتباع دين آخر يقصد به هذه الغاية !! ان أقيستكم التي اتخذتموها أدلة لاسقاط حكومة الخلافة ونسخها بحكومة ما تسمونه الحاكمية القومية باطلة شيطانية تؤدي الى اباحة ترك الاسلام برمته وأنتم لا تشعرون بذلك

فان قلتم اننا نريد تقييد حاكميتنا الملية بالشرع الاسلامي — ولكن لما كان الخليفة مشترط فيه أن يكون قرشيا فنحن لا نرضى أن نجعل رئيسا لحكومتنا من ليس من نسبنا ، ولا أن نسمي رئيس حكومتنا التركي خليفة لان هذا تزوير على ديننا وقد قلنا ان كتب العقائد التي تقرأ في جميع مدارسنا الدينية مصرحة بالاجماع على اشتراط النسب القرشي في الخليفة (قلنا) اذا كان هذا رأي مجلس حكومتكم فليصرح به وليترك إقامة خليفة صوري ليس له في حكومته أمر ولا نهي فان هذا أبعد عن الشرع وأبعث على العبث به من جعله رئيسا لحكومة اذ رئيس

الحكومة إذا ادعى الخلافة مع فقد بعض شروطها تصح تسميته خليفة متغلبا وتجب طاعته على من يبايعونه الا في معصية الله تعالى بل على جميع من يتغلب عليهم وان لم يبايعوه. فاما الامام الحق المستجمع للشروط فيجب اتباعه على جميع المسلمين و يعد المتغلبون الذين يرفضون اتباعه بغاة يجب قتالهم عند الامكان وأما الخليفة الاسمي الصوري فان هذا اللقب لا يجعل له أدنى حق في طاعة أحد

(٧) ما ذكرنا في المسألة السادسة يغنينا عن اطالة القول في تفنيد كلامكم الذي زعمتم فيه أن ما ذكره العلماء من الواجبات على الخليفة من اقامة الحدود وفصل الخصومات، واقامة الشعائر، وتجهيز الجيوش .وغير ذلك يمكن أن تقوم به حكومة مهما يكن شكلها اذا كانت ذات أنظمة صالحة فنكتفي بأن نقول فيه : إن هذه الانظمة لا بد أن تكون موافقة للشرع وان تراعي أحكامه في رئيسها

(٨) ان ما عللتم به عدم قبول الامام أبي حنيفة لتولي القضاء وهوالخروج على الخلافة العباسية باطل لا يمكن اثباته بل كان خاضعا لحكمهم وامامتهم في صلاة الجمعة وسائر أحكامهم ، وقد علله غيركم بأنه كان مبايعا في السر لاستاذه الامام زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام ولم يثبت . وأما ما فرقتم به بينه وبين الامام أبي يوسف فهو من الترجيح بين المتساويين بغير مرجح

(٩) استدلالكم على جواز تجريد الخليفة من السلطة وجعل الخلافة صورية بما سبق له من المثل في التاريخ وسكت عنه العلماء من أظهر الاباطيل كما تقدم مثله في الكلام على سكوت علماء الآستانة للسلطان سليم ، ففي التاريخ ضلالات وظلم وكفر كثير . . .

فخلاصة القول في هذا الكتاب أنه يحرف أحكام الشرع في الحكومة الاسلامية و يزيد فيها وينقص. يثبت جواز جعل خليفة الرسول في أمته مرءوسا لحكومة لا أمر له فيها ولا نهي. ويشترط فيه أن يكون من بيت خاص من الشعب التركي بدلا مما أجمع عليه المسلمون من جعل الخليفة الحق من عشيرة

الرسول (ص) أو قبيله ، ولا يشترط فيه العلم بالشرع لانه لا دخل له في التشريع ولا في تنفيذ الشرع . وجواز جعل الحكومة الاسلامية شعبية أوقومية يكون التشريع فيها في كل شعب لجماعة منتخبة منه لا يشترط فيهم العلم بالشرع الاسلامي اجتهاداً ولا تقليداً . والعجب لمن يريد هذا كيف يجرأ على جعله إسلاميا ؟

بريطانية وبلاد العرب

معنى المعاهدة الجديدة في نظر الانكليز

عقدت جريدة « النيوستيسمان » الانجليزية المقال الآتي في مشرع المعاهدة العربية البريطانية فترجمته جريدة الاخبار ورأينا أن ننقله لاطلاع قرائنا على افكار الانكليز في قومنا وفي الملك حسين واولاده لعلهم يعتبرون. وهذا نص الترجمة:

ظاهر من الحوادث التي جرت في الاسابيع الاخيرة القليلة أن العلاقات بين بريطانيا العظمى والعالم العربي قد شارفت نقطة التحول ومماله دلالة خاصة على اتجاه التيار إتمام «الثالوث الشريفي» بترقية الامير عبدالله الى ما هو على الاقل شبيه بالعرش . ذلك أن السر هربرت صمويل في آخر مايو زار الامير في عاصمة عمان وأعلن أن بريطانيا العظمى تعترف بوجود حكومة مستقلة شرقي الاردن . ولا بد من موافقة عصبة الامم قبل أن يصبح هذا الاعتراف تاما ولكن هذا اجراء رسمي لن تقوم في سبيله صعوبة ما . على أن اعلان السر هربرت صمويل مفرغ في قالب الحيطة . فقد اقتصر على الاعتراف بعدّ الاردن كحكومة مستقلة واستخدم عبارة غامضة بعض الغموض لاتحتمل التحليل الدقيق وانما استدعى هذا الاحتياط ضرورات الحالة من جهة والانتداب لفلسطين من جهة أخرى . ذلك أن شرقي الاردن — الذي لا يتجاوز تعداد سكانه ٣٥٠٫٠٠٠ ولا مساحته سبعة آلاف ميل مربع — لا يكاد يستطيع في الوقت الحاضر أن يقف على قدميه وحده وهو لم يبلغ درجة يستطيع معها أن يستغني

عن المستشارين البريطانيين أو المعونة البريطانية التي تبلغ في السنة المالية ١٥٠,٠٠٠ جنيه انجليزي

وأما الانتداب فيشمل فلسطين قاطبة وفي جملتها شرقي الاردن وغربه على السواء وقد أعلن أن بعض نصوص الانتداب وبخاصة ما يتعلق منها بالوطن القومي لليهود لا ينطبق على عبر الاردن . والانتداب نافذ معمول به، وقد أبلغت بريطانية العظمى عصبة الامم في سبتمبر الماضي أن حكومة عبر الاردن ستظل سائرة تحت اشرافها العام (اشراف بريطانية) وعلى هذا فليس ثم استقلال تام في الوقت الحاضر على الاقل . ولكن هذا الاعلان الذي صدر (بالاعتراف بالاستقلال) له مغزاه على كل حال ، وهو يعني أن عبر الاردن مقدور له أن ينفصل عن فلسطين الغربية وأن يصبح دولة عربية تنظر جنوبا الى الحجاز وشرقا الى العراق (؟)

ولكن هذه ليست الا مرحلة واحدة في عملية كبرى لقد لمح السر هربرت صموئيل في خطابه تلميحا جليا الى أن المركز الجديد الممنوح للامير عبد الله يجب أن يفسر في ضوء المعاهدة التي توشك أن تعقد بين بريطانية العظمى ووالده الملك حسين . وهذه المعاهدة هي آخر حلقة في سلسلة من المعاملات يرجع مبدؤها الى ١٩١٥ فقد كان دخول الشريف في الحرب مسبوقا بمكاتبات طويلة غير حاسمة بين مكة والقاهرة وكانت آراء الشريف السياسية غامضة مضطربة ولكن الذي كان يتطلع اليه دون أن يستوضحه هو انشاء امبراطورية عربية بمساعدة بريطانية أو على الاقل اقامة اتحاد عربي يدور على محور شريفي ولم يدخل الميدان الا بعد أن ارتبطت بريطانيا العظمى بتعهدات مفرغة في لهجة بيانية أكثر منها سياسية ولكنها مشجعة كثيرا ولا ريب

أوهام الملك حسين

ولما أرادت بريطانية العظمى أن تصفي هذه التعهدات سارت على خطين

متوازيين فأنشأت من جهة كتلة من لدول الشريفية فاعترفت في ١٩١٦ بالشريف حسين ملكا للحجاز. ولما آن الاوان وجد فيصل عرشا في العراق، وقدمت الآن الدائرة العائلية باقامة عبدالله في شرق الاردن . ولكنه من جهة اخرى لا يزال على بريطانية العظمى أن تختم الحساب مع الملك حسين .

وقد هبطت بضاعة حسين هبوطا شديداً في ختام الحرب ولكنه كان بطيئا في احداث التلاؤم اللازم بين نفسه وبين مستوى السعر الجديد فظل عائشا في عالم من الاوهام، سابحا في بحر من الخيالات، وكانت المعونة التي تبذل له تبلغ مائتي الف جنيه في الشهر في أثناء الحرب ولكنها في ١٩٢٠ أنقصت حتى وصلت الى درجة الزوال وظل رافضا أن يتعاقد وذهبت بعثة الكولونل لورانس الى جدة ١٩٢١ ثم عادت تاركة كل شيء حيث كان . وفي أوائل هذا العام بدأت الحركة من جديد ووصل الى لندن عن طريق لوزان الدكتور ناجي الاصيل وهو آخر سلسلة طويلة من رسل الشريف ثم آب الى مكة بعد بضعة أسابيع يحمل في حقيبته مشروع معاهدة . ولم يرض المشروع الملك حسين تمام الرضى ومال بحكم عادته الى طلب المزيد . والملك حسين مشهور بأنه مساوم شديد، ولكنه قد يجد اذا تعنت أنه ضيع الفرصة، وأما اذا تغلبت المشورة التي عليها الحزم فليس ثم ما يمنع أن تكون المعاهدة مجهزة بعد قليل للتوقيع

وقد صارت نقط المعاهدة المهمة ملكا شائعا للجمهور . نعم إن لندن لم تصدر بها بيانا رسميا ولكنه بسبب الضغط الذي أوجدته سلسلة من الحماقات في مكة والقاهرة (١) نشرت حكومة فلسطين خلاصة رسمية منذ بضعة أسابيع. وفي هذه المعاهدة تتعهد بريطانية العظمى بأن تؤيد وتعترف باستقلال العرب في العراق وعبر الاردن وشبه جزيرة العرب. واذا أرادت لدول العربية أو واحدة

---

(١) يعني بهذا ما كتبه الملك حسين الى رئيس وفد فلسطين من ان بلادهم استقلت تحت سلطته وما قام به المصريون من الانكار على هذه المعاهدة بتضمنها للحماية على الحجاز والاحزاب السورية من الانكار على تضمنها للانتداب

منها « أن تدخل في اتحاد جمركي أو غيره بقصد تكوين اتحاد على مر الايام » فان بريطانيه العظمى تضع خدماتهـا تحت تصرفها. والغرض من باقي المعاهدة تنظيم العلاقات بين بريطانيه العظمى ومملكة الحجاز نفسها .

وهذا البرنامج المتواضع تواضعا نسبيا دون المشروعات الضخمة التي غصت بها الاحلام في أيام سنة ١٩١٥ الهادئة ! ولكن المعاهدة على هذا هي فاتحة مرحلة محدودة مهمة في تطورات السياسة البريطانية في الشرق الاوسط . ومعلوم أن بلاد العرب الداخلية مرجل يغلي وليس لبريطانية العظمى رغبة ما في غمس يديها أكثر ممـا لابد منه . ولكن لهـا (ابريطانية) على الحافة الخارجية للعالم العربي آمالا في انشاء طائفة من الدول المتمدينة تمدينا نسبيا يمكن أن تتكون منها على الزمن نواة صالحة لاتحاد عربي . والواقع أن للمعاهدة دلالتين : فمعناها من جهة أن بريطانية العظمى ستربط نفسها بعلاقات وثيقة دائمة مع الشعوب العربية ومعناها من جهـة أخرى أن بيت الشريف هو المحور الذي تدور حوله هذه العلاقات .

ثلاثة عروش قلقة

وقد قالوا في بعض الاحيان : إن بريطانية العظمى بمظاهرتها للشريف انما تراهن على غير الجواد الرابح . والجواب عن ذلك أنه قد يكون في الاسطبل أو لا يكون خير من هذا الجواد ولكن الميدان كان يخلو من الجياد . ولعل أبعث على الشك من ذلك أن يستطيع الشريفيون الجري الى آخر الشوط . وليس بين هذه العروش الشريفية الثلاثة عرش واحد قوي الدعائم غير قلق . وأقل ما يقال في مركز الامير عبـد الله إنه خطر . أما فيصل فمستورد كأخيه عبد الله ويزيد في ضعف مركزه أن عليه أن يرد مقاومة الشيعة لملك سني . أما الحسين فان ضراوته على السلب ضراوة صارت مثلا مضروبا في الشرق قاصيه ودانيه — لم تجمع حوله قلوب شعبه . وليس من الاسرار أن الامراء الشريفيين أنفسهم

ليس بينهم حب مفقود - أي إنهم لا يحب بعضهم بعضا - وليست العواطف السامية التي يتبادلونها علنا لسوء الحظ الا حجابا رقيقا يشف عن التحاسد والاسترابة المتبادلة . وقد بقي أن نعلم الى أي حد يستطيع حسين وأولاده أن يواجهوا خصومهم متحدين . وليس هؤلاء الخصوم بالذين يستطاع اغفال أمرهم ولا ينقص الحسين أن يتعلم فن تغريم الاجنبي وقد بدأنا نسمع التذمر من الجهات التي يعنيها أمر الحج ولا سيما مصر .

هذا وليس في قيام اتحاد عربي تكون مكة مركزه والشريف رأسه الظاهر ما يرتاح اليه العرب المسيحيون الذين لا يكتمون مخاوفهم الصحيحة . ولكن لبيت الشريف أعداء أقوى وأشد . ولقد استهدف هذا البيت اكثر من مرة منذ قيام الحرب لخطر تيار الوهابيه المتضخم ، فهناك في قلب بلاد العرب ابن السعود ذلك الرجل القوي البأس جار الحسين ومزاحمه الذي لا تلين قناته . نعم إنه الآن مقيد . ولكن من ذا الذي يسعه أن يضمن أن لا يصدع القيد متى الفى نفسه محوطا بطائفة من الدول الشريفية ؟ ومن جهة أخرى لا ينتظر أحد أن تستقبل فيها المعاهدة بحماسة شديدة ، وشرح ذلك أن الفرنسيين غير مطمئنين في سورية وليس من شأن المعاهدة أن تجعل مقامهم أسهل . ولا ينكر أحد أن لدمشق في الحركة القومية العربية دوراً لا يقل أهمية وخطرا عن دوري بغداد ومكة . ولا يكاد يعقل أن لا يكون لمنظر انتصار القومية العربية في الظاهر في منطقة النفوذ البريطاني رد فعل مقلق فيما وراء الحدود السورية . وسيحتاج الموقف الى الحذر في العلاج اذا أريد اجتناب التعارض مرة أخرى بين بريطانية العظمى وفرنسا في الشرق الاوسط

مدى المهمة وغايتها

هذه بعض المصاعب التي لا مفر من مواجهتها . وليس في الكشف عنها زراية على الغايات التي يراد من المعاهدة أن تؤدي اليها . ومن الخطأ أن تعد المعاهدة عبارة عن محاولة لتسكين هامة مكاتبات مكماهون فان لها سببا معقولا

يدعو الى عقدها . والحركة القوية العربية ليست في الوقت الحاضر الا زورقا ضعيفا تطوح به الامواج الى غاية غير محققة . ولكنها على ذلك حقيقة . ومن مصلحة التسوية الوطيدة أن يهتدي هذا الزورق المتخبط الى الميناء . وواضح جداً أن لبريطانية العظمى ربحا من وراء اقامة كتلة عربية يمكن اتخاذها في يوم من الايام لمواجهة قوات أخرى في العالم الاسلامي أقل ميلا الينا (بالود ليتأمل القاريء) ولعل هنالك من يطوون جوانحهم على آمال أوسع . ومن لا يزالون متعلقين بخيال الخلافة العربية . ومهما يكن من الامر فلا يسع أحداً الا العطف على مجهود حسن لاتاحة الفرصة للشعب العربي أن يجدد شبابه وأن يحيي التقاليد المجيدة التي هو وارثها ، ولكن المعاهدة ليست أكثر من صيغة من الالفاظ ولا يمكن أن تكون أكثر من ذلك ، وعلى العرب أن يخرجوا ما فيها الى حيز الوجود ، وسنرى الى أي مدى يستطيعون ذلك ، ولكن الحقائق القاسية التي تحيط بالموقف لا تشجع على التفاؤل المبالغ فيه اهـ

﴿ تعليق المنار على المقالة ﴾

نذكر قراء هذه المقالة الحرة الصريحة بأن يرجعوا الى التأمل في فحوى المسائل الآتية منها فقلما يجدون مقالة لبريطاني في مثل صراحتها :

(١) إتمام ما سماه الكاتب الثالوث الشريفي بترقية الامير عبد الله الذي هو الاقنوم الثالث منه الى عرش أو ما هو شبيه بالعرش على الاقل . وهذا ما سبقنا الى بيانه مرارا فقلنا : إن هؤلاء انما يعملون للدولة البريطانية ولانفسهم ويتجرون بالامة العربية فيبيعون بلادها للاجانب الطامعة بعروش وتيجان ، ثم لا يخجل اجراؤهم في سورية من البهتان علينا بأننا نطعن فيهم لانهم لم يعطونا وظيفة قاضي القضاة بمكة !! وهم يعلمون أن طريق الوظائف عندهم التملق لهم ومساعدتهم على أعمالهم التي نعد كل مساعد لهم عليها خائنا لامته . وهم يعلمون أيضا أن الامير عبد الله الذي استخدمهم قد صرح مرارا بأنه لا يتبع أهواء طلاب الاستقلال لسورية

ولاسيما حزب الاستقلال العربي الذي يبغضه أشد البغض لئلا يحرم من امارته التي يرجو توسيعها كما حرم أخوه فيصل من عرش سورية

(٢) ما قاله الكاتب الانجليزي في استقلال شرق الاردن الصوري أو اللفظي الذي أعلنه السر هربرت صموئيل اليهودي الصهيوني الانكليزي تحت نير الانتداب ، الذي صرح بأنه ليس باستقلال تام — والذي جعل عبد الله الحجازي مستخدميه فيه وزراء ووكلاء وزينهم بالالقاب الفخمة التي كانت تستعملها الدولة العثمانية أيام كانت مالكة لقلب الارض من أوربة وآسية وأفريقية: صاحب الفخامة — صاحب السماحة — صاحب الدولة — صاحب السعادة — هذه الالقاب التي صارت تستحي منها الدولة التركية الجديدة التي أكرهت الدول العظمى على تقرير معاملتها معاملة الند للند . . . وناهيكم بانعامه بلقب « باشا » التركي بغير حساب، وبأراضي البلاد على من شاء تمتعاً بأبهة الملك الكاذب في مملكة يقل عدد سكانها عن مدينة الاسكندرية ويقل دخل حكومتها عن دخل مزارع واحد في القطر المصري — هذا وأهل مصر من زعيمهم الاكبر سعد باشا زغلول الى تلاميذ المدارس الابتدائية يقولون: إن استقلالنا مزيف أو حماية مقنعة!!!

(٣) التصريح بأن آراء الشريف حسين المضطربة التي حملته على الارتباط بالدولة البريطانية يفهم منها على غموضها أنه يطلب أن تؤسس له بريطانية امبراطورية عربية أو دول اتحاد عربي يدور على محور شريفي. ونقول إن هذا أقوال [illegible] في مقررات النهضة التي قدمها الشريف حسين للانكليز ونشرها الشريف فيصل في جريدة المفيد بدمشق ففيها التصريح بالحماية الانكليزية لهذه الامة العربية القاصرة في حجر الدولة البريطانية. ولا نزال نبين لقومنا أن أساس حركة هؤلاء الشرفاء بيع البلاد العربية للانكليز بعرش أو عروش ولا يزال مع هذا يوجد فيهم منافقون وأجراء وأغرار يقولون: إنهم زعماؤنا الذين يسعون لاستقلالنا!!

[illegible] قال الكاتب الانكليزي ان دولته وفت الملك حسين بتعهداتها بانشائها [illegible] في مملكة العراق وشرق الاردن لاجل الغرض الذي بينه في آخر مقاله

(٤) تصريح الكاتب بأن ما نشرته حكومة فلسطين من خلاصة المعاهدة رسمي — وهذا ما صرحت به جميع جرائد لندن ، ولكن جريدة الملك حسين (القبلة) كذبت الخلاصة الرسمية لأنها أظهرت كذب بلاغ الملك حسين لفلسطين ولا تزال تكذبها ولا يزال يوجد في سورية وفلسطين من يصدق وريقة القبلة الساقطة التي فضحت الحجاز والعرب بكذبها وجهلها

(٥) تصريحه بأن المعاهدة تشتمل على تعهد دولته بتأييد استقلال العرب في العراق وعبر الاردن وجزيرة العرب . أي دون فلسطين خلافا لاقوال الملك حسين الرسمية التي ظهر كذبها لكل أحد حتى اضطر هو الى الاذعان له بعد عناد طويل اذ أرسل مندوبا بلغ أهل فلسطين أنه يساوم الآن على اقناع الدولة البريطانية بانشاء حكومة وطنية لهم أي في ظل الانتداب الظليل ، وحسبهم ان يرأسهم عبد الله بعد صموئيل ، الذي وعد الانكليز بأن يخمد لهم انفاس العرب في فلسطين ، بما ينكل برؤسائهم المعروفين ! على انه لايبعد ان يرجع عن وعد هذا المندوب ، كما رجع عن ذلك البلاغ المكذوب !

وأما أهل جزيرة العرب فانهم لا يقبلون تعهد انكلترة بتأييدهم، فان ذلك نص في أن لها الحق في التدخل في شؤونهم وادارة بلادهم ، فان قبله الملك حسين للحجاز فزوال ملكه من الحجاز أيسر من تنفيذه فيه وأقرب ، ولن يقبله سائر أمراء الجزيرة أصحاب القوة التي يتضاءل دونها ما عدا الغرور والكبرياء من حسين الذي سمى نفسه ملكا لهم ، وأباح لنفسه أن يعقد المحالفات على بلادهم بدون رأيهم، ولن يرضاه العالم الاسلامي الذي لكل فرد من أفراده حق مساواة الملك حسين في حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكن مأجوري الحجاز المنتصرين له في سورية يتملقون له ولولده عبد الله بزعمهم أن له الحق أن يتصرف في شعائر الله ومشاعر دينه بما يشاء وأن ينظر في حال الحجاج ويحاسبهم على ما في قلبهم فيأذن بالحج لمن شاء منهم ويمنع من شاء كما

صرح به مستأجرهم الامير عبدالله وأجازوه على ذلك بالرغم من دينهم الذي يدعونه

(٦) وصفه المعاهدة الجديدة بأنها مرحلة محدودة مهمة في تطورات السياسة البريطانية في الشرق الاوسط — فهو صريح في أنها تمهيد لمراحل أخرى في سياستهم ومطامعهم في بلادنا . ونحن قد فهمنا هذا فأنكرناه وبينا فساده وضرره لما يوجبه علينا ديننا وحقوق أمتنا، فدافع أمراء الحجاز عن أنفسهم بشتمنا في وريقتهم البذيئة التي سموها (القبلة) وأغروا بعض السفهاء بشتمنا أيضاء ولكن لم نجد أحداً منهم رد علينا ولا على الجرائد المصرية وغيرها بكلمة واحدة في الدفاع عن المعاهدة، ولا تزال الايام تصدقنا وتكذبهم ، وتؤيدنا وتفندهم

(٧) تفسيره لهذه السياسة البريطانية بآمالهم في انشاء طائفة من الدول العربية ذات حضارة نسبية أي لاحقيقية، وبأن الرشوة التي يرضون بها الشريف وأولاده هي جعلهم اياهم محور هذه الدول وقطب رحاها . فليتأمل القراء فحوى تأليف الدولة البريطانية لهذه الدول وهل هو لحب العرب أم لحب نفسها وتمكينها من استعمارهم ؟ وفحوى جعل مدنيتهم نسبية لا حقيقية أليس معناه أن يكونوا عالة على الانكليز طول حياتهم ؟ أليس هذا عين ما حذرنا العرب منه وأقمنا النكير على الملك حسين لقبوله مدنيًا وجعل اعلانه عيداً للامة العربية ؟ أليس من مصائب أمتنا أن يوجد عربي أو مسلم ينصر هذا الرجل ويدافع عنه ؟ بلى ولولا أن ثلاثة من أفضل فضلاء سورية كتبوا الي يقترحون الكف عن الانكار عليه ، وصرح واحد منهم بتحسين الظن به ، والرجاء فيه في اولاده ،لما اعتقدنا انه يوجد رجل ذو قيمة مغرور به، فانا لم نر في اسماء من ناضلوا دونه احدا من من أهل الفضل المعروفين ، بل كلهم من الجاهلين أو المجهولين ، والمنافقين المأجورين له أو للانكليز ولولا وريقة القبلة لما علمنا الا بأقل ما كتبوا فاننا نربأ بأنفسنا أن ننظر في شيء من تلك الصحف لما أمرنا الله تعالى به من الاعراض عن اللغو وعن الجاهلين

(٨) ليتأمل القراء جد التأمل كلامه في وصفه عروش الثالوث الشريفي

بالقلقة لضعف أقانيمه الثلاثة والشك في قدرتهم على تبليغ الدولة البريطانية مرادها من استخدامهم — وتشبيهه اعتمادها على الملك حسين بالمقامرة على الجواد الخاسر في السباق ، واعتذاره عنها بأنها لم تجد في الميدان غيره ، وإن كان يمكن أن يوجد في الاصطبل العربي جياد أخرى خير منه . فهو صريح في أنها لم تجد أحداً من زعماء العرب يرضى أن يكون مطية لها، لبلغها ما تطمع فيه من بلادها ؟ فطوبى لكم يا أنصار حسين بهذا الزعيم الذي تقولون إنكم لا تجدون غيره فقد تكلمتم بلسان بريطانية العظمى

(٩) كلامه في تحاسد الامراء الشريفيين وتباغضهم وكونه معروفا لم يبق سرا فيكتمه كرامة لهم، وان ستروه بتبادل ألفاظ العواطف السامية بينهم ، ويقول ان هذا هو الحق وان جهله أو تجاهله بعض أصحاب الآمال فيهم ، ولكن لا يجهله الانكليز المحيطون بجميع أسرارهم بما لهم من الجواسيس لديهم ، وجميع المعاشرين لعبد الله يعرفون شدة مقته لاخيه فيصل الذي انتزع منه عرش العراق بعد ان بايعه عليه المؤتمر العراقي بدمشق ، ويتربص به الدوائر لاسترجاع العرش منه ، ومما رواه لنا بعض المقيمين في عمان أن « ذا الاقبال الشيخ فؤاد الخطيب وكيل خارجية دولة الحجاز » مدح الامير عبد الله بقصيدة أنشدها بين يديه في (المقر العالي) نسيب أخدي الخطيب مدير البريد في مملكته فلما بلغ قوله فيها

تنازل عن ملك العراق كرامة وأفضل من عرش العراق تنازله

قال له الامير كذبت اني لم أتنازل، ومنعه من اتمام إنشاد القصيدة بل لم يلبث أن عزله

وأما ماسماه الانكليزي المجاملات باظهار العواطف الكاذبة فمثالها مارواه لنا هؤلاء عن زيارة الملك فيصل له من عهد قريب وهو أن كلا منهما كان يعبر عن الآخر بجلالة أخي، بل كان فيصل يزيد على ذلك قوله « سيدي » ...

(١٠) تأملوا أيها المسلمون حق التأمل وجد التأمل فيما يصرح به الانكليز من غرضهم من عقد المعاهدة مع الملك حسين ومما يسميه ويسمونه الوحدة

العربية وأعني به قول الكاتب السياسي الانكليزي :

«وواضح جدا أن لبريطانية العظمى ربحا من وراء إقامة كتلة عربية يمكن اتخاذها في يوم من الايام لمواجهة قوات أخرى في العالم الاسلامي أقل ميلا الينا بالود »

أليس هذا صريحا في أنهم يريدون جعل العرب جندا لهم يقاتلون به الترك والايرانيين عند الحاجة ؟ بلى ، ألِلعرب مصلحة في قتال الترك والايرانيين لتوطيد دعائم الاستعمار البريطاني ؟ اني لا أسأل هذا السؤال ذا الدين من المغرورين بالملك حسين وأولاده ، بل الملاحدة الذين لم تبق العصبية أدنى أثر للرابطة الدينية ولو سياسية في قلوبهم، أن يأتوني بمصلحة بينة للعرب في تكوين الانكليز لوحدتهم، وبنائها على عداوة الترك وجعلهم جندا للدولة الانكليزية يحاربون به هذا الشعب الحربي الباسل الذي ظلت أوربة تكيد له بالحرب وغير الحرب عدة أجيال ولم تستطع انتزاع سيادته من يده، فان جئتموني أيها الملاحدة بهذه المصلحة وأثبتموها بالحجة، ولم يبق لي من أسباب مخالفتكم الا حرصي على المودة الاسلامية — فانني أعذركم على اتباعكم لاغراء هؤلاء الحجازيين بذلك خدمة للانكليز الذين صرحوا لنا بأنهم لم يجدوا في هذا الميدان من اصطبل العرب الا الملك حسينا مع الشك في أن يوجد في الاصطبل غيره

ومن الانصاف حينئذ أن تعذروني في اتباعي لديني الذي يرشدني الى التأليف بين المسلمين عربهم وتركهم وفرسهم، كما أعذركم في عصبيتكم الجاهلية : على أني أعتقد عجزكم عن اثبات المصلحة أو نفي المفسدة في ذلك ، وعن اثبات زعمكم تفضيلي لمصلحة الترك على مصلحة العرب، وهل تستطيعون أن تأتوني برجل من أمتنا ناضل الاتحاديين الذين هضموا حقوق العرب كما ناضلتهم ؟ أو برجل منكم أو من غيركم خطأ الغازي مصطفى كمال في خطبته التاريخية التى ألقاها في المجلس الوطني بأنقرة كما خطأته فيما قاله عن العرب والخلافة وفي مسائل أخرى؟ أو برجل منكم أو من غيركم خطأه وحكومته في مسألة الخلافة الحاضرة وأقام من الدلائل الشرعية

الحكم الاجماعية على وجوب حصر الخلافة في قريش ما أقره على ذلك؟ أو برجل منكم وغيركم أقام ما أقمت من الادلة على كون الامة العربية هي لغة الاسلام ووجوب تعلمها على جميع المسلمين؟

نعم انني مع هذا لم أهضم الترك حقا لهم، ولم أنحلهم ما ليس لهم، وانني اقترحت عليهم التعاون مع العرب على اقامة الخلافة بالحق لاجل اعادة مجد الاسلام، مع استقلال كل من الشعبين . . . وانني أبذل جهدي في سبيل منع التعادي والشقاق بيننا وبينهم، وأرى الخطر علينا من ذلك أشد من الخطر عليهم، (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين * ولتعلمن نبأه بعد حين)

العرب في ايطالية

في القرون الوسطى

حضرة الاستاذ العلامة حجة الاسلام مفتي الانام السيد محمد رشيد رضا أيده الله ونفع به

جوابا على ملاحظتكم بشأن ما ذكرته في رسالة «العرب في سويسرة في القرون الوسطى» من كون العرب افتتحوا رومة، وقولكم أحقيقة أراد الكاتب بهذا أو مجازا لان العرب لم يفتحوا رومة ولا سلبوها . أقول

ورد في التواريخ أن العرب صعدوا الى رومة من مصب نهر التيبر واجتاحوا البلدة وأخذوا من كنيسة مار بطرس تابوتا من فضة ولكنهم لم يستقروا برومة ثم ان العرب كانوا يختلفون الى ضواحي رومة ويشنون الغارات فيها وفي احدى المرار اجتمع عليهم الاهالي فهزموهم فخاص منهم فئة الى البحر وفئة استؤصلت بالسيف وفئة من بقايا السيوف لاذت بمكان منيع هنالك وناضلت عن نفسها وبقيت تحمي نفسها الى أن وقع الصلح بينها وبين أهل البلاد ولاسباب مجهولة

عندنا تفاصيلها تركوها توطن تلك الارض فالآن على مسافة ٤٠ كيلو متر من رومة قرية اسمها « سارازينسكو » Sarrasinesco من اسمها يعرف أن أهلها أصلا مسلمون لان سارازينو معناه مسلم كما لا يخفى وليس الدليل على كون أهل هذه القرية عربا هو الاسم فقط بل حدثني الكونت كولالتو صاحب جريدة رومة الايطالية التي تصدر بالقاهرة وهو من جلة أدباء الطليان وفحول الكتاب أن أهالي قرية سارازينسكو هم الى يومنا هذا حافظون عاداتهم العربية وما كلهم العربية ولا يزالون يعزفون بآلات الطرب العربية مما لا يوجد عند قوم سواهم في ايطالية وان سحناتهم الى هذا اليوم سحنات العرب لا يمارى في ذلك من رآهم

ويوجد آثار للعرب فيما عدا رومة من بر العدوة الايطالية مثلا بلدة لوشيرة بين نابلي وكالابرة كان فيها الملك فريدريك هوشتافن الالماني في نحو السنة الالف والمائتين والخمسين الميلاد وكان عنده عسكر من العرب نحو ٢٠ الفا وآثار مساكنهم لا تزال الى هذه الساعة

وغير خاف أني أنا لم أقل أن العرب افتتحوا رومة ولا استولوا عليها بل انهم اكتسحوها . ومما يؤيد صحة هذه الروايات أنهم كانوا لرومة جيرانا مكاسرين بوجودهم بصقلية من جهة وبصردانية من أخرى ثم بنزولهم بجهات جنوى على ما ذكرت في رسالة « العرب في سويسرة »

واني أضيف الى ما ذكرت في تلك الرسالة شيئا اطلعت عليه في « صان ريمو » مؤخرا وهو أنني قرأت في دليل تلك المدينة البديعة التي هي اليوم من أبهى مشاتي أوربا أن العرب استولوا عليها في القرن العاشر (للميلاد) ولا عجب فان صان ريمو هي على مقربة من فراكسيناتوم التي هي أول بلدة نزل العرب بها في أوائل القرن العاشر حسبما تقدم في رسائلنا

ومما علمته مؤخرا من آثار العرب بايطالية أن في بلاد اسمها كالياري Cagliari في صردانية قرى كل من رأى أهلها وخالطهم علم أنهم عرب ونساؤهم لا يختلطن بالرجال في مجامعهم ولا يخرجن الا متنقبات الى هذا اليوم سمعته من ضابط

ايطالي من أركان الحرب الكبار كان أقام مدة بتلك الديار ومن بحث وجد للعرب في أوربا آثارا اكثر جدا مما روى المؤرخون

لوزان ١٢ مايو سنة ١٩٢٣ شكيب أرسلان

(المنار) قد أجاد أمير الكتاب وثبت التاريخ فيما أفاده وما يظهر لي منه وجه التعبير عن ذلك بالاكتساح

المطبوعات الحديثة

﴿ شرح الازهار ، المسمى بالمنتزع المختار ، من الغيث المدرار ﴾

كتاب الازهار في فقه الائمة الاخيار ، متن جامع في فقه الزيدية أو العترة النبوية ، لعلامتهم المتفنن الامام المهدي . وهو احمد بن مرتضى الحسين المهدوي الذي بويع بالامامة العظمى لما مات الامام صلاح الدين سنة ٧٩٣ وقد حدث عقب مبايعته احداث سجن فى اثنائها في قصر صنعاء ، وقيل في الدار الحمراء ، وكانت مدة حبسه سبع سنين الف في أثنائها متن الازهار ، وشرحه الغيث المدرار ، ثم خرج وذهب الى الامام الهادي واتفقا وتوادا وتم له الامر بعده ، قال العلامة المقبلي صاحب العلم الشامخ الامام المهدي هو الذي أخرج مذهب الزيدية الى حيز الوجود ، وقد شرح الازهار كثيرون من علماء اليمن المستقلين المجتهدين كالامام الشوكاني وسمي شرحه السيل الجرار ... والمقلدين كالعلامة أبي الحسن عبد الله بن مفتاح المتوفى سنة ٨٧٧ وسمي شرحه (المنتزع المختار من الغيث المدرار) فهو مختصر من شرح المصنف

فاما الامام الشوكاني فهو يذكر الاحكام بأدلتها ويقيم ميزان التعادل والترجيح بينها ، على طريقته في كتاب (نيل الاوطار) في فقه الحديث ، وأما ابن مفتاح فيعنى بتحقيق الراجح في مذهبهم ، ويذكر خلاف كبار علماء الامصار كالائمة الاربعة — أبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد — وقلما يخرج مذهب الزيدية

عن هذه المذاهب ، وانما يتحقق باربعة أصول العدل والتوحيد بالمعنى المشهور عن المنزلة فيهما والقول بامامة زيد بن علي (رضي) ووجوب الخروج على الظلمة

طبع هذا الشرح (المنتزع المختار) في العام الماضي مع حواشي عليه في أربعة مجلدات كبيرة ، طبع بمصر في عدة مطابع على نفقة ملتزمه (الشيخ علي يحيى اليماني) ووقف على طبعه وعني بتصحيحه صديقنا الشيخ عبد الواسع الواسعي اليماني فيحسن بالمتوسعين في علم الفقه ان يقتنوا هذا الكتاب ويطالعوه أو يراجعوه عند الحاجة

﴿ المناهج الطبية . لاتقاء الامراض الافرنجية ﴾

« كتاب ينطوي على أحدث الآراء والمباحث وفيه مايهم الاطباء والطلبة وما لاغنى عنه للعامة — تأليف الدكتور جورج صوايا المتخرج في الطب والجراحة في الجامعة الاميركية في بيروت وجامعة ماريلنه في بلطمور وجامعة هارفرد في بوطسن — والحاصل على شهادة الحكومة القانونية من جامعة بوانس ايرس »

كتاب ضخم فخم غزير العلم مؤلف من ثلاثة أجزاء صدر الجزء الاول منها في العام الماضي (١٩٢٢ م) مطبوعا طبعا حسنا على ورق جيد في أحدى المطابع العربية السورية في (بونس ايرس — الارجنتين) وهو خاص بداء السفلس المرض الافرنجي الحقيقي وقد بلغت صفحاته زهاء خمسمائة صفحة فصارت اللغة العربية غنية به في هذا الموضوع النافع فان الداء الافرنجي لايزال يفشو وينتشر في البلاد العربية بانتشار التفرنج وكثرة تداخل الافرنج في البلاد وإباحة الفسق تسهيل سبله في كل مكان يكثرون فيه أو يكثر مقلدتهم حتى أنه قد تضاعف في بلادنا السورية بعد الاحتلال الفرنسي فيها بكثرة الزنا والعهر والعياذ بالله من سوء العاقبة

فالدكتور صوايا قد خدم أمته العربية وبلاده بهذا الكتاب خدمة جليلة فاق بها جميع أطبائنا كما أنه يخدمهما بصدق وطنيته واستقلال سياسته اذ هو رئيس الحزب العربي الوطني في الارجنتين المعارض لكل احتلال واستعمار ، فنشكر له عمليه الطبي والسياسي ونرجو أن يكثر في أمتنا العربية وبلادنا السورية من أمثاله.

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى «ومنارا» كمنار الطريق

٣٠ ربيع الاول ١٣٤٢ — ١٦ العقرب ١٣٠٣ ه ش — ٩ نوفمبر ١٩٢٣

فتاوى المنار

﴿ أسئلة في حقيقة الخمر والسبيرتو وما يدخل فيه من أدوية وغيرها ﴾

(س٢٨ـــ٣٣) من الاستاذ الفاضل مولوي محمد شفيق الرحمن في بمبي (الهند)
وهو صاحب الفتوى التي نشرناها ورددنا عليها في ج ٩ م ٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نستعينه وكفى . وسلام على عباده الذين اصطفى

أما بعد فنظراً الى أمره تعالى العلماء بالبيان ، ونهيه عن الكتمان ، نرجو من فضيلة العلامة الفهامة السيد رشيد رضا، وفقه الله لما يحبه ويرضى، سيد الاحرار، المدير المسئول المنار ، أن يفيدنا الجواب الصواب ، عن الاسئلة المفصلة في ذيل هذا الكتاب ، فانا قد عزمنا بعد المناظرات (لاحقاق الحق وابطال الباطل ، واتفاق جمهور الفقهاء الافاضل) على أن ننشر الفتوى مع مالها وما عليها بقدر الضرورة وبحسب الامكان نشرا ، (لعل الله يحدث بعد ذلك امرا)

(الاسئلة مع أجوبة المنار)

(س ١) هل الملحقان الطبيان المذكوران في الجزء الاول للمجلد الرابع والعشرين من المنار يشهدان على دعوا كم أن السبيرتو ليس بخمر او على خلاف ذلك كما حققناه سابقا ، وسنزيد التحقيق لاحقا

ج ان الملحقين المذكورين صريحان على ايجازهما وقصورهما في أن السبيرتو يستخرج بالتقطير من المائعات السكرية ومن المواد السكرية والنشوية ومن القصب والخشب ، وانه كان في الابتداء يستخرج من النبيذ ولا يستخرج الآن منه ولا من غيره من الخمور لغلائها ورخص المواد التي يستخرجونه منها ، فهو مادة سمية توجد في الخمر وغيرها حتى العجين المختمر ولم يعده احد من الاشربة الخمرية ولا سماه خمراً ولا هو بنفسه معد للشرب لانه محرق . نعم اذا مزج بغيره من الاشربة على نسبة مخصوصة يصير ذلك الشراب مسكرا

فالخمر عند الحنفية ومن وافقهم من علماء اللغة هي عصير العنب اذا اشتد وغلا وقذف بالزبد وما عدا هذا من المسكرات ليس بخمر عندهم ولا له كل احكام الخمر ومقلدة الحنفية هم أكثر مسلمي الهند والترك والصين وما جاور هذه الشعوب . ونحن وان كنا نرجح ما عليه سائر علماء الشرع واللغة وهو أن كل شراب مسكر خمر لم يثبت عندنا أن السبيرتو من الاشربة — ولو ثبت أنه من الاشربة لسميناه خمرا ، على أننا نعتقد أن شربه محرم على كل حال ان امكن لانه ضار بل قاتل . ولكننا لا نعتقد أن الخمر نجسة ، ولا أن كل مافيه عنصر من عناصر الخمر من طعام وشراب ودواء وصبغ ودهان وطلاء يكون محرم الاستعمال ، فصبغة اليود من الادوية وطلاء الخشب المسمى « بالبوية » والعجين المختمر لا يسمى شيء منه خمرا لغة ولا عرفا ولا شرعا لا على مذهبنا الذي هو مذهب أهل الاثر وفقهاء الحديث ولا على مذهب أهل الرأي كالحنفية ولا في عرف أهل الطب والصيدلة . فالخلاف بيننا وبينكم في تسمية السبيرتو خمرا او عدم تسميته لفظي لاشأن له عندنا في المسألة المتنازع فيها وهي كون الطلاء المعروف في مصر والشام بالبوية الذي يدهن به الخشب نجس له احكام سائر النجاسات من تحريم دهن جدران

المساجد وخشبها به وسائر الاحكام المتعلقة بشروط الصلاة وغيرها — ولا فيما يشبه هذه المسألة من المسائل التي يستعمل فيها السبيرتو وقودا أومطهرا في الجراحة والطب وغير ذلك مما ليس بشراب متخذ للنشوة والسكر ، فالانتفاع به ليس مخالفا لمنطوق النص في تحريم الخمر ولا لفحواه، ولا منافيا لحكمة الشارع فيه، اذ لا يوقع العداوة والبغضاء بين الناس ، ولا يصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة .

(ص ٢) هل قول امامكم الاستاذ العلامة المفتي سابقا في الديار المصرية، والمصلح الكبير للراعي والرعية ، الشيخ محمد عبده رح (في ج م ص ٣٤٠ التفسير) صحيح عندكم مثبت خمرية السبيرتو واسكاره أم لا — نرجو مراجعة كتب الطب الجديد

(ج) ان ما أشار اليه السائل وهو مانقلناه عن شيخنا المذكور رحمه الله تعالى نص صريح فيما قلناه من أن السبيرتو ليس بخمر ولا بشراب من الاشربة التي تعد الخمر نوعا منها وإنما هو مادة سامة اذا ركبت مع غيرها من المائعات على نسبة مخصوصة يكون ذلك المركب مسكرا وهذا نص مانقلناه عنه من الدرس في الكلام على انتشار السكر في الفلاحين والخمور التي تباع لهم وللفقراء قال « وما هي بخمر جعلت للشرب وانما هي المادة المحرقة السامة التي تسمى السبيرتو يضاف اليها شيء من الماء والسكر أوغير ذلك مما يمكن من تناولها » فان قوله « وما هي بخمر جعلت للشرب » عين مانقوله ولكن السائل المركب منها ومن الماء والسكر وغيره الذي يصير شرابا مسكرا يسمى خمرا حقيقة أو مجازاً على الخلاف المشهور في ذلك ، بخلاف المركب غير السائل أو مالا يكون شرابا كالاعطار والادوية التي لايمكن شربها وانما تستعمل في الجراحة أو يؤخذ منها نقط معدودة في مائع آخر لا يصير بها مسكرا ولا ذريعة للسكر — والدهن والطلاء والعطر — فكل ذلك لا يسمى خمرا لغة ولا شرعا ولا في العرف العام ولا الخاص بالصيادلة والاطباء وسائر الفنون والصناعات . وقد وصف بعض الاطباء للاستاذ الامام نفسه صبغة اليود علاجا للرثية (الروماتزم) فكان يأخذ بضع نقط منها في نصف كوب من الماء قبل الطعام

كما وقع لو التزمنا من بعد ه. وكان يعلم أن صبغة تحلل بالسبيرتو فيدخلها قليل منه لا تكون به شرابا مسكرا ولا ذريعة للسكر وكان يتطيب بالاعطار الحديثة ولا سيما (الكولونيا) وأكثرها سبيرتو، بل أفتى بجواز اتخاذ الدواء الذي يدخل فيه نقط قليلة من الخمر نفسها اذا لم يصر ذريعة للسكر وقد نقلنا عنه في تفسير آية المائدة (ص ٨٩ ج ٧ تفسير — وص ١٠٢ م ١٨ منار) ما نصه : وقال شيخنا محمد عبده يشترط في التداوي بالخمر أن لا يقصد المتداوي بها اللذة والنشوة ولا يتجاوز مقدار الطبيب اه

هذا وإني قد فهمت من تعبيركم بكلمة إمامكم انكم تظنون انا طلاقنا هذا اللقب على الشيخ رحمه الله تعالى نريد به انا نقلده فيما يستنبطه أو يرجحه كما هو شأن سائر المقلدين مع شيوخهم وليس كذلك . وانما نعني بامامته أنه من العلماء المستقلين الذين يتحرون الحق ويأخذون بالدليل، وانه اذا ظهر له الحق اتبعه وعمل به، وهكذا كان أئمة الامصار، ونحن نتبعه ونتبعهم في ذلك ولا نأخذ بشيء من آرائهم وترجيحاتهم الا اذا ظهر لنا أنها الصواب. وكنا نراجعه في بعض المسائل التي يقولها أو يكتبها إذا رأيناها خطأ فكان إما أن يقنعنا بأنه مصيب وإما أن يرجع الى رأينا وهذه صفات الائمة المهديين . ولولا ما كان عليه من الاستقلال في العلم والدوران مع الحق كيفما دار، لما وصل الى تلك الدرجة العالية في دقة الفهم، وصحة الحكم، ولما اعترف له الجمهور الاعظم في بلاده وغيرها بهذه الامامة ، ولما رأينا كثيرا من العلماء المتخرجين في الازهر وغيره من المدارس الدينية وغير الدينية يتلقون عنه ويحضرون درسه مع الطلبة ، وقد نال هذا العاجز قبل اتصاله به اجازة التدريس (أو العالمية) قولا وكتابة من شيوخه في طرابلس الشام كالشيخ حسين الجسر الشهير وشيخ الشيوخ محمود نشابه ، ولكننا رأينا عنده ما لم نر عند غيره رحمهم الله أجمعين

(س ٣) هل ثبت عندكم ان المسلمين عموما والمصريين خصوصا مضطرون الى الخمريات في الحاجيات والمعالجات — بينوا لنا حقيقة الاضطرار وعموم البلوى والتعامل على ما في كتب الاصول مثل الموافقات وارشاد الفحول

(ج) قد ثبت عندنا ان المسلمين الذين يعيشون في البلاد التي نعرفها كمصر وسورية والاستانة لا يستغنون عن الاطباء والجراحين الذين يداوون أمراضهم ويؤاسون جروحهم ، وأن جميع الاطباء والجراحين يصفون الادوية المستحضرة بالسبيرتو أو الداخل في تركيبها و يستعملونه في التطهير من السموم وما يسمونه ميكروبات الامراض لانه قاتل لها . ويقولون إنه ضروري في بعض ماذكر وحاجي عمت به البلوى في بعض — فتطهير الايدي والآلات والاواني من بعض السموم والميكروبات الضارة قطعا لاظنا قد يكون بالسبيرتو وقد يكون بمحلول السليماني مثلا ولكن محلول السليماني لا يصلح لشيء من المعدنيات وانما يصلح للزجاج والفخار ، والصيادلة يؤيدون الاطباء بجزمهم بأن كثيرا من الادوية التي يصفونها لا يمكن تحضيرها إلا بالسبيرتو — فهو اذا ضروري في بعض الاشياء وحاجي في بعض آخر ، وكذلك الصناعات فهو في بعضها ضروري وفي بعضها حاجي وفي بعضها كمالي للزينة وان شئت قلت تحسيني كما هو اصطلاح الشاطبي في الموافقات والشوكاني في ارشاد الفحول وغيرهما. فان كنتم تعنون بالخمريات مايدخله السبيرتو الذي سميتوه خمرا فان من القطعي المعلوم عندنا بالضرورة أنه مما عمت به البلوى في الضروريات والحاجيات والتحسينات التي ترجع اليها أصول الاحكام الشرعية كلها على الوجه الذي شرحه الامام الشاطبي في الموافقات وأن في منع الناس منه وتحريمه عليهم حرجا عظيما وقطعا لمعايش من لا يحصى من الناس . ولكن هذه الاشياء التي نقول إنها قد عمت بها البلوى ليست من الاشربة المسكرة ولا من ذرائع السكر في شيء ، ولا وجه لتسميتها بالخمريات ، وسنبين معنى الضرورة والاضطرار وعموم البلوى ، في خاتمة هذه الفتوى

(س٤) هل يتعين شرب خمر عندكم في علاج الامراض كلها أو بعضها كما يتعين أكل الميتة في المخمصة (نرجوكم مراجعة فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (رح) في الخمر والعلاج)

(ج) لا يتعين عندنا ذلك ولا نحتاج فيه الى مراجعة فنحن جازمون بذلك في

الجملة في حالة السعة كالحال التي نحن عليها في مصر ولكن يحتمل أن توجد احوال قليلة يضطر فيها إلى شيء من الخمور لا يوجد مايقوم مقامها كأن يصاب مسافر أو رجل في قرية ليس فيها صيادلة بنوبة قلبية يخشى أن تفضي الى هلاكه كما قال الفقهاء فيمن غص بلقمة خشي هلاكه بها ولم يجد ماء ولا مائعا حلالا آخر فهذه نوادر ، وقد فصلنا القول في ذلك من قبل فراجعوا ص١٠١ — ١٠٣ من مجلد المنار الثامن عشر ولكم أن تضيفوه الى هذا الموضع فيما تريدون نشره على الناس ففيه بيان خلاف العلماء ومارجحناه فيه، وسيأتي له تتمة في بحث الاضطرار

(س٥) هل يجوز لمسلم الاستشفاء بخمر بعدما قال فيها ما قال الذي لا ينطق عن الهوى(ص) و بعد كون المسلم مجازا شرعا بين أن يترك العلاج و يتوكل على رب العالمين (الذي اذا مرضت فهو يشفين) (١) و بين أن يستشفي بالقرآن الذي هو شفاء و رحمة للمؤمنين أو بماء زمزم أو بالعسل أو بالادعية المناسبة المأثورة ، أو الادوية الطاهرة المشهورة

(ج) لايجوز شرب الخمر لاجل التداوي بها من ضعف المعدة وما اشبهه في حال الاختيار كما بيناه في فتاوى سابقة وخاصة ماأشرنا اليه في جواب السؤال الذي قبل هذا . واننا نراكم مخطئين في قولكم إن المسلم مجاز (مطلقا) بأن يترك التداوي توكلا أواستغناء عنه بالاستشفاء بالدعاء أوالقرآن أو العسل أو ماء زمزم، ولاغرو فقد غلط بهذا قبلكم بعض الصوفية والفقهاء وسنبين الحق في هذا بكتابة مقال خاص ننشره في المنار ان شاء الله تعالى

(س٦) هل يجوز لعالم يقتدي به أهل الاسلام أن يعلن جهارا للخاص والعام بأن اعلج (لعله عالج) امه السيدة المسكينة بالخمر الخبيثة اللعينة (الكنياك وهو البراندي)

ونسأله تعالى أن يديم لنا ولكم التوفيق والهداية، وفي هذا القدر كفاية، والسلام

---

(١) المنار: هكذا الاصل وكان ينبغي أن يكتب : الذي قال حكاية عن خليله ابراهيم (واذا مرضت فهو يشفين)

(ج) لا يجوز اطلاق القول بأنه عالج أمه ولا غيرها بشرب الخمر مطلقا أو شرب نوع معين آخر منها كالكونياك لانه يفضي إلى الاقتداء به . وأخشى أن يكون في سؤال الكمنليس بأن نمدوا بعض الادوية التي يستعان على تحضيرها وتركيبها بالسبيرتو خمراء وتجعلوا حكمها وحكم الشراب المسكر واحداء فأحببت التذكير بذلك

خلاصة وجيزة في أصل موضوع هذه الفتوى

إن أصل الخلاف بيننا وبين أخينا الشيخ محمد شفيق الرحمن كان في مسألة الطلاء المعروف الذي تطلى به جدران البيوت وخشبها فتكون صقيلة جميلة لا تؤثر فيها الرطوبات والاقذار كما تؤثر في الاجسام ذات المسام الواسعة فتطول مدتها نظيفة ويسهل تنظيف ما يصيبها من الوسخ . أفتى الاستاذ بنجاسة هذا الطلاء وبتحريم طلي جدران المساجد وخشبها به معللا ذلك بأنه يعالج بالمادة المعروفة بالسبيرتو وبالكحول، مدعيا أنها خمر، وان كل خمر نجسة، وكل مايدخل فيه شيء من السبيرتو نجس وان لم يكن شرابا البتة كطلاء البيوت، وقد سألنا بعض اخواننا مسلمي الهند عن هذه الفتوى فأفتينا بأنها خطأ وأقمنا على ذلك من الدلائل ما رآه القراء في الجزء التاسع من المجلد الثالث والعشرين

وقد جاء بعد سنة أو اكثر يحاول إبطال بعض تلك الدلائل وإثبات فتواه من وراء البحث في تحريم شرب الخمر والتداوي بها . . . . فأرسل الينا هذه المسائل فرأينا بعد أن أجبناعنها بالايجاز أن نوضح الموضوع بخلاصة مختصرة مفيدة لمن عقلها مفصلة فنقول وبالله التوفيق :

(١) إن الله تعالى قد حرم الخمر لانها مسكرة ولان السكر مضار كثيرة بين الكتاب أهمها اجمالا وتفصيلا . وانما حرمها البتة في آخر مدة تبليغ الرسالة ومهد لذلك تمهيداً بعد تمهيد لما كان من افتتان الناس بها، واقتضاء الحكمة التدريج في تحريمها . ومن المقرر عند الفقهاء أن علة تحريمها اسكارها وأن السكر هو المحرم لذاته — ولكن لما كان شرب القليل غير المسكر مدعاة لشرب الكثير وذريعة له

حرم القابل أيضا مطلقا على ما في هذا من الخلاف المعروف

(٢) لم يقم دليل صحيح على نجاسة الخمر ولا على كون نجاستها سببا لتحريمها فانها ليست من النجاسات والاقذار في عرف أهل لغة الشرع بل كان العرب يعدونها من الطيبات وكانوا يسمونها الطيبة (بالتخفيف) ويقولون في أصفاها « طيبة الخمر » ولو كانت من النجاسات في عرفهم أو في عرف الشارع لجعل ذلك أول وسائل التدريج في تحريمها بأن يأمر النبي (ص) قبل تحريمها بأن يغسل كل عضو أو إناء أو ثوب تصيبه الخمر ولم يرد أنه أمر بذلك قبل التحريم ولا بعده ، ولو أمر بذلك لتوفرت الدواعي على نقله بالتواتر والاستفاضة، وقد كانت الحاجة اليه شديدة عند نزول آية المائدة واهراق المسلمين لما كان عندهم من الخمر حتى كانت تجري في شوارع المدينة كالسيل فكان الناس عرضة لاصابة أبدانهم وثيابهم بشيء منها عند اهراقها وفي أثناء السير في الشوارع التي كانت تجري فيها

(٣) من المعلوم بالاختبار وبالنصوص أن من الناس من يميل بطبعه الى المبالغة والافراط في الدين وفي غيره ، ومنهم من يميل الى الاغماض والتفريط ، ومنهم يميل الى الاعتدال. ولكل من هذه الحالات الثلاث درجات ، فالمبالغة في اجتناب المحظورات تقتضي اجتناب المشتبهات تورعا واحتياطا وهذا محمود ومندوب شرعا ، وقد تفضي الى اجتناب المباحات تحرجا وتأثما فتكون غلوا مذموما ، والاغماض فيها يدعو الى الخوض في الشبهات ، وقد ينتهي الى الاحتيال على ارتكاب المحرمات ، أو تأويل النصوص الواضحات ، أو معارضتها بالاقيسة والتعليلات الباطلات ، ويكثر هذا التفريط في حشوية المتفقهة الجامدين ، وذاك الغلو في المتصوفة الجاهلين .

والتحقيق أن كل حيلة تخالف نص كلام الله تعالى أو كلام رسوله (ص) أو تفضي الى فوات ما شرع له الحكم من مصلحة أو دفع مفسدة — فهي باطلة وكذا كل تأويل وقياس يخالف المتبادر من النصوص من غير حجة شرعية أو

ينافي غرض الشرع وحكمته . وان المذهب الوسط الحق هو المحافظة على النص وما علم من قصد الشرع وحكمته منه جميعا ، وهو في مسألة الخمر أن لانشرب شرابا مسكرا وان لا نتوسل الى السكر بالتداوي ولا بالاخذ بظواهر فلسفة الذين قالوا إن الخمر المنهي عنها لذاتها لاتكون الا من عصير العنب فهي التي تحرم منها النقطة الواحدة وما عداها من المسكرات لايحرم منه الا القدر المسكر أو الحسوة الاخيرة التي يحصل بها السكر — وان لا نغلو فنحرم استعمال الادوية والاعطار والادوية والادهان والاصبغة والاطلية التي يدخل في صنعها أو تحضيرها المادة الي علم من فن الكيمياء الحديث أنها توجد في تركيب الخمر وهي علة الاسكار فيها وان لم تكن هذه الاشياء أشربة تتخذ للسكر أو يتوسل بها اليه ، فان هذا غلو لا يطالب دين الفطرة والحنيفية السمحة به احدا — فهذا دين عام للبدو والحضر وقد ظهر في أمة كانت أمية فهو سهل لا تعقيد فيه ولا عسر ولا حرج . أو ليس من الغلو والحرج والعسر وقلب الحقائق أن نحرم على أهله منافع كثيرة في طبهم وطبهم وجراحتهم وصيدلياتهم وصناعاتهم وعمرانهم بحشرها كلها في تحريم السكر وشرب الخمر وهي ليست منها مقصدا ولا وسيلة ؟؟

(٤) إن من استقرأ جميع ما في القرآن الحكيم من الآيات المنزلة في الطهارة وجميع مافي دواوين السنة السنية من الاحاديث الواردة فيها يجد خلاصتها أن النظافة مشروعة في هذا الدين ، وأن الله تعالى يحب المتطهرين من الاقذار الحسية ، كما يحب التوابين عن المعاصي وهي الاقذار المعنوية ، وان الطهارة قسمان إيجابية كالوضوء والغسل . وسلبية وهي التنزه عن التضمخ بالاقذار ، وما يترتب عليه من إزالة ما يطرأ منها على البدن والثوب والمكان ، ويكره الغلو والتنطع فيها كغيرها ، ولا يوجد في هذه النصوص دليل قطعي على كونها شرطا لصحة الصلاة وفاقا لمذهب الامام مالك وأطال الشوكاني في تحقيق ثبانه في نيل الاوطار . والنجس الحسي في اللغة وهو القذر الشديد القذارة الخبيث الرائحة وأشده غائط الانسان وبوله ولم يرد في الكتاب ولا في السنة بيان لانواع النجاسات والامر

بغسلها بل تركها الشارع الي عرف اللغة . وقد صح مع ذلك أنه (ص) أمر بنضح بول الغلام بالماء. ولذلك قال بعضهم بعدم نجاسته شرعا مع العلم بأنه نجس لغة وغلط بعض الفقهاء في تعليل الامر بنضحه بأنه رقيق أي ضعيف القذارة وهذا مخالف للحس ولكن الحق أن الطهارة الشرعية لا يشترط فيها زوال العين والاثر البتة . وقد شدد بعض الفقهاء كالشافعية في تطهير النجاسات حتى جعلوها كتطهير الاطباء للمواد السامة وجراثيم الامراض والاوبئة، وتساهل بعضهم عملا بظواهر النصوص الواردة في نضح بول الغلام ودم الحيض والصلاة في النعال والاكتفاء بدلكها بالارض اذا رؤي عليها عين النجاسة ، وافتاء النبي (ص) بعض النساء بأن الارض الطاهرة تطهر الذيل الذى يجر على النجسة كما شدد بعضهم في جعل التطهير محصوراً في الماء ، ويسر بعضهم فجعل مدار التطهير علي ازالة القذارة ولو بالصقل أو انقلاب العين ، وهذا هو اللائق بدين الفطرة ويسره ، وليس في العمل به مخالفة لنص الشارع ولا للمراد من الطهارة وليس تطهير الابدان والاشياء من الاقذار أمراً تعبديا ولذلك لم يشترط أحد في صحته وإجزائه النية

وأما هذه الشدة والعسر والحرج الذي ذهب اليه بعض المعاصرين كالاستاذ شفيق الرحمن في مسألتنا فهو قلب للحقائق لانه يجعل الطيب قذراً ، وأشد المطهرات إزالة للنجاسة نجسا ، فان الاعطار الذكية الذي هي من مستحضرات السبيرتو قد عمت الامصار والاقطار ، ويستعملها اكثر المسلمين كغيرهم في هذه الديار ، لرخص ثمنها ، ولانها تستعمل للتطيب وللتطهير الحسي كازالة الاقذار والتطهير الطبي من جراثيم الاوبئة والامراض ، فبأي حجة تقلبون حقائق اللغة التي جاء بها الدين ، وتقلبون مقاصد الشرع الذي يحب للمؤمنين الطهارة والطيب ، ويكره لهم النجاسة والخبث ، فتجعلون الاعطار الذكية المطهرة من النجاسات التي أوجب الله تطهيرها ؟ وهي ليست أشربة مسكرة ولا ذريعة للسكر ، ثم إنكم تقرؤن في كتب فقهائكم مالا نحب اعادة ذكره من تعريف الخمر والفلاسفة في

القدر المسكر مما ذكرناه في الفتوى الاولى ؟

(٥) إن هذا السبيرتو مما عمت به البلوى في أكثر بلاد الحضارة لما تقدمت الاشارة اليه من أنواع استعماله في الوقود والتطهير والصيدلة والطب والصناعة ، حتى صار بعضه ضروريا وبعضها حاجيا أو تحسينيا ، ولو حكم على الناس في مصر مثلا بترك كل ما يدخل فيه السبيرتو لوقع الناس في حرج عظيم وتعطلت أعمال ذات منافع عظيمة » ، وإننا نبين هنا حقيقة الضرورة والاضطرار وعموم البلوى بأقوال أشهر العلماء الاعلام من المذاهب المشهورة المتبعة

الاضطرار والضرورة المبيحة للمحظور

الاضطرار افتعال من الضرر أو الضرورة فهو وقوع الضرورة أو تكلف ما يضر بملجيء يلجيء اليه وقد حققنا هذا وبينا الضرورة الشرعية في تفسير (فمن اضطر في مخمصة) من أوائل سورة المائدة بالتفصيل (ص ١٦٧ و ١٦٨ ج ٦ تفسير) وقد اطلعنا أخيرا على كتاب أحكام القرآن للامام أبي بكر احمد بن علي الرازي المشهور بالجصاص المتوفى سنة ٣٧٠ وهو من أئمة الحنفية فألفيناه قد شرح مسألة الاضطرار شرحا تاما فرأينا أن ننقل هنا ما يتعلق بموضوعنا منه وهو قوله (في ص ١٢٦ ج ١) المطبوع في الاستانة :

قول الامام الجصاص الحنفي

قال في باب ذكر الضرورة المبيحة لا كل الميتة من تفسير سورة البقرة ما نصه « قال تعالى (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه) وقال في آية أخرى (وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه) وقال (فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم) فقد ذكر الله تعالى الضرورة في هذه الآيات وأطلق الاباحة في بعضها بوجود الضرورة من غير شرط ولا صفة وهو قوله (وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه) فاقتضى ذلك وجود الاباحة بوجود الضرورة في كل حال وجدت الضرورة فيها » ا هـ

وبعد ان أطال في تفسير (غير باغ ولا عاد) واختلاف الشافعية مع الجمهور

فيه قال في أول ص ١٢٩ وما يليها مانصه :

« ومعنى الضرورة ههنا هو خوف الضرر على نفسه أو بعض أعضائه بتركه الاكل وقد انطوى تحته معنيان (أحدهما) أن يحصل في موضع لا يجد غير الميتة (والثاني) أن يكون غيرها موجوداً ولكنه أكره على أكلها بوعيد يخاف منه تلف نفسه أو تلف بعض أعضائه وكلا المعنيين مراد بالآية عندنا لاحتمالها وقد روي عن مجاهد أنه تأولها على ضرورة الاكراه ولانه اذا كان المعنى في ضرورة الميتة ما يخاف على نفسه من الضرر في ترك تناوله وذلك موجود في ضرورة الاكراه وجب أن يكون حكمه حكمه ولذلك قال أصحابنا فيمن أكره على أكل الميتة فلم يأكلها حتى قتل كان عاصياً لله كمن اضطر الى ميتة بأن عدم غيرها من المأكولات فلم يأكل حتى مات كان عاصياً كمن ترك الطعام والشراب وهو واجدها حتى مات فيموت عاصياً لله بتركه الاكل لان أكل الميتة مباح في حال الضرورة كسائر الاطعمة في غير حال الضرورة والله أعلم

باب المضطر الى شرب الخمر

«قال أبو بكر: وقد اختلف في المضطر الى شرب الخمر فقال سعيد بن جبير: المطيع المضطر الى شرب الخمر يشربها وهو قول أصحابنا جميعاً. وانما يشرب منها مقدار ما يمسك به رمقه اذ كان يرد عطشه وقال الحارث العكلي ومكحول : لا يشرب لانها لا تزيده الا عطشاً ، وقال مالك والشافعي : لا يشرب لانها لا تزيده الا عطشا وجوعا ، وقال الشافعي : ولانها تذهب بالعقل ، وقال مالك : انما ذكرت الضرورة في الميتة ولم تذكر في الخمر » قال أبو بكر في قول من قال إنها لا تزيل ضرورة العطش والجوع لا معنى له من وجهين (أحدهما) أنه معلوم من حالها أنها تمسك الرمق عند الضرورة وتزيل العطش ومن أهل الذمة فيما بلغنا من لا يشرب الماء دهرا اكتفاء بشرب الخمر عنه فقولهم في ذلك غير المعقول المعلوم من حال شاربها (والوجه الآخر) أنه ان كان كذلك كان الواجب أن

نحيل مسألة السائل عنها ونقول: إن الضرورة لا تقع الى شرب الخمر. وأما قول الشافعي في ذهاب العقل فليس من مسئلتنا في شيء لانه سئل عن القليل الذي لايذهب العقل اذا اضطر اليه. وأما قول مالك إن الضرورة انما ذكرت في الميتة ولم تذكر في الخمر فانها في بعضها مذكورة في الميتة وما ذكر معها وفي بعضها مذكورة في سائر المحرمات وهو قوله تعالى (وقد فصل لكم ما حرم عليكم الاما اضطررتم اليه) وقد فصل لنا تحريم الخمر في مواضع من كتاب الله في قوله تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير) وقوله تعالى (قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم) وقال (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) وذلك يقتضي التحريم والضرورة المذكورة في الآية منتظمة لسائر المحرمات وذكره لها في الميتة وما عطف عليها غير مانع من اعتبار عموم الآية الاخرى في سائر المحرمات ومن جهة أخرى أنه اذا كان المعنى في اباحة الميتة احياء نفسه بأكلها وخوف التلف في تركها وذلك موجود في سائر المحرمات وجب أن يكون حكمها حكمها لوجود الضرورة والله أعلم اه

قول الامام أبي بكر بن العربي المالكي المتوفى سنة ٥٤٢

قال في أحكام آية البقرة من تفسيره (أحكام القرآن) بعد تحقيق معنى الاضطرار بنحو مما تقدم أو أوضح — ومداره على اتقاء الضرر — ما نصه:

(المسألة التاسعة) هذا الضرر الذي بيناه يلحق اما باكراه من ظالم أو بجوع في مخمصة أو بفقر لا يجد فيه غيره فان التحريم يرتفع عن ذلك بحكم الاستثناء ويكون مباحا فاما الاكراه فيبيح ذلك كله الى آخر الاكراه. وأما المخمصة فلا يخلو أن تكون دائمة فلا خلاف في جواز الشبع منها، وان كانت نادرة فاختلف العلماء في ذلك على قولين (احدهما) يأكل حتى يشبع ويتضلع قاله مالك، وقال غيره يأكل على قدر سد الرمق وبه قال ابن حبيب وابن الماجشون لان الاباحة ضرورة فتتقدر بقدر الضرورة. وقد قال مالك في موطئه الذي ألفه بيده وأملاه على أصحابه وأقرأه وقرأه عمره كله: يأكل حتى يشبع. ودليله أن الضرورة ترفع التحريم فيعود مباحا ومقدار

الضرورة انما هو من حالة عدم القوت الى حالة وجوده حتى يجد وغير ذلك ضعيف

(المسألة العاشرة) من اضطر الى خمر فان كان باكراه شرب بلا خلاف وان كان لجوع أو عطش فلا يشرب و به قال مالك في العتبية، قال ولا يزيده الخمر الا عطشا. وحجته ان الله تعالى حرم الخمر مطلقا وحرم الميتة بشرط عدم الضرورة، ومنهم من حمله على الميتة، وقال أبو بكر الابهري ان ردت الخمر عنه جوعا أو عطشا شربها وقد قال الله تعالى في الخنزير انه رجس ثم أباحه للضرورة وقال تعالى أيضاً فى الخمر انه رجس فتدخل في اباحة ضرورة الخنزير بالمعنى الجلي الذي هو أقوى من القياس ولا بد أن تروي ولو ساعة وترد الجوع ولو مدة

(المسألة الحادية عشر) اذا غص بلقمة فهل يجيزها بخمر أم لا ؟ قيل لا يسيغها بالخمر مخافة أن يدعي ذلك ، وقال ابن حبيب يسيغها لانها حالة ضرورة وقد قال العلماء من اضطر الى أكل الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل دخل النار الا أن يعفو الله تعالى عنه، والصحيح أنه سبحانه حرم الميتة والدم ولحم الخنزير أعيانا مخصوصة في أوقات مطلقة ثم دخل التخصيص بالدليل في بعض الاعيان وتطرق التخصيص بالنص الى بعض الاوقات والاحوال فقال تعالى (فمن اضطر غير باغ ولا عاد) فرفعت الضرورة التحريم ودخل التخصيص أيضا بحال الضرورة الى حال تحريم الخمر لوجهين (احدهما) حملا على هذا بالدليل كما تقدم من انه محرم فأباحته الضرورة كالميتة (والثاني) ان من يقول إن تحريم الخمر لا يحل بالضرورة ذكر أنها لا تزيده الا عطشا ولا تدفع عنه شبعا فان صح ماذكره كانت حراما وان لم تصح وهو الظاهر أباحتها الضرورة كسائر المحرمات وأما الغاص بلقمة فانه يجوز له فيما بينه وبين الله تعالى وأما فيما بيننا فان شهدناه فلا يخفى بقرائن الحال صورة الغصة من غيرها فيصدق اذا ظهر ذلك وان لم يظهر حددناه ظاهرا وسلم من العقوبة عند الله تعالى باطنا اه

قول الامام الرازي الشافعي

عقد الفخر الرازي في أحكام آية البقرة من تفسيره الكبير المشهور فصولا بعد تفسير

الاضطرار بمثل ماتقدم قال في آخر الفصل منها ما نصه

(المسئلة الرابعة) اختلفوا في المضطر الى الشرب اذا وجد خمراً أو من غص بلقمة فلم يجد ماء يسيغه ووجد الخمر فنهم من أباحه بالقياس على هذه الصورة فان الله تعالى انما أباح هذه المحرمات ابقاء للنفس ودفعا للهلاك عنها فكذلك في هذه الصورة وهذا هو الاقرب الى الظاهر والقياس وهو قول سعيد بن جبير وأبي حنيفة وقال الشافعي رضي الله عنه : لا يشرب لانه يزيده عطشا وجوعا ويذهب عقله. وأجيب عنه بأن قوله لا يزيده الاعطشا وجوعا مكابرة وقوله : يزيل العقل فكلامنا في القليل الذي لا يكون كذلك

(المسئلة الخامسة) اختلفوا اذا كانت الميتة يحتاج الى تناولها للعلاج إما بانفرادها أو بوقوعها في بعض الادوية المركبة فأباحه بعضهم للنص والمعنى أما النص فهوأنه (ص) أباح للعرنيين شرب أبوال الابل وألبانها للتداوي وأما المعنى فنوجوه (الاول) ان الترياق الذي جعل فيه لحوم الافاعي مستطاب فوجب أن يحل لقوله تعالى (أحل لكم الطيبات) غاية ما في الباب أن هذا العموم مخصوص ولكن لا يقدح في كونه حجة (الثاني) أن أبا حنيفة لما عفا عن قدر الدرهم من النجاسة لاجل الحاجة والشافعي عفا عن دم البراغيث للحاجة فلم لا يحكمان بالعفو في هذه الصورة للحاجة (الثالث) أنه تعالى أباح أكل الميتة لمصلحة النفس فكذا ههنا. ومن الناس من حرمه واحتج بقوله عليه السلام « ان الله تعالى لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليهم » وأجاب الاولون بأن التمسك بهذا الخبر انما يتم لو ثبت أنه يحرم عليه تناوله والنزاع ليس الا فيه

(المسئلة السادسة) اختلفوا في التداوي بالخمر واعلم أن الحاجة الى ذلك التداوي ان انتهت الى حد الضرورة فقد تقدم حكمه في المسئلة الرابعة فان لم تنته الى حد الضرورة فقد تقدم حكمه في المسئلة الخامسة اه

قول الامام الطوفي الحنبلي

قال الامام الشيخ سليمان بن عبد القوي الطوفي في تفسيره (الاشارات

الالهية . الى المباحث الاصولية) في تفسير آية البقرة مانصه :

(فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه) اي اذا أكل من هذه المحرمات مضطرا لا إثم عليه . والمضطر من خشي على نفسه الهلاك أو مرضا أو ضعفا فاحشا يخشى منه الهلاك او الزمانة ونحو ذلك من الضرر الفظيع فله أن يأكل مايسد رمقه وفي تمام الشبع قولان للعلماء الخ

﴿ ماورد في السنة والأثر ﴾

هذا ما قاله أشهر المفسرين المحققين المنتمين الى المذاهب الاربعة في الضرورة والاضطرار الذي يبيح شرب الخمر التي لاخلاف في كونها خمراً أو يوجبه وكونه في حال الاضطرار لايعد من التداوي بالمحرم لانه صار واجبا، وأحسنه كلام ابن العربي وان في الآثار عن بعض أئمة السلف مايدل على الرخصة فيما دون ذلك كما يتبادر من الرواية الثانية الآتية عن سعيد بن جبير من أئمة التابعين فقد روى عنه ابن جرير في تفسير (فمن اضطر غير باغ ولا عاد) أنه قال : اذا خرج في سبيل من سبيل الله فاضطر الى شرب الخمر شرب وان اضطر الى الميتة أكل. وفي رواية أخرى انه قال في تفسير الباغي والعادي : هو الذي يقطع الطريق فليس له رخصة اذا جاع أن يأكل الميتة واذا عطش أن يشرب الخمر اهـ فناط أكل الميتة وشرب الخمر بمجرد الجوع والعطش أي مع عدم وجود غيرهما ولم يشترط فيه الخوف على نفسه أن تهلك أو تمرض أو تضعف ضعفا شديداً فهو يعد من الضرورة فقد الطعام والشراب المباح مع الحاجة اليه ونظيره إباحة التيمم بفقد الماء . وهو موافق ماحققه ابن العربي في عده الفقر من الضرورة المبيحة ويؤيده ما يأتي من السنة

وأما السنة وقد أخرناها لانها القاضية على كل ماقيل في تفسير الآية فمنها حديث أبي واقد الليثي قال قلت يارسول الله إنا بارض تصيبنا مخمصة فما يحل لنا من الميتة فقال « اذا لم تصطبحوا ولم تغتبقوا ولم تحتفئوا بها بقلا فشأنكم بها » وقد رواه احمد والطبراني ورجاله ثقات كما قال في مجمع الزوائد (١)

(١) فسروا الصبوح والغبوق بما يتغذى به في الصباح وفي المساء طعاما

وفي معناه حديث جابر بن سمرة (رض) قال ان اهل بيت كانوا بالحرة محتاجين قال فماتت عندهم ناقة لهم او لغيرهم فرخص لهم رسول الله (ص) في أكلها فعصمتهم بقية شتائهم او سنتهم . رواه احمد . وفي لفظ : ان رجلا نزل بالحرة ومعه أهله وولده ، فقال رجل ان ناقة لي ضلت فان وجدتها فأمسكها ، فوجدها فلم يجد صاحبها فمرضت فقالت له امرأته انحرها فأبى فنفقت (اى ماتت) فقالت اسلخها حتى نقدر (٢) (وفي رواية نقدد) شحمها ولحمها ونأكله ، فقال حتى أسأل رسول الله (ص) فأتاه فسأله فقال « هل عندك غنى يغنيك ؟ — قال لا قال — فكلوه » قال فجاء صاحبها فأخبره الخبر فقال هلا كنت نحرتها ؟ قال استحييت منك . رواه ابو داود وسكت عنه هو والمنذري

وهذه الاحاديث تدل دلالة واضحة على ان المضطر الى أكل الميتة ونحوها هو من لا يجد قوتا يغنيه عنها ، وأنه يأكل مايكفيه عادة كما هو مذهب مالك فلا يبقيه وهو يجد عنه غنى ولا يعدو حد الحاجة التي يقوى منها على السعي والعمل الى حد البطنة ، فان النبي (ص) لم ينط أفتاءه بخوف الهلاك او الضرر الذى لايحتمل ولم يأمر بالاقتصار في الأكل على مايسد الرمق بل ناطها بالحاجة اليها ، وعدم مايغنى عنها ولما نقل الحافظ ابن حجر قول من قال : انه يجوز أكل المعتاد المضطر في غير أيام لاضطرار قال: وهو الراجح لاطلاق الآية . ويؤخذ من هذا ان من كان مسافراً في أرض شديدة البرد والثلج والجليد كالبلاد الشمالية ولم يجد ما يدفع عنه ضرر البرد ولا وقودا يذيب به الثلج ليشرب منه أن له ان يشرب من الخمر مايدفع عنه البرد

كان او شرابا وهو في اصل اللغة الشرب فيهما فتفسيره بالاعم تفسير بالمراد . واصل الاحتفاء اقتلاع الحفاء وهو البردى « بضم الموحدة » نوع من جيد التمر وقد استعير لاقتلاع البقل كما قال الزمخشري في الفائق . قال وروي تحتفوا من احتفى القوم المرعى اذا رعوه وقلعوه . واورده الجصاص بلفظ « ولم يجدوا بها بقلا »

(٢) نقدر بالراء يقال قدر الطعام (من باب قتل) اذا طبخه بالقدر — وهى رواية احمد . ونقدد بالدال من قدد اللحم اذا جعله قديدا لاجل الادخار

الضار والظمأ مادام لا يجد ما يغني عنها غير متجانف لاثم أي غير باغ النشوة والسكر ولا عاد حد ما يدفع الضرر.

هذا وان شرب الخمر ليس من موضوع مسألتنا وانما موضوعه الاصلي الطلاء الذي تطلى به الجدران وخشب البيوت والاثاث فيكون به نظيفا جيلا طويل العمر غير قابل لامتصاص الاقذار النجسة الضارة وغيرها فالسائل الفاضل يحرمه لانه يعالج بالسبيرتو وهو أي الطلاء ليس بشراب ولا قذر ولا يمكن أن يكون ذريعة للسكر — وبذلك انجر الكلام الى البحث في السبيرتو وسائر ما يستحضر به من الادوية وغيرها

واننا نرى الثقات من الاطباء والجراحين يجزمون بأن استعمال السبيرتو في التطهير والوقود المتعلق به واستعمال الادوية المستحضرة به يصل الى حد الضرورة في بعض الاحيان والاحوال ولا سيما حال الحرب بحيث اذا ترك يقع الضرر العظيم كتلف بعض الاعضاء المجروحة وبقية المقطوعة . وانه في غير حال الضرورة من الحاجات التي عمت بها البلوى في طب الابدان والاسنان والجراحة بحيث يكون حظره والمنع منه حرجا عظيما

مسألة عموم البلوى ويسر الشريعة

واننا نوضح مسألة عموم البلوى ويسر الشريعة ورفع الحرج — الثابت بنصوصها القطعية والاجماع — بكلام بعض المحققين الذين يذعن السائل الفاضل لتحقيقهم :

قال الامام أبو اسحق ابراهيم الشاطبي الغرناطي في سياق المسألة الثانية عشرة من كتاب الاحكام من كتابه (الموافقات) مانصه:

« ان محال الاضطرار مغتفرة في الشرع — أعني أن اقامة الضرورة معتبر وما يطرأ عليه من معارضات المفاسد مغتفر في جنب المصلحة المجتلبة كما اغتفرت مفاسد أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وأشباه ذلك (أي كالخمر) في جنب الضرورة لاحياء النفس المضطرة اه (صفحة ١٠٣ ج ١)

ان أصول الشاطبي التي حققها في كتاب المقاصد تبني أحكام الشريعة كلها على أساسي مراعاة مصالح الخلق ودفع المفاسد عنهم في الامور الثلاث وهي

الضروريات والحاجيات والتحسينيات . والضروريات هي الكليات الخمس المشهورة : حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل (ص ٤ ج ٢)

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في شرح قاعدته الثانية في العقود حرامها وحلالها فصلا فيما عمت به البلوى ومست اليه الحاجة في كثير من بلاد الاسلام من اجارة الارض المشتملة على الغراس والمباني التي اختلف الفقهاء في أحكام اجارتها فأطال الكلام فيها ، وذكر ما للناس من الحيل لاستباحة المحظور منها، ثم أتى بقاعدة عامة في يسر الشريعة وهو ما نريده من كلامه فقال جزاه الله خيرا:

« فالمقصود المعقود عليه ظاهر ، والذين لا يحتالون أو يحتالون — وقد ظهر لهم فساد هذه الحيلة — هم بين أمرين : إما أن يفعلوا ذلك للحاجة و يعتقدون أنهم فاعلون للمحرم كما رأينا عليه أكثر الناس — وإما أن يتركوا ذلك ويتركوا تناول الثمار الداخلة في هذه المعاملة فيدخل عليهم من الضرر والاضطرار ما لا يعلمه الا الله · وان أمكن أن يلتزم ذلك واحد أو اثنان فما يمكن المسلمين التزام ذلك الا بفساد الاموال التي لا تأتي بها شريعة قط فضلا عن شريعة قال الله فيها (وما جعل عليكم في الدين من حرج) وقال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقال تعالى (يريد الله أن يخفف عنكم) وفي الصحيحين « انما بعثتم ميسرين * يسروا ولا تعسروا * ليعلم اليهود أن في ديننا سعة » فكل ما لا يتم المعاش الا به فتحريمه حرج وهو منتف شرعا . والغرض من هذا أن تحريم مثل هذا مما لا يمكن للأمة التزامه قط لما فيه من الفساد الذى لا يطاق فعلم انه ليس بحرام ، بل هو أشد من الاغلال والآصار التي كانت على بني اسرائيل و وضعها الله عنا على لسان محمد (ص) ومن استقرأ الشريعة في مواردها ومصادرها وجدها مبنية على قوله (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه * فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم) اه المراد منه

فالقاعدة الشرعية المستندة الى نص هذه الآيات العامة لجميع احكام الشريعة هي أن المحرم لذاته وهو ما كان ضارا بذاته يباح للضرورة — ويليها قاعدة أخرى متممة

لها وهي ان ما كان محرما لسد الذريعة يباح للمصلحة الراجحة ولا يشترط فيه الضرورة — وقد شرح ذلك المحقق ابن القيم في بحث الربا من كتابه (اعلام الموقعين) فانه أثبت ان صنعة الحلية لها قيمة فليس من الربا أن تباع بأكثر من وزنها دراهم ان كانت فضة او دنانير ان كانت ذهبا ومما وضحه به قوله :

« يوضحه ان تحريم ربا الفضل انما كان سدا للذريعة كما تقدم بيانه ، وما حرم سدا للذريعة ، أبيح للمصلحة الراجحة كما أبيحت العرايا من ربا الفضل ، وكما أبيحت ذوات الاسباب من الصلاة بعد الفجر والعصر ، وكما أبيح النظر للخاطب والشاهد والطبيب والعامل من جملة النظر المحرم ، وكذلك تحريم الذهب والحرير على الرجال حرم لسد ذريعة التشبه بالنساء الملعون فاعله ، وأبيح منه ماتدعو اليه الحاجة . وكذلك ينبغي أن يباح بيع الحلية المصوغة صياغة مباحة بأكثر من وزنها لان الحاجة تدعو الى ذلك ، وتحريم التفاضل انما كان سدا للذريعة » اه

وملخص ماتقدم كله ان السبيرتو ليس بخمر وان كان يوجد فيها وفي غيرها مما أجمع المسلمون على حله وطهارته كالعجين المختمر ، وهو الآن لا يستخرج من الخمر لرخصه وغلائها . وان الخمر غير نجسة نجاسة حسية على التحقيق . وان الواجب في تطهير النجاسة ما يزول أو يضعف به وصف القذارة كما علم من احاديث دم الحيض والمني وبول الغلام والنعال وذيول النساء التي تجر على الارض النجسة — وان من المطهرات بهذا المعنى الشمس والنار وانقلاب العين والصقل ومنه أكل أبي الدرداء وغيره من الصحابة السمك المعالج بالخمر المسمى (المري) وتعليله لذلك بقوله « ذبح الخمرَ النينانُ والشمسُ » كما نقلناه في الفتوى الاولى عن صحيح البخاري ونتيجة ذلك كله ان طلاء الخشب الذي هو واقعة الفتوى الهندية وسائر ما يعالج او يحضر بالسبيرتو من الادوية والاعطار والادهان والاطلية طاهر ولو لم تعم به البلوى فكيف وقد ثبت عمومها في جميع بلاد الحضارة وسنكتب مقالا خاصا في التداوي ان شاء الله تعالى . والله اعلم

لغة الاسلام

واللغة الرسمية بين الممالك الاسلامية

— ١ —

قرأنا في برقيات الاهرام وغيرها نبأ غريبا: هو أن جريدة (طنين) التركية تلقت رسالة موقعا عليها من خمسة وعشرين مسلما في طشقند وأفغانستان ومصر والجزائر وبمباي وبكين وبلاد أخرى يحثون فيها جميع المسلمين على استعمال لغة واحدة في العلاقات التي بينهم أسوة بالقاعدة المتبعة في استعمال اللغة الفرنسية في المسائل السياسية ، وان الموقعين على هذه الدعوة صرحوا بأن اللغة التركية متوفرة فيها الصفات الضرورية لهذا الامر على كونها لغة أكبر دولة اسلامية ، واقترحوا عرضها على مؤتمر يعقد في مدينة أنقرة يكون مؤلفا من أعضاء مندوبين من جميع الممالك الاسلامية لكل مملكة منها عضوان — هذا كل ما لخصته البرقيات من رسالة طنين فوجب أن نبحث في هذه المسألة بما يرشد اليه الاسلام ومصلحة المسلمين والبحث فيها ذو وجوه

(الاول): ان هذا الاقتراح مصنوع ، وصنعه غير متقن فيما يظهر ، فقد أراد الملفقون له في الآستانة أن يوهموا من يطلع عليه أن هذه الفكرة مما يشغل جميع الشعوب الاسلامية من أقصى المشرق الى اقصى المغرب ، وانه يكاد يكون بادي، ذي بدء رأيا اجماعيا لها لا يعوزه الا أن يقرر في مؤتمر رسمي، وعندنا أن فكرة سخيفة غير ممكنة كهذه الفكرة لا يمكن أن توجد فجأة في شرق البلاد الاسلامية وغربها ، ولا يعقل أن تتمخض في جميع هذه الشعوب من غير أن يظهر لها أثر ولا ينقل عنها خبر في جرائد هذه الممالك ثم تولد في ادارة جريدة طنين في الآستانة. اذن هي مما يدرك كل ذي حجى أنه تدبير ملفق. وأن هذا الجنين ليس من نسل العالم الاسلامي كله بل من نسل متعصبي الطورانية الذين لا يزالون

يشتغلون بتطهير(١) اللغة العثمانية من لغة القرآن العربية ، ولا يعسر على هؤلاء ان يجدوا في الآستانة خمسة وعشرين رجلا من أوشاب البلاد المختلفة يوقعون اقتراحا كهذا ، بل لو طلبوا بعده من يوقع لهم اقتراحا بأنه يجب على مسلمي الارض كلها أن يتلقوا أصول دينهم وفروعه بلغة واحدة يقرأ بها القرآن ويدرس بها السنة لانه أدعى الى وحدة التعليم وحدة تأثير الدين ،وان اللغة التركية هي الجديرة بالاختيار لذلك - لوجدوا من هؤلاء وأمثالهم من يوقع لهم هذا الاقتراح، ولا يبعد أن يكون ممثل مصر فيهم عمر رضا افندي مراسل جريدة الاخبار الذي ينكر أن اللغة العربية هي لغة دين الاسلام [١] وسيأتي بيان هذه المسألة بعد ، وان الاقتراح لا يمكن تنفيذه الا بها وانه حينئذ يكون من أعظم دعائم الاصلاح الاسلامي الديني والاجتماعي والسياسي

(الثاني) : ان كلمة اللغة التركية تطلق بحق على لغة أهل تركستان وهم عشرات الملايين ، وتطلق تجوزاً على اللغة العثمانية التي قال امام أدبائها (نامق كمال بك) الشهير إنها مؤلفة من أشهر لغات الشرق وهي العربية والفارسية والتركية،وهذه اللغة لا يتقنها الا المتعلمون في مكاتب الدولة العثمانية وهم يعدون بالالوف لا بالملايين،وأصحاب العصبية الطورانية منهم غير راضين عنها ، ومجمعون على وجوب ارجاعها الى اللغة التركية الاصلية ، ويقولون إن فلاحي الاناضول لا يفهمونها فضلا عن الترك الخلص في تركستان . وقد جاء صديقنا السائح الشهير الشيخ سعيد العسلي الطرابلسي بكتاب تهنئة بالدستور للدولة العثمانية من كاشغر فلم يوجد

« ١ » انكر هذا في مقالة نشرها في مجلة الجامعة التي تصدر في الهند نقل فيها عنا اننا وصمنا الشريعة الاسلامية بوصفها بالعربية اي عبناها وحقرناها «!» واسرف في انكار هذا وفي الطعن علينا والتهكم علينا بما يستلزم رمينا بالارتداد عن الاسلام، على انه امر مجمع عليه بين المسلمين «؟» وقد علل هذا بالتعصب الجنسي العرب على الترك وهو تعليل للباطل بالباطل اذ نحن اعدى اعداء هذه العصبية. ولم نرد على هذه المقالة لاعتقادنا أن صاحبها ممار عما لا يعتقد ولأن بطلان قوله مما لا يجهله مسلم، على اننا سنبين ادلتنا على كون لغة الدين الاسلامي هي العربية في هذا البحث

في الباب العالي ولا في غيره من رجال الآستانة من فهم لغته التركية المحضة بل احتاجوا الى ترجمته بمساعدة من جاء به ، ولا تزال جمعية (تورك أوجاغي) تشتغل بتنقيح اللغة العثمانية — لغة الآستانة وأنقرة — لارجاعها الى التركية، على ما يدخل فيها كل حين من الالفاظ الافرنجية ، التي ربما تزيد على ما يخرج منها من الالفاظ العربية ، فهل فكرت في هذا شعوب الشرق والغرب بل الخمسة والعشرون الذين ادعوا أو ادعي أنهم يتكلمون بلسانها ؟ فان كانوا فكروا فأي اللغتين أتقنوا ورأوا الصفات الضرورية متوفرة فيها؟ آلتركية المستعملة في تركستان التي نجهلها «الدولة الاسلامية الكبرى» التي هي احدى علي الاختيار، أم العثمانية التي هي عرضة للمحو والاثبات ؟

(الثالث) : ما ذا يريدون بالعلاقات التي بين جميع شعوب المسلمين من مراكش الى بكين ؟ نحن لا نعرف أن بينهم علاقات مشتركة غير علاقة الدين، والدين له لغة عامة مشتركة يعرفها علماؤه وكثير من الطبقات الاخرى في كل شعب من شعوبهم وسيأتي الكلام فيها

أما العلاقة السياسية فانها تختص بالدول المستقلة منهم ، وليس لاحد من الخمسة والعشرين اصحاب الاقتراح دولة مستقلة الا الافغاني ، والمصري الذي لما يتم استقلال بلاده، والاتفاق على اللغة السياسية المشتركة بين الدول الاسلامية انما يتقرر بالمفاوضة فيما بينها لا بمؤتمر يعقد في أنقرة — فالعلاقة السياسية غير مرادة للخمسة والعشرين

وأما العلاقات الاقتصادية من تجارية وغيرها فهي غير موجودة الا بين البلاد المتجاورة كالبلاد الافريقية بعضها مع بعض ومع سورية، والبلاد العربية مع البلاد التركية والايرانية ، والهند مع هذه البلاد كلها ، ومن البديهي أن استعمال اللغة التركية في علاقة مصر بطرابلس الغرب وتونس او بالحجاز وسورية أو علاقة الهند بايران وبلاد العرب — ضرب من المحال ، لا يقترحه الا من أصيب بضرب من الخبال ، فانحصر الامر في العلاقة الدينية وسيأتي الكلام فيها

(الرابع) : هل بين لنا الخمسة والعشرون كيف يكون اختيار عضوين من من كل مملكة اسلامية لحضور هذا المؤتمر ؟ هل يختار رئيس جمهورية الصين الوثني مندوبي الصين وحاكم الهند الانكليزي مندوبي الهند ووالي الجزائر الفرنسي مندوبي الجزائر وملك مصر مندوبي مصر وملك الحجاز مندوبي الحجاز ؟ الخ أم تختارهم الشعوب ؟ اذا كان الشق الاول غير مراد لتوقفه على رضا حكام الممالك غير الاسلامية والدول المستعمرة للبلاد غير المستقلة على ذلك وهو متعذر — فالشق الثاني أشد تعذراً إذ لا يعقل كيف ينتخب ستون مليونا من مسلمي الصين وخمسون مليونا من مسلمي الملاو من يمثلهم في مؤتمر كهذا فيكون قرار المؤتمر نافذاً فيهم لوجود اثنين من بلادهم فيه ، وانما يمكن مثل هذا الاختيار في بلادها جمعيات تمثل الجمهور الاكبر كالهند ومصر على ما بين جمعياتهما وأحزابهما من الخلاف وكون كبار علماء الدين بمصر لا ينتمون الى حزب من أحزابها

(الخامس) : اذا فرضنا امكان انتخاب هذه الشعوب الاسلامية كلها لاعضاء يمثلونها لتقرير لغة واحدة تتخاطب بها في العلاقة الدينية المشتركة بينهما فهل يقال لهؤلاء المندوبين او لهذه الشعوب التي تختارها انه يجب ان يمضوا القرار الذي اقترحه الخمسة والعشرون في جريدة طنين ؟ أم يدعون للتشاور واختيار اللغة المشتركة ؟ ان أريد الشق الاول فلا حاجة الى ارسال مندوبين ولا الى عقد مؤتمر ، بل يكفي تبليغ هذه الشعوب قرار الخمسة والعشرين وانه ليس عليها الا الاذعان والخضوع : ! وان أريد الشق الثاني فما يدري هؤلاء الخمسة والعشرين ومن حملوهم على هذا الاقتراح أن مندوبي مصر والحجاز ونجد واليمن وجاوه وفارس ومراكش وغيرها يتفقون على تفضيل اللغة التركستانية أو العثمانية على لغة القرآن وعلى لغاتهم الوطنية ؟ واذا لم يتفقوا فما فائدة هذا المؤتمر ؟ ثم اذا أجمعوا أو اتفق أكثرهم على اختيار اللغة العربية فهل يرضى الشعب التركي بذلك ؟

(السادس) اذا غضضنا البصر عن كل ما ذكر وفرضنا أن المؤتمر اجتمع بمثل السهولة التي اجتمع بها الخمسة والعشرون ووافقهم على اقتراحهم فكيف يكون

تنفيذ قراره ؟ أيفرض على البلاد العربية الممتدة من المحيط الاطلسي (الاتلانتيك) الى خليج فارس والمحيط الهندي وعلى شعوب الملاو في الجنوب وشعوب الفرس والهند والافغان والصين في الشرق أن يتعلموا اللغة العثمانية الملفقة القلقة لاجل أن يتلقوا بها تفسير القرآن وشروح الحديث وفقه المذاهب السنية والشيعية والاباضية من انقرة بلغة واحدة ؟ وان فرض عليهم هذا وقبلوه - بأن مسخ الله عقولهم وقلوبهم فجعلهم بذلك كالخمسة والعشرين - فمن ذا الذي يعلمهم هذه اللغة ؟ أيوجد في الآستانة والاناضول معلمون يكفون لنشر هذه اللغة من أقصى المشرق الى أقصى المغرب مستمدين تنقيحها المتصل من جمعية (تورك أوجاغي) الطورانية ؟ اذا فرضنا امكان كل ما ذكر فلا نبحث في المال الذي ينفق في هذه السبيل فهو أيسر الامور بالنسبة الى تلك العقبات الكأداء التي فرضنا أن الاقتراح قد اقتحمها قبل ذلك

(السابع) : قلنا ان هذا الاقتراح لا تقبله الشعوب الاسلامية الا اذا مسخت عقولا وقلوبا فأمست لا تميز بين المفاسد والمصالح ولا بين المعقول وغير المعقول في دنيا ولا دين ، واننا نبين ذلك ببرهاني العقل والدين فنقول

أما برهان العقل فلا نطرق فيه باب تفضيل اللغة العربية بنفسها على التركية أو العثمانية وهو ما لا يختلف فيه اثنان من العارفين - ولا باب تفضيلها بكونها لغة هذا الدين الذي نريد التخاطب في شأنه. بل نقول: ان لغة شطر القارة الافريقية الشمالي من الغرب الى الشرق وشطر آسية الشرقي من البحر الاحمر الى خليج فارس هي اللغة العربية وفي هذه البلاد مهد الاسلام ، ومهبط وحيه ، ومهوى افئدة أهله ، وقبلة صلاتهم ومشاعر نسكهم ، ومثابتهم التي يؤمها مئات الالوف من جميع شعوبهم على اختلاف أقطارهم في كل عام . وهذه اللغة هي التي يتعبد بها جميع هؤلاء المسلمين ويتلقون دينهم منها في جميع الاقطار فلا يوجد بلد يقام فيه الدين الا ويوجد فيه بعض العلماء الذين يعرفون هذه اللغة . فعلماء الترك والفرس والافغان والهند والصين والملاو وغيرهم من الاعاجم يعرفون هذه اللغة ويتخاطبون

بها ولا يزالون كذلك ما داموا مسلمين — فهل من المعقول والحالة هذه أن يترك جعلها اللغة العامة لتعارف المسلمين وتوثيق عرى الدين بينهم ويتكلف اقناعهم باختيار لغة أخرى عليها لا يعرفها إلا عدد قليل وهم المتعلمون من ترك الروملي والاناضول وبعض العرب الذين كانوا عثمانيين ؟

ان من القواعد المتفق عليها عند علماء المعقول المعدودة عند المتكلمين من مقدمات براهين التوحيد أن الترجيح بغير مرجح محال وان ترجيح المرجوح محال بالاولى، وهذه المسألة من القسم الثاني بغير مراء، وكون اللغة التركية لغة أكبر دولة اسلامية لا يصلح مرجحا في هذا المقام . على أنه غير مسلم فان دولة مصر أكبر من دولة انقرة وأعلم بالدين واقدر على نشره

واما برهان الدين فقد علم بالإجمال مما قبله وهو أن العربية هي لغة الدين الاسلامي لا يمكن العلم الصحيح به ولا العمل الصحيح باقامة أعظم عباداته الا بها، فيتعين أن تكون هي اللغة الوحيدة للتعاون بين الشعوب الاسلامية على احياء هدايته ونشر تعاليمه وبث عقائده وأحكامه، وانا نزيد على ذلك أن تعلمها فرض شرعي على جميع هذه الشعوب وان الاستغناء عنها بغيرها يفضي الى اضاعة الاسلام ، وهو ما نبينه في الفصل التالي

— ٢ —

العربية لغة الاسلام الواجبة على جميع المسلمين

اللاسلام لغة ذكرها الله في كتابه المجيد ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وأجمع عليها علماء المسلمين سلفا وخلفا علما وعملا ، ولم يفتح المسلمون العارفون حقيقة الاسلام بلدا الا ونشروها فيه كما نشروا الدين بل بنشر الدين ، بل ما نشروا الدين الا بها ، اذ لا مظهر له سواها ، ثم هضم الاعاجم حقها بالجهل ، ثم بالعصبية الجاهلية العمية ، فقصر خلفهم عما اجتهد فيه سلف الامة الاسلامية الصالح منهم ومن غيرهم ، ولكن لم يبلغ الجهل ولا العصبية من أحد منهم أن يقول بمثل قول الخمسة والعشرين

الذين اقترحوا في هذه الايام أن يجعل للاسلام لغة سواها ، وانما اقترحوا لغة ملفقة من عدة لغات لا توجد داعية دينية ولا دنيوية لشعب اسلامي الى تعلمها اذ ليست لغة دين ولا شرع ولا علم ولا تجارة ولا صناعة ولا سياسة مشتركة بين هذه الشعوب حتى إن أهلها يريدون تغييرها على مالا ينكر من المحاسن فيها

ولو أنهم اقترحوا تنظيم جعل لغة الاسلام التي نزل بها كتابه من عند الله تعالى لغة التعارف والتعليم الديني باقناع الشعوب الاسلامية الاعجمية باتقانها وتقرير الدروس الدينية للمبتدئين كالمنتهين بها بدلا من الترجمة التي جروا عليها في القرون الاخيرة — لحمد الله اقتراحهم ورسوله والمؤمنون. وعدوهم من دعاة الاصلاح المخلصين ، لان تعليم التفسير والحديث والعقائد والفقه بترجمة كتبها العربية باللغات المختلفة كما هو الشائع الآن في بلاد الاعاجم عائق عن التحصيل ، وشر منه قراءة الكتب المترجمة، ولذلك قل العلماء المحصلون فى بلاد الاعاجم بالنسبة الى أهل العصور الاولى الذين كانوا يتدارسون العربية ويتقنون متنها وفنونها ويدرسون علوم الدين بها ، وما وجد ولا يوجد عالم اعجمي يوثق بعلمه في الدين الا ممن حذقوا هذه اللغة واتقنوها

ولو فهم خلف الشعوب الاعجمية الاسلام كما فهمه سلفهم الصالح لآثروا لغته وفضلوها واقتصروا عليها ، ولم يبالوا بترك لغاتهم البتة لتحقيق الوحدة الاسلامية من جميع وجوهها ، واعني بسلفهم مثل البخاري من أهل الحديث وأبي حنيفة من الفقهاء وسيبويه والزمخشري من أهل اللغة وفنونها

ذلك بأن تعارف البشر وتآخيهم وتوادهم واتحادهم انما يكون بكثرة مايشتركون فيه من المقومات والمشخصات العامة ، وأهمها الدين وعقائده وعباداته وآدابه ، والشرع العادل الذي يساوي بينهم في السياسة والقضاء ويكونون به امة حاكمة واللغة التي يتخاطبون بها ويفضي كل منهم للآخر بما في نفسه ، وهي مظهر علومهم وآدابهم — ودون هذه الثلاثة عرق النسب ، وجوار الوطن

ولما كان الاسلام دينا اصلاحيا عاما لجميع البشر كان من اصوله دعوة الامم

كلها الى التوحيد في الدين والشرع واللغة التي هي اعظم مقومات الامم النفسية والسياسية والاجتماعية ، لتكون الامة الاسلامية بهم متحدة لا يفصل بين اتحادها ولا جامعاتها هذه شيء من اختلاف الانساب والاوطان . ولذلك حرم عصبية النسب وغيرها تحريما غليظا حتى أخرج النبي (ص) اهلها من جماعة الاسلام بمثل قوله « ليس منا من دعا الى عصبية . وليس منا من قاتل على عصبية » رواه أبو داود من حديث جبير ابن مطعم (رض) وثم أحاديث اخرى في الصحاح والسنن ذكرنا بعضها في كتاب (الخلافة — أو — الامامة العظمى)

ذلك بأن عصبية الجنسية امضى مدية تقطع رابطة الدين ، وتفسد اخوة الايمان بين المؤمنين . وقد كانت شرا على المسلمين من اختلاف المذاهب ، ولولاها لعم الاسلام المشارق والمغارب ، هي التي افسدت بين العرب والفرس من قبل ، وهي التي افسدت بينهم و بين الترك من بعد ، وانا لنجاهد منذ سنين في تلافي شرها ، وهو جل غرضنا من كتابة مباحث الخلافة التي بينا فيها أن اللغة العربية قد جعلها الاسلام لغة جميع المسلمين لا لغة ابناء يعرب بن قحطان وحدهم ، وان الامام الخليل بن احمد العربي الواضع لاول معجم لها ، ليس أولى بها من تلميذه سيبويه الفارسي ، وان الامام البخاري الاعجمي النسب قد امتاز في خدمة السنة من بعض الوجوه على استاذيه الامامين احمد واسحق بن راهويه العربيين كما أن الامام النعمان قد قدم في فقه القياس على الائمة الاعلام من العرب وغيرهم ، وقد قلد الخلفاء العباسيون بعض تلاميذ أبي حنيفة رياسة القضاء في دار خلافتهم ، وما كان المسلمون يفرقون في عهد الدول العربية بين عربي وعجمي في امامة العلوم الشرعية ولا غيرها ، وكان مذهب الشافعي القرشي منتشرا في بلاد الفرس ، كما كان مذهب أبي حنيفة الفارسي منتشرا في العراق العربي ، ولا يزال العدد الكثير من اشراف العرب ودهمائهم على مذهب أبي حنيفة ولكن الشعوب الاعجمية الاسلامية المنسوبة الى السنة اقتصروا على مذهب أبي حنيفة بعد ذلك الا أهل جاوه وما جاورها (ورضي الله عن الجميع)

هذا وان اللغة من أعظم أسباب الوحدة ، والاختلاف فيها من أعظم أسباب الشقاق والفرقة ، ولما كان الاسلام دين التوحيد دينا عاما لجميع البشر ، وكان من مقاصده أن يؤلف بينهم ويجعلهم بنعمة الله اخوانا فرض عليهم توحيد اللغة ، كما فرض عليهم توحيد الالوهية والربوبية ، وتوحيد الشريعة والآداب النفسية والاجتماعية ، فخرجت هذه اللغة بشرع الله تعالى عن أن تكون لغة شعب واحد منهم ، ولولا ذلك لم تؤثرها جميع الشعوب الاسلامية على لغاتها حتى عم انتشارها المشرق والمغرب مع الاسلام ايام كان الاسلام اسلاما ، ونحمد الله تعالى أن وجد في عدة شعوب اسلامية من يفكر اليوم في عظم شأن وحدة اللغة بين المسلمين ويسعى لها سعيها ، وان اخطأ بعضهم في وضعها في غير موضعها ، فاذا انتشر الشعور بهذا النوع من الوحدة بين اهل التوحيد فانهم يرجعون فيها الى أصل دينهم وقاعدة شرعهم ، وقد نوهنا بهذه المسألة في كتاب (الخلافة) ولا يتهم من يدعو الى اللسان العربي بالتعصب للنسب العربي الا من يجهل هذه الحقيقة الواضحة ، كما فعل بعض من كتب في مجلة الجامعة الهندية

وقد مست الحاجة الآن الى بيان الادلة الشرعية على كون اللغة العربية مفروضة على المسلمين فرضا دينيا لاننا على علمنا بجهل كثير من المسلمين أو غفلتهم عن هذه المسألة قد وجدنا فيهم من أنكرها انكاراً شديداً كعمر رضا افندي مراسل الاخبار في الآستانة

وهاؤم اقرؤا ما كتبه امام من اعظم أئمة المسلمين وهو الامام الشافعي (رض) فيها فقد صرح بهذا وأقام الادلة عليه في رسالته التي هي أول كتاب وضع في أصول الفقه قال (١)

« فان قال قائل : فان الرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يرسلون

« ١ » ذكر الشافعي هذا البحث عقب اثباته لكون القرآن عربيا محضا

الى قومهم خاصة ، وان محمدا صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة ، (قيل) فقد يحتمل أن يكون بعث بلسان قومه خاصة ويكون على الناس كافة ان يتعلموا لسانه ، أو ما أطاقوه منه . ويحتمل أن يكون بعث بألسنتهم (١) ؟ فان قال قائل فهل من دليل على أنه بعث بلسان قومه خاصة دون ألسنة العجم؟؟

قال الشافعي رحمه الله تعالى : فالدلالة على ذلك بينة من كتاب الله عز وجل في غير موضع ، فاذا كانت الالسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض فلا بد أن يكون بعضهم تبعا لبعض ، وأن يكون الفضل في اللسان المتبع على التابع ، وأولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يجوز — والله تعالى أعلم — أن يكون اهل لسانه أتباعا لاهل لسان غير لسانه في حرف واحد ، بل كل لسان تبع للسانه وكل أهل دين قبله فعليهم اتباع دينه . وقد بين الله تعالى ذلك في غير آية من كتابه . قال الله عز ذكره (وانه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الامين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين) وقال (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) وقال (وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها) وقال تعالى (حم والكتاب المبين * انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)

قال الشافعي رحمه الله تعالى : فأقام حجته بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها ، ثم أكد ذلك بأن نفى عنه جل وعز كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه فقال تبارك وتعالى (ولقد نعلم أنهم يقولون : انما يعلمه بشر ــ لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) وقال (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لو لا فصلت آياته ؟ أأعجمي وعربي ؟)

قال الشافعي رحمه الله تعالى : وعرفنا قدر نعمه . بما خصنا به من مكانه فقال تعالى (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه...) الآية ، وقال (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم) الآية . وكان مما عرف الله تعالى نبيه عليه السلام

(١) أراد الاحتمال النظري الفرضي ثم اثبت أحد الشقين

من انعامه عليه ان قال (وانه لذكر لك ولقومك) فخص قومه بالذكر معه بكتابه وقال (وانذر عشيرتك الاقربين) وقال (لتنذر ام القرى ومن حولها) وام القرى مكة وهي بلده وبلد قومه، فجعلهم في كتابه خاصة، وأدخلهم مع المنذرين عامة، وقضى أن ينذروا بلسانهم العربي لسان قومه منهم خاصة

فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله تعالى وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير ، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك ، وما ازداد من العلم باللسان الذي جعله الله لسان من ختم به نبوته، وأنزل به آخر كتبه، كان خيراً له، كما عليه أن يتعلم الصلاة والذكر فيها ويأتي البيت وما أمر باتيانه ويتوجه لما وجه له ويكون تبعا فيما افترض عليه وندب اليه لا متبوعا

قال الشافعي رحمه الله : وانما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيرهم لانه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب ، وكثرة وجوهه ، وجماع معانيه وتفرقها . ومن علمها انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها، فكان تنبيه العامة على أن القرآن نزل بلسان العرب خاصة نصيحة للمسلمين . والنصيحة لهم فرض لا ينبغي تركه ، أو ادراك نافلة خير لا يدعها الا من سفه نفسه، وترك موضع حظه . فكان يجمع مع النصيحة لهم قياما بايضاح حق، وكان القيام بالحق ونصيحة المسلمين طاعة لله ، وطاعة الله جامعة للخير . انتهى

هذا ما قاله الامام الشافعي في رسالة الاصول الشهيرة المطبوعة بمصر بنصها، ولا تحسبن أن هذا مذهب له خالفه فيه غيره من أئمة المسلمين ، كلا انه اجماع لا اختلاف فيه ، وقد اشتهرت رسالته هذه في جميع أقطار الاسلام اذ كانت هي أول ما كتب في أصول الفقه ، وقد خالفه بعض المجتهدين في بعض مسائل الاصول دون هذه المسألة فلم يخالفه ولم يناقشه أحد فيها ، ولا فيما أورده من الادلة عليها . وأوضح الادلة على هذا اجماع المسلمين سلفا وخلفا على التعبد بتلاوة

القرآن العربي وأذكار الصلاة والحج وغيرهما بالعربية ، لم يشذ عن هذا سني ولا شيعي ولا أباضي ولا معتزلي ... نعم ان الخلف قد قصروا في دراسة هذه اللغة فعطلوا بذلك بعض ما أمرهم الله تعالى به من تدبر القرآن والعبرة والاتعاظ بآياته وفهم عقائده وفقه احكامه ، ولكن روي قول شاذ عن الامام أبي حنيفة رحمه الله تعالى بجواز أداء بعض أذكار الصلاة بغير العربية لمن تعذر عليه تعلم ما يجب منها ، وقد نقل عنه أيضا أنه رجع عن هذا القول ، على أنه مقيد بالضرورة الشخصية ، ولم يقل هو ولا غيره باطلاق ذلك وانه يسع أي شعب أعجمي أن يستغني في دينه عن لغة كتابه وسنته ، والدليل على هـذا أن جميع مقلديه من الاعاجم لا يزالون يقرؤن القرآن وأذكار الصلاة والحج وغيرها بالعربية وكذلك خطبة صلاة الجمعة والعيدين الا ما شذت به الحكومة الكمالية التركية في العام الماضي فأمرت الخطباء بأن يخطبوا بالتركية

وليست عبادات الاسلام وحدها هي التي تتوقف على العربية بل أحكام المعاملات تتوقف عليها أيضا فان أحكام الشريعة بجميع أنواعها حتى المدنيـة والسياسية متوقفة على الاجتهاد المعبر عنه في عرف هذا العصر بالتشريع ، وقد أجمع علماء الاصول من جميع المذاهب الاسلامية على توقف الاجتهاد في الشرع واستنباط الاحكام على معرفة اللغة العربية معرفة تمكن صاحبها من فهم أحكام القرآن والسنة ، وقد وضحنا هذه المسألة وبينا وجه الحاجة اليها في هذا العصر في كتاب (الخلافة) فيراجع فيه

وجملة القول أن إقامة دين الاسلام متوقفة على لغة كتابه المنزل ، وسنة نبيه المرسل ، سواء في ذلك هدايته الروحية ، ورابطته الاجتماعية ، وحكومته العادلة المدنية ، وان المسلمين لم يكونوا في عصر من العصور أحوج الى الوحدة المفروضة عليهم المتوقفة على هذه اللغة منهم في هذا العصر الذي تمزقوا فيـه كل ممزق فأصبحوا أكلة لمنهومي الاستعمار ومستعبدي الامم والشعوب ، وصدق فيهم قول النبي (ص) « يوشك أن تداعى عليكم الامم كما تداعى الاكلة الى قصعتها » الحديث

سيقول بعض الجاهلين لحقيقة الاسلام وكونه دينا روحانيا مدنيا سياسياء وبعض أولي العصبية الجنسية الجاهلية : ان مقتضى ما ذكرت أنه لا يمكن إقامة دين الاسلام كما يجب الا باللغة العربية فلماذا لا يجوز على شعوب المسلمين ما جاز على شعوب النصارى مثلا من ترجمة كتبهم المقدسة بلغاتهم المختلفة مع بقائهم على دين النصرانية وملة المسيح عليه السلام ؟

ونقول : أولا . إن المسألة عندنا مسألة نقل واتباع لا مسألة رأي ، وقد علمت أن أئمتنا مجمعون على ماذكرنا (وثانيا) اننا نحن المسلمين لا نعتقد أن النصارى على ملة المسيح عليه السلام ولا يصح أن نزيد على ذكر اعتقادنا هذا في صحيفة عمومية (وثالثا) إن ترجمة القرآن المعجز للبشر ترجمة تؤدي معانيه تادية تامة كما أنزلها الله تعالى ويبقى بها معجزاً وآية — متعذرة، وقد بينا هذا بالايضاح في مجلتنا (المنار) ولا محل له هنا ، وسنبين نموذجا من تخبط الاعاجم في مسألة الخلافة في نقد الرسالة التركية التي ألفت فيها باسم (خلافت وحاكميت ملية) مع أن مؤلفيها يعرفون العربية معرفة ما لتتخذ هذا نموذجا لصفة اضاعة الدين بعدم استمداده من لغته (ورابعا) اذا فرضنا أن ترجمة الكتاب والسنة لا تخل بفهم أصول الدين وفروعه وتشريعه أفلا تخل بما هو موضوع هذا المقال من وجوب وحدتهم وتعارفهم وتعاونهم ، وتوقف ذلك على لغة واحدة اذا لم تكن لغة جميع أفراد شعوبهم فلتكن مما يتقنه طوائف رجال الدين ودعاة الوحدة والاتفاق منهم ؟ بلى بلى

حسبنا هذا البيان الوجيز للمسألة ولا شك عندنا في أن كل من يؤمن بالله تعالى وبما جاء به خاتم رسله الى جميع خلقه محمد النبي العربي عليه أفضل الصلاة والسلام ، يتقبله بالرضاء والاذعان ، وانه لا يماري فيه ويتبرم به الا المنافقون الذين لا يؤمنون بهذا القرآن ، فنقترح على الجرائد التركية والفارسية والافغانية ترجمته ونشره ، والدعوة الي إحياء اللغة العربية الدينية في شعوبهم ، وحثهم على تعلمها بقدر الاستطاعة ، وتنظيم التعارف بها ، وكأني بالخمسة والعشرين وقد رجعوا عن اقتراحهم الاول الى ماهو الاحسن بل الممكن بل الواجب (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب)

الخلافة الاسلامية

﴿ مقال لجريدة الاهرام في المقابلة بين كتاب الخلافة العربي الذي نشره صاحب المنار وكتاب الخلافة والحاكمية القومية التركي الذي صدر عن انقرة - وماكان من عناية الاهرام - شيخة الجرائد العربية - بتلخيص الكتاب التركي وعناية (اقدام) شيخة الجرائد التركية بالكتاب العربي ﴾

إن التغيير الجوهري الذي أحدثه الكماليون في أمر (الخلافة الاسلامية) قد اختاروا له طورا خطيراً من أطوار (المسألة الشرقية) ، لان ذلك وقع في الوقت الذي كان العالم الاسلامي يشعر فيه — بحكم سليقة الجماعات — بان حقا عليه لتركيا أن يظهر بمظهر التأييد لها مادامت خائضة معأو ربا في لوزان أعظم معركة سياسية تحوم حول تصفية كثير من حسابات الشرق والغرب . فهجت العامة ومن هم في حكم العامة من جماهير المصريين والهنود وغيرهم المنهج الذي علمه الناس في أمر الخلافة . ولكن كما أن للعامة لغة تنطق بها على ماتقضي به الدواعي فان هنالك عهدا بين الله وبين الخاصة أن لا يكتموا العلم ولا يخذلوه

من أجل ذلك صدر — أثناء ضجيج العامة من الناطقين بالعربية في بلاد العرب وبالتركية في بلاد الترك — كتابان اثنان عن (الخلافة الاسلامية) احدهما بلغة العرب وهو كتاب (الخلافة) لحضرة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) ، وهو احفل كتاب الف من صدر الاسلام الى الآن في هذا الموضوع حيث تناوله من جميع اطرافه ووفاه حقه من التمحيص وارضى فيه الحق الذي يقره عليه فحول علماء العالم الاسلامي وفي مقدمتهم علماء مصر والهند القطرين الاسلاميين العظيمين

وأما الكتاب الثاني فهو الكتاب الذي صدر من أنقرة باللغة التركية وقد ضمنه أصحابه أقصى ما يمكنهم من عبارات الاعتذار للكماليين عما فعلوه في أمر

الخلافة ، حتى اضطروا الى أن يطعنوا في جميع أمراء المؤمنين أيام عصور الاسلام الذهبية بعد الخلفاء الراشدين ، كل ذلك لاجل أن يقولوا إن امراء المؤمنين لا يصلحون لتولي امارة المؤمنين ، رغم قاعدة الشورى والقيود الشرعية التي من حق الامة ان تقيدهم بها بحكم الشرع . ومع ذلك فاننا لا نبخس هذا الكتاب حقه فهو والحق يقال قد كتب بأجود أسلوب يمكنهم أن يكتبوه به ، وقد سبق الاهرام تلخيصه بكل أمانة

وكما عنينا نحن بكتاب (أنقره) عن الخلافة ولخصناه لقراء (الاهرام) كذلك عنيت جريدة (اقدام) التركية التي تصدر فى الاستانة بالكتاب العربي عن الخلافة ، فأنشأ شيخ الصحافة التركية احمد جودت بك صاحب جريدة اقدام مقالة عن هذا الكتاب أرسلها الى جريدته من (لوزان) متضمنة تقريظه وانتقاده . وهذا تعريبها :

﴿ تقريظ مدير جريدة اقدام التركية لكتاب الخلافة ﴾

لقد نشر السيد رشيد رضا محرر مجلة (المنار) الصادرة في مصر كتابا في المدة الاخيرة عنوانه ﴿ الخلافة — أو — الامامة العظمى ﴾

وذلك بمناسبة الحوادث والمسائل التي وقعت أخيرا بشأن الخلافة الاسلامية وقدم له مقدمة خاطب بها الترك والعرب والهنود وسائر الشعوب الاسلامية

وقد قال في فقرة يخاطب بها الترك : « أيها الشعب التركي العاقل: إني أهدي اليك هذه المباحث التي كتبتها في بيان حقيقة الخلافة واحكامها ، وشيء من تاريخها وعلو مكانتها ، وبيان حاجة جميع البشر اليها ، وجناية المسلمين على أنفسهم بسوء التصرف فيها ، والخروج بها عن موضوعها » ثم أورد في اثنين وأربعين فصلا آراء ومباحث شرعية وسياسية واجتماعية عن الخلافة والامامة وما يتعلق بهما ، وما من مبحث من هذه المباحث الا وهو جدير بامعان الاخصائيين فيه على حدته .

والسيد رشيد عالم مشهور من علماء الاسلام في العصر الحاضر وهو تلميذ المرحوم (الشيخ محمد عبده) الذي كان علامة اسلاميا، وكانت وفاته من عظميات الخسائر على العالم الاسلامي ، لابحاثه وتدقيقاته في قوانين أوربا وشئونها الاجتماعية وابحاثها العلمية ، وهو أعظم من أدخل النور على مصر وأوجد فيها العقلية العصرية

أريد أن أتكلم على بحث من ابحاث السيد رشيد ، وهو البحث الذي عنوانه « الترك العثمانيون والخلافة والتفرنج » (ص١٣٧) فان السطور الواردة تحت هذا العنوان لفتت نظري اليها . فهو يقول :

« كان اجدر المسلمين بالسبق الى هذا — أي الى اصلاح نظام الخلافة رجال الدولة العثمانية ، ولا سيما الذين يقيمون في الاستانة والرومللي من بلاد أوربة يشاهدون تطور شعوبها وترقيهم في العلوم والفنون والنظام . ولكن دولتهم لم تكن دولة علوم وفنون . لانه لم يكن لهم لغة علمية مدونة قابلة لذلك الا في أثناء القرن الماضي (وقال المؤلف) في موضع آخر من كتابه : « إن العثمانيين لم يجتهدوا في تكوين اللغة التركية حتى تكون كذلك ولم يكن يتعلم علوم الاسلام منهم الا قليل من المقلدين ، ولهذا جعلوا سلطة سلاطينهم شخصية مطلقة ، حتى بعد تحليتهم بلقب الخلافة ، فلما صاروا يدرسون تاريخ أوربا وقوانينها ، وثوراتها على حكوماتها لازالة استبدادها ، ظنوا أن لا سبيل لتقييد استبدادهم ومنع ظلمهم الا بتقليد أوربة في شكل حكوماتها الملكية المقيدة ، ثم رجحوا في هذا الزمن الجمهورية، لانهم رأوا ان جعل السلطان مقدسا غير مسئول كما قرروه في قانونهم الاساسي لم يف بالغرض . ولو درسوا الشريعة دراسة استقلالية كما يدرسون القوانين لوجدوا فيها مخرجا أوسع وأفضل من القانون الاساسي السابق ، ومن الخلافة الروحية وحكومة الجمعية الوطنية الحاضرة »

فالسيد رشيد يؤاخذنا لرجوعنا الى الطرق الاوربية ، ولا نراه محقا في ذلك اذ هو أيضا يعلم حق العلم ان الخلافة لم تستقم في طريقها الا الى آخر مدة عمر ، وبدأت الفوضى زمن عثمان ، فلم يعد في الامكان ادراك مثل دوري أبي بكر وعمر

و بعد هذين الشيخين لم يظهر من يدانيهما في العدل غير رجل واحد هو عمر بن عبد العزيز وآخر من الترك هو نور الدين زنكي و يعد رابعهم . ومعلوم كم ذاقي المسلمون من مضار الاختلاف بين الامويين والعباسيين

ينتقد السيد رشيد رضا جنود الترك لتغلبهم على الخلافة العباسية . نعم لقد صدر من هؤلاء بعض أمور غير مناسبة . ولكن من المعلوم جنوح الخلفاء العباسيين بعد ذلك الى عدم الاعتقاد ، فاذا صار الخلفاء الى ذلك ماذا يصنع الجاهلون من الجنود الذين في معيتهم .

والسيد رشيد يعزو كل هذه الامور التي حلت بالاسلام الى الفتن والمفاسد التي نصبها مجوس فارس لتقويض هذا الدين ودك معالمه ، ولكن هل مفاسد زماننا أقل من مفاسد ذلك العهد ؟ واذا كان أولئك يدسون دسائسهم من تحت ستارفان امثالها في هذا الزمان ترتكب علناء وهذا ما فعله الشريف حسين بتركيا ماثل أمامنا فهل في أحكام الشرع ما يجيز قيامه على تركيا ؟ اذن فهنالك أمور تتبدل بحسب الزمان

ان الترك لم يكونوا البادئين بالانصراف الى جامعتهم القومية . فهم لما رأوا الحركات الموجهة اليهم قالوا : فلنفكر اذن في قوميتنا . وليس معنى ذلك أن الترك قطعوا علاقتهم بالمسلمين فالصلة المعنوية باقية كما كانت . ونحن سنؤسس علاقاتنا الحسنة مع جاراتنا الحكومات العربية قائلين: مضى ما مضى وسنتمسك بأواخي الود مع كل جيراننا من عرب وعجم ، دون أن نتدخل في الشئون الداخلية والآمال القومية لاية أمة من تلك الامم ، وسنتعاون معهم علميا واقتصاديا اذا استطعنا ، ولا ننظر اليهم بعين العداء كما كنا نفعل وقتا ما . فلتعمل كل أمة من هذه الامم على حدتها ولتسر في طريق الحضارة والارتقاء حتى تبلغ ساحل السلامة ، ان الحكمة ضالة المؤمن ونحن سننشد هذه الضالة ونأخذها حيث وجدناها في الشرق أو الغرب ومن الخطأ الفاحش التعامي عن المحاسن المؤدي الى التأخر

نحن نظن أن في استطاعة المسلمين أن يستفيدوا من موقف الخلافة الحاضرة

علماً وأدبا استفادة لم يسبق حصولها لان السياسة كانت تعترض في سبيل ذلك فاذا كان علماء الاسلام وأهل الخير منهم يودون الاستفادة من الخلافة حقا فان هنالك وسائل لا تضر احدا . فالمسلمون في كل مكان محتاجون الى مرشدين في العلم والتهذيب. اذ ان المسلمين في بعض الاماكن (ولا نريد أن نسمي) واقفون موقفا سيئا في جهة الاتصال بين دينهم وقوميتهم ، فاذا لم تبذل العناية في تهذيبهم وتعليمهم فان مستقبلهم مظلم ، وانشاء الاوضاع الدينية والتهذيبية لهؤلاء يحتاج الى مال ، فليقرر المسلمون أولا هذه الجهة كأن تؤسس مدرسة اسلامية عملية في مقر الخلافة لتدريس العلوم الدينية والعلوم العصرية معا. فاذا تحققت المعونة على ذلك من المسلمين يمكن الآن — اكثر مما كان ممكنا من قبل — قيام الخلافة بهذه المهمة التهذيبية

وكما أن السيد رشيد وجه الينا خطاب الود والصداقة في بعض فصول كتابه فان فيه أيضاً فقرات ينتقدنا بها بشدة ، وهو ينصح لنا دائما أن نستمد من الشرع الاسلامي وأن نستنير بتاريخ الاسلام ، ويعنى عناية زائدة بتوطيد اواخي الاخاء بين المسلمين، ويرى ان ضعف الحكومات الاسلامية ناشىء عن الوهن العارض من هذه الجهة . فهو ينتقد كون شخص السلطان (مقدسا وغير مسئول) مع أن المقصود من ذلك انه ليس للقانون سبيل اليه وان المسئولية في المملكة منحصرة في رئيس الوزارة وزملائه . ولا يكون السلطان مسئولا الا اذا باشر العمل فلا يكون حينئذ دستوريا، والسلطان الدستوري الحقيقي عندنا هو السلطان محمد الخامس ولكن الذين لم يرق لهم عمله من رجالنا كانوا يسمونه « الدرويش محمد »

وينتقد السيد رشيد لغتنا بانها ليست لغة علم، وحقا إن تقصيرنا نحن معاشر الترك العثمانيين وغفلتنا في هذا الامر عظيمة . ففضلا عن اهمالنا جعل التركية لغة علم فاننا أهملناها بوجه عام ، وكان شعراؤنا في مقدمة الذين أهملوها حتى جعلوها بشكل لا يفهمها جمهور الشعب ولم يبق فيها من التركية غير الروابط وسائرها من العربية والفارسية . مما يؤسف له اننا الى اليوم كلما أردنا أن نصطلح على اسم

نلجأ الى العربية حتى اذا وجدنا فيها لفظة غير علمية نصرفها عن معناها الى معنى آخر ونلوكها بالسنتنا ، كأن ذلك لايكون الا باخذه من العربية . ولاتزال اللجنة التي في وزارة المعارف سائرة على هذا المنهاج ولو امعنوا النظر لوجدوا في التركية مايسد هذا المسد . ولكن ليس بيننا من يعرف التركية حقا . ولا نعلم فروعها كما يعلمها الاستاذ فون لوكوك استاذ التركية في برلين وذلك لان رجالنا لم يتعودوا ازعاج أنفسهم بالرحلة في سبيل العلم ، بل كل منا يريد أن يملىء جيبه نقوداً وأن يبقى في بلده محتفظا براحته فلا يذهب الى تركستان ولا الى الاناضول لدرس اللهجات التركية . وان كتاب اللغة الذي هو مصدر للسان الترك انما جاءنا به من مدينة (كاشغر) رجل عربي من أهل طرابلس الشام (١) فاصبحنا وليس للغة التركية كتاب صرف ولا قاموس ، لانه ليس عندنا رجال يحملون أنفسهم عناء الدرس والتحقيق ، فمتى ياترى يكون عندنا هؤلاء الرجال ؟ الله أعلم إﻫ

﴿ تعليق المنار على مقالة جريدة إقدام في الخلافة ﴾

قد كتب رصيفنا جودت بك ما كتبه وهو لم يقرأ من كتاب الخلافة الا ما يتعلق بالترك كله أو بعضه كما يظهر لنا ، ولعله لو قرأه كله لكتب غير الذي كتبه في الخلافة والخلفاء، والحكومة الاسلامية ، وما يقابلها من الحكومات الاوربية. ولما كان قد نقل مما قرأه منه تعليلنا تقليد الترك للافرنج بعدم دراستهم الشريعة دراسة استقلالية كما يدرسون القوانين كان ينبغي له أن يقرأ جميع مباحث هذا الكتاب الوجيز المبين لحقيقة الخلافة وتفضيل الحكومة الاسلامية على الحكومات الافرنجية قبل أن يبدي رأيا في المسألة فنحن ننتقد عليه هذا ونناقشه في بعض المسائل التي هي من لباب الموضوع فنقول

(١) إنه لا يرى لنا حقا في مؤاخذة الترك في الرجوع الى الطرق الاوربية

---

(١) الاهرام — لم تذكر (اقدام) اسم هذا الرجل والذي نعلمه انه الشيخ سعيد العسلي الرحالة العربي الى الصين و بلاد الترك الصينية ، وكان قد زار مصر منذ خمسة عشر عاما ونشر فيها فانون الصين ومعلومات عن تلك الربوع

في حكومتهم ، واستدل على ذلك بأن الخلافة لم تستقم على طريقتها الا الى آخر مدة عمر . (قال) و بدأت الفوضى في زمن عثمان . . . وافتات علينا بقوله اننا نعلم ما قاله حق العلم . ولو قرأ الكتاب لما قال هذا القول ، فان فيه ما يخالفه ، وقد أخطأ فيه خطأ آخر بطعنه في خلافتي عثمان وعلي من الراشدين المهديين (رض) فخالف بهذا إجماع أهل السنة وكذا الشيعة في الطعن في علي كرم الله وجهه ، ولا أقول إنه وافق الخوارج فان طعنه في خلافة الصهرين غير ما ينقمونه منهما . وأخطأ أيضا في حكمه بأن الفوضى ظهرت من أول خلافة عثمان والصواب أن ما سماه الفوضى ليس الا ثورة من ثار عليه (رض) وهي لم تظهر الا في أواخر مدته و بدأت أسبابها في الشطر الثاني منها ، فقد أخرج ابن سعد عن الزهري إمام المحدثين أنه قال : ولي عثمان الخلافة اثني عشرة سنة فعمل ست سنين لاينقم الناس عليه شيئا وأنه لاحب الى قريش من عمر بن الخطاب لان عمر كان شديدا عليهم فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم ، ثم توانى في أمرهم واستعمل أقرباءه وأهل بيته في الست الاواخر . . . الخ ما قاله هنا مختصرا ورواه ابن عساكر عنه عن سعيد ابن المسيب مفصلا

والخطأ الاكبر جعله الثورة على عثمان مطعنا في شكل الحكومة الاسلامية المعبر عنها بالخلافة — ومطعنا في كفايته وعدالته — أما الاول فباستدلاله بها على تخطئتنا للترك في تفضيل طريقة الافرنج في الحكومة الملكية المقيدة ثم الجمهورية على الطريقة الاسلامية — وأما الثاني فبقوله إن الخلافة لم تستقم الا الى آخر مدة عمر ، و بعدم اعترافه بعدالة أحد بعد عمر بن الخطاب الا عمر بن عبد العزيز ونور الدين زنكي التركى الاصل . ذلك بأن الناس ما ثاروا على عثمان بظلم اقترفه ، وإنما ثاروا بظلم بعض عماله من مجرمي بنى أمية ، وكم قتل الثوار في أوربة من ملك ورئيس جمهورية ولم يعد أحد قتلهم دليلا على فساد طريقة الحكم في بلادهم ، والثورة على عثمان لم تكن عن سخط على نظام الخلافة ولا أحكام الشريعة ولا بسبب اتهامه بمخالفتها والخروج عنها ، بل أثارها ظلم بعض عماله في الظاهر ، وجمعية

عبد الله بن سباء اليهودي في الباطن .

وأما الفتن التي حدثت في خلافة علي كرم الله وجهه فقد كانت ببغي معاوية وآله وبدسائس السبئيين أيضا ، وتلا ذلك تأويلات الخوارج الباطلة . وعمر بن عبد العزيز لم يكن على فضله بالعلم والعدل والزهد بالذي يلحق بعلي في هذه الثلاث ، دع سائر مناقب علي وفضائله ، وأما نور الدين فلم يكن من فرسان ميدان هذا ولا ذاك ، على ما يعرفه له التاريخ من العدل والزهد والصلاح ، اذ كان عاميا مقلدا ، وأين العامي المقلد من كبار علماء مذهبه ؟ واين هو من امام المذهب ؟ وأين هؤلاء الائمة المعروفون بعلماء الامصار من عمر بن عبد العزيز ؟ وأين هو من امام الائمة ، وأقضي قضاة الامة ، ربيب الرسول وصنوه الذي جعله منه كهرون من موسى عليهم الصلاة والسلام ؟

يكثر غلاة التفرنج من ذكر الفتن التي وقعت في عصر الاسلام الاول بين الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم ، يريدون بذلك الطعن في الحكومة الاسلامية وهم لا يعرفون من تلك الاحداث الا بعض قشور الاخبار التاريخية ، وقد خانتهم كلهم فلسفتهم الاجتماعية فيها ، ولولا ذلك لعلموا أنها احداث كانت تقتضيها سنن الاجتماع البشري في ملك جديد ، طويل عريض ، لم يعرف التاريخ له مثلا من طريف ولا تليد ، فان جمع الاسلام لكلمة العرب المتفرقة منذ ألوف السنين في عشرين سنة كان من المعجزات الاجتماعية التي أيد الله بها رسوله (ص) ثم إن استيلاءهم بهدايته على قيصرية قيصر (امبراطورية الرومان) وكسروية كسرى وآسية الصغرى وشطر أفريقية الشمالي كله في جيل واحد كان من خوارق سنن التواريخ أيضا ، كما كانت قدرة هؤلاء الاميين الذين غلبت عليهم طبيعة البداوة على ادارة هذه الممالك المختلفة الاجناس واللغات والاديان والحضارات ، المترامية الارجاء من المحيط الاطلس الى حدود الهند ، وحفظ الامن وإقامة العدل فيها — يكاد يكون من آيات الاسلام أيضا . أفيعقل أن تجري أمور هذه الاقطار في حكومتها بتأثير الآيات وما يشبه الخوارق طول الحياة ؟ أليس مما تقتضيه طبيعة

البشر أن يوجد في العرب محبون للرئاسة لمحض التمتع بعظمتها ولذاتها ؟ أليس من الطبيعي أن يقوم من اليهود مثل عبد الله بن سبأ يكيد لدين الاسلام وأهله؟ أليس من الطبيعي أن تؤلف تلك الجمعيات من مجوس الفرس الذين لبسوا لباس الاسلام يكيدون العرب ولملك العرب ولدين العرب الذي جمع كلمتها وأعطاها من القوة ما تمكنت به من ازالة ملك الفرس العظيم القدر القديم المهد في سنوات معدودات ؟

كل هذا مما سبق لنا بيانه بالتفصيل وهو من سنن الاجتماع البشري — ولكن العبرة فيه ان يعتبر أنه لم يوجد في تلك المملكة الاسلامية الكبرى أحد شكا من الشريعة الاسلامية أو رماها بالظلم ، لا عربي ولا عجمي لا يهودي ولا نصراني ولا مجوسي ولا وثني — وانما رمي بالظلم أفراد من عمال عثمان ثم من غيرهم ، وهذا مما لا تسلم منه حكومة ولا جماعة من البشر .

وقد بينا في كتاب الخلافة وغيره ان العدل العام كان هو الغالب في الدولة الاموية المطعون في خلافتها ، وإنما كان الظلم المبين فيها خاصا في الغالب بما يتعلق بحفظ سلطانهم ومقاومة خصومهم وما يستلزمه من سوء التصرف في بيت المال ، وما عدا هذا مما يؤاخذون به فذنوب شخصية لا يلقي لها اهل هذا العصر بالا . ومثل هذا يقال في الخلفاء العباسيين . فجميع مقاصد الخلافة كانت حاصلة في عهد الفريقين ولكن مع عظمة الملك كما قال ابن خلدون .

وإنما كلامنا اليوم مع اخواننا الترك في تفضيل التشريع الاسلامي على التشريع الاوربي — ويقول شيخ الصحافة التركية إنه لا حق لنا فيه ويحتج بما حدث من الفتنة في زمني عثمان وعلي (رض) و بتفضيل زمن الشيخين على زمن الصهرين ، وهو يعلم حق العلم أن الفتن التي سماها بالفوضى لم يكن سببها الشريعة ولا التشريع — كما أن التشريع الاوربي وشكل الحكومات فيه ليسا بعاصمين من الفتن ولا من الفوضى ، وما فيهما من نظام حسن كنظام الشرطة والشحنة (البوليس والضابطة) ليس مما يمنعه الشرع الاسلامي بل قد يوجبه اذا لم يوجد نظام أحفظ للامن منه ، وكذلك النظام العسكري ، ولكن التشريع

الاسلامي يمنع كل ما يهدد الحضارة الاوربية من تعاليم البلشفية والفوضوية والاشتراكية المسرفة كما بيناه في كتاب الخلافه ، وان صاحب جريدة أقدام لاعلم منا بالفتن التي تضطرم في ممالك أوربة وبالخطر الذي يهددها ، ولهذا دعونا الشعب التركي الباسل أن يجدد حكومة الخلافة الاسلامية لخدمة الانسانية — وأن يكون قدوة لاوربة لا مقلدا لها في عهد اضطراب مدنيتها المادية التي آن لميكروبات الفساد المتغلغلة فيها أن تقضي عليها ، فما كان ينبغي للسياسي المحنك جودت بك أن يعجل بتخطئتنا في هذه الدعوة قبل أن يدرس ما كتبناه فيها

(٢) اعتذر جودت بك عن إفساد الجند التركي للخلافة العباسية وثله لعرشها بأنه « صدر من هؤلاء أمور غير مناسبة » قال ولكن من المعلوم جنوح الخلفاء العباسيين لعدم الاعتقاد فاذا صار الخلفاء الى ذلك فماذا يصنع الجند الجاهل الذي في خدمتهم ؟

مثل هذا التعليل والاعتذار يعهد في المجادلات السياسية ، دون ما نحن فيه من الحقائق التاريخية للحكومات الاسلامية ، فالذي صدر عن ذلك الجند ليس « أموراً غير مناسبة » بل أفظع الجنايات والخيانات للدين والدولة اذ كان الجندي يهجم على الخليفة أمام الامة ورئيس الدولة فيقتاله وهو جالس على عرشه ، وإنما وظيفته المحافظة عليه والطاعة له ولمن دونه من رؤساء حكومته ، ولا ندري من أين جاء الكاتب الكبير بقوله « انه من المعلوم جنوح الخلفاء العباسيين بعد ذلك لعدم الاعتقاد » ؟ أمر الاعتقاد من الامور الباطنة فمن أين صار معلوما للكاتب السياسي الكبير بعد الف سنة ؟ وهب أنه أمر كان معلوما عن بعضهم في عصرهم ، فهل يصح أن يكون لجنودهم عذراً في قتل من قتلوا من سلفهم أو منهم ؟ بل اذا فرضنا أنهم جنحوا الى ما يسميه عدم الاعتقاد قبل تصدي جنودهم للفتك بهم لا بعده كما قال فهل يمكن أن يقال إن ذلك الجند الذي اعترف الكاتب الكبير بجهله قد اقترف جناياته تربية للخلفاء على ذلك الجنوح ؟ واذا فرض ذلك فهل يكون عذراً له مخففا لجرمه ؟ اذا كان الجندي الجاهل يقتل رئيس الامة في أمور دينها

ودنياها لامر يتعلق باعتقاده فكيف يمكن أن يستقيم للحكومة أو للامة أمر وأي تشريع في العالم يجيز هذه الهمجية ؟ أما الاسلام فانه لا يبيح للخليفة نفسه أن يبحث عن عقائد الناس ويحاسبهم أو يعاقبهم عليها ، بل صرح الرسول (ص) بأنه لم يؤمر بالتنقيب عن القلوب

(٣) ذكر رصيفنا السياسي الكبير ما بيناه من تأثير دسائس مجوس الفرس في الفتن التي دهمت الامة الاسلامية — وتعقبه بادعاء أن مفاسد هذا العصر أشد لانها تفعل جهرا وكانت تلك تدس من وراء حجاب واستشهد « بقيام الشريف حسين على تركيا » وقال « اذن فهنالك أمور تتبدل بتبدل الزمان »

ونحن نقول إن للعرب نظرا آخر في المسألة يقولون : هنالك جند جاهل متوحش يهدم سلطة الدين والدولة الاسلامية تلذذا بما اعتاده وصار كالغريزة له من حب الفتك والعدوان والفساد في الارض كما هو مدون في بطون التواريخ العامة — فلم يقل أحد من المؤرخين ان الجند التركي الذي فعل ما فعل في الخلافة العباسية كان له مقصد من المقاصد الدينية أو المدنية يسعى له سعيه ويتوسل اليه بقتل الخلفاء وههنا شعبان كانا مرتبطين بحكومة انفرد أحدهما بالسيادة والسلطان الاعلى فيها فاستعان بذلك على قهر الآخر واستذلاله وقهره على التحول عن جنسيته وترك لغته المقدسة التي تعبد الله تعالى بها جميع أهل دينه الى لغة الغالب القاهر الملفقة التي لم يستقر بها على قرار — أكان من العجب أو من المنكر في عرف أحد من الامم أن يغتنم زعيم من هذا الشعب المقهور فرصة اشتغال قاهره بحرب يرجح هو انكساره فيها فيسعى لاستقلاله وحفظ حياته ان تزول بالتبع له ؟

هذا ما يراه العرب في التنازع بينهم وبين الترك الذي اثارته جمعية الاتحاد والترقي في الدولة العثمانية التي كان العرب راضين بالارتباط بها مع هضم حقوقهم فيها قبل قيام الطورانيين بالسعي لجعلها تركية محضة يجبر كل مرتبط بها على أن تكون لغتها لغته دون سواها ، وان تكون احكامها تركية قومية ويذكر رصيفنا صاحب السعادة جودت بك أننا كنا كلمناه كما كلمنا رؤساء الدولة في وجوب تلافي خطر هذا

التنازع بين الشعبين الاكبرين في هذه الدولة اللذين شبهناهما بالعنصرين المكونين لحقيقة الماء أو الهواء ، وانا عرضنا عليه ان نشرح للدولة وللرأي العام التركي في العاصمة أسباب التنازع والطريقة المثلى لتلافي ضرره واتقاء خطره بمقالات ننشرها في جريدته « إقدام » — ويتذكر ايضا انه رضي ان ينشرها بشرط ان يحفظ للجريدة حق النقد والمناقشة فيها — وانا رضينا بالشرط — وانه نشر لنا ثلاث مقالات لم ينكر منها شيئا وامتنع عن نشر الثالثة وما بعدها ، لما رأى في الثالثة ان ما يشكو منه العرب حق لا يمكن ان يناقش فيه — وانه قال لنا هذه شؤوننا الملية فليس لكم ان تعارضونا او تجادلونا فيها . ويتذكر أيضا ما كانت تنشره جريدته في ذلك الوقت من الطعن في العرب لبعض الكتاب حتى في عرضهم وشرفهم وما كان من سوء تأثير ذلك باعتداء بعض الشبان عليه في ادارة جريدته . . .

ثم انه يتذكر ذلك اذا ذكر به ، وقد صرح في مقالته التي نحن بصدد المناقشة فيها انهم كانوا يبغضون العرب وان السبب قد زال الآن بانفصال كل منهما عن الآخر ، بل هو يعد خروج الشريف حسين على الدولة التركية من المقتضيات التي تتبدل بتبدل الزمان ، ولكنه لا يرى لها وجها في الشرع فهو يستدل بها على تخطئتنا في مطالبة الدول التركية الجديدة بالتزام الشرع الاسلامي دون التشريع الافرنجي

ونقول في جوابه اذا كان امير مكة لم يلتزم في قيامه أحكام الشرع — وهو ينكر ذلك ويدعي ضده — فليس سبب ذلك ان الشرع لا يمكن التزامه في هذا الزمان ، وهذه شبهة المتفرنجين على الشريعة الاسلامية وقد بينا خطأهم فيها مراراً كثيرة في المنار ، واثبتنا أنها صالحة لكل زمان ومكان ، وذكرنا ذلك في كتاب الخلافة ، والظاهر ان رصيفنا الاكبر احمد جودت بك لم يقرأ هذا البحث فيه . وقد كان من الممكن ان يلتزم امير مكة أحكام الشرع في عمله كما نصحناه ، وكان ذلك خيرا له وأحسن عقبى . ولكن الدسائس والاخاديع البريطانية التي تؤيدها أكياس الذهب هي التي أضلته عن الشرع وعن مصلحة المسلمين عامة والعرب خاصة

واست أقول إنه كان يجب عليه شرعا أن يطيع سلطان الآستانة لانه خليفة

الرسول (ص) وقواده مثل جمال باشا — فان السلطان لم يكن هو الامام الحق الذي تجب طاعته على كل مسلم وان لم يكن متغلبا عليه — ولو فرضنا أنه كان كذلك فاننا نعلم كما يعلم جودت بك والامير حسين أنه كان مغلوبا على أمره فلا أمر له ولا نهي — وانما نقول انه كان يجب عليه شرعا أن يتقي تغلب الدول الاجنبية على الدول الاسلامية والبلاد الاسلامية — وبهذا نصحنا له فصرح لنا هنالك في احتفال العيد بمني أننا متفقون معه في الرأي ـ ولكنه كان خادعا وظهر خداعه من بعد

(٤) قوله ان الترك لم يكونوا هم البادئين بالانصراف الى جامعتهم القومية التي لاتنافي الصلة المعنوية بين الترك وسائر المسلمين الخ مافي (ص ٧٦٩) فهو حسن وأقل ما يجب من تواد الشعوب الاسلامية وتعاونها ، ونحن قد دعونا الترك الى منزلة فوق هذه المنزلة

(٥) قوله إنه يظن أن المسلمين يستطيعون أن يستفيدوا من موقف الخلافة الحاضرة علما وأدبا الخ قول غريب في ظن غريب ، فهو قد جهل الخلافة الشرعية التي نتكلم فيها وهي رئاسة الحكومة الاسلامية في اقامة الدين وسياسة الدنيا بمعنى مشيخة الطريق التي ينحصر عملها في الارشاد والتهذيب . واذا كان هذا ما يريدونه من معنى الخلافة فلماذا يحرصون على هذا اللقب فيخرجونه عن مدلوله الشرعي ؟ ولماذا يحصرون هذه الوظيفة في أهل بيت تركي معين لا يوجد أحد من أفراده ممتاز بالعلوم التي يتوقف عليها الارشاد الاسلامي وهي علوم القرآن والسنة والعقائد والفقه والتصوف ؟ وكيف ساغ لشيخ الصحافة التركية أن يقول اذا كان علماء الاسلام وأهل الخير منهم يودون الاستفادة من الخلافة . . . وهو يرى أن الخلافة التي يعرفها علماء الاسلام قد زالت بزوال الحاجة اليها ـ والخلافة الجديدة التي يقررونها ليست الخلافة التي يعرفونها ، على أنها لم توجد بعد ؟؟؟

(٦) قوله إنني انتقدتهم بشدة كما وجهت اليهم خطاب الود والصداقة صحيح وانني عملت في هذا بالحكمة العربية التي سارت مثلا وهي « أخوك من صدقك

لا من صدقك » على أنني لم أتجاوز في النقد حد الضرورة التي لم أرمنها بدا الاقناع بما أريد من الخير للترك وسائر المسلمين الذي اعترف لي به الرصيف الكريم لظهوره وظهور اخلاصي فيه ولله الحمد

(٧) ما فسر به جعل السلطان مقدسا غير مسئول معروف عندنا وانما انتقدناه لانه غير شرعي فهو يجب أن يكون عاملا وأن يكون مسئولا عن عمله ، والنظرية الدستورية في هذا مبنية على تلافي شر ما جرى عليه الملوك من التعالي وما جرت عليه الشعوب من تقديسهم فأبقوا لهم العلو والتقديس بسلب السلطة منهم لئلا يفسدوها باستبدادهم ، ولكن الاسلام أبطل تقديس البشر وأبطل الاستبداد وقيد طاعة الرسول المعصوم بالمعروف حتى لا يطمع غيره بالطاعة المطلقة كما بيناه في كتاب الخلافة . فرئيس الحكومة الاسلامية (الخليفة) يجب أن يكون عاملا يحمل تبعة عمله ، وراعيا مسئولا عن رعيته ، وليس له امتياز في الشريعة يرتفع به عن مساواة غيره ، أو يبيح طاعته فيم تحرمه الشريعة ، واذا كانت الحكومة لابد لها من رئيس فرئيس الحكومة الاسلامية العليا هو خليفة الرسول في المسلمين سواء سمي خليفة أم لا بشرط أن تراعي فيه الشروط الشرعية المعروفة فان تعذر عليها استجماع الشروط وجب عليها وعلى الامة في جملتها السعي لاستجماعها ، واذا وجدت عدة حكومات اسلامية كانت الحكومة الشرعية الحق هي المستجمعة لها والقائمة بوظائفها ، ولا تجب الطاعة لغيرها شرعا في حال الاختيار بل غيره متغلب تجب الهجرة من داره الى دار العدل التي يرأسها الامام الحق (الخليفة) الا لعذر ، وأما ابتداع رئاسة دينيه محضة وتسميتها خلافة وتسمية رئيسها (خليفة رسول الله) فهو مردود لانه عبث بهذا الدين

واذا نصب المسلمون في أي مكان خليفة مستجمعا للشروط الشرعية فالواجب على رئيس هذه الخلافة البدعية أن يطيعه في كل ما يأمر به ما لم يكن معصية لله تعالى أو مما يعجز عنه

تاريخ الحرم الشريف

(تتمة ما نشر في ص ٤٤٨ ج ٦)

المكان الذي شيد عليه المسجد الاقصى وقبة الصخرة المشرفة (تل موريا) منزلة دينية سامية من أقدم أزمنة التاريخ يقدسها المسلمون والمسيحيون واليهود حتى الوثنيون . و يظهر من شكل الساحة التي عليها قبة الصخرة أنها كانت في بداءة الامر بيدراً لاحد اليبوسيين (سكان فلسطين الاقدمين) وقد بنى فوقها سيدنا داود عليه السلام بعد فتحه البلاد مذبحا تقدم فيه القرابين لله تعالى

هيكل سليمان

وفي سنة ١٠١٣ ق . م أمر سيدنا سليمان عليه السلام بانشاء قصر له حيث المسجد الاقصى وهيكل فخم حيث قبة الصخرة الشريفة ولم يكمل البناء الا بعد وفاته بمدة طويلة . وقد دمره الكلدانيون سنة ٥٨٨ ق .م . فحاول اليهود عقب عودتهم من الاسر تجديده سنة ٥١٦ ق .م . فلم يصنعو شيئا مذكورا

﴿ هيكل هيرودس ﴾

وفي السنة العشرين قبل الميلاد شرع هيرودس الكبير بتشييد هيكل فخم وبرج عال (انطونية) في المكان نفسه فلم يوفق الى اتمامه و بقي الى سنة ٧٠ ميلادية إذ دمره جنود الرومانيين حرقا ابان محاصرة الامبراطور طيطوس بيت المقدس واستيلائه عليها

﴿ زون المشترى ﴾

وبنى الامبراطور ادريان سنة ١٣٠ م مدينة إيلياء وأمر بتشييد زون كبير المشتري (اله الحرب) اثنا عشري الشكل Dodecastile كالذي ترى على صورة بعض النقود القديمة فنصب فيه صنما للمشتري وآخر (للديوسقورس) أو صنم بتوأمين (كاستور و بلوكس) واقام تمثالا لنفسه بالقرب من الصخرة المباركة

﴿ الحرم الشريف ﴾

وسنة ٦١٤ م اكتسح الفرس البلاد فخربوا بيت المقدس وقضوا على ما فيها من المعابد والكنائس لكن جيوش المسلمين لم تلبث أن فتحت بيت المقدس سلما سنة ١٥ هجرية و٦٣٧ م بحضور الخليفة الثاني سيدنا عمر رضي الله عنه . فلما دخلها ذهب توا الى مكان الحرم الشريف وأزال ما كان فيه من الاقذار

ولما افضت الخلافة الى عبد الملك بن مروان وحيل بينه و بين الحرمين الشريفين لقيام خصمه عبد الله بن الزبير خليفة في الحجاز ولى وجهه شطر القبلة الاولى فامر بانشاء المسجد الاقصى وقبة الصخرة في بيت المقدس ورصد لذلك خراج مصر سبع سنين ووكل على العمارة أبا المقدم رجاء بن حيوة بن جود الكندي وكان من العلماء الاعلام ويزيد بن سلام مولى عبد الملك من أهل بيت المقدس وولديه . و يقال ان عبد الملك وصف ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها للصناع فصنعوا له وهو ببيت المقدس القبة الصغيرة التي هي شرقي قبة الصخرة (قبة السلسلة) فاعجبه تكوينها وأمر ببنائها كهيئتها

و بقيت بعد الفراغ من عمارة الحرم مئة الف دينار فأمر بها عبد الملك جائزة لرجاء و يزيد فكتبا اليه : « ونحن أولى أن نزيده من حلي نسائنا فضلا عن أموالنا فاصرفها في أحب الاشياء اليك » فكتب اليهما بان تسبك وتفرغ على القبة فسبكت وأفرغت عليها فما كان أحد يقدر ان يتأملها مما عليها من الذهب وهيئا لها جلالا من لبود توضع من فوقها فاذا كان الشتاء ألبستها لتكنها من الامطار والرياح والثلوج

وكان الفراغ من عمارة قبة الصخرة والمسجد الاقصى في سنة ٧٢ من الهجرة وقد قرن اسم عبد الملك بهذا الاثر الخالد منقوشاً بالفسيفساء عند مدخل الصخرة من الباب الجنوبي بعبارة هذا نصها :

« بنى هذه القبة عبد الملك (لله الامام المأمون) أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين يتقبل الله منه ورضي الله عنه آمين »

ويظهر من اختلاف الخط واللون فيما أشرنا اليه بين هلالين انه من الاضافات التي حدثت بعد ذلك التاريخ

﴿ الحرم الشريف في زمن العباسيين ﴾

وفي سنة ١٣٠ هـ سقط شرقي المسجد المسجد الاقصى وغربيه في الرجفة التي حصلت في خلافة أبي جعفر المنصور العباسي فخوطب بلزوم عمارته فامر بقلع صفائح الذهب والفضة التي كانت على الابواب فقلعت وضربت دنانير ودراهم وانفقت عليه حتى فرغ

ثم حصل زلزال سنة ١٥٨ هجرية تهدم فيه البناء الذي كان امر به أبو جعفر فلما كانت خلافة المهدي أمر ببنائه فانقص من طوله وزيد في عرضه . وذلك في سنة ١٦٩ هـ وأخيراً جددت عمارة قبة الصخرة في أيام المأمون (٢١٦ هـ) كما جاء في الكتابة المذهبة الواقعة على البابين الشرقي والشمالي من الداخل

﴿ الحرم الشريف في زمن الفاطميين ﴾

ثم جاءت زلزلة ثالثة سنة ٤٠٧ هـ . تهدمت من جرائها قبة الصخرة وبعض الجدران الواقعة في الشمال الشرقي من الساحة المحيطة بها فقام الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم بامر الله برفعها وتجديد عماراتها سنة ٤١٣ هـ على يد علي بن احمد كما نقش على الاعمدة الواقعة داخل القبة . ومما زيد فيها في زمن الفاطميين البناء المسمى اليوم بجامع النساء

﴿ الحرم الشريف في دولة بني أيوب ﴾

ولما احتل الصليبيون بيت المقدس حولوا قبة الصخرة الى كنيسة والمسجد الاقصى الى منزل لسكنى ملكهم وسموا ماتحت الاقصى من الابنية باصطبل سليمان وربطوا فيه الخيل فجاء صلاح الدين الايوبي وهدم ما أحدثوا من الابنية والسواري واعاد الحرم الشريف الى ما كان عليه وذلك سنة ٥٨٣ هـ . وكان الملك العادل نور الدين الشهيد قد أعد منبرا عجيب الصنعة برسم القدس صنعه

حميد بن ظافر الحلبي وسليمان بن معالي من خشب مرصع بالعاج والآبنوس وعليه تاريخ يرجع الى سنة ٥٦٤ ﻫ وقد أدركته المنية قبل الفتح فاحضره صلاح الدين من حلب وجعله في المسجد الاقصى وهو الموجود في عصرنا هذا

وأمر بترميم محراب الاقصى وكتب عليه بالفصوص المذهبة مانصه

« بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بتجديد هذا المحراب المقدس، وعمارة المسجد الاقصى الذي هو على التقوى مؤسس، عبدالله ووليه يوسف بن ايوب ابو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عندما فتحه الله على يديه في شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وهو يسأل الله اذاعة شكر هذه النعمة ، وإجزال حظه من المغفرة والرحمة »

وفي سنة ٦٣٤ قام الملك المعظم عيسى بن أخي صلاح الدين بعمارة (واجهة) المسجد الاقصى الشمالية والرواق الموجود في مدخله من تلك الجهة

وفي سنة ٦٦٨ ﻫ اعتنى السلطان الملك الظاهر بيبرس بعمارة المسجد ورمم صدع الصخرة الشريفة وجدد فصوصها التي على الرخام من الظاهر والتي على قبة السلسلة . وعمر السلطان الملك المنصور قلاون الصالحي سنة ٦٨٦ سقف المسجد الاقصى من جهة القبلة مما يلي الغرب . وفي أيام السلطان الملك العادل كتبغا في سنة ٦٦٥ جدد عمل فصوص الصخرة الشريفة وعمارة السور الشرقي المطل على مقبرة باب الرحمة . وفي أيام السلطان الملك المنصور لاجين جددت عمارة محراب داود الذي بالسور القبلي عند مهد عيسى عليه السلام بالمسجد الاقصى

وعني السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون إبان سلطنته الثالثة بعمارة السور القبلي الذي عند محراب داود عليه السلام ورخم صدر المسجد الاقصى وفتح به الشباكين اللذين عن يمين المحراب وشماله (٧٣١ ﻫ .) وجدد تذهيب القبتين قبة المسجد الاقصى وقبة الصخرة سنة ٧١٨ ﻫ . وعمر القناطر على الدرجتين الشماليتين بصحن الصخرة التي احداهما مقابل « باب حطة » والاخرى مقابل باب الدويدارية وعمر باب القطانين بالبناء المحكم . وفي ايامه أيضا عمر الامير تنكز الناصري

نائب الشام البركة الرخام بين الاقصى والصخرة والرخام الذي في قبلة المسجد عند المحراب وكذا الجانب الغربي سنة ٧٢٨ هـ

وفي أيام الملك الاشرف شعبان بن الامير حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاون عمرت المنارة التي عند باب الاسباط بمباشرة السيفي قطلو بغا ناظر الحرمين الشريفين في ٧٦٩ هـ . وكذا تم تجديد الابواب الخشب المركبة على الجامع الاقصى والقناطر التي على الدرجة الغربية صحن الصخرة المقابل لباب الناظر في (٧٧٨هـ)

وفي سلطنة السلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق عمرت دكة المؤذنين التي بالصخرة تجاه المحراب الى جانب المغارة بمباشرة ناظر مين ونائب القدس الشريف الناصري محمد بن السيفي بهادر الظاهري في ٧٨٩ هـ

وفي ايام الملك الظاهر أبي سعيد جقمق العلائي الظاهري احترق سقف الصخرة القبلي من جهة الغرب، من جانب القبة فاخمدت النار وعمر السقف أحسن مما كان

وفي سنة ٨٨٧ هـ . أمر السلطان الملك الاشرف أبي النصر بعمارة الدرج الموصل الى صحن الصخرة الشريفة تجاه باب السلسلة المجاور لقبة المدرسة النحوية وفي سنة ٨٨٤ جدد رصاص قبة الاقصى ولم يكن من حيث الجودة والاتقان كالقديم . وفي سنة ٨٨٧ هـ . انشىء سبيل قايتباي المقابل لدرج الصخرة الغربي على بئر هنالك وكذلك الفسقيتان المجاورتان له

وقد تمت في الحرم الشريف عمارات متعددة في زمن سلاطين بني عثمان كزجاج شبابيك الصخرة العجيبة فانه من آثار السلطان سليمان القانوني ٩٤٥ هـ كما تدل على ذلك الكتابات المرسومة على زجاج الطاقات . وكذلك القاشاني البديع المحيط بقبة الصخرة من الخارج فانه صنع في زمنه سنة ٩٦٩ هـ وهذا التاريخ مثبت في صدر محراب قبة السلسلة والنقوش والكتابات النفيسة فان قسما كبيراً منها جدد في أيام السلطان محمود سنة ١٢٣٣ وسنة ١٢٥٦ هـ . وفي أيام السلطان عبد العزيز سنة ١٢٩١ هـ جدد رصاص الصخرة الخارجي وتذهيبها وحصلت عمارات طفيفة في زمن السلطان عبد الحميد كتجديد سبيل قايتباي وباب الصخرة الغربي وغير ذلك

— « انتهى » —

بعثة تنصير المحمديين

وبرنامج كيدها للاسلام والمسلمين

لمحمد الرشيدي بك آل الحجازي ، من أركان الحرب سابقاً (في برلين)

(تمهيد) ان الالمان من أكثر الامم تسامحا في الدين أو من أقلها تعصبا فيه على الاقل . ولكن تفريط المسلمين في تبليغ العالم الغربي حقائق العقائد والعواطف التي أودعها الدين الحنيف في صدور أهله، والآداب العالية والاحكام العادلة التي عامل البشر كافة ، وأهل الكتاب خاصة — وافراط حشرات الشرق المؤذية (والارمن اشدها عداوة وخبثا في الكيد لمواطنيهم من أهل الاسلام) — هذا الافراط وذلك التفريط قضيا بأن يقع كل أجنبي — ألمانيا كان أو غير ألماني — في شرك عناكب السوء هذه التي تملأ صدره حقداً واحتقارا لامة محمد (ص) — مع سعيها طبعا في ابتزاز مال ذلك الاجنبي

كنا نعلم ما يعلم كل شرقي عاشر الاوربيين والاميريكيين من انتشار المعتقدات الغريبة والتهم الباطلة بينهم في المسلمين وانهم لا يعرفون عنهم سوى أنهم قوم عائشون على الفطرة ولا يدرون من أمور الحياة سوى التغذي بطعام سيء يتناولونه بأصابعهم القذرة والارتواء بالماء والقهوة والتسلي بالتدخين والاستمتاع بالنساء بالتزوج منهن بغير حساب لانهن لسن الا متاعا للشهوة البهيمية يشترين كما تشترى الانعام ويلفظن كما تلفظ النواة بغير مراعاة لحالتهن ولا لحقوقهن ، وان أطيب الطيبات عندهم سفك دماء المسيحيين

وكنا نعمل على قدر الاستطاعة في تفهيم الامم التي نحتك بها أن الدين الاسلامي مثل سائر الاديان التي تأمر بالخير وتنهى عن الشر ، وأنه أوصى بصفة خاصة بمراعاة أهل الكتاب وبمجاملة المسيحيين الذين وصفهم بأنهم أقرب الناس مودة للذين آمنوا ، ولم يأمر بمعاداتهم وبقتالهم الا عند بغيهم وعدوانهم على

المسلمين ، وان مركز المرأة في الاسلام أفضل وأكمل ضمانة لسعادتها وسعادة عائلتها من مركزها في أي أمة متمدينة من أمم أوربة وأميريكة ، وان تأخرها عن المرأة الاوربية أو الاميريكية في الرقي العلمي والاجتماعي لم يكن الا نتيجة الاسباب التي ادت لتقهقر مدنية الرجال انفسهم في الشرق – تلك الاسباب التاريخية والسياسية القديمة والحديثة التي لسوء نيات الامم الاوربية فيها عمل كبير ، وان المسلمين ليسوا أقل نشاطا من غيرهم ، بل انهم من أكبر الامم استعدادا لعظائم الامور ، كما تدل عليه آثارهم في العلوم والفنون والصناعات التي تدين بها الامم الغربية لهم وأعمالهم في الظروف العصيبة الحاضرة

ولكن كانت دائرة عملنا – ولا تزال – ضيقة لقلة كفاءتنا العلمية الدينية في بسط شؤون الدين الحنيف بسطا وافيا شافيا ، وقلة كفاية وسائلنا المادية لتوسيع نطاق هذا العمل العظيم

ولقد كنا نفكر دائما في اقتراح القيام بهذه المهمة الدقيقة الجسيمة على الاختصاصيين بالشؤون الدينية ، ولكننا كنا من جهة أخرى نظن أن الدولة العثمانية التي كان ولا يزال لها من الاستقلال والوسائل المادية والادبية ما يمكنها من هذا العمل الضروري للعالم الاسلامي عموما ولها – هي نفسها – خصوصا قد فكرت في الامر وسعت في القيام به دفعا لتطاول الاعداء على الدين وعليها. إلا أن قضية مقتل طلعت باشا واسبابها ونتائجها وما رأيناه في أثنائها وبعدها ، دلتنا على أن هذه الدولة الاسلامية الكبيرة لم تفكر الى الآن في هذا الواجب

نعم بينت لنا هذه القضية الحالة النفسية لدى القضاة والمحامين وغيرهم من الموظفين ولدى الشعب الذي عد تبرئة ذلك المجرم الارمني عملا منطبقا على العدالة تمام الانطباق ... وإن لم يقم القضاء بكل الواجبات التي توجبها النزاهة والعدالة ولم يستمع لآراء موظفي نظارة الخارجية ، وبينت لنا نتائج إهمال المسلمين وتفريطهم في الدفاع عن دينهم وأنفسهم إزاء المكايد والمهاجمات التي تتوالى عليهم منذ زمن طويل

ولقد استدعى التفاتنا الخاص شهادة الزور التي اقترفها «القسيس» المدعو بالدكتور ليبسيوس من تلك الشهادة التي حوت من الاكاذيب والغل والضغينة ما يتنزه عنه القسيسون الحقيقيون الذين أخلصوا الحب والطاعة للمسيح الكريم ، بل ما ينفر منه أدنى صعاليك الوثنيين — ان كان عنده ضمير

ولم يكن ليبسيوس هذا من أولئك الاشخاص الذين يوجدون ويا للاسف في كل طائفة دينية ، أي من المتعصبين تعصبا أعمى عن جهل وغباوة ، بل هو «مدير» البعثة الالمانية الدينية الشرقية التي برأسها الجراف (الكونت) فون برنستورف مصدر النشرة المدعوة بالشرق المسيحي ، هذه النشرة المعتنى بها أتم اعتناء فهو ذو مكانة عند طائفة من المسيحيين يظنون انه من أصدق خدام المسيح

ان الكذب الصراح والاختلاق المحض اللذين ظهرا لنا في شهادة ذلك الشخص المنتحل الدين وجده وكده في السعي لتبرئة ذلك المجرم امور جعلتنا نعتقد اعتقاداً قويا أنه ممن اشترتهم انكلترة والجمعية الارمنية(١) وانه من أشد الاعداء للدين المسيحي نفسه — ومحال أن يستفيد دين بأمثال هؤلاء الناس الفاسدي الضمير

ولقد بحثنا في الامر بعد أن ضاعت مساعينا لدى وزارة الخارجية — التي أخفقت هي نفسها في الاعتراض على ذلك القضاء الخطيء — ولدى ادارة الامن العام — لنحصل على أكثر ما يمكن من المعلومات التي يتقى بها ضرر هؤلاء

---

(١) المنار : اذاً قد اشترك في تبرئة المسيحي القاتل للمسلم رجال الدين ورجال السياسة من الالمان والانكليز ولكن انفرد الانكليز بتبرئة المرأة الفرنسية التي قتلت زوجها المسلم المصري ، وقد كان العدل البريطاني في تبرئة هذه القاتلة المقرة بالقتل مبنيا على ادعاء علو ادابها الاوروبية وانحطاط آداب زوجها الشرقية . . . فمن اصول التشريع البريطاني العادل انه يجوز لكل اوربي ان يقتل كل شرقي ولا يكون بقتله مجرما ولا مستحقا لادنى عقاب — وهم مع هذا كله يملأون الكون ادعاء بعدلهم وظلم الشرقيين عامة والمسلمين خاصة ! ! وهنالك عدل اعلى من هذا عندهم وهو ان اتهام شرقي بعصيان افرنجي معتد على بلاده يبيح قتله وقتل عدد لا يحصى من قومه كما وقع في البلاد العربية من مصر الى العراق . . .

المشركين بالله والمضرين بالناس ، فوفقنا الى الحصول على أشياء منها مجموعة كاملة للسنة الاولى من « مجلة الشرق المسيحي » (عن سنة ١٩٠٠) [illegible] التي تصدرها تلك البعثة الدينية (؟!!) التي تدل على أنه كان لتلك البعثة في سنة ١٩٠٠ — ستة مراكز عمل في بلاد الدولة العثمانية واثنان في بلاد فارس ، واثنان في بلغارية



وتدور أعمال هذه المراكز على المحور الذي بينه جلياً مقالة الدكتور « ابراهام اميرشانيانس » في تلك المجموعة — تلك المقالة المعنونة : « واجبات البعثة « المحمدية » ومهماتها » كما أن المجموعة كلها تدل على مقدار دناءة الوسائل التي تتخذها البعثة الرئيسية التي يديرها ذلك « القسيس » ليبسيوس

ونقتبس لكم أجزاء من تلك المقالة التي ملأت أربع صفحات كبيرة من صحف تلك المجموعة لتروا صورة وصفهم للدين الاسلامي وعملهم لازالته من الوجود

قال « إبراهام إميرشانيانس » المذكور فيما سطره :

« ان الاسلام من أشأم ما ظهر في تاريخ الانسانية . وهو خليط من الصدق والكذب ، فهو لذلك أشد خطراً من الوثنية . وان الدين المسلط على مائتي مليون رأس ليس من السهل التغلب عليه . فيجب تحضير خطة دقيقة تكون كأحكم الخطط الحربية وضعاً لمهاجمته وانفاذ هذه المهاجمة بأنجع وسائل التعبئة »

وبعد أن أوصى بضرورة مراعاة اختلاف أنواع المسلمين من أهل بلاد اسلامية مستقلة وأهل بلاد تابعة لدولة مسيحية في أوربة أو في المستعمرات ، لاتخاذ أحسن الطرق في انفاذ تلك المهاجمات ، [illegible] تعرض « المسلمين » الذين ينتحلون الدين المسيحي للأخطار الناشئة عن [illegible] الحكومات الاسلامية لهم ، وعن شدة تعصب أبناء جنسهم لهم ، قال إنه لا يصح [illegible] لتنصير المسلمين في البلاد الاسلامية المستقلة [illegible] لانقاذ من يؤتى بهم الى المسيحية

وقد وضح الطرق التي تستعمل في [illegible]

الوصول الى هذا الغرض ، وهي :

تبشير مباشر في الكنائس وفي الدور وفي مدارس تربية البنين والبنات الابتدائية والعالية ، ـ وهذا أهم الوسائل عنده ـ واستخدام الجرائد والنشرات للحملة على الاسلام والترغيب في المسيحية ، والاستعانة بالمبشرين والمعلمين والمعلمات والمربين والمربيات ـ وكذا بالباعة المتجولين وبالعمال

وقد استنتج « ابراهام إيبرشانيانس » هذا من انتحال بعض مسلمي البلغار والصرب الدين المسيحي أن الدين الاسلامي لا ثبات له ، وان قلة ثباته هذه برهان على أنه ليس دين حق ـ أو كما يقول : « لا يمكن ان يكون دين حق »

وبعد أن قال : ان الاسلام بدون سيف يؤيده شيء لا يعتد به(١) وصف المسلمين الذين انفصلوا عن الدولة العثمانية والذين في المستعمرات المغلوبة على أمرها فشبههم بسمك تركه الجزر على الارض اليابسة يفتح فاه ويطبقه لعدم إمكان بقائه حيا في غير العنصر الذي كان يعيش فيه (٢)

وصاح : « ما أبرك الوقت وأسعد الفرصة السانحة لتلقين هؤلاء المسلمين حقائق يسوع المسيح ! »

ثم نصح لجميع البعثات المسيحية بتوحيد مساعيها في العمل لتكون كوحدات جيش واحد يهاجم الاسلام متبعا خطة واحدة

وبعد أن دل على مواضع ضعف الاسلام في جنوب آسية والصين وغيرها من الاصقاع التي لم يرتق فيها العلم والفهم حض على العمل فيها ونشر مؤلفات « ايلمنسكي » و « مالوف » (أو مالوو ») و « سابلولوف » (أو سابلوكوو »

---

(١) المنار تلقفوا هذه الكلمة من قدماء أعداء الاسلام ولا يستحيون من تكرارها مع حصول ما كان يقصده أولئك الاعداء من وضع رقاب أكثر المسلمين تحت سيوف المسيحيين الذين يكرهون السيف ويعشقون السلام رحمة بالناس كما هو مشاهد في كل العالم !!! (٢) لو أنصف لقال : لعدم إمكان بقائه حرا عزيزا تحت نير الأوربيين المدعين للمسيحية

و « ماشانوف » (او ماشانوو) على مسلمي القوقاس وعرض برنامجه الذي يختار منه هذه الفقرات :

١ — احتلال البعثات الدينية للديار الاسلامية المستقلة والمغلوبة احتلالا منظما وعملها متحدة عملا منظما

٢ — تأسيس مدارس لابناء مسيحيي الاهالي أو المسلمين الذين انتحلوا الدين المسيحي يتخرجون فيها لخدمة عمل هذه البعثات ، وذكر أن من هذه المدارس ما يوجد في الاسكندرية وفي قسطنطينة — في الجزائر — وفي قازان

٣ — إلقاء محاضرات في أماكن هذه البعثات آنا بعد آن

٤ — نشر الكتب المؤلفة لتنوير المسلمين الذين لا يعرفون عن الدين المسيحي الاأموراً « معكوسة » وكتبا للعائلات وجرائد وغير ذلك من وسائل نشر الدعوة . وكتب المجادلة كتلك الكتب « الجليلة » التي ألفها المولوي عماد الدين في الهند

٥ — نشر مثل هذه الكتب على الاهالي المسيحيين ونشر انتقاد لحياة « محمد » وقد كان المؤلفون المسيحيون يستقون بعض أخبار هذه الحياة من الكتب الكاذبة التي يؤلفها المصنفون المسلمون عن حياة نبيهم ... كما أنه تجب ترجمة كتاب « ريجوزي » (أو « ريكوزي » — أو « ربغوزي ») الى اللغات الاوربية لاظهار فساد معتقدات المسلمين في الله وفي الآخرة ....

٦ — إصدار نشرة دورية عامة للبعثات الدينية ....

ومن غرائب أفكاره في الموضوع قوله : « ان طريق بغداد الحديدية ستزعزع الاسلام من أساسه » (!!!)

و « اذا كان الروس يمدون خطا حديديا من باكو الى البوسفور فان ذلك يقضي على الاسلام قضاء مبرما (؟؟؟)

و « ان الدين الاسلامي قائم على السيف فاذا أصابت هذا السيف فلول فلن يعود تركي ولا ايراني ولا تتري يؤمن بهذا الدين ! »

وقد ذكر بعد ذلك تأسيسهم لقاعدة عمل عظيمة الاهمية في بلغارية (وهي القاعدة التي يسعى فيها لتنصير مسلمي بلغارية ووقاية المسلمين الذين يعتنقون الدين المسيحي في تركية او في بلاد ايران من فتك أبناء جنسهم بهم

وهاك نبأ من سيرة « ابراهام إيبرشانيانس أو ايبرشانيانز » فان في هذه القصة مواعظ وعبراً

ابراهام هذا هو ابن قروي أرمني من القوقاز يدعى « ميرزا فاروخ »(أو فروخ ؟)كان اختطفه بعض الفارسيين من اللصوص المتاجرين بالرقيق . فوصل الى سريّ ايراني يدعى أمير كان سردار فأوصى ابنته بتربية الطفل كما فعل فرعون مصر مع موسى — مع بعد الشبه بين الطفلين والتربيتين — فربي تربية اسلامية وعلم تعليما إسلاميا الى ان صار ميرزا (فقيها ؟) وكاتب سر لسيده الذي كان قائدا في جيش بلاده . واستصحب القائد كاتبه فروخ في محاربته للروس فقتل هذا القائد فيها ، وفي أثناء عودة فاروخ «أوفروخ» هذا التقى بأقارب له فارتد الى دينهم وخرج هاربا من فارس ...... الى شوشة قريته في القوقاس . وهنالك تعرف الى الدكتور بفاندر السويسري المبشر وغيره وتقلد المذهب البروتستانتي واذ كان يعرف الفارسية والتركية والعربية وتعلم الارمنية والروسية، استخدمته الحكومة الروسية معلما وتمكن من ترجمة « العهد الجديد » الى تركية القوقاس وعلم ابنه ابراهام هذا اللغتين الفارسية والتركية وأسلمه الى الدكتور تسارمبا فأرسله أولا الى ريفال ثم الى سويسرة ليتمم علومه في مدرسة «المبشرين» ببازل (بال) ولما منعت الحكومة الروسية عودته الى وطنه ارسله المبشرون السويسريون الى القسطنطينية . وهنالك بقي مدة عشر سنوات بوظيفة قسيس لطائفة الارمن مشتغلا مع المبشرين السويسريين ثم استخدمه « كاتوليكوس » الارمن لادارة المدرسة الدينية فبقي فيها ثلاث سنين . وبعد أن تجول في بلاد فارس سكن في تفليس وترجم كتبا دينية ينشرونها هناك . ولما اشتغل بالوعظ غضب عليه رئيس المجلس وأقر نفيه فقبض عليه وسيق مع عائلته وأولاده السبع الى المنفى ....

وبعد أن فقد ابنيه توسط أحد الامراء له في تخفيف العقاب وذهب الى هلسنجفورس ومنها الى وارنه في بلغارية - واتخذ بعد ذلك تنصير المسلمين حرفة له

ومن يستطيع ان يثبت لنا ان هرب ابيه من فارس بعد موت ذلك القائد الذي رباه ليس له علاقة بقتل ذلك القائد ؟

اي من ذا الذي يمكنه ان يبرهن لنا على ان أباه لم يقتل مربيه اغتيالا وغدرا ليتمكن بما سلبه منه من العودة الى موطنه ؟ إن كان فروخ هذا نقي اليد مرتاح الضمير فلماذا هذا الهرب وهذا الفرار ؟ ومن اين اتته النقود التي مكنته من الوصول السريع الى بلاد القفقاس ؟

ان هناك مسائل يجب ان يفكر فيها اولئك الذين يظنون انهم يستطيعون ان يتبنوا ويربوا مثل هذه الاطفال المختطفة والمسروقة التي ينمو معها الحقد والضغينة كلما نمت قواها الفكرية والجسدية ولا تستخدم ما امدها به الاحسان الا في الاساءة ! لو كان ذلك القائد الفارسي فكر في هذا الامر لما فعل ذلك الخير الذي لم ينتج الا شرا وهل يحترم الذئب اذا كبر شاة غذي بدرها ؟

ولو كان ذلك القائد الزم اولئك اللصوص بارجاع ذلك الطفل لاهله ليتربى فيهم ويأخذ لغتهم ودينهم ويعيش معهم ويموت فيهم لما مكن ذلك الثعبان وابنه ابراهام من جمع كل هذا السم الذي كان هو اول ضحاياه

ومن هذا القبيل شخص اسمه « يوهانس اويتارانيان » تصوره تلك المجلة بملابس شيخ كردي تارة وبملابس اوربية تارة اخرى - وهو يدعو المسيحيين للتعاون على تنصير المسلمين ويدعي انه من المسلمين الذين هداهم الله الى النصرانية ويقص في المجلة تاريخه وما جرى لغيره من المسلمين المتنصرين...

ومن هؤلاء رجل اسمه ميرزا ابراهيم قبض الناس عليه في خيوى وسجنوه وقتلوه ، لانه بعد أن تنصر أخذ يضايق الناس بسعيه في حملهم على ترك دينهم

ولكن لنترك ابراهام واباه ومن هم على شاكلته - وكثير ما هم — ولننظر ما يصنعون وما يتبعون من الخطط

ليس من العجيب ان تكون تلك المجموعة السنوية مجموعة طعن في الدين الاسلامي وفي رسول الله (ص) ومن لم يقبلوا المسيحية طوعا او كرها، ولا فائدة من تحصيل الحاصل بترجمة تلك الصحائف الكثيرة المشتملة على شتائم يبرأ المسيح عليه السلام منها ومن قائليها - وكفى بما اتينا به برهانا على نياتهم وموضحا لخططهم وطرقهم

ولكن نلاحظ ان « القسيس » ليبسيوس عند كلامه عن حائط العبرات او الدموع في القدس - وهو الحائط الذي يبكي عنده اليهود منذ عشرين قرنا زوال ملكهم وتخريب هيكلهم -- يستدرج نفسه وقارئه الى اعتقاد ان المسيحية اعطاها الشرق الى الغرب ، وسيعطيها الغرب للشرق » اي انه لم يفكر في الخطر الصهيوني بل حصر همه في العمل ضد الدين الاسلامي !

نحن لا نستنكر ان يحاول المسيحيون تنصير المسلمين ولا أن يروم المسلمون اسلام المسيحيين بالتي هي أحسن اذا استطاعوا او لم يستطيعوا الى ذلك سبيلا ، لانا نعتقد أن النفس البشرية تجد منها لها حاثا ودافعا الى افادة غيرها ما تعتقد صلاحه ونفعه ، ولذلك لا ننقم على مسيحي يريد ويسعى في أن يجعل المسلمين نصارى بالطرق التي تقبلها الحكمة والآداب ، ولكننا نعد اتخاذ المطاعن البذيئة وطرق الغش والكذب وسائل لهذه الغاية وجريمة لا يغفرها الله ولا يرضى عنها المسيح ولا يقبلها ذو نفس شريفة تكره الكذب والتزوير في المعاملات العادية عموما ، والشؤون الدينية خصوصا

ولقد كان ترفع المسلمين عن النظر الى تلك الدنايا ، وعدم اهتمام الحكومات الاسلامية والعلماء والمفكرين من المسلمين بمراقبة ماتدبره هذه الجمعيات من المكايد الخسيسة ، سببين -- لامر أعظم ضررا من تنصير بعض المسلمين ممن لا يعرفون من أمور دينهم شيئا -- فان النجاح الذي أدركه « المبشرون » في مشارق الارض ومغاربها منذ عشرات بل مئات من السنين في تنصير المسلمين أقل من أن يذكر -- ذلك الامر العظيم الضرر هو إلقاء عداوة المسلمين واحتقارهم

في نفوس الامم الاوربية والاميريكية . وهو ماجعل تلك الامم ترتاح لوقوع الامم الاسلامية في شراك الدول الاستعمارية ، وصيرها لاتتأثر اذا اقترف أمثال البلغار والصرب واليونان والافرنسيين والانكليز في الديار الاسلامية فظائع كانت أوربة واميريكة لاتغتفر انها لو اقترفها هؤلاء في بلاد أمم مسيحية .

نعم إن الحق لايعدم نصيرا . ولقد رأينا في السنين الاخيرة مايثبت ذلك من تغير الآراء في ألمانية نحو المسلمين بتأثير الكتب والمقالات التي كتبها القواد والضباط والجنود والموظفون والعلماء الالمان ذاكرين فيها مالاحظوه وما شاهدوه وما اختبروه من أحوال المسلمين في أثناء الحرب العالمية . ولكن ذلك لايكفي في ايضاح الحقائق عن الدين الاسلامي وأهله ، فان دعاة السوء لايزالون مستمرين في العالم كله على وصف هذا الدين وأهله بأشنع الاوصاف وحمل العالم المسيحي والوثني على اعتقاد أن كل اعتداء على الشعوب الاسلامية عمل خيري وأن كل نقمة تحل بالمسلمين نعمة للمسيحيين وغيرهم .

ولذلك نرى أن من الواجب على الدول الاسلامية التي بقيت محافظة على استقلالها أن تنظم وسائل الدفاع عن دينها وسمعة أممها في العالم . وعلى الكتاب المسلمين أن يجدوا في إفهام العالم الحقائق التي يحاول أولئك المجرمون طمسها .

ويسمح لنا حضرات علماء الازهر والزيتونة والفاتح وغيرهم أن نقول لهم إن أولئك المعتدين على دينهم وكرامة أمتهم يتعلمون اللغات العربية والتركية والفارسية والهندية تعلماً جيداً ليتطاولوا على الاسلام والمسلمين ، فلماذا يمتنع علماؤنا من تعلم اللغات الانكليزية والافرنسية والالمانية وغيرها ليدفعوا تلك الاراجيف والاكاذيب ويظهروا للامم فضائل هذا الدين التي تفوق جميع فضائل الاديان الموجودة في العالم ؟ ان العلماء بتمكنهم من دقائق هذا الدين ومعرفة أموره التي لاتصل اليها مدارك غيرهم هم أحق الناس بالقيام بهذا الواجب الذي نسعى نحن الذين تنقصنا الوسائل الكثيرة الى تأديته !

وعسى أن يسمع صوتنا هذا ، فنرى حضرات الكتاب والمفكرين عموما

والعلماء خصوصا قد اهتموا بالامر واشتغلوا بانفاذه بكل ما أوتوا من نشاط وهمة وكفاءة ، ونجد وفود علماء الاسلام تتجول في أوربة وأميريكة ، لتنير للشعوب الغربية تلك الظلمات وتهتك تلك الحجب التي نسج برودها أولئك الافاكون المختلقون الذين نعتقد ان المسيح عليه السلام يبرأ مما صنعوا ويصنعون باسمه الكريم!

(المنار) سواء وصل صوتك أو لم يصل (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون) وقد ارتفع قبل صوتك الشريف أصوات أفراد آخرين رأوا شيئا مما رأيت وشيئا مما لم تره — ولكن الاسلام ليس له دولة تسمع وتبصر ، وتعقل وتشعر فتعمل ، وأكثر حملة العمائم موتى القلوب كمه البصائر مظلمو العقول لا يهمهم من الحياة الا أمر معاشهم ولو بالذل والمسكنة ، وان ما فسد في بضع قرون لا يصلح في بضع سنين . وانا قضينا أكثر من ربع قرن ونحن نداقع عن الاسلام ونفند ما يفتريه عليه دعاة النصرانية ودعاة الالحاد ولم نجد لنا وليا ولا نصيراً من أمراء المسلمين وملوكهم ، ولا من منتحلي الرياسة الدينية وعلماء الرسوم منهم ، بل وجدنا من ايذائهم وسعايتهم اضعاف ما وجدنا من ايذاء المبشرين وحماتهم الذين منعوا المنار أن يدخل السودان المصري بسعاية هؤلاء المبشرين — ودعونا حكومة الخلافة العثمانية في الآستانة الى تأسيس جمعية للدعوة والارشاد ومدرسة لتخريج الدعاة والمرشدين فارتعدت فرائص رجال الحكومة الاتحادية من كلمة الدعوة ثم أبوا تنفيذ الاقتراح حتى بعد تغيير الاسم ، فأسسنا الجمعية وافتتحنا المدرسة في مصر ، ونالت من الاوقاف العامة والخاصة إعانة قبل الحرب ، برعاية عزيز البلاد في ذلك الوقت. ولم تلبث أن قطعت بعدها بايعاز بريطاني في أوائل عهدها ، ووعدنا السلطان حسين ورؤساء أكثر الوزراء باعادتها، ولم ينجز لها أحد وعداً ولا رعى للاسلام عهداً. ومن ذلك أن رشدي باشا في عهد وزارته أخبرنا انه عرض أمرها على الملك فؤاد فارتاح الى مساعدتها ، وانه مهد لنا السبيل لديه لعرض الامر عليه ... ولكن حال بعض رجال القصر دون ذلك .... ولكن نحمد الله تعالى ان دعوة الاصلاح تمتد ولو ببطء فعسى أن تزول الغصة قبل فوات الفرصة

﴿ أحوال العالم الاسلامي ﴾

اليمن وتهامة . نجد والكويت والريحاني. الحجاز. الترك

لاتزال جزيرة العرب على مايعلم الناس عنها من شقاق وتقاتل في اليمن وتهامة يغضب الله والمسلمين وجميع العرب الصادقين، ويرضي الاعداء الطامعين. ولو آثر الامام والسيد الادريسي حقن الدماء على سفكها وانصرف كل منهما الى الاخذ بوسائل العمران في بلاده لكان لكل منهما في منطقته اضعاف اضعاف مايطمع به من توسيع حدوده بالبلاد المتنازع عليها ، واهم مايتنازعان عليه واعظمه شأنا عندهما ثغر (الحديدة) ويمكن ان يتفقا على جعله ثغراً حراً لكل منهما حق مساو لحق الآخر في الانتفاع منه بالتجارة وردا وصدرا على ان يحميه كل منهما بالتعاون مع الآخر ممن يعتدي عليه ، وتكون حكومته وطنية مستقلة ينفق عليها من رسوم المكوس فيها

وأما نجد فقد ذكرت الجرائد أن سلطانها منح بعض الشركات الانكليزية امتيازا كبير الشأن في منطقة الاحساء بزيت البترول وغيره مما يوجد من المعادن وما يستلزم ذلك من مد الخطوط الحديدية ... واشارت الى ما في هذا الامتياز من الضرر على هذه البلاد والخطر على استقلالها . وقد بلغنا عن أمين أفندي الريحاني الاديب اللبناني المشهور أنه هو الذي اقنع السلطان عبد العزيز بن سعود بمنح هذا الامتياز للانكليز وأقنع شيخ الكويت بامتياز مثله وانه لم يذهب الى جزيرة العرب الا بنفقة شركة انكليزية معروفة لاجل اقناع امرائها باعطائها امثال هذه الامتيازات فخاب سعيه الا في نجد والكويت، وكان يظن ان النجاح فيهما أبعد منه في غيرهما، ولا مندوحة لحكومتهما اذا لم يتفصيا من امضائه وانفاذه ان يعلما بعض نابتتهما لغة القوم وتاريخهم وقوانينهم والقانون الدولي العام والمعاهدات الدولية ليعرفوا كيف يعاملونهم و يتقون بعض مفاسدهم وغوائلهم، فهم بعد تقييد أنفسهم بادخال الاجانب في بلادهم لا يستطيعون أن يبقوا بمعزل عن العالم المدني، والطريق وعر، والمركب صعب، وكان الواجب أن تعد لها عدتها ، قبل التقحم في مهامه مفازتها . وقد كنت نصحت للمرحوم

الشيخ مبارك الصباح بان يعلم صغار أولاده واحفاده تعليما خاصا فأجابني بأنهم لا يحتاجون الى العلم !!! وأنى لذي الجهل المركب المطلق أن يشعر بمنفعة العلم ؟

ساعد الريحاني على نجاح سياحته في جزيرة العرب ما كان له من حظ الحظوة بمصر ولاسيما احتفال احمد زكي باشا به في جوار الاهرام ذلك الاحتفال الغريب الذي حضره ألوف من الناس ، وشغل الصحف المصرية بالنقد والاستحسان . ذهب بعده الريحاني الى الحجاز ويقال ان ملكه قد أوصي به ، وكان اطلع على ما كتب في الجرائد بشأنه . فحفي به وا كرم مثواه ، وعرض عليه ان يحليه بلقب أمير فاعتذر ، فأهداه هدايا منها خنجر ذهبي مما يتقلده شرفاء الحجاز على بطونهم ويسمى (الجنبية) وزوده بكتب توصية الى امام اليمن والسيد الادريسي وأرسل معه قسطنطين أفندي يني وهو سوري من موظفي حكومته بجدة فجعلهما وفدا له ، بلغنا أن الامام اكرمهما بضيافته ومجالسه ولكن جعل حديثه معهما في المسائل الادبية والشعر ولم ينالا منه شيئا مما زاراه لاجله ، وكذلك السيد الادريسي رحمه الله تعالى . وقد كان الريحاني طلب مني توصية كتابية الى (الحجاز) أمراء الجزيرة فتنصلت بلطف لانني كنت مرتابا في الحامل له على السفر ، ورأيت بعض اخواني جازما بأنه يقصد خدمة سياسية للانكليز

نحمد الله تعالى أن خابت « المعاهدة العربية البريطانية » التي أمر الملك حسين بجعل يوم إعلانها عيد للامة العربية التي يدعي افتياتا عليها أنه ملكها ، وأن جعلنا من المجاهدين في سبيل خيبتها ، ودفع ما فيها من الخزي والخطر على بلاد الحرمين الشريفين وعلى ثالثهما وهو المسجد الاقصى ، وقد ظهر للعالم كله بطلان دعوى الملك حسين أن المادة الثانية من المعاهدة نص صريح في استقلال فلسطين وسائر البلاد العربية ماعدا (عدنا) وحدها . . . وما كررته جريدته (القبلة) من الكذب والافك في ذلك ، ولا ندري ما يقول انصاره اليوم — فاذا كان قد تعمد خداع العرب عامة والفلسطينيين خاصة ليكفوا عن جهادهم ، و يفوضوا اليه والى حليفته انكلترة أمر بلادهم ، فكيف يدعون بعد هذا أنه يخدم العرب

ويسعى لاستقلالهم؟ (وان قالوا) انه هو قد خدع بهذه المعاهدة اذلم يفهم موادها كما خدع قبلها بمقررات النهضة الناطقة بحماية الانكليز لبلاد العرب كلها وان كان هو الواضع لها (قلنا) — أولا — اذا كان يعقد معاهدات مع أدهى الدول المرة بعد المرة وهو لا يفهم معناها فكيف تتخذونه زعيما لامتكم؟ — وثانيا — اذا كان لم يفهم ترجمة المعاهدة بالعربية فكيف لم يفسرها له بالعامية وكيل خارجيته (فؤاد افندي الخطيب) ومندوبه لدى الدولة البريطانية (الدكتور ناجي الاصيل) اللذين ترجماها له بل وافقاه على ما فهمه منها خطأ بزعمكم؟ — وثالثا — ان كانا هما اللذان خدعاه بالترجمة أو بموافقته على سوء فهمه فلماذا لم يعاقبهما على هذه الخيانة ولو بطردهما من خدمته؟ بل لماذا أعاد الدكتور الى لندن لاتمام المساومة في شأنها وهو لا يزال يرجو ابرامها؟

هذا وانه بعد هذا يريد عقد مؤتمر عربي في (معان) بدسيسة بريطانية قد بثت الدعاية لها في البلاد السورية كلها، وبذل من المال ما بذل في سبيلها، وسنشرح ذلك وما يجب من تلافي ضرره في مقال آخر.

وقد كان من سوء سياسة الرجل ومقت العالم الاسلامي له أن أبطأ مسلمو الهند فيما قرروه من مساعدة جزيرة العرب على الاستقلال فهو العقبة في طريقها، وأن بثت الدعوة في الهند وأفريقية الواقعة تحت السيطرة الفرنسية الى مقاطعة الحجاز بترك أداء فريضة الحج ما دام هذا الرجل مسيطرا عليه. ولا شك في أن هذا يسر حليفتيه البريطانية والفرنسية وان لم يشعر أولئك المسلمون في الشرق والغرب بذلك — فنحن ننكر عليهم ترك الحج الذي هو ركن الاسلام الاجتماعي العام ونجزم بأنه نكبة وجريمة دينية سياسية اجتماعية، وأن لديهم أسهل الطرق لانقاذ الحجاز مما جناه عليه هذا الرجل وهو تعضيد الجمعية التي وضعت لحياده واستقلاله وحفظه من كل نفوذ غير اسلامي، وسنعلن ذلك ان شاء الله تعالى في الشهر الآتي

(الترك) ثم نحمد الله تعالى أن تم للترك الاستقلال المطلق بمعاهدة الصلح الأخيرة وقد جرأهم ذلك على التصريح بما كانوا يكتمونه من جعل حكومتهم جمهورية، وهو

ماسبقنا الى التصريح به في العام الماضي عقب اطلاعنا على التشكيلات الاساسية للجمعية الوطنية ، وقد ألغيت الاحكام العسكرية فظهرت المعارضة للحكومة الكمالية في مسألة الخلافة الاسمية، ومسألة اسرة السلاطين العثمانية التي هضمت حقوقها بحرمانها من مساواة الامة في المناصب والوظائف وفي النيابة عن الامة — ومسألة جعل الغازي مصطفى كمال باشا رئيسا للجمهورية ورئيسا للجمعية الوطنية ورئيسا للحكومة التنفيذية ورئيسا لحزب الشعب الذي ألفه لاجل حصر السلطة كلها فيه، فنزل عن بعض هذه الرياسات في الظاهر الرسمي وجعلها لاقرب أعضاء حزبه منه — ولو أنه أنجز ما كان وعد به من اعتزال الحكومة بعد نيل الاستقلال كما فعل واشنطون محرر مملكة الولايات المتحدة في أمريكة لاجمعت الامم على تمجيده مع الشعب التركي ولكانت رياسته أتم ، ونفعه لقومه أعظم — ولكنه قد استهدف الآن لمقاومات كثيرة فاتهم بأنه يسعى لجعل نفسه حاكما عسكريا مطلق التصرف من وراء ستار الجمهورية كما جرى في البلاد الاسبانية ، أو ما هو قريب منه كما جرى في الدولة الايطالية ، وا كتشفت مكيدة لاغتياله ، وانطلقت الالسنة والاقلام بالخوض في شخصه وعمله

وظهرت في البلاد التركية ولاسيما انقره دعوة الغلو في التفرنج بجعل الحكومة غير دينية كالجمهورية الفرنسية و باطلاقها للنساء والرجال حرية الاباحة كفشيان التركيات المراقص ، ورقصهن متهتكات مع الاجانب والاقارب، وتمثيلهن أنواع القصص في المسارح ، و الدعوة الى تعديل قانون المسكرات وغير ذلك . وقد نشر في الجرائد أن الحكومة الجمهورية ألغت المحاكم الشرعية البتة و يقال إنها منعت تعليم الدين في مدارس الحكومة أيضا ، وعادت دعوة العصبية الجنسية والغلو في التفرنج المنافي للاسلام الى ما كانت عليه بالصراحة التامة. وظهر أن الحكومة الكمالية كالحكومة الاتحادية التي كانت قبلها ، وانها لا تخالفها الا في شكلها، على أن أكثر الكماليين من الاتحاديين ، وقد ظهر أن من لم ينتظم في السلك الكمالي من بقايا رجالاتهم أحرص على المحافظة على منصب الخلافة فيهم. ونسأل الله تعالى أن يقي هذا الشعب الاسلامي شر الغرور بالمدنية المادية وشر الشقاق، فالذي يهمنا أن يبقى حصنا من حصون الاسلام في الشرق ، وانما يكون ذلك بنجاح حزب الاصلاح الاسلامي

خاتمة المجلد الرابع والعشرين

باسم الله وبحمده نختتم هذا المجلد من المنار كما افتتحناه به ، ونحمده اننا لم ندخر وسعا في القيام بما قدرنا عليه من خدمة الملة والامة ، على قصر الساعد ، وقلة المساعد ، ولي المشتركين ، وتجهم السنين ، ومن العجيب أن يشكو المماطلون من تأخير بعض الاجزاء عن موعد صدورها من أول الشهر ، وينسون تأخيرهم لقيمة الاشتراك عن موعدها أول العام ، دع من يسوفون بها عاما بعد عام ، وهم يعلمون أن الاشتراك في الصحف المنتشرة عبارة عن التعاون بين من يتولى أمر تحريرها وطبعها ونشرها وبين قرائها على خدمة الامة بها ، وجعله الفقهاء من قبيل مايسمونه الاستصناع وهو بذل قدر معين من النقد لمن يقوم بعمل شيء معين للباذل ، والمراد من هذا وذاك أن الجريدة أو المجلة ينفق على ايجادها من أموالهم فكيف يطلبون وجود المسبب قبل وجود السبب وهو في أيديهم

إن تأخير بعض أجزاء المجلات لا يحول دون الاستفادة منها ولا ينقص منه اذ ليست كالجرائد التي يراد منها الاعلام بالجوائب (الاخبار الطارئة) في إبان طروقها ، فيفوت ذلك بتأخير صدورها ، أو يستغنى بالسابق على المسبوق منها ، على أن تأخيرنا اصدار بعض أجزاء هذا المجلد لم يمنع من صدور جميع أجزائها في عامها ، فقد صدر الجزء الاول من هذا المجلد في شهر جمادى الاولى من عام ١٣٤١ وتم الجزء العاشر الذي هو الخاتمة في ربيع الاول سنة ١٣٤٢ وأخرنا نشره الى ربيع الآخر الذي بعده ، وسيصدر الجزء الاول من المجلد الخامس والعشرين في مثل موعد الاول مما قبله فيكون الفرق بيننا وبين أشهر مجلاتنا العربية اننا جعلنا شهري الاستراحة مفرقا على أشهر السنة وهي تجعلهما شهرين متتابعين

وقد اضطرنا التوسع في مسائل الخلافة والحجاز والهند في هذا المجلد الى تأجيل بعض المباحث التي كنا شرعنا فيها ومقالات أخرى لدينا ، وتأجيل انتقاد على المنار ، وحقوق أدبية عليه لمن أهدوا بعض مطبوعاتهم ، وسنعود الى ذلك كله في المجلد الآتي ان شاء الله تعالى ; وعسى أن يحاسب الهاضمون لحق المنار أنفسهم ، وينتصفوا منها لمن انقطع به الى خدمة ملتهم وأمتهم ، وكذا بالاشتراك في بضع جماعات دينية وعلمية ولغوية واجتماعية وسياسية ، لم تترك له ساعة من نهار للنظر في شيء من مصالحه الشخصية والمنزلية . ونسأله تعالى أن يوفق كلا منا لاتقان العمل الذي خلق له والحمد لله أولا وآخراً